

الشوقيات

أحمد شوقي

الشوقيات

الشوقيات

تأليف

أمير الشعراء أحمد شوقي



كلمات عربية للترجمة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية
للترجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٩	الجزء الأول
١١	مقدمة الطبعة الأولى
٢٣	كبار الحوادث في وادي النيل
٣٩	الهمزية النبوية
٤٧	صدى الحرب
٤٩	أبو أمير المؤمنين
٥١	الجلوس الأسعد
٥٣	حلم عظيم وبطش أعظم
٥٥	معجزات الجنود على الحدود
٥٧	زينب بني عثمان
٥٩	الحالة في بحر الروم
٦١	منعة السواحل العثمانية
٦٣	زينب المتطوعة في موقعة
٦٥	مضيق ملونا
٦٧	الحاج عبد الأزل باشا
٧١	هزيمة طرناو
٧٥	التلاقي سهل فرسالا
٧٧	غصب دوموقو
٧٩	أحلام اليونان
٨١	عفو القادر

٨٣	التماس القبول
٨٥	انتصار الأتراك في الحرب والسياسة
٩٥	بعد المنفى
٩٩	ذكرى المولد
١٠٥	مشروع ملنر
١٠٩	مشروع ٢٨ فبراير
١١٥	الله والعلم
١٢١	ذكرى كانارفون
١٢٩	أيها العمال
١٣١	نجاة
١٣٩	إلى عرفات
١٤٥	مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات
١٤٩	خلافة الإسلام
١٥٣	تكريم
١٥٧	على سفح الأهرام
١٦٣	المطرية تتكلم
١٦٧	الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد
١٧٣	انتحار الطلبة
١٧٩	عبث المشيب
١٨٣	أبو الهول
٢٠١	مملكة النحل
٢٠٧	في سبيل الهلال الأحمر
٢٠٩	الأزهر
٢١٣	وداع فروق
٢١٥	رحلة الشرق
٢١٩	براءة
٢٢١	الصحافة
٢٢٥	عيد الفداء

٢٢٧	نكبة بيروت
٢٢٩	تكليل أنقرة وعزل الأستانة
٢٣٥	عيد الدهر وليلة القدر
٢٤١	وداع اللورد كرومر
٢٤٥	بين الحجاب والسفور
٢٥١	العلم والتعليم، وواجب المعلم
٢٥٥	بنك مصر
٢٥٧	مرحبًا بالهلال
٢٦١	يا شباب الديار
٢٦٥	نهج البردة
٢٩٣	خاتمة رياض
٢٩٧	ضحيج الحجيج
٣٠٣	استقبال
٣٠٩	أرسططاليس وترجمانه
٣١٣	شهيد الحق
٣١٧	تحيةً للترك
٣٢١	الأسطول العثماني
٣٢٧	الأندلس الجديدة
٣٣٧	ضيف أمير المؤمنين
٣٤٥	ذكرى دنشواي
٣٤٧	الهلال الأحمر
٣٥٣	رومة
٣٥٩	على قبر نابليون
٣٦٥	تكريم
٣٦٩	اعتداء
٣٧٥	توت عنخ آمون
٣٨٥	تحية المؤتمر الجغرافي
٣٨٩	الصليب الأحمر

٣٩١	تحية للترك
٣٩٩	الدستور العثماني
٤٠٥	الهلال والصليب الأحمران
٤٠٩	الجزء الثاني
٤١١	باب الوصف
٥٣٣	باب النسب
٥٦٥	متفرقات
٦٠٧	الباب الثالث
٦٠٩	سليمان باشا أباطة
٦١١	مصطفى باشا فهمي
٦١٥	أبو هيف بك
٦١٩	مولانا محمد علي
٦٢١	سيد درويش
٦٢٥	عمر المختار
٦٢٩	عبد الحليم العلابي بك
٦٣١	حافظ إبراهيم
٦٣٥	محمد تيمور
٦٣٩	يعقوب صروف
٦٤٣	حسين شيرين بك
٦٤٧	محمد عبد المطلب
٦٥١	يرثي جدته
٦٥٥	محمد عبده
٦٥٧	رياض باشا
٦٦٣	عثمان باشا غالب
٦٦٧	عبد الحي
٦٦٩	محمد ثابت باشا
٦٧١	محمد فريد بك

المحتويات

٦٧٥	البنون والحياة الدنيا
٦٧٩	ثروت باشا
٦٨٣	عبد العزيز جاويش
٦٨٧	تعزية ورتاء
٦٨٩	ذكرى هيجو
٦٩١	عبد الحامولي
٦٩٥	قاسم بك أمين
٦٩٩	تولستوي
٧٠٣	عمر بك لطفي
٧٠٥	عمر بك لطفي
٧٠٩	الأميرة
٧١٣	ذكرى مصطفى كامل
٧١٧	المنفلوطي
٧٢١	عاطف بركات باشا
٧٢٥	المويلحي
٧٢٩	إسماعيل باشا صبري
٧٣٥	فوزي الغزي
٧٣٩	كريمة البارودي
٧٤٣	فتحي ونوري
٧٤٩	علي باشا أبو الفتوح
٧٥٣	جورجي زيدان
٧٥٧	شهداء العلم والغربة
٧٦١	سعيد زغلول بك
٧٦٣	أمين بك الرافعي
٧٦٧	الشيخ سلامة حجازي
٧٦٩	أدهم باشا
٧٧١	عثمان باشا الغازي
٧٧٣	بطرس باشا غالي

٧٧٥	يبكي والدته
٧٧٩	الملك حسين
٧٨٣	يرثي أباه
٧٨٧	مصطفى كامل باشا
٧٩١	حسن بك أنور
٧٩٣	أم المحسنين
٧٩٧	الدكتور أحمد فؤاد
٨٠١	نجل إمام اليمن
٨٠٥	عبد الله بك الطوير
٨٠٧	سعد باشا زغلول
٨١٣	الشاعر الموسيقي فردى
٨١٥	إسماعيل أباطة باشا
٨١٩	علي بهجت
٨٢٣	الباب الرابع
٨٢٥	متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع
٨٧٣	الخصوصيات
٨٨٣	الحكايات
٩١٧	ديوان الأطفال
٩٢٥	من شعر الصبا
٩٣١	محجوبيات

الجزء الأول

مقدّمة الطبعة الأولى

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل

(١) كانت مصر إلى حين قدوم الحملة الفرنسية إليها في سنة ١٧٩٨ بعيدة عن الاحتكاك بدول أوروبا، خلا ما كان من مرور بعض التجّار والمتاجر بأرضها في نهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق، وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك — تحت سيادة تركيا — تسود فيها الدسائس، ويعمل كل من أمرائها لما يجرُّ عليه النفع، وكانت الحركة العلمية والأدبية خامدة فيها خمودها في سائر بلاد الدولة العثمانية، وبلغ من ذلك أن تدنّى علماء الفقه الإسلامي، الذين كانوا في مختلف العصور فخر مصر وزينتها، وفتّر نشاطهم وفسد نتاجهم في ذلك العصر، فأما الأدب من شعر ونثر فلم تقم له إلى ذلك العصر قائمة منذ امتدَّ سلطان الأتراك على مصر، وإنك لتعجب حين تقرّأ كاتبًا كالجبرتي أو ابن إياس، لضعف تأليفه ولغته، ولسقم ما فيه من آثار الأدب شعراً كانت هذه الآثار أم نثرًا.

فلمّا جاء الفرنسيون إلى مصر، وتغلغلوا فيها، وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء، رأى المصريون مظهرًا جديدًا من مظاهر الحياة لم يكن لهم في تاريخهم الأخير به عهد. كان من بينهم الأطباء والمهندسون والصنّاع والقوّاد، ومن بينهم قام رفاة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربي في مصر، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماضٍ طويل؛ لذلك كان سريان نورها ضئيلاً قصير المدى، لكنها مع ذلك كانت بدءاً لما بعده، فلمّا كان عهد إسماعيل سارت في سبيل النضج والقوّة، ثم كانت الثورة العرابية وما تلاها من الحوادث مثارًا لشاعرية أكابر الشعراء من أمثال: سامي باشا البارودي، وإسماعيل

باشا صبري، ووحياً لخيال شبان كان روح الشعر آخذاً بنفوسهم، متهيباً ليفيض منها ما ينفخ في الأدب العربي روحاً وقوة.

وكانت الفترة التي انقضت ما بين الحملة الفرنسية في مصر سنة ١٧٩٨ واحتلال الإنكليز إيَّها على أثر الثورة العرابية في سنة ١٨٨١ فترة تقلبات سياسية عجَّت بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارى؛ فقد كانت تركيا من قبل ذلك التاريخ في عهد تدهورها، وكانت محطَّ أطماع روسيا، فلم تكن تمرُّ حقبة من الزمن من غير أن تشبَّ بينهما حرب تنقص من أطراف المملكة العثمانية، وضعف تركيا هو الذي دفع محمد علي إلى غزوها، لكنه ما كاد يقترب من الآستانة حتى تألَّبت عليه إنكلترا وفرنسا وروسيا؛ مخافة أن يزعهجهم قيامه في عاصمة آل عثمان بين الدول الأوربية بعد ما كان من انتصاراته الباهرة في الشرق، ومن سعيه لتوطيد قوة السيف وقوة العلم في مصر، وكأن ما قامت به الثورة الفرنسية من نشر مبادئ حرية الرأي والعقيدة لم يغير من نفس تلك الدول التي جعلت من الإسلام والمسيحية والشرق والغرب خصمين لايتهادنان من غير أن تنطوي الضلوع على حفيظة.

فأمَّا المسلمون في أقطار الأرض فلم يشدَّ حقدهم على محمد علي؛ ذلك بأن الدول الأوربية كافة وروسيا خاصة، كانت لا تفتأ تشنُّ الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفاً على ضعفهم، فقد انتهت حروب الإمبراطورة كاترينا في سنة ١٨١٢ بمدِّ الحدود الروسية إلى الدنيستر، ثم تحالفت روسيا وإنكلترا وفرنسا في سنة ١٨٢٨، وسلخن اليونان من جسم الدولة العثمانية، وأقمَّنها مملكة مستقلة، وفي سنة ١٨٥٣ كانت حرب القرم، ولولا خوف إنكلترا وفرنسا من طغيان روسيا، ومن اكتساح الجنس السلافي أوروبا، لَنال الروس من تركيا أكثر مما نالوا من قبل، ولنقدوا برنامجهم بإجلاء الأتراك عن أوروبا. وهذا الضعف والاضمحلال الذي أصيبت الدولة التركية به هو الذي جعل المسلمين لا يحقدون على محمد علي حين غزا الأتراك، متمسكين بقول الشاعر:

فإن كنتُ مأكولاً فكنُّ أنتُ أكلي وإلا فأدركني ولمَّا أمرقُ

على أن الحرب التي شبَّت ناراها بين روسيا وتركيا في سنة ١٨٧٧ والتي خلَّد فيها الغازي عثمان باشا انتصار الترك بدفاعه المجيد عن (بلغنا) أحيَّت في نفوس المسلمين آمالاً في دولة الخلافة التي كانت توشك أن تنهدم وتنهار.

ولقد كان المصريون إلى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين، ولكنهم كانوا أبداً يفكرون في استقلالهم عنها ويريدون تحقيقه، ولم يكن الأمل في ذلك بعيداً بعد الفرمان الذي استصدره إسماعيل باشا في سنة ١٨٧٢ واستقلّ فيه بإدارة الدولة، وبالتشريع لها، وبإنشاء الجيش الذي يقوم بحاجاتها ومطامعها؛ لذلك كان عطفهم على تركيا منبعثاً عن شعور ديني بحث لا أثر للتبعية السياسية فيه، فلمّا حطمت إنكلترا وفرنسا آمال إسماعيل، وقضتا عليه باسم ديون مصر، ودفعتا تركيا إلى خلعه، وانتهت إنكلترا باحتلال مصر بعد الثورة العربية.

ونكثت بعد الاحتلال، وعودها بالجلء، وأحسّ المصريون بتدخلها في شئونهم، اشتد عطفهم على تركيا، وضعف تبرّمهم بسيادتها عليهم، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الإسلام، وقويت فيهم النزعة الدينية؛ وكان من ذلك ما زاد النشاط في بعث الحضارة الإسلامية والأدب العربي في مصر.

(٢) وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية وجد «أحمد شوقي»، ولِد «باب إسماعيل»، وشبّ في جواره ونشأ في حماه؛ فكان طبيعياً أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية، وأن تكون أكثر تأثراً بها لقربها من المسرح الذي تشتبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها، وتضطرب فيه اضطراباً يخفيه ما تقضي به حياة القصور، ثم تصدر إلى الحياة بعد أن تكون قد نُظمت وهُدّبت، وشوقي خُلِق شاعراً، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس؛ لذلك كان لكل هذه العوامل أثر باٍ في شعره وفي حياته.

ومع أن شوقي درس في مصر، ثم أتمّ دراسته في أوروبا وتأثر بالوسط الأوربي وبالحياة الأوربية والشعر الأوربي تأثراً كبيراً، فقد ظلّ تأثره بالبيئة التي وصفنا ظاهراً في حياته وفي شعره، كما ظلّ تأثره بالبيئة الأوربية ظاهراً فيهما كذلك.

وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه — بعد أن يتمّ نشرها جميعاً — كأنك أمام رجلين مختلفين جدّ الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته، وأن كليهما مصري يبلغ حبه مصر حدّ التقديس والعبادة.

أمّا فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر: أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدّس أخوة المسلمين، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شئونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها، محافظ في اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال.. والآخر

الشوقيات

رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها، متسامح تسع نفسه الإنسانية وتسع معها الوجود كله، ساخر من الناس وأمانيمهم، مجدد في اللغة لفظاً ومعنى، وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر، وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم في شعر شوقي إلا قليلاً.

ولا تقل: إن الازدواج النفسي شأن الشعراء، وإن أبا نواس الذي كان يقول:

ألا فاسقني خمراً، وقل لي: هي الخمرُ ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهرُ

والذي كان يقول:

دع عنك لومي: فإن اللومَ إغراءً ودأوني بالتي كانت هي الداءُ

هو أبو نواس الذي كان يقول:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوِّ في ثياب صديق

فليس هذا من أبي نواس ازدواجاً في الروح، وما الحكمة الزاهدة عنده إلا فتور نفس أجهدها اللذة فأضعفتها، فأخافها الضعف، فألجأها إلى حمى الحكمة والزهد، وإلى استغفار الله والتوبة؛ لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود إلى نعيم الترف والإباحة، وذلك هو السرُّ في أنك لا ترى الزهد في شعر أبي نواس إلا عرَضاً واستثناءً، وذلك شأن الشعراء جميعاً إلا قليلاً منهم، وشوقي من هذا القليل؛ ففي شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة، كأنما صاحبها غير الآخر، فأنت تقرأ:

حف كأسها الحبيب فهي فضة ذهب

أو تقرأ:

رمضان ولّى، هاتها يا ساقى مشتاقه تسعى إلى مشتاق

فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها، شاعر تختلف روحه جدّ الاختلاف عن صاحب نهج البردة التي مطلعها:

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ

وصاحب الهمزية الذي يقول:

وُلِدَ الْهَدَى، فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

وهذان الروحان، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران في نفس شوقي، وتصدران عنها وهي في كل قوتها وسلطانها؛ وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجابًا بالحياة ومتاعها ولذتها، وحين تقرأ الثانية تكون أشدَّ إعجابًا بكلمة الإيمان وروح الحق ورسالته، وأنت لا تشعر في أي الحالين بضعف نفساني عند الشاعر دفع به إلى لبوس روح غير روحه، بل أنت فيها جميعًا يبهرك شوقي بقوة شاعريته الممتلئة حياة وخيالًا، والتي تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الإيمان.

كيف كان هذا الازدواج؟ كيف جمع شوقي في نفسه بين هذين الشعارين: شاعر الحياة العربية بحضارتها الإسلامية وبما فيها من قدم وإيمان، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة؛ فقد تزوج في نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج، فيكون الرجل الواحد فيلسوفًا وشاعرًا، كما كان المعري أو كما كان فولتير، فأما أن يكون الرجل شاعرًا وحدة حياته الشعر، ثم تكون نفسه مقسّمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقي؛ فذلك عجب في شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع، وكما ينهمل المطر من الغمام.

على أن لهذا الازدواج سببًا لم يكن مفرًّا من أن يؤدي إليه، ذلك أن شوقي كان في طبع شبابه رسول الحياة، كان شاعرًا:

حف كأسها الحب فهي فضة ذهب

لكن هذا الشباب لم يكن في ملك نفسه؛ فقد بعث به الخديو توفيق باشا ليتّم علومه في أوروبا، وكان من قبل ذلك شاعرًا متفوقًا، وكان في تفوّقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه إياه نفسه. فلمّا عاد إلى مصر اتّصل بالأمر الشاب عباس حلمي باشا وصار كلمته، ورأى يومئذ صنوًا له على العرش جعلته روحه الشابة مقدامًا لا يهاب، ومع ما فوجيء به أول ولايته في حادث عرض الجيش في السودان — مما اضطره للاعتذار — قد بقي شبابه يدفعه إلى ما كان يندفع إليه جدّه إسماعيل من مغامرة، لكن قيام الاحتلال الإنكليزي في مصر جعل الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك، بل لقد كان منظورًا إليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من العطف في بلاد آل عثمان؛ لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون في الخليفة المويّل الأخير لأُم الإسلام جميعًا.

اتّصل الشاعر الشاب بالأمر الشاب، فحتمّ عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينية في نفوس المسلمين جميعًا، لا في نفوس المصريين وحدهم؛ وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ميله للحياة، وحبّه إياها، وحرصه على المتاع بها، مع إيمان المسلمين جميعًا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم، بإزاء الأمم الغربية التي تنظر إليهم يعين صليبية بحثّة، وكانت هذه الناحية التي تمثّلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به، أكثر استيحاءً لشعره من الناحية الأولى التي هي طبيعة نفسه؛ فكان بذلك كالرجل القوي الذي يرى وطنه في خطر، ويصبح جنديًا، وجنديًا باسلاً، ويتفوق في كل مواقف الحرب، ويصبح القائد الأعظم، ولو أن وطنه لم يكن في خطر لرأيته صديق النعمة، السعيد بها غاية السعادة.

(٣) وهذا الجزء الأول من ديوان شوقي فيه طائفة من شعره أوحى إليه بها على أنه ممثّل المصريين والعرب والمسلمين، وأولى قصائده التي مطلعها:

هَمَّتْ الْفُكُّ، واحتواها الماءُ وحداها بمن تُقَلُّ الرَّجَاءُ

هي رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراغنة إلى عهد أبناء محمد علي، وقف فيها الشاعر وقفة مصري صادق العاطفة تفيض عليه ربّة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ، أي منذ عرف الناس شيئًا اسمه التاريخ، وأنت تراه في عرضه هذا

التاريخ ممتلئ النفس فخراً بمجد مصر حين يرتفع بها المجد إلى عليا ذُراه، أسفاً حزناً حين تمرُّ بمصر فترات ظلم وذلة، مستفزاً للهيم، حافزاً لعزائم أهل جيله والأجيال التي بعده؛ كي يعيدوا الماضي وعظمته.

وتراه في انتقاله من الفخر إلى الأسف إلى الاستفزاز يسير مع الحوادث متدفقاً، مندفعاً فوق موج الماضي، آتياً من لا نهايات القَدَم، كأنما هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد، يدفع إليها كل جيل نسائمه، فتتغنى وتشدو بأهازيج النصر، وبترانيم المسرّة طوراً، وبشجو الألم أحياناً^١.

وللقَدَم وللماضي على نفس الشاعر أثرٌ يذهب إلى أعماقها، وليس لمثل الآثار المصرية من القَدَم نصيب، فهذه الأهرام ما تزال تحتوي من الطلاسم ما يحار العقل في حلّه، وهذا أبو الهول في مجثمه بين رمال الصحراء أكثر ثباتاً من الليل والنهار ومن الشمس والقمر، وهو في روعة صمته ينطق كل خط خطّته الدهور على صحائف جثمانه، بما حوته من عبر أيسرها دوام انهيار الأشياء لدوام تجدّدها، وهذا الملك الشاب «توت عنخ آمون» نبش قبره النابشون باسم العلم فإذا فيه من طرف الفن ما يزري بكل فن وعلم، وهذه وسواها من الآثار تثير في النفس — إلى جانب صورتها الظاهرة وما يدل عليه إبداع صنعها ودقّة فنّها من حضارة كملت لها كل أنواع الحضارة — صورة الماضي الذاهب في القَدَم إلى أغوار الأزل، وتثير من شاعرية شوقي معاني بالغة الموعظة والعبرة مبلغها من السمو والعظمة.

وأنت إذ تقرأ قصائده: على سفح الأهرام، وأبو الهول، وتوت عنخ آمون، يهزك الشعور بصورة هذا الماضي في قداستها ومهابتها، وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلد، ذلك بأن شوقي يهديك المعنى الذي كانت تلتسمه نفسك فلا تقع عليه، ويرسم أمامك — بوضوح، وقوة، وسمو خيال، ونبيل عاطفة — كل ما ينبض به قلبك ويهتزُّ له فؤادك.

خلع القَدَم على هذه الآثار معنى البقاء والثبات؛ لذلك كان ما يفيض من الوحي إلى روح شاعر الشرق ثابتاً باقياً، لا تزعه الحوادث، ولا تعصف به الغير، فأماً ما سوى ذلك من شئون هذه العصور الحديثة فشوقي فيه هو كلمة الأمة، وفي هذه العصور الحديثة تغير قدر الناس للحوادث إصغاراً وإكباراً، بمبلغ رجائهم فيها، أو خشيتهم آثارها، وقد تعجب إذ ترى قصيدتين من أبداع قصائد شوقي وأحراها بالخلود متجاورتين في هذا الجزء الأول من الديوان: إحدهما في وداع لورد كرومر ومطلعها:

أيامكم أم عهد إسماعيلاً أم أنت فرعونٌ يسوس النيلاً؟

والثانية في ارتقاء السلطان حسين كامل على أريكة مصر، ومطلعها:

المُلْكُ فيكم آل إسماعيلاً لا زال بيتكم يظلُّ النيلاً

فترى الشاعر ينظر في كل من القصيدتين إلى الحوادث والأشخاص بغير ما ينظر إليها في الأخرى، ثم تجد مثل هذا في غير هاتين القصيدتين، وليس لذلك من علة إلا الاضطراب الذي أصاب العالم قبل الحرب وبعدها، والذي لا يزال عظيم الأثر على تفكير المفكرين وكتابة الكتّاب وشعر الشعراء.

على أن هذا التأثر بالحوادث في بعض الشئون التي لا يستقرُّ للناس فيها — عادة — رأيٌ قبل أن يصدر التاريخ عليها حكمًا خاليًا من الغرض، لا يؤثر بشيء في روعة القصائد التي كان فيها، وهو بعدُ لا يشغل من هذه القصائد إلا حيزًا ضيقًا، فإن شوقي لا يزيد في القصائد التي تقال لمناسبة حادث من الحوادث على أن يشير لهذا الحادث بأبيات خلال القصيدة وفي آخرها، فأما أكثر أبيات القصيدة فحجْمُ غوالٍ، أو وصف رائع، أو ما سوى ذلك مما يلدُّ عقل شوقي أو خياله أن يفكر فيه أو يلهو به، وهذه الحكم لم يتغير تقدير شوقي لها؛ فهو يرى أن الأمم لا تقوم على دعامة غير الإخلاق، فالعلم عنده حسنٌ وله فائدة، والغنى حسن كذلك، وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم، لكنها جميعًا لا فائدة من رقيها وغزرتها إذا انحطَّت أخلاق الأمة، فأما إن قويت هذه الأخلاق فقليل من ذلك كله كافٍ ليرتفع بالأمة إلى ذروة المجد والسؤدد.

وليس معنى هذا أن شوقيًا يحقر من شأن ما سوى الأخلاق، فله عن العلم والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بيّنات، لكننا معناه أن الأخلاق عنده في المحلّ الأول، وهو لا يملُّ من أن يكرّر الدعوة إلى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الأمم في قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر، وكثير من أبياته في هذا المعنى قد اصبح مثلًا يتداوله كل كاتب، وكل أستاذ، وكل تلميذ، ويردّده الجميع على أنه الحكمة لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها، أولًا ترى قوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهب أخلاتهم ذهبوا

قد بلغ من تواتره على الألسن أن أصبح الكثيرون لا يعرفون إن كان لشوقي أو لشعراء العصور الزاهرة في أيام العرب إلا لأنهم يريدون أن يكون فخر هذا البيت وغيره من مثله لهم، بنسبته لشاعر مصر والشرق في عصرهم.

(٤) إلى جانب مقام العاطفة الوطنية التي هي قوة متسلّطة على نفس شوقي، تقوم عاطفة أخرى لا تقلُّ عنها قوة، وربما كانت أشدَّ أخذًا بهذه النفس وإثارة لشاعريتها، تلك هي العاطفة الإسلامية؛ فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق، وعاطفة المسلم تتّجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين، ثم إلى قومين: فهي تتجه صوب مكة مسقط رأس النبي ﷺ ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم، ومكة في بلاد العرب، والنبي عربي، والقرآن عربي، وهي تتجه — أو كانت تتّجه — صوب الآستانة، مقرّ الخلافة الإسلامية، ومقام الخليفة من آل عثمان، والآستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان تركيًا، فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره — إلى حين أُلغيت الخلافة — نحو مكة ونحو الآستانة، يستمد من الأولى المدد الروحي، ومن الثانية مدد السيف والمدفع.

إلى جانب ما يرجوه المسلم من أهل بلاد الشرق العربي في مكة من مدد روحي، تحرّك نفسه إلى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هي العاطفة العربية، هي عاطفة هذه اللغة التي تربط اليوم أكثر من سبعين مليونًا، أكثرهم مسلمون، وكلهم خاضع لما يخضع له غيره من بطش القوة وسلطان التحكم، واللغة في حياة الأمم ليس شأنها هينًا؛ فأمة لا لغة لها لا حياة لها، ورقّي اللغة في أمة آية صادقة من آيات رقيها، وما دام العرب مصدر اللغة، وعلى رجل منهم هبط الوحي، وبينهم قام صاحب الشريعة، فلهم — عند المسلمين كافة وعند الذين يتكلمون العربية خاصة — حُرمة تدفعهم إلى التغني بأنارهم، والإشادة بقديم مجدهم، وتمني خير الأمانى لهم.

لذلك كان العرب، ومكة، والوحي، والقرآن، والإسلام، والرسول، كلها معانٍ لها من الأثر في نفس شوقي ما ليس لسواها من آثار الماضي؛ ولذلك لم يكن شوقي يشيد بذكر المسلمين وبخلافاتهم لغاية سياسة سرفة، بل إنه ليؤمن بهذه المعاني إيمانًا يتجلى في الكثير من قصائده على صورة تتركنا في حيرة: كيف يبلغ الإيمان من نفس هذا المحبّ للحياة كل هذا المبلغ؟! فلا نجد لحيرتنا جلاءً إلا من الحديث: «اعمل لدينك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا».

وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية، ونهج البردة، وقصيدته في ذكرى المولد التي
مطلعها:

سَلُوا قَلْبِي غَدَاةً سَلَا وَثَابَا لَعَلَّ عَلَى الْجَمَالِ لَهُ عِتَابَا

لترى في غير إبهام أنه إنما أملت هذه القصائد قوة غلبت طبع الشاعر؛ هي قوة
الإيمان!

لكنك قد يدهشك — مع تجلّي الإيمان في هذه القصائد وغيرها — أن يكون شوقي
أكثر تحدثاً عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول؛ فهذا الجزء الأول من
ديوانه يشتمل على ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة، ويشتمل على ثماني عشرة
قصيدة عن الخلافة وعن الترك، وأنت تلمس في هذه القصائد الثماني عشرة جميعاً حساً
أدق من العاطفة، وفيضاً أغزر من الشعر، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقياً إذ يتحدث
عن الترك إنما يملي ما يكنه فؤاده، وإنما يندفع بقوة كمينه هي قوة دم الجنس، أو أن
اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الأثر في نفسه إلى حد جعله يفيض من ذكر الترك
بما ينبض به قلب سلالة محمد علي.

وليس عليك إلا أن تقرأ أياً من قصائده التركية، لنقتنع بما نقول.. اقرأ قصيدته
العظيمة العامرة عن الحرب العثمانية اليونانية التي مطلعها:

بَسِيفِكَ يَعْلُو الْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَعْلَبُ وَيُنْصَرُّ دِينُ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ

أو قصيدته في رثاء أدرنة، أو تحيته للترك أيام حرب اليونان، اقرأ أياً من هذه
القصائد التي قيلت قبل الحرب الكبرى، أو اقرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على أثر
انتصار الأتراك على اليونان، كقصيدته التي مطلعها:

اللَّهُ أَكْبَرُ، كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبٍ يَا خَالِدَ التُّرِكِ جَدُّ خَالِدِ الْعَرَبِ

وإنك لمؤمنٌ حقاً بأن هذه القصائد التركية هي أقوى قصائده عن الحوادث
وأصدقها حساً وعاطفة.

ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقي اتصال بها؛
فكانت لذلك تهزّه أكثر ما تهزُّ سواه. فالترك — فوق أنهم كانوا مقر الخلافة وقبلة

المسلمين الزمنية، وأصحاب السيادة على مصر سيادة يشلّها الاحتلال الانجليزي — يجري من دمّهم في عروق الشاعر الكبير، ومنهم أصحاب عرش مصر — يومئذ الذين ببابهم وُلِدَ شوقي وفي حماهم شبّ ونشأ.

وقد بلغ من حبّ شوقي للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقیصة. (٥) على أن شوقيًا — وإن كان شاعر مصر، وشاعر العرب، وشاعر المسلمين، وكان فيه الازدواج بين حبّ الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه — له ذاتيته التي لا تخفى فهو شاعر الحكمة العامة، وهو شاعر اللغة العربية السليمة، وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة تدخل في موضوع العنوان، بينا سائرهما حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقي هواه، وما أحسب شاعرًا بالغ في ذلك ما بالغ شوقي، ولست أضرب لك مثلاً لذلك مما في هذا الجزء الأول من الديوان إلا بقصائد ثلاث: لجان التموين، والانقلاب العثماني، وبين الحجاب والسفور. هذا وإنك واجد في غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر لك منه ما ألقينا به إليك، فشیطان شوقي أشدّ حرصًا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص، أمّا القصائد التي يملك موضوعها أبياتها جميعًا فهي القصائد التي ملك موضوعها شوقيًا فأنساه نفسه، بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع، وما أفاضه على شاعريته من وحي وإلهام.

وحكمة شوقي، وما يصدر عنه من وصف وغزل، وما يميز شعره جميعًا يبدو كأنه شرقي عربي لا يتأثر بالحياة الغربية إلا بمقدار، وهذا طبيعي ما دام شوقي شاعر العرب والمسلمين، وما دام يجد في الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنية الغربية إلا بالمقدار الذي تحتاج إليه أمم الشرق في حياتها الحاضرة لسيرها في سبيل المنافسة العامة، ولقد ترى شوقيًا يخلو في شرقيته وعربيته أحيانًا، ولقد تراه يتعمّد ذلك في لفظه ومعناه، وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو إلى نسيان ما خلف السلف من تراث، والأخذ بكل ما ينبع به الحاضر من وراء الغرب.

وقد يكون غلُو شوقي أكثر وضوحًا في جانب اللغة منه في جانب المعاني، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته تحيط مما في الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية، أمّا لغته فتعتمد على بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لا يعرفونها، ولعل سرّ ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من

وسائل التجديد، بل لقد يكون البعث أكد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة، ممَّن يفيضون على الألفاظ القديمة روحًا تكفل حياتها، والبعث لها إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دراسة ومدنية وليدة، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه.

ومَن ذا ترى من أرباب اللغة قديرًا قدرة شوقي على أن يبعث في الألفاظ القديمة روحًا تكفل حياتها في الحاضر، وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل المعاني والأخيلة والصور؟ إن اليونانية لا تزال موضع دراسة العلماء واللغويين لأن هوميير كتب بها إلياذته، واللاتينية ما تزال حياتها كمينة وإن تدثرت بحجب الماضي أن كتب بها فرجيل شعره، واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليوناً من أهل هذا الشرق العربي، وهي حيَّة وستبقى أبداً حيَّة، ولكن كمال حياتها يحتاج إلى أن يبعث الله لها أمثال شوقي؛ ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالاً.

وما أنا بحاجة إلى أن أدلَّ على هذه القوة، وتلك الروعة، وذلك الجمال، فكل أديب أو متأدب يعرف منها ما أعرف، وها هي ذي مجلوة في هذا الديوان بكل ما لشوقي على اللغة والأدب والشعر من سلطان.

هوامش

(١) انظر الانتقال في هذه الأبيات التي اخترناها:

قل لبان بنى فشاد فعالي	لم يجز مصر في الزمان بناء
أجفل الجنُّ عن عزائم فرعو	ن ودانت لبأسها الأبناء
زعموا أنها دعائم شيدت	بيد البغي ملؤها ظلماء
إن يكن غير ما أتوه فخار	فأنا منك — يا فخار — براء
لا رعاك التاريخ يا يوم قمبيد	ز ولا طنطننت بك الأنباء
جيء بالمالك العزيز ذليلاً	لم تزلزل فؤاده البأساء
بنت فرعون في السلاسل تمشي	أزعج الدهر عريها والحفاء
والأعادي شواخص وأبوها	بيد الخطب صخرة صماء
فأرادوا لينظروا دمع فرعو	ن وفرعون دمعُه العنقاء

كبار الحوادث في وادي النيل^١

هَمَّتِ الْفُلُكُ، واحتواها الماءُ
ضرب البحرُ ذو الغُبابِ حَوَالِيَّ
ورأى المارقون من شَرِكِ الأَرِ
وجبالاً موائجاً في جبالِ
ودوياً كما تَأَهَّبَتِ الخِيـ
لُجَّةٌ عند لجةٍ عند أُخْرَى
وسفِينٌ طَوْرًا تَلُوْحُ، وحيناً
نازلاتٌ في سَيْرِها صاعِداً
رَبٌّ، إن شئتَ فالفضاءُ مَضِيْقُ
فاجعل البحرَ عصمةً، وابعث الرحـ
أنتَ أنْسُ لنا إذا بَعُدَ الأُنـ
يتولَّى البحارَ - مهما ادلهمت -
وإذا ما عَلَتِ فذاك قِيامٌ
فإذا راعها جلالُكَ خَرَّتْ

وحدَاها بمن تُقِلُّ الرجاءُ^١
هَها سماءٌ قد أَكْبَرَتْها السماءُ^٢
ضِ شِباگًا تمُدُّها الدُماءُ^٣
تتدجى كأنها الظلماءُ^٤
لُ وهاجَتِ حُماتُها الهَيْجاءُ
كَهضابِ ماجَتِ بها البِيداءُ
يتولَّى أشباحَهِنَّ الخفاءُ^٥
كالهواوي يَهْزُهِنَّ الحُداءُ^٦
وإذا شئتَ فالمَضِيْقُ فضاءُ
مَمةٌ فيها الرياحُ والأنواءُ^٧
سُ، وأنتَ الحِياةُ والإحِياءُ
منك في كل جانبٍ للألاءُ
وإذا ما رَعَتِ فذاك دعاءُ^٨
هيبةً، فهَيَ والبساطُ سواءُ

^١ قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة جنيف في سبتمبر سنة ١٨٩٤، وكان مندوباً للحكومة المصرية فيه.

والعريضُ الطويل منها كتابٌ
يا زمانَ البحارِ، لولاك لم تُف
فقديمًا عن وَخِدها ضاق وجهُ الـ
وانتهتَ إمرةُ البحارِ إلى الشر
وبنيّنا، فلم نُخَلِّ لِبِانٍ
وملَكنا، فالمالِكونَ عبيدٌ
قُلْ لِبِانِ بَنِي، فِشَادِ، فِغَالِي:
ليس في الممكَناتِ أن تُنقلَ الأجد
أجفلُ الجنُّ عن عزائمِ فرعو
شادَ ما لم يَشِدْ زمانٌ، ولا أنـ
هيكَلُ تُننَّرُ الدياناتُ فيه
وقبورٌ تحطُّ فيها الليالي
تشفقُ الشمسُ والكواكبُ منها
زعموا أنها دعائمُ شيدت
فاعذرُ الحاسدينَ فيها إذا لا
دُمِرَ الناسُ والرعيَّةُ في تشـ
أين كان القضاءُ، والعدلُ، والحكـ
وبنو الشمسِ من أعزَّةِ مصرِ
فادَّعوا ما ادَّعى أصاغرُ آثيـ
ورأوا للذين سادوا وشادوا
إن يكن غيرَ ما أتوه فحارٌ
ليت شعري، والدهرُ حربُ بنيهِ
ما الذي داخلُ الليالي مِنّا
فَعَلَا الدهرُ فوقَ علياءِ فرعو
أعلنتُ أمرها الذئبُ وكانوا
وأتى كلُّ شامتٍ من عدا المُلـ
ومضى المالكون، إلا بقايا

لك فيه تحيةٌ وثناءٌ
جَع بِنَعْمَى زمانها الوَجْناءُ^٩
أَرْضِ، وانقاد بالشرع الماءُ^{١٠}
قِ، وقام الوجود فيما يشاءُ
وعلونا، فلم يَجْزنا علاءُ
والبرايا بأسرهم أسراءُ
لم يَجْز مصرَ في الزمانِ بِناءُ
أَل شُمَّا، وأن تُنالَ السماءُ^{١١}
ن، ودانت لبأسها الآناءُ^{١٢}
شأ عصرٌ، ولا بنى بِناءُ
فهي والناسُ والقرونُ هباءُ
ويوارى الإصباحُ والإمساءُ
والجديدان، والبلَى، والفناءُ^{١٣}
بَيدِ البَغْيِ، ملؤها ظلماءُ
موا، فصعبٌ على الحسودِ الثناءُ
يبيدها، والخلائقُ الأسراءُ
ممةً، والرأيُّ، والنهَى، والذكاءُ
والعلومُ التي بها يُستضاءُ
حنا، ودعواهم حناً وافتراءُ^{١٤}
سُبَّةً أن تُسَخَّرَ الأعداءُ
فأنا منك - يا فخارُ - براءُ
وأياديه عنده أفياءُ^{١٥}
في صباننا، والليالي دهاءُ^{١٦}
ن، وهمتَ بملأِكِه الأرزاءُ؟
في ثيابِ الرعاةِ من قبلُ جاءوا^{١٧}
لك إليهم، وانضمت الأجزاءُ
لهمُ في ثرى الصعيدِ التِّجاءُ

وعلى ما بنى البناة العفاء
 وء، تُؤدى في نسلها وتساء
 ونفوس الرجال، فهى إماء
 ويسير إذا أراد الدماء
 ولأقوام القلى والجفاء^{١٨}
 وفريق في أرضهم غرباء
 فلها ثورة، وفيها مضاء^{١٩}
 ر، فكيف الخلائق العقلاء؟
 ن، وأن لن يؤيد الضعفاء
 رُوا، وللدهر مثلهم أهواء
 قيل: مات الصباح والأضواء
 حجب الليل ضوءها عمياء
 وأتاهم من القبور النداء
 وأزيحت عن جفنها الأقداء
 في معالي آباؤها الأبناء
 من عظيم، أبأؤه عظماء
 ولرمسيس الملوك فداء^{٢٠}
 يوم أن شاقها إليه الرجاء
 بر، وأزيّنت له الغبراء
 في صباه الآيات والآلاء
 فو، وطبع الصبا الغشوم الإباء
 وهل الناس والملوك سواء؟
 لم يحل دون بشره كبرياء

فعلى دولة البناة سلام
 وإذا مصر شاة خير لراعي الس
 قد أذل الرجال، فهى عبيد
 فإذا شاء فالرقاب فداه
 ولقوم نواله ورضاه
 ففريق ممتعون بمصر
 إن ملكت النفوس فابغ رضاها
 يسكن الوحش للوثوب من الأسد
 يحسب الظالمون أن سيسودو
 والليالي جوائر مثلما جا
 لبنت مصر في الظلام، إلى أن
 لم يكن ذاك من عمى، كل عين
 ما نراها دعا الوفاء بنيها
 ليزيخوا عنها العدا، فأزاحوا
 وأعيد المجد القديم، وقامت
 وأتى الدهر تائباً بعظيم
 من كرمسيس في الملوك حديثاً
 بايعته القلوب في صلب سبتي
 واستعد العباد للمولد الأك
 جل سيزوستريس عهداً، وجلت
 فسمعنا عن الصبي الذي يع
 ويرى الناس والملوك سواء
 وأرانا التاريخ فرعون يمشي

طهرته في مهدها النعماء^{٢١}
 س، ولا ناله وليداً شقاء
 ه تولى طباعه الخيلاء^{٢٢}

يولد السيد المتوج غصاً
 لم يغيره يوم ميلاده بؤ
 فإذا ما المملقون تولو

وسرى في فؤاده زخرفُ القو
لِ، تراه مستعدبًا وهو داءٌ
فإذا أبيضُ الهديلُ غرابٌ
وإذا أبلجُ الصباحِ مساءً^{٢٣}

جَلَّ رمسيسُ فِطْرَةً، وتغالى
وسمًا للعلأ، فنالَ مكانًا
وجيوشُ ينهضنَ بالأرضِ ملكًا
ووجودٌ يُساسُ، والقولُ فيه
وبناءً إلى بناءٍ، يودُّ الخُلـ
وعلومٌ تحيي البلادَ، وبننًا
إيه سيزوستريس، ماذا ينالُ الـ
كبرتَ ذاتك العليَّةُ أن تُحـ
لك أمونٌ، والهلالُ إذا يكـ
ولك الريفُ، والصعيدُ، وتاجًا
ولك المنشآتُ في كلِّ بحرٍ
ليت لم يُبلكَ الزمانُ، ولم يبـ
هكذا الدهرُ: حالةٌ ثم ضدُّ

شيعَةً أن يقوده السفهاءُ
لم ينلُه الأمثالُ والنظراءُ
ولواءٌ من تحته الأحياءُ
ما يقولُ القضاةُ والحكماءُ
دُ لو نالَ عمره والبقاءُ
هُورٌ فخرُ البلادِ، والشعراءُ^{٢٤}
وصفٌ يومًا، أو يبلغُ الإطراءُ
صِي ثنأها الألقابُ والأسماءُ
بِرٌ، والشمسُ، والضحي، آباءُ^{٢٥}
مصرَ، والعرشُ عاليًا، والرداءُ
ولك البرُّ أرضه والسماءُ
لِ لِمُلِكِ البلادِ فيك رجاءُ
ما لحال مع الزمانِ بقاءُ

لا زَعَاكَ التاريخُ يا يومَ قمبيـ
دارتِ الدائراتُ فيك، ونالتِ
فبمصرٍ مما جنيتَ لمِصرِ
نكدٌ خالدٌ، وبؤسٌ مقيمِ
يَوْمَ مَنفيسِ، والبلادُ لكسرى
يأمرُ السيفُ في الرقابِ، وينهى
جِيءَ بالملكِ العزيزِ ذليلاً
يُبصرُ الألَ إذ يُراخُ بهم في بنتُ
بنت فرعونَ في السلاسلِ تمشي

زَ، ولا طَنَطُنْتَ بك الأنبياءُ^{٢٦}
دارتِ الدائراتُ فيك، ونالتِ
أَيُّ داءٍ، ما إن إليه دواءُ^{٢٧}
وشقاءٌ يجدُ منه شقاءُ
والمُلوكُ المُطاعةُ الأعداءُ^{٢٨}
ولِمِصرِ على القذى إغضاءُ
لم تُزلزلُ فؤاده البأساءُ
موقفِ الذلِّ عنوةً، ويُجاءُ
أزعجَ الدهرَ عُريها والحفاءُ^{٢٩}

فَكَانَ لَمْ يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ، وَلَا سَارَ خَلْفَهَا الْأَمْرَاءُ^{٣٠}

وَأَبُوهَا الْعَظِيمُ يَنْظُرُ لِمَا
أَعْطَيْتَ جَرَّةً، وَقِيلَ: إِلَيْكَ النَّهْمُ
فَمَشَتْ تَظْهَرُ الْإِبَاءَ، وَتَحْمِي الدَّمُ
وَالْأَعَادِي شَوَاحِصُ، وَأَبُوهَا
فَارَادُوا لِيَنْظُرُوا دَمْعَ فِرْعَوْنَ
فَأَرَوْهُ الصِّدِيقُ فِي ثَوْبٍ فَقِيرٍ
فَبَكَى رَحْمَةً، وَمَا كَانَ مَنْ يَبْ
هَكَذَا الْمَلِكُ وَالْمَلُوكُ، وَإِنْ جَاءَ

رُدِّيتَ مِثْلَمَا تُرَدِّي الْإِمَاءُ^{٣١}
رَ، قَوْمِي كَمَا تَقُومُ النِّسَاءُ
عَ أَنْ تَسْتَرِّقَهُ الضَّرَاءُ^{٣٢}
بِيَدِ الْخَطْبِ صَخْرَةً صَمَاءُ^{٣٣}
نَ، وَفِرْعَوْنُ دَمْعُهُ الْعِنْقَاءُ^{٣٤}
يَسْأَلُ الْجَمْعَ، وَالسُّؤَالَ بِلَاءُ
كِي، وَلِكِنَّمَا أَرَادَ الْوَفَاءُ
رَ زَمَانُ، وَرَوَّعْتَ بَلْوَاءُ

لَا تَسَلْنِي: مَا دَوْلَةُ الْفَرَسِ؟! سَاءَتْ
أُمَّةٌ هُمُّهَا الْخَرَائِبُ تُبْلِي
سَلَبَتْ مِصْرَ عِزِّهَا، وَكَسَتْهَا
وَارْتَوَى سَيْفُهَا، فَعَاجَلَهَا اللَّهُ
طَلْبَةً لِلْعِبَادِ كَانَتْ لِاسْكَنْدَرَ
شَادَ إِسْكَنْدَرٌ لِمِصْرَ بِنَاءً
بِلَدًا يَرْحَلُ الْأَنْامُ إِلَيْهِ
عَاشَ عُمْرًا فِي الْبَحْرِ ثَغَرَ الْمَعَالِي
مَطْمِئِنًّا مِنَ الْكُتَابِ وَالْكَتُبِ
يَبْعَثُ الضَّوْءَ لِلْبِلَادِ، فَتَسْرِي
وَالْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ يُظْهِرْنَ عِزَّ الدَّ
وَالرَّعَايَا فِي نِعْمَةٍ، وَلِبَطَائِي
فَقَضَى اللَّهُ أَنْ تَضِيْعَ هَذَا الْمُ
تَخَذَتْهَا رُومًا إِلَى الشَّرِّ تَمْهِيدِ
فَتَنَاهَى الْفَسَادُ فِي هَذِهِ الْأَرْ

دَوْلَةُ الْفَرَسِ فِي الْبِلَادِ، وَسَاءُوا^{٣٥}
هَآ، وَحَقَّ الْخَرَائِبِ الْإِعْلَاءُ^{٣٦}
ذَلَّةٌ مَا لَهَا الزَّمَانُ انْقِضَاءُ
بَسِيفٍ مَا إِنْ لَهُ إِرْوَاءُ^{٣٧}
دَرَ فِي نَيْلِهَا الْيَدُ الْبَيْضَاءُ^{٣٨}
لَمْ تَشِدْهُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءُ
وَيَحُجُّ الطُّلَابُ وَالْحُكَمَاءُ
وَالْمَنَارَ الَّذِي بِهِ الْاهْتِدَاءُ
بِ بِمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْعَلَاءُ
فِي سِنَاهُ الْفُهُومُ وَالْفُهْمَاءُ
مُلْكٍ، وَالْبَحْرُ صَوْلُهُ وَثِرَاءُ^{٣٩}
مُوسٍ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةٌ عَلِيَاءُ^{٤٠}
لَكَ أَنْتَى صَعْبٌ عَلَيْهَا الْوَفَاءُ^{٤١}
دًا، وَتَمْهِيدُهُ بِأَنْتَى بِلَاءُ
ضِ، وَجَارَ الْأَبَالِيسَ الْإِغْوَاءُ

يا لَرَبِّي مِمَّا تَجُرُّ النِّسَاءُ^{٤٢}
 وَالْحُسَامَ الَّذِي بِهِ الْإِتْقَاءُ^{٤٣}
 جَدَّ هَوْلُ الْوَعَى وَجَدَّ الْإِلْقَاءُ
 نَتَى، وَلَا تَسْتَرْقِهْ هَيْفَاءُ^{٤٤}
 مَا، الَّذِي لَا تَقْوُدُهُ الْأَهْوَاءُ^{٤٥}
 عَى عَنِ الْمُلْكِ وَالْهَوَى عَمِيَاءُ^{٤٦}
 ءَ أَرَاخَتْ مِنْهَا الْوَرَى رِقْطَاءُ^{٤٧}
 خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ: حَسَنَاءُ
 صَغُرَتْ نَفْسُهَا، وَقَلَّ الْفِدَاءُ
 صَدَّهَا عَنِ وِلَاةِ رُومَا الدَّهَاءُ؟
 هِيَ تَشْقَى، وَهَكَذَا الْأَعْدَاءُ
 فَاهُ فِي السَّرِّ نُصْحُهَا وَالْوِلَاءُ
 رِيٌّ مِنْ دُونَ ذَا الْوَرَى عَسْرَاءُ
 وَعَقِيمٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ الدِّعَاءُ^{٤٨}
 دَتَهُ مِصْرٌ فَأَذُنُهُ صَمَاءُ
 لِكِ؟ وَالصَّبْرُ لِلْبَلَاءِ بِلَاءُ
 لَيْسَ مِنْهُ إِلَى سِوَاهِ التَّجَاءُ

ضَيَّعَتْ قَيْصَرَ الْبَرِيَّةِ أَنْثَى
 فَتَنَتْ مِنْهُ كَهْفَ رُومَا الْمُرْجَى
 قَاهَرَ الْخِصْمَ وَالْجَحَافِلَ مَهْمَا
 فَأَتَاهَا مَنْ لَيْسَ تَمْلِكُهُ أَنْ
 بَطَلُ الدَّوْلَتَيْنِ، حَامِي جَمِي رُو
 أَخَذَ الْمُلْكَ، وَهِيَ فِي قَبْضَةِ الْأَفْد
 سَلَبَتْهَا الْحَيَاةَ، فَاعْجَبَ لِرُقْطَا
 لَمْ تُصَبِّ بِالْخِدَاعِ نُجْحًا، وَلَكِنْ
 قَتَلَتْ نَفْسَهَا، وَظَنَّتْ فِدَاءً
 سَلِ كِلَوْبَتْرَةَ الْمَكَايِدِ: هَلَاءُ
 فَبِرُومَا تَأَيَّدَتْ، وَبِرُومَا
 وَلِرُومَا الْمُلْكَ الَّذِي طَالَمَا وَآ
 وَتَوَلَّتْ مِصْرًا يَمِينٌ عَلَى الْمِصْرِ
 تُسْمَعُ الْأَرْضُ قَيْصَرًا حِينَ تَدْعُو
 وَيُنِيلُ الْوَرَى الْحَقُوقَ، فَإِنْ نَا
 فَاصْبِرِي مِصْرٌ لِلْبَلَاءِ، وَأَنْتَى
 ذَا الَّذِي كُنْتَ تَلْتَجِينَ إِلَيْهِ

بُ بِهَا يُهْتَدَى، وَلَا أَنْبِيَاءُ^{٤٩}
 جَمَعَتْهَا الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَاءُ^{٥٠}
 فَلَهُ بِالْقَوَى إِلَيْكَ أَنْتَهَاءُ
 هِ، فَإِنَّ الْجَمَالَ مِنْكَ حِبَاءُ^{٥١}
 فإِلَيْكَ الرُّمُوزُ وَالْإِيْمَاءُ^{٥٢}
 بًا، فَمِنْكَ السَّنَا وَمِنْكَ السَّنَاءُ^{٥٣}
 ثَارِ نُعْمَاكَ حُسْنُهُ وَالنِّمَاءُ
 فَالْمُرَادُ الْجَلَالَةُ الشَّمَاءُ^{٥٤}
 مَاكَ، وَالْعَاصِفَاتُ، وَالْأَنْوَاءُ

رَبِّ، شُقَّتِ الْعِبَادَ أَرْمَانَ لَا كَت
 نَهَبُوا فِي الْهَوَى مِذَاهِبَ شَتَى
 فَإِذَا لَقِبُوا قَوِيًّا إِلَهًا
 وَإِذَا أَثَرُوا جَمِيلًا بِتَنْزِيهِ
 وَإِذَا أَنْشَأُوا التَّمَاثِيلَ غُرًّا
 وَإِذَا قَدَّرُوا الْكُوكَبَ أَرْبَا
 وَإِذَا أَلْهَوْا النَّبَاتَ، فَمِنْ آ
 وَإِذَا يَمَّمُوا الْجِبَالَ سَجُودًا
 وَإِذَا تُعَبَّدُ الْبَحَارُ مَعَ الْأَسْ

وسباعُ السماء والأرض، والأر
لعُلاك المُذكَراتِ عبيدٌ
حامٌ، والأمهاتُ، والآباءُ
خُصَّعٌ، والمؤنَّثاتُ إماءٌ^{٥٥}
شَفَّ عنه الحِجابُ فهو ضياءُ
جمع الخلقِ والفضيلةِ سرٌّ

سجدت مصرُ في الزمان لإيزيد
إن تَلِ البرَّ، فالبلادُ نُضارُ
سَسَ الندى، مَنْ لها اليدُ البيضاءُ^{٥٦}
أو تَلِ البحرَ، فالرياحُ رُخاءُ^{٥٧}
أو تَلِ الأفقَ، فهي فيه ذُكاءُ^{٥٨}
أن تَوَحَّدتِ، لم تَكُ الأشياءُ
صُرِكِ أرضُ، ولا رأَتِكَ سماءُ
ففى، وأنتِ الإظهارُ والإخفاءُ
ريسُ، وابنَاهُ، كلُّهم أولياءُ^{٥٩}
ثيلٌ يُدني مَنْ لا له إدناءُ
وتلاه في حُبِّكَ القُدماءُ
قيل: منها إيزيسُها الغراءُ

رَبِّ، هذي عقولنا في صباها
فعشِقناكَ قبلَ أن تأتي الرُّسُ
ووصلنا السُّرى، فلولا ظلامُ الـ
واتخذنا الأسماءَ شتَّى، فلمَّا
حَجَّنا في الزَّمانِ سحرًا بسحرٍ
ويريدُ الإلهُ أن يُكرِّمَ العَقَّ
ظنَّ فرعونُ أنَّ موسى له وا
لم يكنْ في حسابِه يومَ رَبِّي
فراى الله أن يعقَّ، ولله
مصر موسى عند انتماءٍ، وموسى
فبِه فخرُها المؤيَّدُ، مهما

نالها الخوفُ، واستباها الرجاءُ
لُ، وقامت بحبِّكَ الأعضاءُ
جَهَل لم يَخْطُنَا إليك اهْتداءُ^{٦٠}
جاء موسى انتَهتْ لك الأسماءُ
واطمأننتِ إلى العصا السعداءُ^{٦١}
لُ، وألا تُحَقِّرِ الآراءُ
فِ، وعند الكِرامِ يُرجى الوفاءُ
أن سيأتى ضدَّ الجزاءِ الجزاءُ
تَفِي - لا لغيرِه - الأنبياءُ
مصرُ إن كان نسبة وانتماءُ
هَزَّ بالسيدِ الكليمِ اللواءُ^{٦٢}

فَحِظُّ الْكَبِيرِ مِنْهَا الْجَفَاءُ إِنْ تَكُنْ قَدْ جَفْتَهُ فِي سَاعَةِ الشُّكِّ
سُ، وَتَشْقَى الدَّيَّارَ وَالْأَبْنَاءُ خَلَّةً لِلْبِلَادِ يَشْقَى بِهَا النَّا
وَعَظِيمٌ أَنْ يُنْبَذَ الْعُظْمَاءُ فَكَبِيرٌ أَلَا يُصَانَ كَبِيرٌ

وَلِدَ الرَّفْقُ يَوْمَ مَوْلِدِ عَيْسَى وَازْدَهَى الْكُونُ بِالْوَلِيدِ، وَضَاءَتْ
بَسَنَاهُ مِنَ الثَّرَى الْأَرْجَاءُ وَسَرَتْ آيَةُ الْمَسِيحِ، كَمَا يَسْـ
رِي مِنَ الْفَجْرِ فِي الْوَجُودِ الضِّيَاءُ تَمَلَّأُ الْأَرْضُ وَالْعَوَالِمَ نَوْرًا
فَالثَّرَى مَائِجٌ بِهَا، وَضَاءُ لَا وَعَيْدٌ، لَا صَوْلَةٌ، لَا انْتِقَامٌ
لَا حُسَامٌ، لَا غَزْوَةٌ، لَا دِمَاءُ مَلَكٌ جَاوَرَ التَّرَابَ، فَلَمَّا
مَلَّ نَابَتْ عَنِ التَّرَابِ السَّمَاءُ^{٦٦} وَأَطَاعَتْهُ فِي الْإِلَهِ شَيْوُخُ
خُشَّعٌ، خُضَّعَ لَهُ، ضَعْفَاءُ أَدْعَنَ النَّاسُ وَالْمُلُوكُ إِلَى مَا
رَسُمُوا، وَالْعَقُولُ، وَالْعُقْلَاءُ فَلَهُمْ وَقْفَةٌ عَلَى كُلِّ أَرْضٍ
وَعَلَى كُلِّ شَاطِئِ إِرْسَاءُ دَخَلُوا ثَيْبَةً فَأَحْسَنَ لُقْيَا
هَمَّ رِجَالٌ بِثَيْبَةِ حَكَمَاءُ^{٦٤} فَهَمُّوا السَّرَّ حِينَ نَاقُوا، وَسَهْلٌ
أَنْ يِنَالَ الْحَقَائِقُ الْفُهْمَاءُ^{٦٥} فَإِذَا الْهَيْكَلُ الْمُقَدَّسُ دَيْرًا
وَإِذَا ثَيْبَةُ لَعَيْسَى، وَمَنْفِيـ وَإِذَا ثَيْبَةُ لَعَيْسَى، وَمَنْفِيـ
وَمُلُوكُ الْحَقِيقَةِ الْأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا الْأَرْضُ وَالْفَضَاءُ لِرَبِّي
هَمٌّ، وَكُلُّ الْهَوَى لُهُمَّ وَالْوَلَاءُ لَهُمُ الْحُبُّ خَالِصًا مِنْ رَعَايَا
هَمُّ بِمَا يَنْكُرُ الدِّيَانَاتِ قَوْمٌ إِنَّمَا يَنْكُرُ الدِّيَانَاتِ قَوْمٌ
لَاتٌ كَالنَّاسِ، دَاوَهُنَّ الْقَنَاءُ^{٦٧} هَرِمَتْ دَوْلَةُ الْقِيَاصِرِ، وَالِدَّوْ
لُ الْأَقَالِيمِ إِنْ أَتَاهَا النَّدَاءُ^{٦٨} لَيْسَ تُغْنِي عَنْهَا الْبِلَادُ وَلَا مَا
نَا، وَسِيَمَّتْهُ ثَيْبَةُ الْعَصْمَاءُ^{٦٩} نَالَ رُومًا مَا نَالَ مِنْ قَبْلِ آثِيـ
لُ وَمِنْ بَعْدُ، مَا لِنَعْمَى بَقَاءُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْمَمَالِكِ مِنْ قَبـ

بُ، وَعَمَّ الْبَرِيَّةَ الْإِدْجَاءُ^{٧٠} أَظْلَمَ الشَّرْقُ بَعْدَ قَيْصَرَ وَالْغَرْ

يفتكُ الجهلُ فيه والجهلاءُ
 أو شهابٌ، أو صخرة صماءٌ^{٧١}
 ثان، حتى انتهت له الأهواءُ
 ف، وأن تغسلَ الخطايا الدماءُ
 بعضُ أعضائها لبعضِ فداءٍ
 شقيتَ بالغباوةِ الأغبياءُ
 فمن العدلِ أن يهولَ الجزاءُ
 بشرتها بأحمدِ الأنبياءُ
 حى إليه العلومُ والأسماءُ
 تعبت في مراسه الأقوياءُ^{٧٢}
 قُ مبيناً، وقومُه الفُصحاءُ
 سبق الخلقَ نحوَه البُلغاءُ
 ب، ولبى الأعوانُ والنُصراءُ^{٧٣}
 لم يؤلفَ شتاتهنَّ لواءُ^{٧٤}
 والحقُّ، والصوابُ وراءُ
 وهبوطُ إلى الثرى، وارتقاءُ
 سلبتُه النجومُ والجوزاءُ
 هُ ضياءٌ يهدي به من يشاءُ^{٧٥}
 ل، كما ينسخُ الضياءُ الضياءُ
 ء على الخِصم، بينهم رُحماءُ
 وتثولُ العلومُ والعلماءُ^{٧٦}
 مطمئنٌ به السنَا والسنَاءُ
 جاور الرُشدُ أهلها والذكاءُ^{٧٧}
 ل، ونالت حقوقها الضعفاءُ
 زانٌ من رينها إلى من تشاءُ
 هو طبُّ الوجود، وهو الدواءُ
 سن، والجاحدون، والأعداءُ

فالورى في ضلاله مُتَمادٍ
 عرفَ الله ضلَّةً، فهو شخصٌ
 وتولى على النفوس هوى الأؤ
 فرأى الله أن تطهرَ بالسَّيِّ
 وكذلك النفوسُ وهي مراضُ
 لم يُعادِ الله العبيد، ولكن
 وإذا جلتِ الذنوبُ وهالت
 أشرقَ النورُ في العوالمِ لَمَّا
 باليتيمِ الأميِّ، والبشرِ المُو
 قوَّةُ الله إن تولت ضعيفًا
 أشرفَ المرسلين، آيته النط
 لم يَفهُ بالنوابغِ الغرِّ حتى
 وأنته العقولُ مُنقادةَ الل
 جاء للناس، والسرايرُ فوضى
 وجمى الله مُستباح، وشرعُ الله،
 فلجبريلَ جيئةً، ورواحُ
 يُحسبُ الأفقُ في جناحيه نورُ
 تلك آيُ الفرقان، أرسلها الل
 نسختُ سنةَ النبيين والرُس
 وحمها غرُّ، كرامُ، أشدا
 أمةٌ ينتهي البيانُ إليها
 جازت النجم، واطمأنت بأفق
 كلما حثت الركابَ لأرض
 وعلا الحقُّ بينهم، وسما الفض
 تحملُ النجم، والوسيلة، والميد
 وتُنيلُ الوجودَ منه نظامًا
 يرجعُ الناسُ والعصورُ إلى ما

فيه ما تشتهي العزائم إن هـ
فَلِمَنْ حَاوَلَ النِّعِيمَ نَعِيمٌ
أَبْرَى العُجْمِ مِنْ بَنِي الظِّلِّ وَالْمَا
وَتَثِيرُ الخِيَامِ آسَادَ هَيْجَا
ما أَنَا فَتِ عَلَى السَّوَاعِدِ حَتَّى الـ
تَشْهَدُ الصَّيْنُ، وَالبَحَارُ، وَبَغْدَا
مَنْ كَعَمِرِو البِلَادِ، وَالبَضَادُ مَمَّا
شَادَ لِلْمُسْلِمِينَ رُكْنًا جَسَامًا
طَالَمَا قَامَتِ الخِلَافَةُ فِيهِ
وَأَنْتَهَى الدِّينُ بِالرَّجَاءِ إِلَيْهِ
مَنْ يَصْنُهُ يَصْنُ بَقِيَّةَ عِزِّ
فَابِكْ عَمْرًا إِنْ كُنْتَ مُنْصَفَ عَمِرِو
جَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّيْلِ، وَالنَّبِـ
فَهَيَّ تَعْلُو شَأْنَا إِذَا حُرَّرَ النَّبِـ

مَ ذَوُوهَا وَيَشْتَهِي الأَذْكَيَاءُ
وَلِمَنْ آثَرَ الشَّقَاءَ شَقَاءُ
عَجِيبًا أَنْ تُنَجِّبَ البِيدَاءُ^{٧٨}
ءَ تَرَاهَا آسَادَهَا الهَيْجَاءُ
أَرْضُ طُرًّا فِي أُسْرَهَا وَالفَضَاءُ
دُ، وَمَصْرُ، وَالعَرَبُ، وَالحَمْرَاءُ^{٧٩}
شَادَ فِيهَا، وَالمَلَّةُ العُرَاءُ؟
ضَافِي الظِّلِّ، دَابُّهُ الإِيوَاءُ^{٨٠}
فَاطْمَأَنَّتِ، وَقَامَتِ الخُلَفَاءُ
وَبَنُو الدِّينِ إِذْ هُمْ ضَعْفَاءُ
عَيَّضَ التُّرْكَ صَفْوَهُ وَالثَّوَاءُ^{٨١}
إِنَّ عَمْرًا لَنَيَّرُ وَضَاءُ
لُ لِمَنْ يِقْتَنِيهِ أَفْرِيْقَاءُ
لُ، وَفِي رِقِّهِ لَهَا إِزْرَاءُ^{٨٢}

وَإِذْكَرَ العُرَّ آلَ أَيُوبَ، وَامْدَحْ
هُمُ حُمَاةَ الإِسْلَامِ، وَالنَّفْرَ البَيْـ
كَلَّ يَوْمٍ بِالصَّالِحِيَّةِ حِصْنٌ
وَبِمَصْرٍ لِلْعِلْمِ دَارٌ، وَالبَضِيفَانِ
وَلْأَعْدَاءِ آلِ أَيُوبَ قَتْلٌ
يَعْرِفُ الدِّينَ مَنْ صَلاَحُ؟ وَيَدْرِي
إِنَّهُ حِصْنُهُ الَّذِي كَانَ حِصْنًا
يَوْمَ سَارِ الصَّلِيبِ وَالحَامِلُوه
بِنَفُوسٍ تَجُولُ فِيهَا الأَمَانِي
يُضْمِرُونَ الدَّمَارَ لِلْحَقِّ، وَالنَّا
وَيَهْدُونَ بِالتَّلَاوَةِ وَالبُصْلُـ
فَتَلَقَّتْهُمُ عَزَائِمٌ صَدِيقٌ

فَمَنْ المَدْحِ لِلرِّجَالِ جَزَاءُ^{٨٣}
ضُ، المُلُوكُ، الأَعْرَةُ، الصُّلْحَاءُ^{٨٤}
وَبِبُلْيُوسَ قَلْعَةَ شَمَاءُ
نَارٌ عَظِيمَةٌ حَمْرَاءُ
وَلْأَسْرَاهُمْ قِرَى وَثَوَاءُ^{٨٥}
مَنْ هُوَ المَسْجِدَانِ وَالإِسْرَاءُ؟^{٨٦}
وَجِمَاهُ الَّذِي بِهِ الاحْتِمَاءُ
وَمَشَى العَرَبُ: قَوْمُهُ، وَالنِّسَاءُ
وَقَلُوبٌ تَتَوَرَّ فِيهَا الدَّمَاءُ
سِ، وَدِينِ الَّذِينَ بِالحَقِّ جَاءُوا
بِأَنَّ مَا شَادَ بِالقَنَا البِنَاءُ
نُصَّ لِلدِّينِ بَيْنَهُنَّ حِبَاءُ^{٨٧}

مَزَقَتْ جَمَعَهُمْ عَلَى كُلِّ أَرْضٍ
وَسَبَّتْ أَمْرَدَ الْمُلُوكِ، فَرَدَّتْ
وَلَوْ أَنَّ الْمَلِيكَ هَيَبَ أَذَاهُ
هَكَذَا الْمُسْلِمُونَ، وَالْعَرَبُ الْخَا
فَبِهِمْ فِي الزَّمَانِ نِلْنَا اللَّيَالِي
لَيْسَ لِلذَّلِّ حَيْلَةٌ فِي نَفْوِسِ

مِثْلَمَا مَزَّقَ الظَّلَامَ الضِيَاءُ
هُ وَمَا فِيهِ لِلرَّعَايَا رَجَاءُ^{٨٨}
لَمْ يُخْلِصَهُ مِنْ أَذَاهَا الْفِدَاءُ
لُونِ، لَا مَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ
وَبِهِمْ فِي الْوَرَى لَنَا أَنْبَاءُ
يَسْتَوِي الْمَوْتُ عِنْدَهَا وَالْبِقَاءُ

وَانْكُرَ التُّرْكَ، إِنَّهُمْ لَمْ يُطَاعُوا
حَكَمَتِ دَوْلَةُ الْجَرَائِيسِ عَنْهُمْ
وَاسْتَبَدَّتْ بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ، فَـ «بَاشَا»
يَأْخُذُ الْمَالَ مِنْ مَوَاعِيدَ مَا كَا
وَيَسُومُونَهُ الرِّضَا بِأُمُورِ
فِيذَارِي لِيَعِصَمَ الْغَدَّ مِنْهُمْ

فَيَرِي النَّاسُ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
وَهِيَ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ عَسْرَاءُ^{٨٩}
التُّرْكَ فِي مِصْرَ أَلَهُ صَمَاءُ
نَوَا لَهَا مُنْجِزِينَ، فَهِيَ هَبَاءُ
لَيْسَ يَرْضَى أَقْلَهُنَّ الرِّضَاءُ^{٩٠}
وَالْمُدَارَةُ حِكْمَةٌ وَدَهَاءُ

وَأَتَى النَّسْرُ يَنْهَبُ الْأَرْضَ نَهْيًا
يَشْتَهِي النَّيْلَ أَنْ يَشِيدَ عَلَيْهِ
حَلَمَتِ رُومَةَ بِهَا فِي اللَّيَالِي
فَأَتَتْ مِصْرَ رُسُلُهُمْ تَتَوَالَى
وَلَوْ اسْتَشْهَدَ الْفَرَنْسِيْسُ رُومًا
عِلِمَتِ كُلِّ دَوْلَةٍ قَدْ تَوَلَّتْ
قَاهِرُ الْعَصْرِ وَالْمَمَالِكِ، نَابِلْ
جَاءَ طَيْشًا، وَرَاحَ طَيْشًا، وَمَنْ قَبْ
سَكَّتَتْ عَنْهُ يَوْمَ عَيْرِهَا الْأَهْمُ
فَهِيَ تُوْجِي إِلَيْهِ: أَنْ تَلِكِ «وَاتِرِ

حَوْلَهُ قَوْمُهُ، النَّسْرُ ظَمَاءُ^{٩١}
دَوْلَةٌ عَرَضُهَا الثَّرَى وَالسَّمَاءُ
وَرَأَاهَا الْقِيَاضِرُ الْأَقْوِيَاءُ
وَتَرَامَتْ سَوَادِنَهَا الْعُلَمَاءُ^{٩٢}
لَأَتَتْهُمْ مِنْ رُومَةَ الْأَنْبِيَاءُ
أَنَّهَا سَمُّهَا، وَأَنَا الْوِبَاءُ
يُونُ وَلَّتْ قَوَائِدُهُ الْكِبْرَاءُ
لُ أَطَاشَتْ أَنْاسَهَا الْعَلِيَاءُ
رَامُ، لَكِنْ سَكُوتُهَا اسْتِهْزَاءُ
لَوْ، قَائِنِ الْجِيُوشُ؟ أَيْنِ اللُّوَاءُ؟^{٩٣}

هوامش

(١) حدا الإبل، وحدا بها: ساقها وغنى لها.

- (٢) العباب: ارتفاع السيل أو الموج.
- (٣) مرق السهم من الرمية مروقاً: نفذ فيها وخرج من الجانب الآخر، فهو مارق، والمقصود هنا الهارب. الدأماء: البحر.
- (٤) تدجى الليل: أظلم.
- (٥) السفين: جمع سفينة.
- (٦) الهوادي: أول رجيل من الإبل. الحداء: الغناء في أثر الإبل.
- (٧) الأنواء: الأمطار.
- (٨) رغا: ضجَّ في صوته.
- (٩) الوجناء: الناقة الشديدة.
- (١٠) وخذها: سيرها السريع وسعة خطوها.
- (١١) الأجبال: جمع جبل. والشمُّ: جمع أشم، وهو المرتفع.
- (١٢) أجفل: نفر وفراً خائفاً.
- (١٣) الجديان: الليل والنهار.
- (١٤) الخنا: الفحش في الكلام.
- (١٥) الأقياء: جمع فيء، وهو الغنيمة، والمراد أن الدَّهر لا يحسن إلى الناس إلا راغماً، فكأنهم لا يظفرون منه بنعمة إلا كغنيمة حرب.
- (١٦) أي تفعل فعل الدهاة.
- (١٧) ملوك الرعاة أو الهكسوس: فاتحون من آسيا انتهزوا فرصة الضعف الذي حلَّ بالبلاد على أثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة، والتنازع الذي حدث على الملك بين طبقة الأشراف؛ فغزوها في سنة ١٦٧٥ ق.م.
- (١٨) القلى: البغض.
- (١٩) مضاء السيف: نفاذه في الضربة.
- (٢٠) هو رمسيس الثاني ابن سيتي الأول: أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية، وُلِّيَ عرش مصر وهو صغير، واستمرَّ حكمه من سنة ١٢٩٢-١٢٢٥ قبل الميلاد. ويُعرَفُ برمسيس الأكبر؛ لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التي جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر، والذي كوَّن له هذه الشهرة الكبيرة تلك المباني العديدة التي شيدها في جميع أنحاء البلاد.
- (٢١) الغضُّ: النضير.

- (٢٢) الخِيلاء: العجب والكُبر.
- (٢٣) الهديل: ذكر الحَمَام. وبلج الصباح: أشرق وأنار.
- (٢٤) بنتاهور: شاعر مصري قديم.
- (٢٥) آمون إله الشمس في اعتقاد القدماء، وقد كان القدماء يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة التي أشير إليها في هذا البيت بالشمس والقمر.
- (٢٦) قمبيز: أحد ملوك الفرس، استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق.م، وسلك في المصريين مسلك العسف والظلم، وخرب المعابد والهيكل، وقتل العجل أبيس إله المصريين وغير ذلك. ويوم قمبيز: هو اليوم الذي انتصرت فيه جيوشه على جيوش أبسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين في الفرما ومنف، والذي أُخِذَ فيه الملك أسيراً فأذيق من الذلِّ ما سترى. وطنطن: صَوَّت.
- (٢٧) إن: هنا زائدة. وما: نافية، بمعنى ليس.
- (٢٨) منقيس: هي منف التي ذكرناها وكانت العاصمة حينئذ. وكسرى: اسم لكل ملك من ملوك الفرس، والمراد به قمبيز.
- (٢٩) الحفا (مقصورة ومُدَّت): المشي بلا خوف ولا نعل.
- (٣٠) الهودج: محمل النساء.
- (٣١) رَدَّاهَا أي ألبسها الرداء، وتردَّى: أصلها تتردى، أي تلبس الرداء.
- (٣٢) استرقه: ملكه. والصَّرَّاء: الشدَّة
- (٣٣) شواخص: جمع شاخص وهو الناظر بحيث لا تطرف عيناه.
- (٣٤) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم، ويكنى به في الشيء البعيد المنال.
- (٣٥) يعود الضمير هنا إلى الفرس أنفسهم.
- (٣٦) الخربة: موضوع الخراب وجمعها خرائب، والغرض منها هنا بقايا الهياكل والآثار.
- (٣٧) إن: زائدة. وما: نافية.
- (٣٨) هو الإسكندر الأكبر المقدوني الذي افتتح مصر سنة ٣٣٢ ق.م وقضى على حكم الفرس وأنشأ مدينة الإسكندرية.
- (٣٩) الجوارى: السفن.
- (٤٠) بطليموس: حاكم مصر بعد الإسكندر ومؤسس دولة البطالسة التي استمرت من سنة ٣٢٣ ق.م إلى سنة ٣٠٠ ق.م؛ إذ سقطت في عهد كليوباترا.

(٤١) الأنثى: المقصود بها كليوباترا، وهي آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة، وقد هام بها قيصران: «يوليوس» وهو الذي انتهت بموته الجمهورية الرومانية، وكانت صنيعته له، و«أنطونيوس» وهو الذي أنشأ — بالأشتراك مع أكتافايوس — الإمبراطورية الرومانية، وقد كان هيام الأخير بها سبباً لغزو أكتافايوس لمصر وانتصاره على كليوباترا، التي حاولت عبثاً أن تؤثر في قلبه بجمالها؛ فانتحرت بأن وضعت على صدرها حية، وانتحر أنطونيوس.

(٤٢) المقصود بقبصر هنا: أنطونيوس.

(٤٣) الكهف: الملحأ.

(٤٤) أكتافايوس قيصر.

(٤٥) الدولتان: دولة الغرب، ودولة الشرق.

(٤٦) هي: أي كليوباترا.

(٤٧) الرقطاء: الحية التي يخالط بياضها نقط سوداء، أو العكس.

(٤٨) عقيم: أي لا خير وراءه.

(٤٩) شاقة الحب إليه: حاجه. والمراد بالكتب: الكتب الإلهية التي تنزلت على الأنبياء.

(٥٠) الحقيقة الزهراء: هي وجود الله وتوحيده، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين،

فكانوا في أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص، ثم رمزوا لصفات هذا الإله برمز صارت بعدئذ معبودات، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التي لها تأثير محسوس في حياتهم كالشمس والقمر والليل، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان، فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب وما إلى ذلك.

(٥١) التنزيه: التقديس. والحباء: العطاء.

(٥٢) الرمز والإيماء: الإشارة.

(٥٣) السنا: الضوء. والسنا: الرفعة.

(٥٤) السماء: الرفيعة.

(٥٥) المذكرات: ما كان من هذه الآلهة مذكراً.

(٥٦) إيزيس: إلهة من آلهة القدماء.

(٥٧) النضار: الذهب. رخاء: لينة.

(٥٨) نكاء: من أسماء الشمس.

(٥٩) أبيس: هو العجل أبيس، معبود القدماء، كما قدّمنا. وأوزيريس: هو إله

الشمس في اعتقاد القدماء.

- (٦٠) السرى: السير ليلاً. ولم يخطنا: لم يجاوزنا.
(٦١) حَجَّه: غلبه بالحجة.
(٦٢) هز الكوكب: انقض، والمراد: مهما خذل.
(٦٣) يشير إلى رفعه إلى السماء.
(٦٤) ثيِّبة: عاصمة من عواصم مصر القديمة
(٦٥) السَّرُّ: أي سرُّ عبادة الله على دين المسيح.
(٦٦) البطحاء: مسيل الماء في دقيق الحصى.
(٦٧) دولة القياصر: الدولة الرومانية. والهرم: بلوغ أقصى الكِبَر.
(٦٨) النداء: نداء الفناء.
(٦٩) سامه الأمر: كلفه إياه، وأكثر ما يستعمل في الشر والعذاب.
(٧٠) الإِدْجاء: الظلام.
(٧١) ضلَّة: ضلال. والشهاب: شعلة من نار ساطعة، وقد يطلق على الكوكب.
(٧٢) المراس: هنا بمعنى المأخذ والمعالجة.
(٧٣) اللب: نكاء من العقل.
(٧٤) الشتات: المتفرق.
(٧٥) الآي: جمع آية.
(٧٦) تتول: ترجع.
(٧٧) حثَّ الركاب: أي حَضَّ الإبل على أن تسرع، والمراد كلُّما انتقلت لأرض.
(٧٨) أنجب الرجل: ولد ولدًا نجيبًا.
(٧٩) الحمراء: قصر مشهور بالأندلس.
(٨٠) الجسام: العظيم.
(٨١) الثواء: الإقامة.
(٨٢) أزرى عليه عمله: عابه.
(٨٣) يشير على الدولة الأيوبية التي أسسها صلاح الدين الأيوبي، وحكمت مصر من سنة ١١٧١ على سنة ١٢٥٠م.
(٨٤) الأبيض: السيف، أو النجم، والجمع بيض.
(٨٥) القرى: الضيافة. والثواء: الإقامة.
(٨٦) صلاح: صلاح الدين الأيوبي.

الشوقيات

- (٨٧) نصّ الشيء: رفعه. والخباء: ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر، ويكون عمودين أو ثلاثة.
- (٨٨) سبي العدو: أسره. وأمرد الملوك: لويس التاسع ملك فرنسا، وكان من أبطال الصليبيين، أسره توران شاه في موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقيّة أهله وعساكره بمبلغ ١٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك.
- (٨٩) الجراكس: الممالك. وعسراء: أي شديدة ظالمة.
- (٩٠) سامه الأمر: كلفه إياه، وأكثر ما يكون في الشرّ.
- (٩١) النسر: نابليون بوناپرت.
- (٩٢) ترامى القوم: رمى بعضهم بعضًا.
- (٩٣) واترلو «في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥»: موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الإنكليزي الشهير، فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القائد الروسي، وكان من نتائج هزيمة نابليون في هذه الموقعة أسره ونفيه إلى جزيرة «سنت هيلانة» حيث قضى البقية من حياته.

الهمزية النبوية

وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءٌ
لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ بِشْرَاءٌ^١
وَالْمُنْتَهَى، وَالسَّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ^٢
بِالترجمان، شَذِيَّةٌ، غَنَاءٌ^٣
وَاللُّوْحُ وَالْقَلَمُ الْبَدِيعُ رُوءَاءُ^٤
فِي اللُّوْحِ، وَاسْمُ مُحَمَّدٍ طُغْرَاءُ^٥
أَلِفٌ هُنَالِكَ، وَاسْمُ (طه) الْبَاءُ

وُلِدَ الْهُدَى، فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَأْتُكَ حَوْلَهُ
وَالعَرْشُ يَزْهُو، وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي
وَحَدِيقَةُ الْفَرْقَانِ ضَاكِكَةُ الرُّبَا
وَالوَحْيُ يَقْطُرُ سَلْسَلًا مِنْ سَلْسَلِ
نُظْمَتِ أَسَامِي الرُّسْلِ فَهِيَ صَحِيفَةٌ
اسْمُ الْجَلَالَةِ فِي بَدِيعِ حُرُوفِهِ

مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهُدَى بِكَ جَاءُوا
إِلَّا الْحِنَائِفُ فِيهِ وَالْحُنْفَاءُ^٦
دُونَ الْأَنْبَاءِ، وَأَحْرَزْتَ حَوَاءُ^٧
فِيهَا إِلَيْكَ الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ^٨
إِنَّ الْعِظَاءَ كُفُوها الْعِظَاءُ
وَتَضَوَّعْتَ مِسْغًا بِكَ الْغَبْرَاءُ^٩
حَقٌّ، وَغُرَّتْهُ هُدَى وَحِيَاءُ^{١٠}
وَمِنَ الْخَلِيلِ وَهَدِيهِ سِيْمَاءُ^{١١}
وَتَهَلَّلْتَ وَاهْتَزَّتْ «الْعِذْرَاءُ»

يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوَجُودَ، تَحِيَّةُ
بَيْتِ النَّبِيِّينَ الَّذِي لَا يَلْتَقِي
خَيْرُ الْأَبْوَةِ حَارِزَهُمْ لَكَ «أَدَمُ»
هُمْ أَدْرَكُوا عِزَّ النَّبِوَّةِ وَانْتَهَتْ
خُلِقَتْ لِبَيْتِكَ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ لَهَا
بِكَ بِشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَنَزِيَّتْ
وَبَدَأَ مُحَيَّاكَ الَّذِي قَسَمَاتُهُ
وَعَلِيهِ مِنْ نَوْرِ النَّبِوَّةِ رَوْنُقٌ
أَثْنَى «الْمَسِيحُ» عَلَيْهِ خَلْفَ سَمَائِهِ

وَمَسَاوِهِ «بِمَحْمَدٍ» وَضَاءٌ
 فِي الْمُلْكِ، لَا يَعْلُو عَلَيْهِ لَوَاءٌ
 وَعَلَتْ عَلَى تَيْجَانِهِمْ أَصْدَاءٌ
 حَمَدَتْ ذَوَائِبُهَا، وَغَاضَ الْمَاءُ^{١٢}
 «جَبْرِيلُ» رَوَّاحٌ بِهَا غَدَاءُ^{١٣}
 وَالْيَتَمُّ رَزُقٌ بَعْضُهُ وَذَكَاءُ^{١٤}
 وَبِقَصْدِهِ تُسْتَدْفَعُ الْبِأَسَاءُ^{١٥}
 يَعْرِفُهُ أَهْلُ الصَّدَقِ وَالْأَمْنَاءُ
 مِنْهَا وَمَا يَتَعَشَّقُ الْكِبْرَاءُ
 دِينًا تُضِيءُ بِنُورِهِ الْآنَاءُ
 يُغْرَى بِهِنَّ وَيُولَعُ الْكُرْمَاءُ
 وَمَلَا حَةَ «الصَّدِيقِ» مِنْكَ أَيَاءُ^{١٦}
 مَا أُوْتِيَ الْقُوَادُ وَالزَّعْمَاءُ
 وَفَعَلَتْ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ^{١٧}
 لَا يَسْتَهِينُ بَعْفُوكَ الْجُهْلَاءُ
 هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ
 فِي الْحَقِّ، لَا ضَعْفٌ وَلَا بَغْضَاءُ^{١٨}
 وَرَضَى الْكَثِيرُ تَحْلُمٌ وَرِيَاءُ^{١٩}
 تَعْرُو النَّدِيَّ، وَلِلْقُلُوبِ بُكَاءُ^{٢٠}
 جَاءَ الْخِصُومَ مِنَ السَّمَاءِ قِضَاءُ
 أَنْ الْقِيَاصَرَ وَالْمُلُوكَ ظِمَاءُ
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمُسْتَجِيرَ عِدَاءُ
 وَلَوْ أَنَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ الشَّاءُ
 وَإِذَا ابْتَنَيْتَ فِدُونَكَ الْآبَاءُ^{٢١}
 فِي بُرْدِكَ الْأَصْحَابُ وَالْخُلَطَاءُ
 فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ
 وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النُّكْبَاءُ^{٢٢}

يَوْمٌ يَتِيهٌ عَلَى الزَّمَانِ صَبَاحُهُ
 الْحَقُّ عَالِي الرُّكْنِ فِيهِ، مُظْفَرٌ
 ذِعِرَتْ عَرُوشُ الظَّالِمِينَ، فَزَلَزَتْ
 وَالنَّارُ خَاوِيَةٌ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُمْ
 وَالْأَيُّ تُتْرَى، وَالْخَوَارِقُ جَمَّةٌ
 نَعْمَ الْيَتِيمُ، بَدَتْ مَخَايِلُ فَضْلِهِ
 فِي الْمَهْدِ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِرَجَائِهِ
 بِسُورِ الْأَمَانَةِ فِي الصَّبَا وَالصَّدَقِ لَمْ
 يَا مَنْ لَهُ الْأَخْلَاقُ مَا تَهْوَى الْعُلَا
 لَوْ لَمْ تُقَمِّ دِينًا، لِقَامَتْ وَحْدَهَا
 زَانَتُكَ فِي الْخَلْقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ
 أَمَّا الْجَمَالُ، فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ
 وَالْحَسَنُ مِنْ كَرَمِ الْوَجُوهِ، وَخَيْرُهُ
 فَإِذَا سَخَوَتْ بَلَغَتْ بِالْجُودِ الْمَدَى
 وَإِذَا عَفَوَتْ فَقَادِرًا، وَمَقْدَرًا
 وَإِذَا رَجِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ، أَوْ أَبٌ
 وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضَبَةٌ
 وَإِذَا رَضِيْتَ فَذَلِكَ فِي مَرْضَاتِهِ
 وَإِذَا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هَزَّةٌ
 وَإِذَا قَضَيْتَ فَلَا ارْتِيَابَ، كَأَنَّمَا
 وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ، وَلَوْ
 وَإِذَا أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ، لَمْ
 وَإِذَا مَلَكَتْ النَّفْسَ قَمَّتْ بِرِهَا
 وَإِذَا بَنَيْتَ فَخَيْرُ زَوْجِ عَشْرَةٍ
 وَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا
 وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ، أَوْ أَعْطَيْتَهُ
 وَإِذَا مَشَيْتَ عَلَى الْعِدَا فَغَضَنْفَرٌ

وَتَمُدُّ جِلْمَكَ لِلْسَفِيهِ مُدَارِيًّا حَتَّى يَضِيقَ بِعَرَضِكَ السَّفَهَاءَ
فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةً وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءً^{٢٣}
فَالرَّأْيُ لَمْ يُنْضِ الْمَهْنَدُ دُونَهُ كَالسِّيفِ لَمْ تُضْرَبْ بِهِ الْأَرَاءُ^{٢٤}

يَأْيُهَا الْأَمِّيُّ، حَسْبُكَ رَتْبَةٌ فِي الْعِلْمِ أَنْ دَانَتْ بِكَ الْعِلْمَاءُ^{٢٥}
الذِّكْرُ آيَةُ رَبِّكَ الْكَبِيرِ الَّتِي فِيهَا لِبَاغِي الْمَعْجَزَاتِ غَنَاءُ^{٢٦}
صَدْرُ الْبَيَانِ لَهُ إِذَا التَّقَتِ اللَّغِي وَتَقَدَّمَ الْبُلْغَاءُ وَالْفُصْحَاءُ^{٢٧}
نُسِخَتْ بِهِ التَّوْرَةُ وَهِيَ وَضِيئَةٌ وَتَخَلَّفَ الْإِنْجِيلُ وَهُوَ نِكَاءُ^{٢٨}
لَمَّا تَمَشَّى فِي «الْحِجَازِ» حَكِيمُهُ فَضَّتْ «عَكَاطُ» بِهِ، وَقَامَ جِرَاءُ^{٢٩}
أَزْرَى بِمَنْطِقِ أَهْلِهِ وَبَيَانِهِمْ وَحِيٌّ يُقْصَرُ دُونَهُ الْبُلْغَاءُ^{٣٠}
حَسَدُوا، فَقَالُوا: شَاعِرٌ، أَوْ سَاحِرٌ وَمَنْ الْحَسُودِ يَكُونُ الْاسْتِهْزَاءُ
قَدْ نَالَ «بِالْهَادِي» الْكَرِيمِ وَ«بِالْهَدَى» مَا لَمْ تَنْلُ مِنْ سُودِدِ سَيِّنَاءُ
أَمْسَى كَأَنَّكَ مِنْ جِلَالِكَ أُمَّةٌ وَكَأَنَّهُ مِنْ أَنْسِهِ بَيِّدَاءُ
يُوْحَى إِلَيْكَ الْفَوْزُ فِي ظَلَمَاتِهِ مِتَابِعًا، تُجَلَى بِهِ الظُّلْمَاءُ
دَيْنٌ يُشِيدُ آيَةً فِي آيَةٍ لَبَنَاتُهُ السُّورَاتُ وَالْأَضْوَاءُ
الْحَقُّ فِيهِ هُوَ الْأَسَاسُ، وَكَيْفَ لَا وَاللَّهُ جَلَّ جِلَالُهُ الْبَنَاءُ؟
أَمَّا حَدِيثُكَ فِي الْعَقُولِ فَمَشْرَعٌ وَالْعِلْمُ وَالْحِكْمُ الْغَوَالِي الْمَاءُ^{٣١}
هُوَ صِبْغَةُ الْفُرْقَانِ، نَفْحَةٌ قُدْسُهُ وَالسَّيْنُ مِنْ سُورَاتِهِ وَالرَّاءُ^{٣٢}
جَرَتْ الْفَصَاحَةُ مِنْ يَنْابِيعِ النَّهْيِ مِنْ دَوْحِهِ، وَتَفَجَّرَ الْإِنْشَاءُ^{٣٣}
فِي بَحْرِهِ لِلْسَابِحِينَ بِهِ عَلَى أَدَبِ الْحَيَاةِ وَعِلْمِهَا إِرْسَاءُ
أَتَتْ الدُّهُورُ عَلَى سُلَافَتِهِ، وَلَمْ تَفْنِ السُّلَافُ، وَلَا سَلَا النُّدْمَاءُ^{٣٤}

بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَامَتْ سَمْحَةٌ بِالْحَقِّ مِنْ مِلَلِ الْهُدَى غَرَاءُ^{٣٥}
بُنِيَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ نَادَى بِهَا سُقْرَاطُ وَالْقُدْمَاءُ
وَجَدَ الزُّعَافَ مِنَ السُّمُومِ لِأَجْلِهَا كَالشَّهْدِ، ثُمَّ تَتَابَعَ الشُّهْدَاءُ
وَمَشَى عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ بِنُورِهَا كُفَّانُ وَادِي النِّيلِ وَالْعُرْفَاءُ^{٣٦}

أَخَذَتْ قِوَامَ أُمُورِهَا الْأَشْيَاءُ^{٣٧}
 وَأَصَمَّ مِنْكَ الْجَاهِلِينَ نِدَاءُ
 وَالنَّاسِ فِي أَوْهَامِهِمْ سُجْنَاءُ
 وَمِنْ النُّفُوسِ حَرَائِرُ وَإِمَاءُ^{٣٨}
 يُوصَفُ لَهُ حَتَّى أَتَيْتَ دَوَاءُ
 لَا سَوْقَةَ فِيهَا وَلَا أَمْرَاءُ
 وَالنَّاسُ تَحْتَ لِوَائِهَا أَكْفَاءُ
 وَالْأَمْرُ شُورَى، وَالْحَقُوقُ قِضَاءُ
 لَوْلَا دَعَاوَى الْقَوْمِ وَالْغُلُوءُ^{٣٩}
 وَأَخْفُ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاءُ^{٤٠}
 وَمِنْ السُّمُومِ النَّاقِعَاتِ دَوَاءُ^{٤١}
 لَا مِئَّةَ مَمْنُونَةً وَجَبَاءُ^{٤٢}
 حَتَّى التَّقَى الْكُرْمَاءُ وَالْبُخْلَاءُ
 فَالْكُلُّ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ سَوَاءُ
 مَا اخْتَارَ إِلَّا دِينَكَ الْفُقَرَاءُ

إِيزِيسُ ذَاتُ الْمُلْكِ حِينَ تَوَحَّدَتْ
 لَمَّا دَعَوَتْ النَّاسَ لِبَى عَاقِلُ
 أَبُؤُا الْخُرُوجِ إِلَيْكَ مِنْ أَوْهَامِهِمْ
 وَمِنْ الْعُقُولِ جَدَاوِلُ وَجَلَامِدُ
 دَاءُ الْجَمَاعَةِ مِنْ أَرْسَطَالِيسٍ لَمْ
 فَرَسَمْتَ بَعْدَكَ لِلْعِبَادِ حُكُومَةً
 اللَّهُ فَوْقَ الْخَلْقِ فِيهَا وَحْدَهُ
 وَالذِّينُ يُسْرُ، وَالْخِلَافَةُ بَيْعَةٌ
 الْاِشْتِرَاكِيُّونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ
 دَاوَيْتَ مُتَنَدًّا، وَدَاوُوا طَفِرَةً
 الْحَرْبُ فِي حَقِّ لَدَيْكَ شَرِيعَةٌ
 وَالْبِرُّ عِنْدَكَ ذِمَّةٌ، وَفَرِيضَةٌ
 جَاءَتْ فَوَحَّدَتْ الزُّكَاةَ سَبِيلَهُ
 أَنْصَفْتَ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى
 فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً

مَا لَا تَنَالُ الشَّمْسُ وَالْجَوُزَاءُ^{٤٣}
 بِالرُّوحِ أَمْ بِالْهَيْكَلِ الْإِسْرَاءُ؟^{٤٤}
 نُورٌ، وَرِيحَانِيَّةٌ، وَبِهَاءُ
 وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرَى وَيَشَاءُ
 طُويِتَ سَمَاءٌ قُلِّدَتْكَ سَمَاءُ^{٤٥}
 نُونٌ، وَأَنْتَ النَّقْطَةُ الزَّهْرَاءُ
 وَالْكَفُّ، وَالْمِرَاءُ، وَالْحَسَنَاءُ
 نُزُلًا لِنَاذِكَ لَمْ يَجْزُهُ عِلَاءُ
 وَمَنَاكِبُ الرُّوحِ الْأَمِينِ وَطَاءُ
 حَاشَا لَغَيْرِكَ مَوْعِدٌ وَلِقَاءُ

يَأْيُهَا الْمُسْرَى بِهِ شَرْفًا إِلَى
 يَتَسَاءَلُونَ - وَأَنْتَ أَطْهَرُ هَيْكَلِ:
 بِهِمَا سَمَوْتَ مُطَهَّرِينَ، كِلَاهِمَا
 فَضْلٌ عَلَيْكَ لِذِي الْجَلَالِ وَمِنَّةٌ
 تَغْشَى الْغُيُوبَ مِنَ الْعَوَالِمِ، كَلَّمَا
 فِي كُلِّ مَنَاطِقَةٍ حَوَاشِي نَوْرَهَا
 أَنْتَ الْجَمَالُ بِهَا، وَأَنْتَ الْمُجْتَلَى
 اللَّهُ هَيَّأَ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِهِ
 الْعَرْشَ تَحْتِكَ سُدَّةً وَقَوَائِمًا
 وَالرُّسُلَ دُونَ الْعَرْشِ لَمْ يُؤَدِّنْ لَهُمْ

الخيْلُ تَأبَى غَيْرَ «أَحْمَدَ» حَامِيًا
 شَيْخَ الْفَوَارِسِ يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ
 وَإِذَا تَصَدَّى لِلظُّبَى فَمُهَنْدٌ
 وَإِذَا رَمَى عَنْ قَوْسِهِ فَيَمِينُهُ
 مِنْ كُلِّ دَاعِيِ الْحَقِّ هَمَّةٌ سَيْفِهِ
 سَاقِيِ الْجَرِيحِ، وَمُطْعَمُ الْأَسْرَى، وَمَنْ
 إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الرِّجَالِ غِلَظَةٌ
 وَالْحَرْبُ مِنْ شَرَفِ الشُّعُوبِ، فَإِنْ بَغَا
 وَالْحَرْبُ يَبْعَثُهَا الْقَوِيُّ تَجْبُرًا
 كَمْ مِنْ غَزَاةٍ لِلرَّسُولِ كَرِيمَةٍ
 كَانَتْ لَجُنْدِ اللَّهِ فِيهَا شِدَّةٌ
 ضَرَبُوا الضَّلَالَةَ ضَرْبَةً نَهَبَتْ بِهَا
 دَعَمُوا عَلَى الْحَرْبِ السَّلَامَ، وَطَالَمَا

وبها إذا ذَكَرَ اسْمُهُ خَيْلَاءُ
 إِنَّ هَيَّجَتِ آسَادَهَا الْهَيْجَاءُ
 أَوْ لِلرَّمَاحِ فَصَعْدَةٌ سَمْرَاءُ^{٤٦}
 قَدْرٌ، وَمَا تَرْمِي الْيَمِينَ قِضَاءُ
 فَلِسَيْفِهِ فِي الرَّاسِيَاتِ مِضَاءُ^{٤٧}
 أَمِنْتَ سَنَابِكَ خَيْلَهُ الْأَشْلَاءُ
 مَا لَمْ تُزْنَهَا رَاقَةً وَسَخَاءُ
 فَالْمَجْدُ مِمَّا يَدْعُونَ بِرَاءُ
 وَيَنْوُو تَحْتَ بَلَائِهَا الضُّعْفَاءُ
 فِيهَا رِضَى لِلْحَقِّ أَوْ إِعْلَاءُ
 فِي إِثْرِهَا لِلْعَالَمِينَ رِخَاءُ
 فَعَلَى الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالِ عَفَاءُ
 حَقَنْتَ دِمَاءً فِي الزَّمَانِ دِمَاءُ

الْحَقُّ عَرَضَ اللَّهُ، كُلُّ أَبْيَةٍ
 هَلْ كَانَ حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ
 فِدْعَا، فَلَبَّى فِي الْقِبَائِلِ عُصْبَةٌ
 رَدُّوا بِبَاسِ الْعِزْمِ عَنْهُ مِنَ الْأَذَى
 وَالْحَقُّ وَالْإِيمَانُ إِنْ ضَبَّ عَلَى
 نَسَفُوا بِنَاءَ الشَّرْكِ، فَهُوَ خِرَائِبُ
 يَمْشُونَ تُغْضِي الْأَرْضُ مِنْهُمْ هَيْبَةً
 حَتَّى إِذَا فَتِحَتْ لَهُمْ أَطْرَافُهَا

بَيْنَ النُّفُوسِ جَمَّى لَهُ وَوَقَاءُ
 إِلَّا صَبِيٍّ وَاحِدٌ وَنِسَاءُ؟
 مُسْتَضْعَفُونَ، قَلَائِلُ، أَنْضَاءُ^{٤٨}
 مَا لَا تَرُدُّ الصَّخْرَةَ الصَّمَاءُ
 بَرِدٍ فِيهِ كَتَيْبَةٌ خِرْسَاءُ^{٤٩}
 وَاسْتَأْصَلُوا الْأَصْنَامَ، فَهِيَ هَبَاءُ^{٥٠}
 وَبِهِمْ حِيَالٌ نَعِيمُهَا إِغْضَاءُ
 لَمْ يُطْغِهِمْ تَرْفٌ وَلَا نَعْمَاءُ

يَا مَنْ لَهُ عِزُّ الشَّفَاعَةِ وَحُدَّةُ
 وَهُوَ الْمَنْزَرَةُ، مَا لَهُ شُفْعَاءُ

عرشُ القيامة أنتَ تحت لوائه
 تروي وتسقي الصالحين ثوابهم
 ألمثل هذا نُقَتَ في الدنيا الطوى
 لي في مديحك يا رسولَ عرائسُ
 هُنَّ الحسانُ، فإنِ قبلتَ تَكْرُمًا
 أنتَ الذي نَظَمَ البريَّةَ دينُهُ
 المُصلِحون أصابعُ جُمِعتَ يدًا
 ما جئتُ بابكَ مادحًا، بل داعيًا
 أدعوك عن قومي الضعافِ لأزيمة
 أدري رسولُ الله أنَّ نفوسهم
 مُتفكِّكون، فما تضمُّ نفوسهم
 رقدوا، وغرهمُ نعيمٌ باطلٌ
 والخوضُ أنتَ جِبالُهُ السَّقاءُ
 والصالِحاتُ ذخائرٌ وجزاءُ
 وانشقَّ مِن خَلقِ عليكِ رداءُ؟
 تيمَنَ فيك، وشاقهنَّ جلاءُ^١
 فمهورهنَّ شفاعَةٌ حَسَناءُ
 ماذا يقول وَيَنظُمُ الشعراءُ؟
 هي أنتَ، بل أنتَ اليدُ البيضاءُ
 ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءُ
 في مثلها يُلقَى عليكِ رِجاءُ
 رَكِبَتْ هَواها، والقلوبُ هَواءُ؟
 ثِقَّةٌ، ولا جَمعَ القلوبَ صفاءُ
 ونعيمٌ قومٍ في القيودِ بلاءُ

* * *

ظلموا شريعتك التي نلنا بها
 مشيت الحضارة في سناها، واهتدى
 صلى عليك الله ما صجبت الدجى
 واستقبل الرضوان في غرفاتهم
 خير الوسائل، من يقع منهم على
 ما لم ينل في رومة الفقهاء
 في الدين والدنيا بها السعداء
 حاد، وحنت بالفلا وجنأ^٢
 بجنان عدن ألك السُمحاء
 سبب إليك فحسبي «الزهراء»

هوامش

(١) الروح الأمين: لقب جبريل. والملا: الأشراف. والملائك: الملائكة. وبشراء: جمع

بشير.

(٢) زهوا: يشرق. وسدرة المنتهى: يقال إنها شجرة نبق على يمين العرش.

(٣) الرُّبَا: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض.

(٤) الرواء: ماء الوجه وحسن المنظر.

(٥) الطغراء: ما يسميه العامة «طرة» وأصلها طغرى بالقصر، وهي التي تكتب

بالقلم الغليظ في صدر الأوامر.

- (٦) الحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام، وكل مَنْ كان على دين إبراهيم (عليه السلام)، والمؤنث حنيفة، وجمعها حنائف.
- (٧) القعساء: المنبعة الثابتة.
- (٨) تَضَوَّعَ المسك: انتشرت رائحته. والغبراء: الأرض.
- (٩) القسمة ما بين الوجنتين والأنف، وجمعها قسماط.
- (١٠) الخليل: إبراهيم (عليه السلام).
- (١١) العذراء: السيدة مريم.
- (١٢) خدعت النار: سكن لهيبها، والذوائب: جمع ذؤابة، وهي أعلى كل شيء، والمراد بالذوائب هنا ألسنة اللهب.
- (١٣) تترى: تتوالى. وروَّاح، غَدَّاء، أي يروح ويغدو.
- (١٤) المخيلة: المظنة.
- (١٥) استسقى الرجل: طلب السقي. والحيا: المطر.
- (١٦) آباء الشمس وآياتها: نورها وحسنها.
- (١٧) النوء: المطر.
- (١٨) الضغن: الحقد.
- (١٩) التحلُّم: تكلف اللحم.
- (٢٠) النديّ: النادي.
- (٢١) بنى بأهله: رُفَّ إليهم.
- (٢٢) غضنفر: أسد. والنكباء: ريح بين ريحين.
- (٢٣) سطا: جمع سطوة.
- (٢٤) نضا السيف من غمده: سلَّه. والمهند: السيف المطبوع من حديد.
- (٢٥) دان به: اتَّخذه ديناً.
- (٢٦) الباغي: الطالب. والغناء: ما يغني.
- (٢٧) اللغى: جمع لغة.
- (٢٨) ذكاء: من أسماء الشمس.
- (٢٩) حراء: الغار الذي كان يتعبَّد فيه النبي ﷺ ونزل عليه فيه الوحي.
- (٣٠) أزرى به: عابه.
- (٣١) مشروع: مورد.

- (٣٢) الصبغة النوع.
(٣٣) الدوح: الشجر العظيم المتسع.
(٣٤) السلاف والسلافة: أفضل الخمر.
(٣٥) السمحة: الملة التي ليس فيها ضيق.
(٣٦) العرّاف: المنجم، والجمع عُرفاء.
(٣٧) إيزيس: من آلهة المصريين القدماء.
(٣٨) الجدول: النهر الصغير. والجمود: الصخر.
(٣٩) الغلواء: الغلؤ.
(٤٠) متتدًا: متأنياً. وظفر: وثب.
(٤١) الناقعات: القاتلات.
(٤٢) البرُّ: الإحسان. وذمة: عهد، والمنّة: العطيّة، والمنونة: المتبوعة بالمنّ.
(٤٣) الإسراء: السير ليلاً.
(٤٤) الهيكل: الجسم والصورة والشخص.
(٤٥) غشي المكان يغشاه: أّاه.
(٤٦) الظبي: جمع ظبّة، وهي حد السيف. والصعدة: القناة المستوية.
(٤٧) مضى السيف مضاء: قطع.
(٤٨) النضو: المهزول من الإبل وغيرها.
(٤٩) الكتيبة الخرساء: التي لا يسمع فيها صوت.
(٥٠) الهباء: الغبار.
(٥١) شاقّة الحبُّ: هاجه.
(٥٢) الوجناء: الناقة الشديدة.

صدى الحرب^١

وَيُنْصَرُ دِينَ اللّٰهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ
وَلَا الأَمْرُ إِلَّا لِلذِّي يَتَغَلَّبُ
لَنَعْمَ المُرَبِّي لِلطُّغَاةِ المُؤَدَّبِ
فَنَعْمَ الحَسَامُ الطُّبُّ وَالمُتَطَبِّبُ^١
وَإِنْ هُوَ نَامَ اسْتَيْقِظْتَ تَتَأَلَّبُ
وَ(أرمينيا) ثكلى، و(حوران) أَشِيبُ^٢
رَجَاؤُكَ يَعْطِيهَا، وَخَوْفُكَ يَسْلُبُ
بِأَسْطَعِ مِثْلِ الصَّبْحِ لَا يَتَكَذَّبُ^٣
يُسَارِيهِ مِنْ عَالِي ذِكَايِكَ كَوَكْبِ
تَكشَّفَ دَاجِي الخَطْبِ وَانجَابَ غَيْهَبُ^٤
لَهُمْ مَأْرَبُ فِيهَا وَاللّٰهُ مَأْرَبُ

بَسِيفِكَ يَعْלוُ الحَقُّ، وَالحَقُّ أَغْلَبُ
وَمَا السِّيفُ إِلَّا آيَةُ المُلْكِ فِي الوَرَى
فَأَدَّبَ بِهِ القَوْمَ الطُّغَاةَ، فَإِنَّهُ
وَدَاوِ بِهِ الدُّوَلَاتِ مِنْ كَلِّ دَائِهَا
تَنَامُ خَطُوبُ المُلْكِ إِنْ بَاتَ سَاهِرًا
أَمْنًا اللَّيَالِي أَنْ نُرَاعَ بِحَادِثِ
وَمَمْلَكَةُ (اليونانِ) مَحْلُولَةُ العُرَى
هَدَدَتْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ كِيَانَهَا
وَمَا زَالَ فَجْرًا سَيْفُ (عثمان) صَادِقًا
إِذَا مَا صَدَعَتْ الحَادِثَاتِ بِحَدِّهِ
وَهَابَ العِدَا فِيهِ خَلَافَتِكَ التِّي

هوامش

(١) المتطبب: المتعاطي علم الطب.

(٢) ثكلى مصابة ببنيتها الذين نالهم صارم التأديب وتأديب الصارم. وأشيب: علاه

الشيب، لكثرة ما أدب وأنب.

^١ في وصف الوقائع العثمانية اليونانية.

الشوقيات

- (٣) الخطاب للسلطان عبد الحميد. وكيانها: وجودها. وبأسطع: بسيف شديد السطوع.
- (٤) معناه: لكل فجر كوكب يسايره ويصاحبه، وفجر هذا السيف رأيك الوضاء، وما مُنحت من نادر الذكاء.
- (٥) الداجي: المظلم. وانجاب: انكشف. والغيب: الظلام.

أبو أمير المؤمنين

سما بك يا (عبد الحميد) أبوة^١ قياصر أحيانًا، خلائف تارة
نجوم سعود الملك، أقمار زهرة
تواصلوا به عصرًا فعصرًا، فزاده
هم الشمس، لم تبرح سماوات عزها
ثلاثون، حضار الجلالة غيب^١
خواقين طورًا، والفخار المقلب^٢
لو أن النجوم الزهر يجمعها أب
معممهم من هيبة والمعصب^٣
وفينا ضحاها والشعاع المحبب

هوامش

- (١) أبوة: آباء. وحضار وغيهب: جمع حاضر وغائب.
- (٢) معناه: انفرادوا بأمر المسلمين فهم الخلفاء، واستوى عرشهم على الغرب والشرق فهم قياصر عظماء، وهم الخواقين (ملوك الترك).
- (٣) معممهم: ذو العمامة منهم، وكذا المعصب هو أيضًا المتوج، والعمامة والعصابة والتاج مما لبس سلاطين آل عثمان.

الجلوس الأسعد

نهضتَ بعريشٍ ينهض الدهرُ دونه
مَكِينٍ على متن الوجودِ مُؤَيِّدٍ
ترقّت له الأسواءُ، حتى ارتقيته
فكنتَ كعين، ذاتِ جَرِيٍّ، كمينيةٍ
موكّلةٍ بالأرضِ، تنسابُ في الثرى
فأحييتَ ميئًا، دارسَ الرسمِ، غابِرًا
وشدّتَ منارًا للخلافةِ في الورى
سهرتَ، ونام المسلمون بغبطةٍ
فنبّهنا الفتْحُ الذي ما بفجره
خشوعًا، وتخشاها الليالي وترهب
بشمسِ استواءٍ ما لها الدهرَ مغرب^١
فقمتَ بها في بعضِ ما تتنكّب^٢
تفيض على مرّ الزمانِ وتُعذبُ
فيحيا، وتجري في البلادِ فتُخْصِبُ
كأنك فيما جئتَ عيسى المقرّب^٣
تشرّقُ فيهم شمسُه، وتُغرّبُ
وما يزعجُ النومَ والساهرُ الأب؟
ولا بك، يا فجرَ السلامِ، مُكذّبُ

هوامش

- (١) مكين: عظيم مرتفع. والمتن: الظهر.
- (٢) الأسواء: جمع سوء، وهو كل ما يسوء. وتتنكّب: تحمل.
- (٣) الرسم: ما كان لاصقًا بالأرض من آثار الدار. ودرس: أي بلى وعفا.

حلم عظيم وبطش أعظم

وعودك من عود المنابر أصْلَبُ^١
وأجلى بياناً في القلوب، وأعذب^٢
فعهدك بالفتح المحجَّل أقرب^٣
وأنفذُ سهمًا في الأمور، وأصوبُ
ظهورًا يسوءُ الحاسدين ويَتعب
لرأيك فيهم، أو لسيفك مَضْرِبٌ^٤
جهامٌ من الأعوان أهدى وأكذب^٥
وما كنت، يا برقَ المنية، تُخْلِبُ^٦
من الدَّوْدِ إلا ما أطالوا وأسهبوا
ولكنَّ خُلُقًا في السباعِ التأهبُ
ويذهبُ عنهم أمرهم حين تذهب
حسامٌ مُعِزٌّ، أو يَراعُ مهذبٌ

حُسامُك من سقراطٍ في الخطبِ أخطبُ
وعزْمُك من (هومير) أمضى بديهةً
وإن يذكروا (إسكندرًا) وفتوحه
ومُلْكُك أرقى بالدليل حكمةً
ظهرت أميرَ المؤمنين على العدا
سلِ العصر، والأيام، والناس: هل نبا
هم مَلئوا الدنيا جهامًا، وراءه
فلما استللتَ السيفَ أخلَبَ برقُهم
أخذتَهُمْ، لا مالكين لحوضهم
ولم يتكلَّف قومك الأسدُ أهبةً
كذا الناس: بالأخلاق يبقى صلاحهم
ومن شرف الأوطان ألا يفوتها

هوامش

- (١) سقراط: خطيب اليونان وحكيمها المشهور.
- (٢) هومير: أكبر شعراء اليونان الأقدمين.
- (٣) المحجل: المضيء المشرق.
- (٤) نبا السيف عن الضربة: كلٌّ، وارتدَّ.
- (٥) الجهام: السحاب العظيم الذي لا ماء فيه. وهذى في الكلام: أكثر منه في خطأ.

الشوقيات

(٦) أخلب برقهم: بطل وعيدهم. وتخلّب، أي تخذّع.

معجزات الجنود على الحدود

لجيشك ممدودٌ، وفي الغرب مَضْرَبٌ^١
لها مَحْلَبٌ فيهم، وللموتِ مَحْلَبٌ
وإن غضبتُ فالشرُّ يقظانٌ مُغْضَبٌ
وأبعدُ من شمسِ النهارِ وأقربُ^٢
وتظهر في جدِّ القتالِ وتلعب
وتطلع فيهم من مكانٍ، وتغرب
وتُدْبِرُ علمًا بالوعى، وتُعْقَبُ^٣
وتأخذُ عفوًا كلَّ عالٍ، وتغْصِبُ^٤
فثيْبُهُنَّ البِكْرُ، والبِكْرُ ثيْبٌ^٥
سديدُ المرائي في الحروبِ، مُجْرَبٌ^٦
كما تدفعُ اللجَّ البحارُ وتَجْزِبُ^٧
فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضربُ^٨
كما يتلاقى العارضُ المتشعبُ^٩
كما دار يلقى عقربَ السَّيْرِ عقربُ^{١٠}
نواظرَ ما تأتي الليوثُ وتُغْرِبُ^{١١}
وتعجبُ بالقوادِ، والجنْدُ أعجبُ^{١٢}
ومُلْهِمها فيما تنال وتكسبُ^{١٣}
ولا الجيشُ إلا رَبُّه حين يُنسبُ

ملكْتَ سَبِيلِيهِمْ: ففي الشرقِ مَضْرِبٌ
ثمانون ألفًا أسدُ غابِ ضَرَاغِمٌ
إذا حَلَمْتَ فالشرُّ وسنانُ حالِمٌ
فَيَالِقُ أفسى في البلادِ من الضُّحَى
وتُصِحُّ تلقاهم، وتُمسي تصدُّهم
تلوح لهم في كلِّ أفقٍ، وتعتلي
وتُقدِّم إقدامَ الليوثِ، وتنتني
وتملكُ أطرافَ الشعابِ، وتلتقي
وتغشى أبياتِ المعازلِ والذُّرا
يقودُ سراياها، ويحمي لواءها
يجيءُ بها حينًا، ويرجعُ مرةً
ويرمي بها كالبحرِ من كلِّ جانبٍ
ويُنْفِذُها من كلِّ شعبٍ، فتلتقي
ويجعلُ ميقاتًا لها تَنْبِري له
فظلت عيونُ الحربِ حَيْرَى لما ترى
تبالغ بالرامي، وتزهو بما رمى
وتُثني على مُزجِي الجيوشِ (بيلدز)
وما الملكُ إلا الجيشُ شأنًا ومظهرًا

هوامش

- (١) مضرب: فسطاق عظيم.
- (٢) الفيلق: الجيش العظيم، والجمع فيالق.
- (٣) أدبر: ولى. وتعقب: أي تعود.
- (٤) الشعاب: جمع شعب، وهو الطريق في الجبل.
- (٥) الأبيات: جمع أبيّة، وهي التي لا ترضى الدنية كبراً. والمعقل: الملجأ. والذرا. الأمكنة المرتفعة. والثيب: نقيض البكر.
- (٦) السرايا: جمع سرية، وهي القطعة من الجيش. والمرائي: جمع مرأى، وهو المنظر.
- (٧) اللج: معظم الماء.
- (٨) الخميس: الجيش.
- (٩) ينفذها: يسيرها. والشعب: الطريق في الجبل. والعارض المتشعب: السحاب المتفرق.
- (١٠) انبرى له: اعترض.
- (١١) أغرب الرجل: أتى بشيء غريب.
- (١٢) زها: تاه وتكبر.
- (١٣) أزجى الجيش: ساقه.

زينب بني عثمان

تُحَذِّرُنِي مِنْ قَوْمِهَا التُّرْكِ زَيْنَبُ
وَتُكْثِرُ ذِكْرَ الْبَاسِلِينَ، وَتَنْثَنِي
وَتَسْحَبُ ذَيْلَ الْكِبْرِيَاءِ، وَهَكَذَا
وَزَيْنَبُ إِنْ تَاهَتْ وَإِنْ هِيَ فَاخَرَتْ
يُؤَلِّفُ إِيْلَامَ الْحَوَادِثِ بَيْنَنَا
نَمَا الْوُدُّ حَتَّى مَهَّدَ السَّبِيلَ لِلْهُوَى
وَدَانَى الْهُوَى مَا شَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وَتُعْجِمُ فِي وَصْفِ اللَّيْوِثِ وَتُعْرِبُ
بِعَزِّ عَلَى عَزِّ الْجَمَالِ، وَتُعْجِبُ
بِئْتِيهِ وَيَخْتَالُ الْقَوِيُّ الْمَغْلَبُ
فَمَا قَوْمُهَا إِلَّا الْعَشِيرُ الْمَحَبَّبُ^١
وَيَجْمَعُنَا فِي اللَّهِ دِينَ وَمَذْهَبُ
فَمَا فِي سَبِيلِ الْوَصْلِ مَا يُتَّصَعَّبُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَرْضُ، وَالْأَرْضُ تَقْرُبُ^٢

هوامش

(١) العشير: القبيلة.

(٢) دانى: قارب.

الحالة في بحر الروم

رُكِبَتْ إليها البحرَ، وهو مَصِيدَةٌ
تروح المنايا الرُّزْقُ فيه، وتُعْتَدِي
وتبدؤ عليه الفلكُ شَتَّى، كأنها
حواملُ أعلامِ القياصرِ، حُضِرَ
تُجَارِي حُطَاها الحادِثاتِ وتقتفي
ويوشكُ يجري الماءُ من تحتها دماً
فقلت: أأشراطُ القيامةِ ما أرى
أماناً أماناً لُجَّةَ الرُّومِ للورى
كأنني بأحداثِ الزمانِ مُلِمَّةٌ
فأزَعَجَ مَغْبُوطٌ، ورُوعَ آمِنٌ
فقلت: أطلتُ الهَمَّ، للخلقِ ملجأً
سَلامُ البرايا في كِلاءةِ فَرَقَدٍ
وإن أميرَ المؤمنينِ لوابِلٌ
رأى الفتنَةَ الكبرى، فوالى انهماله

تُمَدُّ بها سفنُ الحديدِ، وتُنصَبُ^١
وما هي إلا الموجُ يأتي، ويذهب
بُئُوزُ تراعيها على البعدِ أعقبُ^٢
عليها سلاطينُ البريَّةِ، غُيِبَ
وتطفو حواليتها الخطوبُ، وترسُبُ^٣
إذا جَمَعَتْ أثقالها تترقَّبُ
أم الحربُ أدنى من وريدٍ وأقربُ؟^٤
لو أن أماناً عند دأماءِ يُطَلَبُ^٥
وقد فاض منها حوضُك المتضربِ
وغالَ سلامَ العالمينِ التعصُّبِ
أبرُّ بهم من كلِّ برٍّ وأحدبُ^٦
(بيلدز) لا يغفو، ولا يتغيبُ^٧
من الغوثِ، مُنْهَلٌ على الخلقِ، صَيِّبُ^٨
فبادت، وكانت جمرَةً تتلهَّبُ^٩

هوامش

- (١) مَصِيدَةٌ ومصيدةٌ: بمعنى واحد، وهي ما يصاد به.
- (٢) بُئُوز: جمع باز. وأعقب: جمع عقاب، وكلاهما من جوارح الطير.
- (٣) اقتفى أثره: تبعه.

الشوقيات

- (٤) الأشراف: جمع شرط، وهو العلامة.
- (٥) لجة الروم: بحر الروم، والدأماء: البحر.
- (٦) أحذب: من الحذب، وهو التعطُّف.
- (٧) كلاءة: أي حفظ.
- (٨) الغوث: الإسعاف. والوايل: المطر الشديد. والصيب: السحاب.
- (٩) الانهمال: دوام الانسكاب.

منعة السواحل العثمانية

وقد تُركبُ الحاجاتُ ما ليس يُركبُ^١
إلى أفقٍ فيه الخليفةُ كوكبُ^٢
بناءُ العوالي المشمخُرُ المُطَنَّبُ^٣
على الماءِ، قد حاذاه صرْحُ مُثَقَّبٍ
لها في الجواري نظرةٌ لا تُحَيَّبُ
تكادُ ذراها في السحابِ تغَيَّبُ
أهذي ثغورُ الترك أم أنا أحسبُ؟
ومثلَ بناءِ التركِ لم يَبْنِ مغربِ
حوائرَ، ما يدرين ماذا تُخرَّبُ؟
أتاها حديدٌ ما يطيشُ، وأسربُ
وأيدي المنايا، والقضاءُ المُدرَّبُ
عَلَتْ مُصْعِدَاتِ، أنها لا تُصَوَّبُ^٤
وغانمها الناجي، فكيف المخَيَّبُ؟
وهل عاصِمٌ منهنَّ إلا التنكُّبُ؟^٥
إلى الرُّشدِ نارٌ تَمَّ لا تَتَذَبذبُ
ولا الغرْبُ في أسطوله مُتهَيَّبُ

فما زلتُ بالأهوالِ حتى اقتحمتُها
أخوض الليلي من عُبابٍ، ومن دُجَى
إلى مُلكِ عثمانَ الذي دونَ حوضه
فلاح يناعي النجمَ صرْحُ مُثَقَّبُ
بروَجُ أعارتها المَنونُ عيونها
رواسي ابتداعٍ في رواسي طبيعةٍ
فقمتُ أجيلُ الطَّرْفِ حيرانَ قائلًا:
فمثلَ بناءِ التركِ لم يَبْنِ مشرقُ
تَظَلُّ مَهولاتُ البوارجِ دونَهُ
إذا طاش بين الماءِ والصخرِ سهمها
يُسَدِّده عزريلُ في زِيِّ قاذِفِ
قذائفُ تخشى مُهَجَةَ الشمسِ كلَّما
إذا صُبَّ حاميتها على السفنِ انثنت
سلِ الرُّومِ: هل فيهنَّ للفلكِ حيلةٌ؟
تذبذبُ أسطولاهُمُ فدعتهُما
فلا الشرقُ في أسطوله مُتقي الحمى

هوامش

(١) اقتحم الهول: رمى نفسه فيه بشدة.

الشوقيات

- (٢) الدجى: الظلمة.
(٣) العوالي: الرماح. والمشمخر: العالي. والمطنب. المشدود بالأطناب.
(٤) الأسرب: الرصاص.
(٥) معناه: إذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس أن تخطئ هدفها وأن تستمر ساعة فتصيب مهجتها.
(٦) الضمير في «فيهن» و«منهن» راجع للقنابل. والتنكُّب: العدول والتجنُّب.

زينب المتطوعة في موقعة

هناك يحميه بنانٌ مَخْضَبٌ^١
من التركِ ضار، أم غزالٌ مُرَبِّبٌ؟^٢
أم النجمُ في الأرام، أم أنتِ زَيْنَبُ؟
بناتِ الضواري أن نَصولُ تَعَجُّبُ؟
كرائمُ منا بالقنا تتنقَّبُ
فإن لم يَكُنْ بعلٌ فنفسًا تُقَرَّبُ^٣
فوارسُ تَبْدُو تارةً، وتَحَجَّبُ
رواحضُ في سهلٍ كما انسابُ ثعلبُ^٤
لهم سَكَنٌ أَنَا، وَأَنَا تَهْيَبُ
فَصِفْنَا، فَأنتِ الباسلُ المتأدَّبُ
ولبى عليها القَسُورُ المترقَّبُ^٥
من الحربِ داعٍ للصلاةِ مُتَوِّبُ
له معقلٌ فوق المعازلِ أَغْلَبُ
أَن التحمت، والحربُ بَكْرٌ وتَغْلِبُ^٦
ولا شهدتِ يوماً مَعَدَّ وَيَعْرَبُ

وما راعني إلا لواءٌ مَخْضَبُ
فقلتُ: من الحامي؟ أليثُ غضنفرُ
أم الملكُ الغازي المجاهدُ قَدْ بَدَا
رُفِعَتِ بناتِ التركِ، قالت: وهل بنا
إذا ما الديار استرختِ بدرتُ لها
تَقَرَّبُ رباتُ البعولِ بعولها
ولاحتِ بأفاقِ العدوِّ سَرِيَّةُ
نواهضُ في حَزْنٍ كما تنهضُ القطا
قليلون من بُعِدٍ، كثيرون إن دنوا
فقلت: شهدتِ الحربُ أو أنتِ مَوْشِكُ
ونادت، فلبى الخيلُ من كل جانبٍ
خَفَافًا إلى الداعي، سِرَاعًا، كأنما
مُنِيفين من حول اللوآءِ، كأنهم
وما هي إلا دعوةٌ وإجابةٌ
فأبصرتُ ما لم تُبصرا من مَشَاهِدِ

هوامش

(١) اللواء المَخْضَبُ: هو الراية العثمانية الحمراء. ويحميه بنانٌ مَخْضَبُ: أي أنثى

مخضوبة البنان.

الشوقيات

(٢) ريب الصبي: ربّاه حتى أدرك.

(٣) البعل: الزوج.

(٤) الحزن: ما غلظ من الأرض.

(٥) القصور: الأسد، والمراد به فارس الترك.

(٦) بكر وتغلب: قبيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حدٍّ؛ فتشبيه المقاتلين بهما

جيد.

مضيق ملونا

إذا مال رأس، أو تضعض منكب
وما كان يستعصي على الترك مركب
مَضِيقُ كحلق الليث، أو هو أصعب
وكانوا فريقَ الله، ما ثمَّ مُذِيبٌ
دُخَانًا، به أشباحُهم تتجلبب^١
كما انهارَ طَوْدٌ، أو كما انهارَ مِذْنَبٌ^٢
بنارٍ كنيران البراكين تدأب
ويسفحُ منها السفحُ إذ تتصبب^٣
ويسكن أعجازَ الحصونِ المِذْنَبُ^٤
تبلِّجُ والنصرَ الهلالُ المحجَّبُ^٥
تناثر منها الجيش، أو كاد يذهب
وَقَلْبًا على حَرِّ الوغى يتقلَّبُ
شواخصٌ، ما إن تهتدي أين تذهب؟^٦
وإن نزلت، فالنارُ حمراءُ تلهب
تَطَوَّعَ حربًا، والزمانُ تَقَلَّبُ
وفتَحُ المعالي، والنهارُ المذهبُ
عن المُلِكِ والأوطانِ ما الحقُّ يُوجِبُ
وقبَلتُ سيفًا كان بالكفِّ يضربُ

جبالَ (ملونا)، لا تخوري وتجزعي
فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركبًا
عَلَوْا فوقَ علياءِ العدوِّ، ودونه
فكان صراطُ الحشر، ما ثمَّ ريبَةٌ
يَمْرُونَ مَرَّ البرقِ تحتَ دُجْنَةٍ
حَثِيثِينَ من فوقِ الجبالِ وتحتها
تُمِذُّهُمْ قُدَّافُهُمْ ورُمَاتُهُمْ
تُذَرِّي بها شَمُّ الذُّرَا حينَ تعتلي
تُسَمِّرُ في رأسِ القلاعِ كُرَاتُهَا
فلَمَّا دجى داجي العوانِ وأطبقت
ورَدَّتْ على أعقابها الرومُ، بعد ما
جناحين في شبه الشبَّاكَيْنِ من قنا
على قُللِ الأجبالِ حَيْرِي جموعُهُم
إذا سعدت، فالسيفُ أبيضُ خاطِفُ
تَطَوَّعَ أسرًا منهمُ ذلك الذي
وتمَّ لنا النصر المبين على العدا
فجئتُ فتاةَ التركِ أجزِي دِفاعَها
فقبَلتُ كَفًّا كان بالسيفِ ضاربًا

وقلتُ: أفي الدنيا لقومكِ غالبُ
 رويدًا بني عثمان في طلب العلا
 أفي كلِّ أن تغرسون، ونجتني
 وما زلتُم يسقيكم النصرُ خمره
 إلى أن أحلَّ السكرَ مَنْ لا يحلُّه
 وفي مثل هذا الحِجْر رُبُّوا وهذبوا؟
 وهيهات، لم يستبقَ شيءٌ فيطلب
 وفي كل يومٍ تفتحون، ونكتُب؟
 وتسقونه، والكلُّ نشوان مصابٌ^٧
 ومدَّ بساطَ الشَّربِ مَنْ ليس يشرب

هوامش

- (١) أي تحت ظلمة من الدخان تختفي بها أشباحهم.
- (٢) المذنب: مسيل الماء إلى الأرض، والمعنى: كما انقض جبل، أو انحط سيل.
- (٣) تذرَّى: من التذرية، وهي الإطارة والإثارة. والذرا: جمع ذروة وهي أعلى الشيء.
- والشمُّ: جمع شَمَاء، وهو الارتفاع. ويسفح: ينصب. والسفح: عرض الجبل المضطجع.
- (٤) المذنب: ذو الذنب من القنابل الكبيرة.
- (٥) العوان: الحرب الشديدة.
- (٦) القلة: أعلى الرأس.
- (٧) المصاب: من شرب حتى ارتوى.

الحاج عبد الأزل باشا

يسيرُ به في الشَّعبِ أَشْمَطُ أَشْيَبُ^١
قد اصطحبا، والحُرُّ للحُرِّ يَصْحَبُ
كما يتصَابَى نو ثمانينَ يطرب
وينفر هذا كالغزال، ويلعب
يُخْضَلُ من شيبهما ويُخْضَبُ
أَبْرُ جَوَادًا إن فعلتِ وأنجب
نموت كموتِ الغانياتِ ونعْطَبُ؟
إلى الموتِ أمشي، أم إلى الموتِ أركبُ؟
وأخذُلُه في وهنِه وأخيَّبُ؟^٢
يظلُّ بذكرانا ثراها يُطَيَّبُ
لها، مثلُ ما للناسِ، في الموتِ مَشْرَبُ^٣
كأنهما فيه مِثالُ مَنْصَبُ
وإن شَيَّدَ الأحياءُ فيها وطنَبوا^٤
وبالتَّبْر من غالي تَرَاهُم يُتْرَبُ^٥
ومن جليلها منبرٌ لي فأخطبُ؟
ومدخلها الأعصى الذي هو أعجبُ؟
بِوَإِخْ، تُلَوِي بالنجوم وتجدبُ؟^٦
أو العزمُ إلا عزمُهم والتلُّبُ؟^٨

وأشْمَطَ سَوَّاسِ الفوارسِ أَشْيَبُ
رَفِيقًا نَهاجٍ في الحروبِ وَجِيئَةٍ
إذا شهداها جَدًّا هِزَّةَ الصِّبا
فيهتَزُّ هذا كالحسام، وينثنِي
توالى رصاصُ المطلقينِ عليهما
فقليل: أُنلُّ أقدامَكَ الأرضِ، إنها
فقال: أيرضى واهبُ النصرِ أنا
ذروني وشأني والوعَى، لا مبالِيَا
أِيحْمَلِنِي عُمْرًا، ويحمي شبيبتِي
إذا نحن متنا فادفنونا ببِقعَةٍ
ولا تعجبوا أن تبسل الخيلُ، إنها
فماتا أمامَ اللهِ موتَ بسالَةٍ
وما شهداءُ الحربِ إلا عمادُها
مدادُ سِجْلِ النصرِ فيها دِماؤُهم
فهل من (ملونا) موقِفٌ وَمَسامِعُ
فأسألُ حِصْنِيها العجيبينِ في الوري
وأستشهد الأطوادَ شماءً، والذرا
هل البأسُ إلا بأْسُهم وثباتُهم؟

أو الدينُ إلا ما رأَت من جهادهم؟
 وأيُّ فضاءٍ في الوعى لم يُضَيِّقوا؟
 وهل قبلهم مَنْ عانقَ النارَ راغبًا
 وهل نال ما نالوا من الفخر حاضرٌ؟
 سلامًا (ملونا)، واحتفاظًا، وعصمةً
 وضنِّي بعظمٍ في ثراك مُعظَّمٍ
 أو المُلْكُ إلا ما أعزُّوا وهَيَّبوا؟
 وأيُّ مضيقٍ في الورى لم يُرحَّبوا؟
 ولو أنه عَبَّأُها المترهَّب؟
 وهل حُبِّي الخالون منه الذي حُبوا؟
 لمن بات في عالي الرضى يتقلب
 يُقَرِّبه الرَّحْمَنُ فيما يُقَرِّبُ

هوامش

(١) الأشمط: الذي يخالط بياض رأسه سواد، والمراد بالأول: الفارس وبالثاني:

فرسه.

(٢) الوهن: الضعف، والمعنى: ليس من الوفاء، ولا من حسن الجزاء أن يكون

نصيبه مني في شيبه الترك والخذلان، وقد كان نصيبي منه الصبر على الأهوال، والمعاناة على القتال.

(٣) تبسل: تشجع.

(٤) منصب: مرفوع.

(٥) طنن البيت: شدَّه بالأطناب، وهي الحبال.

(٦) السجل: كتاب العهد، أو الحكم. وتربَّ الكتابة: وضع عليها التراب لتجف.

(٧) السماء: المرتفعة. والبواخ: من بذخ الجبل أي طال. وألوى بثوبه أو يده: أشار

بها.

(٨) التلبُّب: من تلبب الرجل للحرب، أي تحزَّم وتشمَّر لها.

(٩) هيَّبه: صيَّره مهيبًا.

(١٠) حباه الشيء: أعطاه إياه.

هزيمة طرناو

وبالشَّعبِ فوضى في المذاهب يذهب
وضاق قضاءً بين ذاك مُرَحَّب
مساكنُ أهليها، وعمَّ التخرُّبُ^١
وإنَّ مُنادي التُّركِ يدنو ويقرب
وعلمه قُوَّاده كيف يهرب
مئِينَ وآلِفاً تَهِيْمُ وتسُرُّبُ^٢
بغيرِ يَدِ صِفْرٍ، وأخرى تَقلبُ
وبالسلبِ، لم يَمُدُّ بها فيه أَجَنبُ^٣
وَيُنْسَى هناك المُرْضَعُ الأُمُّ والأبُّ^٤
أرامِلَ تَبكي، أو ثواكلَ تَندبُ
وَمِنْ فارسٍ تمشي النساءُ، ويركَبُ^٥
وَمُزَجٍ أَثانًا بينَ عينيهِ يُنْهَبُ^٦
وتنجو الرواسي لو حَوَاهُنَّ مَشْعَبُ^٧
ويَقْضِمُ بعضُ الأَرْضِ بعضًا ويقْضِبُ^٨
وتذهب بالأبصارِ أَيَّانَ تذهبُ
وتنفذُ مرماها البعيدَ وتحجُبُ^٩
ولو وجدوا سُبُلًا إلى الجو نَكَّبُوا^{١٠}
ولا طارِدٌ يدعو لذاك ويوجبُ

و(طرناو) إذ طارَ الذهولُ بجيشها
عَشِيَّةً ضاقت أرضُها وسماؤها
خَلَّتْ من بني الجيشِ الحصونُ، وأقفرت
ونادى منادٍ للهزيمة في المَلا
فأعرضَ عن قُوَّاده الجندُ شاردًا
وطار الأهالي، نافرين إلى الفَلا
نَجَّوْا بالنفوسِ الذاهِلاتِ، وما نَجَّوْا
وطالت يَدُ للجمع في الجمعِ بالخنا
يسير على أشلاءِ والدهِ الفتى
وتمضي السرايا واطئأتِ بخيلها
فَمِنْ راجِلٍ تَهوي السَّنونُ برجله
وماضٍ بمالٍ قد مضى عنه وَالهُ
يكادون من دُعرٍ تفرُّ ديارهم
يكاد الثرى من تحتهم يَلْجُ الثرى
تكادُ خُطاهم تسبق البرقَ سرعةً
تكاد على أبصارهم تقطع المدى
تكاد تمسُّ الأرضَ مَسًّا نِعَالُهُم
هزيمة من لا هازمٌ يَسْتَحِثُّه

قعدنا، فلم يعدم فتى الروم فَيْلَقًا
ظفرنا به وجهًا، فظنَّ تعقُّبًا
فولَّى، وما ولَّى نظامُ جنوده
يسوق ويَحْدو للنجاةِ كتائبًا
منظمة من حوله، بَيْدَ أنها
مؤزرة بالرُّعب، ملدوغة به
ترى الخيل من كلِّ الجهاتِ تَحْيَلًا
فمن خلفها طورًا، وحينًا أمامها
فوارسُ في طولِ الجبالِ وعرضها
فمهما تهمُ يسنح لها ذو مُهنِدٍ
وتنزلُ عليها من سماءِ خيالها
رُؤى إن تكن حقًا يكنُ من ورائها

من الرعب يغزوه، وآخرَ يسلب
وماذا يزيد الظافرين التعقُّب؟
ويا شؤمَ جيشٍ للفرار يُرتَّب
له موكب منها، وللعار موكب
تودُّ لو انشقَّ الثرى فتُغيب
ففي كل ثوبٍ عقرب منه تَلْسِب^{١١}
فياخذ منها وهمُّها والتهيب
وأونةً من كلِّ أوبٍ تَأَلِب^{١٢}
إذا غابَ منهم مَقْنَبٌ لاح مَقْنَب^{١٣}
ويخرج لها من باطن الأرضِ مِحْرَب^{١٤}
صواعقُ فيهنَّ الردى المُتصَبِّب
ملائكةُ الله الذي ليس يُغلب^{١٥}

هوامش

- (١) بني: جمع بنية، بكسر الباء، وهي البنيان، والمراد بها هنا: القلاع والثكنات.
- (٢) تسرَّب: من سرب الرجل في الأرض، إذا ذهب على وجهه فيها ومضى.
- (٣) معناه: تعدَّى بعضهم على بعض بالفحش والسب. والأجنب: الأجنبي، والمراد: الترك.
- (٤) أشلاء: جمع شلو، وهي أعضاء الإنسان بعد الجلى والتفريق.
- (٥) الراجل: الماشي على رجليه. وتهوي السنون برجله: أي تزلُّ به القدم من ثقل وطأة الهرم.
- (٦) الوأل: اللجأ. مزج: من أزجاه، بمعنى ساقه ودفعه برفق. الأثاث: متاع البيت.
- (٧) الذعر: الخوف الشديد. والرواسي: الجبال. والمشعب: الطريق.
- (٨) يلج: يدخل. ويقضم ويقضب: يقطع.
- (٩) مدى البصر: منتهاه وغاياته. وتنفذ مرماها: تبلغه وتتجاوزها.
- (١٠) نكبوا: مالوا.
- (١١) أرزه: غطاه وقواه. وتلسب: أي تلدغ.
- (١٢) تألب: من التألبيب، وهو التجمُّع. والأرب: الناحية.

هزيمة طرناو

(١٣) أي يجسمها لهم الويل فيرونها كذلك. والمقنب: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(١٤) المحرب: الشجاع الشديد في الحرب.

(١٥) الرؤى: جمع رؤيا، وهي المنام.

التلاقي سهل فرسالا

على السهل لُدًا، يرقبون، ونرقب^١
وقام فتاهم ليله يتلعب
وهذا على أحلامه يتحسب^٢
غريز، وهذا ذو تجاريب قلب؟^٣
فكل سبيل بين ذلك معطب^٤
وتشمل أرواح القتال وتجنب^٥
قطيع بأقصى السهل، حيران، مذنب^٦
نواشز، فوضى، في دجى الليل شرب^٧
قطائع، تعطى الأمن طورًا، وتسلم^٨
جداول، يجريها الظلام، ويسكب^٩
كأن السرايا موجه المتضرب
هموم بها فاض الضمير المحجب
تراهن فيها ضحكًا وهي نحب^{١٠}
دراري ليل طلع فيه ثقب^{١١}
مجامر في الظلمة تهدا وتلهب^{١٢}
كأن بقايا النضح فيهن طحلب^{١٣}
كأن صداها الرعد للبرق يصحب
دوي رياح في الدجى تتذاب^{١٤}

و(فرسال) إذ باتوا وبتنا أعاديًا
وقام فتانا الليل يحمي لواءه
توسد هذا قائم السيف يتقي
وهل يستوي القرنان: هذا منعم
حمينا كلانا أرض (فرسال) والسما
ورحنا ينهب الشر فينا وفيهم
كأننا أسود رابضات، كأنهم
كأننا خيام الجيش في السهل أينق
كأن السرايا ساكنات موائجا
كأن القنا دون الخيام نوازلا
كأن الدجى بحر إلى النجم صاعد
كأن المنايا في ضمير ظلامه
كأن سهيل الخيل ناع مبشر
كأن وجوه الخيل غرًا وسيمه
كأن أنوف الخيل حري من الوغى
كأن صدور الخيل غدر على الدجى
كأن سنى الأبواق في الليل برقه
كأن نداء الجيش من كل جانب

كأن عيون الجيش من كل مذهب
 كأن الوغى نار، كأن جنودنا
 كأن الوغى نار، كأن الردى قرى
 كأن الوغى نار، كأن بني الوغى
 وثبنا يضيق السهل عن وثباتنا
 مشت في سراياهم، فحلت نظامها
 من السهل جنٌّ جَوْلٌ فيه جُوبٌ^{١٥}
 مجوسٌ إذا ما يَمَمُوا النارَ قَرَبُوا^{١٦}
 كأن وراء النار حاتمَ يَأْبِ^{١٧}
 فَرَأْسُ، له في ملمس النار مَأْرَبٌ
 وتقدُّمنا ناراً إلى الروم أَوْثَبٌ
 فلماً مشينا أدبرت، لا تُعَقَّبُ

هوامش

- (١) اللدُّ: جمع الألد، وهو الشديد الخصومة.
 (٢) يتحسب: يتوسد.
 (٣) القرن: النظير المقاوم. والغرير: العديم الخبرة. والقلب: المحتال البصير بتقلُّب الأمور.
 (٤) معطب: مهلك.
 (٥) تشمل: من شملت الريح، أي هبَّت شمالاً. وجنبت: هبَّت جنوباً.
 (٦) القطيع: الطائفة من الغنم. وأذاب القطيع: فزع من الذئب، فهو مذئب.
 (٧) الأينق: جمع ناقة. ونواشز: مرتفعة. وشرب: متفرقة.
 (٨) القطائع: جمع قطيعة، وهي هنا ما قُطِعَ من الجيش.
 (٩) القنا: جمع قناة، وهي الرمح.
 (١٠) نَحَّب: أي منتحبات باكيات.
 (١١) ثقب النجم: أضاء. والدراري: النجوم الثواقب.
 (١٢) المجامر: جمع مجمر، وهو ما يوضع فيه الجمر.
 (١٣) الغدر: جمع غدِير. والطلب: خضرة تعلق الماء المزمّن. والنضح: رشاش الماء.

- (١٤) تتذأب الريح: تجيء مرة كذا ومرة كذا.
 (١٥) عيون الجيش: أرساده وجواسيسه.
 (١٦) قربوا الله: قدَّموا له القربان.
 (١٧) القرى: ما قُرِيَ به الضيف، أي قدم له، وحاتم: هو حاتم الطائي المضروب به المثل في الجود.

غصب دوماقو

فيا قوم، حتى السهلُ في الحرب يصعبُ؟
مُعَشِّشِ نَسْرِ، أو بهذا يلقب
مَنون المَفاجي، والجِمامُ المرحَّب
فيُزجِي، وتَنزَمُ الرياحُ فيركب^١
على عَجَل، واستجمعتُ تترقب
وتغدو بما تغدي، وترمي وتنشب^٢
وأعيا على أوهامهم، فتريبوا^٣
بجيشٍ، وأن النجم يُغشى فيغضبُ^٤
وشهبُ المنايا، والرصاصُ المُصَوَّب
على النار، أو أنتم أشدُّ وأصلبُ^٥
ولا سُلَّمٌ إلا الحديدُ المذرب^٦
أو ارتفعت تلقى الفريسةَ أعقب^٧
ولم تحتضرُ شمسُ النهار فتغربُ
وبالغ فيكم آلُ عثمان مغرب
وردَّ جماحُ العصر، فالعصر هيب
وكنا بحكم الحادثاتِ نصوبُ
فليس إلى شيءٍ سوى العِزِّ يُنسب

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله
وحصن تسامى من (دموقو)، كأنه
أشمُّ على طُودِ أشمِّ، كلاهما
تكاد تقاد الغاديات لربِّه
حمته ليوثُ من حديدٍ ترگزت
تثور وتستأني، وتناى وتدنتأبي،
فظنَّ العالمونَ استحالةً
فما في القوى أن السمواتِ تُرتقى
سموتمُ إليه، والقنابلُ دونه
فكنتم يواقيتِ الحروبِ كرامةً
صعدتم، وما غيرُ القنا تمَّ مَصدُ
كما ازدحمتُ بيزان جَوِّ بمُورِدِ
فما زلتمُ حتى نزلتم بُروجَه
هنالك غالى في الأماديح مَشْرِقُ
وزيدَ حمى الإسلام عِزًّا ومَنعَةً
رفعنا إلى النجم الرءوس بنصركم
ومَن كان منسوبًا إلى دولةِ القنا

هوامش

- (١) الغاديات: جمع غادية، وهي السحابة تنشأ غدوة. ويزجي: يسوق. وتنزّم: تزمُّ بزمام.
- (٢) استأنى: انتظر. وأدنى: اقترب.
- (٣) تأبى: امتنع. وتريبوا: تخوّفوا.
- (٤) يغضب (على البناء للمجهول): يصاب بالغضاب، وهو القذى في العين.
- (٥) يقال: إن الياقوت لا يحترق بالنار.
- (٦) الحديد المذرب: المسموم، وذرب السيف: حدُّه
- (٧) البيزان: جمع باز. والأعقب: جمع عقاب، وهما من جوارح الطير.

أحلام اليونان

وأين الجواري، والدفاعُ المرَكَّب؟^١
وإين رجاءٌ في الأميرِ مُخَيَّب؟
وأين عصاباتُ لكم تتوثَّب؟^٢
واسندُ أهلِوها إليكم فأطنبوا؟
وأخرُ من فعلِ المحبِّين فأكذب
يدين لها الجنسان: تُرْكٌ وصَقْلَبُ^٣
تَنَصُّ على هامِ النجوم، وتُنصَبُ
ونصرُ «كريد»، والولا، والتحبُّب؟
وللجارِ إن أعيأ على الجارِ مَطلب؟
أهذا مطايا مَن إلى المجدِ يركب؟
على ذكرهم يأتي الزمانُ ويذهب؟
إلى خيرِ جارِ عنده الخيرُ يُطلبُ
ولو أنه شخصُ المنامِ المحبَّب
وأين من المَحْتالِ عنقاءُ مُغْرِب؟^٤
ولكن من الأشياءِ ما لا يجرَّب

فيا قوم، أين الجيشِ فيما زعمتُم؟
وأين أميرُ البأسِ والعزمِ والججى؟
وأين تُخومٌ تستبيحون دُوسَها؟
وأين الذي قالت لنا الصُحفُ عنكم
وما قد روى بَرَقٌ من القولِ كاذبُ
وما شَدُنْتُم من دولةِ عرضِها الثرى
لها علمٌ فوقِ الهلالِ، وسُدَّةُ
أهذا هو الذودِ الذي تدَّعونه
أهذا الذي للملِكِ والعِرضِ عنكم
أهذا سلاحُ الفتحِ، والنصرِ والعلا؟
أهذا الذي للذكرِ خَلَبٌ معشرُ
أسأتم، وكان السوءُ منكم إليكم
إلى ذي انتقامٍ، لا ينامُ غريمُه
شقيتم بها من حيلةٍ مستحيلةٍ
فلولا سيوفُ التركِ جرَّبَ غيرُكم

هوامش

(١) الجواري: السفن.

(٢) التخوم: الحدود.

الشوقيات

(٣) صقلب: الجنس السلافي.

(٤) تنصُّ: أي ترفع.

(٥) عنقاء مغرب: طائر من طيور الأساطير.

عفو القادر

دَعَتْ قَادِرًا، مَا زَالَ فِي الْعَفْوِ يَرْغَبُ
وَأَنْتَ عَلَى اسْتِقْلَالِهَا الْيَوْمَ تَضْرِبُ
فَمَا يَفْعَلُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ الْمَهْذَبُ؟
فَمَا يَفْعَلُ الْمَوْلَى الْكَرِيمُ الْمَهْذَبُ؟
وَلَيْسَ بِفَانٍ طَيْشُهُمْ، وَالتَّقَلُّبُ
فَقَدْ يَشْتَهِي الْمَوْتَ الْمَرِيضُ الْمَعَذَّبُ
فَمَنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ لَا يُخَيَّبُوا
إِلَى فِضْلِهِ مِنْ عَدْلِهِ الْجَارُ يَهْرَبُ
وَيَمْرَحُ فِي أَوْطَانِهِ الْمَتَغَرَّبُ

فَعَفْوًا — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — لِأُمَّةٍ
ضَرَبَتْ عَلَى أَمَالِهَا، وَمَالَهَا
إِذَا خَانَ عَبْدُ السُّوءِ مَوْلَاهُ مُعْتَقًا
وَلَا تَضْرِبَنَّ بِالرَّأْيِ مُنْحَلًّا مَلِكِهِمْ
لَقَدْ فَنِيَتْ أَرْزَاقُهُمْ، وَرَجَالُهُمْ
فَإِنْ يَجِدُوا لِلنَّفْسِ بِالْعَوْدِ رَاحَةً
وَإِنْ هُمْ بِالْعَفْوِ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُمْ
فَمَا زِلْتَ جَارَ الْبِرِّ، وَالسَيِّدَ الَّذِي
يُلَاقِي بَعِيدُ الْأَهْلِ عِنْدَكَ أَهْلُهُ

التماس القبول

فهل ليراعي أن يُعني فيُطرب
ومختلِفُ الأتغامِ للأنسِ أجنب^١
لفي لطفه ما لا ينال المُعرب^٢
جميعاً لسانٌ، يمليان، وأكتب
وأكسو القوافي ما يدوم فيقشب^٢
فكلُّ لسانٍ في مديحك طيب
فمُرُ ينفِثِ بابٌ من العذرِ أرحب
وما النيلُ إلا من رياضك يُحسب
وبغدادُ بغدادُ، ويثرب يثرب
أجاذِبُك الظلُّ الذي هو أخصب
إلى الله بالزلْفَى له نتقرب

أمولاي غنَّتكَ السيوفُ فأطربت
فعندي، كما عند الطُّبا، لك نَعْمَةٌ
أعربٌ ما تُنشِي عُلاك، وإنه
مدحتك والدنيا لسانٌ، وأهلها
أناول من شعر الخِلافَةِ ربِّها
وهل أنت إلا الشمسُ في كل أمة؟
فإن لم يلقُ شعري لبابك مدحةً
وإني لطيرُ النيل، لا طير غيره
إذا قلتُ شعراً فالقوافي حواضر
ولم أعدم الظلُّ الخصب، وإنما
فلا زلت كهف الدين، والهادي الذي

هوامش

(١) الطبا: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف أو السنان.

(٢) يقشب الشيء: يجعله جديداً.

انتصار الأتراك في الحرب والسياسة

يا خالدَ التُّركِ جدِّ خالدَ العَرَبِ^١
فالسيفُ في غمده، والحقُّ في النُّصَبِ^٢
وطيبَ أُمْنِيَّةٍ في الرأيِ لم تخبِ
وأنتَ أكرمُ في حَقْنِ الدِّمِ السَّرْبِ^٣
فيه القتالُ بلا شرع، ولا أدبِ
قناك من حُرْمَةِ الرَّهْبَانِ والصُّلْبِ
ولو سئلتَ بغيرِ النصرِ لم تُجِبْ^٤
وأذعنَ السيفُ مَطْوِيًّا على عَضْبِ
سيفِ قومِكَ لا ترتاحُ للقُرْبِ^٥
كلُّ المروءةِ في الإسلامِ والحسبِ
فهبَّ لهم هُدْنَةٌ من رأيِكَ الضَّرْبِ^٦
جاءتْ به الحربُ من حَيَّاتِها الرُّقْبِ^٧
ولا يضيِّقُ بَجْهَرِ المُحَنَّقِ الصَّخْبِ
إلا قضى وَطَرًا من ذلك الأَرَبِ
ومهدَّ السيفُ في «لوزان» للخُطْبِ
على الكتائبِ يُبْنَى المُلْكُ لا الكُتْبِ
الحقُّ عندهمُ معنَى من الغَلْبِ
عُودٌ من السُّمْرِ، أو عودٌ من القُضْبِ^٨

الله أكبر، كم في الفتح من عَجَبِ
صلحَ عزيزٌ على حربِ مُظَفَّرَةٍ
يا حُسنَ أُمْنِيَّةٍ في السيفِ ما كذبتِ
خُطاك في الحقِّ كانت كلُّها كَرَمًا
خَذوتَ حربَ (الصلاحِيِّين) في زَمَنِ
لم يأتِ سيفُكَ فحشاءً، ولا هتكتِ
سُئلتِ سلماً على نصر، فجدتِ بها
مَشِيئَةٌ قَبِلتَها الخيلُ عاتِبَةً
أتيتِ ما يشبهه التقوى وإن خُلقتِ
ولا أزيدُكَ بالإسلامِ مترفةً
مَنَحَتَهُمُ هُدْنَةٌ من سيفِكَ التُّمَسَّتِ
أتاهمُ منك في «لوزان» داهيةً
أصمُّ، يسمعُ سرَّ الكائدين له
لم تفتريقَ شهواتِ القومِ في أَرَبِ
تدرَّعتِ للقاءِ السُّلمِ «أنقرة»
فقل لبانٍ بقولِ رُكنِ مملكةِ
لا تلتَمِسِ غَلْبًا للحقِّ في أُمَّمِ
لا خيرَ في مَنبَرِ حتى يكون له

حتى يكونوا من الأخلاق في أهب^٩
 تساوت الأسدُ والدُّوبانُ في الرُتب
 من السلاح، وما ساقوا من العُصَب
 ككُنُتة النحل، أو كالقُنْفُذ الخشب^{١٠}
 كُتِبْنَ في صحف الأخلاق بالذهب
 كُدرن بالمن، أو أفسدن بالكذب
 ولست تعرفها باسم ولا لقب
 جمع الذبائح في اسم الله والقرب^{١١}
 ومطمع لقبيل ناهض أرب
 حتى انجلى ليلها عن صُبْجِه الشنب^{١٢}
 نورُ اليقين ظلامُ الشك والرَّيب
 كالسيف من سُلْم للعز، أو سبب
 عبر النجاة، فكانت صخرة العطب^{١٣}
 في العاصفات، ولم تُغلب على خُشب^{١٤}
 بحسن عاقبة من سوء مُنقلب
 من كيد حام، ومن تضليل مُنتدب
 طغت، فأغرقت الإغريق في اللهب^{١٥}
 كانت قيادتهم حمالة الحطب
 يا ضلُّ ساع بداعي الحين مُنجذب
 إلا مسالك فرعونية السرب
 وأشأم الرأي ما ألقاك في الكرب
 من لبدة الليث أو من غيله الأشب^{١٦}
 ومن تنزّه في الأجام لم يئوب
 كلا السرابين أظماهم، ولم يصب^{١٧}
 من الأمانني والأحلام مُختلب
 حزبين عند الحادث الحزب^{١٨}
 على الوهاد ولا رفق على الهضب^{١٩}

وما السلاحُ لقوم كلُّ عدتِهم
 لو كان في الناب دون الخلق منبّهة
 لم يُغن عن قادة اليونان ما حشدوا
 وتركهم «آسيا الصغرى» مُدججة
 للترك ساعات صبر يوم نكبتهم
 مغارم، وضحايا ما صرخن، ولا
 بالفعل والأثر المحمود تعرفها
 جُمعن في اثنين: من دين ومن وطن
 فيها حياة لشعب لم يمّت خلقاً
 لم يطعم الغمض جفن المسلمين لها
 كن الرجاء، وكن اليأس، ثم محا
 تلمس الترك أسباباً، فما وجدوا
 خاضوا العوان رجاءً أن تُبلغهم
 سفينة الله لم تقهر على دُسر
 قد آمن الله مجراها، وأبدلها
 واختار ربانها من أهلها، فنجت
 ما كان ماءً «سقارياً» سوى سقر
 لما انبرت نارها تبغيهم حطباً
 سعت بهم نحوك الأجال يومئذ
 مدوا الجسور، فحلّ الله ما عقدوا
 كرب تغشاهم من رأي ساستهم
 هم حسنوا للسواد البله مملكة
 وأنشئوا نزهة للجيش قاتلة
 ضلّ الأمير، كما ضلّ الوزير بهم
 تجاذبهم كما شاء بمختلف
 وكيف تلقى نجاحاً أمة ذهب
 زحفت زحف أتي غير ني شفق

يَحْمَلْنَ أَسَدَ الشَّرَى فِي الْبَيْضِ وَالْيَبِ ٢٠
وَالثَّلْجِ فِي قُلُلِ الْأَجْبَالِ لَمْ يَذُبْ
طَارُوا بِأَجْنَحَةِ شَتَى مِنَ الرَّعْبِ
قَنَاتُهُ، وَتَخَلَّى كُلُّ مُحْتَقِبٍ ٢١
تُدْعَى الْهَزِيمَةُ فِيهِ حُسْنٌ مُنْسَحَبٌ
هَبَطَتْ مِنْ صُعْدٍ أَمْ جِئَتْ مِنْ صَبَبٍ؟ ٢٢
فَلَمْ تَتَمَّ، وَكَانَتْ خَطَةَ الْهَرَبِ
قَرَّبَتْ مَا كَانَ مِنْهَا غَيْرَ مَقْتَرِبٍ
وَسَائِرِ الْخَيْلِ مِنْ لَحْمٍ وَمِنْ عَصَبٍ
وَتَقَطِعِ الْأَرْضَ مِنْ قُطْبٍ إِلَى قُطْبٍ؟
تَطْفِرُ، وَأَيُّ حِصُونِ الرُّومِ لَمْ تَشَبَّ؟ ٢٣
مَاءً سَوَاهَا، وَلَا حَلَّتْ عَلَى عُشْبٍ
تَوَارَثُوهُ أَبَا فِي الرُّوعِ بَعْدَ أَبٍ
فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، لَا فِي بَاحَةِ الرَّحَبِ ٢٤
مِنْ نَابِهِ الذِّكْرُ لَمْ يَسْمُكْ عَلَى الشُّهْبِ ٢٥
فَلَمْ يُكذِّبْ، وَلَمْ يَذْمَمْ، وَلَمْ يُرَبِّ
عَلَى الصَّعِيدِ، وَخَيْلَ اللَّهِ فِي السُّحْبِ
بَدْرِيَّةُ الْعُودِ، وَالِدِّيْبَاجِ، وَالْعَذْبِ ٢٦
مِنْ سَكْرَةِ النَّصْرِ، لَا مِنْ سَكْرَةِ النَّصَبِ
كَالْمِسْكَ مِنْ جِنَابِ (السَّكْبِ) مُنْسَكِبٍ ٢٧
مَشَى الْمَجَلَى إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْقِصْبِ

قَذَفْتَهُمْ بِالرِّيَاحِ الْهُوجِ مُسْرَجَةً
هَبَّتْ عَلَيْهِمْ، فَذَابُوا عَنْ مَعَاقِلِهِمْ
لَمَّا صَدَعَتْ جِنَاحِيهِمْ وَقَلْبَهُمْ
جَدَّ الْفِرَارُ، فَالْقَى كُلُّ مَعْتَقِلٍ
يَا حُسْنٌ مَا انْسَحَبُوا فِي مَنْطِقِ عَجَبٍ
لَمْ يَدْرِ قَائِدُهُمْ لَمَّا أَحَطَّتْ بِهِ
أَخَذَتْهُ وَهُوَ فِي تَدْبِيرِ خَطَّتِهِ
تِلْكَ الْفِرَاسِخُ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ
خَيْلُ الرُّسُولِ مِنَ الْفُولَانِ مَعْدِنُهَا
أَفِي لِيَالٍ تَجُوبُ الرَّاسِيَاتِ بِهَا
سَلِ الظَّلَامِ بِهَا: أَيُّ الْمَعَاقِلِ لَمْ
أَلْتِ لَيْثُنَ لَمْ تَرِدِ «أَزْمِيرَ» لَا نَزَلْتُ
وَالصَّبْرَ فِيهَا وَفِي فِرْسَانِهَا خُلُقٌ
كَمَا وُلِدْتُمْ عَلَى أَعْرَافِهَا وُلِدَتْ
حَتَّى طَلَعْتُمْ عَلَى «أَزْمِيرَ» فِي فَلَكِ
فِي مَوْكِبٍ وَقَفَ التَّارِيخُ يَعْرُضُهُ
يَوْمٌ «كَبْدَرٍ» فَخَيْلُ الْحَقِّ رَاقِصَةٌ
غُرٌّ، تَظَلُّلُهَا غِرَاءٌ، وَارْفَةُ
نَشْوَى مِنَ الظَّفَرِ الْعَالِي، مُرْتَحَةٌ
تَذَكَّرُ الْأَرْضَ مَا لَمْ تَنْسَ مِنْ زَيْدٍ
حَتَّى تَعَالَى أَذَانُ الْفَتْحِ، فَاتَّأَدَّتْ

بِأَيَّةِ الْفَتْحِ تَبْقَى آيَةُ الْحَقْبِ
إِلَّا التَّعَجُّبُ مِنْ أَصْحَابِكَ النَّجْبِ
كَاللَيْثِ عَضَّ عَلَى نَابِيهِ فِي النَّوْبِ
وَالكَاتِبِينَ بِأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلْبِ ٢٨
وَالْمُحَالَ بِمَسْتَعِصٍ عَلَى الطَّلْبِ

تَحِيَّةً - أَيُّهَا الْغَازِي - وَتَهْنِئَةً
وَقِيَّامًا مِنْ ثَنَاءٍ، لَا كِفَاءً لَهُ
الصَّابِرِينَ إِذَا حَلَّ الْبَلَاءُ بِهِمْ
وَالجَاعِلِينَ سِيوْفَ الْهِنْدِ أَلْسِنَهُمْ
لَا الصَّعْبُ عِنْدَهُمْ بِالصَّعْبِ مَرْكَبُهُ

بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَبِّ
أوتادُ مملكةٍ، آسادُ مُحترَبِ
من مُضْمَحَلِّ؟ وكم عمَّرت من خرب؟
وكم هزمت بهم من جَحْفَلِ لَجِبِ؟
في الهدم ما ليس في البنيان من صخب
ومن بقية قومٍ جئتُ بالعجب^{٢٩}
شعبًا وراءَ العوالي غيرَ مُنْشَعِبِ
تلفتَ البيتُ في الأستار والحجب
إن المنورة المسكية الترتب
بابَ الرسول، فمستت أشرف العتب
قضى الليالي لم ينعَم، ولم يَطِبِ
مهارجُ الفتح في المؤشية القشبِ
يهنئون (بني حمدان) في (حلب)
ومسلمو (مصر) والأقباطُ في طرب
وشيجة، وخواها الشرقُ في نسب^{٣٠}
إلى مكانك، أو ترمي بمختضب
يومٌ كيوم يهودٍ كان عن كَتَبِ

ولا المصائبُ إذ يرمي الرجالُ بها
قُوداً معركةً، ورأدُ مهلكةٍ
بلوتهم، فتحدت: كم شددت بهم
وكم تلمت بهم من معقلٍ أشبِ؟
وكم بنيت بهم مجداً فما نبسوا؟
من فلَّ جيشٍ، ومن أنقاض مملكةٍ
أخرجت للناس من ذلٍّ، ومن فشلٍ
لمَّا أتيت ببدرٍ من مطالعها
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكةً
ومستت الدارُ أزكى طيبها، وأتت
وأرجَ الفتح أرجاء الحجاز، وكم
وأزَّينت أمهات الشرق، واستبقت
هزت (دمشق) بني (أيوب)، فانتبهوا
ومسلمو (الهند) و(الهندوس) في جدلٍ
ممالكُ ضمَّها الإسلامُ في رحِمِ
من كل ضاحية ترمي بمكتحل
تقول: لولا الفتى التركي حلَّ بنا

هوامش

- (١) خالد الترك: يراد به الغازي مصطفى باشا كمال. وخالد العرب: هو خالد بن الوليد وله في الحروب الإسلامية صوت بعيد.
- (٢) النصب: جمع نصاب، وهو الأصل والمرجع.
- (٣) السرب: المسفوح.
- (٤) الضمير في «بها»: للسلم بالكسر والفتح مؤنثة، بمعنى الصلح والسلام.
- (٥) القرب: جمع قراب، وهو الغمد.
- (٦) الضرب: القاطع.
- (٧) الرقب: جمع رقيب، وهي الحية الخبيثة. والمقصود بالداهية: عصمت باشا مندوب الترك في مؤتمر «لوزان»، والمشهور عنه أن في سمعه ضعفاً، لا تصل إليه إلا الأصوات العالية.

- (٨) السمر: الرماح. والقضب: السيوف.
- (٩) أهب: جمع إهاب.
- (١٠) حينما ينكمش القنفذ ويتخشب يتسع ما بين شعراته من الانفراج بخلاف حالة الانبساط، فإن شعراته حينئذ تكون متضامة.
- (١١) القرب: جمع قرية، وهي ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى من أعمال البرّ والطاعة.
- (١٢) الشنب: الأبلج، من الشنب: وهو عذوبة الأسنان.
- (١٣) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. وعبر الوادي (بالفتح والكسر): شاطئه.
- (١٤) دسر: جمع دسار، وهو المسمار، أو الخيط من ليف تُشدُّ به ألواح السفينة.
- (١٥) الإغريق: اليونان.
- (١٦) اللبدة: شعر وبرة الليث، ويضرب بها المثل في المنعة، فيقال: أمنع من لبدة الأسد. والغيل: موضع الأسد. والأشب: الشائك المشتبك.
- (١٧) لم يصب: من الصوب، أي المطر.
- (١٨) الحزب: الشديد.
- (١٩) الآتي: السيل.
- (٢٠) الشرى: مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات. والبيض: الخوذ. واليلب: الدروع.
- (٢١) المحتقب: المدخر، ويقال: احتقب فلان الشيء، أي أدخره أو احتمله خلفه.
- (٢٢) الصبيب: ما انحدر من الأرض.
- (٢٣) تطفر: من الطفور وهو الوثوب في ارتفاع، والطفرة كذلك: الوثبة.
- (٢٤) الأعراف: جمع عرف، وهو شعر عنق الفرس.
- (٢٥) لم يسمك: لم يرفع.
- (٢٦) غرّاء وارفة: يصف العلم «اللواء». والعذب: خرق الألوية.
- (٢٧) السكب، فرس من أفراس النبي ﷺ.
- (٢٨) السلب: جمع سلب، وهو الطويل.
- (٢٩) الفل: واحد الفلول. وفلول السيف: كسور في حدّه.
- (٣٠) الرحم الوشيحة: المتصلة القرابة.

بعد المنفى^١

أنادي الرسمَ لو ملك الجوابا
وقلَّ لحقَّه العبراتُ تجري
سبقنَ مُقبَلاتِ التُّربِ عني
فنثري الدمعَ في الدَّمَنِ البوالي
وقفتُ بها كما شاءتِ وشاءوا
لها حَقٌّ، وللأحبابِ حَقٌّ
ومَنْ شكرَ المناجِمَ مُحسناتِ
وبين جوانحي وافٍ، أَلُوفُ
رأى مَيَلَ الزمانِ بها، فكانتِ

وأجزيه بدمعي لو أتابا^١
وإن كانت سوادَ القلبِ نابا
وأدينَ التحيةَ والخطابا
كنظمي في كواعبها الشُّبابا^٢
وقوفاً عَلَّمَ الصبرَ الذُّهابا
رشفتُ وصالهم فيها حبابا^٣
إذا التبرُّ انجلى، شكر الترابا
إذا لمح الديارَ مضى، وثابا
على الأيامِ صحبته عتابا

* * *

وداعاً أرضَ أندلسٍ، وهذا
وما أثنيتُ إلا بعد علمٍ
ثنائي إن رَضيتَ به ثوابا
وكم من جاهلٍ أثنى فعابا

^١ كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكراً لها وعرفاناً بجميلها، ثم انتقل إلى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة، وعرَّج على مسألة التموين التي كانت حينئذٍ شغل البلاد الشاغل، وقد أنشدت هذه القصيدة في اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠).

الشوقيات

تَخَذْتُكَ مَوْئِلًا، فَحَلَلْتُ أُنْدَى
 مُغْرَبٌ آدَمُ مِنْ دَارِ عَدْنِ
 شَكَرْتُ الْفَلَكَ يَوْمَ خَوَيْتِ رَحْلِي
 فَأَنْتِ أَرْحَتْنِي مِنْ كُلِّ أَنْفِ
 وَمَنْظَرِ كُلِّ خَوَانٍ، يِرَانِي
 وَلَيْسَ بَعَامِرِ بَنِيَانُ قَوْمِ
 ذَرًا مِنْ وَائِلٍ، وَأَعَزُّ غَابَاةٍ
 قَضَاهَا فِي حِمَاكِ لِي اغْتِرَابَا^٥
 فِيَا لِمُفَارِقِ شَكْرِ الْغُرَابَا!!
 كَأَنْفِ الْمَيْتِ فِي النَّزْعِ انْتِصَابَا
 بِوَجْهِ كَالْبَغْيِ رَمَى النَّقَابَا
 إِذْ أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خِرَابَا

أَحَقُّ كُنْتِ لِلزَّهْرَاءِ سَاحًا
 وَلَمْ تَكِ (جَوْزُ) أَبْهَى مِنْكِ وَرَدَا
 وَأَنْ الْمَجْدَ فِي الدُّنْيَا رَحِيْقُ
 أَوْلَيْتُكَ أُمَّةً ضَرَبُوا الْمَعَالِي
 جَرَى كَدْرًا لَهُمْ صَفْوُ اللَّيَالِي
 مُشِيْبَةً الْقُرُونِ أُدَيْلَ مِنْهَا
 مُعَلَّقَةً تَنْظُرُ صَوْلَجَانَا
 تُعَدُّ بِهَا عَلَى الْأُمَمِ اللَّيَالِي
 وَكُنْتِ لِسَاكِنِ (الزَّاهِي) رَحَابَا؟
 وَلَمْ تَكُ بَابِلُ أَشْهَى شَرَابَا؟
 إِذَا طَالَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ طَابَا؟
 بِمَشْرِقِهَا وَمَغْرِبِهَا قِبَابَا
 وَغَايَةُ كُلِّ صَفْوٍ أَنْ يُشَابَا
 أَلَمْ تَرَ قَرْنَهَا فِي الْجَوْ شَابَا؟^٦
 يَخْرُ عَنْ السَّمَاءِ بِهَا لِعَابَا
 وَمَا تَدْرِي السَّنِينَ وَلَا الْحِسَابَا

وَيَا وَطَنِي، لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسِ
 وَكُلُّ مَسَافِرٍ سَيَتُوبُ يَوْمًا
 وَلَوْ أَنِّي دُعَيْتُ لَكُنْتِ دِينِي
 أَدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي
 وَقَدْ سَبَقَتْ رِكَائِبِي الْقَوَافِي
 تَجُوبُ الدَّهْرَ نَحْوِكَ، وَالْفِيَا فِي
 وَتَهْدِيكَ الثَّنَاءَ الْحَرَّ تَاجَا
 كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا
 إِذَا رَزَقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَا
 عَلَيْهِ أَقَابِلَ الْحَتَمِ الْمُجَابَا^٧
 إِذَا فَهَتِ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا
 مُقْلَدَةً أَرَمَّتْهَا، طَرَابَا
 وَتَقْتَحُمُ اللَّيَالِي، لَا الْعُبَابَا
 عَلَى تَاجِيكَ مُؤْتَلَقًا عُجَابَا

هَدَانَا ضَوْءُ تَغْرِكَ مِنْ ثَلَاثِ
 كَمَا تَهْدِي (الْمَنْوَرَةَ) الرِّكَابَا

كنار (الطُّور) جَلَّتِ الشُّعَابَا^٨
 فكانت من ثراكِ الطُّهْرِ قَابَا
 به أضحى الزمانُ إليَّ ثابَا
 كَسَوْا عَظْفِيَّ من فخرِ ثيابَا
 أَحَبَّكَ كُلُّ من تَلَقَى، وهابَا
 بلغتَ على أَكْفِهِمُ السحابَا
 كأنَ على أَسْرَتِهِ شهابَا
 ونورَ العلمِ، والكرمِ اللَّبابَا^٩
 مُحِيًا مِصرَ رَائِعَةً كَعابَا^{١٠}
 ولكنَ مَنْ أَحَبَّ الشَّيْءَ حابِي
 مُلَبِّي حينَ يُرْفَعُ، مُستجابَا
 يَخَفُّ عن كِنانَتِهِ العذابَا
 يكادُ يُعِيدُهَا سَبْعًا صِعبَا؟
 ويُحَسِّنُ حِسْبَةً، ويرى صوابَا؟^{١١}
 أنيلاً سَقَّتْ فيهِم، أم سَرابَا؟
 بها ملكوا المرافِقَ والرقابَا
 مُحَجَّرَةً، وأكبادًا صِلابَا
 ومن أكلَ الفقيرَ فلا عقابَا؟
 أشدُّ من الزمانِ عليه نابَا
 يِنازِعُهُ الحِشاشَةُ والإهابَا^{١٢}
 ولستَ تَحِسُّ للبرِّ انتدابَا
 زكاةَ المالِ ليستَ فيه بابَا؟
 فدعهمُ، واسمعِ الغرثي السِغابَا^{١٣}
 كما تصفُ المَعْدَّةُ المِصابَا
 ولا كِتجارةَ السوءِ اكتسابَا
 إذا جَرَعَتْها انتشرتْ ذُئابَا
 ولم يَحْمِلْ إلى قومِ كتابَا

وقد غَشِيَ المنارُ البحرَ نورًا
 وقيل: التُّغْرُ، فاتَّأدتُ، فأزُست
 فصفحًا للزمانِ لصبحِ يومِ
 وحيًا لله فِتيانًا سَماحًا
 ملائكةَ إذا حَفُّوكَ يومًا
 وإن حملتَكَ أيديهم بحورًا
 تَلَقَّونِي بكلِّ أغرِّ زاهِ
 ترى الإيمانَ مؤتلقًا عليه
 وتلمحُ من وضاءَةِ صفحتَيْهِ
 وما أدبي لما أَسَدُوهُ أهلُّ
 شبابِ النيلِ، إن لكم لصوتًا
 فهُزُّوا (العرشَ) بالدعواتِ حتى
 أمِنَ حربِ البسوسِ، إلا غِلاءِ
 وهل في القومِ يوسفُ يتَّقِيها
 عبادكُ - رَبِّ - قد جاعوا بمِصرِ
 حنانكُ، واهدِ للحسنَى تجارًا
 ورقِّقْ للفقيرِ بها قلوبًا
 أمِنَ أكلَ اليتيمِ له عقابُ
 أُصِيبَ من التجارِ بكلِّ ضارِ
 يكادُ إذا غَدَاهُ، أو كسَاهُ
 وتسمعُ رحمةً في كلِّ نادِ
 أكلُ في كتابِ الله إلاَّ
 إذا ما الطامعونَ شَكُّوا وضجُّوا
 فما يكونُ من نُكُلِ، ولكنِ
 ولم أرَ مثلَ سوقِ الخيرِ كُسْبًا
 ولا كأولئكِ البؤساءِ شاءَ
 ولولا البرُّ لم يُبعثْ رسولُ

هوامش

- (١) الرسم: ما كان بالأرض من آثار الدار.
- (٢) الدَّمَن: آثار الديار. والكواعب من الجواري ناهدات الثدي، والمراد بها هنا: الديار قبل أن تستحيل إلى دمن.
- (٣) رشف الماء: مصَّه بشفتيه. والحباب الحبيب.
- (٤) وائل: طلب النجدة. والموئل: الملجأ. ووائل: جبل، وسُمِّيت به قبيلة من العرب.
- (٥) إن الله الذي أخرج آدم من الجنة ليجعل الأرض منفاه، قد قضى عليَّ أن يكون منفائي في جنة من حماك، وهذه مبالغة من الشاعر في تكريم هذه البلاد التي آوته وهو غريب.
- (٦) أدال الله فلاناً من فلان: نزع الدولة من الثاني وحولها إلى الأول، والكلام على الشمس.
- (٧) دُعيت إلى الموت: نوديت. والحتم المجاب: هو الموت.
- (٨) جلل الشيء: غطاه.
- (٩) اللباب: الخالص.
- (١٠) الوضاعة: الحسن والنظافة.
- (١١) الحسبة: الحساب.
- (١٢) الحشاشة: بقية الروح في المريض.
- (١٣) الغرثى: جمع غرثان، وهو الجائع. والسغاب: جمع ساغب، وهو الجائع أيضاً.

ذكري المولد

لعلّ على الجمال له عتاباً
فهل ترك الجمال له صواباً؟
تولّى الدمع عن قلبي الجواباً
هما الواهي الذي ثكّل الشباباً^١
وصفّق في الضلوع، فقلت: ثاباً^٢
لما حملت كما حمل العذابا
وكان الوصل من قصر حباباً^٣
من اللذات مختلف شرابا
وإن طال الزمان به وطابا
إذا عادته ذكري الأهل نابا
كمن فقد الأجيّة والصحابا
تبدل كلّ أونة إهابا
وأترع في ظلال السلم ناباً
وتفنيهم، وما برحت كعاباً^٤
لبست بها فأبليت الثيابا
ولي ضحك اللبيب إذا تغابى^٥
وذقت بكأسها شهداً، وصابا
ولم أر دون باب الله بابا

سلّوا قلبي غداة سلا وثابا
ويُسأل في الحوادث نو صواباً
وكنّت إذا سألت القلب يوماً
ولي بين الضلوع دمّ ولحمّ
تسرّب في الدموع فقلت: ولّى
ولو خلقت قلوب من حديد
وأحاب سقيت بهم سلاًفاً
ونادّمنا الشباب على بساط
وكلّ بساط عيش سوف يطوى
كأن القلب بعدهم غريب
ولا يُنبئك عن خلق الليالي
أخا الدنيا، أرى دنياك أفعى
وأن الرقّط أيقظ هاجعات
ومن عجب تُشيب عاشقيها
فمن يغترّ بالدنيا فإني
لها ضحك القيان إلى غبي
جنيّت بروضها ورداً، وشوكاً
فلم أر غير حكم الله حكماً

ولا عَظَّمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا
 وَلَا كَرَّمْتُ إِلَّا وَجَهَ حُرٍّ
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً
 فَلَا تَقْتُلُكَ شَهْوَتُهُ، وَزِنْهَا
 وَخُذْ لِبَنِيكَ وَالْأَيَّامِ نَخْرًا
 فَلَوْ طَالَعَتْ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي
 وَأَنْ النَّبْرَ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
 وَأَنْ الشَّرَّ يَصْدَعُ فَاعْلِيهِ
 فَرِفْقًا بِالْبَنِينَ إِذَا اللَّيَالِي
 وَلَمْ يَتَقَلَّدُوا شَكَرَ الْيَتَامَى
 عَجِبْتُ لِمَعَشِرٍ صَلُّوا وَصَامُوا
 وَتُلْفِيهِمْ حِيَالَ الْمَالِ صُمًّا
 لَقَدْ كَتَمُوا نَصِيبَ اللَّهِ مِنْهُ
 وَمَنْ يَعْدِلْ بِحَبِّ اللَّهِ شَيْئًا
 أَرَادَ اللَّهُ بِالْفُقَرَاءِ بَرًّا
 فَرُبُّ صَغِيرٍ قَوْمٍ عِلْمُوهُ
 وَكَانَ لِقَوْمِهِ نَفْعًا وَفَخْرًا
 فَعَلِمَ مَا اسْتَطَعْتَ، لَعَلَّ جَيْلًا
 وَلَا تُرْهَقُ شَبَابَ الْحَيِّ يَأْسًا
 يَرِيدُ الْخَالِقُ الرِّزْقَ اشْتِرَاكًا
 فَمَا حَرَمَ الْمُجِدِّ جَنَى يَدِيهِ
 وَلَوْلَا الْبَخْلُ لَمْ يَهْلِكْ فَرِيْقُ
 تَعَبْتُ بِأَهْلِهِ لَوْمًا، وَقَبْلِي
 وَلَوْ أَنِّي خَطَبْتُ عَلَى جَمَادٍ
 أَلَمْ تَرِ لِلْهَوَاءِ جَرَى فَأَفْضَى
 وَأَنْ الشَّمْسُ فِي الْأَفْئَاقِ تَغْشَى
 وَأَنْ الْمَاءَ تَرْوِي الْأَسْدُ مِنْهُ

صَحِيحَ الْعِلْمِ، وَالْأَدَبَ اللَّبَابَا^٧
 يُقَلِّدُ قَوْمَهُ الْمِنْنَ الرَّغَابَا^٨
 وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا
 كَمَا تَزُنُّ الطَّعَامُ أَوْ الشَّرَابَا
 وَأَعْطَى اللَّهُ حِصَّتَهُ احْتِسَابَا^٩
 وَجَدْتَ الْفَقْرَ أَقْرَبَهَا انْتِيَابَا^{١٠}
 وَأَبْقَى بَعْدَ صَاحِبِهِ ثَوَابَا
 وَلَمْ أَرْ خَيْرًا بِالشَّرِّ أَبَا
 عَلَى الْأَعْقَابِ أَوْقَعَتِ الْعَقَابَا
 وَلَا أَدْرَعُوا الدَّعَاءَ الْمَسْتَجَابَا^{١١}
 عَوَاهِرَ، خَشِيَةً وَتُقَى كِذَابَا^{١٢}
 إِذَا دَاعَى الزَّكَاةَ بِهِمْ أَهَابَا^{١٣}
 كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحْصِ النَّصَابَا
 كَحَبِّ الْمَالِ، ضَلَّ هَوَى وَخَابَا
 وَبِالْأَيْتَامِ حُبًّا وَارْتِبَابَا^{١٤}
 سَمًا وَحَمَى الْمُسُومَةَ الْعِرَابَا^{١٥}
 وَلَوْ تَرَكَوهُ كَانَ أَدَى وَعَابَا^{١٦}
 سِيَّاتِي يُحَدِّثُ الْعَجَبَ الْعُجَابَا
 فَإِنَّ الْيَأْسَ يَخْتَرِمُ الشَّبَابَا^{١٧}
 وَإِنْ يَكُ خَصَّ أَقْوَامًا وَحَابَا^{١٨}
 وَلَا نِسَى الشَّقِيَّ، وَلَا الْمُصَابَا^{١٩}
 عَلَى الْأَقْدَارِ تَلْقَاهُمْ غِضَابَا
 دُعَاةَ الْبِرِّ قَدْ سَتَمُوا الْخَطَابَا
 فَجَرَّتْ بِهِ الْيَنْابِيعَ الْعِذَابَا
 إِلَى الْأَكْوَاخِ، وَاخْتَرَقَ الْقَبَابَا؟^{٢٠}
 جَمِي كَسْرَى، كَمَا تَغْشَى الْيَبَابَا؟^{٢١}
 وَيَشْفِي مَنْ تَلْعَلُّعِهَا الْكَلَابَا؟^{٢٢}

وَسَوَّى اللّٰهَ بَيْنَكُمْ الْمَنَآيَا
وَأَرْسَلَ عَائِلًا مِنْكُمْ يَتِيمًا
نَبِيًّا الْبُرِّ، بَيِّنَةً سَبِيلًا
تَفَرَّقَ بَعْدَ عَيْسَى النَّاسُ فِيهِ
وَشَافِيَ النَّفْسَ مِنْ نَزَعَاتِ شَرٍّ^{٢٣}
وَكَانَ بَيَانُهُ لِلْهَدْيِ سُبُلًا
وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجِيدِ، حَتَّى
وَمَا نِيلَ الْمَطَالِبَ بِالْتَمَنِّي
وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ

وَوَسَّدَكُمْ مَعَ الرِّسْلِ التُّرَابَا^{٢٣}
دَنَا مِنْ نَبِيِّ الْجَلَالِ فَكَانَ قَابَا^{٢٤}
وَسَنَّ خِلَالَهُ، وَهَدَى الشَّعَابَا^{٢٥}
فَلَمَّا جَاءَ كَانَ لَهُمْ مَتَابَا^{٢٦}
كَشَافٍ مِنْ طِبَائِعِهَا الذَّنَابَا^{٢٧}
وَكَانَتْ حَايِلُهُ لِلْحَقِّ غَابَا
أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا
وَلَكِنْ تَوَخَّذُوا الدُّنْيَا غِلَابَا^{٢٨}
إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا

* * *

تَجَلَّى مَوْلِدَ الْهَادِي، وَعَمَّتْ
وَأَسَدَتْ لِلْبَرِيَّةِ بِنْتُ وَهْبٍ
لَقَدْ وَضَعْتَهُ وَهَاجًا، مَنِيرًا
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نَوْرًا
وَضَاعَتْ يَثْرِبُ الْفِيحَاءُ مَسْكًَا
أَبَا الزَّهْرَاءِ، قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي
فَمَا عَرَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانٍ
مَدَحَتْ الْمَالِكِينَ، فَزِدْتُ قَدْرًا
سَأَلْتُ اللّٰهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي
وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حَسَنٌ
كَأَنَّ النَّحْسَ حِينَ جَرَى عَلَيْهِمْ
وَلَوْ حَفِظُوا سَبِيلَكَ كَانَ نَوْرًا
بَنِيَتْ لَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ رَكْنًا
وَكَانَ جَنَابُهُمْ فِيهَا مَهْيَبًا
فَلَوْلَاهَا لَسَاوَى اللَّيْثُ ذَنْبًا
فَإِنَّ قُرْنَتْ مَكَارِمُهَا بِعِلْمٍ
وَفِي هَذَا الزَّمَانِ مَسِيحٌ عِلْمٌ

بَشَائِرُهُ الْبُودَايَ وَالْقِصَابَا^{٢٩}
يَدَا بِيضَاءَ، طَوَّقَتْ الرِّقَابَا^{٣٠}
كَمَا تَلْدُ السَّمَاوَاتُ الشَّهَابَا^{٣١}
يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ وَالنَّقَابَا^{٣٢}
وَفَاحَ الْقَاعَ أَرْجَاءَ وَطَابَا^{٣٣}
بِمَدْحِكَ، بَيِّدُ أَنْ لِي انْتِسَابَا
إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
فَحِينَ مَدَحْتَكَ أَقْتَدْتُ السَّحَابَا
فَإِنَّ تَكُنَ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا
أَطَارَ بِكُلِّ مَمْلَكَةٍ غُرَابَا
وَكَانَ مِنَ النَّحُوسِ لَهُمْ حَجَابَا
فَخَانُوا الرِّكْنَ، فَانْهَدَمَ اضْطِرَابَا
وَلَأَخْلَاقٌ أَجْدَرُ أَنْ تُهَابَا
وَسَاوَى الصَّارِمُ الْمَاضِي قِرَابَا^{٣٤}
تَذَلَّلْتَ الْعَلَا بِهِمَا صَعَابَا
يَرُدُّ عَلَى بَنِي الْأُمَمِ الشَّيَابَا

هوامش

- (١) الواهي: الضعيف. وثكل الشباب: فقده. والمقصود بالدم واللحم هنا القلب.
- (٢) ثاب: رجع بعد زهاب.
- (٣) السلاف: خالص الخمر. وحابب الماء: نفاخاته التي تعلوه.
- (٤) الرقطة: جمع رقطاء، وهي الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض. وأترع: أسرع إلى الشرّ.
- (٥) الكعاب: الجارية: الجارية الناهد.
- (٦) القيان: جمع قينة، وهي الأمة المغنية.
- (٧) اللباب: المختار الخالص.
- (٨) الأرض الرغاب: التي لا تسيل إلا من مطر كثير.
- (٩) احتسب عند الله أمرًا: قدّمه.
- (١٠) انتابه: أتاه مرّة بعد أخرى.
- (١١) أدرع: ليس الدرع.
- (١٢) الكذاب: الكذب.
- (١٣) أهاب به: دعاه.
- (١٤) ارتبب الصبي ارتبابًا: ربّاه حتى أدرك.
- (١٥) الخيل المسومة: المرعية. والخيل العراب: الكرائم.
- (١٦) العاب: العيب.
- (١٧) أرهقة طغيانًا: أغشاه إيّاه. ويخترم الشباب: يستأصله.
- (١٨) حاباه: اختصّه ومال إليه.
- (١٩) الجنى: ما نجني من الشجر.
- (٢٠) أفضى: بلغ.
- (٢١) اليباب: القفر.
- (٢٢) تلعلع الكلب: دلح لسانه عطشًا.
- (٢٣) سوى: جعلكم فيها سواءً.
- (٢٤) عائلًا: فقيرًا. وقاب القوس: ما بين المقبض والسيّة، والمراد أنه كان قريبًا.
- (٢٥) الشعاب: الطرق.
- (٢٦) الضمير في «فيه» يعود على البر.

ذكرى المولد

- (٢٧) النزغات: الوسوس.
(٢٨) غلابًا: قهراً.
(٢٩) القصابا: جمع قصبه، وهي المدينة.
(٣٠) بنت وهب: السيدة آمنه، أمه ﷺ.
(٣١) الشهاب: الكوكب.
(٣٢) نقاب: جمع نقب، وهو الطريق في الجبل.
(٣٣) ضاع المسك: تحرك فانتشرت رائحته.
(٣٤) الصارم: السيف. والقراب: الغمد.

مشروع ملنر^١

إثْنِ عَنَانَ الْقَلْبِ، وَأَسْلَمَ بِهِ
وَمِنْ تَثْنِي الْغَيْدِ عَنْ بَانِهِ
ظِبَاؤُهُ الْمُنْكَسِرَاتُ الظُّبَا
بِيضٌ، رِقَاقُ الْحَسَنِ فِي لَمْحَةٍ
ذَوَابِلُ النَّرْجِسِ فِي أَصْلِهِ
زَنْ عَلَى الْأَرْضِ سَمَاءُ الدُّجَى
يَمْشِينَ أُسْرَابًا، عَلَى هَيْئَةٍ
مِنْ كُلِّ وَسْطَانٍ بَغِيرِ الْكُرَى
جَفْنٌ تَلْقَى مَلَكَا بَابِلٍ
يَا ظَبِيَّةَ الرَّمْلِ، وَقِيَّتِ الْهُوَى
وَلَا ذَرْفَتِ الدَّمْعَ يَوْمًا، وَإِنْ
مِنْ رَبْرَبِ الرَّمْلِ، وَمِنْ سِرْبِهِ^١
مُرْتَجَّةَ الْأُرْدَافِ عَنْ كُتْبِهِ^٢
يَغْلِبَنَّ ذَا اللَّبِّ عَلَى لُبِّهِ^٣
مِنْ نَاعِمِ الدَّرِّ، وَمِنْ رَطْبِهِ
يَوَانِعُ الْوَرْدِ عَلَى قُضْبِهِ
وَزْدَنْ فِي الْحَسَنِ عَلَى شَهْبِهِ
مَشَى الْقَطَا الْأَمْنِ فِي سِرْبِهِ^٤
تَنْتَبَهُ الْأَجَالُ مِنْ هُدْبِهِ
غَرَائِبَ السَّحْرِ عَلَى غَرْبِهِ^٥
وَإِنْ سَعَتْ عَيْنَاكَ فِي جَلْبِهِ
أَسْرَفَتْ فِي الدَّمْعِ، وَفِي سَكْبِهِ

^١ في سنة ١٩١٩ ثارت البلاد في طلب استقلالها، وسافر الوفد المصري لعرض قضية البلاد في مؤتمر السلام في «فرساي»، وتلقى هناك دعوة من لورد «ملنر» وزير المستعمرات الإنكليزية إذ ذاك؛ ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة إنكلترا بها، فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قَدَّمَهُ لورد ملنر، واتفق مع الوفد على عرضه على البلاط لأخذ رأيهما فيه مع التزام الحيدة؛ فانتدب الوفد أربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة، وقد كانت الأفكار يومئذ متجهة إلى ان المشروع يصلح أساسًا للمفاوضة ببعض تعديلات.

مُلْقَى الصَّبَا، أَعَزَلَ مِنْ غُرْبِهِ ٦
 بِشَادِنٍ لَا بُرءَ مِنْ حُبِّهِ ٧
 خِلْوٌ مِنَ الشَّيْبِ، وَمَنْ حَطَبِهِ ٨
 قَلْتُ: تَنَاهَى، لَجَّ فِي وَثْبِهِ
 وَلَا بِنَاتُ الشُّوقِ عَنْ شِعْبِهِ ٩
 لِيَحْمَلَ الحَبَّ عَلَى قَلْبِهِ
 أَوْ لَجَلَالِ الوَفْدِ فِي رُكْبِهِ
 يَنْقُلُهَا الجَيْلِ إِلَى عَقْبِهِ ١٠
 وَزَادَهُ حِصْبًا عَلَى حِصْبِهِ ١١
 شَبَّ، فَنَالَ الشَّمْسَ مِنْ عُجْبِهِ ١٢
 عَلَى حِمَاهِ، وَعَلَى شِعْبِهِ ١٣
 مِنْ قُطْبِهِ مُلْغًا إِلَى قُطْبِهِ
 مِنْ هَفْوَةِ المُحْسِنِ أَوْ ذَنْبِهِ
 مِنْ يُنْكَرُ الفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ
 فِي مِدْحَةِ المَشْرُوعِ أَوْ ثَلْبِهِ؟ ١٤
 فِي لَيْنِ القَيْدِ، وَفِي صُلْبِهِ
 بِالقَيْدِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ سَحْبِهِ ١٥
 خَشِيتُ أَنْ يَأْبَى عَلَى رَبِّهِ
 جِنَازَةَ الرِّقِّ إِلَى تُرْبِهِ
 فِي أَثَرِ النِّيرِ، وَفِي نَدْبِهِ ١٦
 سُلَالَةَ المَشْرِقِ مِنْ نُحْبِهِ ١٧
 دَارَتْ رَحَى الفَنِّ عَلَى قُطْبِهِ
 فِي سَعَةِ الفِكرِ وَفِي رُحْبِهِ
 مِنْ عِلَلِ العَالَمِ أَوْ طَبِّهِ ١٨
 فِي حَازِبِ الأَمْرِ وَفِي صَعْبِهِ ١٩
 أَهْلَةَ اللّهِ عَلَى صُلْبِهِ
 مِنْ فِئَةِ الحَقِّ وَمِنْ حَزْبِهِ

هذي الشواكي النَّحْلُ صِدْنَ أَمْرًا
 صَيَّادَ آرَامٍ، رَمَاهُ الهَوَى
 شَابُّ، وَفِي أَضْلَعِهِ صَاحِبُ
 وَاهٍ بِجَنْبِي، خَافِقُ، كَلَّمَا
 لَا تَنْتَنِي الأَرَامُ عَنْ قَاعِهِ
 حَمَلْتُهُ فِي الحَبِّ مَا لَمْ يَكُنْ
 مَا خَفَّ إِلَّا لِلهَوَى وَالْعَلَا
 أَرْبَعَةٌ تَجْمَعُهُمْ هَمَّةٌ
 قِطَارُهُمْ كَالقَطْرِ هَزَّ الثَّرَى
 لَوْلَا اسْتِلاَمُ الخَلْقِ أَرْسَانَهُ
 كُلُّهُمْ أَغْيِرُ مِنْ وَائِلِ
 لَوْ قَدَرُوا جَاءُوكُمْ بِالثَّرَى
 وَمَا اعْتَرَضُ الحِظَّ دُونَ المَنَى
 وَلَيْسَ بِالفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ
 مَا بَالُ قَوْمِي اخْتَلَفُوا بَيْنَهُمْ
 كَأَنَّهُمْ أُسْرَى، أَحَادِيثُهُمْ
 يَا قَوْمِ، هَذَا زَمَنٌ قَدْ رَمَى
 لَوْ أَنَّ قَيْدًا جَاءَهُ مِنْ عُلِّ
 وَهَذِهِ الضَّجَّةُ مِنْ نَاسِهِ
 مَنْ يَخْلَعُ النِّيرَ يَعْشُ بُرْهَةً
 يَا نَشَأَ الحَيِّ، شَبَابَ الحَمَى
 بَنِي الأَوَّلِ أَصْبَحَ إِحْسَانُهُمْ
 مُوسَى وَعَيْسَى نَشَأَ بَيْنَهُمْ
 وَعَالَجَا أَوْلَ مَا عَالَجَا
 مَا نَسَيْتُ مِصْرَ لَكُمْ بِرْهًا
 مَزَّقْتُمُ الوَهْمَ، وَأَلْفْتُمُ
 حَتَّى بَنَيْتُمُ هَرْمًا رَابِعًا

يَوْمٌ لَكُمْ يَبْقَى (كِبْدِرٍ) عَلَى
 قَدْ صَارَتْ الْحَالُ إِلَى جِدِّهَا
 اللَّيْثُ، وَالْعَالَمُ مِنْ شَرْقِهِ
 قَضَى بَأَنْ نَبْنِي عَلَى نَابِهِ
 وَنَبْلُغُ الْمَجْدَ عَلَى عَيْنِهِ
 وَنَصَلَ النَّازِلَ فِي سَلْمِهِ
 وَنَصَرَ النَّيْلَ إِلَى رَأْيِهِ
 يُبِيحُ أَوْ يَحْمِي عَلَى قُدْرَةِ
 أَمْرٍ عَلَيْكُمْ أَوْ لَكُمْ فِي غَدٍ
 لَا تَسْتَقِلُّوهُ، فَمَا دَهْرُكُمْ
 نَسْمَعُ بِالْحَقِّ، وَلَمْ نَطْلُعْ
 يِنَالٍ بِاللَّيْنِ الْفَتَى بَعْضَ مَا
 فَإِنْ أَنْسْتَمَ فَلَيَكُنْ أَنْسُكُم
 وَفِي احْتِشَامِ الْأُسْدِ دُونَ الْقَدَى
 قَدْ أَسْقَطَ الطَّفْرَةَ فِي مَلِكِهِ
 يَا رَبُّ قَيْدٍ لَا تُحِبُّونَهُ
 وَمَطْلَبٍ فِي الظَّنِّ مُسْتَبْعِدٍ
 وَالْيَأْسُ لَا يَجْمَلُ مِنْ مُؤْمِنٍ

أَنْصَارٍ سَعِدٍ، وَعَلَى صَحْبِهِ^{٢٠}
 وَأَنْتَبَهُ الْغَافِلُ مِنْ لَعْبِهِ
 فِي هَيْبَةِ اللَّيْثِ إِلَى غَرْبِهِ^{٢١}
 مُلْكُ بَنَيْنَا، وَعَلَى خَلْبِهِ^{٢٢}
 وَنَدْخُلُ الْعَصْرَ إِلَى جَنْبِهِ
 وَنَقْطَعُ الْدَاخِلَ فِي حَرْبِهِ
 يَقْسِمُهُ بِالْعَدْلِ فِي شَرْبِهِ^{٢٣}
 حَقُّ الْقَرَى وَالنَّاسِ فِي عَذْبِهِ
 مَا سَاءَ أَوْ مَا سَرَّ مِنْ غَبِّهِ^{٢٤}
 بِحَاتِمِ الْجُودِ وَلَا كَعْبِهِ^{٢٥}
 عَلَى قَنَا الْحَقِّ، وَلَا قُضْبِهِ^{٢٦}
 يَعْجَزُ بِالشَّدَّةِ عَنْ غَضْبِهِ
 فِي الصَّبْرِ لِلدَّهْرِ، وَفِي عَتْبِهِ
 إِذَا هِيَ اضْطُرَّتْ إِلَى شَرْبِهِ^{٢٧}
 مِنْ لَيْسَ بِالْعَاجِزِ عَنْ قَلْبِهِ^{٢٨}
 زَمَانُكُمْ لَمْ يَتَّقِيْدُ بِهِ
 كَالصَّبْحِ لِلنَّازِلِ فِي قَرْبِهِ
 مَا دَامَ هَذَا الْغَيْبُ فِي حُجْبِهِ

هوامش

- (١) الربرب: القطيع من بقر الوحش. والسرب (بكسر السين): جماعة الظباء أو النساء.
- (٢) الغيد: جمع غيداء، وهي المرأة اللينة الأعطاف. والبان: شجر يُشَبَّه به القُدُّ لطوله. والكتب: جمع كتيب، وهو التل من الرمل، يُشَبَّه به الردف.
- (٣) الظبا: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف.
- (٤) الهيئة (بالكسر): السكنية والوقار.
- (٥) هاروت وماروت: الملاك اللذان أنزل عليهما السحر. وغرب العين: مقدمها أو مؤخرها. والغرب: السيف: وعلى المعنى يكون المراد بالجفن: غمد السيف.

الشوقيات

- (٦) الشواكي: المسلحة. وغرب الشباب: حدّته ونشاطه.
- (٧) آرام: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض. والشادن: ولد الظبية.
- (٨) صاحب: يريد القلب.
- (٩) القاع: أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. والشعب (بالكسر): الناحية.
- (١٠) يريد بالأربعة: الأعضاء المندوبين لعرض المشروع. والعقب الولد، وولد الولد.
- (١١) القطر: المطر.
- (١٢) أرسان: جمع رسن، وهو الزمام.
- (١٣) وائل: قبيلة من العرب.
- (١٤) ثلبه: عيبه وتنقصه.
- (١٥) السحب: الجرُّ على الأرض.
- (١٦) النير: الأخشبة المعترضة في عنق الثورين بأدانتها، وتعرف عند العامة (بالناف).
- والندب: جمع ندبة، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد.
- (١٧) النجب: جمع نجيب، وهو الكريم الحسيب.
- (١٨) الطب الشهوة، وهو أيضاً علاج الجسم والنفس.
- (١٩) حازب الأمر: شديده.
- (٢٠) بدر: أكبر وقعة انتصر فيها الإسلام على أعدائه.
- (٢١) الليث: الأسد البريطاني، وهنا يبدأ الشاعر في سرد نقط المشروع الهامة.
- (٢٢) الخلب (بالكسر): الظفر.
- (٢٣) الشرب (بالكسر): النصيب من الماء.
- (٢٤) الغب: العاقب.
- (٢٥) حاتم طيئ وكعب بن مامة: من أجواد العرب.
- (٢٦) القنا: الرماح. والقضب: السيوف.
- (٢٧) احتشام: إحجام.
- (٢٨) الطفرة: الوثبة في ارتفاع. وأسقط الطفرة: تركها. وقلب الملك: تبديله وتغيير نظامه.

مشروع ٢٨ فبراير

وفاز بالحق من لم يأله طلبا^١
 حتى تجرّ ذيول الغبطة القُشبا^٢
 من واقع جزعا، أو طائر طربا^٣
 إذا تحيّر فيها الدمع واضطربا^٤
 إذا سدلت عليك الشك والريبا^٥
 أو فاحشدرن رماح الخط والقُضبا^٦
 إن الصغائر ليست للعلأ أهبا^٧
 كالحق والصبر في أمر إذا اصطحبا^٨
 إلى التعاون فيما جلّ أو حزبا^٩
 وأن ليل سراها صُبْحُه اقتربا^{١٠}

أعدت الراحة الكبرى لمن تعب
 وما قضت مصر من كل لبانتها
 في الأمر ما فيه من جد، فلا تقفوا
 لا تثبت العين شيئا، أو تحقّقه
 والصبح يُظلم في عينيك ناصعه
 إذا طلبت عظيما فاصبرن له
 ولا تعدّ صغيرات الأمور له
 ولن ترى صحبة تُرضى عواقبها
 إن الرجال إذا ما ألجئوا لَجئوا
 لا ريب أن خطأ الآمال واسعة

* * *

عهدا وعقدًا بحق كان مغتصبا^{١١}
 وراءها فسح الآمال والرحبا^{١٢}
 ولم نعالج على مصراعها الأربا^{١٣}
 سيان من غلب الأيام أو غلبا^{١٤}
 هيهات يذهب سعي المحسنين هبا^{١٥}
 أساء عاقبة، أم سرّ مُنقلبا^{١٦}

وأن في راحتي مصر وصاحبها
 قد فتح الله أبوابا، لعل لنا
 لولا يد الله لم ندفن مناكبها
 لا تعدم الهمة الكبرى جوائرها
 وكل سعي سيجزي الله ساعيه
 لم يُبرم الأمر حتى يستبين لكم

إلا الذي دفع الدستورُ أو جَلِبَا^{١٧}
 تلقى ركبُ السُّرى من مثلها نصبًا^{١٨}
 في موقف الفصل إلا الشَّعبُ مُنتخبًا
 إذا تمهَّل فوق الشوكِ أو وثبًا^{١٩}
 وسهَّل الغدُّ في الأشياءِ ما صعبًا^{٢٠}
 لا تملئوا الشَّدقَ من تعريفها عجا
 نُحصون من مات أو تُحصون ما سلبًا؟^{٢١}
 يدًا تؤلِّفها دُرًا ومخشأبًا^{٢٢}
 من بينكم سَبق الأنبياء والكتبا
 يداه ترتجلان الماءَ واللَّهبا^{٢٣}
 فاحكم هنالك أن العقلَ قد ذهب
 بل كان باطلها فيكم هو العجا
 كنانةُ الله حزمًا يقطع الذنبا
 بأيِّ سيفٍ على يافوخها ضربًا؟^{٢٤}
 أم بالذي هزَّ يومَ الحربِ مُختضبًا؟
 من أربعين ينادي الويلَ والحربا؟^{٢٥}
 ليس الصليبُ حديدًا كان، بل خشبا
 وكيف جاوز في سلطانه القُطبًا
 وأنَّ للحق - لا للقوة - الغلبا

نلتم جليلاً، ولا تعطونَ خردلَةً
 تمهدتْ عقباتٌ غيرُ هينةٍ
 وأقبلتْ عقباتٌ لا يذلُّها
 له غداً رأيُه فيها وحِكمته
 كم صعبَ اليومُ من سهلٍ هممتَ به
 ضمُّوا الجهودَ، وخلوها منكرةً
 أفي الوغى ورعى الهيجاءِ دائرةً
 خلُّوا الأكاليلَ للتاريخ، إن له
 أمرُ الرجالِ إليه، لا إلى نفرٍ
 أملى عليه الهوى والحدقُ، فاندفعت
 إذا رأيتَ الهوى في أمةٍ حكمًا
 قالوا: الحماية زالت، قلتُ: لا عجبُ
 رأسُ الحماية مقطوعٌ، فلا عديمتُ
 لو تسألون (النبى) يومَ جندلها:
 أبا لذي جرَّ يومَ السلمِ مُتَشحًا
 أم بالتكاثفِ حول الحق في بلد
 يا فاتحَ القدس، حلَّ السيفَ ناحيةً
 إذا نظرتَ إلى أين انتهت يدُه
 علمت أن وراء الضعف مقدرَةً

هوامش

(١) لم يأل: لم يقصّر.. قال تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَكَمُ خَبَالًا﴾ وهذا البيت من الحكم الغالية التي لا تتاح لغير أمير الشعراء، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة.

(٢) اللبانة: الحاجة. والقشب: جمع قشيب: الجديد. وفي هذا البيت استفزاز للهمم وبيان: لأن سبيل المجد طويل وميدانه متسع.

(٣) الجدُّ: الاجتهاد في الأمر. وفي هذا البيت نوع من البيان المرابي للأمم في نهوضها، فكثيراً ما يستفزُّ الطرب أناساً فيطير بهم، أو يستحکم اليأس منهم فيرديهم.

- (٤) تثبت العين: تصحح، وفي هذا البيت تصوير للتردد والذعر والهلع والشك الذي يصيب الإنسان من أموره فلا يستطيع الاهتداء، ولا يستبين طريق الصواب.
- (٥) الريب: جمع ريبة، مثل سدرة وسدر: الظن. وكم من رجل تسدُّ أمامه كوى الحياة وتضيق عليه الأرض بما رحبت ولا سبب لهذا إلا الشكوك والأوهام.
- (٦) الخطُّ: موضع باليمامة ينسب إليه على لفظه، فيقال: رماح خطية، والرماح لا تثبت به ولكنه ساحل للسفن التي تحمل القنا إليه وتعمل به. وقال الخليل: إذا جعلت النسبة اسمًا لازمًا قلت: خطية (بكسر الخاء) ولم تذكر الرماح وهذا كما قالوا: ثياب قبطية (بالكسر) فإذا جعلوه اسمًا حذفوا الثياب وقالوا قبطيًا (بالضم) فرقًا بين الاسم والنسبة، وما أحسن أن تنتشر هذه الحكم بين أفراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها.
- (٧) أهبك جمع إهاب ككتاب وكتب والإهاب: الجلد.
- (٨) بيّن في هذا البيت شاعرنا نوعًا من أنواع الصحبة هو خيرها وهو وحده المحمود عواقبه، وذلك النوع هو أن يصحب الحق — وهو السمح الكريم — صبر جميل على وثبات الباطل حتى يدمغه فإذا هو زاهق، والصبر من خير الفضائل التي هي جماع كل خير، ولهذا ذكر في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، وروي أنه كان الرجلان من أصحاب محمد ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يوصي كل منهما أخاه بالصبر والحق.
- (٩) أُلْجِئُوا: اضطروا وأكروهوا. ولجئوا: اعتصموا. وجل الشيء يجل (بالكسر) عظم، فهو جليل. وحزبهم الأمر يحزبهم من باب قتل أصابهم. ولعمري أن المفزع الوحيد عند وثبات الأحداث إنما هو في الاعتصام بالتعاون والقضاء على التحزب.
- (١٠) السرى: جمع سرية (بضم السين وفتحها)، يقال: سرينا سرية من الليل، وسرية.. قال أبو زيد: ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره، وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيهاً لها بالأجسام مجازًا واتساعًا، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَّ﴾. وكأن الشاعر أراد حفز الهمم وشحن العزائم لاجتلاء صبح الآمال.
- (١١) الراحة: بطن الكف، والجمع راحات وراح. قصد الشاعر في هذا البيت أن مصر أصبح بين يديها عهد جديد، وأن في يد مليكها عقدًا وثيقًا، ومظهر كله استقلال البلاد الذي أعلنه جلالة الملك بعد أن عدا العادي زمنًا طويلًا عليه.
- (١٢) فسح: جمع فسحة، مثل غرفة وغرف. والرحب: جمع رحبة، مثل قصبه وقصب، وهي الساحة المنبسطة.

(١٣) يَدُ الله: قدرة الله. والمناكب: جمع منكب كمجلس، وهو مجتمع رأس العضد والكتف. وعالج الأمر: باشره بمشقة. والمصرع من الباب: الشطر. والأرب: الحاجة. ولقد شاء الشاعر أن يصوّر جهاد الأمة وقد دجا ليل الحوادث، واستأسد العادي، والأمة تصابره، وتدافع الخطوب، وتلقي عنها نيرها، وتريد الإفلات من عنتها إلى حيث أبواب النصر.

(١٤) ما أحسن أن يودع الشاعر في ثنايا هذا البيت الأمل الواسع يدركه ذو الهمة الكبيرة ولو بعد حين.

(١٥) في هذا البيت شفاءً لما يصيب النفوس من ألم الإخفاق وصددمات الأيام، فلئن أعيا الإنسان شأن تلك الحياة فلن يعدل الخير العميم في دار النعيم؛ وبذلك يعدُّ المرء بإحدى الحسنين، وأن يذهب العرف بين الله والناس.

(١٦) لقد شاء أن تقيس الأمة أمرها بمقياس صحيح حتى تتجاوز الخطل. (١٧) وفي هذا البيت أراد أن يضع بين يدي الأمة كل دقيق وجليل من أمرها، حتى تستبين حقيقة أمرها، فقال: إن ما جد، وإن كان جليلاً، إلا أنه قليل إذا قيس بحقوق الأمة الكاملة، ثم شاء أن يضع على عواتق رجال الأمة الأمور الخطيرة في حاضرها ومستقبلها، فقال: إن الأمر للدستور يرفع ما شاء ويجلب ما نفع.

(١٨) الركاب (بالكسر): المطي، الواحد: راحلة، من غير لفظها والسرى: السير ليلاً، جمع سرية مثل مدية ومدى. ونصباً: تعباً. وقد صوّر شاعرنا في هذا البيت ما قطعتة الأمة من مراحل جهادها في سبيل حريتها.

(١٩) في هذين البيتين يبين الشاعر ما للآراء المجتمعة من تصريف الأمور وقيادة الأمم وتهوين الصعاب، وسبيل ذلك اصطفاء نخبة رجالها إذا جدَّ الجدُّ وحزب الأمر، فإن شاءوا بحكمتهم جاوزوا الصعاب وتخطّوا شوك القتاد، وإن قعدت بهم همهم وأعوزتهم حكمتهم، ذاقوا واذاقوا الأمة عذاب الهون، وقلّبوها على جمر الغضا.

(٢٠) قصد الشاعر إلى أن يعيد النظر ليرى الدهر قلباً، والأحداث لا تبقى سمرماً، فلا يؤيسه الخطب الداهم، ويرجو في الغد ما أعجزه اليوم.

(٢١) يريد الشاعر أن يبيّن ما يعتور الأمم في نهوضها فيثنيها عن غايتها، ويعوق وثوبها، ثم هو بعد يأمر أمته بأن تحاذر الوقوع في هذا الشرِّ، ورأس تلك الآثام الاعتداد بالنفس، والإعجاب بالعمل، وانتفاخ الأوداج صلفاً وكبرياءً، ثم شاء أن يضرب مثلاً بالجيش المقاتل، ينسى ما هو فيه من جلائل الأخطار، ويعمد إلى حطام فإن يحصيه

ويجمعه، فلا جرم أن يصيب هذا الجيش الفشل اللازم، ولقد أدب الله المؤمنين أدباً عالياً حينما خالفوا محمد ﷺ ولاح لهم النصر، فأخذوا يجمعون الغنائم ويحصون الأسلاب؛ ففشلوا وندموا، وذلك مفصّل في سورة «آل عمران».

(٢٢) الأكاليل: جمع إكليل شبه عصابة تزين بالجوهر، ويُسمّى التاج إكليلًا. والمخشب: الزجاج.

(٢٣) ترتجلان: تبدّتان من غير تهيئة، وقد شاء الشاعر أن ينيى على أولئك الذين يضعون أنفسهم موضع التاريخ، فيكيلون الثناء، ويفحشون في الألقاب، ويخلطون بين المتناقضين.

(٢٤) جندلها: أرهاها. واليافوخ: مقدّم الرأس.

(٢٥) حرب، كفرح: كئب واشتد غضبه، فهو حربٌ.

الله والعلم^١

لمن ذلك الملك الذي عزَّ جانبه؟
أَمْلُكَ يَا (داوُد)، والملك الذي
أراد به أمرًا، فجَلَّتْ صُدُورُهُ
رمى، واستردَّ السهمَ، والخلقُ غافلٌ
أبيطُلُ عيدُ الدهرِ من أجلِ دُمَلٍ
ويرجع بالقلبِ الكسيرِ وفودُهُ
وتسمو يد الدهر ارتجالاً ببأسها
ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربِّه
ويُحجِبُ ربُّ العيد ساعة عيده
ألا هكذا الدنيا، وذلك ودُّها
أعدَّ لها إدورِدُ أعيادَ تاجِه
مشَّتْ في الثرى أنباؤها، فتساءلت
وكاثر في البرِّ الحصى مَنْ يَجُوبُهُ
إلى موكب لم تُخرج الأرض مثله

لقد وعظ الأملاك والناسَ صاحبه^١
يَغَارُ عليه، والذي هو واهبه؟^٢
فأتَّبعه لُطْفًا، فجَلَّتْ عواقبه^٣
فهل يَتِّيهِ خلقُه أو يُراقبه؟^٤
وتخبو مجاليه، وتُطوى مواكبه؟^٥
وفيهم مصابيحُ الورى وكواكبه؟
إلى طُنْبِ الأقباسِ، والنصرُ ضاربه؟^٦
ويجمع من ذيل المخيلةِ صاحبه؟^٧
وتنقص من أطرافهن مآربه؟^٨
فهلَّا تَأْتِي في الأمانِي خاطبه؟^٩
وما في حسابِ الله ما هو حاسبه
مشاركه عن أمرها، ومغاربه^{١٠}
وكاثر مَوْجَ البحرِ في البحرِ راكبه^{١١}
ولن يتهدى فوقها ما يقاربه^{١٢}

^١ نَطَمَتْ هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك إدوارد السابع وتأجيل إقامة الحفلة لإصابة جلالاته
بدمل وذلك في سنة ١٩٠٢.

وشدّت مغاويرَ الملوك ركائبه^{١٣}
 وتملاً أفاقَ البحار مراكبه
 زمانٌ وشيكٌ ريبه ونوائبه^{١٤}
 إذا هو خوفٌ في الظنون مذهبه^{١٥}
 تجوبُ الثرى شرقاً وغرباً جوائبه^{١٦}
 سل الدهر: أيّ الحادّين عجائبه؟^{١٧}
 وكيف تراخت في الفداء قواضيه؟^{١٨}
 وما ردّها في البحر يوماً مُحاربه؟^{١٩}
 وما عودّته أن تفوّت رغائبه^{٢٠}
 ومن فوق آراب الملوك مآربه^{٢١}
 ولا تاجٍ إلا أنت بالحق كاسبه^{٢٢}
 ومنك أياديه، ومنك مناقبه^{٢٣}
 على أمره في الأرض، والداءُ غالبه^{٢٤}
 وأسدُّ الشرى تعنو له وتحاربه؟^{٢٥}
 وهل حجب الباب المنع حاجبه؟^{٢٦}
 وساعفَ إلا بالصلاة أقاربه؟^{٢٧}
 وكان سلاح النفس تغني تجاربه^{٢٨}

إذا سار فيه سارت الناس خلفه
 تحيطُ به كالنمل في البرّ خيله
 نظامُ المجالي والمواكب حلّه
 فبيننا سبيلُ القوم أمنٌ إلى المنى
 إذا جاءت الأعياد في كل مسمع
 رجاءٌ فلم يلبث، فحَوْفٌ فلم يدم
 فياليت شعري: أين كانت جنوده؟
 ورُدّت على أعقابهن سفينه
 وكيف أفاتته الحوادث طلبة
 لك الملكُ يا من حصّ بالعزّ ذاته
 فلا عرشٍ إلا أنت وارثٌ عزّه
 وأمّنتُ بالعلمِ الذى أنت نورُه
 تُؤامنُ من حَوفٍ به كلُّ غالبٍ
 سلوا صاحب المُلكين: هل ملك القوي
 وهل رفع الداء العُضالَ وزيرُه؟
 وهل قدّمتُ إلا دعاةً شعوبه
 هنالك كان العلمُ يُبلي بلاءه

وفي غيره شرُّ الورى ومعاطبه^{٢٩}
 كأصبع عيسى نحو مَيّت يخاطبه
 وأسهل من سيف اللّحاط مَضاربه^{٣٠}
 من الغربُ راجيه، من الشرق هائبه؟^{٣١}
 لألقّت قناها في البلاد كتائبه^{٣٢}
 طبيباً له بالأمس كان يصاحبه^{٣٣}
 وأمّنتُ بالعلم الذي عزّ طالبه^{٣٤}

كريمُ الظبّا، لا يقرب الشرّ حدّه
 إذا مرّ نحو المرءِ كان حياته
 وأيسرُ من جرح الصدود فعاله
 عجيبٌ!! يُرجى «مشرطاً» أو يهابه
 فلو تفتدى بالبيض والسمر فديّه
 ولو أن فوق العلم تاجاً لتوجوا
 فأمّنتُ بالله الذي عزّ شأته

هوامش

(١) عزّ جانبه: قوي. وعظ الأملاك والناس: نصحهم وذكّرهم بالعواقب.

- (٢) الملك الذي يغار عليه والذي هو واهبه: هو الله تعالى.
- (٣) جَلَّتْ صدوره: عظمت. وصدور الأمر: جمع صدر، وصدر كل شيء: أوله. وعواقبه: جمع عاقبة، وهي آخر كل شيء أيضًا، وأتبعه لطفًا: ألحقه. والمعنى أن الله الذي وهب هذا الملك قضى فيه بأمر عظيم، هو موت الملكة فيكتوريا ولكنه لطف في هذا القضاء بتتويج إدوارد، فكانت عواقب اللطف عظيمة، كما كانت أوائل الخطب عظيمة.
- (٤) استردَّ السهم: رده وأرجعه إليه، والألف والسين زائدتان. والغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد غفل فهو غافل.
- (٥) يبطل عيد الدهر: يتعطل. تخبو: تُطفأ. ومجاليه: مواضعه، من جلا الأمر: وضح وانكشف. والمواكب: جمع موكب وهو القوم الراكبون للزينة.
- (٦) تسمو: تلوو. وارتجل الأمر: ابتدأه من غير تهيئة قبل. والبأس: الشدة. والطنب: حبل الخباء.
- (٧) المخيلة: الكبر.
- (٨) يحجب: يمنع عن الناس. والمأرب: جمع مأربة، وهي الحاجة.
- (٩) الودُّ (مفتوح الواو ومضمومها ومكسورها): هو المودة. تأنى في الأمر: ترفق وتنظر. والأمانى: جمع أمنية، ما يتمناه المرء. الخاطب: الداعي إلى نفسه، من قولهم خطب المرأة دعا أهلها إلى تزويجها منه، والمراد أن مَنْ يطلب لنفسه مودة الدنيا ينبغي له أن يترفق في ذلك، فضمير خاطبه يرجع إلى «الود».
- (١٠) الثرى. التراب، والمراد الأرض. الأنباء: الأخبار، والضمير للأعياد. مشاركته ومغاربه: أي مشارك الأرض ومغاربها. وأمرها: أي الأعياد أيضًا، بمعنى أن أنباء تلك الأعياد ذاعت في أقطار الأرض فتساءلت عنها مشارقها ومغاربها.
- (١١) كثره: غالبه بالكثرة. والبرُّ: ضد البحر. والحصى: جمع الحصاة. وجاب البلاد يجوبها: قطعها، لكثرة المقبلين على تلك الأعياد صار مَنْ يجوبون منهم الأرض من الكثرة بحيث يغلبون الحصى إذا كثره، وكذلك راكبو البحر المقبلون عليها يغلبون موجه بالمكثرة.
- (١٢) يتهادى: يمشي مشيًا غير قوي متميلاً. وما يقاربه: أي ما يدانيه.
- (١٣) شدَّ الشيء: أوثقه، ومنه شدَّ الرجال. والمغاوير: جمع مغوار، وهو الكثير الهجوم على العدو لشجاعته. والركائب: جمع ركوبة، وهي كل ما رُكب.

(١٤) نظام الشيء: ملاكه وطريقته التي عليها يستقيم، وهو أيضًا الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ. والمجالي: جمع مجلى. وشيك. قريب. والريب هنا: ما يكره من الحوادث. والنواب: جمع نائبة، وهي ما يصيب الإنسان من مكروه.

(١٥) بينا: كبينما، ظرف زمان للمفاجأة، وقيل هما للابتداء، وعلى كل حال تقع بعدهما جملة اسمية أو فعلية، ويحتاجان إلى جواب يتمُّ به المعنى. والسبيل: الطريق. وأمن: مأمونة. والظنون: جمع ظن وهو غير اليقين. والمذاهب: الطرق والمسالك، جمع مذهب.

(١٦) المسمع: الأذن. وجاب الأرض يجوبها: قطعها، ومنه الجواب.

(١٧) الرجاء: الأمل. ولم يلبث: لم يمكث.

(١٨) شعري: علمي، من شعر بالشيء شعرًا إذا فطن إليه وعلمه، ويا ليت شعري:

أي ليتني علمت. وتراخت: أبطأت. وقواضبه: سيوفه القواطع.

(١٩) ردّت: أرجعت. وأعقاب: جمع عقب وهو مؤخر القدم، يقال: رجع على عقبه،

ورجعوا على أعقابهم: أي على الطريق الذي كانوا يضعون فيه أقدامهم. والسفين: جمع سفينة.

(٢٠) أفاتته طلبته: أذهبتها عنه. والطلبة: الشيء المطلوب، وسكون اللام لضرورة

الشعر والרגائب: جمع رغبة، وهي الأمر المرغوب فيه، والعطاء الكثير أيضًا.

(٢١) خصّه بالشيء: جعله له دون سواه. والآراب: جمع أرب، وهو الحاجة.

(٢٢) العرش: سرير الملك. والتاج: أصله للعجم، يقال: تُوِّج إذا لبس التاج، كما

تقول العرب: عُمِمَ إذا لبس العمامة، استعمل على وجه العموم. وكاسبه: ناقله وربحه.

(٢٣) أياديه: جمع يد، وهي هنا النعمة. ومناقبه: جمع منقبة، وهي الفعل الطيب.

(٢٤) تَوَّامن: أي تعطي الأمان. وكل غالب على أمره: أي لا يعجزه شيء.

(٢٥) القوى: جمع قوة، ضد الضعف. وتعنو: تخضع وتذلُّ.

(٢٦) الداء العضال: الشديد الذي يعيي الأطباء. والباب المنع: الذي لا يرام.

(٢٧) ساعف: ساعد.

(٢٨) يبلي بلاءه: يجتهد اجتهاده. والتجارب: جمع تجربة، من جرّبت الشيء إذا

اختبرته مرة بعد أخرى.

(٢٩) كريم الظبا: من إضافة الصفة للموصوف، أي الظبا الكريمة، والظبا: جمع

ظبة وهي حدُّ السيف أو السنان أو نحو ذلك، والمراد السيف أو نحوه ليستقيم المعنى

فيكون مجازًا من إطلاق اسم الجزء على الكل. والمعاطب: المهالك، جمع معطب.

(٣٠) الصدود: الإعراض. وفعاله: جمع فعل. واللاحاظ: جمع لحظ. ومضاربه: جمع

مضرب.

(٣١) عجيب: صفة موصوف مقدر، أي أمر عجيب. ويرجى: أي يرجو. والمشرط:

المبضع الذي يفتح به الطبيب الجراحات. ويهابه: يخافه. و«من» في «من الغرب راجيه.. إلخ»: فاعل «يرجى». يقول إنه لأمر عجيب أن هذا الملك الذي يرجوه الغرب ويخافه الشرق، يتعلق رجاؤه أو خوفه بمشرط الطبيب الذي يفتح له دمله.

(٣٢) تفتدي: تستنقذ بالفدية. والبيض والسمر: السيوف والرماح. والقنا: جمع

قناة وهي الرمح. والكتائب: جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش مجتمعة.

(٣٣) توجوه: ألبسوه التاج.

(٣٤) عزَّ شأنه: قوي. وطالب العلم: محصّله.

ذكري كانارفون

كل امرئ رهنٌ بطيِّ كتابه^١
عند اللقاء، كمن يموت بنايه^٢
أو لم ينم، فالطبُّ من أذنايه
همُّ نَسِينٍ مَجِيئُهُ بذهابه^٣
أتت الحياةَ وشُغْلها من بابه^٤
وتضيقُ عنه على قصير عذابه^٥
كثُرَ النهار عليه في إتعابه^٦
ودواءُ هذا الجسم من أوصابه^٧
خَلَدَ الرجالُ، وبالفعلِ النايه^٨
واستولت الدنيا على آدابه^٩
وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابه^{١٠}
وينامُ ملءَ الجفن عن غيابه^{١١}
ديباجتِيهِ، مُعَمَّرًا بخرابه^{١٢}
في الجَوِّ صائدٌ بازِه وعقابه^{١٣}
خُلقت لسيف الهندِ أو لدُبابه^{١٤}
بكريمتِيهِ، ولامست بلُعباه^{١٥}
قالوا بباطل علمهم وكذابه^{١٦}
هي من ضنائن علمه وغيابه^{١٧}

في الموت ما أعيأ وفي أسبابه
أَسَدٌ لَعَمْرُكَ، من يموتُ بظُفْره
إن نام عنك، فكلُّ طبِّ نافِعُ
داءُ النفوس، وكلُّ داءٍ قبله
النفْسُ حربُ الموتِ، إلا أنها
النفْسُ حربٌ على طويل بلائها
هو منزلُ الساري، وراحةٌ رائح
وشفاءُ هذي الروح من آلامها
من سرَّه ألا يموتَ، فبالعلا
ما مات مَنْ حاز الثرى آثاره
قل للمُيَلِّ بِمالِه وبجَاهه
هذا الأديمُ يصدُّ عن حُضارِه
ألا فتنى يمشي عليه مُجدِّدا
صادت بقارعة الصعيد بَعوضَةً
وأصاب خُرطومُ الذبابة صفحَةً
طارت بخافية القضاء، ورأَتْ
لا تسمعَنَّ لِعصبية الأرواح ما
الروحُ للرحمنِ جلَّ جلالُه

غلبوا على أعصابهم، فتوهّموا أوهاّمَ مغلوبٍ على أعصابه

ما أَبَ جَبَّارُ القُرُونِ، وإِنَّمَا
فذرّوه في بلد العجائب مُغَمِّدًا
المستبَدُّ يطاقُ في ناووسه
والفردُ يؤمّن شرّه في قبره
هل كان (توتنخ) تَقَمَّصُ رُوحَهُ
أو كان يَجْزِيكَ الردى عن صُحْبَةِ
تالله لو أهدي لك الهرميين من
أنت البشير به، وقيّم قصره
أَعْلَمْتَ أقوامَ الزمان مكانه
لولا بَنَانُكَ في طلاسِم تُربّه
يومُ الحساب يكون يومَ إِيابِه^{١٨}
لا تشهروه كأمس فوق رقابه^{١٩}
لا تحت تاجيه وفوق وثابه^{٢٠}
كالسيف نام الشرُّ خلف قرابه^{٢١}
قُمَصَ البعوض ومُسْتَحَسَّ إهابه^{٢٢}
وهو القديم وفاؤه لصاحبه^{٢٣}
ذهب، لكان أقلّ ما تُجْزَى به
ومُقَدِّم النبلاء من حُجَّابِه^{٢٤}
وحَشَدْتهم في ساجه ورحابه^{٢٥}
ما زاد في شرف على أترابه^{٢٦}

أَخْنَى الحِمَامُ على ابن هِمَّةِ نَفْسِه
الجائب الصخر العتيّد بحاجر
لو زایل الموتى محاجرهم به
لم يألُه صبرًا، ولم يَنِ هِمَّةً
أفضى إلى ختم الزمان ففضّه
وطوى القرون القهقري، حتى أتى
المَنَدَلُ الفياحُ عودُ سريره
وكأن راح القاطفين فرغن من
جدت حوى ما ضاق (غمدان) به
بنيانُ عُمرانٍ، وصرحُ حضارة
فترى الزمان هناك قبل مشيبه
وتحسُّ ثمّ العلم عند عُبابه
في المجد، والبانى على أحسابه^{٢٧}
دبّ الزمان وشبّ في أسرابه^{٢٨}
وتلّففتوا، لتحيروا كضبابه^{٢٩}
حتى انثنى بكنوزه وِرْغابه^{٣٠}
وحبا إلى التاريخ في محرابه^{٣١}
فرعون بين طعامه وشرابه^{٣٢}
واللؤلؤ اللماح وشي ثيابه^{٣٣}
أثماره صُبْحًا ومن أرطابه^{٣٤}
من هالة المُلْكِ الجسيم وغابه^{٣٥}
في القبر يلتقيان في أطنابه^{٣٦}
مثل الزمان اليوم بعد شبابه
تحت الثرى والفرن عند عجابِه^{٣٧}

يا صاحبَ الأخرى، بلغتَ محلَّةً
نُزُلُ أفاقٍ بجانبيه من الهوى
نام العدوُّ لديه عن أحقادِه
الراحةَ الكبرى مِلاكُ أديمه
هي من أخي الدنيا مُناخُ ركابه^{٣٨}
من لا يُفِيقُ، وجدَّ من تلعبه^{٣٩}
وسلا الصديقُ به هوى أحبائه^{٤٠}
والسلوةَ الطُولَى قِوامُ ترابه^{٤١}

* * *

(وادي الملوك) بكتَ عليكَ عيونهُ
ألقيَ بياضَ الغيمِ عن أعطافه
يأسىَ على حرباءِ شمسِ نهاره
ويودُّ لو ألبستَ من بُردِيه
نوّهتَ في الدنيا به، ورفعتَه
أخرجتَ من قبرِ كتابِ حضارةٍ
فصلّته، فالبرقُ في إيجازه
طلعا على (لوزان) والدنيا بها
جئتَ الشعوبَ المحسنين بشافع
فرفعتَ رُكنًا للقضية، لم يكن
بمُرَقَرَقٍ كالْمِزِنِ في تَسْكَابه^{٤٢}
حزنًا، وأقبل في سوادِ سحابه^{٤٣}
ونزيلِ قِيعَتِه، وجارِ سَرابه^{٤٤}
بُرْدَيْنِ، ثم دُفِنْتَ بين شعابه^{٤٥}
فوق الأديم، بطاحه، وهضابه^{٤٦}
الْفَنِّ والإعجازُ من أبوابه^{٤٧}
يُبْنَى البريدُ عليه في إطنابه^{٤٨}
وعلى (المحيط) وما وراءَ عبابه^{٤٩}
مِنْ مِثْلِ مُتَقَنَّ فَتْهُمْ ولُبَابِه^{٥٠}
(سَحَابُن) يرفعه بسحرِ خطابه^{٥١}

هوامش

- (١) ما أعيأ: أي ما أتعب وأعجز عن إدراك حقيقته. ورهن بطي كتابه: أي باق في الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهي أجله.
- (٢) لعمرك: يقول النحاة: إنه قسم، واللام فيه لتوكيد الابتداء، وهو مبتدأ خبره محذوف، أي لعمرك قسمي، أو ما أقسم به.
- (٣) الداء: العلة والمرض. ونسين: أي النفوس.
- (٤) حرب الموت: أي حرب للموت، والمراد أنها تكرهه وتدافعه. أتت، جاءت، والضمير في «شغلها» للحياة، والضمير في «بابه» للموت.
- (٥) بلاء الحياة: ما فيها من ألم وهم، أي أن النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهي، وتضيق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه إلا شيء من الألم قصير.

(٦) هو: أي الموت. والساري: الذي يقطع الليل سيراً. والرائح: الذهاب. وإتعب: مصدر أتعب.

(٧) وشفاء هذه الروح، إلى آخر البيت: متَّصل بالبيت الذي قبله. والأوصاب: الأوجاع، جمع وصب.

(٨) العلا: إمَّا الرفعة والشرف، وإمَّا جمع عليا: وهي المنزلة الرفيعة. الفعّال النابه: الفعل الشريف المذكور.

(٩) حاز الشيء ضمّه إليه. والثرى: التراب الندي. والآثار: جمع أثر، وهو ما بقي من الشيء. واستولت على آدابه: غلبت عليها وتمكّنت منها. والآداب: جمع أدب، وهو كل ما يتحل به الإنسان من فضيلة.

(١٠) المدلل بماله.. إلخ: الذي يتتبعه به على أقرانه. والجاه: القدر والمنزلة. ويجلُّ: يعظم.

(١١) الأديم: الجلد المدبوغ، وقد يطلق على وجه الأرض، وهو المراد هنا. يصدُّ عن حضاره: يعرض عنهم، والحضار: جمع حاضر. وجفن العين: غطاؤها من أعلاها وأسفلها، والمراد العين نفسها. والغيباب: جمع غائب.

(١٢) الديباجتان: الخدان، أي إلا فتى يمشي على وجه الأرض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدّين لوجه الإنسان.

(١٣) القارعة: الشديدة من شدائد الدهر. والصعيد: بلاد مصر العليا. والباز والعقاب: من جوارح الطير، يقول: إن تلك البعوضة صادت في الجو من كان يصيد بازاته وعقبانه.

(١٤) الخرطوم: الأنف. والمراد بالذبابة: تلك البعوضة نفسها. وصفحة كل شيء: جانبه. وذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

(١٥) الخافية: واحدة الخوافي، وهي ما دون الريشات العشر من مقدّم الجناح. والقضاء هنا: معناه الصنع والتقدير، والمراد به قضاء الله. ويقال: رأراً بعينيه، إذا حدد النظر أو إذا أدارهما. والكريمتان: العينان. واللعباب: ما يسيل من الفم. والضمير في «طارت» يرجع إلى «الذبابة».

(١٦) العصابة من الرجال: ما بين العشرة إلى الأربعين، والمراد هنا الجماعة بغير عدد. والكذاب: الكذب.

(١٧) ضنائن علمه: أي خصائص علمه مما اختصَّ به نفسه فلا يعلم به سواه. وغيابه: إمَّا جمع غيب وهو ما غاب عنك من الأمر، وإمَّا مصدر غاب يغيب وهو كالغيب في معناه.

(١٨) آب: رجع. جبَّار القرون: يريد توت عنخ آمون. ويوم الحساب: اليوم الآخر. (١٩) ذروه: اتركوه. بلد العجائب: الأقصر، لما فيها من عجائب الآثار. مغمداً: أي باقياً في قبره كما يبقى السيف في غمده. لا تشهروه (من شهر السيف إذا سله): يعني لا تخرجه محمولاً على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التي يملكها وهو حي. (٢٠) المستبد: من استبد بالشيء إذا انفرد به. يطاق: من أطاق الشيء إذا قدر عليه. والناووس: هو مقبرة النصارى خاصة، وقد يستعمل لتابوت الميت. الوثاب: السرير الذي لا يبرح الملك عليه.

(٢١) قراب السيف: قيل هو غمده، وقيل: هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده، وقيل غير ذلك.

(٢٢) تقمَّص روحه قمص البعوض: أي لبسها، والقمص: جمع قميص. المستخس: الخسيس. الإهاب: الجلد الذي لم يدبغ.

(٢٣) يجزيك: يقضيه لك ويثيبك عليه. الردى: الهلاك. الوفاء: ضد الغدر. الصحاب: جمع صاحب.

(٢٤) البشير: المبشِّر بالخير، قيم القصر: سائس أمره. النبلاء: جمع نبيل وهو الذكي النجيب. الحجاب: جمع حاجب.

(٢٥) أقوام: جمع قوم. حشدتهم: جمعتهم. الساح: جمع ساحة وهي الموضع المتسع أمام الدار ونحوها. الرحاب جمع رحبة وهي الساحة.

(٢٦) البنان: أطراف الأصابع ومفردها بنانة. الترب: التراب. أترابه: لداته، جمع ترب وهم مَنْ ولدوا معه.

(٢٧) أحنى عليه: أهلكه. الحمام: الموت. الأحساب: جمع حسب، وهو ما للرجل من مفاخر الآباء، أو هو دين الرجل أو ماله.

(٢٨) العتيد: الحاضر المهياً. دبَّ: يقال دبَّ الصبي إذا مشى. شبَّ: أدرك شببيته. الأسراب: جمع سرب وهو البيت تحت الأرض.

(٢٩) زایل: فارق. والموتى: جمع ميِّت. محاجرهم: النواحي التي اتخذت لهم من الأرض، أو هي القبور في الأرض المتحجرة، الضباب: جمع ضب.

- (٣٠) لم يأله صبراً: أي لم يقصر في حمله على الصبر. ولم ين همة: لم تضعف همته، من ونى في الأمر إذا ضعف عنه. انثنى: رجع. الكنوز: جمع كنز. الرغاب: جمع رغبية، وهي هنا الشيء المرغوب فيه، وتكون أيضاً بمعنى العطاء الكثير.
- (٣١) أفضى إلى ختم الزمان: وصل إليه. فضّه: كسره. حبا إلى التاريخ: دنا منه. المحراب: صدر المجلس، وقيل: هو أشرف المجالس، ومنه محراب الصلاة.
- (٣٢) طوى القرون: قطعها. والقرون: جمع قرن، وهو الجيل من الناس، مدّته ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل أقل. القهقري: الرجوع، أي طوى القرون حتى رجع بها القهقري.
- (٣٣) المندل: العود المعروف بطيب رائحته. الفيّاح: الفياض بنشره وطيبه. اللماح: الشديد اللمعان. وشي الثوب: نقشه وتحسينه. والضمير في «سريره» و«ثيابه» لفرعون.
- (٣٤) الرّاح: جمع راحة وهي الكف. القاطفين: جمع قاطف وهو من يجتني الثمر. أثمار. جمع ثمر. أرطاب: جمع رطب وهو ما نضج من البلح، والمراد بالأثمار والأرطاب: التحف والآثار الغالية التي وُجِدَت في قبر فرعون وهي لم تزل على جدتها كأنها مصنوعة الآن.
- (٣٥) الجذث: القبر. حوى الشيء: أحرزه. غمدان: قصر كان مشهوراً، يرجحون أن يشرح بن الحارث بن صيفي بن سبأ جدُّ بلقيس ملكة اليمن هو الذي بناه، وجعل له أربعة وجوه: أحمر، وأبيض، وأصفر، وأخضر، وبنى داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً، وقيل: كان ارتفاع السقف مائتي ذراع. الهالة: دارة القمر. الغاب: الرماح، جمع غابة.
- (٣٦) العمران: اسم لما يعمر به المكان وتحسن حاله. الصرح: القصر، وكل بناء مرتفع. الحضارة: الإقامة في الحضر. الأطناب: جمع طناب وهو الحبل الذي يشدُّ به السرادق، ويستعمل مجازاً في الناحية وهي المراد هنا.
- (٣٧) تحسُّ العلم: تشعر به. ثمَّ ظرف مكان بمعنى هناك. العباب: ارتفاع السيل وكثرته. العجاب: ما جاوز حد العجب.
- (٣٨) المحلّة: المنزل. المناخ: مبرك الإبل، ومحل الإقامة مجازاً. الركاب: الإبل والأخرى: يريد بها الآخرة، والخطاب للورد المرثي، يقول: بلغت منزلاً هو نهاية المسير لأهل الدنيا وهو القبر.
- (٣٩) النزل: ما هيئ للضيف أن ينزل عليه. أفاق صحا واستيقظ. الهوى: إرادة النفس غير المحمودة. التلعاب: اللعب.

- (٤٠) الأحقاد: جمع حقد وهو الغضب الثابت. سلا الشيء: نسبه وغفل عن ذكره. الهوى في هذا البيت: العشق.
- (٤١) ملاك الشيء: قوامه. السلوة: السلو. الطولى: مؤنث الأطول، أي العظيمة الطول. القوام: ما يقوم به.
- (٤٢) دمع مرقوق: أي دائر في حملاق العين. المزن: السحاب البيض، جمع مزنة. التسكاب: الانسكاب.
- (٤٣) الغيم: السحاب، واحده غيمة. الأعطاف: جمع عطف وهو جانب الشيء، وعطف الرجل جانبه من رأسه إلى وركيه.
- (٤٤) الحرباء: اسم للذكر، والأنثى حرباءة، وهي حيوان اسمه «أم حبين» يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلَوَّن بحرها ألواناً مختلفة، وهو يضرب مثلاً في التقلُّب. القيعة: قيل جمع قاع وهو أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال، وقيل هي مفرد في معنى القاع. السراب: ما تراه نصف النهار من شدّة الحر كأنه ماء يلصق بالأرض.
- (٤٥) البردي: نبات تعمل منه الحصر، وهو ينبت كثيراً في مناقع الماء. بردين مثنى برد وهو ثوب مخطط، والمراد هنا مطلق ثوب. الشعاب: جمع شعب وهو الطريق المنفرج بين جبلين. والضماير في «برديه» و«شعابه» يرجع إلى وادي الملوك.
- (٤٦) نَوْه. به: رفع ذكره وعظّمه. الأديم: هنا وجه الأرض. البطاح: جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى. الهضاب: جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض.
- (٤٧) الفنُّ: في الأصل النوع من الشيء، ثم توسَّعوا فأرادوا به الصناعة والعلم وما إليهما. والإعجاز: مصدر أعجز، وهو أداء المعنى بطريق لا قدرة لأحد عليها.
- (٤٨) فصَّلته: بينته. والبرق: وميض السحاب، واستعمل الآن في نقل الرسائل بـ «التلغراف» مجازاً لسرعة النقل، كأنه الوميض. البريد: المسافة التي يقطعها الرسول، والمراد به الآن نقل الرسائل بواسطة «البوستة». الإيجاز: اختصار الكلام. والإطناب: إطالته.
- (٤٩) طلعا: أي البريد والبرق. لوزان: مدينة في سويسرة كان بها مجلس الدول الذي تمَّ فيه الصلح بين تركية واليونان سنة ١٩٢٢، وإلى هذا المجلس يشير بقوله (والدنيا بها). المحيط: البحر الذي يحيط باليابسة. وما وراء عبابه: بلاد أمريكا التي

الشوقيات

يحيط بها المحيطان المتجمدان من الشمال والجنوب، والمحيطان الأطلسي والهادي من الشرق والغرب، والمعنى أن البرق والبريد طلعا على العالم المتحضر كله بخير تلك الآثار التي وجدت في القبر.

(٥٠) الشافع: مَنْ يعاونك عند غيرك أو يسعى لك في مطلبه. المتقن: المحكم. اللباب: المختار الخالص من كل شيء.

(٥١) الركن: الجانب الأقوى من الشيء. سحبان: رجل من وائل كان خطيباً فصيحاً، ويضرب به المثل في ذلك، فيقال: «أخطب من سحبان».

أيها العمال

أيها العمال، أفنوا الـ
واعمروا الأرض، فلولا
إن لي نصحاً إليكم
في زمان غيبي النا
أين أنتم من جدود
قلدوه الأثر الممّع
وكسوه أبد الدهـ
أتقنوا الصنعة، حتى
إن للمتقين عند
أتقنوا، يُحببكم الله،
أرضيتم أن تُرى (مصـ
بعد ما كانت سماءً

عمر كدًا واكتسابا
سعيكم أمست يبابا^١
إن أدنتم وعتابا
صح فيه، أو تغابي
خلدوا هذا الترابا؟
جز، والفن العجبا
ر من الفخر ثيابا
أخذوا الخلد اغتصابا
الله والناس ثوابا
ويرفعكم جنابا
ر من الفن خرابا؟
للصناعات وغابا؟

أيها الجمع، لقد صر
فكن الحر اختيارًا
إن للقوم لعينًا
فتوقع أن يقولوا:

ت من المجلس قبا^٢
وكن الحر انتخابا
ليس تالوك ارتقابا
من عن العمال نابا؟

ليس بالأمر جديرًا
 أو سخا بالمال، أو قدَّ
 أو رأى أُمِّيَّةً، فاخـ
 فتخَيْرَ كُلَّ من شَبَّ
 واذكِرِ الأَنْصَارَ بالأَمـ
 أيها الغادون كالنحـ
 في بكور الطير للرز
 اطلبوا الحقَّ برفق
 واستقيموا يفتح الله
 اهجروا الخمر تطيعوا الله
 إنها رجسٌ، فطُوبَى
 تُرْعِشُ الأَيْدِي، ومن ير
 إنما العاقلُ مَنْ يجـ
 فاذكروا يومَ مَشِيبي
 إن للسنِّ لهمًّا
 فاجعلوا من مالكم
 واذكروا في الصحة الدا
 واجعلوا المال ليومٍ
 قد دعاكم ذنبَ الهيد
 هي طاووسٌ، وهل أحـ

كُلُّ مَنْ ألقى خطابا
 م جاهًا وانتسابا
 تلب الجهل اختلابا
 على الصدق وشابا
 س، ولا تنس الصحابا
 ل ارتيادًا وطلابا
 قٍ مجيئًا وذهابا
 واجعلوا الواجب دابا^٣
 لكم بابًا فبابا
 أو تُرضوا الكتابا
 لامرئٍ كف وتابا
 عش من الصناعات خابا
 علٌ للدهر حسابا
 فيه تبكون الشبابا
 حين تعلقو وعذابا
 للشيب والضعف نصابا
 ء إذا ما السقمُ نابا
 فيه تلقون اغتصابا
 ئة داع فأصابا
 سنه إلا الذنابي؟

هوامش

- (١) الأرض اليباب: الخراب.
- (٢) يريد بالجلس: دار النياية.
- (٣) أي دأبا، وخفقت للضرورة.

نِجَاةٌ^١

هنيئًا أميرَ المؤمنين، فإنَّما
هنيئًا لطفه، والكتابِ، وأمِّةٍ
أخذتَ على الأقدارِ عهدًا وموثَّقًا
ومن يكُ في بُردِ النبيِّ وثوبه
يكاد يسيرُ البيتُ شكرًا لربه
وتستوهبُ الصَّفحَ المساجدُ خُشْعًا
وتستغفرُ الأرضُ الخصبُ وما جنت
وتُثني من الجرحى عليك جراحهم
ضحكتَ من الأهوالِ، ثم بكيتهم
تُثابُ بغاليه، وتُجزى بطُهره
وما كنتَ تُحييهم، فكِلْهُم لربه
رمتهم بسهم الغدر عند صلّاتهم
تبرًّا عيسى منهم وصحابه
يُعادون دينًا، لا يُعادون دولةً

نجاتُك للدينِ الحنيفِ نِجَاةٌ^١
بقاؤك إبقاءً لها وحياةٌ^٢
فلستَ الذي ترقى إليه أذاةٌ^٣
تجزُّه إلى أعدائه الرَّمِيَّاتِ^٤
إليك، ويسعى هاتفًا عرفاتٌ^٥
وتبسط راحَ التَّوْبَةِ الجُمعاتِ^٦
ولكن سقاها قاتلون جناةٌ^٧
وتأتي من القتلَى لك الدعواتِ^٨
بدمع جرت في إثره الرِّحَمَاتِ^٩
إلى البعثِ أشلاءً لهم ورُفَاتِ^{١٠}
فما مات قومٌ في سبيلك ماتوا^{١١}
عصابةً شرًّا للصلاةِ عداةٌ^{١٢}
أَتباعُ عيسى ذي الحنانِ جُفَاةٌ؟^{١٣}
لقد كذبت دعوى لهم وشكاةٌ^{١٤}

^١ أُلْقِيَتْ على جلالَةِ الخليفةِ قذيفةٍ في سبتمبر سنة ١٩٠٥، ثم شاء اللهُ أن يكتبَ له النِجَاةَ من شرِّها؛ فكتبَ الشاعرُ بهنِّه.

ولا خيرَ في الدنيا، ولا في حقوقها
 بأيِّ فؤادٍ تلتقي الهولَ ثابتًا
 إذا زلزلت من حولك الأرض؛ رادها
 وإن خرجت نارٌ فكانت جهنما
 وترتجُ منها لُجَّةً، ومدينةً
 تمشيتَ في بُردِ الخليل، فحضتْها
 وسرتَ وملاء الأرض حولك أذرعُ
 ضحوكًا، وأصنافُ المنايا عوابسُ
 يحوطك إن خان الحُماة انتباههمُ
 تشير بوجهٍ أحمديٍّ، مُنورٍ
 يحيي الرعايا، والقضاءُ مهلُّ
 نجاتك نُعمى للإله سنيَّةُ
 فصيرَ أميرَ المؤمنين ثناءها
 إذا لم يُفتنا من وجودك فائت
 بلونك يقظانَ الصوارمِ والقنا
 سهرت، ولذَّ النومُ — وهو منيَّةُ —
 فلولاك مُلكُ المسلمين مُضيعُ
 لقد زهبت راياتهم غير رايةٍ
 تظلُّ على الأيام غرَّاء، حُرَّةُ
 حنيفيَّة، قد عزَّها، وأعزَّها
 حماها، وأسماها على الدهر منهمُ
 غمائمُ في محلِّ السنين، هواطلُّ
 تهادت سلامًا في ذُراك مطيفةً
 تموتُ سباعُ الجوّ غرَّتْ جِبالها
 سننَّت اعتدالَ الدهر في أمر أهله
 فأنت غمامٌ، والزمانُ خميلةُ
 وأنت ملكُ السلم إن مادَ رُكنه

إذا قيل: طُلابُ الحقوقِ بُغاةٌ^{١٥}
 وما لِقلوبِ العالمين ثباتٌ؟^{١٦}
 وقارُك حتى تسكنَ الجنَّبات^{١٧}
 تُغذِّي بأجسادِ الورى وثقات^{١٨}
 وتصلِّي نواحِ حرَّها، وجهات^{١٩}
 سلامًا وبردًا حولك الغمَّرات^{٢٠}
 ودرعك قلبَ خاشعٍ وصلادةُ^{٢١}
 وقورًا، وأنواعِ الحُتوفِ طُغاةُ^{٢٢}
 ملائِك من عند الإله حُماةُ^{٢٣}
 عيونُ البرايا فيه مُنحسرات^{٢٤}
 يحييه، والأقدارُ معتذرات^{٢٥}
 لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاةُ^{٢٦}
 مآثرَ تُحيي الأرض وهي موات^{٢٧}
 فليس لآمالِ النفوس فوات^{٢٨}
 إذا ضيَّع الصيِّدُ الملوكَ سُبات^{٢٩}
 رعايا تولَّاهَا الهوى ورُعاةُ^{٣٠}
 ولولاك شملُ المسلمين شتات^{٣١}
 لها النصرُ وسمُّ، والفتوحُ شيات^{٣٢}
 مُحجَّلةٌ في ظلِّها الغزوات^{٣٣}
 ثلاثون ملَكًا، فاتحون، غُزاةُ^{٣٤}
 ملوكٌ على أملاكه سرَّوات^{٣٥}
 مصابيحُ في ليلِ الشكوكِ، هُداةُ^{٣٦}
 لها رغباتُ الخلقِ، والرهبات^{٣٧}
 وتحيا نفوسُ الخلقِ والمُهجات^{٣٨}
 فبات رَضِيًّا في دِراك، وباتوا^{٣٩}
 وأنت سنانٌ، والزمانُ قنائةُ^{٤٠}
 وأشفقَ قوامٌ عليه ثقات^{٤١}

أَكَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرَكَ صَالِحٌ
وَمَنْ يَسُسِ الدُّنْيَا ثَلَاثِينَ حِجَّةً
مَلَكَتْ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - ابْنَ هَانِيٍّ
وَمَا زِلْتُ حَسَّانَ الْمَقَامِ، وَلَمْ تَزَلْ
زَهْدَتُ الَّذِي فِي رَاحَتِكَ، وَشَاقِنِي
وَمَنْ كَانَ مِثْلِي أَحْمَدَ الْوَقْتِ، لَمْ تَجْزُ
وَلِي دُرُّرُ الْأَخْلَاقِ فِي الْمَدْحِ وَالْهُوَى
نَجَتْ أُمَّةٌ لَمَّا نَجَوَتْ، وَدُورَكَتْ
وَصَيَّرَ جَلَالَ الْمَلِكِ، وَامْتَدَّ عِزُّهُ
وَأَمَّنَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرِبِهَا
سَلَامِي عَنْ هَذَا الْمَقَامِ مُقْصَّرٌ
وَقَدْ هَوَّنَتْهُ عِنْدَكَ السَّنَوَاتُ؟^{٤٢}
تُعِنُهُ عَلَيْهَا حِكْمَةٌ، وَأَنَاةٌ^{٤٣}
بِفَضْلِ، لَهُ الْأَلْبَابُ مُمْتَلِكَاتُ
تَلِينِي، وَتَسْرِي مِنْكَ لِي النِّفْحَاتُ^{٤٤}
جَوَائِزُ عِنْدَ اللَّهِ مُبْتَغِيَاتُ^{٤٥}
عَلَيْهِ - وَلَوْ مِنْ مِثْلِكَ - الصَّدَقَاتُ^{٤٦}
وَلِلْمُتَنَبِّي دُرَّةٌ، وَحَصَاةٌ^{٤٧}
بِلَادٌ، وَطَالَتْ لِلسَّرِيرِ حَيَاةٌ^{٤٨}
وَدَامَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ وَالْحَسَنَاتُ^{٤٩}
يَتَامَى عَلَى أَقْوَاتِهِمْ، وَعُفَاةٌ^{٥٠}
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ وَالْبَرَكَاتُ^{٥١}

هُوَامِش

- (١) أَتَاكَ الشَّيْءُ هَنِئًا، وَهُوَ هَنِئٌ لَكَ: أَي سَائِغٌ ثَابِتٌ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ.
- (٢) طَه: مِنْ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. الْكِتَابُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. وَالْأُمَّةُ: الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا.
- (٣) الْأَقْدَارُ: جَمْعُ قَدْرٍ وَهُوَ مَا يَقْدِرُهُ اللَّهُ مِنْ قَضَائِهِ، وَيَعْرِفُهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ بِالْأَشْيَاءِ. الْعَهْدُ: هُنَا بِمَعْنَى الضَّمَانِ. الْمَوْثِقُ: الْعَهْدُ. تَرَقَّى إِلَيْهِ: تَصَعَّدَ. الْأَدَاةُ: الْمَكْرُوهُ.
- (٤) الْبَرْدُ: ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ. تَجَزَّهُ: تَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ. الرَّمِيَاتُ: جَمْعُ رَمِيَةٍ.
- (٥) الْبَيْتُ: الْكَعْبَةُ. عَرَفَاتُ: مَكَانٌ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَكَّةَ، الْوُقُوفُ بِهِ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ.
- (٦) تَسْتَوِهُبُ الصَّفْحُ: تَطْلُبُ هَيْبَتَهُ. وَالصَّفْحُ: الْإِعْرَاضُ عَنِ الذَّنْبِ. حُسَّعًا: جَمْعُ خَاشِعٍ. الرَّاحُ: جَمْعُ رَاحَةٍ وَهِيَ الْكَفُّ.
- (٧) تَسْتَغْفِرُ: تَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ. الْأَرْضُ الْخَصِيبُ: الْكَثِيرَةُ الْعُشْبِ، كُنَايَةٌ عَنِ كَثْرَةِ خَيْرِهَا. وَ«مَا» فِي «مَا جَنَّتْ» لِلنَّفْيِ.
- (٨) تَثْنِي عَلَيْكَ: تَمْدَحُكَ. الْجَرْحِيُّ: جَمْعُ جَرِيحٍ. وَالْجِرَاحُ: جَمْعُ جُرْحٍ. الْقَتْلِيُّ: جَمْعُ قَتِيلٍ.

- (٩) الأهوال: جمع هول، وهو الخوف من الأمر لا يدري الإنسان ما يهجم عليه منه. بكيّتهم: أي الجرحى والقتلى. الرحمات: جمع رحمة.
- (١٠) تثاب: تجازى. بغاليه وبطهره: الضمير فيها للدمع. البعث: هنا من بعث الموتى، أي نشرهم يوم القيامة. الرُفات: الحطام وكل ما تكسّر وبلي. أشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفرّق.
- (١١) كلّم لربهم: من وكل إليه الأمر، أي تركه له وفوّضه إليه. في سبيك: أي من أجلك وبسببك.
- (١٢) الغدر: الخيانة وعدم الوفاء. الجماعة: قبل العشرة، وقيل ما بين العشرة والأربعين. العداة: جمع عدوّ، والمراد نصارى الأرمن الذين دبّروا حادث القنبلة.
- (١٣) تبرأ منه: تخلّص منه وأنكره. عيسى: ابن مريم النبي (عليه السلام). صحاب: جمع صاحب. أتباع جمع تابع، والهمزة للاستفهام. الحنان: الرحمة. الجفأة: جمع جافٍ وهو الغليظ الخُلُق.
- (١٤) الشكاة: الشكوى وهي التظلم.
- (١٥) الطلاب: جمع طالب. البغاة: جمع باغٍ وهو الظالم.
- (١٦) الفؤاد: القلب. تلتقي الهول: تستقبله. الهول: المخيف المفاجئ. الثبات: الاستقرار، والخطاب لأمير المؤمنين.
- (١٧) زلزلت الأرض: أرجفت. راد الأرض: تفقّدها ليرى هل تصلح للنزول بها. الوقار: الحلم والرزانة. والجنبات: النواحي، جمع جنبنة.
- (١٨) تغذى، من غذاه: أي أطعمه. أجساد: جمع جسد. الورى: الخلق. تُقات: من قاته، أعطاه قوتاً وهو ما يؤكل ليمسك الرمق.
- (١٩) ترتج: تضطرب. لجة الماء: معظمه. تصلى حرّها: تجده وتحسّه. النواحي: جمع ناحية. الجهات: جمع جهة. والمراد: يرتج منها البرّ والبحر، وتخرق بها جهات الأرض ونواحيها، أي أنها نار عامة عظيمة.
- (٢٠) تمشيت: مشيت. البرد. الثوب. الخليل: هو النبي إبراهيم (عليه السلام)، وقصة خوضه النار التي أوقدها له النمرود مشهورة. سلاماً: أي سلامة. وبرداً: أي لا حرّاً. الغمرات: الشدائد والمكاره.
- (٢١) ملء الشيء: ما يملؤه. أدرع جمع درع، وهي ثوب ينسج من زرد الحديد ويلبس في الحرب؛ للوقاية من سلاح العدو.

(٢٢) الضحوك: الكثير الضحك. المنايا: جمع منية وهي الموت. عوابس: كوالح الوجوه متجهمات. الوقور: الحليم الرزين. الحتوف: جمع حتف وهو الموت أيضاً. طغاة: جمع طاغ وهو الظالم المسرف في ظلمه.

(٢٣) يحوطك: يحفظك ويتعهدك. الحماة: جمع حام. الانتباه: اليقظة للأمر. والملائك: الملائكة.

(٢٤) وجه أحمدي: منسوب إلى أحمد وهو النبي ﷺ نسبة تشریف وتبعية. منور: مضيء. منحسرات: يريد حسيرات، والعين الحسيرة الكليلة التي ينقطع بصرها من طول المدى.

(٢٥) يحيي الرعايا: يسلم عليها. ورعايا الملك: القوم الخاضعون له، جمع رعية. القضاء هنا: تقدير الله. مهلل: من التهليل وهو رفع الصوت بلا إله إلا الله. والأقذار: جمع قدر.

(٢٦) النعمى، كالنعمة: ما أنعم به عليك. سنية: ربيعة عظيمة.

(٢٧) صير: أي اجعل. مآثر: جمع مأثرة وهي المكرمة. أرض موات: لا ينتفع بها.

(٢٨) فاته الشيء: أعوزه وذهب عنه فلم يدركه. الآمال: جمع أمل وهو الرجاء.

(٢٩) بلونك: جربناك واختبرناك. اليقضان: المتنبه المستيقظ. الصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع. القنا: جمع قناة وهي الرمح. الصيد: جمع أصيد وهو الملك؛ لأنه لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً، والأصل أنه الجمل الذي لا يستطيع الالتفات من داء الصيد. السبات: النوم والراحة.

(٣٠) سهرت: أرقت فلم تنم. لذ النوم رعايا ورعاة: أي صار لذيذاً لهم. والرعاة: جمع راع وهو الوالي.

(٣١) مضيّع: مهمل أو مفقود. الشمل: ما اجتمع من الأمر وما تفرّق منه، يقال: جمع الله شملهم أي ما تشنت من شملهم، وفرّق الله شملهم أي ما اجتمع منه. الشتات: المشتت المتفرق.

(٣٢) الراية: العلم، جمعها رايات. الوسم: الأثر والعلامة. الفتوح: جمع فتح وهو النصر. الشيات: جمع شية وهي العلامة.

(٣٣) تظل: تبقى، والمراد الراية. الغراء: مؤنث الأعرى، وهو الفرس بجبهته بياض قدر الدرهم، والأبيض من كل شيء، والكريم الفعال، الواضحها، ومن المجازم: يوم أغرّ محجل، ومثله: راية غراء محجلة. المحجلة: من التحجيل وهو بياض في قوائم الفرس،

والمراد أن بها بياضاً كأنه التحجيل. الغزوات. جمع غزوة: وهي الواحدة من الغزو، وهو المسير إلى قتال العدو.

(٣٤) الحنيفية: المائلة إلى الإسلام الثابتة عليه، وهو وصف للراية أيضاً. عزّها: قواها. وأعزّها: أجلّها. ملكًا: لغة في ملك. غزاة: جمع غاز. (٣٥) حماها: دافع عنها. أسماها: أعلاها. سروات: سادات ورؤساء، وضمير «حماها» و«أسماها» للراية.

(٣٦) غمائم: سحائب وهي جمع غمامة. المحل: الجذب ويبس الأرض من الكلاء لانقطاع المطر. الهواطل: جمع هاطلة وهي السحابة التي يتتابع مطرها. مصابيح: جمع مصباح وهو السراج. هداة. جمع هادٍ وهو المرشد الدال على الطريق.

(٣٧) تهادت: من التهادي وهو أن يمشي الرجل وحده مشياً غير قوي متميلاً، والضمير عائد إلى الراية. الذرا: أعالي الأشياء، واحدتها ذروة. مطيفة: من أطاف بالشيء ألبه وقاربه أو حام حوله أو أحاط به. الرغبات جمع رغبة وهي إرادة الشيء والحرص عليه. الرهبات: جمع رهبة وهي الخوف.

(٣٨) السباع: جمع سبع وهو المفترس من الحيوانات مطلقاً، والمراد بسباع الجو سباع الطير. غرثي: جمع غرثان وهو الجائع. حيالها: أي قبالتها وإزاءها. المهجات: جمع مهجة وهي الدم، أو هي دم القلب، يقال: سالت مهجته والنفس، ويقال: بذلت له مهجتي، والخالص من كل شيء.

(٣٩) سننت: أبنت وصوّرت. والاعتدال: الاستقامة. راضيًا: راضيًا. والذرا: الملجأ. (٤٠) الغمام: السحاب. والخميلة: الشجر الكثير الملتف حيث كان، وهي أيضاً الموضع الكثير الشجر. السنان: نصل الرمح. القناة: الرمح.

(٤١) ملاك السلم: قوامه الذي يملك به. والسلم السلام والأمان. وماد: تحرّك واضطرب. وقوأم: جمع قائم. وثقات: جمع ثقة، يقال هو ثقة أي موثوق به. (٤٢) هونته: سهلته وخففته. والسنوات: جمع سنة.

(٤٣) يسس: من ساس الشيء دبّره وقام بأمره. يعنه: يساعده ويظاهره. والحكمة: العدل، والعلم، ووضع الأمر في موضعه، وصواب الأمر وسداده. والأناة: الرفق، وهي الحلم أيضاً.

(٤٤) ما زلت حسن المقام: أي ما زلت قائماً منك مقام حسن من النبي ﷺ، وهو حسن بن ثابت الشاعر والصحابي، تليني: تدنو مني. تسري: تتسلسل. النفحات: العطايا.

- (٤٥) زهدت الشيء: تركته ورغبت عنه. الراحتان: الكفَّان. شاقني جوائز: هيجتني. الجوائز: جمع جائزة وهي العطيَّة. مبتغيات: مطلوبات.
- (٤٦) لم تجز: لم تكن جائزة. الصدقات: جمع صدقة وهي العطيَّة، يُراد بها الثواب.
- (٤٧) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين المشهور. الحصة: الحجر الصغير، يريد أن للمتنبي الجيد والرديء من الشعر، أمَّا هو فله الجيد دائماً.
- (٤٨) نجت: خلصت. ودوركت: فعل المجهول من داركه إذا لحقه. السرير: سرير الملك.
- (٤٩) صين: حُفِظَ. الجلال: التناهي في عظم القدر ورفع الشان. والعزُّ: القوة وعدم الذلِّ. والحسن: الجمال. والحسنات: جمع حسنة وهي ضد السيئة.
- (٥٠) أمن: أعطى الأمان. يتامى: جمع يتيم وهو مَنْ مات أبوه. أقوات: جمع قوت وهو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام. العفاة: طلاب المعروف، جمع عافٍ.
- (٥١) مقصَّر: من قصر عن الأمر إذا تركه ولم يقدر عليه.

إلى عرفات

إلى عرفاتِ اللهِ يا خيرَ زائرٍ
ويومَ تُؤلِّي وجهَةَ البيتِ ناضراً
على كلِّ أفقٍ بالحجازِ ملائِكُ
إذا حُدِيتْ عيسُ الملوكِ، فإنسهم
لدى (الباب) جبريلُ الأمينِ، براجهِ
عليك سلامُ الله في عرفاتِ^١
وسيمَ مجالي البشرِ والقسماتِ^٢
تَرْفُ تحايا الله والبركاتِ^٣
لِعيسك في البيداءِ خيرُ حُداةٍ^٤
رسائلُ رحمانِيَّةُ النَّفَحَاتِ^٥

* * *

وفي الكعبة الغراءِ ركنُ مُرَحَّبٍ
وما سكب الميزابُ ماءً، وإنما
(وزمزمُ) تجري بين عينيكِ أعيناً
ويرمون إبليسَ الرجيمَ، فيصطلي
يُحييكَ (طه) في مضاجع طُهره
ويُثني عليك (الراشدون) بصالحِ
لك الدينُ يا ربَّ الحَجِيجِ، جمعَتهم
أرى الناسَ أصنافاً، ومن كل بقعةٍ
تساووا، فلا الأنسابُ فيها تفاوتُ
عَنَّتْ لك في التُّرْبِ المقدِّسِ جبهةُ
مُنَوَّرَةِ كالبدرِ، شَمَاءُ كالسُّها
بكعبةِ قُصَايَا، ورُكْنِ عُفَاةِ^٦
أفاض عليك الأجرَ والرَّحْمَاتِ^٧
من الكَوُثْرِ المعسولِ مُنْفَجِرَاتِ^٨
وشانِيكَ نيراناً من الجَمَرَاتِ^٩
ويعلم ما عالجتَ من عقباتِ^{١٠}
وربَّ ثناءٍ من لسانِ رُفَاتِ^{١١}
لبيتِ طُهورِ السَّاجِ والعَرَصَاتِ^{١٢}
إليك انتهوا من غُرْبَةٍ وشتاتِ^{١٣}
لديك، ولا الأقدارُ مختلفاتِ
يدينُ لها العاتي من الجبهاتِ^{١٤}
وتُخَفِّضُ في حَقِّ، وعند صلاةِ^{١٥}

لعبدك، ما كانت من السَّلَسات^{١٦}
 فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلَّوات^{١٧}؟
 وفي العمر ما فيه من الهفوات^{١٨}؟
 ولم أْبغ في جَهري، ولا خطراتي^{١٩}
 على حكمةٍ آتيتني وأناة^{٢٠}
 لدى سُدّةٍ خيرِيّةِ الرغبات^{٢١}
 على حُسدي، مستغفراً لعداتي^{٢٢}
 كنفسِي، في فِعلي، وفي نَفثاتي^{٢٣}
 أُجِلُّ، وأُغلي في الفروض زكاتي^{٢٤}
 ويتركها النُّسكُ في الخلوات^{٢٥}
 من الصفح ما سوّدتُ من صفحاتي^{٢٦}
 يمتُ كقتيل الغيد بالبسمات^{٢٧}
 كريم الحواشي، كابر الخطوات^{٢٨}
 وتحت سماءِ الوحي والسورات^{٢٩}
 ويُضفي عليها الأَمَنُ في الرّوحات^{٣٠}

وياربِّ، لو سَحَرَتَ ناقَةَ (صالح)
 ويا ربِّ، هل سيارةٌ أو مطارةٌ
 ويا ربِّ، هل تُغني عن العبد حَجَّةً
 وتشهدُ ما آذيتُ نفسًا، ولم أضِرُّ
 ولا غلبتني شِقوَةٌ أو سعادةٌ
 ولا جالٌ إلا الخيرُ بين سرائري
 ولا بتُّ إلا كابن مريم، مشفقًا
 ولا حُمَلتُ نفسُ هوى لبلادها
 وإني - ولا منُ عليك بطاعة -
 أبالُغُ فيها وهي عدل ورحمة
 وأنت وليُّ العفو، فامحُ بناصع
 ومَنْ تضحك الدنيا إليه فيغترر
 وركب كإقبالِ الزمان، مُحجَّل
 يسيرُ بأرضٍ أخرجتُ خيرَ أمةٍ
 يُفيض عليها اليُمَنُ في غدواته

وقبَلتُ مثنوى الأَعْظَمِ العَطِرات^{٣١}
 لأحمدَ بين السُّترِ والحُجرات^{٣٢}
 وضاع أريجُ تحت كل حِصاة^{٣٣}
 وباني صروحِ المجدِ فوق فلاة^{٣٤}
 أبثُّك ما تدري من الحسرات^{٣٥}
 كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُبات^{٣٦}
 فما بالهم في حالِكِ الظلمات^{٣٧}
 فما ضرُّهم لو يعملون لأتي^{٣٨}؟
 مجالٌ لمقدامِ كبيرِ حياة^{٣٩}
 بوارجٍ في الأبراجِ ممتنعات^{٤٠}
 ورَينٌ لها الأفعالُ والعزمات^{٤١}

إذا زرتَ - يا مولاي - قبرَ محمدٍ
 وفاضت مع الدَّمعِ العيونُ مهابةً
 وأشرق نورٌ تحت كلِّ ثرِيّةٍ
 لمُظهِرِ دينِ الله فوق تَنوْفِيّةٍ
 فقل لرسولِ الله: يا خَيْرَ مُرْسَلٍ
 شعوبكُ في شرقِ البلادِ وغربها
 بأيمانهم نورانٍ: ذِكرٌ، وسُنّةٌ
 وذلك ماضي مَجدهم وفخارهم
 وهذا زمانٌ، أرضه وسماؤه
 مشى فيه قومٌ في السماءِ، وأنشئوا
 فقل: ربِّ وَفَقِ للعِظائمِ أمتي

هوامش

- (١) عرفات: اسم موضع وقوف الحاج على مقربة من مكة، وهو اسم واحد في صورة الجمع.
- (٢) تَوَلَّى وجهه البيت: تستقبلها. والوجهة: المكان الذي يستقبله الإنسان. ناضراً من النضرة: وهي الحسن. وسيم: جميل مجالي البشر، والمراد الوجه. والبشر: طلاقة الوجه. القسمات: جمع قسمة وهي الوجه، وقيل: ما بين الوجنتين والأنف.
- (٣) الأفق: الناحية. ملائك: جمع ملك. التحايا: جمع تحية.
- (٤) حديت: من الحداء وهو سوق الإبل والغناء لها. والعيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة. والبيداء: المفازة. الحداء: جمع حاد
- (٥) جبريل: هو أمين الوحي (عليه السلام). والراح: جمع راحة وهي الكف.
- (٦) مرحب: من رحَّب به أي قال له مرحباً. وقُصَاد: جمع قاصد. وعفاة: جمع عافٍ وهو طالب المعروف.
- (٧) سكب الماء: صبّه. الميزاب (ويقال له مئزاب ومززاب ومزراب): ما يسيل منه الماء من مكان عالٍ، قالوا: ومنه ميزاب الكعبة أي مصب ماء المطر من فوقها، وهو المراد هنا. أفاض: أفرغ.
- (٨) زمزم: بئر عند الكعبة. والكوثر: نهر في الجنة، والكثير من الماء، والمعسول: الحلو.
- (٩) إبليس: علم جنس للشيطان. والرجيم: هو المطرود، والملعون، والمرجوم بالحجارة ويصطلي نيراناً: يحترق بها. والشاني: المبعض، والجمرات: الحصيات، واحدتها جمرة.
- (١٠) يحييك: من حيَّاه إذا قال له: حيَّك الله، أي أطال عمرك. وطه: اسم النبي ﷺ ومضاجع: جمع مضطجع وهو مكان الاضطجاع. العقبات: واحدها عقبة وهي الطريق الصعب في أعلى الجبل، والمراد هنا صعاب الأمور.
- (١١) يثني عليك الراشدون: يذكرونك بخير. والراشدون: الخلفاء الأربعة بعد النبي ﷺ وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ. والرفات: ما بلي من جسم الإنسان بعد موته.
- (١٢) الحجيج: جمع حاج وهم الحجاج. والساح: جمع ساحة وهي ساحة الدار. والعرصات: جمع عرصة وهي البقعة من بين الدور ليس فيها بناء.
- (١٣) الأصناف: الأنواع. والغربة: الاغتراب. والشتات: التفرُّق.

- (١٤) عنت لك: خضعت وذلت. والترب: التراب. ويدين لها: يطيعها. والعاتي من الجبهات: أي الجبهة العاتية التي تجاوزت الحدَّ في الاستكبار والجبروت والخطاب لله تعالى، يريد أن جبهة الممدوح عنت الله، وهي التي أطاعها العتاة المتكبرون.
- (١٥) منورة: صفة للجبهة في البيت السابق. وشمًا: مرتفعة، صفة للجبهة أيضًا. والسها: كوكب من بنات نعش الصغرى. وتخفض: من الخفض ضد الرفع.
- (١٦) سخرت: من التسخير، وهو تذليل الدابة وركوبها بغير أجره. والسلسات: جمع سلسلة وهي المنقادة.
- (١٧) السيارة: صيغة مبالغة من السير، جعله المتأدبون اسمًا (للأتومبيل). المطارة: سمِّي بها المركبة التي تطير في الجو بالوسائل الصناعية. يدنو: يقرب. والبيد: جمع بيداء. والفلوات: جمع فلاة.
- (١٨) هل تغني عن العبد حجة: أي هل تنفعه حجة في مهم أمره عند الله. والهفوات: الزَّلَّات.
- (١٩) وتشهد أنت يا رب ما آذيت نفسك: أي لم أصل إليها بأذى. ولم أضر: لم أفعل ما يضرُّ. ولم أبغ: لم أرتكب البغي. والجهر: العلانية. والخطرات: واحدها خطرة وهي ما يلوح للإنسان في فكره.
- (٢٠) الشقوة: ضد السعادة. والحكمة: العدل، والحلم، وقيل: ما يمنع الجهل، وقيل: هي كل كلام واقع الحق، وقيل: هي وضع الشيء في موضعه، وصواب الأمر وسداده. والأناة: الحلم.
- (٢١) جال: طاف غير مستقر. والسرائر: جمع سريرة وهي ما أسرَّه الإنسان من أمره. والسدة الباب.
- (٢٢) ابن مريم: عيسى (عليه السلام). ومشفقًا على حسدي: حريصًا على صلاحهم. والحُسد: جمع حاسد. مستغفرًا لعداتي: طالبًا للمغفرة. والعادة: جمع عدوٌّ.
- (٢٣) الهوى: الحب. والنقثات: جمع نفثة، تطلق على الشعر مجازًا فيقال: ما أحسن نقثات فلان، أي ما أحسن شعره.
- (٢٤) المنُّ: الامتنان بتعداد الصنائع. وأجلُّ زكاتي: أعظمها. وأغليها أجعلها غالية والفروض: ما فرضه الله من العبادات الخمس، والزكاة أحد هذه الفروض.
- (٢٥) أبالغ فيها: من بالغ في الأمر أي اجتهد فيه ولم يقصر. والنسك: جمع ناسك وهو العابد المترهِّد. في الخلوات: متعلق بالنسك.

- (٢٦) وليُّ العفو: أي متوليه وصاحبه، والعفو: ترك العقوبة والإعراض عن المؤاخذة. امح: أزل. الناصع: الخالص الصافي. والصفح: ترك الشيء والإعراض عنه.
- (٢٧) يغترُّ: يخدع بالشيء ويظنُّ به الأمن فلا يتحفظ. والغيد: جمع غيداء، وهي المرأة الطويلة العنق، والتي تنتثني ليناً، والتي لطفت بشرتها وكمل حسنهما، والبسمات: واحدها بسمه وهي الضحكة من غير صوت.
- (٢٨) المحجَّل من الخيل: ما في قوائمه بياض، والمعنى ركب مطاياها محجَّلة، أو محجل، ويكون المراد مشرق مضيء على سبيل المجاز، كقولهم: يوم أعرُّ محجَّل. والحواشي الجوانب والنواحي والكابر: رفيع الشأن.
- (٢٩) يسير بأرض: يريد أرض الحجاز، ويريد بخير أمة العرب خاصة والمسلمين عامة. والوحي: أصله كل ما ألقىته إلى غيرك، ثم غلب على ما يلقي للأنبياء من عند الله. والسورات: هي سور القرآن، جمع سورة.
- (٣٠) يفيض: يسيل. واليمن: الخير والبركة. والغدوات: جمع غدوة وهي المرة من الغدو. ويضفي عليها الأمن: يسبغها عليها. والروحان: جمع روحة وهي المرة من الرواح. والغدو والروحان على إطلاقهما: الذهاب والمجيء في أي وقت. وضمير «عليها» للأرض في البيت السابق.
- (٣١) إذا زرت يا مولاي: الخطاب للخديو. والمثوى: المقام. والأعظم: جمع عظم. والعطرات: المنطبيات بالعطر.
- (٣٢) فاضت: سألت ماؤها. والمهابة: الخوف والتوقير. وأحمد: اسم النبي ﷺ أيضاً.
- الستر: ما يستر به. والحجرات: جمع حجرة وهي البيت الصغير في الدار.
- (٣٣) الثنية: طريق العقبة. وضاع: فاح. والأريج: الرائحة الطيبة.
- (٣٤) مظهر دين الله: معلنه والجاهر به. والتنوفة: المفازة وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف. والصروح: جمع صرح وهو القصر، وكل بناء عالٍ. والفلاة: أي الصحراء القفر الواسعة.
- (٣٥) أبئك: أطلعك. وما تدري: ما تعلم. والحسرات: جمع حسرة وهي أشد التلهُّف على الفائت.
- (٣٦) شعوبك: جمع شعب وهو القبيلة العظيمة من الناس. والكهف: البيت الواسع المنقور في الجبل. والعميق: البعيد الغور. والسبات: النوم.
- (٣٧) أيمانهم: جمع يمين، وهي الجهة المضادة لليسار والجارحة أيضاً، وهي المرادة هنا، والمعنى معهم نوران.. إلخ. والذكر: القرآن. والسنة: الشريعة، وقد تطلق

عند الفقهاء على جملة أحاديث النبي ﷺ والبال. الحال والشأن، أي ماذا غير حالهم حتى ساروا في الظلمات الحالكة؟ والحاك: الشديد السواد. والظلمات: جمع ظلمة، وهي نهاب النور.

(٣٨) المجد: العزُّ والرفعة. والفخار: المباهاة بالمناقب والمكارم.

(٣٩) المجال: مكان الجولان وهو الطواف في غير استقرار. المقدام: أصله الكثير

الإقدام على العدو، والمراد هنا الكثير الإقدام على عظام الأمور.

(٤٠) مثنى فيه: أي في هذا الزمان. وأنشئوا: أحدثوا. وبوارج: جمع بارجة وهي

سفينة كبيرة للقتال. والأبراج جمع برج وهو في السماء بابها، وقيل منزلة القمر، وقيل

الكوكب العظيم. وممتنعات: محتميات، والمعنى أن قومًا بلغوا من العزّة في هذا الزمان

أن مشوا في جوّ السماء، يريد طاروا فيه وأنشئوا طيارات ترتفع حتى تكاد تصل إلى

السماء.

(٤١) وفق للعظام أمتى: ألهمها إياها. والعظام: جمع عظيمة وهي ما عظم من

الأمور. وزين لها الأفعال: اجعلها زينة عندها أي غير مشينة. والعزمات: جمع عزمة

وهي الثبات والصبر فيما يعزم عليه.

مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات^١

قَمْ حَيِّ هَذَا النَّيِّرَاتِ
وَإخْفِضْ جَبِينَكَ هَيْبَةً
زَيْنِ الْمَقَاصِرِ وَالْحِجَابِ
هَذَا مَقَامُ الْأَمْهَاتِ
لَا تَلْغُ فِيهِ، وَلَا تَقْلُ
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلَا تَكُنْ
أَنْكُرُ لَهَا الْيَابَانَ، لَا
مَاذَا لَقَيْتَ مِنَ الْحَضَا
لَمْ تَلْقَ غَيْرَ الرَّقِّ مِنْ
خُذْ بِالْكِتَابِ، وَبِالْحَدِيدِ
وَارْجِعْ إِلَى سِنَنِ الْخَلِيَّةِ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، لَمْ
الْعِلْمُ كَانَ شَرِيعَةً
رُضْنَ التَّجَارَةَ، وَالسِّيَا
وَلَقَدْ عَلَتْ بِبَنَاتِهِ

حَيِّ الْحَسَانَ الْخَيْرَاتِ
لِلْخُرْدِ الْمَتَخَفِّرَاتِ^١
لِ، وَزَيْنِ مَحْرَابِ الصَّلَاةِ^٢
تِ، فَهَلْ قَدَرْتَ الْأَمْهَاتِ؟
غَيْرَ الْفَوَاصِلِ مُحْكَمَاتِ^٣
خَطْبًا عَلَى مِصْرَ الْفِتَاةِ
أَمَّ الْهَوَى الْمَتَهْتَكَاتِ
رَا يَا أُخِيَّ التُّرْهَاتِ^٤
عُسْرٍ عَلَى الشَّرْقِيِّ عَاتِ
ثِ، وَسِيرَةَ السَّلْفِ الثَّقَاتِ^٥
قَةِ، وَاتَّبِعْ نُظْمَ الْحَيَاةِ
يُنْقِصْ حَقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ
لِنِسَائِهِ الْمُتَفَقِّهَاتِ^٦
سَةَ، وَالشُّثُونَ الْأَخْرِيَاتِ^٧
لُجَجِ الْعُلُومِ الزَّاهِرَاتِ

^١ أَلْقَيْتَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي جَمْعِ حَافِلٍ مِنَ السِّيَدَاتِ الْمِصْرِيَّاتِ بِمَسْرَحِ حَدِيقَةِ الْأَرْبَكِيَّةِ.

كانت سُكَيْنَةُ تَمَلُّ الدُّنْيَا،
 روت الحديث، وفسَّرتُ
 وحضارةُ الإسلامِ تنـ
 بغدادُ دارُ العالَمَا
 ودمشقُ تحتَ أُمِّيَّةِ
 ورياضُ أندلسٍ نَمِيَّةِ
 وتهزأُ بِالرُّوَاةِ^٨
 آيِ الكِتَابِ البَيِّنَاتِ
 طُقُّ عن مَكَانِ المِسلِمَاتِ
 ت، ومنزلُ المُتَأدِّبَاتِ^٩
 أمُّ الجَوَارِي النَابِغَاتِ^{١٠}
 نَ الهَاتِفَاتِ الشَاعِرَاتِ^{١١}

انْعُ الرِّجَالُ لِيَنْظُرُوا
 والنَّفْعَ كَيْفَ أُخِذْنَ فِي
 لَمَّا رَأَيْنَ نَدَى الرَّجَا
 ورَأَيْنَ عِنْدَهُمُ الصَّنَا
 والبِرَّ عِنْدَ الأَغْنِيَا
 أَقْبِلْنَ يَبْنِيْنَ المَنَا
 كيف اتحدَّ الغانيات؟
 أسبابه متعاونات؟
 لِ تَفَاخُرًا، أَوْ حَبِّ ذَاتِ^{١٢}
 نَعَّ والفنونَ مُضِيَّعَاتِ
 ءِ مِنَ الشُّئُونِ المِهْمَلَاتِ
 ئِرَ لِلنَّجَاحِ مُوَفَّقَاتِ

للصالحاتِ عقائلِ الـ
 لله أنبتهنَّ في
 فأتينَ أطيَّبَ ما أتى
 لم يكفِ أن أحسنَّ حتَّى
 يمشينَ في سوقِ الثَّوَا
 يَلْبَسُنَّ ذُلَّ السَّائِلَا
 فوجوهُهُنَّ وماؤُهَا
 مصرُ تُجدِّدُ مجدَّهَا
 النافراتِ مِنَ الجُمو
 هل بينهنَّ جوامدًا
 لما حضنَّ لنا القضيَّةَ
 غذَّيْنَهَا فِي مَهْدِهَا
 وادي هوى في الصالحات^{١٣}
 طاعاته خيرَ النبات
 زَهْرُ المَنَاقِبِ وَالصِّفَاتِ^{١٤}
 زِدْنَ حَصَّ المَحْصَنَاتِ؟^{١٥}
 ب، مساوماتٍ، رابحات
 ت، وما ذُكِرْنَ البائِساتِ^{١٦}
 سِتْرُ عَلى المِتْجَمَلَاتِ^{١٧}
 بنسائها المتجدِّدات
 د، كأنه شَبَحُ المِمَاتِ^{١٨}
 فرقُ وبيِنِ المُوَمِيَّاتِ؟^{١٩}
 كن خيرِ الحاضِنَاتِ^{٢٠}
 بلبانِهِنَّ الطَاهِرَاتِ

وسبِقْنَ فِيهَا الْمُعَلِّمِيْنَ نَ إِلَى الْكِرِيهَةِ مُعَلِّمَاتٍ ٢١
يَنْفُقْنَ فِي الْفِتْيَاتِ مِنْ رُوحِ الشَّجَاعَةِ وَالنَّبَاتِ ٢٢
يَهْوَيْنَ تَقْبِيلَ الْمُهْنَدِ أَوْ مُعَانِقَةَ الْقَنَاةِ ٢٣
وَيَرَيْنَ حَتَّى فِي الْكُرَى قُبَلَ الرِّجَالِ مُحَرَّمَاتِ

هوامش

- (١) الخَرْدُ: العذارى. والمخفرات: المستحييات.
- (٢) الزين: ضد الشين. والمقاصر: جمع مقصورة وهي إمَّا الدار الواسعة المحصنة، أو الحجر من حجر الدار. والحجال: جمع حجل وهو الخلال.
- (٣) لا تلغُ: لا تقل باطلاً عن غير رويَّة وفكر. والفواصل: جمع فاصلة وهي من السجع بمنزلة القافية من الشعر.
- (٤) التُّرْهَات: الطرق الصغار تتشعب عن الجادة، واحدها تُرْهَةٌ، ثم استعيرت للباطل.
- (٥) الثقات: جمع ثقة وهي الموثوق به، ويوصف به المفرد وغير المفرد، والمذكر والمؤنث.
- (٦) المتفَقِّهَات: من تفقَّه أي تعلَّم الفقه وتعاواه، والفقه هو علم الدين، أو من تفقَّه في العلم إذا تعلَّمه.
- (٧) رضى: من راض الشيء أي ذلَّه وجعله مطيعاً.
- (٨) سَكِينَةٌ: هي بنت الحسين بن الإمام عليٍّ (رضى الله عنه) وحفيدة الرسول ﷺ.
- (٩) بغداد: مقرُّ مُلْكِ العباسيين بالعراق. والمتأدِّبات: المتعلِّمات الأدب.
- (١٠) دمشق: مقرُّ الأمويين في الشام. والجواري: جمع جارية وهي الفتاة.
- (١١) أندلس: بلاد في غرب أوروبا، هي الآن مملكة إسبانيا أو بعضها، وكانت قديماً مقرُّ ملك إسلامي عظيم، أوَّل مَنْ دخلها ونقل إليها حضارة وأنشأ بها ذلك الملك هو عبد الرحمن الداخل الأموي المسمَّى «صقر قريش». ونمين الهاتفات: من قولهم نمته عشيرته، أي رفعت بالانتساب إليها.
- (١٢) الندى: الجود.
- (١٣) الصالحات: نوات الصلاح من النساء. والعقائل: جمع عقيلة وهي الكريمة المخدرة. والصالحات — في آخر البيت — صفة لمخدوف، أي والأفعال الصالحات.

الشوقيات

- (١٤) المناقب: المفاخر.
- (١٥) الحُضُّ: مصدر حَضَّه على الأمر إذا حمّله عليه.
- (١٦) البائِسات: الشديديات الحاجة.
- (١٧) المتجمّلات: الفقيرات اللاتي لم يظهرن ذلَّ الفقر.
- (١٨) الجمود: التيبس.
- (١٩) الموميات. واحدها موميا، وهي يونانية معناها حافظ الأجسام، وتطلق اليوم على الأجسام المحنّطة.
- (٢٠) القضية: هي قضية استقلال وادي النيل.
- (٢١) المعلمون: الفرسان لهم علامة في الحرب لبطولتهم.
- (٢٢) ينفثن: من قولهم: نفث الله الشيء في القلب أي ألقاه.
- (٢٣) المهند: السيف. والقناة: الرمح.

خلافة الإسلام^١

عادت أغاني العرسِ رَجَعَ نواحٍ
كُفِّنَتْ في ليلِ الزفافِ بثوبه
شَيَّعَتْ من هَلَعٍ بَعْبَرَةٍ ضاحِكٍ
ضَجَّتْ عليكِ مَأَذَنٌ، ومنابرٌ
الهندُ والهتةُ، ومصرُ حزينَةٌ
والشامُ تسألُ، والعراقُ، وفارسُ
وأنت لكِ الجَمْعُ الجلائلُ مأتَمًا
يا لِلرَّجالِ لِحْرَةَ مَوْءُودةٍ
إِنَّ الَّذِينَ أَسَتْ جِراحَكَ حربُهُم
هتَكوا بأيديهم مُلاءةَ فخرهم
نزَعوا عن الأَعناقِ خَيْرَ قِلادةٍ
حَسَبُ أَتى طوْلُ اللَّياليِ دونَه
وعَلاقةٌ فَصِمَتْ عُرَى أسبابها

وُنُعيتِ بينِ معالمِ الأفرَاحِ^١
وُدُفِنَتْ عندَ تَبلُّجِ الإِصباحِ^٢
في كلِّ نَاحيةٍ، وسَكرةٍ صاحِ^٣
ويكُتِ عليكِ مَمالِكُ، ونواحِ
تَبكي عليكِ بِمدمعِ سَحاكِ^٤
أَمَحا من الأَرْضِ الخِلافةَ ماكِ؟
فَقعدنِ فيهِ مَقاعدَ الأَنواحِ^٥
قُتِلتِ بِغَيرِ جَريرةٍ وَجُناحِ^٦
قَتَلتِكَ سَلْمُهُموا بِغَيرِ جِراحِ^٧
مَوْشِيَةً بِمواهِبِ الفِتاحِ^٨
وَبَضُوا عَنِ الأَعطافِ خَيرِ وِشاكِ^٩
قَد طاحَ بَينَ عَشيَةِ وَصِباحِ^{١٠}
كانتِ أَبَرَّ عَلائِقِ الأرواحِ

^١ ما كاد العالم الإسلامي يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم في ميدان الحرب والسياسة، ذلك النصر الحاسم، الذي كان حديث الدنيا، والذي تمَّ على يدِّ مصطفى باشا كمال في سنة ١٩٢٣، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك، فنظم الشاعر هذه القصيدة يرثي فيها الخلافة، وينبئ به ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازي، لعله يبني ما هُدِمَ وينصف مَنْ ظَلِمَ.

جَمَعَتْ عَلَيْهِ سرائِرَ النَّزَّاحِ ١١
 فِي كُلِّ غُدُوَّةٍ جُمُعَةٍ وَرِوَاغٍ
 بِالشَّرْعِ، عَرَبِيدِ الْقَضَاءِ، وَقَاحِ ١٢
 وَأَتَى بِكَفْرِ فِي الْبِلَادِ بَواحِ ١٣
 خَلَقُوا لِفِقْهِهِ كَتِيبَةَ وَسِلَاحِ
 أَوْ خَوَطَبُوا سَمِعُوا بِضَمِّ رِمَاحِ
 مَنْ كُنْتُ أَدْفَعُ دُونَهُ وَالْأَحْيِ ١٤
 قَلَّدْتُهُ الْمَأْتُورَ مِنْ أَمْدَاحِي؟
 وَقَرِيعُ شَهْبَاءٍ، وَكَبِشُ نِطَاحِ ١٥
 وَأَقُولُ مَنْ رَدَّ الْحَقُّوقَ إِباحِي؟
 وَأَحَقُّ مِنْكَ بِنِصْرَةٍ وَكِفَاحِ
 أَوْ خَلَّ عَنْكَ مَوَاقِفَ النَّصَّاحِ
 هَرَمٌ غَلِيظٌ مَنَاجِبِ الصُّفَاحِ ١٦
 تَرَكَ الصَّرَاعَ مُضَعِّضَ الْأَلْوَاحِ ١٧
 إِنْ الْجِوَادَ يَثُوبُ بَعْدَ جِمَاحِ ١٨
 كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي صَرِيحِ الرَّاحِ؟
 وَالنَّاسَ نَقَلَ كَتَائِبَ فِي السَّاحِ ١٩
 لَمْ تَسَلْ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَشْبَاحِ
 حَتَّى تَنَاولَ كُلَّ غَيْرِ مَبَاحِ
 وَجَدَ السَّوَادَ لَهَا هَوَى الْمُرْتَاحِ
 لَمْ تُعْطَ غَيْرَ سَرَابِهِ اللَّمَّاحِ ٢٠
 لَمْ يُوَحِّها غَيْرَ النَّصِيحَةِ واحِ؟
 عَنِ حَوْضِها بِبِرَاعَةِ نَضَّاحِ ٢١
 وَهَوَى لِنَدَاتِ الْحَقِّ وَالْإِصْلَاحِ
 حَتَّى أَكُونَ فَرَاشَةَ الْمَصْبَاحِ ٢٢
 وَفَتْوحُ أَنْوَرٍ فَصَلَّتْ بِصَفَاحِ ٢٣
 وَشَبَا يِرَاعِي غَيْرُ ذَاتِ بَرَّاحِ ٢٤

جَمَعَتْ عَلَى الْبَرِّ الْحُضُورَ، وَرَبَّما
 نَظَمَتْ صَفُوفَ الْمُسْلِمِينَ وَخَطُوهِم
 بِكَتِيبِ الصَّلَاةِ، وَتَلَكَ فِتْنَةً عَابِثِ
 أَفْتَى خَزَعِبِلَةً، وَقَالَ ضَلالَةً
 إِنَّ الَّذِينَ جَرَى عَلَيْهِمُ فِقْهُهُ
 إِنْ حَدَّثُوا نَطَقُوا بِخُرْسِ كَتَائِبِ
 أَسْتَغْفِرُ الْأَخْلَاقَ، لَسْتُ بِجَاحِدِ
 مَا لِي أَطُوقُهُ الْمَلَامَ وَطالِما
 هُوَ رِكنٌ مَمْلُوكَةٌ، وَحائِطٌ دَوْلَةٍ
 أَأَقُولُ مَنْ أَحْيَا الْجَماعَةَ مُلْجِدُ
 الْحَقِّ أَوْلَى مِنْ وَلِيكَ حَرَمَةً
 فامدح على الحقِّ الرِّجالَ وَلْمُهمُ
 وَمِنْ الرِّجالِ إِذا انبَرَيْتَ لَهْدَمِهِم
 فإِذا قَذَفْتَ الْحَقَّ فِي أَجْلالِهِ
 أَذُوا إِلَى الْغَازِي النَّصِيحَةَ يَنْتَصِحُ
 إِنْ الْغُرُورَ سَقَى الرَّئِيسَ بِرَاجِهِ
 نَقَلَ الشَّرائِعَ، وَالْعَقائِدَ، وَالقَرِي
 تَرَكَتَهُ كَالشَّيْبِ الْمَوْالِيهِ أُمَّةٌ
 هُمْ أَطْلَقُوا يَدَهُ كَقَيْصَرَ فِيهِمُ
 غَرَّتَهُ طاعِاتُ الْجُمُوعِ، وَدَوْلَةٌ
 وَإِذا أَخَذَتِ الْمَجْدَ مِنْ أُمِّيَّةِ
 مَنْ قائلٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِقالَةً
 عَهْدُ الْخِلافَةِ فِيَّ أَوْلُ نائِدِ
 حَبُّ لِنَدَاتِ اللَّهِ كانَ، وَلَمْ يَزَلْ
 إِنِّي أَنَا الْمَصْبِاحُ، لَسْتُ بِضائِعِ
 غَزَواتُ (أَدْهَمُ) كُئِلَّتْ بِذِوايِلِ
 وَلَّتْ سَيُوفُهُما، وَبانَ قَنائُهُما

لا تَبْدَلُوا بُرْدَ النَّبِيِّ لِعَاجِزٍ
بِالْأَمْسِ أَوْ هِيَ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَةً
عُزْلٍ، يَدَافِعُ دُونَهُ بِالرَّاحِ ٢٥
وَالْيَوْمَ مَدَّ لَهُم يَدَ الْجِرَاحِ ٢٦
يَدْعُو إِلَى (الْكَذَابِ) أَوْ لِسَجَاحِ ٢٧
فِيهَا يَبَاعُ الدِّينَ بِيَعِ سَمَاحِ
وَهُوَ النَّفُوسِ، وَحَقْدِهَا الْمِلْحَاحِ ٢٨

هوامش

- (١) الأغاني: جمع أغنية وهي ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه. والرجع: ما يردُّ في المكان الخالي على الإنسان إذا رفع صوته. والمعالم: جمع معلم وهو موضع الشيء الذي يظن فيه وجوده.
- (٢) تَبْلُجُ الإصْبَاحُ: إشراقه وإنارته.
- (٣) الهلع: الجزع الشديد. والعبرة: الدمعة قبل أن تفيض، وقيل: هي تحلب الدمع.
- (٤) الوالهة: الحزينة أو التي ذهب عقلها حزناً. وسحاح: كثير السحِّ وهو أن يسيل الماء من أعلى إلى أسفل.
- (٥) الجُمعُ: واحدتها جمعة وهي الصلاة المفروضة بهذا الاسم. والأنواح: النائحات.
- (٦) الموءودة: التي تُدْفَنُ حَيَّةً فِي التَّرَابِ. والجناح: الإثم.
- (٧) أَسْتُ جِرَاحِكُ: داوتها. السلم: الصلح، والسلام أيضاً.
- (٨) يقال: هتك الستر ونحوه: خرقة، أو جذبه فقطعه من موضعه، أو شق منه جزءاً فبدا ما وراءه. وموشية: منقوشة منمنمة. والفتَّاح: من أسماء الله تعالى.
- (٩) نضوا: خلعوا. والأعطاف: جمع عطف وهو الجانب من كل شيء. والوشاح: شبه قلادة ينسج من جلد عريض ويرصع بالجواهر فتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.
- (١٠) طَاحُ: ذهب.
- (١١) البرُّ: الصلة والرفق. والنُّزَّاحُ: البعيدون، جمع نازح.
- (١٢) العريبيد: الشرير، والكثير العريبة، وهي سوء الخلق من السكر. والوقاح: ذو الوقاحة وهي قلة الحياء.
- (١٣) الخزعبله: الفكاهة والمزاح، أمَّا الباطل فهو الخزعبيل والخزعبل. ويقال: جاء بالكفر بواحاً أي بيئاً، وقيل: جهاراً.
- (١٤) أدفع دونه: أردُّ عنه بالحجة. ألأحي: من الملاحاة وهي الملاعنة.

- (١٥) القريع: الغالب في المقارعة، وهي أن يضرب الأبطال بعضهم بعضاً. والشهباء: الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح.
- (١٦) المناكب هنا: الجوانب والنواحي، والصفاح: حجارة عريضة رقيقة.
- (١٧) الأجلاد والتجاليد: جسم الإنسان وبدنه.
- (١٨) الغازي: مصطفى كمال، وهو أيضاً المراد بالرئيس في البيت الثاني.
- (١٩) الساح: جمع ساحة، والمراد ساحة الحرب.
- (٢٠) اللَّمَاح: اللَّمَاع.
- (٢١) الذائد: الحامي الدافع. والنضّاح: الدافع أيضاً.
- (٢٢) الفراشة: حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق.
- (٢٣) الذوابل. صفة للرماح. والصفاح: جمع صفح وهو عرض السيف. وأدهم وأنور: هما القائدان التركيان الكبيران. والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام.
- (٢٤) القنا: جمع قناة. والشبا: جمع شباة وهي حدُّ كل شيء، البراح: الزوال.
- (٢٥) العاجز العزل: حسين بن علي شريف الحجاز، يريد أنه طامع في الخلافة، فالأترك إذا أصروا على خروجها منهم، كانوا بذلك قد بذلوا لهذا العاجز الذي لا يملك حمايتها إلا يداً خالية. والراح: جمع راحة وهي بطن الكف.
- (٢٦) بالأمس أوهى.. إلخ: الموصوف بهذا العمل هو حسين بن علي أيضاً، وهو إشارة إلى خروجه على المسلمين ومولاته أعدائهم في الحرب الكبرى.
- (٢٧) يريد أن تنحي الأتراك عن الخلافة أطمع فيها مَنْ لا يصلح لها، وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرين بكل مكان. والمراد بالكذاب: مسيلمة الكذاب. وسجاح: امرأة كانت تدّعي النبوة.
- (٢٨) المراد بذهبه وسيفه: المال الذي كان يبذل لمن أطاعوه، والعقاب الذي كان يصيب مَنْ خالفوه.

تكريم

بأبي وروحي الناعمات الغيدا
الرائيات بكل أحور فاتر
الروايات من السلاف محاجرًا
اللاعبات على النسيم غدائرًا
أقبلن في ذهب الأصيل ووشيه
يحدجن بالحدق الحواسد دُميَّة
حوت الجمال فلو زهبت تزيدها
لو مرَّ بالولدان طيفُ جمالها
أشهى من العود المرئم منطقا
لو كنت سعدًا مُطلق السجناء، لم
ما قصر الرؤساء عنه، سعى له
يا مصر، أشبال العرين ترعرعت
قاضي السياسة نالهم بعقابه

الباسمات عن اليتيم نضيدا^١
يذر الخلي من القلوب عميدا^٢
الناهلات سوالفا وخدودا^٣
الراتعات مع النسيم قُودا^٤
ملء الغلائل لؤلؤًا وفريدا^٥
كظباء وجرة مقلتين وجيدا^٦
في الوهم حُسنًا ما استطعت مزيدا
في الخلد خرُّوا رُكعًا وسُجودا
والذُّ من أوتاره تغريدا
تُطلق لساجر طُرفها مصفودا^٧
سعد، فكان مُوفقا ورشيدا
ومشت إليك من السجون أسودا
حُسن الحكومة في السباب عتيدا^٨

^١ في وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٣٤ أطلق سجناء، كانت المحاكم العسكرية الإنجليزية قد أدانتهم في مؤامرة شاع يومئذ أنها مبالغ فيها، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة إخوانهم، فرجوا صاحب الديوان أن يشاركهم في هذا الاحتفال؛ فنظم هذه القصيدة، مشيرًا فيها إلى أهم ما كان يشغل بال الناس في ذلك العهد من الحوادث.

أَتَتِ الحِوَادِثُ دُونَ عَقْدِ قِضَائِهِ
 تَقْضِي السِّيَاسَةَ غَيْرَ مَالِكَةَ لِمَا
 قَالُوا: أَتَنْظُمُ لِلشَّبَابِ تَحِيَّةً
 قُلْتُ: الشَّبَابُ أَتَمُّ عَقْدَ مَاثِرٍ
 قَبِلْتُ جُهُودَهُمُ البِلَادُ، وَقَبِلْتُ
 خَرَجُوا، فَمَا مَدُّوا حَنَاجِرَهُمْ، وَلَا
 حَفِي الأَسَاسُ عَنِ العِيُونِ تَوَاضَعًا
 مَا كَانَ أَفْطَنَهُمْ لِكُلِّ خَدِيعَةٍ
 لِمَا بَنَى اللّهُ القَضِيَّةَ مِنْهُمْ
 جَادُوا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ، وَأَوْشَكُوا
 طَلَبُوا الجَلَاءَ عَلى الجِهَادِ مَثُوبَةً
 وَاللّهِ: مَا دُونَ الجَلَاءِ وَيَوْمِهِ
 وَجَدَ السَّجِينَ يَدًا تُحَطِّمُ قَيْدَهُ
 رِبِحَتْ مِنَ (التَّصْرِيحِ) أَنَّ قِيُودَهَا
 أَوْمَا تَرُونَ عَلى (المَنَابِعِ) عُدَّةً
 يَا فِتْيَةَ النِّيلِ السَّعِيدِ: خَذُوا المَدَى
 وَتَنَكَّبُوا العُدُونَ، وَاجْتَنِبُوا الأَذَى
 الأَرْضُ أَلِيقٌ مَنزَلًا بِجَمَاعَةٍ
 أَنْتُمْ غَدَا أَهْلُ الأُمُورِ، وَإِنَّمَا
 فَا بَنُوا عَلى أُسُسِ الزَّمَانِ وَرُوحِهِ
 الهَدْمُ أَجْمَلُ مِنَ بِنَايَةِ مُصْلِحِ
 وَجْهِ الكِنَانَةِ لَيْسَ يُغْضِبُ رَبَّكُمْ
 وَلَوْ إِليهِ فِي الدُّرُوسِ وَجُوهَكُمْ
 إِنَّ الَّذِي قَسَمَ البِلَادَ حِبَاكُمُ
 قَدْ كَانَ — وَالدُّنْيَا لُحُودٌ كُلُّهَا —
 مَجْدُ الأُمُورِ زَوَالُهُ فِي زَلَّةٍ
 الفِرْدُ بِالشُّورَى، وَبِاسْمِ نَدِيَّهَا

فَا نَهَارَ بَيْنَتَهُ، وَدُكَّ شَهِيدَا
 حَكَمْتُ بِهِ نَقْضًا وَلَا تَوَكِيدَا
 تَبْقَى عَلى جَيِّدِ الزَّمَانِ قَصِيدَا؟
 مِنْ أَنَّ أَزِيدَهُمُ الثَّنَاءَ عَقُودَا
 تَاجًا عَلى هَامَاتِهِمْ مَعْقُودَا ١٠
 مَنُؤُوا عَلى أوطَانِهِمْ مَجْهُودَا
 مِنْ بَعْدِ مَا رَفَعَ البِنَاءَ مَشِيدَا
 وَلِكُلِّ شَرٍّ بِالبِلَادِ أَرِيدَا
 قَامَتْ عَلى الحَقِّ المَبِينِ عُمُودَا ١١
 يَتَجَاوِزُونَ إِلى الحَيَاةِ الجُودَا
 لَمْ يَطْلُبُوا أَجْرَ الجِهَادِ زَهِيدَا ١٢
 يَوْمٌ تُسَمِّيهِ الكِنَانَةُ عِيدَا
 مِنْ ذَا يُحَطِّمُ للبِلَادِ قِيُودَا؟
 قَدْ صِرْنَا مِنْ نَهَبٍ، وَكُنَّا حَدِيدَا ١٣
 لَا تَنْجَلِي، وَعَلى الصَّفَافِ عِيدَا؟ ١٤
 وَاسْتَأْنَفُوا نَفْسَ الجِهَادِ مَدِيدَا
 وَقَفُوا بِمَصْرَ المَوْقِفِ المَحْمُودَا ١٥
 يَبْغُونَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ قُعودَا
 كُنَّا عَلَيْكُمْ فِي الأُمُورِ وَفُودَا
 رُكْنَا الحِضَارَةَ بِأَنْحَا وَشَدِيدَا
 يَبْنِي عَلى الأُسُسِ العِتَاقِ جَدِيدَا
 أَنْ تَجْعَلُوهُ كَوَجْهِهِ مَعْبُودَا
 وَإِذَا فَرَعْتُمْ، وَاعْبُدُوهُ هُجُودَا ١٦
 بِلَدًا كَأوطَانَ النُّجُومِ مَجِيدَا ١٧
 لِلعَبْقَرِيَّةِ وَالفَنُونِ مُهُودَا
 لَا تَرْجُ لِإِسْمِكَ بِالأُمُورِ خَلُودَا
 لُفْظًا (الخَلِيفَةُ) فِي الظَّلَامِ شَرِيدَا ١٨

خلعته دون المسلمين عصابةً
 يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ
 جعلوا مشيئته الغبية سلماً
 إني نظرتُ إلى الشعوب فلم أجدُ
 الجهلُ لا يلدُ الحياةَ موأتهُ
 لم يخلُ من صُورِ الحياةِ، وإنما
 وإذا سبى الفردُ المُسلطُ مجلساً
 ورأيتُ في صدرِ الندى مُنوّماً
 الحقُّ سهمٌ، لا ترشهُ بباطلٍ
 والعبُّ بغيرِ سلاحه، فلربّما
 لم يجعلوا للمسلمين وجوداً
 خلُق السوادُ مُضلاًّ ومَسوداً^{١٩}
 نحو الأمور لمن أراد صعوداً
 كالجهل داءً للشعوب مُبيداً
 إلا كما تلدُ الرّمامُ الدوداً^{٢٠}
 أخطأه عُصرُها، فمات وليداً^{٢١}
 ألفت أحرارَ الرجال عبيداً
 في عُصبةٍ يتحرّكون رُقوداً
 ما كان سهمُ المُبطلين سديداً^{٢٢}
 قتلَ الرجالَ سلاحهُ مردوداً

هوامش

- (١) بأبي وروحي: أي أفندي بهما. والغيد: جمع غيداء وهي الجارية اللينة الأعطاف. واليتيم من كل شيء: ما لا نظير له، والمراد هنا الأسنان. والنضيد: المنضود المتسق.
- (٢) الرانيات: اللاتي يُدمن النظر بطرف ساكن. والأحور: من الحور وهو شدة سواد العين في شدة بياضها. والعميد من القلوب: ما هدّه العشق.
- (٣) السلاف: أطيب الخمر، ويراد به هنا سحر العيون. والناهل: الريّان. والسوالف: صفحات الأعناق.
- (٤) الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة من الشعر. والقودود: جمع قد وهو القامة.
- (٥) الوشي: النمنمة والتحسين. والغلائل: الأتواب الرقيقة. والفريد: الدر المنظوم.
- (٦) حدجه بنظره: حدد النظر إليه. والحدق: الأحداق. والدمية: الصورة المنقشة المزينة، فيها حمرة كالدم، ويضرب بها المثل في الحسن، ويراد بها هنا الحسنة. ووجرة: موضع بين مكة والبصرة تسكنه الطباء والوحوش، والمراد في هذا البيت أن أولئك الجميلات على ما أسبغ الله عليهن من نعمة الجمال، وقفن ينظرن إلى هذه الحسنة التي ابتداء الشاعر في وصفها، يحسدنها على ما أوتيت من سحر؛ ويدلك هذا الحسد على أن حظها من الحسن عظيم.

الشوقيات

- (٧) المصفود: الموثق المغلل، وهنا يتخلص الشاعر من هذا الغزل الرقيق؛ ليسوق إليك ما أراد من تعزية السجناء عما نالهم من ظلم، وتهنئتهم بما أتىح لهم من نجاة، ثم شكر المحسنين إلى هؤلاء السجناء.
- (٨) خشن الحكومة: أي قاسياً. والعتيد: الجسيم، وهو هنا الجسيم من الظلم.
- (٩) الشهيد: الشاهد. وانهيار البيئة: ثبوت بطلانها. وسقوط الشهود: ثبوت تزويرهم.
- (١٠) الهامات: الرعوس.
- (١١) القضية: السياسة المصرية.
- (١٢) يريد بالجلاء جلاء الجنود الإنجليزية المحتلة عن أرض البلاد.
- (١٣) تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢.
- (١٤) منابع النيل.
- (١٥) تنكّبوا العدوان: أي تجنّبوه.
- (١٦) الهجود: جمع هاجد وهو النائم أو المصلي بالليل.
- (١٧) حباه: أعطاه. وأوطان النجوم: كناية عن السماء.
- (١٨) الندى: المجمع. ولفظه: رمى به وطرحه.
- (١٩) سواد الناس: عامتهم.
- (٢٠) موات الجهل: الخراب الذي يحدث بسببه. والرمام: جمع رمة وهي العظام البالية، والمراد بها هنا الجيفة. ومعنى البيت أن الجاهل ميت، والميت بطبعه لا يلد ولا يأتي بعظيم، فإن ولد فكالجيفة المستحيلة لا ينشأ منها إلا الدود.
- (٢١) الإشارة إلى الدود في البيت السابق.
- (٢٢) راش السهم يريشه: ألصق عليه الريش حتى يكون أكثر نفاذاً.

على سفح الأهرام^١

قَفِ نَاجِ أَهْرَامِ الْجَلَالِ، وَنَادِ:
نَشْكُو، وَنَفْرَعُ فِيهِ بَيْنَ عِيُونِهِمْ
وَنُبِئُهُمْ عِبْتِ الْهَوَى بِتُرَاثِهِمْ
وَنُبِينُ كَيْفَ تَفَرَّقَ الْإِخْوَانُ فِي
إِنِ الْمَغَالِطُ فِي الْحَقِيقَةِ نَفْسَهُ
هل من بُنَاتِكَ مَجْلِسٌ أَوْ نَادٍ؟^١
إِنَّ الْأَبْوَةَ مَفْرَعُ الْأَوْلَادِ^٢
مَنْ كُلُّ مُلِقٍ لِلْهَوَى بِقِيَادِ^٣
وَقَتِ الْبِلَاءِ تَفَرَّقَ الْأَضْدَادُ^٤
بَاغٍ عَلَى النَّفْسِ الضَّعِيفَةِ عَادِ^٥

* * *

قَلِّ لِلْأَعْجِيبِ الثَّلَاثِ مَقَالَةً
لِلَّهِ أَنْتِ، فَمَا رَأَيْتُ عَلَى الصَّفَا
لِكَ كَالْمَعَابِدِ رَوْعَةً قَدْسِيَّةً
أَسَّسْتِ مِنْ أَحْلَامِهِمْ بِقَوَاعِدِ
تِلْكَ الرَّمَالِ بِجَانِبِيكَ بِقِيَّةً
إِنْ نَحْنُ أَكْرَمْنَا النَّزِيلَ حِيَالَهَا
هَذَا (الْأَمِينِ) بِحَائِطِيكَ مَطْوُوفًا
إِنْ يَعِدُّهُ مِنْكَ الْخُلُودُ، فَشَعْرُهُ
مَنْ هَاتِفٍ بِمَكَانِهِنَّ وَشَادِ^٦
هَذَا الْجَلَالَ وَلَا عَلَى الْأَوْتَادِ^٧
وَعَلَيْكَ رُوحَانِيَّةُ الْعُبَادِ^٨
وَرُفَعْتِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ بِعَمَادِ^٩
مَنْ نَعْمَةٍ، وَسَمَاحَةٍ، وَرَمَادِ^{١٠}
فَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مَوْضِعُ الْإِرْفَادِ^{١١}
مَتَقَدِّمَ الْحُجَّاجِ وَالْوَفَّادِ؟^{١٢}
بَاقٍ، وَلَيْسَ بَيَانُهُ لِنَفَادِ^{١٣}

^١ أمين أفندي الريحاني أديب من أدباء سوريا، وفد على مصر فأقام له بعض الأدباء حفلاً على سفح الأهرام، شاطرهم إيَّاه صاحب الديوان.

إيه (أمين)، لمست كلُّ مُحجَّبٍ
 قم قبْل الأحجارِ والأيدي التي
 وخذُ النبوغَ عن الكنانة، إنها
 أمُّ القرى - إن لم تكن أمُّ القرى -
 ما زال يغشى الشرقَ من لمحاتها
 رفعوا لك الريحان كاسمك طيبًا
 وتخيّروا للمهرجان مكانه
 سلف الزمان على المودّة بيننا
 وإذا جمعت الطيباتِ رددتها
 يا نجمَ سوريا - ولست بأولٍ -
 أطلع على يمينِ بيمك في غدٍ
 وأجلُّ خيالك في طولِ ممالكك
 وسل القبور - ولا أقول سل القرى -
 سترى الديار من اختلافِ أمورها

في الحسن من أثر العقول وبادي^{١٤}
 أخذت لها عهدًا من الآباد^{١٥}
 مهدُّ الشموس، ومسقطُ الآراد^{١٦}
 ومثابَةُ الأعيان والأفراد^{١٧}
 في كل مُظلمةٍ شعاعٌ هادي^{١٨}
 إن العمارَ تحيةُ الأمجاد^{١٩}
 وجعلت موضعَ الاحتفائِ فؤادي^{٢٠}
 سنواتُ صحو بل سنواتُ رقاد^{٢١}
 لعتيقِ خميرٍ أو قديمٍ وداد^{٢٢}
 ماذا نمت من نيرٍ وقاد؟^{٢٣}
 وتجلُّ بعد غدٍ على بغداد
 مما تجوب، وفي رُسومِ بلاد^{٢٤}
 هل من ربيعة حاضِرٍ أو بادي^{٢٥}
 نطقُ البعيرِ بها، وعيِّ الحادي^{٢٦}

قضيت أيامَ الشباب بعالم
 ولدَ البدائع والروائع كلها
 لم يخترع شيطانَ حسان، ولم
 الله كرمَ بالبيان عصابةً
 (هومير) أحدث من قرونٍ بعده
 والشعرُ في حيث النفوسُ تَلدُّه
 حقُّ العشيرة في نبوغك أولًا
 لم يكفهم شطرُ النبوغِ، فزدهم
 أو دَع لسانك واللغات، فربما
 إن الذي ملأ اللغاتِ محاسنًا

لبس السنين قشيبَةَ الأبراد^{٢٧}
 وعدتُه أن يلدَ البيانَ عوادي
 تُخرج مصانعه لسانَ زياد^{٢٨}
 في العالمينَ عزيزةَ الميلاد
 شعراء، وإن لم تخلُ من آحاد^{٢٩}
 لا في الجديد، ولا القديم العادي
 فانظر، لعلك بالعشيرة بادي^{٣٠}
 إن كنت بالشطرين غيرَ جواد
 غنى الأصيلُ بمنطقِ الأجداد
 جعلَ الجمالَ وسرّه في الضاد^{٣١}

هوامش

- (١) ناج: من المناجاة وهي المسارة. والجلال: التناهي في عظم القدر. والبناء: جمع بان. المجلس: مكان الجلوس. والنادي: اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا، فإذا تفرّقوا فليس ناديًا.
- (٢) نشكو: نعلن الشكوى. ونفزع: نستغيث، وضمير «فيه» للمجلس أو النادي. بين عيونهم: أي أمامهم. والأبوة: كون الرجل أبًا.
- (٣) نبثهم: نكاشفهم. والعبث: اللعب. والهوى: إرادة النفس، وهو غالب في الشرّ. القيادة: في الأصل حبل يقاد به.
- (٤) نبين: مضارع أبان الشيء أي أوضحه. والبلاء: الغم يبلي الجسم.
- (٥) المغالط نفسه: موقعها في الغلط. باغ: ظالم. عاد: ظالم أيضًا.
- (٦) الأعاجيب الثلاث: يريد بها الأهرام الثلاثة، وإنما كانت أعاجيب؛ لأن الإنسان يستعظمها، فتعترية روعة عند ذلك وهذا هو العجب، والمفرد أعجوبة وهي اسم لما يكون العجب منه. هاتف: مارج، من هتف به أي مدحه. شاد: من شدا الشعر أي غنى به وترنم.
- (٧) الصفا: جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت. الأوتاد: الجبال.
- (٨) الروعة: الفزعة، والمسحة من الجبال، والعباد: جمع عابد.
- (٩) الأحلام: العقول، جمع حلم. وعماد الشيء: ما يسند به. والخطاب في هذا البيت والبيتين قبله للأعاجيب الثلاث.
- (١٠) السماحة: موافقة الرجل على ما يراد منه، وهي الجود والعطاء أيضًا. والرماد: ما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها، وقد كنى به عن الكرم كما يقولون: فلان كثير الرماد أي كريم؛ لأنه يكثر من إيقاد النار لكثرة صنع الطعام للأكلين من الأضياف.
- (١١) النزيل: الضيف. وحيالها: قبالتها. الإرفاد: الإعطاء.
- (١٢) مطوفاً: دائراً حولهما. والحجاج: القُصّاد. والوفّاد: جمع وافد، من وفد إذا قدم.
- (١٣) إن يعده: أي إن يجاوزه ويفته. والخلود: الدوام والبقاء، والمراد خلود الذكر لا خلود الشخص. والنفاد: الذهاب والانقطاع.
- (١٤) إليه: اسم فعل معناه زدني من حديثك. المحبّب: المستور. البادي: الظاهر.
- (١٥) الآباد: جمع أبد وهو الدَّهر.

- (١٦) النبوغ: الإجادة. والكنانة: مصر. والآراد: جمع راد، والمراد الضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس، وانبساط الضوء في الخمس الأول من النهار.
- (١٧) القرى: الضيافة، أو ما قُرِيَ به الضيف. والقُرى: جمع قرية. والمثابة: مجتمع القوم بعد تفرُّقهم. والأعيان: جمع عين وهو كبير القوم وشريفهم. أفراد الناس: كبارهم، ولا يقال للإنسان الواحد فرد، بل يقال له فريد.
- (١٨) يغشى الشرق: يغطيه. واللمحات: جمع لمحة وهي النظرة الخفيفة بالعجلة. والشعاع: ما ينتشر من ضوء الشمس.
- (١٩) الريحان: نبات طيب الرائحة. والأمجاد: جمع مجيد وهو الكريم الشريف.
- (٢٠) المهرجان: هو عيد الفرس، وكان يوافق أول الشتاء، ثم صار في الخريف، والمراد به هنا الاحتفال. والاحتفاء: المبالغة في الإكرام وإظهار السرور والفرح.
- (٢١) سلف: ماضى. والسنوات: جمع سَنَة. والسنوات: جمع سَنَة وهي النعاس. والرقاد: النوم.
- (٢٢) رددتها: أي أرجعت نسبتها. والعتيق: القديم.
- (٢٣) ولست بأول: احتراس من الإطلاق، أي وإن كنت نجم سوريا فلست الأول من نجومها، الأوّل سواك، أو لست أول نجم لها، فقد سبقك أوائل آخرون. وماذا نمت: أي كم ذا رفعت بالانتساب إليها.
- (٢٤) الطلول: جمع ظل وهو ما شخص من آثار الدار. والرسوم: جمع رسم وهو الأثر.
- (٢٥) ربّعة: قبيلة من العرب. والحاضر: مَنْ ينزل الحضر. والبادي: مَنْ يذهب إلى البادية.
- (٢٦) عَيّ الحادي: لم يستطع البيان والإفصاح.
- (٢٧) قضيت: خطاب للريحاني. والعالم الذي قضى به أيام شبابه هو أمريكا التي قام بها. قشبية الأبراد: جديدتها. والأبراد: جمع برد.
- (٢٨) لم يخترع.. إلخ: يريد أنه عالم لم يرتق في اختراعه إلى حيث يتبدع البلاغة اللسانية التي كَرَّم الله بها العرب. وحسّان: الشاعر الصحابي المعروف. وزياد: هو زياد بن أبي سفيان، كان من أخطب العرب.
- (٢٩) هومير: شاعر يوناني قديم، كان شعره قصصاً يضمّنه وصف الأبطال والإشادة بذكورهم، وهو صاحب الإلياذة، يريد أن شعره — على أنه قديم — أجود من

شعر الذين جاءوا بعده، وإن كانت أيامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد في عددهم.

(٣٠) حق العشيـرة.. إلخ: في هذا البيت والأبيات بعده أمور أخذ بها الريحاني في رفق ولين، فهو يقول له: إن كانت معانيك في كتابتك جيدة، فألفاظك فيها رديئة؛ لأنك أهملت جانب اللغة العربية، وهي الشطر الثاني من شطري النبوغ، وأيضاً يقتضي الوفاء لعشيرتك وقومك أن تحسن لغتهم حتى تغني بها.

(٣١) الضاد: اللغة العربية، وإنما سميت كذلك؛ لأن الضاد لا توجد في لغة سواها، ولا يقوى أهل اللغات الأخرى على النطق بها.

المطرية تتكلم^١

يا ناشرَ العلم بهذا البلادُ
باني صرّحَ المجدِ، أنتَ الذي
بالعلم ساد الناسَ في عصرهم
أيطلب المجدَ ويبغي العلا
نَقَّادُ أعمالك مُغْلٌ لها
ما أصعبَ الفعلَ لَمَنْ رامه
سمعا لشكواي، فإن لم تجد
عدلاً على ما كان من فضلکم
أسمعُ أحياناً، وحيناً أرى
قَدِّمْتَ قبلي مدناً أو قُرى
أنا التي كنت سريراً لَمَنْ
قد وَّحدَ الخالقَ في هيكلٍ
وهذَّبَ الهندُ دياناتهم
ومن تلاميذي موسى الذي

وُفِّقْتَ، نشرَ العلم مثلَ الجهاد
تبني بيوتَ العلم في كل ناد
واخترقوا السبعَ الطُّبَّاقَ الشُّداد^١
قومٌ لسوقِ العلم فيهم كساد؟
إذا غلا الدرُّ غلا الانتقاد^٢
وأسهلَ القولَ على مَنْ أراد
منك قبولاً، فالشكاوى تُعاد^٣
فالفضلُ إن وُزِعَ بالعدل زاد^٤
مدرسةً في كلِّ حيٍّ تُشاد
كنتُ أنا السيفَ، وكنَّ النِجاد^٥
ساد (كإِدْوَرْد) زماناً وشاد^٦
من قبل سقراطٍ ومن قبل عاد^٧
بلك خافٍ من رموزي وباد^٨
أوجيَ مِنْ بعدُ إليه فهاد^٩

^١ أحسَّ صاحب الديوان أيام كان يسكن «المطرية» بحاجة هذا البلد إلى مدرسة تهذب أبناءه فناشد وزير المعارف يومئذ «سعد زغلول باشا» على لسان المطرية أن يقوم بإنشاء هذا الأثر الجليل.

وأُزْضِعَ الحِكمَةَ عيسى الهدى
مدرستي كانت حياضَ النُّهى
مشايخُ اليونان يأتونها
كنا نُسَمِّيهم بصِبيانه
ذلك أمسي، ما به ريبةٌ
أصبحتُ كالفردوسِ في ظلها
لولا جُلَى زيتوني النَّضْرِ، ما
الواحةُ الزَّهراء ذات الغنى
تريكٌ بالصبح وجُنحِ الدُّجى

أَيامَ تُرْبِي مهدُه والوساد^{١٠}
قرارةَ العرفان، دارَ الرشاد^{١١}
يُلْقون في العلم إليها القياد
وصببتي بالشيب أهلُ السداد^{١٢}
ويومي (القبَّة) ذات العِماد^{١٣}
من مصرَ للخنكا لِظلي امتداد
أقسَمَ بالزيتونِ ربُّ العباد^{١٤}
تُرْبِي التي ما مثلها في البلاد^{١٥}
بدورَ حسن، وشموس اتقاد

بَنِيَّ - يا سعدُ - كُزْعِبِ القَطَا
إن فاتك النسلُ فأكْرِمْ بهم
أخشى عليهم من أدَى رائِحِ
صفيرُهُ يَسْلُبني راحتِي
يعقوبُ من ذئبِ بكى مُشْفِقًا
فانظُرْ - رعاك الله - في حاجهم
قد بسطوا الكفَّ على أنهم
إن طُلب (القسط) فما منهمُ

لا نَقْصُ الله لهم من عِداد^{١٦}
ورُبَّ نَسَلٍ بالندى يُستفاد
يجمعهم في الفجر والعصر غاد^{١٧}
ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرقاد^{١٨}
فكيفَ أنيابُ الحديدِ الحِداد؟^{١٩}
فنظرةٌ منك تُنيلُ المراد^{٢٠}
في كرمِ الراح كصوبِ العهاد^{٢١}
إلا جوادُ عن أبيه الجواد

هوامش

(١) ساد الناس: مجدوا وجلوا. والسبع الطَّباق: السموات السبع، وهي طباق أي مطابقة بعضها بعضًا.

(٢) النَّقَّاد: مبالغة من النقد، وهي في الكلام: إظهار ما به من العيوب، وفي غير الكلام: النظر إلى الشيء لمعرفة جيده من رديئه. ومغلٍ لها: من أغلى الشيء أي جعله غاليًا.

(٣) سمعًا لشكواى: أي اسمعها سمعًا.

(٤) عدلاً: أي أطلب عدلاً زائدًا على ما حصل من فضلكم.

- (٥) النّجاد: حمائل السيف.
- (٦) السرير: تخت الملك. وساد: صار سيّد قومه متسلطاً عليهم. وإدورد: ملك الإنجليز قبل الملك جورج القائم حينذاك. وشاد: رفع البناء.
- (٧) الهيكل: بيت الأصنام. وسقراط: حكيم من حكماء اليونان. وعاد: اسم رجل من العرب الأولى سُمّيت به قومه، وهم الذين أرسل إليهم هود نبي الله (عليه السلام).
- (٨) هذّب الشيء: خلّصه مما يشينه وطهره من العيوب. والخافي: المستتر. والبادي: الظاهر.
- (٩) موسى: النبي (عليه السلام). وأوحى إليه: أنزل الله عليه الوحي. وهاد: رجع إلى الحق.
- (١٠) الحكمة: صواب الأمر، ووضع الشيء في موضعه، والعلم، والعدل، والحلم. وعيسى: ابن مريم (عليه السلام). والترب: التراب. والمهد: الموضع يهياً للصبي. والوساد: المتكأ وكل ما يتوسّد به من قماش وغيره، أي أيام أن كان ترابي مهده ووساده.
- (١١) مدرسة المطرية القديمة: إحدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء، وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها. القرارة: القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر.
- (١٢) وصببتي بالشيب: أي وتسمّى صببتي بالشيب.
- (١٣) القبة: ناحية من ضواحي القاهرة، بها قصر عظيم بناه الخديو عباس حلمي، وقد غلب اسمها على هذا القصر. والعماد: الأبنية الرفيعة، تذكّر وتؤنّث، مفردها عمادة.
- (١٤) الزيتون: شجر مثمر معروف، وثمره يُسمّى زيتوناً أيضاً، وتسمّى به ضاحية أخرى من ضواحي القاهرة مجاورة للقبة.
- (١٥) الواحة الزّهراء: هي واحة عين شمس، والواحة: وادٍ متسع منخفض في الصحراء.
- (١٦) الزغب: جمع أزغب وهو ما له شعر أو ريش صغير. القطا: جمع قطة وهي طائر في حجم الحمامة.
- (١٧) رائح: غاد، يريد قطار البخار الذي يركبه الأبناء إلى المدارس في القاهرة.
- (١٨) صفيه: أي صفير القطار.
- (١٩) يعقوب: النبي أبو يوسف (عليه السلام)، بكى على يوسف حين رجع إليه أبناؤه إخوة يوسف (عليه السلام) فأخبروه أن الذئب أكله، وقد كان يخاف عليه هذا من قبل، وقصة ذلك مبسّطة في كتب التاريخ الديني.

الشوقيات

(٢٠) الحاج: جمع حاجة.

(٢١) كصوب العهاد: أي كنزول المطر. والعهاد: جمع عهد، والمطر ينزل متعاقباً

فيدرك آخره أوله.

الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد

سَلَّ «يَلْدِرَا» ذَاتَ الْقَصُورِ
لَوْ تَسْتَطِيعُ إِجَابَةً
أَخْنَى عَلَيْهَا مَا أَنَا
وَدَهَا الْجَزِيرَةَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلِ
نَهَبَ الْجَمِيعُ، فَلَا الْقَصُورِ
فَلَكُ يَدُورُ سَعُودُهُ
أَيْنَ الْأَوَانِسُ فِي ذُرَا
الْمَتَرَعَاتُ مِنَ النِّعِي
الْعَائِرَاتُ مِنَ الدَّلَالِ
الْأَمْرَاتُ عَلَى الْوَلَا
النَّاعِمَاتُ، الطَّيِّبَا
الذَاهِلَاتُ عَنِ الزَّمَا
المشرفاتُ — وما انتقل
من كل بلقيسٍ على
أَمْضَى نَفُودًا مِنْ زُبَيْدِ
بَيْنَ الرَّفَّارِفِ، وَالْمَشَا
وَالرُّوِضِ فِي حِجْمِ الدَّنَا

هل جاءها نبأ البدور؟^١
لبكتك بالدمع الغزير
خ على الخورنق والسدير^٢
والملك الكبير^٣
رُ تُرى، ولا أهلُ القصور
ونحوسه بيد المدير
ها من ملائكة وهور؟^٤
م، الروايات من السرور^٥
ل، الناهضات من الغرور
ة، الناهيات على الصدور^٦
تُ العرف، أمثال الزهور^٧
نِ بنشوة العيش النضير
ن — على الممالك والبحور
كرسي عزتها الوثير^٨
دّة في الإمارة والأمير^٩
رف، والزخارف، والحرير^{١٠}
والبحر في حجم الغدير

والدرُّ مؤتلقِ السنا
 في مسكن فوق السَّما
 بين المعائل، والقنا
 سَمَّوهُ (يَلْدِرْ)، والأفو
 دارت عليهنَّ الدَّوا
 أمسينَ في رِقِّ العبيل
 ما ينتهين من الصلا
 يطُلبن نُصرة رَبَّهن،
 صبغ السوادَ حَبيرهنَّ
 أنا إن عجزتُ فإن في
 حَطْبُ الإمامِ على النُّظير
 عظَّةُ الملوك، وعِبْرَةُ الـ
 شيخُ الملوكِ وإن تضعـ
 نستغفرُ المولى له
 ونراه عند مُصابه
 ونصونهُ، ونُجِّلُهُ
 عبدَ الحميد، حسابُ مثـ
 سُدتِ الثلاثينَ الطوا
 تنهى وتأمّر ما بدا
 لا تستشيرُ وفي الجمى
 كم سبَّحوا لك في الروا
 ورأيتهم لك سجداً
 خفضوا الرؤوسَ ووتروا
 ماذا دهاك من الأمو
 ما كنتِ إن حدثتُ وجلتُ
 أين الرّويَّةُ، والأنا
 إنَّ القضاءَ إذا رمى

والمسكِ فيَّاحِ العبير
 كِ، وفوق غاراتِ المغير^{١١}
 والخيل، والجمِّ الغفير
 لُ نهايةُ النجمِ المغير
 ثُرُ في المخادعِ والخدور^{١٢}
 وبِتْنِ في أسرِ العشير^{١٣}
 ةِ ضراعةً ومن النذور
 وربُّهن بلا نصير^{١٤}
 وكان من يققِ الخُبور^{١٥}
 بُردِيَّ أشعرَ من (جَرير)
 م يعزُّ شرْحًا والنثير
 أيام في الزمنِ الأخير
 ضع في الفؤادِ وفي الضمير
 والله يعفو عن كثير
 أولى بباكٍ أو عذير
 بين الشماتةِ والذكير
 لِكَ في يدِ الملكِ الغفور
 لَ، ولسُنَ بالحكمِ القصير^{١٦}
 لك في الكبيرِ وفي الصغير
 عددُ الكواكبِ من مُشير
 ح، وألَّهوكَ لدى البُكور
 كسجودِ موسى في الحضور^{١٧}
 بالذلِّ أقواسَ الظهور^{١٨}
 ر وكنتِ داهيةَ الأمور؟
 بالجزوعِ ولا العَثور
 ةُ، وحكمةُ الشيخِ الخبير؟
 دكَّ القواعدِ من (ثَبير)^{١٩}

دخلوا السرير عليك يح
 أعظم بهم من أسري
 أسد هصور أنشب ال
 قالوا: اعتزل. قلت: اعتزل
 صبروا لدولتك السني
 أوديت من دستورهم
 وغضبت كالمنصور أو
 ضنوا بضائع حقهم
 هلاً احتفظت به احتفا
 هو جلية الملك الرشيد
 وبه يبارك في المما

تكمون في رب السرير^{٢٠}
 وبالخليفة من أسير
 أظفار في أسد هصور^{٢١}
 ت. والحكم لله القدير
 ن، وما صبرت سوى شهر
 وحننت للحكم العسير
 هارون في خالي العصور^{٢٢}
 وضننت بالدنيا الغرور
 ظاً مرحب فرح قرير؟
 د، وعصمة الملك الغير
 لك والملوك على الدهور

يأيها الجيش الذي
 يخفى، فإن ريع الحمى
 كالليث، يسرف في الفعا
 الخاطب العلياء بال
 عند المهيمن ما جرى
 يتلو الزمان صحيفة
 في مدح (أنورك) الجري
 يا (شوكت) الإسلام، بل
 وابن الأكارم من بني
 القابضين على الصلي
 هل كان جدك في ردا
 فقتنت صياد الأسود
 وأخذت (يلدر) عنوة

لا بالدعي، ولا الفخور
 لفت البرية بالظهور^{٢٣}
 ل، وليس يسرف في الزئير^{٢٤}
 أرواح غالية المهور
 في الحق من دمك الطهور
 غراً مذهبة السطور
 ء، وفي (نيازيك) الجسور
 يا فاتح البلد العسير^{٢٥}
 (عمر) الكريم على (البشير)^{٢٦}
 ل كجدهم، وعلى الصرير^{٢٧}
 نك يوم زحفك والكرور؟
 د، وصدت قنّاص النسور
 وملكت عنقاء الثغور^{٢٨}

المؤمنون (بمصر) يُهم
 ويُبايعونك يا (محمد
 قد أمّلو لهلالهم
 فابلغ به أوج الكما
 أنت الكبير، يُقلّدو
 شيخُ الغزاة الفاتحيـ
 يمضي ويغمد بالهدى
 بشرى الإمام محمد
 بشرى الخلافة بالإما
 الباعثِ الدستورَ في الـ
 أودى «معاوية» به
 فعلى الخلافة منكما

دون السلام إلى الأمير
 (د) في الضمائر والصدور^{٢٩}
 حظ الأهلّة في المسير
 ل بقوة الله النصير
 نك سيف (عثمان) الكبير
 ن، حُسامه شيخُ الذكور^{٣٠}
 فكأنه سيف النذير^{٣١}
 بخلافة الله القدير
 م العادلِ النزهِ الجدير
 إسلام من حُفر القبور
 وبعثته قبل النُشور^{٣٢}
 نورٌ تلاًلاً فوق نور^{٣٣}

هوامش

- (١) يلدز: في لغة الترك: اسم نجم، وقد سُمِّي به قصر عظيم في الآستانة، كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه، والمخاطب بقوله (سل.. إلخ) هو هذا السلطان.
- (٢) أحنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه. والخورنق: قصر كان في الحيرة بالعراق للملك النعمان الأكبر أحد ملوك بني المنذر. والسدير: قصر كان بالحيرة أيضاً للمناذرة.
- (٣) دهاه الأمر: أصابه. والجزيرة: هي جزيرة الروضة في النيل شرقي القاهرة، وكان بها قصر عظيم من قصور الخديو إسماعيل، وهو المراد.
- (٤) الأوانس: جمع آنسة وهي الطيبة النفس. والهور: جمع حورية وهي المرأة البيضاء الناعمة.
- (٥) المترعات: جمع مترعة، من أترع الإناء أي ملأه.
- (٦) الولاية: جمع وإل. الصدور: جمع صدر، ويقال له الصدر الأعظم، وهو كبير وزراء السلطان في الدولة التركية.
- (٧) العرف: الرائحة الطيبة.
- (٨) بلقيس: ملكة سبأ من أرض اليمن، وقصتها مع الملك سليمان مبسوبة في كتب التاريخ الديني. والوثير: اللين الموطى.

- (٩) زبيدة. زوجة الخليفة هارون الرشيد.
- (١٠) الرِّفَّارِف: جمع رفرِف، وهو الفراش. والمشارِف: جمع مشرف، وهو الموضع يشرف منه، ومشارِف الأرض: أعاليها.
- (١١) السَّمَاك: كوكب.
- (١٢) الدوائِر: جمع دائرة وهي النائبة من صروف الدهر. والمخادِع: جمع مخدع (بضم الميم وكسرها) بيت يكون في البيت الكبير يحرز فيه الشيء.
- (١٣) العبيل: الضخم الغيظ.
- (١٤) ربهن: سيدهن وهو السلطان عبد الحميد.
- (١٥) الحبير: الناعم الجديد. اليقق: الشديد البياض.
- (١٦) الثلاثين الطوال: الأعوام التي مضت له وهو سلطان.
- (١٧) كسجود موسى في الحضور: أي حضوره حين تجلَّى له الله فكلمه.
- (١٨) وتَّروا بالذلِّ أقواس الظهر: أي جعلوا الذلَّ وترًا لأقواس ظهورهم، يعني أن الذلَّ قوَّس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس إذا شدَّ عليها.
- (١٩) ثبير: جبل معروف.
- (٢٠) يحتكمون في ربِّ السرير: يتصرَّفون فيه وفق مشيئتهم.
- (٢١) أنشب أظفاره في الشيء: أعلقها فيه.
- (٢٢) أبو جعفر المنصور، وهارون الرشيد: من الخلفاء العباسيين.
- (٢٣) ريع الحمى: أي راعه شيء وأفزعه.
- (٢٤) الزئير: صوت الأسد.
- (٢٥) أنور، ونيازي، وشوكت: كانوا من كبار القوَّاد في الجيش العثماني، وكانوا على رأس الحركة التي قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على إعادة الدستور وجعله أساس الحكم في البلاد التركيَّة.
- (٢٦) عمر: هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، كان شوكت باشا من سلالته. والبشير: من أسماء النبي محمد ﷺ.
- (٢٧) الصليل: الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف. الصرير: صوت القلم عند الكتابة به.
- (٢٨) أخذ الشيء عنوة: أي قهراً. العنقاء: طير معروف الاسم مجهول الجسم، يُضْرَبُ مثلاً لكل عزيز ممتنع، والمراد أنه ملك ثغر الآستانة الذي يشبه العنقاء في عزَّته وامتناعه.

الشوقيات

(٢٩) محمد: هو السلطان محمد رشاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبد الحميد.

(٣٠) الذكور: جمع ذكر وهو السيف.

(٣١) النذير: من أسماء النبي ﷺ.

(٣٢) أودى به: ذهب به وأضاعه. ومعاوية بن أبي سفيان: أول ملوك الدولة الأموية،

وكان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين، وهي معنى حكم الدستور، فلَمَّا

أخذ معاوية الملك استقلَّ فيه برأيه.

(٣٣) منكما: أي من الخليفة، ومن الدستور.

انتحار الطلبة^١

ناشئ في الوَرْدِ من أَيامِهِ
سَدَّدَ السَّهْمَ إِلَى صَدْرِ الصَّبَا
بِيَدٍ لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ، وَلَا
بُسِطَتْ لِلسَّمِّ وَالْحَبْلِ، وَمَا
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، مَا ضَرَّهُ
لَمْ يُمَتَّعْ مِنْ صِبا أَيامِهِ
يَتَمَنَى الشَّيْخُ مِنْهُ سَاعَةً
لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَا يَشْبَهُهُ
فَصِبا الخَلْدِ كَثِيرٌ دَائِمٌ

حَسْبُهُ اللَّهُ، أبا الوَرْدِ عَثْرُ؟^١
ورماه فِي حَواشِيهِ العُرْرُ^٢
صَلَحَتْ إِلَّا لِتَلْهُو بِالْأَكْرُ^٣
بُسِطَتْ لِلْكَأْسِ يَوْمًا وَالوَتْرُ
لو قَضَى مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ الوَطْرُ؟
ولِياليه أَصِيلٌ وَسَحْرُ^٤
بِحِجابِ السَّمْعِ، أو نُورِ البَصْرِ^٥
خَفَّةٌ فِي الظِّلِّ، أو طَيْبِ قِصرِ
وَصِبا الدُّنْيا عَزِيزٌ مَخْتَصِرٌ

* * *

كل يوم خِبر عن حَدَثٍ
عاف بالدُّنْيا بِناءً بَعْدَ ما
حَلَّ يَوْمَ العُرْسِ مِنْها نَفْسَهُ
ضاقَ بِالعَيْشَةِ نَزْعًا، فَهَوَى

سَمُّ العَيْشِ، وَمَنْ يَسَامُ يَذَرُ^٦
حَطَبَ الدُّنْيا، وَأَهْدَى، وَمَهْرُ^٧
رَجَمَ اللَّهُ العَرُوسَ المَخْتَضِرُ^٨
عن شِفا اليأسِ، وبئسَ المُنْحَدِرُ^٩

^١ رأى صاحب الديوان ذلك المَفزَعِ الوَبِيءِ، الَّذِي يَفزَعُ إِلَيْهِ صِغارِ الطَّلَبَةِ فِي مِصرَ بَعْدَ سَقوطِهِم فِي الامْتِحاناتِ؛ فَنظَمَ لَهُم هَذِهِ القَصِيدَةَ، يَقطَعُ عَلِيهِم فِيها سَبيلَ اليأسِ، وَيَبسِطُ لَهُم سَبيلَ الأملِ.

راحلاً في مثلِ أعمارِ المنى زاهباً في مثلِ آجالِ الزَّهرِ
 هارباً من ساحةِ العيشِ، وما شارَفَ الغمرةَ منها والغُدُرِ ١٠
 لا أرى الأيامَ إلاَّ مَعْرَكًا وأرى الصَّنيدَ فيه من صَبِرِ ١١
 ربِّ واهي الجأشِ فيه قَصْفُ مات بالجبنِ، وأودى بالحدَرِ ١٢

لامه الناسُ، وما أظلمهم وقليلٌ مَنْ تَغاضَى أو عَدَرَ
 ولقد أبلاك عذراً حسنًا مُرتدي الأكفانِ مُلقَى في الحُفرِ
 قال ناسٌ: صرعةٌ من قدر وقديمًا ظلم الناسِ القدرِ
 ويقول الطبُّ: بل من جنَّةٍ ورأيتُ العقلَ في الناسِ نَدَرَ ١٣
 ويقولون: جفاءٌ راعه من أبٍ أغلظَ قلبًا من حجرِ ١٤
 وامتحانٌ صعَّبتُه وطأه شدَّها في العلمِ أستاذُ نَكِرِ ١٥
 لا أرى إلاَّ نظامًا فاسدًا فَكَّكَ العلمَ، وأودى بالأُسْرِ؟
 من ضحاياه - وما أكثرها! - ذلك الكارِهُ في غَضِّ العُمُرِ ١٦
 ما أرى في العيشِ شيئًا سرُّه وأخفَ العيشِ ما ساءَ وسرِ
 نزل العيشُ، فلم ينزل سوى شعبةِ الهمِّ، وبَيِّداءِ الفِكرِ ١٧
 ونهارٍ ليس فيه غبطةٌ وليالٍ ليس فيهن سَمَرِ ١٨
 ودروسٍ لم يُذللَ قطفها عالمٌ إن نطقَ الدرسِ سَحَرِ ١٩
 ولقد تُنْهَكُه نهكَ الضَّنَى ضَرَّةٌ منظرُها سُقْمٌ وُضُرِ ٢٠
 ويلاقي نَصَبًا مما انطوى في بني العَلَلِ من ضِغْنٍ وشرِ ٢١
 إخوةٌ ما جَمَعَتْهم رِجْمٌ بعضُهم يمشون للبعضِ الخَمَرِ ٢٢
 لم يرفرفَ ملكُ الحُبِّ على أبويهم أو يُباركُ في التَّمَرِ
 حَلَقَ الله من الحُبِّ الورى وبنى المُلْكِ عليه وعمَرِ

نشأ الخيرِ، رويدًا، قتلُكم في الصِّبا النفسَ ضلالٌ وخُسْرِ ٢٣
 لو عصيتم كاذبَ اليأسِ، فما في صباها ينحرُ النفسَ الضَّجَرِ ٢٤
 تُضمِرُ اليأسَ من الدنيا وما عندها عن حادثِ الدُّنيا خَبَرِ

فيم تجنون على آباءكم
وتعقون بلادًا لم تزل
فمصابُ الملِك في شُبَّانِه
ليس يدري أحدٌ منكم بما
رُبَّ طفلٍ برَّحَ البؤسُ به
وصبيٌّ أزرَّت الدُّنيا به
ورفيحٍ لم يسوِّدهُ أبٌ
فلكُ جارٍ، ودُنيا لم يدُم
روِّحوا القلبَ بلذاتِ الصِّبا
عالجوا الحكمة، واستشفوا بها
واقرءوا آدابَ مَنْ قبلكم
واغنموا ما سخَّرَ الله لكم
واطلبوا العلمَ لذاتِ العلم، لا
كم غُلامٍ خاملٍ في درسه
ومجدٍّ فيه أمسى خاملاً

ألمَ التُّكلُ شديدًا في الكبر؟
بين إشفاقٍ عليكم وحذر؟
كمصابُ الأرضِ في الزرعِ النضرِ
كان يُعطى لو تأتى وانتظر
مُطرَ الخيرِ فتيا ومطر^{٢٥}
شَبَّ بين العزِّ فيها والخطر^{٢٦}
مَنْ أبو الشمسِ، ومن جدُّ القمرِ؟
عندها السعدُ، ولا النحسُ استمرَّ
فكفى الشيبُ مجالاً للكدر^{٢٧}
وأشدوا ما ضلَّ منها في السَّيرِ^{٢٨}
ربِّما علِّمَ حيًّا مَنْ غبر^{٢٩}
من جمالٍ في المعاني والصُّورِ^{٣٠}
لشهاداتٍ وآرابٍ أُخرِ^{٣١}
صار بحرَ العلمِ، أستاذَ العُصُرِ
ليس فيمن غابَ أو فيمن حَضَرَ

قاتلُ النفسِ — ولو كانت له —
ساحةُ العيشِ إلى الله الذي
لا تموتُ النفسُ إلَّا باسمه
إنما يسمُحُ بالروحِ الفَتَى
فهناك الأجرُ والفخرُ معًا

أسخطَ الله، ولم يُرضِ البشرِ
جعلَ الوِرْدَ بإذنٍ والصِّدْرَ^{٣٢}
قامَ بالموتِ عليها وقهرَ
ساعةَ الرُّوعِ إذا الجمعُ اشتجر^{٣٣}
مَنْ يَعيشُ يُحمَدُ، ومن ماتَ أُجرِ

هوامش

- (١) حسبه الله: أي كفاه الله.
- (٢) الصبا: الميل إلى جهالة الفتوة. والحواشي: الجوانب.
- (٣) الأكر: جمع أكرة، وهي الكرة.
- (٤) الأصيل: وقت ما بعد العصر إلى المغرب، والسحر: قبيل الصبح.

الشوقيات

- (٥) منه: أي من صبا الأيام.
- (٦) الحدث: الشاب. ويذر: يترك.
- (٧) عاف: كره. وبناء: من قولهم: بنى بأهله أي زُفَّت إليه. خطب: من خطبة الزواج. أهدى: أعطى الهدية. مهر: أعطى المهر.
- (٨) المختصر: أي الميت في صباه، من اختصار الكلاً أي قطعه وهو أخضر.
- (٩) ضاق بالشيء ذرعاً: ضعفت عنه طاقته ولم يجد مخلصاً من مكروهه. والشفاء: حرف كل شيء.
- (١٠) شارف الشيء: قاربه ودنا منه. وغمرة الشيء: شدَّته ومزدحمه. والغدر: جمع غدِير وهو النهر أو القطعة من الماء يغادرها السيل.
- (١١) الصنديد: السيّد الشجاع.
- (١٢) الواهي: الضعيف المتداعي إلى السقوط. الجأش: نفس الإنسان أو هو رواع القلب عند الفزع. والقصف: الخور والضعف. أودى: هلك.
- (١٣) لجنة: الجنون.
- (١٤) الجفاء: غلظة العشرة.
- (١٥) النكر: الفطن.
- (١٦) غُضُّ العمر: أي العمر الغُضُّ الناضر.
- (١٧) شعبة الهمِّ: الطائفة منه.
- (١٨) الغبطة: حسن الحال. والسمر: الحديث في الليل.
- (١٩) يذل: من ذلل الشيء: جعله هيئاً. وقطف الثمر: جنيه وجمعه، وقطف الشيء: أخذه بسرعة.
- (٢٠) تنهكة: تضنيه. والضنى: المرض والهزال. وضرة المرأة: امرأة زوجها، وهما ضرتان، وهن ضرائر.
- (٢١) بنو العلات (بفتح العين): هم بنو أمهات شتى من رجل واحد. والضغن: الحقد.
- (٢٢) بعضهم يمشون للبعض. الخمر (بفتح الخاء): أي يختلونهم، ومنه قولهم: هو يدبُّ له الضراء ويمشي له الخمر.
- (٢٣) نشأ الخير: أي يا نشأ الخير. والنشأ (بفتح الشين): جمع نشء، و(بسكونها): تعني النسل. ورويداً: أي مهلاً لتسمعوا ما أقول. والخسر (بضم السين): الخسران.

انتحار الطلبة

- (٢٤) لو عصيتم كاذب اليأس: حُضُّ معناه: اعصوا كاذب اليأس.
- (٢٥) بَرَّحَ به: جهده وأذاه. ومطر الخير (بضم الميم): أي أصابه كما يصيب المطر الارض. ومطر (بفتح الميم): أي صدر عنه الخير كالمطر.
- (٢٦) أزرته به: تهاونت.
- (٢٧) رَوَّحوا القلب: أي أنعشوه وطيبوه.
- (٢٨) الحكمة: صواب الأمر وسداده ووضع الشيء في موضعه. السير (بكسر السين): جمع سيرة وهي للإنسان طريقة سلوكه بين الناس.
- (٢٩) مَنْ غَيْرَ: مَنْ مَضَى.
- (٣٠) اغنموا: من غنم الشيء أي فاز به من غير مشقَّة وأخذه بغير بذل.
- (٣١) آراب: جمع أرب وهو الحاجة.
- (٣٢) الورد: بلوغ الماء. والصدر: الرجوع عنه.
- (٣٣) الروع: الفزع، ويأتي بمعنى الحرب، وهو المراد هنا.

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءَهُم وتَعَسَّفوا
يا معشرَ الكُتَّابِ، أينَ بلاؤُكم
أيهُمُكم عبثُ، وليس يهْمُكم
عندي على ضيم الحرائر بينكم
مما رأيتُ وما علمتُ مسافراً
فيه مجالٌ للكلام، ومذهبٌ
هل للنساءِ بمصرٍ من أنصار؟^١
أين البيانُ وصائبُ الأفكار؟^٢
بنيانُ أخلاقٍ بغير جدار؟^٣
نبأٌ يثيرُ ضمائِرَ الأحرارِ
والعلمُ بعضُ فوائِدِ الأسفارِ
ليراعٍ «باحثة» و«ست الدار»^٥

* * *

كثرت على دارِ السعادةِ زُمرةٌ
يتزوجون على نساءٍ تحتهم
شاطرنهم نَعَم الصِّبا، وسقِينهم
الوالداتُ بَنِيهم وبناتِهم
الصابراتُ لضرةٍ ومضرةٍ
من مصر، أهلُ مَزراعٍ وَيَسارِ^٦
لا صاحباتِ بُغْي، ولا بشرارِ^٧
دهراً بكأسِ اللُسُورِ عُقارِ^٨
الحائطاتُ العِرَضِ كالأسوارِ^٩
المحيياتُ الليلَ بالأذكارِ

* * *

مِنْ كُلِّ ذي سبعين، يكتُمُ شَيْبُهُ
يأبى له في الشيبِ غيرَ سفاهةِ
ما حلَّه عَطْفٌ، ولا رِفْقٌ، ولا
كم ناهدٍ في اللاعباتِ صغيرةِ
والشيبُ في فُودِيهِ ضوءُ نهارِ^{١٠}
قلبُ صغيرِ الهَمِّ والأوطارِ^{١١}
برُّ بأهل، أو هوَى لديارِ
ألتهته عن حَفْدِ بمصرِ صغارِ^{١٢}

مهما غدا أو راح في جولاته
 شُغل المشايخ بالمتاب، وشغله
 في كلِّ عامٍ همُّه في طَفَلَةٍ
 يرشو عليها الوالدين ثلاثة
 المالُ حلَّلَ كلَّ غيرٍ محلَّلٍ
 سَحَرَ القلوبَ، فَرَّبَ أمَّ قلبِها
 دفعت بُنْيَتَها لأشأمٍ مضجِعٍ
 وتعلَّلتُ بالشرع، قلت: كذبتِه
 ما زُوِّجت تلك الفتاة، وإنما
 بعضُ الزواج مُذمَّمٌ، ما بالزنا
 فتشتُ لم أرَ في الزواج كفاءةً
 أسفي على تلك المحاسنِ كلِّما
 إنَّ الحجابَ على (فروقٍ) جنةٌ
 وعلى وجوهِ كالأهملَّةِ، رُوِّعتُ
 وعلى الذواتِ وهي مسكٌ خولطت
 وعلى الشفاهِ المُحيياتِ، أماتها
 وعلى المجالسِ فوق كلِّ خَمِيلَةٍ
 تدنو الزوارقُ منه، تُنزلُ جِوْدَرًا
 يرفلن في أُرْزِ الحريرِ تنوَّعتُ
 الطاهراتُ اللَّحْظُ، أمثالُ المها
 الدَّهْرُ فَرَّقَ شملهن، فمُرَّ به

دفعته خاطبةً إلى سمسار^{١٣}
 بتبدُّلِ الأزواج والأصهار^{١٤}
 كالشمس، إنَّ حُطِبَتْ فلأقمار^{١٥}
 لم أدر أيُّهم الغليظُ الضاري؟
 حتى زواج الشَّيبِ بالأبكار
 من سحره حجرٌ من الأحجار
 ورَمَتْ بها في غربةٍ وإسار^{١٦}
 ما كان شرعُ الله بالجزار^{١٧}
 بيعُ الصُّبا والحسنُ بالدينار
 والرقُّ إنَّ قيسا به من عار
 ككفاءة الأزواج في الأعمار
 نُقلت من (البالي) إلى الدُّوار
 وحجابٌ مصرٌ وريفها من نار
 بعد السفور ببرقع وخمار^{١٨}
 عند العناق بمثل ذُوبِ القار^{١٩}
 ريحُ الشيوخ تهبُّ في الأسفار
 بين الجبالِ وشاطئِ مجبار^{٢٠}
 بقلادة، أو شادينًا بسوار^{٢١}
 ألوانه، كالزَّهر في آذار^{٢٢}
 الناطقاتُ الجرسُ كالأوتار^{٢٣}
 يا ربَّ تجمعه يدُ المقدار

هوامش

- (١) تعسَّفوا: ظلّموا أو لم ينصفوا.
- (٢) البلاء: الاختبار.
- (٣) العبث: اللعب. الجدار: الحائط.
- (٤) الحرائر: جمع حرّة. الضمائر: جمع ضمير وهو قلب الإنسان وباطنه.

- (٥) باحثة: هي المرحومة ملك ناصف، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم «باحثة البادية» تذييل به مقالات كانت تذييعها بواسطة الصحف في شئون اجتماعية ونسوية. وست الدار: اسم كانت تذييل به مقالات في الصحف أيضًا.
- (٦) دار السعادة: هي الآستانة. الزمرة: الجماعة متفرقة. اليسار: الغنى.
- (٧) البغي والبغاء (مقصود وممدود): الزنى.
- (٨) شاطرهم: من شاطره الشيء أي ناصفه إيَّاه. والعقار: الخمر؛ لأنها تعقر العقل، أو لأنها تعاقر البدن أي تلازمه.
- (٩) الوالدات: أي اللاتي هن والدات أبناءهن وبناتهن. والحائطات: من حاط الشيء أي حفظه وتعهده. والعرض: هو ما يصونه الإنسان من نفسه، أو سلفه، أو مَنْ يلزمه أمره، أو هو محلُّ المدح والذمِّ من الإنسان. والأسوار: جمع سور.
- (١٠) الفودان: تننية فود، وهو معظم الرأس مما يلي الأذن، وقيل هو ناصية الرأس.
- (١١) الهمُّ: ما يهْمُ به الإنسان في نفسه، ويقال: رجل همُّ أي ذو همة يطلب معالي الأمور. الأوطار: جمع وطر وهو الحاجة.
- (١٢) الناهد: الجارية ارتفع ثديها. والحفد (بفتح الفاء): جمع حافد وهو ولد الولد كالحفيد.
- (١٣) الخاطبة: مَنْ تتوسط في تزويج الرجال من النساء.
- (١٤) المشايخ: أي مَنْ أدركتهم الشيخوخة. والمتاب: التوبة.
- (١٥) الطفلة (بفتح الطاء): الرخصة الناعمة.
- (١٦) أشأم مضجع: أي أشدُّ المضاجع شؤمًا. والإسار: الأسر.
- (١٧) تعلل بالشيء: تلهى به واكتفى. وكذبت: أي كذبت عليه.
- (١٨) وعلى وجوه: أي وأسفي على وجوه. والأهْلَةُ: جمع هلال. والخمار (بكسر الخاء): ما تغطي به المرأة رأسها.
- (١٩) الذوائب: جمع ذؤابة وهي الناصية. والقار: قيل: هو ما يُسمَّى بالزفت.
- (٢٠) الخميلة: الشجر الكثيف الملتف، وقيل: الموضع الكثير الشجر. والمحبار: الأرض السريعة النبات الحسنة.
- (٢١) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه. والشادن: ولد الظبية.
- (٢٢) يرفلن: من رفل في ثيابه، أي أطالها وجرَّها متبخترًا. والأزر: جمع إزار وهو كل ما سترك. وآذار: الشهر الثالث من السنة الميلادية (شهر مارس).

الشوقيات

(٢٣) المها: جمع مها وهي البقرة الوحشية. والجرس: الصوت.

أبو الهول^١

أبا الهول، طالَ عليك العُصُرُ
فيا لدةَ الدهر، لا الدهرُ شَبٌّ،
إلأمَ ركوبكَ متنَ الرما
تُسافر منتقلاً في القرو
أبينكَ عهدٌ وبين الجبا
أبا الهول، ماذا وراءَ البقا
عجبتَ لِلقمانَ في حرصه
وشكوى لبديدٍ لطولِ الحيا
ولو وُجِدَتْ يا بنَ الصِّفا
فإن الحياةَ تفلُّ الحديـ
أبا الهول، ما أنتَ في المُعضِلا
تحيَّرتَ البدوُ ماذا تكو
فكنتَ لهم صورةَ العُنْفُوا
وسرُّكَ في حُجْبِهِ كَلِّما
وما راعهم غيرُ رأسِ الرجا

وَبُلَّغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعُمُرِ^١
وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصَّغَرِ^٢
لِ لِطِيِّ الْأَصِيلِ وَجُوبِ السَّحَرِ؟^٣
نِ، فَأَيَّانَ تُلْقَى غِبَارَ السَّفَرِ؟
لِ، تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنْتَظَرِ؟^٤
ءِ - إِذَا مَا تَطَاوَلَ - غَيْرُ الضَّجْرِ؟^٥
عَلَى لُبْدٍ وَالنُّسُورِ الْأُخْرِ^٦
ة، وَلَوْ لَمْ تُطَلِّ لِتَشْكِي الْقِصْرِ^٧
ة لِحَقَّتْ بِصَانِعِكَ الْمَقْتَدِرِ^٨
حَدًا إِذَا لَبَسْتَهُ، وَتُبْلِي الْحَجَرِ^٩
تِ؟ لَقَدْ ضَلَّتْ السُّبُلُ فِيكَ الْفِكْرَ!^{١٠}
نُ؟ وَضَلَّتْ بِوَادِي الظَّنُونِ الْحَضْرِ^{١١}
نِ، وَكُنْتَ مِثَالَ الْحِجَى وَالْبَصْرِ^{١٢}
أَطَلَّتْ عَلَيْهِ الظَّنُونُ اسْتَتَرَ^{١٣}
لِ عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظُّفْرِ

^١ رُفِعَ السُّتَارُ فِي مَسْرَحِ حَدِيقَةِ الْأَرْبُكِيَّةِ يَوْمَ افْتِتَاحِهِ عَنِ تَمَثُّلِ أَبِي الْهَوْلِ، يِنَاجِيهِ رَجُلٌ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ.

ولو صُوروا من نواحي الطُّبَا
 فإِذَا رُبَّ وَجْهِ كصَافِي النَّمِيرِ
 أبا الهولِ وَيَحْكُ لَا يُسْتَقَلُّ
 تَهَزَّاتِ دَهْرًا بِدِيكَ الصَّبَا
 أسالِ البِيضَ، وَسَلِّ السَّوَادَ
 فَعُدَّتْ كَأَنَّكَ ذُو المَحْبِسِي
 كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبَيْ
 كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الفِضَا
 كَأَنَّكَ صَاحِبُ رَمَلٍ يَرَى

ع تَوَالُوا عَلَيْكَ سِبَاعَ الصُّورِ ١٤
 تَشَابَهَ حَامِلُهُ وَالنَّمِيرِ ١٥
 لُ مَعَ الدَّهْرِ شَيْءٌ وَلَا يُحْتَقَرُ ١٦
 ح فَنَقَرَ عَيْنَيْكَ فِيمَا نَقَرَ ١٧
 وَأَوغَلَ مَنقَارُهُ فِي الحَفْرِ
 نِ، قَطِيعَ القِيَامِ، سَلِيبَ البَصْرِ ١٨
 كَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذَنُوبُ البَشْرِ
 عِ عَلَى الأَرْضِ، أَوْ دَيْدَانُ القَدْرِ ١٩
 حَبَايَا الغِيُوبِ خِلَالَ السَّطْرِ ٢٠

أبا الهول، أنت نديم الزما
 بسطت ذراعيك من آدم
 تُطِلُّ عَلَى عَالَمٍ يَسْتَهـُ
 فَعِينُ إِلَى مَنْ بَدَا لِلوَجُو
 فَحَدَّثَ، فَقَدْ يُهْتَدَى بِالحَدِيدِ
 إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًا وَالقَمَرِ؟
 ظَلِيلَ الحَضَارَةِ فِي الأَوَّلِيـِ
 يَوْسَسُ فِي الأَرْضِ لِلغَابِرِيـِ
 وَرَاعِكَ مَا رَاعَ مِنْ خَيْلِ قَمْبِيـِ
 جَوَارِفُ بِالنَّارِ تَغْزُو البَلَا
 وَأَبْصَرْتَ إِسْكَندَرًا فِي المَلَا
 تَبَلَّجَ فِي مِصْرَ إِكْلِيلُهُ
 وَشَاهَدْتَ قَيْصَرَ، كَيْفَ أَسْتـِ
 وَكَيْفَ تَجَبَّرَ أَعْوَانُهُ
 وَكَيْفَ ابْتَلَوْا بِقَلِيلِ العَدِيدِ
 رَمَى تَاجَ قَيْصَرَ رَمَى الرُّجَا
 فَدَعَا كُلَّ طَاغِيَةٍ لِلزَمَا

نِ، نَجِي الأَوَانِ، سَمِيرُ العُصْرِ ٢١
 وَوَلَّيْتَ وَجْهَكَ شَطَرَ الرُّمْرِ ٢٢
 لُ وَتُوفِّي عَلَى عَالَمٍ يُحْتَضَرُ ٢٣
 دِ، وَأُخْرَى مَشِيْعَةً مِنْ غَبَرِ ٢٤
 حِ، وَخَبْرٍ، فَقَدْ يُوْتَسَى بِالخَبْرِ ٢٥
 إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًا وَالقَمَرِ؟ ٢٦
 نِ، رَفِيعَ البِنَاءِ، جَلِيلَ الأَثْرِ ٢٧
 نِ، وَيَغْرِسُ لِلآخِرِينَ التَّمْرَ ٢٨
 زَ، تَرْمِي سَنَابِكُهَا بِالشَّرَرِ ٢٩
 دِ، وَأَوْنَةً بِالقَنَا المَشْتَجِرِ
 قَشِيْبَ العَلَا فِي الشَّبَابِ النَّضْرِ ٣٠
 فَلَـِمْ يَعْـُدُّ فِي المَلِكِ عُمَرَ الزَّهْرِ ٣١
 دَ، وَكَيْفَ أذَلَّ بِمِصْرَ القَصْرِ؟ ٣٢
 وَسَاقُوا الخَلَائِقَ سَوْقَ الحُمْرِ؟
 دِ مِنَ الفَاتِحِينَ كَرِيمِ النَفْرِ؟
 جِ، وَقَلَّ الجُمُوعَ، وَثَلَّ السُّرُرِ ٣٣
 نِ، فَإِنَّ الزَّمَانَ يُقِيمُ الصَّعْرَ ٣٤

رأيت الديانات في نظمها
 تُشاد البيوت لها كالبرو
 تلاقى أساسًا وشمَّ الجبا
 وإيزيس خلف مقاصيره
 تضيء على صفحات السما
 وآبيس في نيره العالمو
 تُساس به مُعْضِلات الأمم
 ولا يشعُر القوم إلا به
 يَقِلُّ أبو المسك عبدًا له
 وأنست موسى وتابوته
 وعيسى يَلُمُّ رداء الحيا
 وعمرو يسوق بمصر الصحا
 فكيف رأيت الهدى، والضلا
 ونبذ المَقْوَقِسِ عهدَ الفجو
 وتبديله ظلماتِ الضلا
 وتأليفه القِبْطِ والمسلمي
 أبا الهول، لو لم تكن آية
 أطلت على الهرمين الوقو
 تُرجي لبانيهما عودة
 تجوس بعين خِلالِ الديا
 تروم بمنفيس بيضِ الطُّبا
 ومهد العلوم الخطيرِ الجلا
 فلا تستبين سوى قرية
 تكاد لإغراقها في الجمو
 فهل من يبلغ عنا الأصو
 وأنا خطبنا جِسانَ العلا
 وأنا ركبنا غمارَ الأمو

وحين وهى سلَّكها وانتشر^{٣٥}
 ج، إذا أخذ الطرفُ فيها انحسر^{٣٦}
 ل، كما تتلقى أصولُ الشجر^{٣٧}
 تخطى الملوك إليها السُّتر^{٣٨}
 ء، وتشرق في الأرض منها الحجر^{٣٩}
 ن، وبعض العقائد نيرٌ عسر^{٤٠}
 ر، ويرجى النعيم، وتخشى سقر
 ولو أخذته المدى ما شعر
 وإن صاع أحمدٌ فيه الدرر^{٤١}
 ونور العصا، والوصايا الغرر^{٤٢}
 ء، ومريم تجمع ذيلَ الحفر^{٤٣}
 ب، ويُرْجى الكتاب، ويحدو السور^{٤٤}
 ل، ودنيا الملوك، وأخرى عمر؟^{٤٥}
 ر، وأخذ المقوقس عهدَ الفجر^{٤٦}
 ل بصبح الهداية لَمَّا سَفر^{٤٧}
 ن كما ألفت بالولاء الأسر^{٤٨}
 لكان وفلأوك إحدى العبر^{٤٩}
 ف، كثاكلة لا تريم الحفر^{٥٠}
 وكيف يعودُ الرميم النخر؟^{٥١}
 ر، وترمي بأخرى فضاءَ النهر^{٥٢}
 وسُمِرَ القنا، والخميس الدثر^{٥٣}
 ل، وعهدَ الفنون الجليلَ الخطر
 أجدُ محاسنها ما اندثر^{٥٤}
 د إذا الأرض دارت بها لم تدر
 ل بأن الفروع اقتدت بالسير؟^{٥٥}
 وسقنا لها الغالي المدخر
 ر، وأنا نزلنا إلى المؤتمر^{٥٦}

بكل مُبينٍ شديد اللدا
تطالب بالحق في أمة
ولم تفتخر بأساطيلها
فلم يبقَ غيرُك مَنْ لم يَحِفْ
تحرَّكْ أبا الهول، هذا الزما
فهل مَنْ يبلِّغُ عَنَّا الأصو
وأنا حَظَبنا حِسانَ العلا
وأنا ركبنا غمارَ الأمو
بكل مُبينٍ شديد اللدا
تطالب بالحق في أمة
ولم تفتخر بأساطيلها
فلم يبقَ غيرُك مَنْ لم يَحِفْ
تحرَّكْ أبا الهول، هذا الزما

د، وكل أريبٍ بعيد النظر^{٥٧}
جرى دُمها دونه وانتشر^{٥٨}
ولكن بدستورها تفتخر^{٥٩}
ولم يبقَ غيرُك مَنْ لم يَطِر
نُ تحرَّكْ ما فيه، حتى الحجر
لَ بأن الفروع اقتدت بالسير؟^{٦٠}
وسقنا لها الغالي المدَّخر
ر، وأنا نزلنا إلى المؤتمر^{٦١}
د، وكل أريبٍ بعيد النظر^{٦٢}
جرى دُمها دونه وانتشر^{٦٣}
ولكن بدستورها تفتخر^{٦٤}
ولم يبقَ غيرُك مَنْ لم يَطِر
نُ تحرَّكْ ما فيه، حتى الحجر

«فلما أنمها أجابه آخر كان يختفي وراء التمثال وينطق بلسانه»:

نجيَّ أبي الهول آن الآوا
خبأتُ لقومك ما يستقو
فعندي الملوكُ بأعيانها
محا ظلمةَ اليأسِ صُبْحُ الرجا

نُ، ودان الزمانُ، ولان القدر
ن، ولا يخبأُ العذبُ مثلُ الحجر
وعندَ التوابيتِ منها الأثر
ء، وهذا هو الفلُّقُ المنتظر

«ثم انشقَّ صدرُ أبي الهول عن فتى وفتاة، مثلاً أمامه، وأنشدا النشيد»:

اليوم نَسودُ بوادينا
ويشيدُ العزَّ بأيدينا
وطنٌ بالحقِّ نُؤيِّدهُ
ونحسُّنُه، ونزيُّنُه
سرُّ التاريخ، وعنصرُه

ونُعِيدُ محاسنَ ماضيِنا
وطنٌ نَفديه وَيَفدينا
وبعينِ الله نَشيدُه
بمآثرنا ومساعينا
وسريرُ الدهرِ ومُنبرُه

وَجَنَانُ الخلد، وكوثره	وكفى الآباءُ رياحيناً
نَتَّخِذُ الشمسَ له تاجاً	وضأها عرشاً وهاجاً
وسماءَ السُّودِّدِ أبراجاً	وكذلك كان أولينا
العصرُ يراكُم، والأمم	والكرنك يلحظ، والهرمُ
أبني الأوطان ألا هممُ	كبناء الأولِ يبئنا؟
سعيًا أبداً، سعيًا سعيًا	لأثيل المجد وللعليا
ولنجعلُ مصرَ هي الدنيا	ولنجعل مصر هي الدنيا

هوامش

(١) «طال عليك العصر» العَصْر والعَصْر والعَصْر: الدَّهر، فالعصر هنا مفرد لا جمع، ومعنى طول الدهر على أبي الهول: أنه عمَّر أعمارًا طويلاً، وقد أوضح ذلك مع زيادة في التوكيد بقوله: وبلغت في الأرض أقصى العمر، والعُمُر (بضم العين والميم) لغة في العمر.

(٢) فيا لدةً الدَّهر: فيا أcha الدَّهر وقريته، فكأنك والدَّهر توأمان، خلقتما معاً في أوان، والبيت كما ترى آية في الإبداع وروعة البيان. ولا أنت جاوزت حدَّ الصغر: أي برغم أنك بلغت في الأرض أقصى العمر.

(٣) إلام ركوبك: «إلى» من حروف الجر دخلت على «ما» الاستفهامية فبُنيت بناء كلمة واحدة، وسقطت الألف من «ما» طلباً للخفة واعتداداً بإلى الموصولة بها، وكذلك يفعلون في بَمَ وفيمَ ومِمَّ، ولا يفعلون ذلك بما الخبرية، ومن العرب مَنْ يقف على مثل هذا بالهاء، فيقولون، في بَمَ وفيمَ ومِمَّ، ولا يفعلون ذلك بما الخبرية، ومن العرب مَنْ يقف على مثل هذا بالهاء، فيقولون: إلامه وعمه وفيمه ولمه.. هذا وإنه لتصوير شعري بدیع رائع، تصوير أبي الهول راكباً متن الرمال، يطوي الليل والنهار، ويسافر متنقلاً في القرون والأدهار. وجوب: في معنى طي.

(٤) في الموعد المنتظر: يوم يزول كل شيء، أي في اليوم الآخر.

(٥) ماذا وراء البقاء: يقول: ما وراء البقاء المتطاوُل غير السأم.. قال زهير بن أبي

سلمى:

سئمت تكاليف الحياة وَمَنْ يَعِشْ ثمانين حَوْلًا لا أبا لك يسأم

(٦) لقمان: هو لقمان بن عادياء، وتزعم العرب أنه الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستقي لها، فلمَّا أهلكوا، خَيْرَ لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر، من أظب عفر، في جبل وعر، لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر، كلِّمًا أهلك نسر خلف بعده نسر؛ فاستحقر الأبقار وآثر النسور، فلمَّا لم يبق غير السابع قال ابن أخ له: يا عم! ما بقي من عمرك إلا عمر هذا، فقال لقمان: هذا لبد (ولبد بلسانهم: الدَّهر)، قالوا: وكان يأخذ فرخ النسر، فيجعله في حوبة في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر، فإذا مات أخذ آخر مكانه، حتى هلكت كلها إلا السابع، أخذه فوضعه في ذلك الوضع وسَمَّاه لبدًا، وكان أطولها عمرًا؛ فضربت العرب به المثل فقالوا: «طال الأبد على لبد».. قال الأعشى:

وأنت الذي ألهيت قبيلا بكأسه ولقمان إذ خيَّرت لقمان في العمر
لنفسك أن تختار سبعة أنسر إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر
فعمَّر حتى خال أن نسوره خلودٌ وهل تبقى النفوس على الدَّهر؟

فعاش لقمان — كما زعموا — ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة.. وقال النابغة:

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أحنى عليها الذي أحنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء، غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم.
(٧) وشكوى لبيد: أي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة.. إلخ، وهو لبيد بن ربيعة، الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرم، صاحب المعلقة المشهورة التي أولها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين، روي أنه مات وهو ابن مائة وأربعين، وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية، أمّا شكواه التي ألمع إليها، فذلك حيث يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس: كيف لبيد؟

يقول: إذا لم يكن وراء البقاء المتناول إلا الضجر، فإني أعجب للقمان في حرصه على أن تطول حياته. وللبيد الذي إن مل الحياة وسئم من طولها، فإنه لا محالة كان أكثر شكاة إذا هي لم تطل؛ لأن حبّ الحياة جبلة مركوزة في الطباع. (٨) وُجِدَتْ: أي الحياة. يا بن الصفاة: هي الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئاً، وفي المثل: فلان ما تندى صفاته، وفي الحديث: لا تفرح لهم صفاة، أي لا ينالهم أحد بسوء، وأبو الهول ابن الصفاة؛ لأنه من الحجر. لحقت.. إلخ: أي لأدركك الموت. (٩) فإن الحياة: من المعاني المبتكرة التي لا نطن صاحب الديوان قد سبق إليها على هذا الوجه.

(١٠) ما أنت في المعضلات: خبرني أي معضلة أنت في المعضلات وأي معمي؟!

(١١) تحيّرت: يقول: حار الناس قاطبة في أمرك حاضرهم والبادي.

(١٢) صورة العنفوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صوّر على صورة الأسد من

معاني القوة. مثال الحجى والبصر: لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوّران على صورة وجه الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمر.

(١٣) يقول: ومع ذلك لا يزال سرك مكتئباً في حجبه والناس من أمرك في ظلام.

(١٤) ولو صوّروا: أي ما كان ينبغي أن يرّوع الناس منك أن كان رأسك على هيكل

من ذوات الظفر؛ لأن الناس لو صوّروا من نواحي شيمهم وطباعهم لتوالوا عليك كأنهم وحوش، وهذا معنى حسن بديع، وقد زاده حسناً وأكّده بقوله: فيا ربّ وجه كصافي النمير.

(١٥) النمير: الماء الناجع في الري، أو النامي، أو الكثير، والنمر: هو ذلك الحيوان

المعروف بمكره وخبثه وشراسته، وهذا البيت من جوامع الكلم وروائع الحكم، ولا يخفي ما فيه من الجنس بين النمير وبين النمر.. وللشعراء فيما يتصل بهذا المعنى ويقاربه ما

الشوقيات

يخطئه العُدُّ والإحصاء، فمن ذلك ما يقول القائل:

لا يغرِّبك ما ترى من أناس إن تحت الضلوع داء دويًّا

ويقول الأبيوردي:

يلفك، والعسل المصفى يجتنى من قوله، ومن الفعال العلقم
بيدي الهوى ويثور — إن عرضت له فرص — عليك كما يثور الأرقم

ويقول الشريف الرضي:

لا تجعلنَّ دليلَ المرءِ صورته كم مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول:

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه أبى بعد طول العمر أن يتقوما
تقبلت منه ظاهراً متبلجاً وأدمج دوني باطناً متجّهما
ولو أنني كشفته عن ضميره أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

وقال آخر:

يعطيك ودًّا صادقًا بلسانه ويجن تحت ضلوعه ألوانا

وقال أبو فراس:

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئبًا على أجسادهن ثياب

وقال آخر:

ظننت بهم خيرًا فلما بلوتهم نزلت بوادٍ منهم غير ذي زرع

ويقول أبو تمام:

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرًا متبسّمًا عن باطن متجهم

(١٦) لا يستقل: لا يُعدُّ قليلًا، وهذا البيت كالتمهيد لما بعده.

(١٧) ديك الصباح: يريد الزمن، والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة، وإنه لتخيل شعري جميل، ومن بارع حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويبه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسلّ سوادهما، هو هزء أبي الهول به، وسخريته منه، وعدم اكترائه، ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح. هذا، ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول: إنه ورد في بعض الآثار: «لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة».. ولابن المعتز:

بشّر بالصبح هاتفٌ هتفا هاج بالليل بعد ما انتصفا
مذكّر بالصبوح هاج بنا كخاطب فوق منبر وقفا
صفق إمّا ارتياحة لسنا الـ فجر وإمّا على الدّجى أسفا

وللمعري:

أيا ديك، عدت من أيديك صيحة بعثت بها ميت الكرى وهو نائمٌ

هتف، فقال الناس: أوس بن معبر أو ابن رباح بالمحلة قائمٌ

إلى أن يقول:

عليك ثياب خاطها الله قادرًا بها رثمتك العاطفات الروائم
وتاجك معقود، كأنك هرمز يباهي به أملاكه ويوائم
وعينك سقط ما خبا عند قرّة كلمعة برق ما لها الدهر شائم
وما زلت للدين القويم دعامة إذ قلقت من حاملها الدعائم

أوس بن معبر: هو مؤذن رسول الله ﷺ بمكة بعد الفتح. وابن رباح: هو بلال، كان يؤذن لرسول الله ﷺ سفرًا وحضرًا. ورثمتك: عطفت عليك ولزمتك. ويوائم: يوافق ويلائم. والسقط: ما سقط من النار بين الزندين قبل استحكام الوري. والقرّة: البرد. (١٨) المحبسين: المحبس هو الموضع الذي يحبس فيه، وكان يقال عن أبي العلاء المعري: رهين المحبسين أي رهين عماء وبيته، فكأنه من عماء في محبس، وكذلك أبو الهول، عدّه شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماء وسكونه في محبسين. (١٩) ديدبان: فارسية معرّبة أصلها ديدة بان، ومعنى ديدة: العين، وبان: ذو أي الرقيب والعين، ومعناها الخاص: الجندي المكلف بالحراسة. (٢٠) السطّر: السطر وهو الصف من الكتاب والشجر ونحوهما، ومعنى البيت ظاهر.

(٢١) نجى الأوان: النجى (بوزن فعيل) هو الذي تسارّه، وفي الحديث: «اللهم بمحمد نبيك وبموسى نبيك»، وهو الناجي المحدث للإنسان. (٢٢) من آدم: أي من قديم الزمان. والزمز: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس، والمراد هنا الناس جميعًا. (٢٣) يستهل: يعني يقدم على الدنيا، من استهل الصبي بالبكاء أي رفع صوته وصاح عند الولادة. ويحتضر: حضر فلان واحتضر إذا نزل به الموت. (٢٤) وأخرى مشيعة من غبر: من مضى، وإن هذا البيت لمشبع من الروعة والجلال. (٢٥) فحدث: هذا البيت هو كالمدخل لما بعده. (٢٦) ألم تبل فرعون: بلاه يبيلوه بلواً وابتلاء أي جرّبه واختبره. وفرعون: لقب يطلق على كل من ولي ملك مصر، كالنجاشي للملك الحبشة، وقيصر للملك الرومان،

وفرعون أصلها في الهيروغليفية مركبة من «بي» وهي أداة التعريف كأل، و«راع» أي الشمس، فتكون كلمة واحدة، وراع أو راهو: معبود قوي وحاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة وإبقاءً على الكون، ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب، وإذن لا يقصد بفرعون فرعوناً معيناً، ولكن جميع فراعنة مصر، وقد ابتلاهم أبو الهول. إلى الشمس معترياً: تقول: ألم تبلُ يا أبا الهول فرعون وهو في عزّه، حتى لكأنه من العزّ والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر؛ لأن مَنْ اعتزى إلى شيء قاربه وشاكه، وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة أوزيريس الشمس، وإيزيس القمر؛ لأنهما من أصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العزّ والمنعة.

(٢٧) ظليل الحضارة: مكان ظليل أي ذو ظل دائم يستظلُّ به، يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظلُّ الناس، ويرتعون في ذراها وكنفها، والحضارة (بكسر الحاء وفتحها): الإقامة في الحضر. والحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البدو والبادية، وهي المدن والقرى والريف؛ سمّيت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.. قال الفطامي:

فَمَنْ تَكُنْ الحضارة أعجبتَه فأَيُّ رجالِ باديةِ ترانا

وقال المتنبي:

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين.

(٢٨) للغابرين: الغابر من الأضداد، فيكون بمعنى الباقي، ويكون بمعنى الماضي، ومن ثَمَّ يكون معنى البيت: إمّا أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتمثيل ويغرس للأتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها، وإمّا أن فرعون يؤسس ويغرس لهم كل ما يجدي ويثمر.

(٢٩) قمبيز: هو ابن كورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة، ومعلوم أن الفرس من الدول التي غزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر، قال المؤرخون: أخذ

الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين، وذلك حين ولي الملك «أبسمتيك الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة؛ فأعدَّ الفرس لهذه الغزاة المعدَّات الكبيرة، وجاء ملكهم «قمبيز» بجيش جرَّار، لفتح البلاد التي طالما تآقت نفس أبيه «كورش» إلى إخضاعها، وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة.. يقول مؤرخو الإغريق: إن أحد الجنود اليونانية، هو الذي خان مصر والمصريين، ودلَّ الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد، فهوجمت مدينة «بلوز» (الفرما) بحرًا، وزحفت الجنود الفارسية على مصر برًا، وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف، سقطت البلاد، وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيرًا، وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م، ثم سار قمبيز أوَّل أيامه سيرة حسنة، وعامل المصريين معاملة طيبة، يحترم ديانتهم وتقاليدهم، ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر، وحنق على البلاد ومَن فيها، فكَرَّ على المعابد والهيكل فهدمها، وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة، وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق.م، ولمَّا ولي ملك فارس «دارا الأول» زار مصر، واران أن يصلح ما أفسده قمبيز، فأبدى احترامًا كبيرًا لديانة المصريين ومعبوداتهم، وشيَّد هيكلًا عظيمًا للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى، وعضدَّ التجارة، وشيَّد كثيرًا من المدارس، وفتح الخليج الموصل ما بين النيل والبحر الأحمر، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة «مرتون» في حربه مع الإغريق؛ فخرجوا عن طاعته، وطردهوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق.م، ثم غزا الفرس مصر ثانية، وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق.م.

(٣٠) إسكندر: هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم، قال المؤرخون: بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة أسوس، زحف على مدينة صور فأخذها عنوة؛ وبذلك تم استيلاؤه على الشام، ثم قدم إلى «بلوز» (الفرما) سنة ٣٣٢ ق.م؛ رحَّب به المصريون، لما سمعوه عن عدالة حكمه، ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس، ففتحت له مصر أبوابها ودخلها دون عناء، حتى أن الوالي الفارسي لم يجروا على مقاومته وقابله في منف بترحاب؛ ومن ثمَّ سار الإسكندر إلى واحة آمون الكبرى، ودخل معبد آمون، ولقَّبه الكهنة بابن آمون، فاحترم ديانة المصريين وقَدَّم القرابين لمعبوداتهم، ولم يهمل مع ذلك التقاليد الإغريقية، فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية. ولمَّا رأى الإسكندر أن قرية «راقودة» — وهي قرية صغيرة كانت بقرب الإسكندرية — ذات موقع بحري موفق، أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية، وبعد أن استوثق الأمر

للإسكندر في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ق.م، وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة ونيقياً، لم يبق بمصر - كما ترى - إلا قليلاً، فذلك حيث يقول في البيت التالي:

فلم يعد في الملك عمر الزهر

وخلف الإسكندر على مصر البطالسة، وما زالوا بها إلى أن استولى الرومان عليها.
(٣١) إكليله: تاجه.

(٣٢) قيصر: أسلفنا أن قيصرًا هذا لقب ملوك الرومان، قال المؤرخون: ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض، حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين البطالسة في مصر، ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجد البطالسة إلى انقراضهم، تطوّرت أثناءها في عدة أطوار: ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة، ثم انتقلت إلى حمايتهم لهم، ثم السيطرة عليهم، ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق.م في عهد أغسطس، ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها في عهد خمولى سياسي طويل، امتد نحوًا من ٦٧ سنة، لم يكن لها فيها شيء يذكر في التاريخ، بل كانت كحقل لإنتاج الحبوب وتصديرها إلى رومية لصدّ أهم جزء من الخراج، وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ م على يد عمرو بن العاص، فذلك حيث يقول «وكيف ابتلوا بقليل العديد.. إلخ». القصر: أي الأعناق.. قال الشاعر.

لاتدلك الشمس إلا حذو منكبه في حومة تحتها الهامات والقصر

(٣٣) رمى: أي هذا نفر القليل، وهم أصحاب عمرو بن العاص. وفلّ الجموع: هزمها وثلّ السرور: كسرهما. والسرر: جمع سرير، والمراد هنا العروش التي يجلس عليها القياصرة.

(٣٤) الصعر: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، وقد صعرَّ خده أي أماله من الكبر، قال المثلث:

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خَدَّهُ أقمنا له من رُدَّه فتقومنا

والزمان يقيم الصعر: يعدل الطغاة: يقال: أقمت الشيء فقام أي استقام.

(٣٥) في نظمها وحين وهى سلكها: في حالتها قوتها وضعفها.

(٣٦) انحسر: كلَّ، والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر.

(٣٧) تلاقى: تتلاقى، بحذف إحدى التاءين، يريد أنها راسخة رسوخ الجبال.

(٣٨) إيزيس: هي من معبودات قدماء المصريين، وهي أخت أوزيريس وزوجته في

الوقت نفسه، وأم عوروس وهاريوقراط ... يرى قدماء المصريين، أن إيزيس هذه وليت

أمر مصر مع أخيها وزوجها أوزيريس حيناً من الدهر ازدهرت فيه الزراعة، ويؤخذ

من تقاليد إيزيس أنها عندهم رمز للقمر، وأوزيريس رمز للشمس، ومن هنا يريد بـ

«إيزيس» القمر، وقوله «تخطى» أي تتخطى، بحذف إحدى التاءين.

(٣٩) قوله «تضيء على صفحات السماء» أي إيزيس بمعنى قمر السماء الحقيقي.

وقوله «وتشرق في الأرض منها الحجر» أي القمر بمعنى المعبود في الأرض، وعلى ذلك

يكون في الكلام استخدام، وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم

يراد بضميره الآخر، أو يراد بأحد ضميرين أحدهما، ثم بالآخر الآخر، فالأول كقول معوِّذ

الحكماء:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناها، وإن كانوا غضابا

فإنه أراد بالسماء الغيث، وبضميره النبات.. والثاني كقول البحري:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب

فإنه أراد بضمير الغضا في قوله «والساكنيه» المكان، وفي قوله «شبوه» أي أوقدوا

الشجر. والحجر: جمع حجرة كغرفة وغرف.

(٤٠) وأبيس: هو العجل أبيس.. روى أن تيفون إله الشر تغلَّب أخيراً على أوزيريس

إله الخير وقتله؛ فنقمَّصت روحه جسد عجل، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب

والتوليد الخلقي، وكانوا يعتقدون أن العجل الذي تقمَّصته روحه هو ابن بقرة حملت

به بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر، وله علامات ظاهرة في جسده، فإنه يكون أسود اللون، وفي جبهته سمة بيضاء مربعة أو مثلثة، وصورة نسر على ظهره، وصورة خنفساء تحت لسانه، وكان الكهنة عندما يجدون العجل بعد موت سلفه، يركبون مركبة حربية ويسيروا به باحتفال عظيم إلى هليوبوليس، وكانوا يضعونه فيها في هيكل يتركونه مفتوحاً للعبادة أربعين يوماً، وكان الأهالي عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد، ويضعونه في تاووس ثمين جداً، وكانوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل، وذلك بإقامة الولائم والأفراح وكانوا يطرحون في ذلك الوقت إناءً من الذهب في النيل لإخماد غضب التماسيح.. في نيره: النير هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين بالحرثة بأداتها، وهم يقولون: فلان تحت نير فلان، يريدون الخضوع والاستخاء.

(٤١) أبو المسك: كافور الإخشيدي. وأحمد: ابو الطيب المتنبي.

(٤٢) التابوت الذي وُضِعَ فيه موسى وقُدِّفَ به في النيل. وعصا موسى وما كان منها من الآيات، والوصايا العشر، كل أولئك معروف فلا حاجة بنا إلى الإفاضه فيه.

(٤٣) «وعيسى يلمُّ رداء الحياء» يقول: وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء، ومثله في ذلك العذراء.

(٤٤) «وعمر» يقول: وقد رأيت عمرو بن العاص إذا يسوق المسلمین لفتح مصر، ويزجي كتاب الله وآياته.

(٤٥) «فكيف رأيت»، يقول: خبرني يا أبا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدي المسلمين وأخرى عمر، أي دنياه التي كأنها الأخرى في الإصلاح وما إليه من كل ما كان ماثلاً أيام الفاروق (رضى الله عنه) وأرضاه، وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن إليهم.

(٤٦) المقوقس: هو سيروس، بطريق الطائفة الملكانية بالإسكندرية، والحاكم الإداري بمصر من قبل الرومان، والذي فتح عمرو بن العاص مصر في عهده، وفي المقرئزي: أنه يُسمَّى المقوقس بن قرقفت، ولعله محرّف عن سيروس. عهد الفجور: عهد الانحراف عن الصراط السوي، عهد الإسراف في المعاصي والآثام، عهد الرومان الذي استبدل به المقوقس. عهد الفجر: أي عهد الخير العميم، عهد النور، عهد التلقي والإسلام، عهد الإسلام، إذا مالاً المسلمين وعبّد لهم طريق الفتح.

(٤٧) وتبديله: في معنى البيت قبله. لمَّا سفر: سفر الصبح وأسفر أي أضاء.

(٤٨) وتأليفه: أي المقوقس. والأسر: جمع الأسرة، وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأذنون.

(٤٩) إحدى العبر: إحدى الآيات.

(٥٠) أطلت.. إلخ: بيان لوفاء أبي الهول. كثاكلة: يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاءً منك، كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزياله، والثاكلة هي التي فقدت ولدها. ولا تريم: أي لا تبرح. والحفر: جمع حفرة وهي ما يحفر في الأرض؛ والمراد بها هنا القبر.

(٥١) لبانيهما: أي لباني الهرمين.

(٥٢) تجوس: تطوف وتتخلل. والنهر والنهر: واحد الأنهار، يعني نهر النيل.

(٥٣) تروم: تنشد وتطلب. ومنفيس: منف، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة: هي عاصمة ملك الفراعنة، والذي بناها هو «ميناء» مؤسس الأسرة المالكة، وكانت كما قال شاعرنا:

ومهد العلوم الخطير الجلا ل، وعهد الفنون الجليل الخطر

ولا يخفى ما في هذا البيت من العكس، والعكس هذا من المحسنات البديعية، وهو أن تقدّم في الكلام جزءاً، ثم تعكس فتقدّم ما أخرت وتؤخر ما قدّمت، مثل قول الحماسي:

فردّ شعورهن السود بيضا وردّ وجوهنّ البيض سودا

وقول أبي الطيب:

فلا مجد في الدنيا لمن قال ماله ولا مال في الدنيا لمن قال مجده

وقول الآخر:

إن الليالي للأنام مناهيل تطوى وتنتشر دونها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

الخميس الدثر: الجيش الكثير، يقول: إنك يا أبا الهول لأوفى الأوفياء، إذ كأني بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة، والمدنيّة الزاهرة، التي تحليت بها حيناً من الدهر، وشاهدت عصرها الذهبي، ثم ذهبت وذهب أهلها، وأصبحت منفرداً وحيداً.
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر، فأبى عليك وفاؤك إلا أن تطيل الوقوف على الهرمين، شأن التّكول فقدت وحيدها فأبى عليها وجدها أن تريم قبره، وكأنك في وقوفك هذا ترجى لباني الهرمين عودة تعود معها تلك المعاني الساميات، وتنشد بمنفيس — وهي منك عن كذب — عهد القوة والعظمة والسلطان، وعهد العلوم والعرفان، وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت في الزمن الخالي، فلا تصيب شيئاً من ذلك، ولا تقع عينك من منفيس هذه إلا على قرية قد اندثرت، ودمنة قد عفت، تكاد لإغراقها في الجمود، إذا الأرض دارت بها لم تدر.. فترى في هذه الأبيات صورة أبي الهول في وقوفه هذا، صورة شعرية آية في الإبداع والتخيّل الشعري، ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين، وأن مصر كانت عهد الحضارة والتمدن، ولا جرم فقد أمّها وجاور فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين، وفيثاغورس وأفلاطون وإقليدس من شيوخ الفلسفة، كما تؤمّ اليوم بلاد الغرب للمجاورة فيها والإفادة منها، ومن هنا قال بعد ذلك «فهل من يبْلغُ عنّا الأصول»
(٥٤) «أجد محاسنها ما اندثر» يقول: إن ظلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها، وهو معنى دقيق عجيب، ولعله ينظر إلى قول أبي نواس:

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم
تجافى البلى عنهن حتى كأنما لبسن على الأقواء ثوب نعيم

هذا ويجوز أن يكون «أجد» مبتدأ وما اندثر «خبر»، أي أن أجد ما بقي من هذه القرية وأجله، هو آثارها الدوارس.
(٥٥) الأصول: أصولنا وأباؤنا الذين وصف. الفروع: نحن المصريين أبناء هذا الجيل. واقتدت بالسيّر: حذت حذو أصولها، إذ كان منّا في هذه الآونة ما قصّه بعد.

(٥٦) غمار الأمور: شداؤها، جمع غمرة. المؤتمر: مؤتمر الصلح الذي عقد على أثر انتهاء الحرب الأوروبية العامة سنة ١٩٢٠ الذي فزعنا إليه في شخص الوفد المصري. (٥٧) الشديد اللداد: أي الشديد الخصومة والجدل الذي لا يغلب. والأريب: العاقل البعيد النظر.

(٥٨) تطالب: أي الفروع. ودونه: دون هذا الحق. (٥٩) ولم تفتخر: أي أنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما إلى ذلك، ولكنها تعتز بحقها الطبيعي الذي ليس إلا به كيانها. (٦٠) الأصول: أصولنا وأباؤنا الذين وصف. الفروع: نحن المصريين أبناء هذا الجيل. واقتدت بالسير: حذت حذو أصولها، إذ كان مناً في هذه الآونة ما قصه بعد. (٦١) غمار الأمور: شداؤها، جمع غمرة. المؤتمر: مؤتمر الصلح الذي عقد على أثر انتهاء الحرب الأوروبية العامة سنة ١٩٢٠ الذي فزعنا إليه في شخص الوفد المصري. (٦٢) الشديد اللداد: أي الشديد الخصومة والجدل الذي لا يغلب. والأريب: العاقل البعيد النظر.

(٦٣) تطالب: أي الفروع. ودونه: دون هذا الحق. (٦٤) ولم تفتخر: أي أنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما إلى ذلك، ولكنها تعترُّ بحقها الطبيعي الذي ليس إلا به كيانها.

مملكة النحل

مملكة مُدَبَّرَه بِامرأة مُؤمَّره
تحمِلُ في العمال والصناع عبءَ السيطره
فاعجب لعمال يُؤلُّون عليهم قَيَصْرَه
تحكمهم راهبَه نَكَارَه مُغَبَّرَه^١
عاقده زُنَّارها عن ساقها مُشَمَّره
تَأثمت بالأرجوا ن، وارتدته مئزره
وارتفعت كأنها شَرارَه مُطَيَّره
ووقعت لم تختلج كأنها مُسَمَّره^٢

مخلوقه ضعيفه من خُلُق مُصوَّره
يا ما أقل ملكها وما أجل خطره
قف سائل النحل به بأي عقل دَبَّره؟
يُجبك بالأخلاق وهي كالعقولِ جوهره
تغني قوى الأخلاق ما تغني القوى المفقَّره
ويرفعُ الله بها من شاء، حتى الحشره

أليس في مملكة النحل لِقوم تبصره؟

مُصَالِحَةٌ، مُعَمَّرَه
 لَا تَسْتَبِينُ أَثَرَه
 أَصْلًا لَهُ مِنْ ثَمَرَه
 مِنْ الْبِلَاءِ أَكْثَرَه
 لِأَمْرِهِمْ مَسِيئَرَه
 هُ مَالِكُهُمْ وَطَهَّرَه
 عَامِلِيَّةً، مَسْخَرَه
 مِنْ مَعْمَلٍ مُنْحَدِرَه
 صَادِرَةٌ عَنْ دَسْكَرَه^{١٠}
 عَصَائِبِ الْمَبْكِرَه^{١١}
 نَ، الْمَحْسَنِينَ الْمَهْرَه
 ءَ، أَوْ أَقَامَ أَسْطَرَه
 أَوْ سَدَّه، أَوْ قَوَّرَه^{١٢}
 جِدْرَانِه الْمَجْدَرَه^{١٣}

مَالِكَةٌ، عَامِلَةٌ
 الْمَالُ فِي أَتْبَاعِهَا
 لَا يَعْرِفُونَ بَيْنَهُمْ
 لَوْ عَرَفُوهُ عَرَفُوا
 وَاتَّخَذُوا نَقَابَةً
 سَبِحَانَ مَنْ نَزَّهَ عِنْدَ
 وَسَاسِهِ بِحُورَةٍ
 صَاعِدَةٍ فِي مَعْمَلٍ
 وَارِدَةٍ دَسْكَرَةٍ
 بَاكِرَةٍ، تَسْتَنْهَضُ إِلَى
 السَّامِعِينَ، الطَّائِعِينَ
 مِنْ كُلِّ مَنْ خَطَّ الْبِنَا
 أَوْشَدَّ أَصْلَ عَقْدِيهِ
 أَوْ طَافَ بِالْمَاءِ عَلَى

فَأَ، وَتَجِيءُ مُوقِرَه
 خَمَائِلِ الْمَنَوَّرَه
 زَهْرِ الرِّيَاضِ الشَّيْئِرَه^{١٤}
 عَلَى الْجَنَى مُزْرَه
 هُ الْعَسَلِ الْمُقْطَّرَه
 فِيهِ مِنَ الشُّهْدِ بُرَه^{١٥}
 جَاسَتْ خِلَالَ الْأَدْوَرَه^{١٦}
 فِي الدَّنَانِ الْمَحْضَرَه^{١٧}
 أَمَانِيَّةٌ مُقْصَّرَه؟
 أَوْ اسْتَعَارَتْ زَهْرَه
 سُكَّزَةً بِسُكْرَه

وَتَذْهَبُ النُّحْلُ خِيفًا
 جَوَالِبِ الشَّمْعِ مِنَ الْ
 حَوَالِبِ الْمَازِيَّيِ مِنْ
 مَشْدُودَةٌ جِيُوبُهَا
 وَكُلُّ خُرْطُومٍ أَدَا
 وَكُلُّ أَنْفٍ قَانِيٍّ
 حَتَّى إِذَا جَاءَتْ بِهِ
 وَغَيْبَتْهُ كَالسُّلَا
 فَهَلْ رَأَيْتَ النُّحْلَ عَنِ
 مَا اقْتَرَضَتْ مِنْ بَقْلِيَّةٍ
 أَدَّتْ إِلَى النَّاسِ بِهِ

- (١) التغير: ترديد الصوت بالقراءة.
- (٢) الاختلاج: الاضطراب.
- (٣) يقال: هذا الأمر مجردة ذلك، أي جدير به.
- (٤) الذكرة: الذكور.
- (٥) الطماع: الطمع.
- (٦) اللبابة: اللبؤة.
- (٧) الشكة: السلاح. والجسرة: الجسارة.
- (٨) المثيرة: بيت الإبرة.
- (٩) القسورة: الأسد.
- (١٠) الدسكرة: القرية.
- (١١) العصائب: جمع عصابة.
- (١٢) قور الشيء: قطعه من وسطه خرقًا مستديرًا.
- (١٣) المجدرة: أي المشيدة.
- (١٤) المانزي: العسل. والشيرة: الجميلة الحسنة.
- (١٥) البرة: الحلقة في الأنف.
- (١٦) الأدورة: الديار، يُرادُّ بها الخلايا هنا.
- (١٧) السُّلاف: أفضل الخمر.

في سبيل الهلال الأحمر

واكتب ثواب المحسنين وسطر
واطلب مزيداً في الرخاء لموسر
يفتح على أمم الهلال وينصر
واقعد بهم في ذلك المستمطر
الله من ملاء كريم خيبر
والله زانك بالقبول الأنور
من كل أبلج في الأكارم أزهر
فكأنها قطع الغمام الممطر
بيع الحصى في السوق ببيع الجواهر
أين المساوم في الثواب المشتري؟
ومن المهابة بين ألف معسكر
لا يسمحون بها وبين الكوثر^١
لا يطعنون القزن ما لم يندر^٢
أخذ المعاقل بالقنا المتشجر^٣
لا يسألون عن السعير الممطر
جرحى نجلهم، كجرحى خيبر
دم أهل بدر فيه، أو دم خيبر
وجراحه في قلب كل غضنفر

جبريل، هلل في السماء، وكبر
سل للفقير على تكممه الغني
وادع الذي جعل الهلال شعاره
وتول في الهياج جند محمد
يا مهرجان البر، أنت تحية
هم زينوك بكل أزهر في الدجى
حسنت وجوهك في العيون وأشرقت
كثرت عليك أكفهم في صوبها
لو يعلمون (السوق) ما حسنتها؟
جبريل يعرض، والملائك باعة
ومجاهدين هناك عند معسكر
موفين للأوطان بين حياضها عرب
على دين الأبوّة في الوغى
ألفوا مصاحبة السيوف، وعودوا
يمشون من تحت القذائف نحوها
في أعين الباري، وفوق يمينه
من كل ميمون الضماد، كأنما
جدلان، هيئة عليه جراحه

الشوقيات

ضُمِدَتْ بِأَهْدَابِ الْجَفُونِ، وَطالَمَا ضُمِدَتْ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ الضُّمَّرُ °
عُودُهُ يَتَمَسَّحُونَ بِرُذْنِهِ كَالْوَفْدِ مَسَّحَ بِالْحَطِيمِ الْأَطْهَرِ ٦
وَتَكَادُ مِنْ نُورِ الْإِلَهِ حِيَالَهُ تَبْيِضُ أَثْنَاءُ (الهِلَالِ الْأَحْمَرِ)

هوامش

- (١) أي لا يسمحون بالكوثر بديلاً منها لو خيرو بين حياض نيلها وبينه.
- (٢) القرن: الكفاء والنظير.
- (٣) القنا: الرمام. والمتشجر: المشتبك.
- (٤) الحيدر: الأسد، ولقب من ألقاب الإمام علي بن أبي طالب (رضى الله عنه).
- والضماذ: عصابة الجرح.
- (٥) الضمّر: جمع ضامر، وهو من الخيل القليل اللحم الدقيق. والأعراف: جمع عرف، وهو شعر عنق الفرس.
- (٦) الرذن: أصل الكم.

الأزهر^١

وانتثر على سَمْعِ الزَّمانِ الجوهرًا
في مدجِه — حَرَزَ السَّماءِ النِّيرا
لمساجِدِ اللهِ الثلاثةِ مُكْبِرا^١
طلعوا به زُهْرًا، وماجوا أَبْحرا
وأعزَّ سلطانًا، وأفخَمَ مَظْهرا
حَرَمَ الأمانِ، وكان ظِلُّهُمُ الذَّرا^٢
وِيريكُهُ الخُلُقُ العَظيمُ غَضنْفرا
يجدون كل قديم شيءٍ منْكَرا
مَنْ مات من آبائهم أو عُمرًا
وإذا تقدَّم للبناءية قَصْرا
والعلم نَزْرًا، والبيان مُتْرَثرا^٣

قَمْ في فَمِ الدُّنيا وَحَيِّ الأزهرا
واجعل مكانَ الدرِّ — إن فَصَلْتَه
واذكره بعد المسجِدِين، مُعْظَمًا
واخشع مَلِيًّا، واقضِ حَقَّ أنْمَةٍ
كانوا أَجَلٌ من الملوِكِ جلالَةً
زَمَنُ المَخاوِفِ كان فيه جَنابُهُم
من كلِّ بحرٍ في الشريعةِ زاخِرِ
لا تَحْذُ حَذُوَ عِصابَةٍ مَفْتونَةٍ
ولو استطاعوا في المِجامعِ أنْكَروا
من كلِّ ماضٍ في القديمِ وَهَدَمِهِ
وأتى الحضارةَ بالصناعةِ رَثَّةً

* * *

وطوى الليالي رَكْنُهُ والأعْصرا
وأضاء أبيضَ لُجَّها والأحْمرا

يا معهدًا أفنى القرونَ جِدارَه
ومشى على يَبَسِ المِشارِقِ نُورَه

^١ قيلت هذه القصيدة بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه في سنة ١٩٢٤.

وأتى الزمانُ عليه يحمي سُنَّةً
 في الفاطميين انتمى ينبوعه
 عينٌ من الفرقان فاض نَمِيرُها
 ما ضَرَّنِي أن ليس أفُكَّكَ مَطْلعي
 لا والذي وكَلَّ البيانَ إليك، لم
 لَمَّا جرى الإصلاحُ قمت مُهِنًا
 نبأ سَرَى، فكسا المنارةَ حَبْرَةً
 وَسَمَا بأرْوِقَةِ الهُدَى، فأحلَّها
 ومشى إلى الحلقاتِ، فانفجرت له
 حتى ظننَّا الشافعيَّ، ومالگًا
 إنَّ الذي جعل العتيقَ مثابَةً
 العلمُ فيه مناهلاً ومجانياً

يا فتيةَ المعمورِ، سار حديثُكم
 المعهدُ القدسيُّ كان نديّه
 وُلِدَتْ قَضِيَّتُها على محرابه
 وتقدّمت تُزجِي الصفوفَ، كأنها
 نَدًا بأفواهِ الركابِ وَعَنْبِرًا^{١١}
 قطبًا لدائرة البلادِ ومُحَوِّرا
 وَحَبَّتْ به طفلًا، وشبَّتْ مُعْصِرًا^{١٢}
 (جاندرُكُ) في يدها اللوَاءُ مُظْفَرًا

هُزُّوا القرى من كهفها ورَقِيمها
 الغافلُ الأُمِّيُّ عندكم
 يُمِسي ويصبحُ في أوامر دينه
 لو قلتُم: اختَرُ للنبياةِ جاهلاً
 نُكِرَ الرجالُ له، فألَّهُ عصبَةً
 أبأؤكم قَرءوا عليه، ورَتَّلوا
 حتى تَلَفَّتْ عن محاجر رومة
 ودعا لمخلوقٍ، وآله زائلاً
 أنتم — لَعمرُ الله — أعصابُ القرى
 كالببغاءِ، مردِّدًا، ومُكْرِّرا
 وأمور دنياه بكم مُستبصرا
 أو للخطابةِ باقلاً، لتخيِّرا^{١٣}
 منهم، وفَسَّقَ آخرين، وكفِّرا^{١٤}
 بالأمس تاريخَ الرجالِ مُزورًا
 فرأى (عرابي) في المواكبِ قَيْصرا
 وارْتَدَّ في ظُلَمِ العصورِ القهقري

وتَفَيَّئُوا الدستورَ تحتِ ظلالِهِ
 لا تجعلوه هوى، وخُلُقًا بينكم
 اليومَ صرَّحتِ الأمورُ، فأظهرتْ
 قد كان وجهُ الرأي أن نبقى يداً
 فإذا أتتنا بالصفوفِ كثيرةً
 غضبتُ، فغضَّ الطرفَ كلُّ مكابرٍ
 لم تلقِ إصلاحًا يُهابُ، ولم تجدِ
 حظُّ رجونا الخيرَ من إقباله
 دار النياحة هيئت درجاتها
 الصارخون إذا أسىء إلى الحمى
 لا الجاهلون العاجزون، ولا الألى
 كنفًا أهشَّ من الرياض وأنضرا
 ومَجَّرَ دنيا للنفوسِ، ومَتَّجَرَا
 ما كان من خُدع السياسة مُضمرًا
 ونرى وراءَ جنودها إنكلترا
 جننا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسرا
 يلقاكَ بالخدِّ اللطيم مُصعرا
 من كُتلةٍ ما كان أعيا ملنرا^{١٥}
 عاث المُفرِّقُ فيه حتى أدبرا
 فليرق في الدرَج الذوائبُ والذرا^{١٦}
 والزائرون إذا أُغير على الشرى
 يمشون في ذهب القيود تبخترا

هوامش

- (١) المسجدان: المسجد الحرام، والمسجد الاقصى.
- (٢) الذرا: الملجأ.
- (٣) النزر: القليل. والمثرثر: المخلط.
- (٤) النسك: العبادة. والمشعر: موضع من مناسك الحج.
- (٥) جدُّ الفاطميين: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، وقد كان مضرِب المثل في التبجُّر في العلوم.
- (٦) الفرقان: القرآن. والحيا: المطر. والفصحى: اللغة العربية.
- (٧) الحنيفة: الشريعة.
- (٨) المنارة: المثذنة. والحبرة: السرور.
- (٩) العتيق: المسجد الحرام. والمثابة: مجمع الزمر.
- (١٠) النزاع: القصاد. والقرى: الضيافة.
- (١١) المعمور: الأزهر.
- (١٢) طفلاً: أي طفلة. والمعصر: الفتاة المدركة.
- (١٣) باقل: عربي يضرب به المثل في العي والفهاهة.
- (١٤) فسقه: رماه بالفسق. وكفَّره: نسبه إلى الكفر.

الشوقيات

(١٥) المراد بالكتلة: الأمة مجتمعة. واللورد ملنر: هو أحد الوزراء الإنجليز، وكان قدم إلى مصر في جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا رغائبها وآمالها، فقاطعتهم البلاد وأحالتهم على الوفد المصري الذي كانت وكلته في الدفاع عن حقها إذ ذاك.

(١٦) المراد بالذوائب والذُّرأ: عليّة القوم وأكفاهم.

وداع فروع

وداعًا جَنَّةَ الدنيا وداعًا^١
أرى العيشَ افتراقًا واجتماعًا
— كما للناسِ — تنفطرُ ألتباعًا^٢
وما فعل الفراقُ غداةَ راعًا^٣
لأنطقت المآذنَ والقلعا
فلمَّا ضفتُها حوت اليراعًا^٤
أَكُنَّ لياليًا أم كُنَّ ساعًا؟^٥
كدقَّاتي لذاكرها سِراعًا
لقد رَضِيكِ بينهما مشاعًا^٦
يمدُّ الجهلُ بينهم النِّزاعًا؟
بأطول حائطٍ منك امتناعًا
وكنتِ لبيتها الأقصى سِطاعًا^٧
كفى بهما من الدنيا متاعًا^٨
تخَطَّرتِ الحياةُ به شُعاعًا
أوانسُ، لا نقابَ ولا قناعًا
تعالى الله خَلَقًا وابتداعًا
على الفردوسِ آكامًا وقاعًا^٩

تجلد للرحيل، فما استطاعا
عسى الأيامُ تجمعني، فإني
ألا ليت البلادَ لها قلوبُ
وليت لى (فروق) بعضُ بئِي
أما والله، لو علمتُ مكاني
حوتُ رِقِّ القواضبِ والعوالي
سألتُ القلبَ عن تلك الليالي
فقال القلبُ: بل مرَّ عجالاً
أدارَ (محمد) وراثَ (عيسى)
فهل نبذ التعصُّبَ فيك قومُ
أرى الرحمنَ حصَّنَ مسجديه
فكنتِ لبيته المحجوجِ ركنًا
هواؤكِ والعيونُ مُفجَّرات
وشمسُكِ كلِّما طلعتْ بأفقِ
وغيذكِ، هنَّ فوق الأرضِ حورُ
حوالي لُجَّةٍ من لازوردِ
يروح لُجَيْنُها الجاري وَيغدو

هوامش

- (١) تجلّد: تكلفّ الجلد وأظهره. والجلد: قوة الصبر.
- (٢) تنفطر: تنشق. والالتياح: احتراق القلب من الهمّ أو الشوق.
- (٣) فروق: الآستانة. والبث: أشدّ الحزن. راع: أفرع.
- (٤) القواضب: السيوف القاطعة، مفردها قاضب. والعوالي: جمع عالية، وهي من الرمح أعلى رأسه، أو نصفه الذي يلي السنان، أو ما دخل منه تحت السنان إلى ثلثه.
- (٥) الساع: جمع ساعة.
- (٦) المشاع (يفتح الميم وضمها): المشترك غير المقسوم.
- (٧) السطاع: عمود البيت.
- (٨) لجينها: أي اللجنة، واللجين: الفضة. والآكام: التلال. والقناع: أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام.
- (٩) العيون: هي عيون الماء.

رحلة الشرق^١

واصنع به المجد، فهو البارِعُ الصَّنْعُ^١
ما لم يكن لامرئٍ في خاطر يقع
على السماءِ لطيفُ الصنع، مُخْتَرَعٌ؟
جُنٌّ، جُنودُ سليمان لها تَبَعٌ؟
راموا من القُبَّةِ الكبرى، وما فزَعوا^٢
بكل غايَةٍ إقدامٍ له وَلَعٌ
لا التَرَهاتُ لها أُسٌّ، ولا الخدع
وليس يبخسهم شيئًا إذا برعوا
إذا خيارُكم بالدُّولة اضطلعوا؟^٣
والبحر ليس لكم في عرضه شُرْعٌ^٤
فليس يلحق أهلَ السيرِ مُضْطَجِعٌ
إن المِقْصَصَ خفيفٌ حين يقطِعُ
منه الضغائنُ ما لم تشهد الضَّبْعُ
فيه على الجيفِ الأحزابُ والشيعُ؟

أقدم، فليس على الإقدام مُمتنع
للناس في كل يومٍ من عجائبه
هل كان في الوهم أن الطير يخلُفها
وأن أدراجها في الجوّ يسلكها
أعيا العُقَابَ مداهم في السماء، وما
قل للشباب بمصر: عَضْرُكم بَطَلٌ
أُسُ الممالك فيه هِمَّةٌ وَجَجِي
يُعطي الشعوبَ على مقدار ما نبغوا
ماذا تُعدُّون بعد البرلمان له
البرُّ ليس لكم في طوله لُجْمٌ
هل تنهضون عساكم تلحقون به؟
لا يُعجبَنَّكم ساعٍ بتفرقةٍ
قد أشهدوكم من الماضي وما نبشت
ما للشباب وللماضي تمرُّ بهم

^١ بعد رحلة طويلة شاقة في صحراء ليبيا، استطاع الرحالة المصري الكبير أحمد حسنين أن يسدي إلى العلم يدا بيضاء، وأن يكشف للناس عن مجاهل هذه البدياء، فلمَّا عاد قابله بالبلاد بالحفاوة والترحاب، واحتفل به القوم احتفالاً فخماً ألقى فيه هذه القصيدة.

وللمسالك فيه الناصح الورع
يكون صنعكم غير الذي صنعوا
من الولاية، والمال الذي جمعوا
إلا عواري حط ثم ترتجع
حيالهُ، وعلى تمثاله اجتمعوا
فالصبر ينفع ما لا ينفع الجزع
وفي صناعات عصر ناسه صنع
دعائم العصر من ركنيه، منصدع
فهل ترى القوم بالحرية انتفعوا؟

إن الشباب غد، فليهدهم لغد
لا يمنعونكم بر الأبوة أن
لا يعجبنكم الجاه الذي بلغوا
ما الجاه والمال في الدنيا وإن حسنا
عليكم بخيال المجد، فأتلفوا
وأجملوا الصبر في جد وفي عمل
وإن نبغتم ففي علم، وفي أدب
وكل بنيان قوم لا يقوم على
شريف مكة حر في ممالكه

كلتاها في مفاجاة الفنى شرع^٦
لا تعلم النفس ما يأتي وما يدع
تهب رباحهما، أو يطلع السبع؟
من العواصف فيها الخوف والهلع
متى تحط رحالاً؟ أو متى تضع؟
أنّ الدليل - وإن أرداك - متبع
إلا سراب على صحراء يلتمع

كم في الحياة من الصحراء من شيه
وراء كل سبيل فيهما قدر
فلمست تدري، وإن كنت الحريص، متى
ولست تأمن عند الصحو فاجئة
ولست تدري، وإن قدرت مجتهداً،
ولست تملك من أمر الدليل سوى
وما الحياة إذا أظلمت، وإن خدعت

تروم ما لا يروم الفتية القنع
فيما يبلغها حمداً، فتندفع
طاحوا على جناب الحميد أم رجعوا
بأنك الليث لم يخلق له الفرع
قفر يضيق على الساري، ويتسع؟^٧
من عهد آدم لا خبث ولا طبع؟^٨
على الفلا، ولغير الله ما ركعوا
إليهم الصلوات الخمس والجمع؟

أكبرت من (حسنين) همّة طمحت
وما البطولة إلا النفس تدفعها
ولا يبالي لها أهل إذا وصلوا
رحالة الشرق، إن البید قد علمت
ماذا لقيت من الدو السحيق، ومن
وهل مررت بأقوام كفطرتهم
ومن عجيب لغير الله ما سجدوا
كيف اهتدى لهم الإسلام، وانتقلت

جَزَّتْكَ مَصْرُ ثَنَاءً أَنْتَ مَوْضِعُهُ فَلَ تَذُبُّ مِنْ حَيَاءٍ حِينَ تَسْتَمِعُ
وَلَوْ جَزَّتْكَ الصَّحَارِي جِئْتَنَا مَلِكًا مِنْ الْمُلُوكِ، عَلَيْكَ الرِّيشُ وَالْوَدَعُ^٩

هوامش

- (١) الصنع: الحاذق.
- (٢) فرع الجبل: صعده.
- (٣) اضطلعوا: أي نهضوا بها.
- (٤) الشرع: جمع الشراع، والمراد بها هنا السفن، من إطلاق الجزء على الكل. واللجم، والشرع: يُراد بها قوَّة البرِّ، وقوَّة البحر.
- (٥) العواري: جمع عارية وهي العطبة بلا عوض.
- (٦) شرع: أي سواء.
- (٧) الدو: المفازة.
- (٨) الطبع: الشين، والعيب، والدنس.
- (٩) الريش والودع: عنوان العظمة في أواسط أفريقيا.

براءة^١

الناسُ للدنيا تَبَع
لا تهجَعَنَّ إلى الزما
واربأً بحلمك في النوا
لا تخلُ من أملٍ، إذا
وانفع بوسعك كله
ولمن تُحالِفُه شيع
ن، فقد يُنبِّه مَنْ هجع^١
زلِ أن يُلمَّ به الجزع
ذهب الزمانُ فكم رجع
إن الموفَّقَ مَنْ نفع

* * *

مصر بَنَتْ لقضائها
فيه احتمى استقلالها
فليهنها، وليهننا
الله صان رجاله
ساروا بسيرة منذرٍ
وكأن أيام القضاء
قل للمُبرِّأِ مُرْقُصٌ:
ركناً على النجم ارتفع
وبه تحصَّن وامتنع
أن القضاء به اضطلع^٢
مما يُدنِّسُ أو يَضع
وأبي حنيفة في الورع
ع جميعها بهمُ الجَمع
أنت النقيُّ من الطبع^٣

^١ حُرِّم الأستاذ مرقص فهمي جيئاً من الاشتغال بالمحاماة، ثم برأه القضاء من تلك التهمة التي عُزِيَتْ إليه؛ فاحتفل بعودته إلى المحاماة احتفالاً أَلْقِيَتْ فيه هذه القصيدة.

هذا القضاء رماك بالـ يُمَنَى، وباليسرى نزع
هذا قضاء الله مُم تَتَلُّ الحكومة، مُتَّبِع
عُد للمحامة الشريب ففة عَوَدَ مشتاقٍ وِلِع
والبس رداءك طاهرًا كرداءٍ مرقصٍ في البيع^٤
وادفع عن المظلوم والـ محرم أبلغَ مَنْ دفع
واغفر لحاسدٍ نعمة بالأمس نالك أو وقع^٥
ما في الحياة لأن تعا تَبَ أو تُحاسب، مُتَّسَع

هوامش

- (١) الهجوع: النوم.
- (٢) اضطلع: قوي.
- (٣) الطبع: الشين والعيب.
- (٤) البيع: جمع بيعة وهي متعبد النصارى.
- (٥) وقع فلان في فلان: سبه وعابه.

الصحافة^١

لكلِّ زمانٍ مضى آيةٌ
لسانُ البلادِ، ونبضُ العبادِ
تسيرُ مسيرَ الصَّحَى في البلادِ
وتمشي تُعلِّمُ في أمةٍ
فيا فتيةَ الصَّحَفِ، صبرًا إذا
فإنَّ السَّعادةَ غيرُ الظَّهوِ
ولكنها في نواحي الضميرِ
خذوا القصدَ، واقتنعوا بالكفافِ
وروموا النبوغَ، فمن ناله
وما الرزقُ مجتنبُ جِرْفَةٍ
إذا آختِ الجوهريَّ الحظوظُ
وإنْ أعرضتْ عنه لم يحلُ في

وآيةٌ هذا الزمانِ الصُّحُفِ
وكهفُ الحقوقِ، وحربُ الجَنَفِ^١
إذا العلمُ مزَّقَ فيها السَّدَفِ^٢
كثيرةٌ مَنْ لا يخطُّ الألفِ!
نبا الرزقُ فيها بكم واختلفِ
رِ، وغيرُ الثراءِ، وغيرُ الترفِ
إذا هو باللؤمِ لم يُكتنفِ
وخلوا الفضولُ يغلُّها السَّرَفِ^٣
تلقى من الحظِّ أسنى التحفِ
إذا الحظُّ لم يهجرِ المحترفِ
كفلنَ اليتيمَ له في الصَّدَفِ^٤
عيونَ الخرائدِ غيرُ الخزفِ^٥

* * *

رعى الله ليلتكم، إنها تلت عنده ليلة المنتصف^٦

^١ ألف أصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم، وقد أُلِّيت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشائها.

لقد طلع البدرُ من جُنْحِها وأوماً إلى صُبْحِها أن يقف
 جلوتم حواشِيها بالفنون فمن كل فنٍّ جميل طرف
 فإن تسألوا: ما مكانُ الفنون؟ فكم شرفٍ فوق هذا الشرف^٧
 أريكةُ (موليير) فيما مضى وعرضُ (شكسبير) فيما سلف
 وعودُ (ابن ساعدة) في عُكاظَ إذ سأل خاطره بالطَّرَفِ^٨
 فلا يَرَقِّقِنَ فيه إلا فتى إلى درجات النبوغ انصرف
 تُعلمُ حكمتُه الحاضرين وتُسمعُ في الغابرين النُطفِ^٩

* * *

حمدنا بلاءكم في النضالِ وأمسِ حمدنا بلاءَ السلف
 ومن نسيَ الفضلَ للسابقين فما عرف الفضلَ فيما عرف
 أليس إليهم صلاح البناءِ إذا ما الأساس سما بالغرف؟
 فهل تأذنون لذي خَلَّةٍ يَفُضُّ الرياحين فوق الجيف؟
 فأين (اللواء)، وربُّ اللواءِ إمامُ الشباب، مثالُ الشرف؟^{١٠}
 وابن الذي بينكم شَبْلُهُ على غاية الحق نَعَمَ الخلف؟
 ولا بدَّ للغرس من نقله إلى مَنْ تعهد، أو مَنْ قطف
 فلا تجحدنَّ يدَ الغارسين وهذا الجنى في يدك اعترف
 أولئك مرُّوا كدود الحرير شجاها النَّفَاعُ وفيه التلف^{١١}

هوامش

- (١) الجنف: الحيف.
- (٢) السدف: الظلام.
- (٣) الفضول: فضلات المال الزائدة عن الحاجة. وغالها السرف بقولها: أتى عليها.
- (٤) اليتيم: اللؤلؤ المنقطع النظير.
- (٥) الخرائد: العذارى.
- (٦) المنتصف: منتصف شعبان.
- (٧) الشرف (أولاً): العلو والمجد. والشرف (ثانياً): الموضع العالي، وهو هنا المسرح.
- (٨) عود ابن ساعدة: أي منبر قسّ بن ساعدة، وهو أخطب خطباء الجاهلية.

الصحافة

- (٩) الغابرين: الآتين. والنظف: جمع نطفة وهي أصل النسل.
(١٠) ربُّ اللواء: المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء.
(١١) النفاع: النفع.

عيد الفداء^١

أَمَّا الْعِتَابُ، فَبِالْأَحَبَّةِ أَخْلُقُ
يَا مَنْ أَحَبُّ، وَمَنْ أَجَلُّ، وَحَسْبُهُ
الْبُعْدُ أَدْنَانِي إِلَيْكَ، فَهَلْ تُرَى
فِي جَاهِ حَسْنِكَ ذِلَّتِي وَضِرَاعَتِي
وَالْحَبُّ يَصْلُحُ بِالْعِتَابِ وَيَصْدُقُ
فِي الْغَيْدِ مَنْزِلَةً يُجَلُّ وَيُعَشَّقُ
تَقَسُّو وَتَنْفَرُ، أَمْ تَلِينَ وَتَرْفُقُ؟
فَاعْطِفْ، فَذَاكَ بِجَاهِ حُسْنِكَ أَلِيقُ!

* * *

خَلَقَ الشَّبَابُ، وَلَا أزالُ أَصُونُهُ
صَاحِبَتَهُ عَشْرِينَ غَيْرَ نَمِيمَةٍ
قَلْبِي، أَكْرَمَتِ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ
فَخَفَقَتَ مِنْ ذِكْرِي الشَّبَابِ وَعَهْدِهِ
كَمْ ذُبْتُ مِنْ حُرْقِ الْجَوَى، وَالْيَوْمَ مِنْ
كَنْتِ الشَّبَابِ، وَكَانَ صَيْدًا فِي الصَّبَا
خَدَعْتُ حَبَائِلِكَ الْمِلَاحَ هُنِيئَةً
وَأَنَا الْوَفِيُّ، مَوَدَّتِي لَا تَخْلُقُ^١
حَالِي بِهِ حَالٍ، وَعَيْشِي مُوَفَّقٌ^٢
أَيَّامَ أَنْتَ مَعَ الشَّبَابِ مُوَفَّقٍ
لَهْفِي عَلَيْكَ! لِكُلِّ ذِكْرِي تَخْفُقُ
أَسْفِ عَلَيْهِ وَحَسْرَةٍ تَتَحَرَّقُ
مَا تَسْتَرْقُ مِنَ الظُّبَاءِ وَتُعْتِقُ
وَالْيَوْمَ كُلُّ جِبَالَةٍ لَا تَعْلَقُ

^١ كان لهذه القصيدة يوم نُشِرت ضجّة هائلة، ولعلها استمَدّت معظمها من تلك الأبيات التي تنطق فيها ذكرى الشباب، والتي قلّما وُقِّقَ إلى مثلها شاعر، ولقد نُظِّمَت هذه القصيدة معارضة لأخرى من رويها للمرحوم إسماعيل صبري باشا.

الشوقيات

هل دون أيام الشببية للفتى صفو يحيط به، وأنس يُحرق؟

هوامش

(١) خلق الشيء: بلي.

(٢) الحالي: الحلو، أو المزين.

نكبة بيروت^١

والحكمُ حكمك في الدمِ المسفوك
هو لم يكن لسواك بالمملوك
بالمُمتري فيه، ولا المشكوك
قدّرت ضربَ الشاطيءِ المتروك؟
فُلُكان أنعمُ من بواخر «كوك»^١
تهوي، وتلك بركنها المدكوك

يا ربّ، أمرُك في الممالكِ نافذُ
إن شئتَ أهرقُهُ، وإن شئتَ أحمه
واحكم بعدلك، إن عدلك لم يكن
الأجلُ آجالِ دنت وتهيّأت
ما كان يحميه، ولا يُحمى به
هذي بجانبها الكسيرِ غريقةُ

* * *

لم يُشهرها سيفًا، ولم يحموك
يا ليتهم قُتلوا على «طبروك»
ويعزُّ صيد الضيغمِ المفكوك
ما أنصف العُجمُ الألي ضربوك^٢
ولو أنها من عسجد مسبوك
يمضي الزمانُ عليّ لا أسلوبك
ووجدته لفظًا ومعنى فيك

بيروتُ، مات الأسدُ حتفَ أنوفهم
سبعون ليتها أُحرقوا، أو أُغرقوا
كلُّ يصيد الليث وهو مقيّدُ
يا مضربَ الخيمِ المنيفة للقرى
ما كنتِ يومًا للقنابلِ موضعًا
بيروتُ، يا راحَ النزِيلِ، وأنسه
الحسنُ لفظُ في المدائنِ كلّها

^١ قيلت على أثر ضرب الأسطول الإيطالي لمدينة بيروت.

نادمتُ يوماً في ظلالِك فتيةً
يُنسون (حساناً) عصابةً (جَلَّقَ)
تالله ما أحدثتِ شرّاً أو أذىً
أنتِ التي يحمي ويمنع عرَضَها
أن يجهلوك، فإنَّ أمكُ سوريا
والسابقين على المفاخر والعُلا
سالت دماءً فيكِ حول مساجِدِ
كنا نوؤمّل أن يُمدَّ بقاؤُها
لكِ في رَبِّي النّيلِ المباركَ جيرةً
وسموا الملائك في جلالِ ملوك^٢
حتى يكاد بجلق يفديك^٤
حتى تُراعي، أو يُراعَ بَنوك
سيفُ الشّريف، وخنجرُ الصُّلوك
والأبلقُ الفردَ الأشمَّ أبوك^٥
بله المكارم والندي أهلوك
وكنائس، ومدارس و«بُنوك»
حتى تبلِ صدَى القنا المشبوك
لو يقديرون بدمعهم غسلوك

هوامش

- (١) أي لم تكن تستطيع حمايته هاتان السفينتان الصغيرتان اللتان أعدتا به للرياضة والتنعم لا للحرب والقتال.
(٢) القرى: الضيافة.
(٣) واسمه في الحسن فوسمه: أي غلبه فيه.
(٤) حسان بن ثابت: شاعر النبي ﷺ وعصابة جلق: هم ملوك غسان. وجلق: هي دمشق.. وكان حسان بن ثابت كثيراً ما يفد على آل غسان ويمدحهم، وينال منهم، فمما يناسب هذا المقام قوله.

لله درُّ عصابة نادمتهم
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
يسقون من ورد البريص عليهم
بيض الوجوه، كريمة أحسابهم
يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم
يوماً بجلق في الزمان الأول
قبر ابن مارية الكريم المفضل
بردي يصفق بالرحيق السلسل
شمُّ الأنوف، من الطراز الأوّل
لا يسألون عن السواد المقبل

(٥) الأبلق: جبل لبنان.

تكليل أنقرة وعزل الأستانة

مُلْكُ بَنَيْتِ عَلَى سَيُوفِ بَنِيكَ
فَأَخَذْتَهُ حُرًّا بِغَيْرِ شَرِيكَ^١
تُبْنَى الْمَمَالِكُ بِالِدَمِّ الْمَسْفُوكِ
وَحَلَلْتَ عَرْشَكَ مِنْ قَنَا مَشْبُوكِ^٢
جَهْدَ الشَّرِيفِ، وَهَمَّةَ الصُّعْلُوكِ^٣
وَعَلَى جَوَانِبِ تَبْرِهِ الْمَسْبُوكِ^٤
كَالصَّخْرِ فِي عَصْفِ الرِّيحِ النَّوْكِ^٥
وَجَهُودُ شَعْبٍ مُجْهِدٍ مِنْهُوكِ
طَلَبَ الْحَقُوقَ بِوَأَجِبٍ مَتْرُوكِ
أَعْوَانُهُ بِأَكْفَقِهِمْ لِمَسُوكِ^٦
أَصْلُوكِ نَارَ تَلْصُصِ وَفُتُوكِ^٧
وَالأُسْدُ شَارِعَةُ الْقَنَا تَحْمِيكَ^٨
شُمُّ الْجِبَالِ رَعُوسَهَا لِأَبِيكَ^٩
هُوَ فِي السَّحَابِ، وَأَنْتِ فِي أَهْلِيكَ^{١٠}
وَالْقَوْمُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ نَحْتُوكِ
لِرَأْيَتِ صَخْرَتِهَا أَسَاسًا فَيْكَ
بِشَبَابِ (خَيْزِرٍ)، أَوْ كَهُولِ (تَبُّوكِ)^{١١}
حَتَّى تَذُوقِي النَّصْرَ، هَلْ نَصْرُوكِ؟^{١٢}

قُمْ نَادِ (أَنْقَرَةَ) وَقُلْ: يَهْنِيكَ
أَعْطَيْتَهُ ذُودَ اللَّبَاةِ عَنِ الشَّرِيِّ
وَأَقَمْتِ بِالِدَمِّ جَانِبِيهِ، وَلَمْ تَزَلْ
فَعَقَدْتِ تَاجَكَ مِنْ ظُبِّي مَسْلُوكِ
تَاجٌ تَرَى فِيهِ إِذَا قَلَّبْتَهُ
وَتَرَى الضَّحَايَا مِنْ مَعَاقِدِ غَارِهِ
وَتَرَاهُ فِي صَحْبِ الْحَوَادِثِ صَامِتًا
خِرَزَاتُهُ دَمٌ أُمَّةٌ مَهْضُومَةٌ
بِالْوَأَجِبِ التَّمَسُّ الْحَقُوقَ، وَخَابَ مَنْ
لَا لِلْفَرْدِ مَسٌّ جَبِينِكَ الْعَالِي، وَلَا
لَمَّا نَفَرْتِ إِلَى الْقِتَالِ جَمَاعَةً
هَدَرُوا دِمَاءَ الأُسْدِ فِي آجَامِهَا
يَا بِنْتَ (طُورُوسَ) الْمَمْرِدِ طَاطَاتُ
أَمْعَنْتُمَا فِي الْعَزِّ، وَاسْتَعْصَمْتُمَا
نَحْتِ الشَّعُوبِ مِنَ الْجِبَالِ دِيَارِهِمْ
فَلَوْ أَنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَصَوَّرَتْ
إِنَّ الَّذِينَ بَنَوْكَ أَشْبَهُ نِيَّةً
حَلَفُوا عَلَى الْمِيثَاقِ، لَا طَعَمُوا الْكِرَى

رَعَمُوا (الفرنسيّ) المحجّل صورةً
 (النسر) سلّ السيفَ يبني نفسه
 والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى
 يا دولةَ الخلق التي تاهت على
 بيني وبينك ملّةً وكتابها
 قد ظنني اللاحي نطقت عن الهوى
 لم يُنقِذ الإسلامَ أو يرفعَ له
 رُدُّوا الخيالَ حقيقةً، وتطلعوا
 لم أكذبِ التاريخَ حين جعلتهم
 لم ترضني دَنبًا لنجميك همّني
 قلّمي — وإن جهل الغبّي مكانه —
 ظفرتُ بيونانَ القديمة حكمتي

في حلبة الفرسان من حاميك^{١٣}
 وفتاك سلّ حسامه يبنيك^{١٤}
 ووجدتُ نسرَكَ ليس بالمملوك
 ركن السّمكِ بركنِها المسموك^{١٥}
 والشرقُ ينميني كما ينميك
 وركبتُ متنَ الجهلِ إذ أطريك^{١٦}
 رأسًا سوى النفرِ الألي رفোক
 كالحقِ حَصَصَ من وراءِ شكوك^{١٧}
 زُهبانَ نُسك، لا عجولَ نسيك^{١٨}
 إن البيانَ بنجمه يُنبيك^{١٩}
 أبقى على الأحقاب من ماضيك^{٢٠}
 وغزا الحديثة ظافرًا غازيك

* * *

مني لَعَهديك يا (فروق) تحيةً
 أو كالنسيم غدا عليك، وراح من
 أو كالأصيل جرى عليك عقيقه
 تلك الخمائِلُ والعيونُ، اختارها
 قد أفرغت فيك الطبيعة سحرها
 خلعت عليك جمالها، وتأمّلت
 تالله ما فتنَ العيونَ ولذّها
 عن جيدك الحالي تَلَقَّتِ الرُّبى
 إن أنس لا أنسَ الشبيبة، والهوى
 ولياليًا لم ندر أين عشاؤها
 وصَبُوحنا من «بندلار» وشرشر
 لو أن سلطانَ الجمالِ مخلدٌ
 خلعوك من سلطانهم، فسليهمُ
 لا يحزننك من حُماتِك خطّة

كعيونِ مائك، أو رُبى واديك^{٢١}
 فوفِ الرياضِ، ووشّيهَا المحبوك^{٢٢}
 أو سألَ من عقيانه شاطيك^{٢٣}
 لك من رُبى جناتِه باريك^{٢٤}
 مَنْ ذا الذي من سحرها يرقّيك؟
 فإذا جمالكِ فوق ما تكسوك
 كقلائدِ الخُلجانِ في هاديك
 واستضحكتُ حورَ الجنانِ بفيك
 وسوالفَ اللذاتِ في ناديك^{٢٥}
 من فجرها لولا صياحُ الديك
 وغبُوقنا «بترايبيا» و«بيوك»^{٢٦}
 لمليحة، لعذلتُ مَنْ عذلوك
 أمن القلوبِ ومُلكها خلعوك؟
 كانت هي المثلى، وإن ساءوك

أُيْقَالُ: فْتِيَانُ الحمى بك قَصَرُوا
 وهمُ الخفَافُ إليك، كالأنصار إذا
 المشتَرُوكِ بمالِهِم، ودمائِهِم
 هدرُوا دماءَ الذائدين عن الحمى
 شربوا على سَرِّ العدوِّ، وغرَدوا
 لو كنتِ (مَكَّةً) عندهم لرأيتهم
 أو ضيَّعوا الحرمات، أم خانوك؟
 قلَّ النصير، وعزَّ مَنْ يفديك
 حين الشيوخِ بجُبَّةِ باعوك
 بلسان مفتي النار، لا مفتيك^{٢٧}
 كالبُومِ خلفِ جِدارك المدكوك^{٢٨}
 (كمحمدٍ) و(رفيقه) هجروك^{٢٩}

يا راكب الطامي يجوبُ لجاَهه
 إن جئتَ (ممرمةً) تحثُّ الفُلكَ في
 وأتيت (قرن التبر) ثمَّ تحفُّه
 فأطلع على (دار السعادة)، وابتهل
 قُلَّ للخلافةِ قولَ بكِ شمسها
 يا جذوةَ التوحيد، هل لك مُطْفِئُ
 خلتِ القرون، وأنتِ حربُ ممالكٍ
 يرمىك بالألمِ الزمان، وتارةً
 عودي إلى ما كنتِ في فجر الهدى
 إن الذين توارثوك على الهوى
 لم يلبسوا بُردَ النبي، وإنما
 إنني أعينك أن تُرَيَّ جبارةً
 أو أن تَزُفَّ لك الوراثةُ فاسقًا
 فُضي نيوبَ الفرد، ثم خذي به
 لا فرق بين مُسلِّطٍ متتوِّجٍ
 إنني أرى الشورى التي اعتصموا بها
 من كل نيِّرةٍ وذاتِ حُلوك^{٣٠}
 بهج، كأفاق النعيم، ضحوك^{٣١}
 نُحِفُ الضحى من جوهر وسلوك^{٣٢}
 في بابها العالي، وأدَّ ألوكي^{٣٣}
 بالأمس لَمَّا آذنتِ بُدلوك^{٣٤}
 والله جلَّ جلاله، مُذكِيك؟^{٣٥}
 لم يغفُ ضدُّك، أو يَنَمَ شانِكِ^{٣٦}
 بالفرد واستبداده يرمىك
 عُمرٌ يسوسُك، (والعتيقُ) يليك^{٣٧}
 بعد (ابنِ هندی) طالما كذبوك^{٣٨}
 لبسوا طقوسَ الرومِ إذ لبسوك
 كالباَبَوِيَّةِ في يَدَي (رُديك)
 (كيزيد)، أو كالحاكم المأفوك^{٣٩}
 في أيِّ تَوْبِيَّه به جاءوك^{٤٠}
 ومُسلِّطٍ في غير ثوبِ مليك
 هي حبلُ رَبِّك، أو زمامِ نَبِيك

هوامش

- (١) الذود: مصدر زاده عن الشيء أي دفعه عنه. واللابة: أنثى الأسد. والشرى: مكان في جانب الفرات، تكثر فيه الأسود ويضرب به المثل في ذلك.
 (٢) الظبي: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف والسنان ونحوهما.

- (٣) الجهد (بضم الجيم وفتحها): الطاقة، وقيل المشقة.
- (٤) المعاهد: مواضع الاعتقاد. والغار: شجر عظيم واحده غارة، وكان الإغريق الأقدمون والرومان أيضًا يصفرون منه أكاليل لأبطالهم المنتصرين في الحروب. والتبر: الذهب غير المضروب. المسبوك: المذوب المفرغ في قالب.
- (٥) الصخب: الصوت شديدًا. وعصف الرياح: اشتدادها. والنوك: نوكاء وهي الحمقاء.
- (٦) لا الفرد. أي لا الفرد المستبد بالحكم، والخطاب لأنقرة، ويريد بالفرد السلطان محمد وحيد الدين. أعوانه: وزرأوه الذين أرادوا أن يخدموا حركة الأناضول ضد اليونان والإنجليز.
- (٧) نفرت إلى قتال: ذهبت إليه مسرعة. وأصلوك: أحرقوك، أي أولئك الأعوان. والتلصص: أن يصير الإنسان لصًا، وأن يتخلق بأخلاق اللصوص. والفتك: مصدر فتك أي بطش، وفتك فلان في الخبث إذا بالغ فيه.
- (٨) الأجمة: الشجر الكثير الملتف، جمعها أجم بفتح الجيم، وجمع الجمع آجام وهو الوارد في البيت، وهو يشير إلى فتوى شرعية كانت حكومة الآستانة قد أذاعتها في أول أمر الفاتحين في الأناضول تحلل بها قتالهم.
- (٩) طوروس: جبل عظيم في آسيا الصغرى. والممرد: المطول الملمس.
- (١٠) أمعنتما: أبعدتما. واستعصمتما: امتنعتما.
- (١١) خير: اسم مكان كان به سبعة حصون غزاه النبي ﷺ. وتبوك: أرض بين المدينة والشام نسبت إليها غزوة من غزوات النبي ﷺ أيضًا.
- (١٢) الميثاق: أمور كان القائمون بدعوة القتال قد أخذوا على أنفسهم أن يقاتلوا حتى تتم للأمة.
- (١٣) الفرنسي: نابليون بونابرت.
- (١٤) النسر: لقب نابليون. يريد بفتك (في هذا البيت) وبحاميك (في البيت قبله) مصطفى كمال.
- (١٥) السمك: كوكب معروف. والمسموك: المرفوع.
- (١٦) اللاحي: متن الجبل: ظهره
- (١٧) حصحص الحق: بان بعد كتمانته.
- (١٨) النسيك: الذهب والفضة.

- (١٩) ينيك. يخبرك.
- (٢٠) الأحقاب: جمع حقب (بضم الحاء)، قيل: هو ثمانون عامًا، وقيل: هو الدهر.
- (٢١) فروق: هي الآستانة.
- (٢٢) فوف الرياض: زهرها، تشبيهاً لها بفوف الثياب وهي نوع من برود اليمن. والوشى: نممة الثوب وتحسينه، وهو أيضاً نوع من الثياب الموشية، تسمية لها باسم المصدر. والمحبوك، من حبك الحائك الثوب أي حسن أثر الصنعة فيه.
- (٢٣) الأصيل: هو ما بعد العصر إلى المغرب. والعقيان: الذهب الخالص.
- (٢٤) الخمائل: جمع خميلة؛ وهي الشجر الكثير الملتف.
- (٢٥) إن أنس لا أنس: أي إن نسيت شيئاً فلست أنسى الشبيبة.. إلخ.
- (٢٦) الصبوح: شراب الصباح. والغبوق: شراب العشي. وبندلار وترابيا وبيوك: أسماء أمكنة في الآستانة.
- (٢٧) الذائدين عن الحمى: جمع ذائد وهو المدافع. ومفتي النار: شيخ الإسلام الذي أفتى بقتالهم.
- (٢٨) شربوا: أي الشيوخ.
- (٢٩) عندهم: عند فتیان الحمى الذين اشترك بمالهم ودمائهم.
- (٣٠) الطامي: البحر. واللجاج: جمع لجة. من كل نيرة: أي كل لجة نيرة بيضاء، يَكْنِي بذلك عن البحر الأبيض المتوسط. وذات حلوك: أي ومن كل لجة سوداء ذات حلوك، يَكْنِي بذلك عن البحر الأسود.
- (٣١) مرمرة: هو بحر مرمرة تدخله من مضيق الدردنيل، ويصله بالبحر الأسود مضيق البسفور.
- (٣٢) قرن التبر: هو القرن الذهبي، وهو جزء من البسفور.
- (٣٣) دار السعادة: هي الآستانة. والألوك: الرسالة.
- (٣٤) الدلوك: غروب الشمس.
- (٣٥) مذكك: موقدك.
- (٣٦) لم يغف: لم ينم. والشانئ: المبغض.
- (٣٧) يشير إلى ترك الملك المحصور في أسرة واحدة، والرجوع إلى جعله حقاً يتولاه من تبايعه الأمة، كما كان لعهد الخلفاء الراشدين.
- (٣٨) ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء من بني أمية.

الشوقيات

(٣٩) يزيد: هو يزيد بن الوليد، من ملوك بني أمية، كان من أصحاب الدعارة والفسوق. والحاكم: هو الحاكم بأمر الله أحد الملوك الفاطميين في مصر، كان فاسقاً مختبلاً، وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسراً.

(٤٠) فصي نيوب الفرد: انثريها، ومنه قولهم فضَّ الله فمَّ فلان أي نثر أسنانه. والنيوب: جمع ناب.

عيد الدهر وليلة القدر^١

عَوَّذْتُ مُلْكَكَ بِالنَّبِيِّ وَاللَّهِ^١
سَمَّحٌ، وَأَنْتَ السَّمْحُ فِي أَقْيَالِهِ^٢
فَكَلَّاكَمَا الْمَفْتَكُ مِنْ أَغْلَالِهِ^٣
رَقَّتْ لِحَالِكَ حَقَبَةٌ، وَلِحَالِهِ^٤
وَالْمَنْتَمِي (لِمَحْمَدٍ) بِهِلَالِهِ
وَالْمَوْسَوِيَّ عَلَى السَّهْوِ بِمَالِهِ^٥
وَتَمَسَّكُوا بِالطُّهْرِ مِنْ أَذْيَالِهِ
مِنْ رَحْمَةِ الْمَوْلَى، وَمِنْ أَفْضَالِهِ
نَسَجَ (الرِّشَادُ) لَهَا عَلَى مَنَوَالِهِ
وَعَلَى حَيَاةِ الرَّأْيِ وَاسْتِقْلَالِهِ
وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ عَلَى خُدَّالِهِ^٦
فِي الْمَلِكِ أَقْوَامٌ عِدَادُ رِمَالِهِ
وَتَرَى بِإِذْنِ اللَّهِ حُسْنَ مَالِهِ^٧
فِي مُقْفَرَاتِ الْبَيْدِ مِنْ رَبِّبَالِهِ^٨
تَاجًا لَوَجْهِكَ فَوْقَ تَاجِ جَلَالِهِ^٩

الملكُ بين يديكَ في إقباله
حُرٌّ وَأَنْتَ الْحَرُّ فِي تَارِيخِهِ
فِيضًا عَلَى الْأَوْطَانِ مِنْ حُرِّيَّةِ
سِعَدَتِ بَعْدَكُمْ الْمَبَارِكِ أُمَّةِ
يَفْدِيكَ نَصْرَانِيَّهُ بِصَلِيبِهِ
وَفَتَى الدَّرُوزِ عَلَى الْحَزُونِ بِشَيْخِهِ
صَدَقُوا الْخَلِيفَةَ طَاعَةً وَمَحَبَّةِ
يَجِدُونَ دَوْلَتَكَ الَّتِي سَعِدُوا بِهَا
جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِينَ) بِسِيرَةِ
بُنِيَتْ عَلَى الشُّورَى كَصَالِحِ حَكْمِهِمْ
حَقٌّ أَعَزَّ بِكَ الْمَهَيْمُنُ نَصْرَهُ
شَرُّ الْحُكُومَةِ أَنْ يُسَاسَ بِوَاحِدٍ
مُلْكُ نُشَاطِرِهِ مِيَامَنَ حَالِهِ
أَخَذْتَ حُكُومَتَكَ الْأَمَانَ لظَبِيهِ
مَكَّنْتَ لِلدُّسْتُورِ فِيهِ، وَحُزَّتَهُ

^١ قيلت في احتفال بالمولد النبوي الشريف.

فكَأَنَّكَ (الْفَارُوقُ) فِي كَرْسِيِّهِ
 أَوْ أَنْتَ مِثْلُ (أَبِي تَرَابٍ)، يُتَقَى
 عَهْدُ النَّبِيِّ هُوَ السَّمَاةُ وَالرَّضَى
 بِالْحَقِّ يَحْمِلُهُ (الإِمَامُ)، وَبِالْهُدَى
 يَا بَنَ الخَوَاقِينِ الثَّلَاثِينَ الأُولَى
 الْمُبْلَغِينَ الدِّينَ ذُرُوءَ سَعْدِهِ
 الْمُوَطَّئِينَ مِنَ الْمَمَالِكِ خِيَلَهُمْ
 فِي عَدْلِ (فَاتِحِهِمْ) وَ(قَانُونِيَّهِمْ)
 أَمَّا الخَلْفَةُ فَهِيَ حَائِطٌ بَيْتِكُمْ
 أَخَذَتْ بَحْدَ الْمَشْرِفِيِّ، وَحَازَهَا
 لَا تَسْمَعُوا لِلْمُرْجَفِينَ وَجَهْلَهُمْ
 طَمَعُ القَرِيبِ أَوْ البَعِيدِ بِنَيْلِهَا
 مَا الذَّنْبُ مُجْتَرِبًا عَلَى لَيْثِ الشَّرَى
 بِأَضَلَّ عَقْلًا — وَهِيَ فِي أَيْمَانِكُمْ —

نَعِمَتْ شَعُوبُ الأَرْضِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ١٠
 وَيَهَابُهُ الأَمْلَاقُ فِي أَسْمَالِهِ ١١
 (بِمَحْمَدٍ) أُولَى وَسَمَحٍ خِلَالِهِ
 فِي حَاضِرِ الدِّسْتُورِ، وَاسْتَقْبَالِهِ
 قَدْ جَمَّلُوا الإِسْلَامَ فَوْقَ جَمَالِهِ ١٢
 الرَّافِعِينَ الْمَلِكَ أَوْجَ كَمَالِهِ ١٣
 مَا لَمْ يَفْزُ (إِسْكَندَرُ) بِوَصَالِهِ ١٤
 مَا يَحْتَدِي الخُلَفَاءُ حَذْوَ مِثَالِهِ ١٥
 حَتَّى يُبَيِّنَ الحِشْرُ عَنْ أَهْوَالِهِ
 لَكُمْ القَنَا بِقِصَارِهِ وَطَوَالِهِ ١٦
 فَمَصِيبَةُ الإِسْلَامِ مِنْ جُهَالِهِ ١٧
 طَمَعُ الفَتَى مِنْ دَهْرِهِ بِمَحَالِهِ
 فِي الغَابِ مُعْتَدِيًا عَلَى أَشْبَالِهِ ١٨
 مَمَّنْ يُحَاوَلُ أَخْذَهَا بِشِمَالِهِ

رَضِيَ المُهَيْمِنُ، وَالمَسِيحُ، وَأَحْمَدُ
 الهَاذئِينَ مِنَ الثَّرَى بِسَهُولِهِ
 القَاتِلِينَ عَدُوَّهُمْ فِي حِصْنِهِ
 الأَخْذِينَ الحِصْنَ عَزَّ سَبِيلُهُ
 المعْرِضِينَ — وَلَوْ بِسَاحَةِ يَلْدِزِ —
 القَارئِينَ عَلَى (عَلِيٍّ) عِلْمَهَا
 الْمَلِكُ زُلْزَلَ فِي (فَرُوقٍ) سَاعَةً
 لَوْلَا انْتِظَامُ قُلُوبِهِمْ كَكُفُوفِهِمْ
 وَالمَرْءُ لَيْسَ بِصَادِقٍ فِي قَوْلِهِ
 وَالشَّعْبُ إِنْ رَامَ الحَيَاةَ كَبِيرَةً
 شَكَرَ الْمَمَالِكَ لِلسَّخِيِّ بِرُوحِهِ
 إِيَّاهُ (فَرُوقٍ) الحَسَنَ نَجْوَى هَائِمِ

عَنْ جَيْشِكَ الفَادِي، وَعَنْ أَبْطَالِهِ
 الدَّائِسِينَ عَلَى رُءُوسِ جِبَالِهِ
 بِالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ قَبْلَ قِتَالِهِ
 مِثْلَ السَّهَاءِ أَوْ فِي امْتِنَاعِ مَنَالِهِ ١٩
 فِي الحَرْبِ عَنْ عَرِضِ العَدُوِّ وَمَالِهِ
 وَعَلَى الغَزَاةِ المَتَّقِينَ رِجَالَهُ ٢٠
 كَانُوا لَهُ الأَوْتَادَ فِي زَلْزَالِهِ
 لَنْثَرْتُ دَمْعِي اليَوْمَ فِي أَطْلَالِهِ ٢١
 حَتَّى يُؤَيِّدَ قَوْلَهُ بِفِعَالِهِ
 خَاضَ الغَمَارَ دَمًا إِلَى أَمَالِهِ ٢٢
 لَا لِلسَّخِيِّ بِقَبِيلِهِ أَوْ قَالِهِ
 يَسْمُو إِلَيْكَ بِجَدِّهِ وَبِخَالِهِ ٢٣

أخرجت للعرب الفصاح بيانه
 لم تكثر (الحمراء) من نظرائه
 جعل الإله خياله (قيس) الهوى
 في كل عام أنت نزهة روجه
 يغشاك قد حنت إليك مطيه
 أفرأحه لماً رآك طليقة
 وسروره بك من قيودك حرّة
 الله صاعك جنتين لخلقه
 لو أن لله أتخاذاً خميلة
 فكأنما الصفتان في حسنيهما
 وكأنما (اليسفور) حوض (محمد)
 وكان شاهقة القصور حياله
 وكان عيدك عيدها لماً مشى
 تبهي بعيدك في الممالك، واسلمى
 واستقبلي عهد الرشاد مجملاً
 دار السعادة أنت، ذلك بابها

قبساً يضيء الشرق مثل كماله^{٢٤}
 نسلاً، ولا (بغداد) من أمثاله^{٢٥}
 وجعلت (ليلى) فتنةً لخياله^{٢٦}
 ونعيم مهجته، وراحةً باله
 ويثوب، والأشواق ملء رحاله
 أفرأح (يوسف) يوم حل عقاله^{٢٧}
 كسرور (قيس) بانفلات غزاله^{٢٨}
 محفوفتين بأنعم لعياله
 ما اختار غيرك روضةً لجلاله^{٢٩}
 ديباجتاً خدً يتيه بخاله^{٣٠}
 وسط الجنان وهن في إجلاله^{٣١}
 حُجرات (طه) في الجنان وآله^{٣٢}
 فيها البشيرُ ببشره وجماله^{٣٣}
 في السلم للآلاف من أمثاله
 بمحاسن الدستور في استهلاله
 شلت يدٌ مُدّت إلى إقفاله

هوامش

- (١) الملك بين يدك: الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس.
- (٢) حرّ: أي الملك، يريد أنه غير مقيد بسلطة الفرد المستبد. وأنت الحرّ في تاريخه: لأن الخليفة محمد رشاد أول خليفة دستوري. وسمح: يقال رجل سمح أي ذو سماحة وعطاء. والأقبال: جمع قبيل وهو الملك.
- (٣) كلاكما: أي أنت والملك. والمفتك: المطلق. والأغلال: جمع غل بضم الغين، وهو طوق من حديد يجعل في العنق.
- (٤) الحقبة: المدّة من الدهر.
- (٥) الحزون: جمع حزن بفتح الحاء، ما غلظ من الأرض.
- (٦) الخدال: جمع خاذل وهو الذي لا ينصرک.
- (٧) الميامن: جمع ميمنة وهي اليمن والبركة.

- (٨) الرئبال: الأسد.
- (٩) مَكَّنَت للدستور: أي جعلته مكيَّنًا ثابتًا. والدستور: هو القانون الذي ينظم حكم الشورى.
- (١٠) الفاروق: لقب عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
- (١١) أبو تراب: كنية علي بن أبي طالب (رضى الله عنه). والأسمال: الثياب البالية واحدها سَمَل (بفتح الميم).
- (١٢) الخواقين: جمع خاقان وهو اسم لكل ملك من ملوك التُّرك.
- (١٣) الأوج: العلو.
- (١٤) إسكندر: هو المقدوني الفاتح العظيم.
- (١٥) فاتحهم وقانونيهم: لقبان أولهما للسلطان محمد الفاتح، لُقِّبَ به لأنه أول ملك في الإسلام استطاع أن يفتح القسطنطينية ويقضي على كل سلطة للروم بها. وثانيهما للسلطان سليمان القانوني، لُقِّبَ به لأنه أول واضع لقانون الدولة التركية.
- (١٦) المشرقي: السيف، نسبة إلى موضع في اليمن كانت تصنع به السيوف.
- (١٧) المرجفون: مَنْ يخوضون في الأخبار السيئة ليقوعوا الناس في الاضطراب.
- (١٨) الأشبال: جمع شبل وهو ولد الأسد.
- (١٩) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.
- (٢٠) علي: هو علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، والضمير للحرب.
- (٢١) الأطلال: ما شُخِص من آثار الديار.
- (٢٢) الغمار (بضم الغين وفتحها): لفيف الناس.
- (٢٣) إليه: اسم فعل للاستزادة من الحديث. والنجوى: المسارة بالكلام، وهي السرُّ أيضًا، الهائم: المحبُّ، والذاهب من العشق، أو غيره لا يدري أين يتوجَّه، يريد نفسه، أي أنه هائم بحب فروق — وهي الأستانة — لما بها من حسن ومعنى «يسمو إليك بجده وبخاله» أنه من أصل تركي من ناحية أبويه.
- (٢٤) أخرجت: الخطاب لروق، والضمير للهائم في البيت قبله.
- (٢٥) الحمراء: هي مدينة غرناطة بالأندلس. وبغداد: حاضرة العراق.
- (٢٦) قيس: هو ابن الملوحة، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالمجنون. وليلى: هي محبوبته التي جُنَّ بها، يقول: إن الله صرف خياله في الشعر على الأستانة، فهو يجيد المعاني في وصفها، حتى شغف بها كَشَغَف قيس بليلى.

(٢٧) يقول: إنه فرح لها كما فرح يوسف (عليه السلام) بخروجه من السجن.

(٢٨) يشير بقوله «كسرور قيس بانفلات غزاله» على ما قيل من المجنون رأى ظبية

في حباله صيادين فسألهما أن يطلقاها ويضع مكانها شاة من غنمه، ففعلا.

(٢٩) الخميعة: الشجر الكثير الملتف. والروضة: ما اجتمع من الحدائق.

(٣٠) الديقاجتان: تثنية ديباجة وهي الوجه، يقال: فلان يصون ديباجته،

والديقاجتان أيضاً، الخدان. والخال: شامة في الخد.

(٣١) حوض محمد: يريد الحوض المورد يوم القيامة. ومحمد: هو النبي ﷺ

(٣٢) حياله: أي قبالته وإزاءه. والحجرات: جمع حجرة وهي الغرفة. وطه: اسم

من أسماء النبي ﷺ أيضاً.

(٣٣) البشير: من أسماء النبي ﷺ أيضاً.

وداع اللورد كرومر

أيامكم، أم عهد إسماعيلًا؟
أم حاكم في أرض مصر بأمره
يا مالگًا رِقُّ الرقاب ببأسه
لَمَّا رحلت عن البلاد تشهدت
أوسعتنا يومَ الوداعِ إهانةً
هلاً بدا لك أن تجاملَ بعدما
انظر إلى أدب الرئيس ولطفه
أم أنت فرعونُ يسوسُ النيلًا؟
لا سائلًا أبدًا ولا مستئولًا؟
هلاً اتَّخذتَ إلى القلوب سبيلًا؟
فكأنك الداءُ العيَاءُ رحيلًا
أدبٌ لعمرِكَ لا يُصيبُ مثيلًا
صاغ الرئيسُ لك الثَّنَا إكليلاً؟
تجد الرئيسَ مُهدَّبًا، ونبيلًا

في ملعبٍ للمُضحكات مُشَيِّدٍ
شهد (الحسينُ) عليه لعن أصوله
جُبْنٌ أقلُّ وحنطٌ من قدرَيْهما
لَمَّا ذكرت به البلادَ وأهلها
أنذرتنا رِقًا يدوم، وذِلَّةً
أحسبت أن الله دونك قدرة؟
الله يحكم في الملوك، ولم تكن
فرعونٌ قبلك كان أعظم سطوة
اليوم أخلفت الوعودَ حكومةً
مثَّلت فيه المُبكياتِ فصولًا^٤
ويُصدَّر (الأعمى) به تطفيلًا^٥
والمرءُ إن يجبُنَ يَعِشَ مَرذولًا
مثَّلت دورَ مماتها تمثيلًا^٦
تبقى، وحالًا لا ترى تحويلاً
لا يملكُ التغييرَ والتبديلاً؟
دولٌ تنازعة القُوَى لتدولًا^٧
وأعزَّ بين العالمين قبيلًا^٨
كنا نظنُّ عهدَها الإنجيلًا

دَخَلْتُ عَلَى حَكْمِ الْوِدَادِ وَشَرَعَهُ
 هَدَمْتُ مَعَالِمَهَا، وَهَدَّتْ رُكْنَهَا
 قَالُوا: جَلِبَتَ لَنَا الرِّفَاهَةَ وَالغِنَى
 كَمْ مِنَّةٍ مَوْهوميةٍ أَتْبَعْتَهَا
 فِي كُلِّ تَقْرِيرٍ، تَقُولُ: خَلَقْتُمْ
 هَلْ مِنْ نَدَاكَ عَلَى الْمَدَارِسِ أَنَّهَا
 أَمْ مِنْ صِيَانَتِكَ الْقِضَاءَ بِمِصْرٍ أَنْ
 أَمْ هَلْ يَعُدُّ لَكَ الْإِضَاعَةَ مِنْةً
 انظُرْ إِلَى فِتْيَانِهِ، مَا شَأْنُهُمْ؟
 حَرَمْتَهُمْ أَنْ يِيْلُغُوا رَتَبَ الْعُلَا
 فَإِذَا تَطَلَعَتِ الْجِيُوشُ، وَأَمَلْتِ
 مِنْ بَعْدِ مَا زَفُوا لِإِدْوَرْدَ الْعُلَا
 لَوْ كُنْتُ مِنْ حُمْرِ الثِّيَابِ، عَبْدْتُكُمْ
 أَوْ كُنْتُ بَعْضَ الْإِنْكَلِيزِ، قَبَلْتُكُمْ
 أَوْ كُنْتُ عَضْوًا فِي (الكلوب)، مَلَأْتَهُ
 أَوْ كُنْتُ قَسِيْسًا يَهِيْمُ مَبْشُرًا
 أَوْ كُنْتُ صَرَافًا بِلَنْدَنِ دَائِنًا
 أَوْ كُنْتُ (تِيْمَسْكَم)، مَلَأْتُ صَحَائِفِي
 أَوْ كُنْتُ فِي مِصْرٍ نَزِيْلًا جَاهِدًا
 أَوْ كُنْتُ (سِرِيُونًا)، حَلَفْتُ بِأَنْكُم
 مَا كَانَ مِنْ عَقِبَاتِهَا، وَصِعَابِهَا
 عَهْدُ الْفَرَنْجِ — وَأَنْتِ تَعْلَمُ عَهْدَهُمْ —
 فَارْحَلِي بِحَفِظِ اللَّهِ جِلًّا صَنِيعُهُ
 وَاحْمَلِي بِسَاقِكِ رِبْطَةَ فِي لَنْدَنِ
 أَوْ شَاطِرِ الْمَلِكِ الْعَظِيْمِ بِلَادِهِ
 إِنَّا تَمَنِينَا عَلَى اللَّهِ الْمَنَى
 مَنْ سَبَّ دِيْنَ مُحَمَّدٍ؛ فَمُحَمَّدٌ

مِصْرًا، فَكَانَتْ كَالسُّلَالِ دُخُولًا^٩
 وَأَضَاعَتْ اسْتِقْلَالَهَا الْمَأْمُولًا^{١٠}
 جَحَدُوا الْإِلَهَ، وَصُنَعَهُ، وَالنِّيْلًا^{١١}
 مِنَّْا عَلَى الْفِطْنِ الْخَبِيرِ ثَقِيْلًا^{١٢}
 أَفْهَلُ تَرَى تَقْرِيرَكَ التَّنْزِيْلًا؟^{١٣}
 تَذُرُّ الْعُلُومَ، وَتَأْخُذُ (الْفُوتْبُولًا)؟^{١٤}
 تَأْتِي بِقَاضِي دِنْشَوَائِي وَكِيْلًا؟^{١٥}
 جَيْشِ كَجِيْشِ الْهِنْدِ، بَاتَ ذَلِيْلًا؟
 أَوْ لَيْسَ شَأْنًا فِي الْجِيُوشِ ضَنْيْلًا؟
 وَرَفَعْتَ قَوْمَكَ فَوْقَهُمْ تَفْضِيْلًا
 مَسْتَقْبَلًا، لَمْ يَمْلِكُوا التَّأْمِيْلًا
 فَتَحًا عَرِيضًا فِي الْبِلَادِ، طَوِيْلًا^{١٦}
 مِنْ دُونِ عَيْسَى، مُحْسِنًا، وَمُنِيْلًا^{١٧}
 مَلِكًا، أَقْطَعُ كَفَّهُ تَقْبِيْلًا
 أَسْفًا لِفِرْقَتِكُمْ، بُكًّا، وَعَوِيْلًا^{١٨}
 رَتَّلْتُ آيَةَ مَدْحِكُمْ تَرْتِيْلًا^{١٩}
 أَعْطَيْتُكُمْ عَنِ طَيْبَةِ تَحْوِيْلًا
 مَدْحًا، يُرَدِّدُ فِي الْوَرَى مُوْصُولًا^{٢٠}
 سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ بُكْرَةً وَأَصِيْلًا
 أَنْتُمْ حَيُّوْتُمْ بِالْقِنَاةِ الْجِيْلًا^{٢١}
 ذَلَّلْتُمُوهُ بِعِزْمِكُمْ تَذَلِيْلًا
 لَا يَبْخَسُونَ الْمُحْسِنِينَ فَتِيْلًا
 مَسْتَعْفِيًّا إِنْ شِئْتِ، أَوْ مَعْزُولًا
 وَاخْلَفِ هُنَاكَ غِرَائِي أَوْ كَمْبِيْلًا^{٢٢}
 وَسُوسِ الْمَمَالِكِ، عَرْضُهَا وَالطُّوْلًا
 وَاللَّهُ كَانَ بَنِيْلَهُنَّ كَفِيْلًا
 مَتَمَكَّنَ عِنْدَ الْإِلَهِ رِسُولًا^{٢٣}

هوامش

- (١) إسماعيل: هو الخديو إسماعيل باشا. وفرعون: لقب كل ملك من ملوك مصر الأقدمين.
- (٢) رَقَّ الرقاب: استعبادها. والبأس: الشدَّة والقوَّة.
- (٣) الرئيس: هو مصطفى باشا فهمي كانا رئيس مجلس الوزراء لعهد اللورد كرومر، وهو الذي أقام له حفلة توديع في دار الأوبرا يوم خروجه من مصر، وخطب له يودعه ويثني عليه، ثم خطب اللورد فأهان الأمة، وأهان الخديو إسماعيل في وجه الأمير حسين كامل «السلطان حسين»، ولم يراع شيئاً من الأدب ولا المجاملة.
- (٤) يريد ملعب دار الأوبرا.
- (٥) الحسين: هو السلطان حسين كامل. والأعمى: هو الشيخ عبد الكريم سلمان، وكان قد ضعف بصره وكاد يكف.
- (٦) لما ذكرت به: أي بذلك الملعب.
- (٧) لتدول: لتظهر على غيرها ويحالفها إقبال الحظ.
- (٨) القبيل: الجماعة من أصل واحد.
- (٩) السلال (بضم السين): هو داء السل.
- (١٠) المعالم: جمع معلم، وهو موضع الشيء الذي يظن الناس فيه وجوده.
- (١١) قالوا جلبت: الخطاب للورد كرومر.
- (١٢) المنُّ: أن تعدَّ لغيرك ما فعلته معه من الصنائع، كأن تقول: فعلت لك كذا وأعطيتك كذا، وهو قبيح مذموم.
- (١٣) كان اللورد كرومر يضع كل سنة تقريراً مطولاً عن الحالة العامة في مصر والسودان، وكان في كل تقرير يدَّعي لنفسه من وجوه الإصلاح في مصر ما يكذِّب الواقع.
- (١٤) الندى: الكرم. تذر: تترك. والفوتبول: كلمة من لغة الإنكليز معناها كرة القدم.
- (١٥) قاضي دنشواي: هو أحمد فتحي زغلول باشا، كان قاضياً في المحكمة المخصوصة التي عاقبت أهل دنشواي بالشنق والجلد والسجن، جعله اللورد كرومر بعد هذه المحاكمة وكيلاً لوزارة الحقانية، وقد كان رئيساً لمحكمة مصر الابتدائية الأهلية.
- (١٦) يشير إلى فتح السودان، وأن الجيش المصري هو الذي قام بعبئه كله، ولم يكن لجنود الإنكليز فيه من أثر يذكر. وإدوارد، هو ملك الإنكليز.

(١٧) حمر الثياب: هم الإنكليز، يقول: لو كنت إنكليزيًا لعبدتك ولم أعبد عيسى؛ لأنك أنلت الإنكليز وأحسنيت إليهم بما لا مثيل له من إنالة وإحسان، والخطاب للورد كرومر.

(١٨) الكلوب: دار ندوة في القاهرة، يشترك في الإنفاق عليه كل مَنْ يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الإنكليز.

(١٩) ذلك لأن اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية في مصر، ويحمي القسوس القائمين به.

(٢٠) أو كنت تيمسكم: أي لو كنت جريدة التيمس الخاصة بكم.

(٢١) المسيو دي سريون: مدير شركة قناة السويس.

(٢٢) واحمل بساقك ربطة: يشير إلى نشان عند الإنكليز يُسمَّى نشان ربطة الساق،

قيل يوم عزل كرومر أنعم عليه به. وغراي وكمبيل: وزيران من وزراء الإنكليز.

(٢٣) كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الإسلامي في تقريره سنة ١٩٠٦، فزعم

أنه دين لا يصلح لهذا العصر. فشاعرنا يشير إلى ذلك بقوله: مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ.. إلخ.

بين الحجاب والسفور

صَدَّاحُ، يَا مَلِكَ الْكِنَا
قَد فَزْتُ مِنْكَ (بِمَعْبِدِ)
وَأَتِيحُ لِي (دَاوُدُ) مِز
فَوْقَ الْأَسْرَةِ وَالْمَنَا
تَهْتَرُ كَالدِينَارِ فِي
وَإِذَا خَطَرْتَ عَلَى الْمَلَا
وَلَكِ ابْتِدَاءَاتُ (الْفِرْزِ)
وَلَقَدْ تَخَذْتُ مِنَ الضُّحَى
وَرَوَيْتَ فِي بَيْضِ الْقَلَا
رِ، وَيَا أَمِيرَ الْبُلْبُلِ^١
وَرُزِقْتُ قَرَبَ (الْمَوْصِلِيِّ)^٢
مَارًا، وَحَسَنَ تَرْتُلُ^٣
بِرِ قَطُّ لَمْ تَتْرَجَلْ^٤
مُرْتَجَّحٌ لِحَظِّ الْأَحْوَالِ^٥
عَبٍ، لَمْ تَدَعِ لِمَمْتَلِّ^٦
دِقِّ، فِي مَقَاطِعِ (جِرَوْلِ)^٧
صُفْرَ الْغَلَائِلِ وَالْحَلِيِّ^٨
نَسِ عَنِ عِذَارِي الْهَيْكَلِ^٩

يَا لَيْتَ شَعْرِي يَا أَسِيدِ
وَحَلِيفُ سَهْدٍ، أَمْ تَنَا
بِالرَّغْمِ مِنْي مَا تُعَا
حَرَصِي عَلَيْكَ هَوَى، وَمَنْ
وَالشَّحُّ تُحَدِّثُهُ الضَّرْوُ
أَنَا إِنْ جَعَلْتُكَ فِي نُضَا
وَلَفَفْتُهُ فِي سَوْسِنِ
رُ، شَجِّ فَوَادِكُ، أَمْ خَلِي؟^{١٠}
مُ اللَّيْلِ حَتَّى يَنْجَلِي؟^{١١}
لُجِّ فِي النَّحَاسِ الْمَقْفَلِ^{١٢}
يُحْرِزُ ثَمِينًا يَبْخَلِ
رَةٌ فِي الْجَوَادِ الْمُجْزَلِ^{١٣}
رِ بِالْحَرِيرِ مُجَلَّلِ^{١٤}
وَحَفَفْتُهُ بِقَرْنُفَلِ^{١٥}

وحرقتُ أزكى العودِ حو
 وحملتهُ فوقَ العيو
 ودعوتُ كلَّ أغرٍّ في
 فأتتك بينَ مُطارج
 وأمرت بابني فالتقا
 بيمينه فالودجُ
 وزجاجةٌ من فضة
 ما كنتُ يا (صدأح) عند
 شهُد الحياة مشويةً
 والقيدُ لو كان الجما
 يا طيرُ، لولا أن يقو
 اسمع، فرُبَّ مُفصَّل
 صبرًا لما تشقى به
 أنت ابنُ رأيٍ للطبيبِ
 أبدًا مَرُوعٌ بالإسا
 إن طرتَ عن كنفِي وقع

لِيه، وأغلى الصنْدل
 ن، وفوق رأسِ الجدول^{١٦}
 مُلك الطيورِ محجَّل
 ومحبَّبذ، ومدلَّل^{١٧}
 كَ بوجهه المتهلَّل^{١٨}
 لم يُهدَ (للمتوكل)^{١٩}
 مملوءةٌ من سلسل^{٢٠}
 دك بالكريم المُفضل
 بالرَّق، مثلُ الحنظل^{٢١}
 نَ منظماً لم يُحمَل^{٢٢}
 لوا: جُنَّ، قلتُ: تعقل
 لك، لم يفدك كمجمل
 أو ما بدا لك فافعل
 عة فيك غيرِ مُبدل
 ر، مهددٌ بالمقتل^{٢٣}
 تَ على النسورِ الجهل^{٢٤}

يا طيرُ، والأمثالُ تضربُ
 دنياك من عاداتِها
 أو للغبي، وإن تعلَّل
 جُعِلتُ لِحُرٍّ يُبتلى
 يرمي، ويُرْمَى في جها
 مُستجمع كالليث، إن
 أسمعتُ بالحكمين في الـ
 في الفتنة الكبرى، ولو
 رَضِي الصحابةُ يومَ ذ
 وهمُ المصابيحُ، الروا

للَّبیبِ الأمثل^{٢٥}
 ألا تكونَ لأعزل^{٢٦}
 بالزمان المقبل
 في ذي الحياةِ ويبتلي
 د العيشِ غيرَ مغفل
 يُجهل عليه يجهل^{٢٧}
 إسلامِ يومِ (الجندل)^{٢٨}؟
 لا حكمةٌ لم تُشعل^{٢٩}
 لك بالكتابِ المنزل^{٣٠}
 ةٌ عن النبي المرسل

قالوا: الكتابُ، وقام كل
حتى إذا وَسَعَتْ (معا
رجعوا لظلم كالطبا
نزلوا على حكم القويِّ،
صَدَّاحُ، حق ما أقو
جاورتَ أندى روضةٍ
بين الحفاوة من حُسَيْبٍ
وحنان (أمنة) كَأَمَّك
صَحُّ بالصَّباح، وبشَّر الـ
واسأل لمصرَ عنايةً
قل: ربنا افتح رحمةً
أدرك كنانَتك الكريـ

مفسرٍ ومئوَّل
ويَّةً، وضاقَ بها (علي) ٣١
ثع في النفوس مؤصَّل
وعند رأي الأحييل ٣٢
ل، حِفْلَتَ، أم لم تحفل
وحللتَ أكرمَ منزل
نِ، والرعاية من علي
في صباك الأول ٣٣
أبناءً بالمستقبل
تأتي وتهبطُ من عَلِ
والخير منك فأرسل
ممةً - ربَّنا - وتقبَّل

هوامش

- (١) الصَّدَّاح: الصيَّاح الرفيع الصوت. والكنار: الكناري وهو طائر حسن الصوت، وريشه أبيض يضرب إلى الصفرة، وقوادم جناحيه طويلة تميل إلى الخضرة، وينسب إلى جزائر كناريا، وهي الجزائر الخالدات. والبلبل: طائر صغير سريع الحركة، يُضْرَبُ به المثل في طلاقة اللسان.
- (٢) معبد: مغنٍ مشهور كان أيام الدولة الأموية. والموصلي: يُطَلَّقُ على إسحاق الموصلي وابنه إبراهيم، وكانا مغنيين وكان لهما ذلك فقه وأدب.
- (٣) داود: النبي. ومزاميره: ما كان يترنم به من الأذعية والأناشيد.
- (٤) الترجُّل: أن ينزل المرء عن ركوبته ويمشي.
- (٥) الأحول: مَنْ في عينه حول.
- (٦) لم تدع لممثل: أي لم تترك له ما يجيده من التمثيل والغناء لأنك أجود صوتاً وفناً من كل مغنٍ وممثل.
- (٧) الفرزدق: لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور، كان في صدر الدولة الأموية. وجرول: اسم الحطيئة وهو شاعر أدرك الجاهلية والإسلام. والابتداءات: أوائل القصائد. والمقاطع: جمع مقطع وهو آخر بيت من القصيدة.

الشوقيات

- (٨) الغلائل: واحدتها غلالة (بكسر الغين) وهي شعار يلبس تحت الثوب، يشير بهذا المجاز إلى أن طائرَه الصَّدَّاح أصفر اللون.
- (٩) القلائس: جمع قلنسوة وهي نوع من لباس الرأس. والعداري: جمع عذراء وهي البكر. والهيكل: معناه هنا الموضع في صدر الكنيسة، يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى، وفي هذا البيت أنواع من المجاز، ثم كناية عن المعنى المقصود، وهو يريد أن طائرَه أبيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء، كالعداري الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل.
- (١٠) الشجي: المشغول. والخلي: الخالي من الهم.
- (١١) الحليف: كل شيء لزم شيئاً آخر فلم يفارقه. والسهد: الأرق وعدم النوم. وينجلي: يمضي.
- (١٢) ما تعالج: أي ما تزاول وتمارس. والمراد بالنحاس المقفل: القفص الذي حُبِسَ فيه الطائر.
- (١٣) الجواد: الكريم. والمجزل: المكثّر من العطاء.
- (١٤) النضار: الذهب. والمجلل: المغطى.
- (١٥) السوسن (بفتح السين الأولى وضمها): نبات طيب الرائحة.
- (١٦) العيون هنا: عيون الماء. والجدول: النهر الصغير.
- (١٧) المدلل (بفتح اللام): المرفه.
- (١٨) المتلهل: المتلألئ.
- (١٩) الفالونج: حلواء من دقيق وعسل وماء.
- (٢٠) السلسل: الخمر اللينة.
- (٢١) الشهد (بضم الشين وسكون الهاء): العسل.
- (٢٢) الجمان: اللؤلؤ.
- (٢٣) الإسار: الأسر.
- (٢٤) الكنف: الجانب والناحية.
- (٢٥) الأمثل: الأفضل.
- (٢٦) الأعزل: مَنْ لا سلاح عنده.
- (٢٧) المستجمع: مَنْ يبذل غاية إمكانه. ويجهل عليه: يتسافه عليه.

- (٢٨) الحكمان: هما أبو موسى الأشعري، ارتضاه الإمام عليٌّ حَكَمًا له، وعمرو بن العاص، اختاره معاوية حَكَمًا له، وقصة هذا التحكيم مشهورة. ويوم الجندل: وهو أحد أيام الحرب بين عليٍّ ومعاوية. والجندل: اسم مكان.
- (٢٩) ولولا حكمة: أي ولولا حكمة أرادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة.
- (٣٠) رضي الصحابة.. إلخ: ذلك أن أصحاب معاوية لما رأوا أن الهزيمة ستكون لهم، رفعوا المصاحف على أطراف الأُسنة، ونادوا عليًّا وأصحابه أن ينزلوا وإيَّاهم على كتاب الله، فأمر عليٌّ أصحابه أن يكفُّوا عن الحرب.
- (٣١) حتى إذا وسعت معاوية: أي حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية بسبب أن الحيلة التي فعلها عمرو بن العاص جازت على أبي موسى الأشعري رجعوا لظلم. إلى آخر ما في البيتين التالين.
- (٣٢) الأحيل: الأكثر حيلة.
- (٣٣) حسين، وعلي، وآمنة: أبنائهم.

العلم والتعليم، وواجب المعلم^١

كاد المعلمُ أن يكون رسولا
يبني، ويُنشئُ أنفُسًا وعقولا؟
علّمتَ بالقلمِ القرونَ الأولى
وهديتهُ النورَ المبينَ سبيلا
صدئِ الحديدِ، وتارةً مصقولاً^١
وابنَ البتولِ فعلمَ الإنجيلا^٢
فسقى الحديثَ، وناولَ التنزيلا^٣
عن كلِّ شمسٍ ما تُريدُ أفولا
في العلمِ، تلمسَناهُ تطفيلاً^٤
ما بالُ مغربِها عليه أديلا^٥
بين الشمسِ وبين شروقِ حِلا
واستعذبوا فيها العذابَ وبِلا
بالفردِ، مخزوماً به، مغلولا^٦
من ضربةِ السمسِ الرءوسُ نهُولا
شفتي محبِّ يشتهي التقبِلا

فمُ للمعلمِ وفهُ التبجيلا
أعلمتَ أشرفاً، أو أجلَ من الذي
سبحانك اللهم خيرَ معلمٍ
أخرجتَ هذا العقلَ من ظلماتِهِ
وطبعتهُ بيدِ المعلمِ تارةً
أرسلتَ بالتُّوراةِ موسى مُرشدًا
وفجرتَ ينبوعَ البيانِ محمداً
علّمتَ يوناناً ومصرَ، فزالتا
واليومَ أصبحنا بحالِ طفوليةٍ
من مَشرقِ الأرضِ الشمسُ تظاهرتُ
يا أرضُ، مُذ فقدَ المعلمُ نفسه
ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمِهِم
في عالمٍ صحبَ الحياةَ مقيداً
صرعته دنيا المستبدِ، كما هوتُ
سُقراطُ أعطى الكأسَ وهي مَنيَّةُ

^١ أُلقيت هذه القصيدة في حفل قام به نادي مدرسة المعلمين العليا.

الشوقيات

عرضوا الحياة عليه وهي غباوةٌ فأبى، وأثر أن يموت نبيلاً^٧
إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلاً

* * *

إن الذي خلق الحقيقةَ علماً ولم يخل من أهل الحقيقةِ جيلاً
ولربما قتل الغرامُ رجالها قُتِلَ الغرامُ، كم استباحَ قتيلاً
أو كُلُّ مَنْ حامى عن الحقِّ اقتنى عند السوادِ ضغائنًا ودُحولاً^٨
لو كنتُ أعتقدُ الصَّليبَ وخطبه لأقمتُ من صلْبِ المسيحِ دليلاً

* * *

أُعلِّمِي الوادي، وساسةَ نشئه والطابعينَ شبابهَ المأمولا
والحاملينَ - إذا دُعوا ليعلموا - عبءَ الأمانةِ فادحاً مسئولا
كانتُ لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ ورمّتُ بدنلوبٍ فكان الفيلا^٩
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبعاً في العلم، إن مشت الممالك ميلا
تلك الكفورُ - وحشوها أميةً - من عهد «خوفو» لم تر القنديلا
تجدُ الذين بنى «المسلّة» جدُّهم لا يُحسنون لإبرةٍ تشكيلا
ويُدَلِّلون إذا أُريدَ قيادتهم كالبُهْمِ تأنسُ إذ ترى التديلا
يتلو الرجالُ عليهم شهواتهم فالناجحون ألدُّهم ترتيلا
الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ كيف الحياةُ على يدَيِ عزريلا؟
واللهِ لولا ألسُنُ وقرائحُ دارت على فِطَنِ الشبابِ شمولاً^{١٠}
وتعهَّدتُ من أربعينَ نفوسهم تغزو القنوطُ، وتغرِسُ التأميلا
عرفتُ مواضعَ جذبهم، فتتابعُ كالعينِ فيضاً، والغمامِ مسيلا
تُسدي الجميلَ إلى البلاد، وتستحي من أن تُكافأ بالثناءِ جميلا
ما كان دنلوبُ، ولا تعليمُه عند الشدائدِ، يُغنيان فتيلا

* * *

رَبُّوا على الإنصافِ فتبانَ الحمى تجدوهمُ كهفَ الحقوقِ كهولا
فهو الذي يبني الطباغَ قويمهً وهو الذي يبني النفوسَ عُدولا

ويقيمُ منطوقَ كلِّ أعوجٍ منطوقٍ
 وإذا المعلمُ لم يكن عدلاً، مشى
 وإذا المعلمُ ساءَ لحظاً بصيرةً
 وإذا أتى الإرشادُ من سببِ الهوى
 وإذا أصيبَ القومُ في أخلاقهم
 إني لأعذركم وأحسبُ عبئكم
 وجد المساعِدَ غيركم، وحرمتُم
 وإذا النساءُ نشأن في أمية
 ليس اليتيمُ من انتهى أبواه من
 فأصاب بالنديا الحكيمه منهما
 إن اليتيم هو الذي تلقى له

ويُريه رأياً في الأمور أصيلاً
 روحُ العدالة في الشباب ضئيلاً
 جاءت على يده البصائرُ حُولا^{١١}
 ومن الغرورِ، فسّمه التضليلاً
 فأقم عليهم مأتماً وعويلاً
 من بين أعباء الرجال ثقيلاً
 في مصرَ عون الأمهاتِ جليلاً
 رَضع الرجالُ جهالةً وخمولا
 همّ الحياةِ، وخلفاه ذليلاً
 وبحسن تربيّة الزمانِ بديلاً!
 أمّا تخلّت، أو أباً مشغولاً^{١٢}

* * *

مصرُ إذا ما راجعتُ أيامها
 (البرلمانُ) غداً يُمدُّ رواقه
 نرجو إذا التعليم حرّك شجوه
 قل للشباب: اليوم بُورك غرسكم
 حيوا من الشهداء كلَّ مغيب
 ليكون حظُّ الحيّ من سُكرانكم
 لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحه
 ناشدتكم تلك الدماءُ زكيةً
 فليسالنَّ عن الأرائكِ سائلُ
 إن أنت أطلعت الممثلَ ناقصاً
 فادعوا لها أهلَّ الأمانة، واجعلوا
 إن المقصّرَ قد يحولُ، ولن ترى
 فلربّ قولٍ في الرجالِ سمعتُم
 ولكم نصرتُم بالكرامة والهوى
 كرمٌ وصفحٌ في الشباب، وطالما

لم نلقِ للسبب العظيم مثيلاً^{١٣}
 ظلاً على الوادي السعيدِ ظليلاً
 ألا يكون على البلادِ بخيلاً
 دنت القطوفُ، ودلّلتْ تذليلاً
 وضعوا على أحجاره إكليلاً
 جمّاً، وحظُّ الميّت منه جزيلاً
 حتى يرى جنديّه المجهولاً^{١٤}
 لا تبعثوا للبرلمانِ جهولاً
 أحملن فضلاً، أم حملنَ فضولاً؟
 لم تلق عند كماله التمثيلاً
 لأولي البصائرِ منهم التفضيلاً
 لجهالة الطبع الغبيّ محيلاً
 ثم انقضى، فكأنّه ما قيلاً
 من كان عندكم هو المخذولاً
 كرمُ الشبابِ شمائلًا وميولاً

الشوقيات

قوموا اجمعوا شُعبَ الأبوة، وارفعوا
صوتَ الشبابِ مُحَبَّبًا مقبولاً
ما أبعدَ الغاياتِ!! إلا أنني
أجدُ الثباتَ لكم بهنَّ كفيلاً
فَكَلُوا إلى اللهِ النجاحَ، وثابروا
فأله خَيْرُ كافلاً ووكيلاً

هوامش

- (١) طبع السيف. صاغه. وصدئ الحديد: أي غير مجلٍ ولا مصقول.
- (٢) البتول: لقب السيدة مريم عليها السلام.
- (٣) التنزيل: القرآن.
- (٤) التطفيل: التطفل.
- (٥) أدبل المغرب على المشرق: أي فاقه وانتزع منه الدولة.
- (٦) مخزومًا به: أي مسخرًا له.
- (٧) النبل: الذكاء.
- (٨) الذحول: جمع نحل وهو الثأر.
- (٩) الفيل: ورم يصيب الساق. ودنلوب: مستشار إنجليزي منيت به نظارة المعارف المصرية فأساء إلى العلم والتعليم.
- (١٠) الفطن: جمع فطنة، وهي الحذق والذكاء. والشمول: الخمر.
- (١١) الحول: جمع حولاء، والحولاء، مَنْ في عينها حَوْل، والحَوْل. إقبال الحدقة على الأنف، وهو عيب.
- (١٢) أمَّا تخلت عن تربيته، وأبًا مشغولا عن العناية به وتهذيبه.
- (١٣) السبت: ١٥ مارس سنة ١٩٢٤، وهو اليوم الذي افتتح فيه (البرلمان) الأول، وقد كان هذا اليوم قريبا من يوم الاحتفال.
- (١٤) يريد بالجندي المجهول: مَنْ يعمل في غير جلبة ولا ضوضاء، وفي غير انتظار مكافأة أو جزاء.

بنك مصر^١

واذكرُ رجالاً أَدالوها بإجمال
لا في جوانب رسمِ المنزلِ البالي
في العين، أزينَ من بُنيانها الحالي
على مثالِ من الدنيا، ومِنوال
ويؤسُّ ساع، ونُعَمَى قاعدِ سالي
والناسُ — مَذْ خُلِقُوا — عُبَادُ تَمثال
أو الممالك، فاندُبُها كأطلال
خُذها من العلم أو خُذها من المال
لم يُبْنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلال
يَدُ الدعاءِ سراعاً غيرَ بُخَالٍ
فامضوا إلى الماءِ، لا تَلُؤُوا على الآلِ^١
وبين زَهْرٍ من الأَحلامِ قَتالٍ
رأياً لرأيي، ومثقالاً لمثقال
فابنوا بِناءَ قريشِ بيتها العالي
أودعتم الحَبَّ أرضاً ذاتَ إغلال
هل تبخلونَ على مصرِ بأمال؟
ما هيأَ اللهُ من حظٍّ وإقبال

قَفَ بالممالك، وانظرُ دولةَ المالِ
وانقلُ ركابَ القوافي في جوانبها
ما هيكلُ الهرمِ الجيزِّ من ذهبٍ
علا بها الحرصُ أركاناً، وأخرجها
فيها الشقاءُ لقومٍ، والنعيمُ لهم
والمالُ — مَذْ كان — تَمثالٌ يَظافُ به
إذا جفا الدورُ، فأنعِ النازلينَ بها
يا طالباً لمعالي الملكِ مجتهداً
بالعلمِ والمالِ يَبني الناسُ مُلكَهُمْ
سراةَ مصرَ، عهدناكم إذا بَسَطتْ
تَبَيَّنَ الصدقُ من بينِ الأمورِ لكم
لا يذهبُ الدَّهْرُ بين التُّرَّهاتِ بكم
هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ، واحتشدوا
هذا هو الحجرُ الدرِّيُّ بينكم
دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعُكم
آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ
فابنوا على بركاتِ الله، واغتنموا

^١ قِيلَت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشاء بنك مصر بدار «الأوبرا» الملكية.

الشوقيات

هوامش

(١) الآل: السراب.

مرحبًا بالهلال^١

العامُ أقبِلْ، فَمُ نُحَيِّ هِلالا
طُغْرَى كِتَابِ الكائِناتِ لِقارِي
مَلَكِ السَّماءِ، فَكانَ في كُرْسِيِّه
تَتَنافَسُ الأَمالُ فِيه، كَأَنه
والشَّمْسُ تُزَلِّفُ عِيدها، وتُرْفُه
عِيدُ المَسِيحِ، وعِيدُ أَحْمَدِ، أَقبِلا
مِيلادُ إِحسانِ، وهَجْرَةُ سُودِدِ
كالتاجِ في هامِ الوجودِ جلالا
يَزِنُ الكلامَ، وَيَقْدُرُ الأَقوالا
بِينَ الملائِكِ والمَلوكِ مِثالا
ثَغُرُ العِنايةِ ضاحَكَ الأَمالا
بِشَرَى بِمِطْلَعِ السَّعِيدِ، وفِلا^١
يَتَبارِيانِ وِضاءَةً وَجَمالا
قَد غَيْرًا وَجَهَ البَسِيطَةِ حالًا

* * *

قَمِّ لِلهلالِ قِيامَ مُحْتَفِلِ بِهِ
نورُ السَّبيلِ هَدَى، لِكُلِّ فَضيلَةٍ
ما بَينَ مَولِدِهِ وَبِينَ بِلوِغِهِ
مَتواضِعُ، وَاللَّهُ شَرَّفَ قَدْرَهُ
مَتوَدِّدٌ عِنْدَ الكَمالِ، تَخالُهُ
وَإِ لِجارَةِ بَيتِهِ، يَرعى لَها
أُثنى، وَبالِغِ في الثَناءِ، وَغالى
يَهدي الحَكيْمُ لَها، وَسَنَّ خِلالا
مَلأَ الحِياةَ مَأثِرا وَفِعالا
بِالشَّمسِ نَدًا، وَالكواكِبِ آلا^٢
في راحَتِيكَ، وَعَزَّ ذاكَ مَنالا
عَهْدَ السَّموَعِلِ، عُروَةَ، وَجِبالا^٣

^١ قيلت هذه القصيدة في رأس سنة ١٣٢٩ الهجرية.

عَوْنُ السُّرَاةِ عَلَى تَصَارِيفِ النُّوَى
وَيُصَانُ مِنْ سَرِّ الصَّبَابَةِ عِنْدَهُ
وَيُشَكُّ فِيهِ، فَلَا يَكْلَفُ نَفْسَهُ
سَاءَتْ ظَنُونُ النَّاسِ حَتَّى أَحْدَثُوا
وَالظَّنُّ يَأْخُذُ فِي ضَمِيرِكَ مَأْخِذًا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ عِنْدَ قِمَّةِ مَجْدِهِ
يَطْوِي إِلَى الْأَوْجِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
وَيَقُلُّ مِنْ هُوجِ الرِّيَاحِ عَزَائِمًا
وَيُضِيءُ أَثْنَاءَ الْخَمَائِلِ وَالرُّبَى
وَيَجُولُ فِي زُهْرِ الرِّيَاضِ، كَأَنَّهُ
أَمِنُوا عَلَيْهِ وَحَشَّةً، وَضَلَالًا،
مَا بَاتَ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ مُذَالًا
غَيْرَ التَّرْفَعِ وَالْوَقَارِ نِضَالًا
لِلشُّكِّ فِي النُّورِ الْمُبِينِ مَجَالًا
حَتَّى يُرِيكَ الْمُسْتَقِيمَ مَحَالًا
رَامَ الْمَزِيدَ، فَجَدَّ فِيهِ، فَنَالَا
وَيَشُدُّ فِي طَلَبِ الْكَمَالِ رِحَالَا
وَيَدُكُّ مِنْ مَوْجِ الْبَحَارِ جِبَالَا
حَتَّى تَرَى أَسْحَارَهَا آصَالَا
صُيْبُ الرِّبِيعِ، مَشَى بِهِنَّ، وَجَالَا

* * *

أَمَمَ الْهَلَالَ، مَقَالَةً مِنْ صَادِقِ
مَتَلَطَّفٍ فِي النَّصِيحِ، غَيْرِ مُجَادِلِ
مِنَ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا
ظَلَمْتَهُ أَلْسِنَةُ تَوَاخُذُهُ بِكُمْ
هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفَلُ بِالْهُدَى
سَرَّتِ الْحِضَارَةَ حَقَبَةً فِي ضَوْئِهِ
وَبَنَى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةَ
رَفَعُوا لَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ دَعَائِمًا
اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِلِسَانِهِمْ
وَتَخَيَّرَ الْأَخْلَاقَ أَحْسَنَهَا لَهُمْ
كَالرُّسُلِ عَزْمًا، وَالْمَلَائِكِ رَحْمَةً
عَدَلُوا، فَكَانُوا الْغِيثَ وَقَعًا، كُلَّمَا
وَالْعَدْلُ فِي الدُّوَلَاتِ أَسُّ ثَابِتٌ
أَيَّامَ كَانَ النَّاسُ فِي جَهْلَاتِهِمْ
مِنْ جَهْلِهِمْ بِالْدِينِ وَالْدُنْيَا مَعًا
ضَلُّوا عَقُولًا بَعْدَ عِرْفَانِ الْهُدَى
وَالصَّدُقُ أَلْيَقُ بِالرِّجَالِ مَقَالَا
وَالنَّصِيحُ أَضْيَعُ مَا يَكُونُ جِدَالَا
وَيَسُوذُ الْمِقْدَامِ، وَالْفَعَّالَا
وِظَلَمْتَمُوهُ مُفْرَطِينَ، كَسَالَى
هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالَ ضَلَالَا؟
وَمَشَى الزَّمَانُ بِنُورِهِ مَخْتَالَا
كَالشَّمْسِ عَرِشًا، وَالنُّجُومِ رَجَالَا
مِنْ عِلْمِهِمْ وَمِنَ الْبَيَانِ، طَوَالَا
خَلَقَ الْبَيَانَ وَعَلَّمَ الْأَمْثَالَا
وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ مِنْهُ تَعَالَى
وَالْأُسْدُ بِأَسَا، وَالغِيُوْثُ نَوَالَا
زَهَبُوا يَمِينًا فِي الْوَرَى، وَشَمَالَا
يُفْنِي الزَّمَانَ، وَيُنْفِدُ الْأَجْيَالَا
مِثْلَ الْبِهَائِمِ، أُرْسِلَتْ إِرْسَالَا
عَبَدُوا الْأَصْمَ، وَاللَّهُوَ التَّمَثَالَا
وَالعَقْلُ إِنْ هُوَ ضَلَّ كَانَ عِقَالًا

مرحبًا بالهلال

حتى إذا انقسموا تقوَّض ملكهم والملكُ إن بطلَ التعاونُ زالا
لو أن أبطالَ الحروب تفرَّقوا غلب الجبان على القنا الأبطالاً

هوامش

- (١) تزلفه: أي تقربه.
- (٢) الندُّ: النظير. والأل: الأهل.
- (٣) جارة بيته: هي الزهرة التي تلازمه دائماً. وبيته، هو الهالة التي تحيط به.
- (٤) السراة: السائرون ليلاً.
- (٥) السرُّ المذال: الذي لا يكتُم.
- (٦) العقال: في الأصل يُشدُّ به البعير، وهنا بمعنى القيد.

يا شباب الديار^١

غالٍ في قيمة ابن بَطْرُسَ غالي
نحتفي بالأديب، والحقُّ يقضي
أدبُ الأكثرين قولٌ، وهذا
يُظهرُ المدحُ رُوْنَقَ الرجلِ الما
رُبَّ مدحٍ أذاع في الناسِ فضلا
وثناءً على فتى عمِّ قومًا
إنما يقدُرُ الكرامَ كريمٌ
وإذا عظَمَ البلادَ بَنوْها
تَوَجَّتْ هامَهم كما تَوَجَّوها
إنما (واصفُ) بناءً من الأخـ
ونجيبٌ، مهذبٌ، من نجيبٍ
واهْبُ المالِ والشبابِ لما يَنْـ

علم الله ليس في الحقِّ غالي^١
وجلالُ الأخلاقِ والأعمال
أدبٌ في النفوسِ والأفعال
جِدِّ، كالسيفِ يزدهي بالصِّقال^٢
وأَتاهم بِقُدوةٍ ومِثال
قيمةُ العِقْدِ حُسْنُ بعضِ اللآلي
ويقيمُ الرجالُ وزنَ الرجالِ^٣
أنزلتهم منازلَ الإجلال
بكريم من الثناءِ وغالي
لاق، في دولةِ المشارقِ عالي
هذبته تجاربُ الأحوال
فَع، لا للهوى، ولا للضلال

^١ قيلت هذه القصيدة في تكريم واصف غالي باشا سنة ١٩٠٦ (واصف غالي بك يومئذ) ولعلها كانت أول دعوة إلى اتحاد عنصرَي هذه الأمة الكريمين، ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب، فبرى خيال هذا الاتحاد، ويدعو إليه، والناس عنه عمون. وحديث المؤتمرين ما زال يومئذ ملء الأفواه والأسماع، ولقد شاء الله أن يستجيب دعاءه، وأن يربط بين الأخوين برباط مقدس، كان لصاحب الديوان فضل الخيط الأول في نسجه.

ومذيقُ العقول في الغرب مما
 في كتابِ حوى المحاسنَ في الشِّ
 من صفاتٍ، كأنها العينُ صدقًا
 ونسيب، تحاذِرُ الغيْدُ منه
 ونظام، كأنه فَلَكُ اللَّيْلِ
 وبيان، كما تجلَّى على الرُّسْ
 ما عَلِمنا لغيرهم من لسان
 بليتِ هاشمٌ، وبادتْ نزارٌ
 كلِّما همَّ مجده بزوالِ

عَصَرَ العُرْبُ في السنينِ الخوالي
 عر، وأوعى جوائِزَ الأمثالِ
 في أداءِ الوجوه والأشكالِ
 شَرَك الحُسْنِ أو شباكِ الدلالِ
 لَ إذا لآخ وهو بالزَّهرِ حالي
 ل تجلَّى على رعاةِ الضالِّ
 زال أهلوه، وهو في إقبالِ
 واللسانِ المبينِ ليس ببالي
 قام فحلُّ، فحالَ دون الزَّوالِ

* * *

يا بني مصرَ، لم أقلَّ أُمَّةَ الـ
 واحتيالٌ على خيال من المجـ
 إنما نحنُ مسلمينَ وقبْطًا
 سبق النيلُ بالأبوةِ فينا
 نحن من طينهِ الكريمِ على الله
 مرَّ ما مرَّ من قرونِ علينا
 وانقضى الدهر، بينَ زَعْرَدَةِ العر
 ما تحلَّى بكم يسوعُ، ولا كُنَّا
 وتضاعُ البلادُ بالنومِ عنها
 يا شبابِ الديار، مصرُ إليكم
 كلِّما رُوِّعت بشبهةِ بأسِ
 هيئوها لما يليقُ بمنفِ
 وانهضوا نهضةَ الشعوبِ لدُنْيا
 وإلى الله مَنْ مشى بصليبِ

قببط، فهذا تشبُّتٌ بمحالِ
 يد، ودعوى من العِراضِ الطوالِ
 أُمَّةٌ وُحِّدَتْ على الأجيالِ
 فهو أصلُّ، وأدمُ الجدُّ تالي
 ومن مائه القَراحِ الزُّلالِ
 رُسُقًا في القيودِ والإغلالِ
 س، وحثُّو الترابِ، والإعوالِ
 لَطَه ودينه بجمالِ
 وتضاعُ الأمورُ بالإهمالِ
 ولواءُ العرينِ للأشبالِ
 جعلتكم معاقِلَ الآمالِ
 وكريمِ الآثارِ، والأطلالِ
 وحياءِ كَبيرةِ الأشغالِ
 في يديه، ومَنْ مشى بهلالِ

هوامش

(١) غالٍ في المدح: بالغ فيه. وغالي (الثانية) إمَّا أن يراد بها الأمر، أو يراد بها اسم
 والد المكرَّم المرحوم بطرس باشا غالي.

يا شباب الديار

(٢) صقل السيف صقالاً: جلاًه.

(٣) قدَّره: عظَّمه.

(٤) يشير إلى كتاب فرنسي ألفه واصف باشا وكان موضع تكريمه.

(٥) الضال: نوع من الشجر، والمراد: رعاة ما يأكل الضال من الحيوان، أي رعاة الإبل.

(٦) الماء القراح: الصافي.

نهج البردة

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعَلَمِ
أحلَّ سفكَ دمي في الأشهر الحُرُم^١
رمي القضاء بعيني جُوذِر أسدًا
يا ساكنَ القاعِ، أدركَ ساكنَ الأجم^٢
لَمَّا رَنَا حدثتني النفسُ قائلَةً
يا وَيْحَ جنبِكَ، بالسهمِ المُصيبِ رُمي^٣
جحدتها، وكتمت السهمَ في كبدي
جُرْحُ الأحبهِ عندي غيرُ ذي ألم^٤
رُزِقَتَ أسمح ما في الناس من خُلُقِ
إذا رُزِقَتَ التماس العذر في الشيم^٥
يا لائمي في هواه — والهوى قدرٌ —
لو شَفَّكَ الوجدُ لم تَعِذَلْ ولم تلم^٦
لقد أنلْتُكَ أذْنَا غيرِ واعيةِ
ورُبُّ منتصتٍ والقلبُ في صمم^٧
يا ناعس الطرفِ، لا نَقَتَ الهوى أبدًا
أسهرتَ مُضناك في حفِظِ الهوى، فتم^٨
أفديك إلفًا، ولا آلو الخيالَ فدَى
أغراك بالبخلِ مَنْ أغراه بالكرم^٩

- سرى، فصادف جرحًا داميًا، فأسا
 ١٠ وَرَبِّ فَضْلِ عَلَى الْعِشَاقِ لِلْحُلْمِ
 مَنِ الْمَوَائِسُ بَانًا بِالرُّبَى وَقَنَا
 ١١ اللاعباتُ بروحي، السافحاتِ دمي؟
 السافراتُ كأمثالِ البُدورِ ضُحَى
 ١٢ يُغْرَنَ شَمْسَ الضُّحَى بِالْحَلَى وَالْعِصَمِ
 القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ
 وللمنية أسبابٌ من السقم
 العاثراتُ بألبابِ الرجال، وما
 ١٣ أَقْلَنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ
 المضرماتُ خُدودًا، أسفرت، وَجَلَّتْ
 ١٤ عَنْ فِتْنَةٍ، تُسَلِّمُ الْأَكْبَادَ لِلضَّرَمِ
 الحاملاتُ لواءَ الحسنِ مختلفًا
 ١٥ أَشْكَالُهُ، وَهُوَ فَرْدٌ غَيْرٌ مَنْقَسِمِ
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ أَوْ سَمَرَاءٍ زَيْنَتَا
 ١٦ لِلعَيْنِ، وَالْحُسْنُ فِي الْأَرَامِ كَالْعِصَمِ
 يُرَعْنَ لِلْبَصْرِ السَّامِي، وَمَنْ عَجِبِ
 ١٧ إِذَا أَشْرَنَ أُسْرَنَ اللَّيْثَ بِالْعَنَمِ
 وَضَعْتُ خَدَّ، وَقَسَمْتُ الْفَوَادَ رُبَى
 ١٨ يِرْتَعَنَ فِي كُنْسٍ مِنْهُ وَفِي أَكْمِ
 يَا بِنْتَ نِي اللَّبَدِ الْمَحْمَى جَانِبُهُ
 ١٩ أَلْقَاكَ فِي الْغَابِ، أَمْ أَلْقَاكَ فِي الْأُطْمِ؟
 مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حَتَّى عَنْ مَسْكَنِهِ
 ٢٠ أَنْ الْمُنَى وَالْمَنَايَا مَضْرِبُ الْخِيَمِ
 مَنْ أَنْبَتَ الْغَصْنَ مِنْ صَمَامَةٍ ذَكَرِ؟
 ٢١ وَأَخْرَجَ الرِّيمَ مِنْ ضِرْغَامَةِ قَرِيمِ؟
 بَيْنِي وَبَيْنِكَ مِنْ سُمْرِ الْقَنَا حُجْبِ
 ٢٢ وَمِثْلُهَا عِفَّةٌ عُذْرِيَّةُ الْعِصَمِ

- لم أغش مغناك إلا في غضون كرى
 ٢٣ مَغْنَاكَ أَبْعَدُ لِلْمَشْتَاقِ مِنْ إِرَمِ
 يا نفسُ، دنياك تُخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ
 ٢٤ وَإِنْ بَدَا لِكَ مِنْهَا حُسْنٌ مُبْتَسَمِ
 فُضِّي بِتَقْوَاكِ فَاهَا كُلَّمَا ضَحَكَتْ
 ٢٥ كَمَا يُفِضُ أَدَى الرِّقْشَاءِ بِالثَّرَمِ
 مَخْطُوبَةٌ — مَنْذُ كَانَ النَّاسُ — خَاطِبَةٌ
 ٢٦ كَمْ أَوَّلِ الدَّهْرِ لَمْ تُرْمَلِ، وَلَمْ تَتَّمِ
 يَفْنَى الزَّمَانَ، وَيَبْقَى مِنْ إِسَاءَتِهَا
 ٢٧ جَرْحُ بَادِمٍ يَبْكِي مِنْهُ فِي الْأَدَمِ
 لَا تَحْفَلِي بِجِنَاهَا، أَوْ جِنَايَتِهَا
 ٢٨ الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحَمِ
 كَمْ نَائِمٍ لَا يَرَاهَا، وَهِيَ سَاهِرَةٌ
 ٢٩ لَوْلَا الْأَمَانِيُّ وَالْأَحْلَامُ لَمْ يَنْمِ
 طَوْرًا تَمْدُكَ فِي نَعْمَى وَعَافِيَةٍ
 ٣٠ وَتَارَةً فِي قَرَارِ الْبُؤْسِ وَالْوَصَمِ
 كَمْ ضَلَلْتَكِ، وَمَنْ تُحَجِّبُ بِصِيرَتِهِ
 ٣١ إِنْ يَلْقَ صَابِئًا يَرِدِ، أَوْ عَلَقَمًا يَسْمِ
 يَا وَيْلَتَاهُ لِنَفْسِي! رَاعَهَا وَدَهَا
 ٣٢ مُسَوَّدَةُ الصُّحُفِ فِي مُبْيَضَّةِ اللَّمَمِ
 رَكَّضْتَهَا فِي مَرِيْعِ الْمَعْصِيَاتِ، وَمَا
 ٣٣ أَخَذْتُ مِنْ حِمِيَةِ الطَّاعَاتِ لِلتُّخْمِ
 هَامَتْ عَلَى أَثَرِ اللَّذَاتِ تَطْلُبُهَا
 ٣٤ وَالنَّفْسُ إِنْ يَدْعُهَا دَاعِي الصَّبَا تَهْمِ
 صِلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ
 فِقْوَمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ

- والنفسُ من خيرها في خيرِ عافيةٍ
 ٣٥ والنفسُ من شرّها في مَزَنِعٍ وَخِمٍ
 تطغى إذا مُكَّنَتْ من لذّةٍ وهوى
 ٣٦ طَغَى الجيادِ إذا عَضَّتْ على الشُّكْمِ
 إنَّ جَلَّ نَبِيٍّ عن الغُفرانِ لي أملٌ
 ٣٧ في اللهِ يجعلني في خيرٍ مُعتَصِمٍ
 ألقى رجائي إذا عَزَّ المُجيزُ على
 ٣٨ مُفَرِّجِ الكربِ في الدارينِ والغَمِّ
 إذا خَفَضْتُ جَنَاحَ الدُّلِّ أسأله
 ٣٩ عَزَّ الشِّفَاعَةَ، لم أسألِ سوى أُمِّ
 وإنْ تَقَدَّمَ نو تقوى بصالحيةٍ
 ٤٠ قَدَّمْتُ بين يديه عَبْرَةَ النَّدَمِ
 لَزِمْتُ بابَ أميرِ الأنبياءِ، وَمَنْ
 ٤١ يُمَسِّكُ بِمِفْتَاحِ بابِ اللهِ يَغْتَنِمُ
 فكلُّ فضلٍ، وإحسانٍ، وعارِفَةٍ
 ٤٢ ما بينِ مستلمِ منه ومُلْتَمِزِ
 عَلَقْتُ من مدحِهِ حَبْلًا أعزُّ به
 ٤٣ في يومِ لا عِزَّ بالأنسابِ واللُّحَمِ
 يُزِرِّي قَرِيضِي زُهَيْرًا حينَ أمدحُه
 ٤٤ ولا يِقَاسُ إلى جودي لَدَى هَرِمِ
 محمدُ صَفْوَةُ الباري، ورحمته
 ٤٥ وبِغِيَةِ اللهِ من خَلَقِ ومن نَسَمِ
 وصاحبُ الحوضِ يومَ الرُّسُلِ سائِلَةٌ
 ٤٦ متى الورودُ؟ وجبريلُ الأمينُ ظَمِي
 سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةٌ
 ٤٧ فالجرمُ في فلكِ، والضوءُ في عَلمِ
 قد أخطأ النجمَ ما نالت أبوتُه
 ٤٨ من سؤدِدِ بازخِ في مظهرِ سَنِمِ

- نُمُوا إِلَيْهِن فزادوا في الورى شَرَفًا
 ٤٩ وَرَبِّ أَصْلٍ لِفِرْعِ فِي الْفَخَارِ نُمِي
 حَوَاهِ فِي سُبُحَاتِ الطُّهْرِ قَبْلَهُمْ
 ٥٠ نوران قاما مقام الصُّلْبِ وَالرَّجْمِ
 لَمَّا رَأَى بَاحِيْرًا قَالَ: نَعْرِفُهُ
 ٥١ بما حفظنا من الأسماءِ وَالسِّيَمِ
 سائلُ جِرَاءٍ، وَرُوحُ الْقَدْسِ: هل عِلْمًا
 ٥٢ مَصُونٌ سَرٌّ عَنِ الْإِدْرَاكِ مُنْكَتِمٌ؟
 كم جيئةٌ وَذَهَابٌ شُرِّفَتْ بِهِمَا
 ٥٣ بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْغَسَمِ
 وَوَحْشَةٌ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَهُمَا
 ٥٤ أَشْهَى مِنَ الْأَنْسِ بِالْأَحْبَابِ وَالْحَشَمِ
 يُسَامِرُ الْوَحْيِ فِيهَا قَبْلَ مَهِيْبَتِهِ
 ٥٥ وَمَنْ يَبْشُرُ بِسِيَمَى الْخَيْرِ يَنْتَسِمِ
 لَمَّا دَعَا الصَّخْبُ يَسْتَسْقُونَ مِنْ ظَمَاءٍ
 ٥٦ فَاضَتْ يَدَاهُ مِنَ التَّسْنِيمِ بِالسَّنَمِ
 وَظَلَّلَتْهُ، فَصَارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ
 ٥٧ غَمَامَةٌ جَذَبَتْهَا خَيْرَةُ الدِّيمِ
 مَحَبَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ أُشْرِبَهَا
 ٥٨ قَعَائِدُ الدَّيْرِ، وَالرُّهْبَانُ فِي الْقِمَمِ
 إِنَّ الشَّمَائِلَ إِنْ رَقَّتْ يَكَادُ بِهَا
 يُغْرَى الْجَمَادُ، وَيُغْرَى كُلُّ ذِي نَسَمِ
 وَنُودِي: اقْرَأْ، تَعَالَى اللَّهُ قَائِلُهَا
 لم تتصلَّ قَبْلَ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَمِ
 هُنَاكَ أَدْنَى لِلرَّحْمَنِ، فَامْتَلَأَتْ
 ٥٩ أَسْمَاعٌ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّعْمِ
 فلا تسأل عن قريشٍ كيف حَيْرْتَهَا؟
 ٦٠ وَكَيْفَ نَفَرْتَهَا فِي السَّهْلِ وَالْعِلْمِ؟

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمَّ بهم
 رمى المشايخ والولدان باللمم^{٦١}
 يا جاهلين على الهادي ودعوتِهِ
 هل تجهلون مكانَ الصادِقِ العَلمِ؟^{٦٢}
 لَقَّبْتُمُوهُ أَمِينَ القومِ في صِغَرِ
 وما الأَمِينُ على قولٍ بمتَّهم
 فاق البدورَ، وفاق الأنبياءَ، فكُمُ
 بالخُلُقِ والخَلْقِ مِن حَسَنِ وَمِن عِظَمِ
 جاءَ النبيونَ بالآياتِ، فانصرمت
 وجئتنا بحكيمٍ غير مُنصرَم^{٦٣}
 آيَاتُهُ كَلِّمًا طَالَ المَدَى جُدُّ
 يَزِينُهُنَّ جلالُ العَتِقِ والقِدمِ^{٦٤}
 يكاد في لفظَةٍ منه مشرَّفَةٍ
 يوصيك بالحق، والتقوى، وبالرحم
 يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبَةً
 حديثُكَ الشَّهْدُ عندَ الذائقِ الفَهمِ
 حَلَّيْتَ من عَطَلٍ جِيدَ البَيانِ به
 في كلِّ مُنتَثِرٍ في حَسَنِ مُنتَظِمِ^{٦٥}
 بكلِّ قولٍ كريمٍ أنتَ قائلُهُ
 تُحْيِي القلوبَ، وتُحْيِي مَيِّتَ الهِمَمِ
 سَرَّتْ بِشائِرُ بالهادي ومولِدِهِ
 في الشرق والغرب مَسْرَى النورِ في الظلمِ
 تَخَطَّفَتْ مُهَجَ الطاغينِ من عَرَبِ
 وطَيَّرَتْ أَنفُسَ الباغينِ من عِجَمِ^{٦٦}
 رِيَعَتْ لها شُرْفُ الإيوانِ، فانصدعت
 من صدمةِ الحقِّ، لا من صدمةِ القُدمِ^{٦٧}

أتيت والناس فَوْضَى لا تمرُّ بهم
 إلا على صنم، قد هام في صنم
 والأرض مملوءة جورًا، مُسَخَّرَةٌ
 لكل طاغية في الخلق مُحْتَكِم
 مُسَيِّطِرُ الفرسِ يبغي في رعيته
 وقيصرُ الروم من كِبَرِ أضمِّ عم
 يُعذِّبان عبادَ الله في شُبهه
 ويذبَّحان كما ضحَّيت بالغنم
 والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
 كاللَّيث بالبهَم، أو كالحوتِ بالبلَم^{٦٨}
 أسرى بك الله ليلاً، إذ ملائكُه
 والرُّسُلُ في المسجد الأقصى على قدم^{٦٩}
 لما خطرت به التفؤوا بسيدهم
 كالشُّهبِ بالبدْرِ، أو كالجُندِ بالعلم
 صلَّى وراءك منهم كلُّ ذي خطرٍ
 ومن يَفْزُ بحبيبِ الله يَأْتَم^{٧٠}
 جُبَّتِ السماواتِ أو ما فوقهن بهم
 على منورةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجَمِ^{٧١}
 ركوبة لك من عزٍّ ومن شرفٍ
 لا في الجيادِ، ولا في الأيْنُقِ الرُّسْمِ^{٧٢}
 مَشِيئَةُ الخالقِ الباري، وصنعتُه
 وقدرَةُ الله فوق الشك والتُّهم
 حتى بلغت سماءً لا يُطارُ لها
 على جناحٍ، ولا يُسعى على قدم
 وقيل: كلُّ نبيٍّ عند رتبته
 ويا محمدُ، هذا العرشُ فاستلم

- خَطَطْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا عِلْمَهَا
يا قارئَ اللُّوحِ، بل يا لأمسَ القَلَمِ ٧٣
أَحَطْتَ بَيْنَهُمَا بِالسَّرِّ، وَانكشَفْتَ
لك الخَزَائِنُ مِنْ عِلْمٍ، وَمِنْ حِكْمِ ٧٤
وَضَاعَفَ القُرْبُ مَا قُلِدْتَ مِنْ مَنِّ
بِلا عِدَائٍ، وَمَا طُوِّقْتَ مِنْ نِعَمِ ٧٥
سَلْ عَصَبَةَ الشُّرِكِ حَوْلَ الغَارِ سَائِمَةً
لولا مِطَارِدَةُ المِخْتَارِ لَمْ تُسَمِّ ٧٦
هل أَبصروا الأثرَ الوضَّاءَ، أم سَمِعُوا
هَمْسَ التَّسَابِيحِ وَالقُرْآنِ مِنْ أُمِّ؟ ٧٧
وهل تَمَثَّلَ نَسِجُ العَنكَبوتِ لَهُمْ
كَالغَابِ، وَالحائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرَّخْمِ؟ ٧٨
فأدبروا، وَوَجوهُ الأَرْضِ تَلْعَنُهُمْ
كِباطِلٍ مِنْ جلالِ الحَقِّ مِنْهَزِمِ ٧٩
لولا يَدُ اللهِ بِالجَارِيَنِ ما سَلِمَا
وَعَيْنُهُ حَوْلَ رِكنِ الدِّينِ، لَمْ يَقَمْ ٨٠
تَوَارِيَا بِجَنَاحِ اللهِ، وَاسْتَتَرَا
وَمَنْ يَضُمُّ جَنَاحَ اللهِ لا يُضَمُّ ٨١
يا أَحْمَدَ الخَيْرِ، لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي
وَكَيفَ لا يَتَسَامَى بِالرَّسولِ سِمِي؟ ٨٢
المادِحونَ وَأربابُ الهوى تَبَعُ
لِصاحبِ البُرْدَةِ الفِيحاءِ نِي القَدَمِ ٨٣
مَدِيحُهُ فِيكِ حُبُّ خالِصٍ وَهَوَى
وَصادِقُ الحَبِّ يُملي صادِقُ الكَلِمِ ٨٤
اللهُ يَشْهَدُ أَنِّي لا أَعارِضُهُ
مَنْ نَذا يَعارِضُ صَوْبَ العارِضِ العَرِمِ؟ ٨٥
وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الغابِطِينَ، وَمَنْ
يَغِيبُ وَلِيَّكَ لا يُذَمُّ، وَلا يُلَمُّ ٨٦

هذا مقامٌ من الرحمنِ مُقتَبِسُ
 ترمي مهابته سحبانَ بالبعك^{٨٧}
 البدرُ دونك في حسنٍ وفي شرفٍ
 والبحرُ دونك في خيرٍ وفي كرم
 شُمُّ الجبالِ إذا طاولتها انخفضت
 والأنجمُ الزُّهرُ ما واسمتها تسم^{٨٨}
 والليثُ دونك بأسا عند وثيته
 إذا مشيتَ إلى شاكي السلاحِ كمي^{٨٩}
 تهفو إليك - وإن أدميتَ حبَّتْها
 في الحربِ - أفئدةُ الأبطالِ والبُهْمِ^{٩٠}
 محبَّةُ اللهِ ألقاها، وهيبتُهُ
 على ابنِ أمانةٍ في كلِّ مُصطدَمِ^{٩١}
 كان وجهك تحت النُّقعِ بدرٌ نُجِّي
 يضيئُ مُلتئمًا، أو غيرَ مُلتئمِ^{٩٢}
 بدرٌ تطلَّعَ في بدرٍ، فغرَّتْهُ
 كغرَّةِ النصرِ، تجلو داجي الظلمِ^{٩٣}
 ذُكِرْتَ باليُتَمِّ في القرآنِ تكرمَةً
 وقيمةً اللؤلؤِ المكنونِ في اليُتَمِ^{٩٤}
 الله قسمَ بين الناسِ رزقَهُمُ
 وأنتِ خُيِّرْتَ في الأرزاقِ والقِسَمِ^{٩٥}
 إن قلتَ في الأمرِ: «لا» أو قلتَ فيه: «نعم»
 فخيرَةٌ لله في «لا» منك أو «نعم»
 أخوك عيسى دَعَا مِيئًا، فقام له
 وأنتِ أحييتَ أجيالاً من الزَّمِ
 والجهلِ موتٌ، فإن أوتيتَ مُعجزةً
 فابعتُ من الجهلِ، أو فابعتُ من الرِّجَمِ^{٩٦}
 قالوا: غزوتَ، ورسلُ الله ما بُعثوا
 لقتلِ نفسٍ، ولا جاءوا لسفكِ دم

- جهلٌ، وتضليلٌ أحلامٍ، وسفسطةٌ
 فتحتَ بالسيفِ بعدَ الفتحِ بالقلمِ
 لَمَّا أتى لكَ عفوًا كلُّ ذي حَسَبٍ
 ٩٧ تكفَّلَ السيفُ بالجُهَّالِ والعَمَمِ
 والشرُّ إن تَلَقَّه بالخيرِ ضِقتَ به
 دَرَعًا، وإن تَلَقَّه بالشرِّ يَنحَسِمِ
 سَلِ المَسيحِيَّةَ الغَرَاءَ: كم شربت
 ٩٨ بالصَّابِ من شَهواتِ الظالمِ الغَلِمِ
 طريدةُ الشركِ، يؤذيها، ويوسَعُها
 ٩٩ في كلِّ حينٍ قتالًا ساطعَ الحَدَمِ
 لولا حُماةُ لها هُبُوبًا لنصرتَها
 ١٠٠ بالسيفِ، ما انتفعتُ بالرفقِ والرُّحَمِ
 لولا مكانٌ لعيسى عند مُرسِلِهِ
 ١٠١ وحُرْمَةٌ وجبتُ للروحِ في القِدَمِ
 لَسَمَرَ البَدَنُ الطُّهُرُ الشَريفُ على
 ١٠٢ لَوَحَيْنِ، لم يخشَ مؤذيه، ولم يَجِمِ
 جَلَّ المَسيحُ، وذاقَ الصَّلْبَ شَانئُهُ
 ١٠٣ إن العِقَابَ بقدرِ الذنبِ والجُرْمِ
 أخو النبي، وروحُ اللهِ في نُزُلِ
 ١٠٤ فوقَ السماءِ ودونَ العرشِ مُحترَمِ
 علَّمَتَهُم كلَّ شيءٍ يجهلون به
 ١٠٥ حتى القتالَ وما فيه من الذُّمِ
 دعوتَهُم لِجِهَادٍ فيه سؤدُدُهُم
 والحربُ أَسُّ نظامِ الكونِ والأُممِ
 لولاه لم نرِ للدولِ في زمنِ
 ١٠٦ ما طالَ من عمدٍ، أو قرَّ من دُهمِ
 تلكَ الشواهدُ تَتَرى كلَّ أونةٍ
 ١٠٧ في الأَعصُرِ الغُرِّ، لا في الأَعصُرِ الدُّهمِ

- بالأمس مالت عروشٌ، واعتلت سُرُرٌ
 لولا القذائفُ لم تتلَمَّ، ولم تصم^{١٠٨}
 أشياءُ عيسى أَعَدُّوا كَلَّ قاصِمةً
 ولم نُعدِّ سوى حالاتٍ مُنقِصِمْ^{١٠٩}
 مهما دُعيتَ إلى الهَيْجَاءِ قمتَ لها
 ترمي بأَسَدٍ، ويرمي اللهُ بالرُّجْمِ^{١١٠}
 على لِوَائِكَ منهم كُلُّ مُنتَقِمٍ
 لله، مُستَقْتَلٍ في الله، مُعتزِمِ^{١١١}
 مُسَبِّحٍ للقاءِ اللهِ، مُضطَرِّمِ
 شوقًا، على سابِحِ كالبرقِ مضطَرِمِ^{١١٢}
 لو صادفَ الدهرَ يَبْغِي نَقْلَةً، فرمى
 بعزمِهِ في رحالِ الدَّهْرِ لم يَرَمِ^{١١٣}
 بيضٌ، مَفالِيلُ من فعلِ الحروبِ بهم
 من أُسِيفِ الله، لا الهنديَّةِ الخُذْمِ^{١١٤}
 كم في الترابِ إذا فَتَّشْتَ عن رجلٍ
 مَنْ ماتَ بالعهدِ، أو مَنْ ماتَ بالقَسَمِ^{١١٥}
 لولا مواهبُ في بعضِ الأنامِ لما
 تفاوتَ الناسُ في الأقدارِ والقيَمِ^{١١٦}
 شريعةٌ لك فَجَّرتَ العقولَ بها
 عن زاخِرِ بصنوفِ العلمِ ملتطمِ
 يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرها
 كالحلِيِّ للسيفِ أو كالوشِي للعلمِ^{١١٧}
 غرَاءُ. حامتَ عليها أنفُسٌ، ونُهِيَّ
 وَمَنْ يَجِدُ سَلَسَلًا من حكمةٍ يَحْمِ^{١١٨}
 نورُ السبيلِ يساسِ العالمونَ بها
 تكفَّلْتُ بشبابِ الدَّهْرِ والهَرَمِ^{١١٩}
 يجري الزمانُ وأحكامُ الزمانِ على
 حُكْمِ لها. نافذٍ في الخلقِ، مُرتَسِمِ

- لَمَّا اعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ وَاتَّسَعَتْ
 مَشَتْ مَمَالِكُهُ فِي نَوْرِهَا التَّمِّمِ ١٢٠
 وَعَلِمَتْ أُمَّةٌ بِالْقَفْرِ نَازِلَةً
 رَعِي الْقِيَاصِرِ بَعْدَ الشَّاءِ وَالنَّعَمِ
 كَمْ شَيْدٍ الْمَصِلِحُونَ الْعَامِلُونَ بِهَا
 فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ مُلْكًا بَادِحَ الْعِظَمِ
 لِلْعِلْمِ. وَالْعَدْلِ. وَالتَّمْدِينِ مَا عَزَمُوا
 مِنْ الْأُمُورِ، وَمَا شَدُّوا مِنَ الْحُزْمِ ١٢١
 سَرَعَانَ مَا فَتَحُوا الدُّنْيَا لِمَلَّتْهُمْ
 وَأَنْهَلُوا النَّاسَ مِنْ سَلْسَالِهَا الشَّيْمِ ١٢٢
 سَارُوا عَلَيْهَا هُدَاةَ النَّاسِ، فَهِيَ بِهِمْ
 إِلَى الْفَلَاحِ طَرِيقٌ وَاضِحُ الْعِظَمِ ١٢٣
 لَا يَهْدِيهِمُ الدَّهْرُ رُكْنًا شَادَ عَدْلُهُمْ
 وَحَائِطُ الْبَغْيِ إِنْ تَلَمَّسَهُ يَنْهَدِيهِمْ
 نَالُوا السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ، وَاجْتَمَعُوا
 عَلَى عَمِيمٍ مِنَ الرِّضْوَانِ مَقْتَسَمِ
 دَعُ عَنْكَ رُومًا، وَأَثِينَا، وَمَا حَوَاتَا
 كُلُّ الْيَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ وَالنُّوْمِ ١٢٤
 وَخَلَّ كِسْرَى، وَإِيوَانًا يَدُلُّ بِهِ
 هَوَى عَلَى أَثْرِ النِّيْرَانِ وَالْأَيْمِ ١٢٥
 وَأَتْرُكُ رَعْمَسِيْسَ، إِنْ الْمَلِكُ مَظْهَرُهُ
 فِي نَهْضَةِ الْعَدْلِ، لَا فِي نَهْضَةِ الْهَرَمِ ١٢٦
 دَارُ الشَّرَائِعِ رُومًا كَلَّمَا ذُكِرَتْ
 دَارُ السَّلَامِ لَهَا أَلْقَتْ يَدَ السَّلَامِ ١٢٧
 مَا ضَارَعَتْهَا بَيَانًا عِنْدَ مُلْتَأَمِ
 وَلَا حَكَّتْهَا قِضَاءً عِنْدَ مُخْتَصِمِ ١٢٨
 وَلَا احْتَوَتْ فِي طِرَازٍ مِنْ قِيَاصِرِهَا
 عَلَى رَشِيدٍ، وَمَأْمُونٍ، وَمُعْتَصِمِ ١٢٩

- من الذين إذا سارت كتائبهم
تصرّفوا بحدود الأرض والتّخّم^{١٣٠}
ويجلسون إلى علمٍ ومعرفةٍ
فلا يُدأنون في عقل ولا فهم
يُطأطئ العلماء الهام إن نَبَسوا
من هيبة العلم، لا من هيبة الحُكم
ويمطّرون، فما بالأرض من محلٍ
ولا بمنّ بات فوق الأرض من عُدُم^{١٣١}
خلائفُ الله جلّوا عن موازنةٍ
فلا تقيسنّ أملاك الورى بهم^{١٣٢}
من في البرية كالفاروق معدلة؟
وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم؟^{١٣٣}
وكالإمام إذا ما فُضّ مزدحمًا
بمدمع في مآقي القوم مزدحم^{١٣٤}
الزاخر العذب في علم وفي أدبٍ
والناصر النَّدب في حرب وفي سلم؟^{١٣٥}
أو كابن عفّان والقرآن في يده
يحنو عليه كما تحنو على الفُطم^{١٣٦}
ويجمع الآي ترتيبًا وينظّمها
عقدًا بجيد الليالي غير منقصم^{١٣٧}
جرحان في كبد الإسلام ما التأمَا
جُرْحُ الشهيد، وجرْحُ بالكتاب دمي^{١٣٨}
وما بلاء أبي بكر بمتّهم
بعد الجلائل في الأفعال والخدم
بالحزم والعزم حاطّ الدّين في محنٍ
أضلّت الحلم من كهلٍ ومحتلم^{١٣٩}
وجدّن بالراشد الفاروق عن رشدي
في الموت، وهو يقينٌ غير منبهم^{١٤٠}

الشوقيات

يجادلُ القومَ مُستَلاً مهَنَدَه
في أعظم الرسلِ قدرًا، كيف لم يدم؟
لا تعذلوهُ إذا طافَ الذهولُ به
مات الحبيبُ، فضلَ الصَّبِّ عن رَغَم

يا ربَّ صلِّ وسلِّم ما أردتَ على
نزيلِ عرشِك خيرِ الرسلِ كلِّهم
مُحيي الليالي صلاةً، لا يقطُّعُها
إلَّا بدمعٍ من الإشفاقِ مُنسجم
مسبِّحًا لك جُنحَ الليلِ، محتملاً
ضُرًّا من السُّهدِ، أو ضُرًّا من الورَم
رضيَّةً نفسُه، لا تشتكي سأمًا
وما مع الحبِّ إن أخلصتِ من سأم
وصلِّ ربِّي على آلٍ له نُخبٍ
جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحرم^{١٤١}
بيضُ الوجوه، ووجهُ الدهرِ ذو حَلَكِ
شُمُّ الأنوفِ، وأنفُ الحادثاتِ حمي^{١٤٢}
وأهدِ خيرَ صلاةٍ منك أربعةً
في الصَّحبِ، صُحبتُهم مرعيَّةُ الحُرَمِ
الراكبينِ إذا نادى النبيُّ بهم
ما هال من جَلَلٍ، واشتدَّ من عَمَمِ^{١٤٣}
الصابرينِ ونفسُ الأرضِ واجفةً
الضاحكينِ إلى الأخطارِ والقُحَمِ^{١٤٤}
يا ربِّ، هبَّتْ شعوبٌ من منيَّتها
واستيقظتِ أممٌ من رُقْدَةِ العدمِ
سعدٌ، ونحسٌ، ومُلكٌ أنت مالِكُه
تُدِيلُ مِنْ نِعَمٍ فيه، ومِنْ نِقَمِ

رأى قضاؤك فينا رأيَ حكمته
أكرم بوجهك من قاضٍ ومنتقم
فالتطفُّ لأجلِ رسولِ العالمين بنا
ولا تزُدْ قومَه خسفًا، ولا تُسم
يا ربِّ. أحسنتِ بدءَ المسلمين به
فتممَّ الفضلَ. وامنحْ حُسنَ مُختتمِّ^{١٤٥}

هوامش

- (١) الرئم (بالحمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء): الظبي الخالص البياض. والقاع: الأرض السهلة المطمئنة. والبان: جمع بانه، ضرب من الشجر. والعلم: الجبل. والأشهر الحرم: أربعة، ثلاثة متتابعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب، وكانت العرب لا تستحلُّ فيها القتال، وفي الشطر الثاني طباق بين قوله «أحلَّ» وقوله «الحرم»، ولا يذهب عن القارئ ما في البيت من براعة الاستهلال.
- (٢) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. والأجم: جمع أجمة وهي الشجر الكثير الملتف، وهو مسكن الأسد، يريد بالجؤذر: المحبوبة التي شبهها في البيت السابق «بالريم» تشبيهاً لها بالجؤذر في جمال عينيه واتساعهما. ويريد «بالأسد»: نفسه. وفي الشطر الثاني يستغيث بالمقتول للقاتل — لا منه — ويستنجد للأسد بالغزال، وهو بديع.
- (٣) رنا: أدام النظر مع سكون الطرف. ويا ويح: كلمة تقال لمن وقع في الشدة والمكروه، يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه.
- (٤) جحدثها: الجحود هو الإنكار مع العلم.
- (٥) الشيم: جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة.
- (٦) شَفَّه الوجد: أهزله وانحل جسمه.
- (٧) انتصت: سكت سكوت مستمع. وفي الشطر الثاني من البيت طباق بين قوله: «منتصت»، وقوله: «في صمم».
- (٨) الناعس: الوسنان. والطرف (بالفتح): العين. والمضنى: الذي أثقله المرض. ومضناك: الذي أضنيته بما لحقه من الوله عليك. وفي الشطر الثاني طباق بين قوله: «أسهرت»، وقوله: «فنم».
- (٩) الأولو: هنا بمعنى المنع والتقصير. وأغراه بالشيء: زيَّنه له وحرصه عليه.

- (١٠) السرى: المشي في الليل. وأسا الجرح يأسوه: داواه.
- (١١) الموائس: جمع مائسة وهي المتبخرة. والبان: ضرب من الشجر، واحدها: بانه، يشبه القوام بأغصانها للدونتها. والقنا: جمع قناة وهي الرمح. وسفح الدم: سفكه وأساله.
- (١٢) يقال: سفرت المرأة: أي كشفت عن وجهها. والحلي: ما تزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة. والعصم: القلائد، جمع عصمة كعنب وعنبة.
- (١٣) العثرة: الزلة والسقطة. وأقاله من عثرته: أنهضه منها. والدل: قريب المعنى من الهدى، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. والرسم: حسن المشي.
- (١٤) الضرم: اشتعال النار.
- (١٥) اللواء: العلم، وحمل لواء الحسن: كناية عن نهاية الحسن فيه.
- (١٦) العصم: جمع أعصم، الذي فيه العصمة (بالضم)، وهي بياض اليدين، والعصماء من المعز: البيضاء الذراعين وسائرهما أسود أو أحمر، وحرَّك الصاد إتيابًا لحركة العين قبلها.
- (١٧) يرعن: يخفن. والعنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة. وفي البيت جناس بين قوله: «أشرن»، وقوله: «أسرن».
- (١٨) وضع الخد: هنا كناية عن الخضوع والاستسلام. والكنس (بضمّتين): جمع كناس وهو مستقرُّ الظباء في الشجر. والأكم: جمع أكمة وهي الموضع يكون أشدُّ ارتفاعًا مما حوله.
- (١٩) اللبد: جمع لبدة وهي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد. والغاب: جمع غابة وهي الشجر المتكاثف. والأطم: القصر، وكل حصن مبني بالحجارة.
- (٢٠) عن الشيء: بان وظهر. والمنايا: جمع المنية وهي الموت. يريد بـ «المنى»: محبوبته أو لقائها، وبـ «المنايا» أباهما أو لقاءه، مبالغة. ومضرب الخيم: المكان الذي تضرب فيه وتقام؛ أي حيث تنزل تلك المحبوبة في جوار أبيها. وفي البيت جناس.
- (٢١) الصمصامة: السيف. والضرغامة: الأسد. والقرم: شديد الشهوة إلى اللحم، وهنا كناية عن شدة البأس والافتراس. وأراد بـ «الغصن» و «الريم» معشوقته، وبـ «الصمصامة» و «الضرغامة» أباهما. يتعجب كيف يولد لمثل هذا الرجل، الشبيه بالسيف في صلابته ومضائه، مثل هذه المعشوقة، التي هي كالغصن في اللدونة ولطف التثني؟!

وأيضاً كيف يكون لمن يشبه الأسد في قوته وسطوته وبأسه، مثل هذه التي تشبه الغزال في رفته وضعفه؟!

(٢٢) العفة العذرية: نسبة لقبيلة بني عذرة، اشتهر شبابها بالعشق والعفاف. والعصم: جمع عصمة وهي المنع والحفظ.

(٢٣) غشي المكان: وافاه. والمغنى: المنزل الذي غني به أهله. والكرى: النوم. وإرم: هي إرم ذات العماد. التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

(٢٤) المبتسم: بمعنى المصدر أي الابتسام، ويجوز أن يراد به الموضع أي الثغر، والإضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف.

(٢٥) الرقشاء من الحيئات: المنقطة بالسواد والبياض. وأذى الرقشاء: سُمها. والثرم: كسر السن من أصلها.

(٢٦) أرملت المرأة: إذا مات عنها زوجها. وآمت المرأة تئيم، والأيم: التي لا زوج لها، سواءً أكانت بكرًا أم كان لها زوج فقدته.

(٢٧) الأدم: الجلد، يقول: مع أن حالها وحال الناس ما ذكرنا، فإن إساءتها ما تنتهي، حتى أن آدم (عليه السلام) لا ينسى كيدها إلى آخر الزمان. وفي البيت جناس بين آدم والأدم.

(٢٨) الجنى: ما يُجْتَنَى من الشجرة ويُقَطَّف من ثمرها.

(٢٩) يريد بالنائم: المغترُّ بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها.

(٣٠) الوصم (بالتحريك): الألم والمرض، يقال: وصمته الحمى فتوصم أي آلمته فتألم.

(٣١) الصاب: جمع صابة وهو شجر مرٌّ، والعلقم، والحنظل. ويسم: من سام يسوم أي رعى يرعى.

(٣٢) دها: أي دهاها. اللمم: جمع لمة وهي الشعر يجاوز شحمة الأذن. مسوِّدة الصحف: كناية عن العمل السيئ. ومبيضة اللمم: الشيب، والإضافة فيها من إضافة الصفة للموصوف.

(٣٣) ركضتها: أصل الركض تحريك الرُّجُل، ويقال: ركضت الفرس برجلي إذا استحثته ليعدو، والمراد هنا مجرد إطلاق النفس وإرسالها في طريق غوايتها، وفيه تشبيه النفس بالسائمة تشبيهاً مضمراً في النفس على سبيل الاستعارة المكنية. والمريع: الخصيب. ومريع المعصيات: من إضافة المشبه به للمشبه، أي المعصيات التي هي شبيهة

بالمرعى المريع تستطيه الدابة؛ ففيه تشبيه ضمني لَمَنْ يرسل نفسه في المعاصي بالبهيم الذي يستطيب المرعى ويسترسل فيه. وحمية الطاعات: كذلك من إضافة المشبه به للمشبه، أي الطاعات التي شبيهة بالحمية، وفيها أيضاً تشبيه ضمني لَمَنْ يتعفف عن مساورة المعاصي بَمَنْ يمسك نفسه أن ينال ما يهيضه من ألوان الطعام.. والتخم: جمع تخمة، قيل: هي فساد الطعام بالمعدة، وقيل: فساد المعدة بالطعام. وقوله «التخم» أي للتحرُّز عن التخم.

(٣٤) هامت الناقة على وجهها: ذهبت ترعى. وداعي الصبا: اللهو والشباب.

(٣٥) المرتع: من رتعت الماشية ترتع رتوعاً أي أكلت ما شاءت. والمرتع: موضع

الرتوع. والوخم: الرديء الوبي.

(٣٦) الشكم: جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في لجام الفرس.

(٣٧) عصمة الله العبد: حفظه مما يوبقه ويهلكه، والمعتصم: الموضع منها، أو

بمعنى المصدر أي الاعتصام.

(٣٨) الغمم: جمع غمة وهي الهمُّ والحزن. والمجير: هنا بمعنى المنقذ. إذا عَزَّ المجير:

أي يوم القيامة. ومفرج الكرب في الدارين: هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه؛ لأنه أخرج في الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية، وهو في الآخرة صاحب الشفاعة العظمى.

(٣٩) الأُمم: اليسير. وخفض جناح الذلِّ: كناية عن شدة التواضع والانكسار.

(٤٠) العبرة: تحلب الدمع.

(٤١) أمير الأنبياء: هو محمد ﷺ. ولزوم بابه: كناية عن الالتجاء إلى كرمه، وعدم

الانحراف عن التوسُّل به في قضاء الطلبات.

(٤٢) العارفة: المعروف.

(٤٣) اللحم: جمع لحمة وهي القرابة.

(٤٤) يزري: يعيب. والقريض: الشعر. وزهير: هو زهير بن أبي سلمى المزني، كان

سيداً، غنياً في الجاهلية، معروفاً بالحلم والحكمة، شاعراً فحلاً. وهرم (بكسر الراء): هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المُرِّي، مدح زهير هرمًا فأحسن، ووصله هرم فأجزل الصلة وبالغ في العطاء.

(٤٥) النسم: جمع نسمة وهي النفس، أو هي الإنسان

(٤٦) وجبريل الأمين ظمي: الملائكة لا تظماً، فلعل مراده بالظماً هنا لازمه وهو الطلب أي للناس، بمعنى أن حاله تقتضي ذلك إشفاقاً على حالها، لِمَا يرهقهم من شدّة الظماً وحرّج الموقف.

(٤٧) سناؤه: رفعتة. وسناه: نوره. والعلم: هنا بمعنى العالم.

(٤٨) السؤدد: السيادة. والباذخ: العالي. والسنم (ككتف). المرتفع. وأبوته: أي ذوو

أبوته، والأبوة: المعنى المأخوذ من الأب كالأخوة والبنوة.

(٤٩) نموا: نسبوا.

(٥٠) السبحات (بضمتين): مواضع السجود. سبحات وجه الله: أنواره.

(٥١) السيم: كعلب، جمع سيمة وهي العلامة. وبحيرا (بفتح الباء وكسر الحاء):

الراهب النصراني المشهور.

(٥٢) حراء: جبل بمكة فيه غار كان يتعبّد فيه النبي ﷺ قبل الرسالة. وروح

القدس: جبريل (عليه السلام)، والإضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف، أي الروح

القدس، والقدس: الطهر. ومصون سرّ: من إضافة الصفة للموصوف أي السرّ المصون.

وقوله «منكتم»: وصف مؤكّد للسرّ المصون، لأن السرّ لا يكون إلا كذلك: وتنكير «سرّ» للتعظيم.

(٥٣) البطحاء: المسيل الواسع فيه دقاق الحصى. والغسم: الإمساء وظلمة الليل.

الإصباح والغسم: أي من كل مرة كان يطلب فيها النبي ﷺ حراء لا كل صباح وكل

غسم، فإنه ﷺ كان يتزوّد، فيقيم في حراء الليالي والأيام.

(٥٤) ابن عبد الله: هو النبي ﷺ. والحشم: الخدم الخاصون بمولاهم. والوحشة:

الخلوة والهّم، والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس.

(٥٥) مهبطه: هنا بمعنى هبوطه

(٥٦) التسنيم: ماء بالجنة يجري فوق الغرف، وسنم الإناء تسنيماً: فكأنه أراد

بالسنم هنا الإناء المملوء. والأحاديث الواردة في نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة.

(٥٧) الديم: جمع ديمة وهي المطر الدائم.

(٥٨) القعائد: جمع قعيدة، وقعائد الدين: ملازموه من متنسكة النصارى. والقمم:

جمع قمة وهي أعلى الرأس من كل شيء، والمراد بها هنا أعالي الجبل.

(٥٩) أذن للرحمن: أي دعا إلى الله. وقوله «من قدسية النغم»: ترشيح لتشبيه

الدعاء إلى الله تعالى بالصوت الجميل. وقدسية النغم: المطهرة المنزهة عن تطريب

الغناء بتكبير الألفاظ واعتصار الحناجر وإيقاع الأصوات.

(٦٠) فلا تسل: يعني أن الأمر واضح غني عن السؤال، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه: لا تسأل. العلم: الجبل.

(٦١) ألم: نزل. واللحم (محرّكة): الجنون، والمعنى أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذي نزل بهم، وهو أن يقوم رجل ليس له ما لهم من البأس والمنعة يزعجهم عما كان يعبد آباؤهم — وهم سادات قريش وجباهاها — ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم وأخلاقهم المغرورة فيهم، دهشوا لهذا واستعظموه، حتى جُنَّ منه شبيبهم وشبابهم.

(٦٢) العلم: الظاهر المشتهر. والجاهلون على الهادي: المتعنتون، والاستفهام في قوله «هل تجهلون»: استنكاري.

(٦٣) انصرفت: انقطعت. منصرف: منقطع. الحكيم: القرآن، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم في مواضع منه.

(٦٤) جدد: جمع جديد كسرر وسرير.

(٦٥) يقال: عطلت المرأة عطلاً إذا لم يكن عليها حلي.

(٦٦) مهج: جمع مهجة وهي دمُّ القلب.

(٦٧) ريعت: دُعِرت وخافت. وشُرف: جمع شرفة وهي ما يوضع على القصور ونحوها. والقدم: جمع قدوم، روي أن شُرفَ الإيوان — وهو مأوى سلطان الأكاسرة — ارتجّت وهوت ليلة مولده ﷺ، لم تعمل فيها المعاول ولم تهدمها القدم، بل تداعت من صدمة الحق.

(٦٨) البهم: جمع بهمة وهي ولد الضأن والمعز. والبلم: صغار السمك.

(٦٩) المسجد الأقصى: بيت المقدس. وعلى قدم: قائمون محتشدون.

(٧٠) نبي خطر: نبي قدرة ومنزلة. ويأتمم: أي يأتّم، والأصل: ومَنْ يأتّم بحبيب الله يفز، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز.

(٧١) بهم: أي بملابسة بعضهم فيها، فإنه ورد أنه مر ببعضهم في السموات كما هو المتبادر من قوله إنهم صاحبه حين جاب السموات. ويريد بقوله «منورة درية اللجم»: البراق.

(٧٢) «من» في قوله «من عز ومن شرف»: للتعليل، أي لأجل عرك وشرفك. والأينق الرسم: النوق الشديدة الوطاء لقوتها، حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثار ظاهرة. والرسم: واحدها رسوم. والجياد: جمع جواد وهو الفرس الرائع البين الجودة.

- (٧٣) خطه علوم الدين والدنيا: كناية عن تعليمها الناس وبثها فيهم. وقراءة اللوح ولس القلم: كناية عن اطلاع الله له على ما أطلعة عليه من الغيوب.
- (٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنه انه ﷺ قال: «علمني ربي ليلة الإسراء علوما شتى: علم أخذ على كتفائه، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني بتبليغيه»
- (٧٥) يجوز أن يكون «القرب» فاعلا لـ «ضاعف»، و«ما» وما بعدها مفعولا به، والمعنى أن قربه من الله تعالى قد أربى على جميع ما وليه ﷺ من النعم التي لا يدركها العد، فكانت بإضافة القرب غلبها أضعاف ما كانت قبله، ويجوز أن يكون مفعولا، والفاعل «ما» وما بعدها، والمعنى أن ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التي لا تعد وأولاه من الفضائل التي لا تحصى قد زاد قربه، لأنه قرب على قرب، والأول أولى.
- (٧٦) عصابة الشرك: أي عصابة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلّبونه ﷺ يوم هجرته. والغار: كالثقب بجبل أسفل مكة. سائمة: راعية.
- (٧٧) مَنْ أُمَّم: مَنْ قَرِبَ.
- (٧٨) الغاب: الشجر الكثير المتكاثف. والحائثات الزُّغب: الحمام. والرخم: جمع رخمة وهي طائر على شكل النسر إلا أنه منقط السواد والبياض.
- (٧٩) شَبَّهُ إِدْبَارَهُمْ وَنُكُوصَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ خَائِبِينَ بَدْمَغِ الْبَاطِلِ وَإِدْحَاضَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. ونسبة اللعن لوجوه الأرض مجاز عقلي، واللاعن: مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَلَائِكَةِ، أَوْ الْمَرَادُ وَجُوهُ أَهْلِهَا أَيْ أَعْيَانُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ.
- (٨٠) الجاران: الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق (رضى الله عنه). والمراد باليد: النعمة. وعينه: عنايته، وحرف الشرط مقدر في الجملة الثانية.
- (٨١) جناح الله: لطفه وستره. ويضم: يلحق به الضيم.
- (٨٢) من أسمائه ﷺ أحمد، وقد سُمِّيَ الشاعر به تيمناً باسم الرسول الأكرم. ويتسامى: يتعالى، والاستفهام في البيت إنكاري.
- (٨٣) تبع: أخبر بالمصدر مبالغة، وأفرده لأنه يستوي فيه الواحد والجمع، أو على تقدير مضاف، أي ذو تبع، أي مقتدون به. والقدم: التقدّم والمنزلة. وصاحب البردة: هو الإمام البوصيري.
- (٨٤) مديحة حب: أي ناشئ من الحب، أو ذو حب أي دال عليه.
- (٨٥) الصوب: الانصباب، ومجيء السماء بالمطر. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والعرم: يريد المطر الشديد.

- (٨٦) الغابط: الذي يتمنى مثل ما للغير، وليس هذا القدر بمذموم. ويذم: يذم.
 (٨٧) البكم: الخرس. وسحبان: هو سحبان وائل من بني باهلة، كان يُضْرَبُ بفصاحته المثل.
- (٨٨) يقال: واسمه في الحسن فوسمه أي غلبه فيه. انخفاض الجبال: كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره ﷺ وعلو شأنه.
- (٨٩) الكمي: لابس السلاح.
- (٩٠) تهفو هفا الطبي في المشي يهفو هفواً وهفواناً: أسرع وخفَّ فيه، والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها إليه ﷺ. وحبَّة القلب: سويداؤه. والمبهم: جمع بهمة وهو الشجاع.
- (٩١) مصطدم: بمعنى المصدر أي الاصطدام، أو الموضع أي موضع الاصطدام وهو ميدان الحرب.
- (٩٢) النقع: غبار الحرب.
- (٩٣) بدر: موضع بين الحرمين الشريفين، وفيه كانت الغزوة المشهورة التي دمع الله فيها الشرك وأعزَّ الإسلام.
- (٩٤) اليتم في الناس: فقدان الأب، وهو في الأشياء: التفرُّد وعدم وجود نظائر لها. واللؤلؤة اليتيمة: التي لا نظير لها في العقد. دُكِرَت باليتم في القرآن: يشير إلى قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، وحرك التاء إتباعاً لحركة الياء قبلها في قوله «اليتم»، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل.
- (٩٥) روى الترمذى عنه ﷺ أنه قال: «عرض عليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً».
- (٩٦) والجهل موت: كالترشيح للاستعارة في البيت السابق، وهو تشبيهه بليخ وأوتيت: خطاب لغير معين. والرجم: القبر.
- (٩٧) العمم: اسم جمع للعامّة.
- (٩٨) الغلم: الهائج الثائر.
- (٩٩) الحدم (بالتحريك): شدة احتراق النار.
- (١٠٠) الرُّحم: الرقة والمغفرة والتعطف. لم يكن استعمال القوة في إقامة الدعوة للدين شأن الدين الإسلامي وحده، وهذه الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهينة والسلام. لم تبدأ الدعوة إليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم، من الطرد والقتل والتعذيب

والتشريد والتمثيل، بأيدي الجبابرة الطغاة من الملوك والقيصرة، بل بأيدي الشعوب والأمم، وتاريخ المسيحية بين أهل رومية مما تشيب له الولدان، فترى الدين المسيحي دين الرهينة والسلام ما دخل البلاد إلا على رعوس الأسنة، ولا حُمل إلى الأمم إلا على السيوف.

(١٠١) المكان: المكانة بمعنى القرب وارتفاع المنزلة؛ لأن الله تعالى منزّه عن المكان والجهة. ووجبت: ثبتت له من القدم؛ لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها أزلاً فصارت واجبة، بمعنى أنها لم تتخلف أبداً، والخير محذوف في قوله «مكان» و«حرمة»: أي ثابتان.

(١٠٢) لسمر: جواب الشرط في البيت السابق. والظهر: الطاهر من أدران المعاصي، ووصف بالمصدر مبالغة. واللوحان: الصليب الذي أُعدَّ له (عليه السلام). والمراد بالتسمير الصلب. لم يجم: لم يفزع.

(١٠٣) جلَّ المسيح: تنزّه عما رماه به اليهود من كاذب التُّهم وباطل الأقاويل، وعما زعموا من أنهم صلبوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وشانته: مبعضه. وحرَّك الرءاء في قوله «والجرم» إتباعاً لحركة الجيم قبلها.

(١٠٤) أخو النبي: أي في الرسالة. روح الله: أي روح منه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ وَسُمِّيَ رُوحًا لِإِحْيَائِهِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، ولأنه نفخة من جبريل، قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا﴾، ونسبة النفخ إلى الله تعالى مجاز، و«من» في الآية للابتداء. فوق السماء: أي السماء الدنيا. محترم: صفة لقول «نزل» بضميتين، وهو في الأصل المنزل، وما هبئ للضيف أن ينزل عليه.

(١٠٥) الذمم: جمع ذمّة، وهي العهد والأمان، والحق.

(١٠٦) عمد: جمع عمود. وقرّ: ثبت ودعم، جمع دعام وهو عماد البيت، والدعم هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك، ويرتفع به شأن الأمم.

(١٠٧) الغرّ: جمع أعرّ: صفة لذى الغرّة، وهي بياض في الجبهة، والأعصر الغرّ: التي ساد فيها العلم وعمّت أسباب العدل. الدُّهم: المظلمة التي شاع في أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم.

ما زالت الغلبة للقوة، ولا زالت معتمد الدول ومستند الأمم، في رفع عماد الملك، وتثبيت دعامة الحكم، استوت في ذلك الأزمان السالفة التي يظنونها أزمان تأخر وتقهرق، والأيام الحاضرة التي يزعمونها أيام تقدّم وتنوّر. وفي البيت الطباق.

(١٠٨) اعتلت: علت.

(١٠٩) قاصمة: كاسرة: ومنقصم: منكسر. في هذا البيت مقارنة بين أهل الديانة المسيحية، وأهل الديانة الإسلامية، فذكر أن المتشيعين اليوم إلى الدين المسيحي «دين الهدوء والسلام» هم أهل القوة الحربية، الدائبون على إعداد المهلكات في الحروب، حتى كأنهم أصبحوا، ولم يبق لهم من شغل يشغلهم، إلا استخراج الذهب من بطون الأرض، وإنفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لطبع آلات الحرب في طول الأرض وعرض البحر، وقد افتنوا في أسباب الإهلاك والتدمير، ولم يكفهم أن يدمموا على الناس، ويأخذوهم بالبلاء عن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم، حتى قاموا على تسخير الرياح، ليرموهم من فوق رؤوسهم بكل دهياء، على حين أن أهل الديانة الإسلامية، الذين يتهمهم الظالمون بحبّ الفتح والجهاد ويشنون سمعتهم بحبّ الطعن والجلاد، والولوع في دماء العباد، هم القوم أهل السكينة والسلام، وهيهات أن يدانوا أهل الديانة المسيحية في حبّ الفتوح والحروب، أو يشاكلوهم في ادخار آلات الحرب واستعداد معدات الكفاح.

(١١٠) الهيجاء: الحرب. الرجم: النجوم التي يرمي بها. رجع إلى خطابه ﷺ وشبهه أصحابه بالأسود؛ لما لهم من شجاعتهم وبأسهم. ورميه بهم: كناية عن ندبه إيّاهم للجهاد، وتقديمهم إلى مواطن الطعن والجلاد. والرمي بالرّجم يكون للشياطين؛ ففيه استعارة مكنية، أي أنهم كالشياطين يرمون بالرّجم.

(١١١) على لوائك: أي منضوٍ تحت لوائك. استعارة العلو للتحية استعارة تمليلية.

(١١٢) الاضطرام: توقّد النار وتأججها. سابح: جواد، شبه حميتهم ونشاطهم في الحرب وجولاتهم فيها باضطرام النار: وهو توقّدها، وتأججها، وأخذها يميناً وشمالاً، واستعار الاضطرام لذلك المعنى، ثم اشتق منه مضطرم، على سبيل التبعية.

(١١٣) يبغى: يريد. وشبه العزم بالسهم، بجامع المضاء والنفوذ في كل وشبه الدهر بنى رحال، بجامع التحول في كل، وحذف المشبه به، ورمز إليه بلازمه — وهو الرحال — على طريقة الاستعارة المكنية — لم يرم: لم ينتقل ولم يتحول.

(١١٤) مفاليل: الفل الثلم في السيف. والهندية: نسبة إلى الهند كانت مشتهرة بطبع السيوف. والخزم: جمع خزم، ككتف السيف القاطع. بيض: أي سيوف بيض. شبههم بالسيوف لإزهاقهم نفوس الأعداء وهو تشبيه بليغ. ومفاليل ترشيح للتشبيه بالسيوف.

(١١٥) بالعهد: أي احتفاظاً بما عاهدوا الله ورسوله عليه من نصرته للرسول. من: تفصيل الحال الرجل، أو تفصيل لمعنى «كم».

(١١٦) أشار في هذا البيت إلى أن ما ناله أصحاب الرسول ﷺ، من الفوز بالسعادة، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى، إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل، والبلاء في نصرة الدين، وتعرضهم للقتل والطعن في سبيل الله تعالى، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس، ولا عدت درجاتهم منزلة غيرهم من العالمين.

(١١٧) الوشى: النقش.

(١١٨) حامت: عطفت ومالت. ونهى: جمع نهيّة وهي العقل. والسلسل: الماء العذب.

(١١٩) نور السبيل: لأنها يهتدى بها إلى غاية النجاح والفلاح في الدنيا، والفوز والسعادة في الآخرة. وشباب الدهر والهرم: كناية عن أوّله وآخره، أو عن حالتي إقباله وإدباره. وتكفلها بشباب الدهر.. إلخ: أي تكفلها بما يعلي أهلها، ويصلح من شأنهم على كل حال من الأحوال، بلا تغيير في أحكامها ولا تبديل لنصوصها.

(١٢٠) التتم: التام.

(١٢١) الحزم: جمع حزام.

(١٢٢) سرعان: اسم فعل، يستعمل خبرًا محضًا، وخبرًا فيه معنى التعجب يقال: سرعان ما فعل كذا: أي ما أسرعه. والنهل: أوّل الشرب، تقول: أنهلت الإبل إذا شربت من أوّل الورد. والسلسال: الماء العذب. والشيم: البارد.

(١٢٣) ساروا عليها: أخذوا بها وجروا على أحكامها. هداة الناس: أي حالة كونهم هادين للناس. فهي: أي الملة بهم: أي بسبب قيامهم بها ونشرهم لها.

(١٢٤) روما: هي المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم، قاعدة لمملكة إيطاليا، وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة. وأتينا: قاعدة مملكة اليونان الآن، وكانت من أكبر مدن الأمة اليونانية في العصور السابقة. وبغداد: قاعدة الخلافة الإسلامية في دولة بني العباس، والتوم: جمع تومة، وهي الحبة من الفضة تُعمل على شكل الدرّة.

(١٢٥) كسرى: لقب لكل من يلي ملك فارس. والنيران: لعله يريد بها نيران فارس، التي خبت ليلة مولد النبي ﷺ، وكان ذلك أيام كسرى أنوشروان. والأيم: الدخان.

(١٢٦) الهرم: الأهرام في مصر كثيرة وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة. وأكبرها أشهرها وأعجبها، حتى إذا ذُكرَ لفظ الهرم صُرفَ إليه، ورمسيس اسم بعض الفراعنة «ملوك مصر القدماء»، وقد تسمّى بهذا الاسم غير واحد منهم، ولعل الشاعر يريد أولئك الفراعين — على الجملة — الذين ينتسب مجدهم إلى مثل هذا العمل الخطير، وإن كان باني الهرم ليس رمسيس بعينه.

(١٢٧) دار السلام: بغداد. والسلم: التسليم.

(١٢٨) ملتأم: مجتمع. مختصم: بمعنى المصدر: أي اختصام. كما اشتهرت (روما)

بقضائها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها، وكان من عادة الرومانيين أنهم إذا نزل بهم الأمر العظيم، نفروا إلى بعض أماكنهم العامة، فخطبهم الخطباء، وأنشدهم الشعراء، الذين كان لفصاحة ألسنتهم في الناس تأثير عجيب، ومع هذا فما دانوا في قضائهم شأو بغداد، التي كان يُقضى فيها بدين الله، وهو أجلُّ من أن يقاس به غيره، ويوازن به ما سواه، ولا بلغوا في فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية، الذين قالوا في كل باب، فهزُّوا النفوس وخببوا الألباب.

(١٢٩) الطراز: علم الثوب، والجيد من كل شيء. ولا احتوت على رشيد. إلخ، أي

على أمثالهم في الفضل والعدل والحزم. ورشيد: هو هارون الرشيد. ومأمون: هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور. ومعتصم: هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولي الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون.

(١٣٠) الكتائب: جمع كتيبة. وهي الجيش. والتخم، كعنق: جمع تخوم وهي

الفواصل بين الأرضين من معالم الحدود.

(١٣١) المحل: الجذب. والعدم: فقدان المال.

(١٣٢) خلائف الله: هذا قول مستأنف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتأخرين

وذكر الخلفاء الراشدين بعده من ذكر الخاص بعد العام؛ اهتماماً بشأنهم، وورعه، وتشبه بهم، واقتدائه في عبد العزيز (رضى الله عنه)، لشدة فضله وورعه، وتشبهه بهم. واقتدائه في حكومته بحكومتهم، فكان حقيقاً أن يذكر فيهم، ويلحق بهم.

(١٣٣) المعدلة: العدل.

(١٣٤) الإمام: هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ومآقي العيون: أطرافها

مما يلي الأنوف، وهي مجاري الدمع.

(١٣٥) يقال: رجل ندب، أي خفيف في الحاجة سريع ظريف نجيب.

(١٣٦) بن عفان: هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضى الله عنه). والفظم: جمع

فطيم، وهو الصبى المفصول عن الرضاع.

(١٣٧) وجرح بالكتاب دمي: أي وجرح دمي به الكتاب، وقلب للمبالغة. وذلك أن

قتلة عثمان (رضى الله عنه) دخلوا عليه الدار، وخطبوه بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجره، وهو يقرأ فيه؛ فوقع المصحف من يده وسال الدمُّ عليه.

(١٣٨) يشير إلى حروب الردّة بعد وفاة النبي ﷺ، وانتصاره على المرتدّين.

(١٣٩) يقول: ما ظنك بتلك المحن التي تنحرف بعمر (رضى الله عنه) عن الرشد

وله ما تعلم من كمال الرشد، ووفور العقل، وصدق اليقين، وتذهله عن إدراك أمر من أظهر البديهيّات لديه، هو أن يدرك الموت رسول الله ﷺ.

(١٤٠) وذلك أنه لما قبض رسول الله ﷺ، وقال الناس: مات رسول الله، أسرع عمر

إلى سيفه وتوعدّ مَنْ يقول ذلك، وقال إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم، فلمّا حضر ابو بكر، وأخبر الخبر، كشف عن وجه رسول الله ﷺ، ثم أكبّ عليه، فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجعل الله عليك موتتين، أمّا الموتة التي كتبت عليك فقد متها، ثم خرج إلى الناس، وقال: ألا مَنْ كان يعبد محمدًا فإنّ محمدًا قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت.

(١٤١) النخب: جمع نخب. وهو الرجل المختار.

(١٤٢) الحلك (محرّكة): شدة السواد. والشمم في الأنف: ارتفاع القصبّة وحسنها،

وهو هنا كناية عن الحميّة وشرف النفس. وأنف الحادّثات حمي: كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر.

(١٤٣) هاله الأمر هولاً: أفزعه. والجلال، هنا: الأمر العظيم. والعمم: التام العام من

كل أمر، يقال: أمر عمم، أي تام عام.

(١٤٤) القحم: جمع قحمة بالضم، ومن معانيها، الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد،

وهو المراد هنا.

(١٤٥) لا يخفى ما في (حسن مختتم) من حسن الختام.

خاتمة رياض^١

برغمي أن أنالك بالملام^١
رأيتُ الحقَّ فوقك والمقام^٢
خرجت من الوقار والاحتشام^٣
وقالوا: رميةٌ من غير رام^٤
أردتَ المُنعمين بالانتقام^٥
وهم غمروك بالنعْم الجِسام^٦
فكيف اليوم أصبح في الرِّغام؟^٧
صغيرًا في ولائك، والخصام
فما لك في المواقف والكلام؟
أضيفُ إلى مصائبنا العِظام
وجرحك منه - لو أحسست - دامي^٨
وما أغناك عن هذا الترامي^٩
وذا ثمنُ الولاءِ والاحترام
لَعوبًا بالحكومة والذمام^{١٠}
لك الثمران: من حمدٍ، وذام^{١١}

كبيرَ السابقين من الكرام
مقامك فوق ما زعموا. ولكن
لقد وجدوك مفتونًا. فقالوا
وقال البعض: كيدك غيرُ خافٍ
وقيل: شططتَ في الكفران، حتى
غمرتَ القومَ إطرَاءً، وحمدًا
رأوا بالأمس أنفك في الثريا
أما والله ما علموك إلا
إذا ما لم تكن للقول أهلاً
خطبتَ. فكنْتَ حَطْبًا - لا خطيبًا -
لَهجَتَ بالاحتلال وما أتاه
وما أغناه عمَّن قال فيه
أحببتك البلادُ طويلَ دهرٍ
حَقَرَتَ لها زمامًا كنتَ فيه
محاسنُه غراسك والمساوي

^١ قُلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا في مدرسة محمد علي الصناعية في ٨ يونيو سنة ١٩٠٤.

فهلأ قلت للشبان قولاً
يَبُتُّ تجاربَ الأيامِ فيهم
خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ
ولولا أن لالأوطان حُبًّا
جنيتَ على قلوبِ الجمعِ يأسًا
أراعَكَ مقتلُ من مصرَ باقٍ
وهل تركتُ لك السبعون عقلاً
ألا أنبيك عن زمنٍ تولّى
سل «الحلمية» الفيحاءَ عنه
وسل مَنْ كان حولك عبدَ جاهٍ
رأوا إرثًا سيذهب بعد حينٍ
ونالوا السمعَ من أذنٍ كريمٍ
هُم حزبٌ، وسائرُ مصرَ حزبٌ
وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ
إذا الأحلامُ في قومٍ تولّت
فيا تلك الليالي، لا تعودِي
أحبُّكِ مضرٌ، من أعماقِ قلبي
سيجمعُني بك التاريخُ يومًا
لأجلكِ رحمتُ بالدنيا شقيًّا
وأنظرُ جنةً جمعتُ ذنابًا
وهبتُكِ - غيرَ هيابٍ - يراعًا
سيكتبُ عنكِ فوقَ ثرى رياضٍ
أفي السبعين، والدنيا تولّت
تكون - وأنت أنت رياضِ مصرٍ -

يليقُ بحافلِ الماضي الهمام؟
ويدعو الرابضين إلى القيام^{١٢}
بأنك من مشيبك في منام
يُصمُّ عن الوشاية كالغرام
كأنك بينهم داعي الحمام^{١٣}
فقمت تزيدُ سهمًا في السهام؟^{١٤}
لعرفانِ الحلالِ من الحرام؟
فتذكره ودمعك في انسجام؟^{١٥}
وسل دارًا على «نور الظلام»^{١٦}
يُريك الحبِّ، أو باغي حُطام^{١٧}
فكانوا عُصبةً في الاقتسام
فنالوا منه أنواعَ المرام^{١٨}
وأنت أصمُّ عن داعي الوئام^{١٩}
سراتهُمُ عواملُ الانقسام^{٢٠}
أتى الكبراءُ أفعالَ الطغام^{٢١}
ويا زمنَ النفاقِ، بلا سلام^{٢٢}
وحبُّكِ في صميمِ القلبِ نامي^{٢٣}
إذا ظهر الكرامُ على اللئام^{٢٤}
أصدُّ الوجهة، والدنيا أمامي
فيصرفُني الإباءَ عن الزحام^{٢٥}
أشدُّ على العدوِّ من الحسام^{٢٦}
وفي التاريخِ صفحة الاتهام
ولا يُرَجى سوى حسنِ الختام
عرابي اليوم في نظر الأنام؟

هوامش

(١) الخطاب في هذا البيت لمصطفى رياض باشا، وكان قد خطب في افتتاح مدرسة محمد علي الصناعية، التي أنشأتها في الإسكندرية جمعية العروة الوثقى سنة ١٩٠٤،

وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلّة حاضرًا هذا الافتتاح؛ فتملّقه الخطيب بكلام،
كقربه نعمة مصر وأصحاب عرشها.

(٢) رأيت الحق فوقك والمقام: أي وفوق مقامك.

(٣) الوقار: الرزانة. والحلم والاحتشام: الاستحياء.

(٤) الكيد: المكر والخبث وإرادة ضرر الغير خفيّة. ورميّة من غير رام: يريد أنه لم

يقصد الكيد بما قاله، وأصل المثل: رَبُّ رمية من غير رام، وهو يقال لمن يصيب في أمر
وعادته أن يخطئ.

(٥) شططت: أفرطت.

(٦) غمرت القوم، من قولهم: غمرت فلانًا بالمعروف والفضل، أي بالغت في الإحسان

إليه.

(٧) الثريا: سبعة كواكب في عنق البرج المعروف بالثور. والرغام (بفتح الراء):

التراب.

(٨) لهجت بالاحتلال، من قولهم: لهج بالشيء، إذا أغري به فتأبر عليه. والدامي:

الذي يسيل دمه.

(٩) وما أغناه.. إلخ: أي ما أغنى الاحتلال عنك، وما أغناك من أن تترامى على

أصحابه بمثل ما قلت.

(١٠) حقرت (بفتح القاف مخففة): استصغرت. الزمام (بالزاي): ملاك الأمر.

والذمام (بالذال): الحقُّ والحرمة.

(١١) محاسنه: الضمير للزمام أي أنت الذي غرست ما لهذا الزمام من المحاسن

والمساوي، فلك ما يثمر من حمدٍ وذمِّ.

(١٢) يبثُّ: ينشر ويذيع. والتجارب: جمع تجربة، وهي اختبار الشيء مرّة بعد مرّة

والرابضين: جمع رابض، وهو من يأوي إلى المكان فلا يفارقه.

(١٣) يقول: لولا أن الذين سمعوك يحبّون بلادهم حبًّا يمنعهم من القعود عن

العمل لإنقاذها من الاحتلال، لأصابهم اليأس والقنوط بسبب كلامك.

(١٤) أراك: أي أفزعك. والمقتل: العضو الذي إذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم.

يقول: هل أفزعك أن رأيت بعض مقاتل مصر سليمة لم تصب فزدت سهمًا ليصيبها.

(١٥) أنبيك: أخبرك. والانسجام: سيلان الدمع.

(١٦) الحلمية: حيٌّ من أحياء القاهرة. ونور الظلام: اسم شارع بهذا الحي فيه

دار رياض.

الشوقيات

- (١٧) الباغي: الطالب. والحطام: المال، قلَّ أو كثر.
- (١٨) رجل أذن (بضم الذال): إذا كان يسمع مقال كل أحد ويقبله.
- (١٩) الوئام: الوفاق.
- (٢٠) السراة: جمع سري، وهو السيد الشريف السخي.
- (٢١) الأحلام: العقول. والطغام (بفتح الطاء): أوغاد الناس.
- (٢٢) بلا سلام: أي اذهب بلا سلام.
- (٢٣) في صميم القلب: أي في القلب. والصميم: الخالص من الشيء.
- (٢٤) إذا ظهر الكرام على اللئام: أي إذا غلبوهم.
- (٢٥) الإباء: الكبر والنخوة.
- (٢٦) اليراع: القلم. والحسام: السيف.

ضجيج الحجيج^١

واستصرخت ربّها في مَكَّةَ الأُمِّم^١
خليفةَ الله، أنتَ السيدُ الحكم
ألشريفِ عليها أم لك العلم؟^٢
إن أنت لم تنتقم فالله مُنتقم
تُسبَى النساءُ. ويؤدَى الأهلُ والحشم؟
وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَم؟^٣
ونعلُهُ — دونَ رُكنِ البيتِ — تُستلمُ
مبالغٌ فيه. و«الحجاجُ» مُتَّهمٌ^٤
في العفو عن فاسق فضلٌ ولا كرم
بين البُغاةِ وبين المصطفى رَجِم^٥
وفيه نخوته، والعهد، والشَّمَم^٦
آل النبي بأعلام الهدى خُتِموا^٧
لسُدَّةِ الله هل ترقى لك «الكلم»^٨
واليومَ يوشك هذا الركنُ ينهدم^٩
نُعمى الزيادة ما لا تفعل النقم

ضجَّ الحجازُ، وضجَّ البيتُ والحرمُ
قد مسَّها في حماك الضُّر، فاقض لها
لك الربوعُ التي ريع الحجيجُ بها
أهينَ فيها ضيوفُ الله. واضطهدوا
أفي الضُّحَى — وعيونُ الجند ناظرةٌ —
ويُسفكُ الدمُ في أرضِ مقدَّسةٍ
يدُ الشريفِ على أيدي الولاةِ علتُ
«نيرون» إن قيس في باب الطُّغاةِ به
أدبُهُ أدبٌ — أميرَ المؤمنين — فما
لا ترجُ فيه وقارًا للرسول. فما
ابنُ الرِّسولِ فتى فيه شمائلُهُ
ما كان طه لرهِطِ الفاسقين أبا
خليفةَ الله. شكوى المسلمين رقت
الحجُّ ركنٌ من الإسلام نُكِبِرُه
من الشريفِ ومن أعوانه فعلت

^١ رُفِعَتْ إلى السلطان عبد الحميد استصراخًا من الشريف وأعوانه في ١٤ إبريل سنة ١٩٠٤.

عزَّ السَّبِيلُ إِلَى طَه وَتَرَبَّتْهُ
 مُحَمَّدٌ رُوِّعَتْ فِي الْقَبْرِ أَعْظَمُهُ
 وَخَانَ «عَوْنُ الرَّفِيقِ» الْعَهْدُ فِي بَلَدِ
 قَدْ سَالَ بِالْدمِ مِنْ ذُبْحٍ وَمِنْ بَشَرٍ
 وَفُرِّعَتْ فِي الْخُدُورِ السَّاعِيَاتُ لَهُ
 أَبَتْ ثِكَالِي أَيَامِي بَعْدَمَا أَخَذْتُ
 حُرْمَانَ أَنْوَارِ خَيْرِ الْخَلْقِ مِنْ كَثَبِ
 أَيِّ الصَّغَائِرِ فِي الْإِسْلَامِ فَاشِيَّةِ
 يَجِيئُ صَدْرِي، وَلَا يَجْرِي بِهَا قَلْمِي
 أَعْضَيْتُ ضَنْبًا بَعْرُضِي أَنْ أَلَمَّ بِهِ
 مَوْهُ عَلَى النَّاسِ، أَوْ غَالَطَهُمْ عِبْتًا
 مِنْ الزِّيَادَةِ فِي الْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
 كُلُّ الْجِرَاحِ بِالْأَلَمِ، فَمَا لِمَسْتُ
 وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْهَا وَهِيَ دَامِيَّةٌ

فَمَنْ أَرَادَ سَبِيلًا فَالطَّرِيقُ دَمٌ ١١
 وَبَاتَ مُسْتَأْمِنًا فِي قَوْمِهِ الصَّنَمِ ١٢
 مِنْهُ الْعَهْدُ أَتَتْ لِلنَّاسِ وَالذَّمُّ ١٣
 وَأَحْمَرَّ فِيهِ الْحَمَى وَالْأَشْهُرُ الْحَرَمُ ١٤
 الدَّاعِيَاتُ وَقَرَّبَ اللَّهُ مُغْتَنِمَ ١٥
 مِنْ حَوْلِهِنَّ النَّوَى وَالْأَيْتُ الْرَّسْمُ ١٦
 فَدَمَعُهُنَّ مِنَ الْحَرَمَانِ مَنْسَجِمِ ١٧
 تَوَدَّى بِأَيْسَرِهَا الدُّوَلَاتُ وَالْأُمَمُ ١٨
 وَلَوْ جَرَى لِبِكْيِ وَاسْتَضْحَكَ الْقَلَمُ ١٩
 وَقَدْ يَرُوقُ الْعَمَى لِلْحَرِّ وَالصَّمِّ ٢٠
 فَلَيْسَ تَكْتَمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْكُتُمْ ٢١
 أَنْ يَعْلَمَ الشَّامِتُونَ الْيَوْمَ مَا عَلِمُوا
 يَدُ الْعَدُوِّ فَتَمَّ الْجُرْحُ وَالْأَلَمُ
 إِذَا أَسَاهَا لِسَانٌ لِلْعَدِيِّ وَفَمِ

رَبِّ الْجَزِيرَةِ، أَدْرِكُهَا، فَقَدْ عَبَّئْتُ
 إِنْ الذِّينَ تَوَلَّوْا أَمْرَهَا ظَلَمُوا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ قِتَالٌ تَقَشَعْرُ لَهُ
 أَرَى الشَّرِيفِ وَأَحْزَابُ الشَّرِيفِ بِهَا
 لَا تَجْزَهُمْ عَنْكَ حَلْمًا، وَأَجْزَهُمْ عَنْتًا
 كَفَى الْجَزِيرَةَ مَا جَرَّوْا لَهَا سَفْهًا
 تِلْكَ الثَّغُورُ عَلَيْهَا — وَهِيَ زَيْنَتُهَا —
 فِي كُلِّ لَجٍّ حَوَالِيهَا لَهُمْ سَفْنٌ
 وَالْأَهْمُ أَمْرَاءُ السُّوءِ. وَاتَّفَقُوا
 فَجَرَّدَ السَّيْفِ فِي وَقْتِ يُفِيدُ بِهِ

بِهَا الذَّنَابُ، وَضَلَّ الرَّاعِي الْغَنَمِ ٢٢
 وَالظُّلْمُ تَصَحَّبُهُ الْأَهْوَالُ وَالظُّلْمُ ٢٣
 وَفَتْنَةٌ فِي رُبُوعِ اللَّهِ تَضْطَرُّمِ ٢٤
 وَقَسَّمُوهَا كِارِثِ الْمَيْتِ، وَأَنْقَسَمُوا ٢٥
 فِي الْحَلْمِ مَا يَسْمُ الْأَفْعَالُ أَوْ يَصِمُ ٢٦
 وَمَا يَحَاوُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا الْعَجْمِ ٢٧
 مَنَاهِلٌ عَذْبَتْ لِلْقَوْمِ، فَازْدَحَمُوا ٢٨
 وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ يَابِسِ قَدَمِ ٢٩
 مَعَ الْعِدَاةِ عَلَيْهَا، فَالْعِدَاةُ هُمْ
 فَإِنَّ لِلْسَّيْفِ يَوْمًا، ثُمَّ يَنْصَرِمِ ٣٠

هوامش

(١) ضَجَّ: فزع من شيء خافه فصاح. الربوع: جمع ربع، وهو الدار.

ضجيج الحجيج

- (٢) والحجيج: جمع الحاج.
- (٣) الحرم: جمع حرمة، وهي ما لا يحل انتهاكه.
- (٤) تستلم: من استلام الحجر وركن البيت الحرام وغيره، وهو لمسه باليد أو بالقبلة.
- (٥) نيرون: طاغية روماني قديم. والحجاج: طاغية عربي كان والياً على العراق لعبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين.
- (٦) لا ترجُ: لا تخف، من رجا، بمعنى خاف. والوقار هنا: العظمة. وفي القرآن الكريم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: أي لا تخافون الله عظمة.
- (٧) الشمائل: جمع شِمال بكسر الشين وهو الطبع. والنخوة. الحماسة والمروءة. والعهد: الوفاء والأمانة. والشمم: التكبر.
- (٨) طه: من أسماء النبي ﷺ. والرَّهط: من ثلاثة إلى عشرة. ولا تكون فيهم امرأة.
- (٩) رقت: صعدت. والكلم، اسم جنس جمعي لكلمة.
- (١٠) نكبره: نعظمه، ويوشك: يقارب.
- (١١) عزَّ السبيل، من قولهم عزَّ الشيء، إذا قلَّ فلا يكاد يوجد ولا يقدر عليه.
- (١٢) الصنم: صورة أو تمثال يتخذ للعبادة، وقيل: هو كل ما عُبد من دون الله.
- (١٣) عون الرفيق: اسم الشريف الذي اقتترف تلك المظالم. والذمم: جمع ذمة، وهي العهد والأمان.
- (١٤) الأشهر الحرم، أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب؛ سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراماً: ما عدا بني خثعم وطيء. والضمير في (سال) وفيه: للبلد في البيت المتقدم. واحمرار الحمى والأشهر الحرم: كناية عن اقترافه القتل فيهما.
- (١٥) فزعت: خوفت. والخدور: البيوت. والساعات له: أي لذلك البلد.
- (١٦) الثكالي: جمع ثكلى: وهي مَنْ فقدت ولدها، والأيامى: جمع أيم، وهي من لا زوج لها. والنوى: البعد. والأيتق: جمع ناقة. والرسم: جمع رسوم، وهي الناقة تؤثر أخفافها في الأرض من شدة الوطاء.
- (١٧) من كُتب: أي من قرب. والمنسجم: السائل.
- (١٨) الصغائر: جمع صغيرة، وهي من الذنوب أخفُّ من الكبيرة في حكم الشرع. وتودي: تهلك. والدولات جمع دولة.

الشوقيات

- (١٩) يجيش صدري: يغلي غيظًا. استضحك: بمعنى ضحك.
- (٢٠) أغضيت: أي صبرت وأمسكت. وضنًا: بخلاف. وألمَّ به: أي بما يؤذيه، من قولهم: ألمَّ بالذنب إذا فعله. ويروق العمى: من راقه الشيء أعجبه.
- (٢١) مؤه على الناس: أي زخرف لهم الأخبار وزوَّرها عليهم.
- (٢٢) ربُّ الجزيرة: أي صاحب الجزيرة، وهي جزيرة العرب.
- (٢٣) الأهوال: جمع هول، وهو المخافة من الأمر لا يعرف الإنسان ما يهجم منه. والظلم: جمع ظلمة.
- (٢٤) تضطرم: تشتعل.
- (٢٥) أزرى بها: تهاون.
- (٢٦) العنت: الشدة والهلاك. وما يسم: أي ما يكون سمه وعلامة. وما يصم: أي ما يكون وصمة وعبئًا.
- (٢٧) العجم، هنا: أهل الغرب، ممن كانوا يحفدون على الدولة التركية وجودها.
- (٢٨) المناهل: جمع منهل، وهو المورد. والمراد بالقوم: أولئك العجم.
- (٢٩) اللج: معظم الماء.
- (٣٠) جرَّد السيف: سلَّه. وينصرم: يمضي.

استقبال

يا راكبَ الريحِ، حَيَّ النَيْلَ والهَرَمَا
وقف على أثرِ مرِّ الزمانِ به
واخفض جناحك في الأرض التي حَمَلتْ
وأخرَجتْ حكمةَ الأجيالِ
وشُرِّفتْ بملوكِ طالما اتَّخذوا
هذا فضاءً تُلِمُّ الريحُ خاشعَةً
فمرحبًا بكما من طالعينِ به
وعظَّمِ السَّفَحَ من سيناءَ، والحرما^١
فكان أثبتَ من أطوايه قِمما^٢
موسى رضيعًا، وعيسى الطهر منقطما^٣
وبيَّنت للعبادِ السيفَ والقلمما^٤
مطيَّهم من ملوكِ الأرض والخدماءِ
به. ويمشي عليه الدهرُ محتشما^٥
على سوى الطائرِ الميمونِ ما قديما^٦

* * *

عاد الزمانُ، فأعطى بعدما حرَّما
فيارعى اللهُ وفدًا بين أعيننا
هم أقسموا لتديّنن السماءَ لهم
والناسُ باني بناءٍ، أو مُتمِّمه
تعاونُ لا يحلُّ الموتُ عُروته
وتاب في أذنِ المحزونِ، فابتسما^٧
ويرحم اللهُ ذاك الوفدِ ما رحما^٨
واليوم قد صدَّقوا في قبرهم قسما^٩
وثالث يتلافى منه ما انهدما^{١٠}
ولا يُرى بيدِ الأرزاءِ منقصما^{١١}

* * *

يا صاحِبِي (أدرميدِ)، حسبها شرفًا
وأنها جاوزتْ في القدسِ منطقةً
مشت على أفقِ مرِّ البُرَاقِ به
أن الرياحَ إليها ألقت اللُّجما^{١٢}
جری البساطُ فلم يجتز لها حرما^{١٣}
فقبِلتْ أثرًا للخفِّ مُرتسما^{١٤}

ومسّحت بالمُصلّى، فاكتست شرقاً
وكلمّا شاقها حادٍ على أفق
جشمتماها من الأهوالِ أربعةً
حتى حوتها سماءُ النيل فانحدرت
وبالمغار المعلى، فاكتست عظاماً^{١٣}
كانت مزاميرُ داوودِ هي النغما^{١٤}
الرعدي، والبرق، والإعصار، والظلمة^{١٥}
كالنسر أعياء، فوافى الوكر، فاعتصم^{١٦}

يا آل عثمانَ أبناءَ العمومة. هل
إذا حزنتم حزناً في القلوب لكم
وكم نظرنا بكم نُعمى فجسّمها
ونبذل المال لم نُحمل عليه، كما
صبراً على الدهر إن جلّت مصائبه
إذا المقاتلُ من أخلاقهم سلمت
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
نمتم على كلِّ ثارٍ لا قرار له
فنال من سيفكم من كان ساقيه
قال العذولُ: خرجنا في محبّبتكم
فما على المرء في الأخلاق من حرج
ولو وهبتم لنا عُلياً سيادتكم
نحنو عليكم، ولا ننسى لنا وطناً
هذي كرائمُ أشياءِ الشعوب، فإن
تشكون جرحاً ولا نشكو له ألماً؟^{١٧}
كالأمّ تحملُ من همّ ابنها سقما
لنا السرور، فكانت عندنا نِعماً^{١٨}
يقضي الكريمُ حقوقَ الأهل والذمما^{١٩}
إن المصائب مما يُوقظُ الأمما
فكلُّ شيءٍ على آثارها سلما
فإن تَوَلَّتْ مضواً في إثرها قدما^{٢٠}
وهل ينامُ مُصيبٌ في الشعوبِ دما؟
كما تنالُ المُدامُ الباسلَ القدما^{٢١}
من الوقار، فيا صدقَ الذي زعما
إذا رعى صلّةً في الله، أو رجماً
ما زادنا الفضلُ في إخلاصنا قدما
ولا سريراً، ولا تاجاً، ولا علماً
ماتت فكلُّ وجود يشبه العدما

هوامش

- (١) السفح: عرض الجبل المضطجع. والحرم: ما لا يحلُّ انتهاكه.
- (٢) الأطواد: الجبال. والقمم: واحدتها قمة، وهي أعلى كل شيء.
- (٣) الحكمة: صواب الأمر وسداده. والأجيال: جمع جيل، وهم أهل الزمن الواحد. والخالدة: الدائمة الباقية.
- (٤) طالما اتَّخذوا مطاياهم وخدمهم من ملوك الأرض، أولئك هم ملوك مصر الأقدمون، حين كانوا يأسرون في حروبهم ملوك الأقطار الأخرى.

(٥) المحتشم: المستحي.

(٦) على الطائر الميمون: مأخوذ من قولهم في الدعاء للمسافر: سر على الطائر الميمون.

(٧) كانت الدولة العليّة قد نذبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة اثنين من ضبّاطها الطيارين؛ فسقطت طيارتهما في الطريق وماتا، فنذبت الدولة غيرهما، فوصلا سالمين وإلى هذا يشير بالفوئين في البيت.

(٨) لتدينين: أي لتخضعن وتذلّين.

(٩) العروة: كل ما يوثق به. والمنفصم: المنقطع

(١٠) أدرميد: اسم الطائرة التي ركبها إلى مصر.

(١١) القدس: مدينة بيت المقدس في الشام. والبساط: هو بساط سليمان (عليه

السلام). وفي التاريخ الديني: أنه كان يتخذ مع الريح بساطاً يجريه حيث يشاء.

(١٢) البراق في اللغة الدينية: دابة كان يركبها الأنبياء، وقد ركبها النبي محمد ﷺ

ليلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس. والخفُّ: أي خفُّ الرسول ﷺ، ويقال: إن أثره مرتسم هناك.

(١٣) المصلى: مكان الصلاة. والمغار — بفتح الميم وضمها —: الكهف. والمعلى:

المرفوع.

(١٤) شاقها: هاجها وشوّقها. والحادي: سائق الإبل الذي يغني لها. ومزامير داود:

ما كان يرتله في صلواته من الأناشيد والترانيم.

(١٥) جسّمتماها: كلّفتماها. والأهوال: جمع هول، وهو المخافة من أمر لا يُعرَفُ

ما ينجم منه على الإنسان. والإعصار: ريح بتراب بين السماء والأرض، أو تستدير كأنها عامود. و«الظلم»: جمع ظلمة.

(١٦) حوتها: أي حازتها. وانحدرت: هبطت. والنسر طائر من الجوارح وكلها

تخافه، وهو حادُّ البصر، وأشدُّ الطيور ارتفاعاً، وأقواها جناحاً. وأعياء: تعب. ووافى الوكر:

أتاه، والوكر: عشُّ الطائر أينما كان في شجر أو في غيره. فاعتصم به: أي لزمه.

(١٧) العمومة. مصدر من العمُّ. كالحؤولة من الخال.

(١٨) النُعمى: ما أنعم به.

(١٩) الذمم: جمع ذمّة، وهي العهد.

(٢٠) القدم (بضم القاف والبدال): أي يمضي الإنسان فلا يعرج على شيء ولا ينتهي.

الشوقيات

(٢١) المدام: الخمر. والباسل: البطل الشجاع. والقدم (بفتح القاف والذال): الشجاع
أيضًا.

أرسططاليس وترجمانه^١

عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْحَكِيمِ
وَأْتَيْتَ مِنْ مَحْرَابِهِ
مِلِكِ الْعُقُولِ، وَإِنِّهَا
شَيْخُ ابْنِ رَشْدٍ، وَابْنِ سَيْدِ
مَنْ كَانَ فِي هَدْيِ الْمَسِيدِ
وَعَدَا وَرَاحَ مَوْحِدًا^٢
صَوْتَ الْحَقِيقَةِ بَيْنَ رَعْدِ
مَا بَيْنَ عَادِيَةِ السَّوَا
يَبْنِي الشَّرَائِعَ لِلْعَصْوِ
وَيَفْصَلُ الْأَخْلَاقَ لِلـ
فِي وَاضِحِ لَحَبِ الطَّرِيدِ
وَرَسَائِلِ مِثْلِ السُّلَا
قَدْسِيَةِ النَّفْحَاتِ، تُسـ

وَهَدَيْتَ بِالنَّجْمِ الْكَرِيمِ
بِأَرْسَطَطَالِيْسِ الْعَظِيمِ
لِنَهَايَةِ الْمَلِكِ الْجَسِيمِ
نَا، وَابْنَ بَرْقِيْنَ الْحَكِيمِ^١
ح، وَكَانَ فِي رُشْدِ الْكَلِيمِ
قَبْلَ الْبَنِيَّةِ وَالْحَطِيمِ^٢
بِالْجَاهِلِيَّةِ وَالْهَزِيمِ^٣
م وَبَيْنَ طُغْيَانِ الْمَسِيمِ^٤
ر بِنَاءِ جَبَّارِ رَحِيمِ
أَجْيَالِ تَفْصِيلِ الْيَتِيمِ^٥
ق مِنْ الْمَذَاهِبِ مُسْتَقِيمِ^٦
فِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي النَّدِيمِ
كِرَ بِالْمَذَاقِ، وَبِالْشَّمِيمِ

* * *

^١ ترجم الأستاذ أحمد لطفي باشا السيد كتاب أرسططاليس في علم الأخلاق إلى العربية؛ فكتب إليه صاحب الديوان هذه التهنئة.

يا لطف، أنت هو الصدى
أرجُ الرياضِ نقلته
وسريت من شعب الألم
فتجارت اللغتان للـ
لغة من الإغريق قيـ
وأتيتنا بمفصل
هو ضنة المثري من الـ

من ذلك صوت الرحيم
ونسخته نسخ النسيم
ب به إلى وادي الصريم^٧
غايات في الحسب الصميم
مة، وأخرى من تميم
بالتبر، علوي الرقيم
أخلاق، أو مال العديم^٨

مشاء هذا العصر، قف
مثل لنا اليونان بيـ
أخلاقها نور السبيـ
وشبابها يتعلمو
لمسوا الحقيقة في الفنو
حلت مكانا عندهم
والجهل حظك إن أخذ
ولرب تعليم سرى
يتلبس الحلم اللذيـ
ومدارس لا تنهض الـ
يمشي الفساد بنبتها
لما رأيت سواد قو
يسقون من أمية
وسراتهم في مقعد
يسعون للجاه العظيـ
وبصرت بالدستور يُز
لم ينج من كيد العدو
أيقنت أن الجهل علـ
وأتيت — يا رب النثيـ

حدث عن العصر القديم^٩
ن العلم والخلق القويم
ل، وعلمها نور الأديم
ن على الفراقد والنجوم
ن، وأدركوها في العلوم
فوق المعلم والزعيم^{١٠}
ت العلم من غير العليم
بالنشاء كالمرض المنيم^{١١}
ذ عليه بالحلم الأليم
أخلاق دارسة الرسوم
مشي الشرارة بالهشيم
مي في دجى ليل بهيم
هي غصة الوطن الكظيم
من مطلب الدنيا مقيم
م، وليس للحق الهضم
هق وهو في عمر الفطيم
له، ومن عبث الحميم
ه كل مجتمع سقيم
ر — بما تحب من النظيم

أَجْزِ اجْتِهَادَكَ فِي جَنِي الثمراتِ لِلنَّشْأِ النَّهِيمِ^{١٢}
من روضةِ العلمِ الصَّحِيحِ ح، وربوةِ الأدبِ السليمِ
العاشقينَ العِلْمَ، لا يألونه طلبَ الغريمِ
المعرضينَ عن الصغَا ثر، والسعاية، والنمِيمِ

* * *

قسماً بمذهبك الجميـل، ووجهِ صُحْبَتِكَ القسيمِ
وقديمِ عهدٍ، لا ضئـيـل في الوداد، ولا نميمِ
ما كنتَ يوماً للكِنَا نة بالعدوِّ ولا الخصيمِ
لَمَّا تلاحى الناسُ لم تنزلُ إلى المرعى الوخيمِ^{١٣}
كم شاتمٍ قابلتَه بترفُّعِ الأسدِ الشَّتيمِ^{١٤}
وشغلتَ نفسك بالخصيمِ ب من الجهودِ عن العقيمِ
فخدمتَ بالعلمِ البلا د، ولم تزلْ أوفى حديمِ^{١٥}
والعلمُ بناءُ المآ ثر والممالكِ من قديمِ
كسروا به نيرَ الهوا ن، وحطُّموا ذلَّ الشكيمِ

هوامش

- (١) برقين: بلدة المترجم لطفى باشا السيد.
- (٢) البنية: الكعبة.
- (٣) الهزيم: صوت الرعد.
- (٤) السوام: المرعية. والمسيم: الراعي.
- (٥) اليتيم: اللؤلؤ.
- (٦) الطريق للحب: الواسع.
- (٧) الألب: جبل من جبال اليونان. والصريم: وادٍ من أودية العرب.
- (٨) الضنة: الشيء الذي يضمنُ به.
- (٩) المشاءون: تلاميذ أرسططاليس.
- (١٠) هذه إشارة إلى قول أرسططاليس المشهور: أفلاطون حبيب إليَّ ولكنَّ الحقيقة أحبُّ إليَّ منه.

الشوقيات

- (١١) المرض المنيم: المنوم.
- (١٢) النهيم: الذي لا يشبع.
- (١٣) تلاحى الناس: تلاعنوا.
- (١٤) الشتيم: العابس.
- (١٥) الخديم: الخادم.

شَهِيدُ الْحَقِّ^١

إِلَامَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ؟ إِلَّا مَا؟
وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
وَأَيْنَ الْفَوْزُ لَا مَصْرٌ اسْتَقَرَّتْ
وَأَيْنَ زَهَبْتُمْ بِالْحَقِّ لَمَّا
لَقِدْ صَارَتْ لَكُمْ حَكْمًا وَغُنْمًا
وَتَقْتُمْ وَاتَهَمْتُمْ فِي اللَّيَالِي
شَبَبْتُمْ بَيْنَكُمْ فِي الْقَطْرِ نَارًا
إِذَا مَا رَاضَهَا بِالْعَقْلِ قَوْمٌ
تَرَامِيْتُمْ، فَقَالَ النَّاسُ: قَوْمٌ
وَكَانَتْ مَصْرُ أَوَّلِ مَنْ أَصَبْتُمْ
إِذَا كَانَ الرَّمَاءُ رِمَاءَ سَوْءٍ
أَبْعَدَ الْعُرْوَةَ الْوُثْقَى وَصَفَّ
تَبَاغَيْتُمْ كَأَنْكُمْ خَلَايَا

وهذي الضجّة الكبرى علما؟
وتُبدون العداوة والخصاما؟
على حالٍ، ولا السودان داما؟
ركبتم في قضيته الظلاما؟
وكان شعارها الموت الزؤاما
فلا ثقة أدمن، ولا اتهاما
على مُحْتَلِّهِ كانت سلاما
أجد لها هوى قوم ضراما
إلى الخذلان أمرهم ترامى
فلم تُحص الجراح ولا الكلاما^١
أحلوا غير مرمهاها السهاما
كأنياب الغضنفر لن يراما
من السرطان لا تجد الضماما؟^٢

^١ نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد في سنة ١٩٢٤ من انقسام وتناحر، وأشار إلى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه، واستطرد من ذلك إلى البحث فيما تحتاج إليه البلاد من وسائل الإصلاح.

الشوقيات

أرى طيَّارَهم أوفى علينا وحلَّق فوق أُرؤسنا وحاما
وأنظرُ جيشَهم من نصف قرن على أبصارنا ضربَ الخياما
فلا أمناؤنا نقصوه رمحاً ولا خِواننا زادوا حساما
ونُلقي الجوّ صاعقةً ورعداً إذا قصرُ الدبارةُ فيه غاما
إذا انفجرت علينا الخيلُ منه ركبنا الصمتَ، أو قُدنا الكلاما^٣
فأُبنا بالتخاذل والتلاحي وآب بما ابتغى منا وراما^٤

ملكنا مارنَ الدنيا بوقتِ فلم نُحسن على الدنيا القياما^٥
طلعنا - وهي مقبلَةٌ - أسوداً ورحنا - وهي مدبرة - نعاما
ولينا الأمرَ حزبًا بعد حزب فلم نكُ مصلحين ولا كراما
جعلنا الحُكمَ تولىةً وعزلاً ولم نعدُ الجزاءَ والانتقاما
وسُسنا الأمرَ حين خلا إلينا بأهواءِ النفوس، فما استقاما
إذا التصريحُ كان براخَ كفر فلمْ جُنَّ الرجالُ به غراما؟^٦
وكيف يكون في أيدٍ حلالاً وفي أخرى من الأيدي حراما؟
وما أدري غداةَ سُقيتموه أترِياقًا سُقيتم، أم سِماما؟^٧

شهِدَ الحقُّ، قُمْ تره يتيماً بأرضٍ ضُيِّعت فيها اليَتامى
أقام على الشفاه بها غريباً ومَرَّ على القلوب، فما أقاما^٨
سَقِمت، فلم تبتْ نفسٌ بخيرٍ كأن بمهجةِ الوطنِ السَّقاما
ولم أر مثلَ نعشك إذ تهادى فغطَّى الأرضَ، وانتظم الأثاما^٩
تحَمَلْ هَمَّةً، وأقلِّ ديناً وضمَّ مروءةً، وحوى زاماماً^{١٠}
وما أنساك في العشرينَ لماً طلعتَ جِبالها قمرًا تاماماً
يُشار إليك في النادي وتُرْمى بعَيْنِي مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ تعامى
إذا جئتَ المنابرَ كنتَ قُسا إذا هو في عكاظَ على السَّناما^{١١}
وأنت ألدُّ للحق اهتزازاً وألطفُ حين تنطقه ابِتساما
وتحملُ من أديمِ الحقِّ وجهاً صُراحاً، ليس يتخذ اللُّثاماً^{١٢}

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً
مهارة الحق بغضنا إليهم
لواؤك كان يسقيهم بجام
من الوطنية استبقوا رحيقاً
غرسنا كرمها، فزكا أصولاً
جمعتهم على نبرات صوت
لك الخطب التي غص الأعدى
فكانت في مرارتها زائيراً
بك الوطنية اعتدلت، وكانت
بنيت قضية الأوطان منها
هزرت بني الزمان به صبياً

سهرنا عن معلمهم وناما؟^{١٣}
شكيم القيصرية واللجاما^{١٤}
وكان الشعر بين يدي جاما^{١٥}
فضضنا عن مُعَنَّهَا الختاماً^{١٦}
بكل قرارة، وزكا مُداماً^{١٧}
كنفخ الصور حرّكت الرّجاما^{١٨}
بسورتها، وساعت للندامى^{١٩}
وكانت في حلاوتها بُغاماً^{٢٠}
حديثاً من خرافة أو مناماً^{٢١}
وصيرت الجلاء لها دعاماً^{٢٢}
ورعت به بني الدنيا غلاماً

هوامش

- (١) الكلام (يكسر الكاف): الجروح.
- (٢) الضمام: ما ضمت به شيئاً آخر. والسرطان: ورم سوداوي تظهر عليه عروق حمرة وخضرة متشعبة.
- (٣) ركبنا الصمت: أي وجدناه خيراً. وقدنا الكلام: استرسلنا فيه.
- (٤) التلاحي: التلاعن والتلاوم.
- (٥) المارن: الأنف أو ما لان منه، والمراد بمارن الدنيا: ذروتها وأعلاها.
- (٦) البراح: الصراح، والتصريح: تصريح ٢٨ فبراير، يشير إلى موقف بعض الزعماء منه.
- (٧) السمام: جمع سمّ. والترياق: ما يدفع السموم من الدواء.
- (٨) أي تلفظه الأفواه ولا تحسّ به القلوب.
- (٩) تهادى: تمايل على الأعناق.
- (١٠) زمام القوم: مقدّمهم وصاحب أمرهم.
- (١١) قسّ: هو قسّ بن ساعدة الإيادي، ويصّرّب به المثل في بلاغة الخطباء، ويروى عنه أنه كان يخطب الناس في عكاظ وهو على ظهر بعير.
- (١٢) الأديم: الوجه والصفحة.

- (١٣) سهرنا عن معلمهم: أي تركنا هذا المعلم ينام، وقمنا نحن على تهذيبهم وإنشائهم.
- (١٤) المِهَار: جمع مهر، والمراد بالمِهَار هنا الشباب. والشكيم: جمع شكيمة، وهي من اللجام حديدة تعترض فم الفرس، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها: قسوة الاحتلال وجبروته.
- (١٥) الجام: إناء من فضة. والمعنى: أنك كنت تغذوهم بما كنت تنشر عليهم من لوائك من ثمر الأدب، وكنت أنا أيضاً أغذوهم بما أُرْجِي لهم من زهور الشعر والبيان.
- (١٦) استبقوا الرحيق: تسابقوا إليه. والرحيق: الخمر. والمعتَّق: القديم، وقَدَم الخمر يحسِّنها ويزيد لذة شاربها. وفضضنا الختام: فتحناه.
- (١٧) الكرم: العنب. وزكا: نما. والمدام: الخمر.
- (١٨) الرجام: القبور.
- (١٩) السورة: الحدة والشدة. وغصَّ بالشيء: اعترض في حلقه فمنعه التنفُّس. والمراد بغصَّة الأعادي: غضبهم. والندامي: جمع ندمان وهو نديم الشَّراب، والمراد بهم الشيعة والأصدقاء.
- (٢٠) البغام: صوت الظبي.
- (٢١) خرافة: رجل عذري اختطفته الجن فيما زعموا، ثم رجع إلى قومه، وأخبر بما رأى منها؛ فكذبوه، وأصبح حديثه مثلاً لكل حدث باطل.
- (٢٢) الدعام: العماد.

تحية للترك

فما رقادُكم يا أشرف الأمم؟
وهذه ضجعةُ الآساد في الأجم^١
والفتح يعترض الدُّولات بالتُّخم^٢
مَنْ لم يكن فيه ذئبًا كان في الغنم
يا دولةُ السيف، كوني دولةَ القلم
وكلُّ بنيانِ علمٍ غيرُ منهدم^٣
وسوّت الحرب بين البهْم والبهم^٤
مَنْ لا يُقِم ركنه العرفانُ لم يُقِم
ونحن نلبسُ عنه ضيقةَ العدم^٥
وصانكم. وهداكم صادق الخدم^٦
منكم بخيرِ غدٍ في المجدِ مبتسم^٧
وتعلن الحبَّ جمًّا غيرَ متهم^٨
جاران في الضاد، أو في البيتِ والحرم^٩
وحبذا سببُ الإسلام من رجم^{١٠}
والضاد فينا بشمل غير ملتئم^{١١}
فإنها أوثقُ الأسباب والذمم
وسعينا قدم فيه إلى قدم
تلك العجوز، وكونوا تركيا القدم

الدَّهرُ يقظانُ، والأحداثُ لم تنمِ
لعلكم من مِراسِ الحرب في نصبٍ
لقد فتحتم فأعرضتم على شِبع
هبُّوا بكم وبنّا للمجدِ في زمن
هذا الزمانُ تنادىكم حوادثُه
فالسيفُ يهدم فجرًّا ما بُني سحرًا
قد مات في السَّلم مَنْ لا رأيَ يعصمه
وأصبح العلمُ ركنَ الآخذين به
الناسُ تسحبُ فضفاضَ الغنى مرحًا
يا فتيةَ الترك. حيًّا الله طلعتكم
أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ، لا برحا
تُحلُّكم مصرُ منها في ضمائرِها
فنحن - إن بعدت دارُ وإن قربت -
ناهيك بالسببِ الشرقيِّ من نسبٍ
شملُ اللغات لدى الأقوامِ ملتئمٍ
فقرَّبوا بيننا فيها وبينكم
وكلُّنا إن أخذنا بالفلاح يدُ
فلا تكوننَّ «تركيا الفتاة»، ولا

فسيفُها سيفُها في كل معترك وعُدلها طوَّق الإسلام بالنعَم

هوامش

- (١) مراس الحرب: مزاولتها. والنصب: التعب. والضجعة: الرقدة. والأساد: جمع أسد. والأجم (بفتح الجيم): جمع أجمة، وهي الشجر الملتف.
- (٢) فتحتم: تغلَّبتم على البلاد التي حاربتموها حتى ملكتموها، والتخم: جمع تخمة، وهي ثقل الأكل.
- (٣) يهدم فجرًا.. إلخ: أي يهدم وقت الفجر ما يكون قد بناه وقت السحر، والمعنى: أن بنيان السيف لا دوام له.
- (٤) السلم: ضد الحرب. ويعصمه: يحفظه ويقيه. والبهم (بفتح الباء وسكون الهاء) جمع بهمة (بفتح الباء وسكون الهاء أيضًا): وهي أولاد الضأن والمعز والبقر. والبهم (بضم الباء وفتح الهاء): جمع بهمة (بضم الباء وسكون الهاء) وهي الرجل الشجاع.
- (٥) الفضافاض: الواسع. والمرح: التبخر والاختيال. والضيقة (بفتح الضاد وكسرهما): سوء الحال. والعدم (بضم العين والذال وتُسَكَّن داله أيضًا): الفقر.
- (٦) صادق الخدم: أي الخدم الصادقة، وهي جمع خدمة.
- (٧) أنتم غد الملك والإسلام، أي أنتم الذين تهينون لهما غدهما، والمراد مقبل حالهما.
- (٨) جمًا: كثيرًا. وغير متهم: أي غير مشكوك في صدقه.
- (٩) الضاد: تُطَلِّق اسمًا للغة العربية؛ وذلك أن حرف الضاد لا يوجد في لغة سواها ولا يقوى عليه إلا أهلها.
- (١٠) ناهيك: كلمة استعظام وتعجب وتأويلها في الكلام: أن هذا الشيء هو غاية فيما تطلبه، حتى إنه ينهاك عن طلب غيره، فمعنى البيت: أن السبب الشرقي هو ما يطلب من النسب بيننا وبينكم، فلا تطلبوا نسبًا سواه. وحيدًا: كلمة مدح.
- (١١) الشمل: ما تفرَّق من الأمر وما اجتمع منه، يقال: جمع الله شملهم، وفرَّق الله شملهم. وملتئم: منضم وملتصق.

الأسطول العثماني^١

هَزَّ اللِّوَاءَ بَعَزَكَ الْإِسْلَامُ
وَانْقَادَتِ الدُّنْيَا إِلَيْكَ، فَحَسْبُهَا
وَمَشَى الزَّمَانُ إِلَى سَرِيرِكَ تَائِبًا
عَرْشِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ جَنَبَاتِهِ
لَمَّا جَلَسْتَ سَمَا وَعَزَّ، كَأَنَّمَا
الْبَحْرُ مَحْشُودٌ الْبُورَاجِ دُونَهُ
نَعَمَ الرَّعِيَّةُ فِي ذَرَاكَ، وَنَضَّرْتُ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَكُلِّ قَبِيلَةٍ
حَمَلِ (الصَّلِيبِ) إِلَيْكَ مِنْ فِتْيَانِهِ
وَالدِّينُ لَيْسَ بِرَافِعٍ مَلَكًا إِذَا
بِاللَّهِ قَدْ دَانَ الْجَمِيعُ، وَشَأْنُهُمْ
وَعَنْتَ لِقَائِمِ سَيْفِكَ الْيَوْمَ^١
عِذْرًا قِيَادُ أَسْلَسْتَ وَزِمَامَ^٢
خَجَلًا، عَلَيْهِ الذُّلُّ وَالْإِرْغَامُ
نُورٌ، وَرَفْرَفُهُ الطَّهْوَرُ غَمَامَ^٣
هَارُونَ وَابْنَاهُ عَلَيْهِ قِيَامُ^٤
وَالْبِرُّ تَحْتَ ظِلَالِهِ أَجَامُ^٥
أَيَّامَهُمْ فِي ظِلِّكَ الْأَحْكَامِ^٦
عَدْلٌ، وَأَمْنٌ مُورِفٌ. وَوَيْئَامُ^٧
جَنْدًا، وَقَاتَلَ دُونَكَ (الْحَاخَامِ)^٨
لَمْ يَبْدُ لِلدُّنْيَا عَلَيْهِ نِظَامُ
بِاللَّهِ ثُمَّ بَعَرَشِكَ، اسْتِعْصَامُ^٩

* * *

يا ابنَ الدِّينِ إِذَا الْحُرُوبُ تَتَابَعَتْ صَلَّوْا عَلَى حَدِّ السَّيْفِ، وَصَامُوا^{١٠}

^١ كان صاحب الديوان في الآستانة، وشاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العلية من ألمانيا؛ فأخذته هزة الطرب، وعز عليه أن يرى المسلمين في أقطار الأرض قاعدين عن إعانة أسطول الدولة؛ فجرى لسانه بهذه القصيدة.

المظهرين لنور «بدر» بعد ما
 عشرون خاقاناً نَمَوَّك وَعَشْرَةٌ
 نسبٌ إذا ذُكِرَ الملوِكُ فإنه
 لا تحفلنَّ من الجِراحِ بقيةً
 جرت النحوس لغاية فتبدلت
 تعبت بأمتك الخطوبُ فأقصرت
 لبثت تنوشهم الحوادثُ حقبَةً
 ولقد يُداس الذئبُ في فلواته
 زدهم أميرَ المؤمنين من القوى
 الملكُ والدُّولاتُ ما يبني القنا
 والحقُّ ليس — وإن علا — بمؤيدٍ
 خطَّ النبيُّ براحتيه خندقاً

خِيفَ المحاقُّ عليه والإظلام^{١١}
 غرُّ الفتوحِ خلائفُ أعلام^{١٢}
 لِرَفِيعِ أنسابِ الملوِكِ سَنَام^{١٣}
 إن البقيةَ في غدٍ تلتام^{١٤}
 ولكل شيءٍ غايةً وتمام
 والدَّهرُ يُقصرُ والخطوبُ تنام^{١٥}
 وتصدُّها الأخلاقُ والأحلام^{١٦}
 ويُهَابُ بين قيوده الصِّرغام^{١٧}
 إن القُوَى عزُّ لهم وقوام
 والعلمُ، لا ما ترفعُ الأحلام^{١٨}
 حتى يُحَوِّطَ جانبيه حسام^{١٩}
 ومشى يُحيط به قنأ وسهام^{٢٠}

* * *

يا بربروس، على ثراك تحيةً
 أعلمت ما أهدى إليك عصابةً
 نشروا حديثك في البرية بعدما
 خضوك من أسطولهم بدعامية
 شماء في عرض الخضم، كأنها
 كانت كبعض البارجات، فحقها
 ما مات من نبل الرجال وفضلهم
 يمضي ويئسى العالمون، وإنما
 وتلاك (طرغود) كما قد كنتما
 أرسى على باب الإمام كأنه
 جمعتمكما الأيام بعد تفرق
 سيشدُّ أزرِك والشدائدُ جمةً
 ما السفنُ في عدد الحصى بنوافع
 لما لمحتكما سكبت مدامعي

وعلى سَمِيكَ في البحارِ سلام^{٢١}
 غرُّ المآثر من بنيك كرام؟^{٢٢}
 همَّت بطيِّ حديثك الأيام
 يُبنى عليها ركنه ويقام^{٢٣}
 برجٌ بذات الرجع ليس يرام^{٢٤}
 لما تحلَّت باسمك الإِعظام
 يحيا لدى التاريخ وهو عظام
 تبقى السيوفُ، وتخلدُ الأتلام^{٢٥}
 جنباً لجنبٍ والعُبابُ ضرام^{٢٦}
 للفلك من فرط الجلال إمام^{٢٧}
 ما للقاءِ وللفراقِ دوام
 ويُعزُّ نصرَك والخطوبُ جسام^{٢٨}
 حتى يهزَّ لواءها مقدام
 فرحاً، وطال تشوفٌ وقيام^{٢٩}

وسألت: هل من (لؤلؤ) أو (طارق) في البحر تخفُّ فوقه الأعلام؟^{٢٠}

* * *

يا معشرَ الإسلام، في أسطولكم
 جودوا عليه بمالككم، واقضوا له
 لا الهندُ قد كُرِّمت، ولا مصرُ سخت
 سيلُ الممالكِ جارُفٌ من شدَّةِ
 حبِّ السيادةِ في شمائلِ دينكم
 والعلمُ من آياته الكبرى إذا
 لو تقرِّون صغاركم تاريخه
 كم واثقٍ بالنفس، نهَّاضٍ بها
 عزُّ لكم، ووقايةٌ، وسلام
 ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام^{٢١}
 والغربُ قصرٌ عن ندَى، والشام
 وقوَى، وأنتم في الطريق نيام^{٢٢}
 والجِدُّ روحٌ منه والإقدام^{٢٣}
 رجعت إلى آياته الأتوام^{٢٤}
 عرف البنون المجدَّ كيف يُرام
 ساد البريةَ فيه وهو عصام^{٢٥}

هوامش

- (١) عنت: خضعت وذلت، والخطاب في هذا البيت والبيتين بعده للخليفة محمد رشاد.
- (٢) القيادة: ما يُقَادُ به، ويستعمل بمعنى الطاعة. وأسست: جعلته سلساً، أي سهلاً ليناً، والزمَام: مقود البعير.
- (٣) الجنبات: النواحي، مفردها جنبَة. والررفرف: كل ما فضل فثني. والظهور هو الطاهر في نفسه والمطهر غيره.
- (٤) سما: ارتفع. وهارون: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي. وابناه: هما الأمين، والمأمون.
- (٥) البوارج: سفن القتال الكبيرة واحدها: بارجة. والآجام: جمع أجم والأجم: جمع أجمة: وهي الشجر الكثير الملتف، والأسود تتخذها مأوى لها. والضمير في «دونه» و«ظلاله» للعرش في البيت المتقدِّم، يعني أنه مصون، تحميه سفن القتال المحشودة في البحر، والجيوش المقيمة في البرِّ كأنها الأسود في آجامها.
- (٦) نعم الرعية: رفقوا وأخصبوا. والذرا: الملجأ. ونصَّرت أيامهم الأحكام: جعلها ناضرة. والناصرة: الحسنة.
- (٧) مورف: مُتَّسع وممتد.

- (٨) حمل الصليب.. إلخ: يريد أن رعاياك من النصارى واليهود مخلصون، يقاتلون من دونك لِمَا أَظَلَلْتَهُمْ به من العدل والأمن.
- (٩) بالله قد دان الجميع: أي آمنوا به. والاستعصام: الاستمسك.
- (١٠) صلوا على حدِّ السيوف وصاموا: أي لزموها كما يلزم المتعبَّدُ صلواته وصيامه.
- (١١) بدر: اسم الغزوة المشهورة في صدر الإسلام، سُمِّيَتْ باسم المكان الذي وقعت فيه. والمحاق (مثلث الميم): قيل: هو آخر الشهر حيث يحقق نور القمر، وقيل: هو ثلاث ليالٍ من آخره.
- (١٢) الخاقان: هو كل ملك من الأتراك. ونموك: أي رفعوك بالانتساب إليهم، وعشرة غرُّ الفتوح: أي ونماك أيضًا عشرة خواقين، امتازوا بالفتح والتوسُّع في الملك، فاختصوا بوصف الفاتحين، فلا يقال هذا الوصف لغيرهم من سلاطين آل عثمان. وخلائف: جمع خليفة.
- (١٣) السنام: اللحم المرتفع على ظهر البعير.
- (١٤) لا تحفلن بقية: أي لا تبال بها. فهي ستبرأ وتلتحم، يشير بذلك إلى حوادث كانت تشغل الدولة التركيَّة يومئذ.
- (١٥) أقصرت: أي انتهت وأمسكت عنها.
- (١٦) تنوشهم: تناولهم. وتصدُّها أي تصدُّ الحوادث. والأحلام: العقول.
- (١٧) الضرغام: الأسد.
- (١٨) القنا: الرماح. والأحلام هنا: جمع حلم، وهو ما يراه النائم.
- (١٩) يحوط جانبيه، بواو مشدَّدة: أي يحفظهما ويتعهدهما. والحسام: السيف.
- (٢٠) الخندق: حفير حول أسوار المدينة.
- (٢١) بربروس: هو خير الدين بربروس من أبطال العثمانيين، جعلت الحكومة التركية اسمه علمًا لبارجة هي الأولى في الأسطول العثماني.
- (٢٢) عصابة غرُّ المآثر: هم رجال الحكومة العثمانية الذين أوجدوا البارجة بربروس.
- (٢٣) الدعامة: عماد البيت.
- (٢٤) شَمَاء: مرتفعة عظيمة. والخضم: البحر. والبرج: واحد بروج السماء. وذات الرجع: هي السماء. والرجع: المطر بعد المطر.
- (٢٥) وإنما تبقى السيوف: أي يبقى ما تفعله السيوف ويخلد ما تسطره الأقلام.

- (٢٦) تلاك: أي جاء تاليًا لك. وطرغود: هو أيضًا من أبطال البحر العثماني، جعلت الحكومة التركيّة اسمه كذلك علمًا لبارجة أخرى. والعباب: كثرة السيل وارتفاعه. والمراد به هنا كثرة ماء البحر. والضرام اشتعال النار؛ والمعنى: أن البارجة التي سُمّيت باسم طرغود، هي مع البارجة المُسمّاة باسمك، فهما في البحر كما كنتما فيه من قبل، حين كانت تشتعل نار القتال فوق عبابه.
- (٢٧) أرسى: وقف وثبت. والفلك: السفن، يستعمل للمفرد وللجمع بلفظ واحد، وفي البيت إشارة إلى أن مرسى البارحتين كان أمام قصر الخليفة.
- (٢٨) الأزر: الظهر. والجَمّة: الكثيرة. والجسام: العظام، جمع جسيم.
- (٢٩) سكبت: صببت. والتشوّف: التطلّع.
- (٣٠) لؤلؤ: هو حسام الدين لؤلؤ، أمير الأسطول المصري في الحروب الصليبية، وطارق هو طارق بن زياد بطل الأندلس المشهور.
- (٣١) الأعلاق: نفائس الأشياء.
- (٣٢) جارف، من جرف الشيء: ذهب به كله أو أكثره.
- (٣٣) الجُدُّ: الاجتهاد في الأمر. وروح منه، أي من دينكم.
- (٣٤) والعلم من آياته: أي من آيات الدِّين.
- (٣٥) النَّهَّاض: مبالغة من النهوض، وهو القيام. وهو عصام: أي كعصام، وهو رجل شرف بنفسه وعمله، لا ينسبه وأبائه، حتى قيل فيه: «نفس عصام سوّدت عصامًا» فُضِرَبَ به المثل في ذلك.

الأندلس الجديدة

هَوَتْ الخِلافةُ عَنكِ، والإسلامُ^١
طُويَتْ، وعمَّ العالمين ظلام
قَدَرٌ يَحُطُّ البَدْرَ وهو تمام^٢
هذا يسيل، وذاك لا يلتام^٣
دُفِنَ اليراعُ، وغُيِبَ الصَّمصامُ^٤
لبسوا السوادَ عَلَيْكِ فيه وقاموا^٥
فيما نُحِبُّ ونكره الأيام
دولُ الفتوحِ كأنها أحلام^٦
فإذا غفلنَ فما عليه مَلام^٧

يا أختَ أندلسِ عَلَيْكِ سلامٌ
نزل الهلالُ عن السماءِ فليتها
أزرى به، وأزاله عن أوجِه
جُرحان تمضي الأمتان عليهما
بكما أصيبَ المسلمون. وفيكما
لم يُطَوِّ مَأْتَمُها. وهذا مَأْتَمٌ
ما بين مَصْرِعِها ومَصْرِعِ انقضت
خلت القرونُ كليليةً. وتصرَّمت
والدهرُ لا يَألو الممالكَ مُنذراً

* * *

كيف الخئولةُ فيكِ والأعمامُ؟^٨
وعلَّوهم يتخايلُ الإسلامُ؟^٩
طلعت عَلَيْكِ فريسةٌ وطعام^{١٠}
وتغيَّرَ الساقِي، وحالَ الجام^{١١}
وشهدتِ كيف أبيضتِ الآجامُ؟^{١٢}
وهل الممالكُ راحةٌ ومنام^{١٣}
وأراكِ سائغةً عَلَيْكِ زحام

مقدونيا — والمسلمون عشيرةٌ —
أترينهم هانوا، وكان بعزَّهم
إذا أنتِ نابُ اللَّيْثِ، كلُّ كتيبة
ما زالت الأيامُ حتى بُدَّلتِ
أرايتِ كيف أُدِيلَ من أسدِ الشَّرَى
زعموكِ همًّا للخِلافةِ ناصبًا
ويقول قومٌ: كنتِ أشأمَ مَورِدِ

ويراك داءَ المُلكِ ناسُ جَهالةٍ
لو آثروا الإصلاحَ كنتَ لعرشهم
وهمُّ يقيدُ بعضهم بعضًا به
صورُ العمى شتَّى، وأقبحها إذا
ولقد يُقام من السيوفِ، وليس من
بالمُلكِ منهم علةٌ وسقام
رُكنًا على هامِ النجومِ يُقام^{١٤}
وقيودُ هذا العالمِ الأوهام
نظرتُ بغيرِ عيونهنَّ الهام
عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

ومُبَشِّرٍ بالصلحِ قلت: لعله
تركَ الفريقانِ القتالَ، وهذه
ينعى إلينا الملكَ ناعٍ لم يطأ
برقِ جوائبه صواعقُ كلُّها
إن كان شرُّ، زار غيرَ مفارقِ
بالأمس (أفريقا) تولَّت. وانقضى
نظمَ الهلالُ به ممالكَ أربعا
من فتحِ هاشمٍ أو أمية، لم يُضغ
واليومَ حكمُ الله في مقدونيا
كانت من الغربِ البقية. فانقضت

خيرٌ عسى أن تصدقَ الأحلام^{١٥}
سِلمُ أمرٌ من القتالِ عُقام^{١٦}
أرضًا، ولا انتقلت به أقدام^{١٧}
ومن البروقِ صواعقُ وغمام^{١٨}
أو كان خيرٌ، فالمزارُ لِمَام^{١٩}
مُلكٌ على جيدِ الخضمِّ جسام^{٢٠}
أصبحنَ ليس لعقيدهن نظام^{٢١}
آساسها تترُّ ولا أعجام^{٢٢}
لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام
فعلى بني عثمانٍ فيه سلام!.

أخذَ المدائنَ والقرى بخناقها
غطت به الأرضُ الفضاءَ وجوهها
تمشي المناكرُ بين أيدي خيله
ويحنته باسمِ الكتابِ أقسَّةُ
ومسيطرونَ على الممالك. سُخرت
من كلِّ جزَّارِ يروم الصدَرَ في
سكِّينه، ويمينه، وحزامه

جيشٌ من المتحالفين لهُام^{٢٣}
وكست مناكبها به الآكام^{٢٤}
أنى مَشى. والبغي، والإجرام^{٢٥}
نشطوا لما هو في الكتابِ حرام^{٢٦}
لهم الشعوبُ، كأنها أنعام^{٢٧}
نادي الملوكِ، وجدُّه غنَّام^{٢٨}
والصولجانُ، جميعُها آثام^{٢٩}

«عيسى» سبيلك رحمةً، ومحبةً
 ما كنت سفاك الدماء، ولا أمراً
 يا حامل الآلام عن هذا الورى
 أنت الذي جعل العباد جميعهم
 أتت القيامة في ولاية يوسف
 كم هاجه صيد الملوك وهاجهم
 البغي في دين الجميع دنيةً
 واليوم يهتف بالصليب عصابُ
 خلطوا صليبك والخناجر والمدى
 أوما تراهم ذبحوا جيرانهم
 كم مريض في حجر نعمته غداً
 وصبيّة هتكت خميلة طهرها
 وأخي ثمانين أستبيح وقاره
 وجريح حرب ظامئ وأدوه. لم
 ومهاجرين تنكرت أوطانهم
 السيف إن ركبوا الفِرار سبيلهم
 يتلفتون مودعين ديارهم

* * *

يا أمة (بفروق) فرّق بينهم
 فيم التخاذل بينكم ووراءكم
 الله يشهد لم أكن متحزباً،
 وإذا دعوت إلى الوثام فشاعرٌ
 مَنْ يضجر البلوى فغاية جهده
 لا يأخذن على العواقب بعضكم
 تقضي على المرء الليالي، أو له
 من عادة التاريخ ملء قضائه
 ما ليس يدفعه المهند مصلاً

قَدَرُ تطيش إذا أتى الأحلام^{٤٢}
 أم تُضاع حقوقها وتُضام؟^{٤٣}
 في الرُزء لا شيع ولا أحزام^{٤٤}
 أقصى مناهُ محبةً ووثام^{٤٥}
 رُجعى إلى الأقدار واستسلام^{٤٦}
 بعضاً، فقدمًا جارت الأحكام
 فالحمد من سلطانها، والذام^{٤٧}
 عدل وملء كِنانَتِيهِ سِهام^{٤٨}
 لا الكتب تدفعه. ولا الأقلام^{٤٩}

إن الألى فتحوا الفتوح جلائلاً
 هذا جناه عليكم آباؤكم
 رفعوا على السيفِ البناءَ. فلم يدم
 أبقى الممالك ما المعارفُ أسُّه
 فإذا جرى رُشدًا ويمنًا أمرُكم
 ودعوا التفاخرَ بالتُّراثِ وإن غلا
 إنَّ الغرورَ إذا تملكَ أمةً
 لا يعدلنَّ الملكُ في شهواتكم
 ومناصبٍ في غير موضِعها. كما
 الملك مرتبةُ الشعوب. فإن يفتُ
 ومن البهائم مشبَعٌ ومُدلَّلُ
 وقف الزمانُ بكم كموقف «طارق»
 الصبرُ والإقدامُ فيه إذا هما
 يُحصي الدليلُ مدى مطالبه، ولا
 هذي البقيةُ — لو حرصتم — دولةً
 قَسَمَ الأئمةُ والخلائفُ قبلكم
 سرت النبوةُ في طهور فضائِه
 وتدققُ النهران فيه، وأزهرت
 أثرت سواحله، وطابت أرضه

دخلوا على الأسدِ الغياضِ وناموا^{٥٠}
 صبرًا وصفحًا، فالجناةُ كرام^{٥١}
 ما للبناءِ على السيوفِ دوام
 والعدلُ فيه حائطٌ وديعام^{٥٢}
 فامشوا بنورِ العلم. فهو زَمَام
 فالمجدُ كسبٌ. والزمانُ عصام
 كالزَّهر يُخفي الموتُ وهو زؤام^{٥٣}
 عرَّضَ من الدنيا بدا وحطام^{٥٤}
 حلَّت محلَّ القدوةِ الأصنام^{٥٥}
 عزُّ السِّيادةِ فالشعوبُ سَوام
 ومن الحريرِ شكيمةٌ ولجام
 اليأسُ خلفٌ، والرجاءُ أمام^{٥٦}
 قُتلا فأقتلُ منهما الإحجام
 يحصي مدى المستقبلِ المقدام
 صال الرشيد بها، وطالَ هشام^{٥٧}
 في الأرض لم تُعدَلْ به الأقسام^{٥٨}
 ومشى عليه الوحيُ والإلهام
 بغدادُ تحت ظلاله، والشام^{٥٩}
 فالدرُّ لُجٌّ، والنُّضارُ رَغام^{٦٠}

شرقًا أدرنة! هكذا يقفُ الحمى
 وتُردُّ بالدم بقعةً أخذت به
 والملكُ يؤخذ، أو يُرَدُّ، ولم يزل
 عرَّضُ الخلافةِ زاد عنه مجاهدُ
 تستعصم الأوطانُ خلف ظيَّاته
 (عثمان) في بُردِيه يمنع جيشه
 علم الزمانُ مكانَ (شكري) وانتهى

للغاصبين، وتثبتُ الأقدام^{٦١}
 ويموتُ دون عرينِه الضرعام^{٦٢}
 يرثُ الحسامَ على البلادِ حسام^{٦٣}
 في الله. غازٍ في الرسول. همام^{٦٤}
 وتعرُّ حول قناتِه الأعلام^{٦٥}
 (وابنُ الوليد) على الجمي قَوام^{٦٦}
 شكرُ الزمانِ إليه والإعظام^{٦٧}

* * *

صبرًا أدرنة! كلُّ ملكٍ زائلٌ
 خَفَتِ الأَذَانُ. فما عليكِ مُوحِّدٌ
 وخبثٌ مساجدُ كنَّ نورًا جامعًا
 يَدْرُجْنَ في حَرَمِ الصلاةِ قواننًا
 وَعَفَّتْ قبورُ الفاتحين. وَفُضَّ عن
 نُبِشَتْ على قَعَسَاءِ عَزَّتِهَا. كما
 في نَمَّةِ التاريخِ خمسةُ أشهرٍ
 السيفُ عار، والوباءُ مُسَلِّطٌ
 والجوعُ فتَّاك، وفيه صحابةٌ
 ضنوا بعرضك أن يُباعَ ويشترى
 ضاق الحصارُ كأنما حلقاته
 ورمى العدى، ورميتهم بجهنم
 بَعَتِ العدوُّ بكل شبرٍ مهجةً
 ما زال بينك في الحصارِ وبينه
 حتى حواكٍ مقابرًا، وحويته

يومًا. ويبقى المالكُ العلامَ^{٦٨}
 يسعى. ولا الجُمعُ الجسانُ تُقام^{٦٩}
 تمشي إليه الأُسُدُ والآرام^{٧٠}
 بيضُ الإزارِ كأنهن حَمَام^{٧١}
 حُفِرَ الخلائفِ جَنَدَلٌ ورجام^{٧٢}
 نُبِشَتْ على استعلائها الأهرام^{٧٣}
 طالت عليك. فكلُّ يومٍ عام^{٧٤}
 والسيْلُ خوفٌ، والثلوجُ رُكَام^{٧٥}
 لو لم يجوعوا في الجهادِ لصاموا
 عَرَضُ الحرائرِ ليس فيه سُوام^{٧٦}
 فلك، ومقذوفاتُها أجرام^{٧٧}
 مما يصبُّ الله لا الأقوام
 وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام^{٧٨}
 شُمُّ الحصونِ، ومثلُهِنَّ عِظام^{٧٩}
 جُنَّتًا، فلا عَبْنٌ ولا استِذمام^{٨٠}

هوامش

- (١) يا أخت أندلس: يخاطب مدينة أدرنة: وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية، وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان، جاءت الأبناء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن أبلت حاميتها في الدفاع بلاءً حسنًا.
- (٢) أزرى له: وضع من شأنه. والأوج: العلو.
- (٣) جرحان: أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين، والثاني خروج الأندلس من أيديهم، والأمتان: هما العرب أيام نكبة الأندلس، والترك أيام ضياع أدرنة.
- (٤) اليراع: القلم. والصمصام: السيف.
- (٥) لم يطو مأتها: أي مآتم الأندلس.
- (٦) خلت: مضت. وتصرّمت: انقضت.

- (٧) لا يألوا: لا يقصر ولا يببطئ.
- (٨) مقدونيا: اسم الإقليم الذي تقع فيه أدرنة. والعشيرة: قبيلة الرجل. والخوثة النسبة إلى الخال، كالعمومة، وهي النسبة إلى العم.
- (٩) يتخايل: يتبختر.
- (١٠) إذا أنت ناب الليث: أي مثل ناب الليث، في أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه. والكتيبة: الجيش، وقيل القطعة منه. والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه في مقدونيا، حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع ناب الليث على من يريده، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الأعداء.
- (١١) حال: تحوّل من حال إلى حال. والجام: إناء من فضة تسقى فيه الخمر.
- (١٢) الشرى: مكان تكثر فيه الأسود. والآجام: جمع أجم، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضًا.
- (١٣) الهمُّ الناصب: المتعب.
- (١٤) لو آثروا الإصلاح: أي لو اختاروه. والهام: جمع هامة، وهي رأس كل شيء.
- (١٥) ومبشر بالصلح: يشير إلى ما كان قد جاء من الأنبياء بأن الصلح سيتمُّ بين المتحاربين.
- (١٦) يقال: داء عقام، أي لا يُرَجَى البرء منه، وحرب عقام: أي شديدة، وكلا المعنيين صالح هنا. ويشير بقوله: هذه سلم. إلخ، إلى ما كان من ممالأة الدول الأوربية الكبرى، لدول البلقان الصغيرة على تركيا، وإرهاقها بشروط الصلح.
- (١٧) ينعي إلينا.. إلخ: يشير إلى الأنباء البرقية التي تنقل شروط الصلح الظالم. والناعي الذي لم يطفأ أرضًا.. إلخ: هو سلك البرق.
- (١٨) الجوائب: الأخبار الطارئة. جمع جائبة.
- (١٩) اللمام: جمع لمة وهي المرّة، يقال: أنت ما تزورنا إلا لمامًا: أي من حين إلى حين.
- (٢٠) الجيد: العنق. والخضم: البحر. وجسام: عظام جمع: عظيم.
- (٢١) ممالك أربعًا، هنّ: مصر، وطرابلس، وتونس، والجزائر.
- (٢٢) من فتح هاشم أو أمية: أي هذه الممالك الأربع مما فتحه بنو هاشم وبنو أمية في عصر الإسلام الأول. والأساس (بالمدّ): جمع أساس.
- (٢٣) المتحالفون: هم دول البلقان: اليونان، ورومانيا، والبلغار، والصرب، تحالفوا على حرب الدولة التركيّة. واللهم بضم اللام: الجيش العظيم، كأنه يلتهم كل شيء.

- (٢٤) مناكبها: نواحيها. والآكام: التلال. وقيل: هي الحجارة المجتمعة في أمكنة واحدة.
- (٢٥) المناكر: جمع منكر، وهو كل قول أو فعل ليس فيه رضاء الله، وأنى مثنى: أي كيف مثنى.
- (٢٦) الأقسمة: جمع قسيس. ونشطوا: خَفُّوا وأسرعوا.
- (٢٧) ومسيطرون: أي ويحثه مسيطرون. والمسيطر: المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله؛ والمراد بهم ملوك دول البلقان.
- (٢٨) يروم الصدر: يطلبه. والصدر — هنا — معناه أعلى أمكنة النادي.
- (٢٩) الصولجان: المحجن، وهو عصا منعطفة الرأس.
- (٣٠) سَفَّك الدماء: مريقها بكثرة.
- (٣١) يشير بقوله: يا حامل الآلام، إلخ إلى ما يعتقدُه النصراني من أن السيد المسيح (عليه السلام) صُلِبَ ليحمل عن بني آدم خطيئتهم الأولى، أي حامل الآلام فيما يزعمه هؤلاء السفاكون الذين يزعمون أنهم على طريقك.
- (٣٢) يوسف: هو السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي، قامت في أيامه قيامة الصليبيين على المسلمين؛ فحاربهم ونصره الله عليهم.
- (٣٣) هاجه: أثاره، والضمير ليوسف. وصيد الملوك: جمع أصيد، وهو الملك؛ لأنه لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً، كالبعير الذي أصيب بداء الصيد في عنقه فلا يلتفت.
- (٣٤) العصائب: جمع عصابة، وهي الجماعة من الرجال، وقيل ما بين العشرة والأربعين. وظلَّام: جمع ظالم.
- (٣٥) خلطوا صليبك: أي الصليب الذي ينسبونه إليك. والجَمَام: الموت.
- (٣٦) كم مرضع: أي طفل ترضعه أمه. والفِطَام: فصله عن الرضاع.
- (٣٧) الخميلة، هنا: الدثار، من المخمل، وهو ثوب له وبر كالهدهاب، أو هي الشجر الكثير الملتف، والنور: هو الزُّهر الأبيض. والأكمام: جمع كم — بكسر الكاف — وهو غطاء النور.
- (٣٨) وأدوه: أي قتلوه، كما تقتل البنت بالوَأد، وهو دفنها حية. وجرح دم: أي يقطر منه الدم. والأوام: العطش ودوار الرأس.
- (٣٩) هاموا: ذهبوا على وجوههم من الظلم، فلا يدرون أين يتوجهون.
- (٤٠) النطع: بساط من الجلد يُفَرَسُ لَمَنْ يُضَرَّبُ عنقه، والقرار: المكان الذي يقرُّ فيه الإنسان، أو هو الثبات في المكان والسكون فيه.

- (٤١) والديار ضرام: أي مشتعلة نارًا.
- (٤٢) فروق: الأستانة. والأحلام: العقول.
- (٤٣) التَّخَاذُلُ: التَّدَابُرُ وَأَنْ يَخْذُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.
- (٤٤) الرزء: المصيبة. والشيع: جمع شيعة، وهي أتباع الرجل وأنصاره. والأحزام: الأحزاب.
- (٤٥) الوئام: الوفاق.
- (٤٦) رجعى إلى الأقدار: أي رجوع إليها.
- (٤٧) الذَّامُ: الذَّمُّ.
- (٤٨) الكنانتان: تثنية كنانة، وهي جعبة السهام، من الجلد أو من الخشب.
- (٤٩) المهتد: السيف.
- (٥٠) الغياض: جمع غيضة، وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء، وهي أيضًا الأجمة، والمعنى: إن أسلافكم قنعوا من البلاد التي فتحوها بمجرد الفتح والغلبة، ولم يلتفتوا إلى أن أهلها يضمرون لهم العداوة، ويتربصون بهم الدوائر.
- (٥١) هذا: أي ما أنتم فيه من عداوة.
- (٥٢) الدعام: عماد البيت.
- (٥٣) كالزهر يخفي الموت: ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء في الأمكنة الضيقة؛ فيحدث الاختناق. والزؤام: السريع من الموت.
- (٥٤) عرض الدنيا: ما لا دوام له منها. وحطامها: ما فيها من مال كثير أو قليل.
- (٥٥) مناصب جمع منصب. بكسر الصاد، وهو في كلام المولدين ما يتولاه الرجل من العمل وأصله المقام. والأصنام: جمع صنم، وهو تمثال إنسان أو حيوان يتخذ للعبادة.
- (٥٦) طارق: هو طارق بن زياد بطل الأندلس المشهور. يروي بعض المؤرخين أنه لما عبر بجيشه البحر ليقاتل الأعداء: أمر فأحرقت السفائن، ثم خطب في الجيش: أن البحر وراءه والعدو أمامه، فإذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك.
- (٥٧) هذي البقية: أي ما بقي للأتراك من البلاد بعد حرب البلقان. ولو حرصتم: أي لو حرصتم عليها. والرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي. وهشام: هو ابن عبد الملك أحد خلفاء بني أمية.
- (٥٨) القسم (بكسر القاف): النصيب.

- (٥٩) النهران: دجلة والفرات، وبغداد: حاضرة العراق.
- (٦٠) أثرت: كثر فيها الغنى والمال. فالدرُّ لَجَّ: أي كثر كاللج. والنضار: الذهب. والرغام: التراب؛ أي أنه لكثرتة صار كالتراب.
- (٦١) شرفاً أدرنة: أي لقد شرفت شرفاً. والحمى: ما يُحمى من الشيء.
- (٦٢) العرين: مأوى الأسد. والضرغام: الأسد.
- (٦٣) الحسام: السيف.
- (٦٤) العِرض: جانب الرجل الذي يصونه من نفسه أو سلفه، وهو موضع المدح والذمّ منه. وذاد عنه: طرد عنه العدو ودفعه.
- (٦٥) تستعصم: تلجأ وتمتنع. الطبات: جمع ظبة — بضم الظاء، وهي حدُّ السيف. وتعزُّ: تصير عزيمة مكرمة.
- (٦٦) ابن الوليد: هو خالد بن الوليد، قائد عظيم من الصحابة.
- (٦٧) شكري: هو بطل أدرنة، وقائد حاميتها الذي تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار.
- (٦٨) صبراً أدرنة: أي اصبري صبراً.
- (٦٩) خفت: سكن وانقطع. والموحد: مَنْ يعتقد أن الله واحد لا شريك له ولا ولد. والجمع: هي صلوات الجمع الأسبوعية.
- (٧٠) خبت: سكنت. والأُسْدُ: هم الرجال الذاهبون إلى المساجد. والآرام: النساء الذاهبات إليها. والرئم: الظبي الأبيض.
- (٧١) يدرجن: يمشين، والضمير للآرام في البيت المتقدم. والقوانت: جمع قانطة، من القنوت، وهو الطاعة والدعاء.
- (٧٢) عفت: اضمحلت وأمّحت. وفُضَّ جنْدل ورجام: أي كُسِرَ متفرقاً. والجنْدل: الحجارة. والرجام: ما يبني عليه البئر وتعرض فوّه الخشبة للدلو.
- (٧٣) العزّة القعساء: المنيعة الثابتة.
- (٧٤) خمسة أشهر: هي مدة حصار أدرنة.
- (٧٥) السيف عار: أي مجرّد من غمده كما يتجرّد الإنسان من ثيابه، والمراد أن القتال مستمرٌّ. والوباء مسلط: هو الوباء الذي يحدث عادة في كل مكان يكثر فيه القتال ويكون محصوراً من الخارج. والسيل خوف: أي مخيف. والثلوج ركام: أي متراكم بعضها فوق بعض.

(٧٦) الحرائر: جمع حرّة. والسوام (بضم السين): أن تُعْرَضَ السلعة ويُذَكَّرَ ثمنها.

(٧٧) الفلك: مدار النجوم. والأجرام: هي الأجسام التي في الفلك.

(٧٨) المهجة: الروح أو دم القلب. أي أن العدو لم ينك إلا بعد أن بذل في كل شبر

من أرضك رجلاً من رجاله.

(٧٩) شَمُّ الحصون: أي الحصون العالية.

(٨٠) حواك: ملكك. والاستدمام. فعل ما يقتضي الذم. والمعنى: أن الحصون بقيت

ثابتة بينك وبين الأعداء كما كان بينك وبينهم من عظام القتلى أكوام كالحصون، فلم

يأخذك إلا بعد أن صرت مقابر لرجال جثثا هامة؛ وبهذا لم تفعل ما فيه غبن ولا ما

يقتضي الذم.

ضيف أمير المؤمنين^١

فَرَعَ عَثْمَانَ، دُمٌ، فِدَاكَ الدَّوَامُ^١
لَكَ مِنْكَ الثَّنَاءُ وَالْإِكْرَامُ
أَنْهَا الشَّمْسُ لَيْسَ فِيهَا كَلَامُ؟
بِأَحَادِيثِهِ يَتِيَهُ الْأَنَامُ^٢
أَنْتَ فِيهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامُ^٣
وَأَمٌّ مَجْدًا، وَلَنْ يَرَى الْأَقْوَامُ
وَمَثَلًا، تَعِيدُهَا أَعْوَامُ^٤
فِي ثَمَانَ وَمِثْلَهُنَّ يُقَامُ
دُونَهَا أَنْ تَنَالَهَا الْأَفْهَامُ
النَّاسُ ذُو الْمَقْلَةِ الَّتِي لَا تَنَامُ؟^٥
يُكْرِمُ، وَفَعَلُهُ الْإِهَامُ؟^٦
يَا عَظِيمًا مَا جَاذَهُ إِعْظَامُ^٧
وَيَمِينُ بُسْطًا، وَأَمْرٌ جَسَامُ^٨
لِلْبَرَايَا، وَعَصْمَةٌ، وَسَلَامُ^٩
تُوجَّعُ الْبَائِسُونَ وَالْأَيْتَامُ

رَضِيَ الْمُسْلِمُونَ وَالْإِسْلَامُ
كَيْفَ نَحْصِي عَلَى عُلاكَ ثَنَاءً؟
هَلْ كَلَامُ الْعِبَادِ فِي الشَّمْسِ إِلَّا
وَمَكَانُ الْإِمَامِ أَعْلَى، وَلَكِنْ
إِيهِ «عَبْدُ الْحَمِيدِ»، جَلَّ زَمَانُ
مَا رَأَتْ مِثْلَ ذَا الَّذِي تَبْتَنِي الْأَقْفُ
دَوْلَةٌ شَادَ رَكْنَهَا أَلْفُ عَامٍ
وَأَسَاسُ مِنْ عَهْدِ عَثْمَانَ يُبْنَى
حِكْمَةٌ حَالُ كُلِّ هَذَا التَّجَلِّي
يَسْأَلُ النَّاسُ عِنْدَهَا النَّاسَ: هَلْ فِي
أَمٍّ مِنَ النَّاسِ - بَعْدَ - مَنْ قَوْلُهُ وَحْدًا
صَدَقَ الْخَلْقُ، أَنْتَ هَذَا، وَهَذَا
شَرَفٌ بَانُخٌ، وَمَلِكٌ كَبِيرٌ
(عَمْرٌ) أَنْتَ. بَيِّدَ أَنْكَ ظِلٌّ
مَا تَتَوَجَّعَتْ بِالْخَلَافَةِ حَتَّى

^١ نزل صاحب الديوان بالآستانة، فَبَلَغَ أَنَّهُ ضَيْفٌ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقَامَ بِهَا.

وسرى الخُصْب والنماء، ووافى الـ
وتلقَى الهلالَ منك جبينٌ
فسلامٌ عليهمُ وعليه
وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عُلـ
يهرعُ العرشُ، والملوكُ إليه
هكذا الدهرُ: حالةٌ. ثم ضدُّ
ولأنتَ الذي رعيتهُ الأُسـ
أمةُ التُّركِ، والعراقُ، وأهلو
عالمٌ لم يكن ليُنظَم، لولا
هذبتهُ السيوفُ في الدهرِ، واليو
أيقولون: سَكْرَةٌ لَن تَجَلَّى
ليدوقنَ للمُهلهلِ صَحْوًا
وضعُ الشرقِ في يديك يديه
بالولاءِ الذي تُريد الأيادي
غيرَ غاؤ. أو خائن. أو حسود
كيف تُهدى لما تشيد عيونُ
مُقلٌ عانت الظلامَ طويلاً
قد تعيش النفوسُ في الضيم حتى
أيها النافرون. عودوا إلينا
غرضُ أنتم. وفي الدهرِ سهمٌ
نمتم. ثم تطلبون المعالي
شُرَّ عيشِ الرجالِ ما كان حُلْمًا
ويبيت الزمانُ أندلسيًا

بِشْرُ، والظَلُّ، والجَنَى، والغَمَامُ^{١٠}
فيه حسنٌ، وبالْعُفَاةِ غَرَامُ^{١١}
يَوْمَ حَيَّتَهُمُ بِهِ الأَيامُ
يَاكَ فِي الذَّرْوَةِ التي لا تُرامُ^{١٢}
وبنو العصرِ، والولاءُ الفِخَامُ^{١٣}
ما لحالٍ مع الزمانِ دوامِ
دُ، وَمَسْرَى ظلالها الأجامُ^{١٤}
ه، ولبنانُ، والرُّبَى، والخيامِ
أَنكَ السَّلْمُ وَسَطُهُ والوئامُ^{١٥}
مَ أتمتَ تهذيبه الأَقلامُ^{١٦}
وقعودٌ مع الهوى، وقيامُ؟^{١٧}
تَشْرَفُ الكَأْسُ عنده والمُدَامُ^{١٨}
وأنتَ من حُماتِه الأقسامُ^{١٩}
والولاءِ الذي يريد المقامُ^{٢٠}
برئتَ من أولئك الأحلامُ^{٢١}
في الثرى ملؤها حصىً ورغامُ؟^{٢٢}
فعماها في أن يزولَ الظلامُ^{٢٣}
لترى الضيمَ أنها لا تضامُ^{٢٤}
وإجوا البابَ، إنه الإسلامُ^{٢٥}
يَوْمَ لا تدفعُ السهامَ السهامُ^{٢٦}
والمعالي على النيامِ حرامُ^{٢٧}
قد تسيغُ المنيةُ الأحلامُ^{٢٨}
ثم يُضحِي وناسُه أعجامُ^{٢٩}

عاليَ البابِ. هَزَّ بأبْكَ مِنَّا
وتجلَّيتَ، فاستلمنا، كما للند
نستميحُ الإمامَ نصرًا لمصرِ
فسعينا. وفي النفوسِ مَرَامُ^{٣٠}
سِ بالركنِ ذي الجلالِ استلامُ^{٣١}
مثلما ينصرُ الحسامَ الحسامُ^{٣٢}

فلمصر - وأنت بالحبِّ أدرى -
 يشهدُ الله، للنفوس بهذا
 وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو
 وعدوها لنا وعودًا كبارًا
 فمللنا، ولم يكُ الداءُ يحمي
 يمنحُ القيدُ أن تقوم. فهل تا
 فارفع الصوت: إنها هي مصرُ
 وارع مصرًا ولم تزل خيرَ زارع
 إن جهد الوفاءِ ما أنت آت
 وليصولوا بمنْ له الدهرُ عبدُ
 فاللواءُ الذي تلقَّوا رفيعُ
 مَنْ يُردُّ حَقَّهُ فللحق أنصا
 لا تروقنْ نومةَ الحقِّ للبا
 إن للوحش - والعظامُ منها -
 رافع الضادِ للسُّها، هل قبولُ
 قامت الضادُ في فمي لك حُبًا
 إن في «يلدز» الهوى لخلال
 قد تجلَّت لخير بدرٍ أقلَّت
 فالزم التَّمَّ أيها البدرُ دومًا

بك - يا حامِي الحمى - استعصام^{٢٣}
 وكفانا أن يشهدَ العلامَ
 جورَ دهرٍ، أحرارُه ظلامَ^{٢٤}
 هل رأيت القرى علاها الجهام؟^{٢٥}
 أن تملَّ الأرواح والأجسام^{٢٦}
 جُ؟ فبالتاج للبلاد قيام
 وارفع الصوت: إنها الأهرام
 فلها بالذي أرتك زمام
 فليقم في وقائك الخدام^{٢٧}
 وله السعدُ تابعٌ وغلَام^{٢٨}
 والأمور التي تولَّوا عظام
 ر كثيرٌ، وفي الزمان كرام
 غي، فللحق هبةٌ وانتقام
 لمنايا أسبابهن العظام^{٢٩}
 فيباهي النجومَ هذا النظام؟^{٤٠}
 فُهي فيه تحيةٌ وابتسام
 أنا صبُّ بلطفها. مُستهام^{٤١}
 في كمالٍ بدت له أعلام^{٤٢}
 والزم البدرَ أيهذا التمام^{٤٣}

هوامش

- (١) فرع عثمان: هو السلطان عبد الحميد.
- (٢) يتيه: يتكبر.
- (٣) إيه: اسم فعل، معناه الاستزادة من الحديث.
- (٤) شاد ركنها ألف عام ومئات: أي رفع ركنها ألف عام ومئات، وهي دولة الإسلام منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام. تعيدها أعوام: أي ترجعها إلى مثل قوتها أعوام معدودة، هي التي توليت فيها أمرها.
- (٥) يسأل الناس عندها: أي عند هذه الحكمة، والمعنى أن بعضهم يسأل بعضًا: هل فيهم مَنْ هو مثلك ساهر على الملك فلا تنام عليه؟

(٦) أم من الناس: أي يسألون أيضاً: أمنهم مَنْ يكون له ذكر بعدك، أنت الذي يصدر عنك القول صادقاً مطاعاً كأنه الوحي، ويصدر عنك العمل صواباً كأنه إلهام من الله.

(٧) صدق الخلق: أي صدقوا في الحالين، فأنت الذي لا تنام عينك، وأنت القائل المصدق، والفاعل الصواب.

(٨) شرف بانخ: طويل، ويمين بسط (بضم الباء): أي مبسوطه مطلقه، كناية عن الجود والسخاء. أمر جسام. بضم الجيم: عظيم ضخم.

(٩) عمر أنت: أي أنت كعمر بن الخطاب في عدله وتقواه.

(١٠) الخصب: رغد العيش. والجنى: ما يجنى من الشجر.

(١١) وبالغافة غرام: أي وفيه غرام العفاة. والعفاة: جمع عافٍ وهو طالب الفضل والرزق.

(١٢) من عليك. والعلياء: ما علا من الشيء.

(١٣) يهرع: يمشي إليه بسرعة. والفخام: جمع فخم. وهو العظيم القدر.

(١٤) المسرى، السريان، كما يسري الماء أو السير عامة الليل. والأجام: جمع أجم، وهو الشجر الكثير الملتف.

(١٥) ينظم: أي ينتظم. والسلم: ضد الحرب. والوثام: الوفاق.

(١٦) هذَّبته: أصلحته.

(١٧) لن تجلى: أي لن تنجلي، تنفرج وتنكشف.

(١٨) ليذوقن: هنا قسم، أي والله ليذوقن. والضمير في هذا الفعل للجماعة، يرجع إلى القائلين الذين يدلُّ عليهم قوله «أيقولون» في البيت المتقدم، والمهلهل بكسر الهاء الثانية: هو عدي بن ربيعة، أخو كليب بن ربيعة، وكليب هذا كان من الرؤساء في الجاهلية، قتله جساس أخو امرأته وخبرهما مشهور في أيام العرب وحرروبهم، وكان المهلهل صاحب شراب وقمار ونساء، فلما علم بقتل أخيه هجر النساء والغزل، وحرَّم القمار والشراب، وشغل عن هذا كله بالحرب وطلب الثأر. وإلى هذا يشير بقوله: ليذوقن للمهلهل صحوا. إلخ: أي ليذوقن صحواً كصحو المهلهل، وحرماً كالحرب التي أثارها.

(١٩) الحماة: جمع حام، وهو المانع الدافع. والأقسام: الأيمان: جمع قسم.

(٢٠) الذي تريد الأيادي.. إلخ أي أتوا يحثُّهم الولاء الذي تقتضيه أياديك عليهم — جمع يدٌ. وهي النعمة — والولاء الذي يستوجبه مقامك الرفيع.

- (٢١) برئت من أولئك: أي من هذه الأصناف الثلاثة. والأحلام: العقول.
- (٢٢) لما تشيد: لما تبني. والثرى: التراب، وكذلك الرغام.
- (٢٣) مقلٌ: جمع مقلة، وهي العين.
- (٢٤) الضيم: الظلم والقهر.
- (٢٥) النافرون: المتفرقون المتباعدون. لجوا: ادخلوا.
- (٢٦) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه.
- (٢٧) المعالي: جمع معلاة (بفتح الميم) وهي الرفعة والشرف.
- (٢٨) الحلم (بضم الحاء): ما يراه النائم. جمعه أحلام.
- (٢٩) أندلسياً: أي كزمان الأندلس أيام عزّ العرب والإسلام فيها.
- (٣٠) عالي الباب: أي يا من بابك العالي. هزّ بابك منا: أي هزّنا. وفي النفوس مرام: مطلب.
- (٣١) تجلّيت: ظهرت. والركن: ركن الكعبة. والاستلام: اللمس إمّا بالقبلة أو باليد.
- (٣٢) نستميح: نسأل. والحسام: السيف.
- (٣٣) الحمى: ما حُمي من شيء. استعصام: استمسك.
- (٣٤) الجور: الظلم. وظُلّامٌ: جمع ظالم.
- (٣٥) القرى: جمع قرية. والجهام (بفتح الجيم): السحاب لا ماء فيه، يعني أن تلك الوعود كانت كالسحاب الذي لا خير فيه.
- (٣٦) ولم يك الداء ييمى.. إلخ: أي لم يكن من شأن الداء أن يمنع الأرواح والأجسام من أن تمّله وتسأمه.
- (٣٧) إن جهد الوفاء: أي غاية الوفاء. ما أنت آتٍ: أي آتية وفاعله.
- (٣٨) وليصولوا: أي وليسطوا بأمرك على من ظلموا مصر حتى يقهروهم.
- (٣٩) العظام: جمع عظم. ومنهاها: جمع أمنيّة. ومنهايا: جمع منيّة، أي أنّ الوحوش تجد منيتها في العظام وهي تطلبها للأكل والغذاء.
- (٤٠) الضاد: اللغة العربية. والسّها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى. هذا النظام: أي الشعر.
- (٤١) يلدز: قصر السلطان عبد الحميد في الآستانة.
- (٤٢) أقلّت: حملت.
- (٤٣) التّمّ والتمام: الكمال.

ذكري دنشواي^١

ذهبتُ بأنسِ رُبوعِ الأيامِ
هيهاتَ للشملِ الشتيتِ نظامِ
ومضى عليهم في القيودِ العامِ
وبأيِّ حالٍ أصبح الأيتامُ؟
بعد البشاشةِ وحشةٌ وظلامِ
أم في البروجِ منيَّةٌ وجمامِ؟
لعرفتُ كيف تُنفذُ الأحكامِ!
شعباً بوادي النيلِ ليس ينامِ
سَحراً وبين فراشه الأحلامِ
ضجَّتْ لشدَّةِ هوله الأقدامِ
متوحِّداتٍ والجنودُ قيامِ
تَدْمَى جلودُ حوله وعظامِ
جزعاً من الملاءِ الأسيفِ زحامِ
وعلى وجوهِ الثاكلينِ رغامِ

يا دنشواي. على رُباكِ سلامُ
شهداءُ حُكِمك في البلادِ تفرَّقوا
مرَّت عليهم في اللحدِ أهلةٌ
كيف الأراملُ فيك بعد رجالِها؟
عشرون بيتاً أقفرت، وانتابها
يا ليت شعري: في البروجِ حمائمٌ
«نيرونُ»، لو أدركتَ عهدَ «كرومرِ»
نوحى حمائمٌ دنشواي، ورُوِّعي
إن نامتِ الأحياءُ حالتُ بينه
متوجِّع، يتمثَّلُ اليومَ الذي
السوطُ يعملُ، والمشانقُ أربعُ
والمستشارُ إلى الفضائعِ ناظرُ
في كلِ ناحيةٍ وكلِّ محلَّةٍ
وعلى وجوهِ الثاكلينِ كآبةٌ

^١ قيلت بعد مرور عام على حادثة هذه القضية في سبيل طلب العفو عن سجنائها.

الهلال الأحمر^١

يا قومَ عثمان — والدنيا مداولةٌ —
تعاونوا بينكم يا قومَ عثمان^١
كونوا الجدارَ الذي يقوى الجدارُ به
فالله قد جعل الإسلامَ بنيانا^٢
أمسى السبيلَ لغير المحسنين دماً
فشأنكم وسبيلاً نورُهُ بانا
البرُّ مِنْ شُعبِ الإيمانِ أَفضلُها
لا يقبل اللهِ دون البرِّ إيماناً^٣
هل ترحمون — لعل الله يرحمكم —
بالبيد أهلاً، وبالصحراء جيراناً؟
في ذمّةِ الله — أوفى ذمّةٍ — نَفَرٌ
على طرابُلسٍ يقضون شجعاناً؛
إن سال جرحاهُم من عُربَةٍ ووَعَى
باتوا على الجمرِ أرواحاً وأبداناً^٤

^١ كانت جماعة الهلال الأحمر المصرية قد أحييت ليلة تجمع بها التبرعات؛ لإعانة المقاتلين في طرابلس الغرب من الجيش العثماني، حين أغارت إيطاليا عليها، فقال في ذلك هذه القصيدة.

هذا يَحْنُ إلى البسفور مُحْتَضِرًا
وذاك يبكي الغَضَا، والشيخ، والباناء^٦
يُودَعُونَ على بعدِ ديارَهُمْ
وينشدون بُنَيَّاتٍ وَصِيبَانَا^٧
أَذْنَبُهُمْ عند هذا الدَّهْر أَنَّهُمْ
يحمون أَرْضًا لهم دِيسْت وَأوطَانَا؟
ماتوا، وَعَرَضُهُم الموفورُ بعدهم
والعِرْضُ لا عَزَّ في الدنيا إذا هَانَا^٨
قَوْمِي - وَجَلَّتْ وَجْوهُ القوم - مصرُ بكم
أَلقت على كرماءِ الدَّهْر نسيَانَا^٩
لا تسألون عن الأعوان إن قعدوا
وتنهضون إلى الملهوف أعوانَا^{١٠}
أَكَلَمَا هَزَّكُم دَاعٍ لصالِحَةٍ
قمتم كُهولا إلى الداعي وفتيانَا؟^{١١}
لو صُورَ الشرق إنسانًا أخا كرم
لكنتمُ الروح، والأقوامُ جثمانَا^{١٢}
إذا هَزِزْتَم تلاقى السيفُ منصِلتًا
والريحُ مُرْسَلَةٌ، والغيثُ هَتَّانَا^{١٣}
إذا المكارمُ في الدنيا أُشِيدَ بها
كانت كتابًا، وكُنَّا نحنُ عُنوانَا^{١٤}
إنَّ الحياةَ نهارٌ أو سحابتُهُ
فِعِشْ نهارَكَ من دنياك إنسانَا
أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ
ولا أرى لبخيل القوم وجدانَا^{١٥}

هذا الهلالُ الذي تُحيون ليلتَهُ
أبهى الأهلَّةِ عند الله ألوانَا^{١٦}

- أراه من بىن أعلام الوغى مَلَكًا
وما سواه من الأعلام شىطانا^{١٧}
فان، فقىه من الجرعى مُشاكلَة
ءى إذا قىل ماتوا اخضر رىحانا^{١٨}
لءاملىه ءلال منه مءتبس
كأنا رفءوا للناس قُرأنا^{١٩}
كأن ما اءمر منه ءول ءرته
ءم البرىء ذكى الشىب ءثمانا^{٢٠}
كأن ما ابىض فى أثناء ءمرته
نور الشهىء الذى قء مات ظمانا^{٢١}
كأنه شفق تسمو العىون له
قء قَلَدَ الأفق ياقوئا ومرجانا
كأنه من دم العشاء مءضب
ىثیر ءىء باءا وءءا وأشجانا^{٢٢}
كأنه من ءمال راء وءى
ءءوء ىوسف لماً ءف ولهاننا^{٢٣}
كأنه ورءة ءمراء زاهىة
فى الخلء قء فءء فى كف رضوانا^{٢٤}

ءوامش

- (١) مءاولة: من ءاول الله الأىام بىن الناس، أى صرفها بىنهم.
(٢) الءءار: الءاط.
(٣) البر: الءىر والعطاء. والشعب: ءمع شعبه، وهى ءصن الشءرة، أو هى الطائفة من الشىء.
(٤) ىقضىون: ىموتون.
(٥) ءرحاهم: أى الءرحى منهم. والوغى: الءرب.
(٦) هذا ىءن إلى البسفور.. إلء: أى من كان منهم تركىا ىءن إلى بلاءه التى كنى عنها بالبسفور، ومن كان عربىا بكى فرقة بلاءه التى كنى عنها بالءضا والبان، وهما

نوعان من الشجر ينبتان في بلاد العرب، والشيخ: هو نبات طيب الرائحة. والمحتضر: مَنْ حضرته الوفاة.

(٧) ينشدون بنيات ... إلخ: يطالبونها ويسألون عنها، أي ينشدون بنياتهم وصبيانهم.

(٨) ماتوا وعرضهم الموفور: أي ماتوا في سبيل صيانة عرضهم، فتركوه عزيزاً موفوراً.

(٩) قومي: أي يا قومي. وجلت وجه القوم: أي وجوهكم، وهذه جملة معترضة بين المنادى وما كان من أجله النداء، وهو الإخبار بأنهم لما جاءوا بالخبر العظيم نسي سواهم من الكرماء في غير مصر، فلم يعد لهم ذكر.

(١٠) لا تسألون: أي أنتم لا تسألون. وتنهضون: تقومون. والملهوف: المظلوم المستغيث.

(١١) أكلماً: الهمزة للاستفهام، وكلما هي لفظ «كل» مضافة إلى «ما» المصدرية الظرفية، وهي حينئذ تفيد التكرار. ولصاحبة: أي فعلة صاحبة. والكهول: جمع كهل، وهو الرجل من أربع وثلاثين إلى إحدى وخمسين.

(١٢) الجثمان: الجسم.

(١٣) السيف المنصلت: المجرّد من غمده: والهتّان: المنصب.

(١٤) أشيد بها: أي ذكّرت بالثناء عليها.

(١٥) الوجدان والعاطفة: من استعمالات المولدين؛ يراد بهما الشعور القلبي.

(١٦) الهلال: اسم لراية الدولة التركية، وهي حمراء اللون في وسطها رسم الهلال بلون أبيض.

(١٧) أراه من بين أعلام الوغى: أي من بين الأعلام المنشورة في الحرب. ومَلْكا: أي كالملك في تنزّهه وطهارة عمله، وهو واحد الملائكة.

(١٨) المشاكلة: المشابهة.

(١٩) الجلال: التناهي في عظم القدر. ومقتبس: متّخذ ومستفاد.

(٢٠) الغرّة: بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم. شبّه بها رسم الهلال لأنه أبيض. وعثمان: هو الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه).

(٢١) الأثناء: تضاعيف الشيء ومطاويه، واحداً ثني، بكسر الهمزة.

(٢٢) مختضب: ملون. والوجد: الحُبُّ. والأشجان: الأحزان والهموم.

- (٢٣) الجمال الرائع: يروع الرائي، أي يعجبه. ويوسف: هو يوسف الصديق (عليه السلام). وعفَّ: كفَّ عما لا يحلُّ. والولهان: الحزين، أو الذي ذهب عقله حزناً.
- (٢٤) رضوان: من الملائكة، وهو — كما يقول رجال الدين — موكل بأبواب الجنة.

رومة^١

صديقي المحترم:

صدرت^١ عن باريس وكأنها بابل ذات البرج والجسر وهي في دولتها، أو طيبة^٢ في الزمن الأول، إلا أنها مدينة الشمس، وباريس مدينة النور، أو رومة^٣ مقرّ القياصر، ومودحمُ الأجناس والعناصر، وهي في رفعة مُلكها الفاخر، تموج بالأمم كالبحر الزاخر، أو الإسكندرية؛ ذاتُ المسلة — والمسلة في باريس — وهي في ذروة سعتها وأوج كمالها، تُغيّرُ الشمس في سرير مجدها بجلالها وجمالها، أو «بغداد»^٤ في إبان إقبالها، وسلطان أقبالها، وأيمن أمرها، وأسعد حالها، فسبحان المنعم، أعطى «مدينة المعروض» الأسماءَ كلّها، وجلّت قدرته، بعث المدائن في واحدة.

رحلتُ عنها في اليوم الذي أسفر صباحُه عن ليلة الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين، وقد نالها منهم ستون ألفاً أو يزيدون، كلهم من مشهوري الصناع، وكبار المخترعين، شيعوا في ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفنناه، وكأنه نهار مرّ، أو ليلة تقضت بالسمر،^٥ ثم انقلبنا ننفض الأنامل من ترابه، ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغرر والتحجيل،^٦ يذكره التاريخُ بالتعظيم والتبجيل، قام العلمُ فيه على أمتن بنيات، ورُفعت الحجب بين الحقائق والإنسان، ضُربت له أطولُ سماءٍ من ضروب العرفان، واستمدت من القادر^٧ مبالغ الإمكان، فاقتاد البرّ بشعرة، وزمّ البحر

^١ نظم صاحب الديوان هذه القصيدة، وقدمها بكتاب إلى صديقه المؤرّخ الأستاذ إسماعيل بك رأفت.

بإبرة،^٩ وفرق^{١٠} الأرض وبلغ الجبال، وأوشك أن يمدَّ إلى السماء بحبال، ونفدَ على النجم المدى، ووجد على القطب هدى، وغاص على الحروب الماء، وركب إلى الوقائع الهواء، وكسر شِرةَ الدَّاءِ^{١١} وقتل قتَّاله وراض العياء، ودخل بصره على الجسم الأحشاء، وأنطق الآلة الصَّمَاءِ، ونقل الحديث من فضاء إلى فضاء، على انقطاع الصلَّةِ بين النطق والإصغاء، وحركَ الصُّورَ وهي هباء، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء، ونال سرائر الحوَّباء،^{١٢} وخاض في الطبائع^{١٣} والأهواء؛ فانكشف له الغطاء وبرح الخفاء،^{١٤} ونشر فكاك يوحى إليه في الإنشاء، ونظم فلم يدع من آية في الأرض ولا في السماء.

كل هذا أيها الأستاذ عرضته (باريس) للناس في خير معرضٍ أخرج لهم، فواهاً^{١٥} له من سوق ثم ينفض، ويا أسفاً على بنيانه يومَ ينقض.

برحثها وهي تجرُّ الذيلَ على المدائن الكُبرى،^{١٦} وتزري بالحضارات ما حضر منها وما غبر،^{١٧} وقصدت إلى رومةً لعي أرذُ النفس إلى الخشوع. وأداوي الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى، فبلغتها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم، وحجرٍ كاد لكرامته يُستلم،^{١٨} فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدارَ^{١٩} وأنشد^{٢٠} ذلك القصر وتلك الدَّار، إلى أن ثار الشعر — والشعر ابن أبوين: «التاريخ، والطبيعة» — فنظمت، وكأني بها في يدك تقرأ.

أحبُّ التوفيقَ إليَّ — أيها الأستاذ — إكرام العالم، وإجلال الصديق، وأنت لي — بحمد الله — هذان كلاهما، فهل تمنُّ بقبول هديَّة هي إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر؟

أن للملك مالگًا سبحانه
هدمَ الدهرُ في العُلا بنيانه^{٢١}
في الترابِ الذي أرى صولجانه^{٢٢}
ككتابٍ مَحَا البلى عنوانه^{٢٣}
دُ وضوحًا على المدى وإبانه^{٢٤}
الدهر، هذا وقارهم والرزانه^{٢٥}
بين أخذِ البلى ودفع المتانِه^{٢٦}

قف بروما، وشاهد الأمر، واشهد
دولةً في الثرى، وأنقاض مَلِكٍ
مَرَّقت تاجَه الخطوبُ، وألقت
طلُّ، عندِ بمنَّةٍ، عند رسمٍ
وتماثيلُ كالحقائق، تزدا
مَنْ رآها يقول: هذي ملوكُ
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ

عبثَ الدَّهْرُ بالحواريِّ فيها
 وجرت هاهنا أمورٌ كبارٌ
 راح دينٌ، وجاءَ دينٌ، وولَّى
 والذي حصَّلَ المجدون إهرا
 ليتَ شعري: إلامَ يقتتل النَّا
 بلدٌ كان للنصارى قتادا
 وشعوبٌ يمحون آيةَ عيسى
 ويُهينون صاحبَ الروح ميثًا
 عالمٌ قَلْبٌ، وأحلامٌ خَلِقَ
 رومةَ الزهو في الشرائعِ، والحك
 والتناهي، فما تعدَّى عزيزًا
 ما لحيٍّ لم يُمس منكِ قبيلٌ
 يصبُحُ الناسَ فيك مولىً وعبداً
 أين مُلكٌ في الشرقِ والغربِ عالٍ
 قادرٌ، يمسُخُ الممالكَ أعما
 أين مالٌ جَبَيْتِه، ورعايا
 أين أشرافك الذين طَعَوْا في الدَّه
 أين قاضيك؟ ما أناخَ عليه؟
 قد رأينا عليكِ آثارَ حزن
 أقصري، واسألِي عن الدَّهْرِ مصرًا
 إنَّ مَنْ فَرَّقَ العبادَ شعوبًا
 هبِكِ افنيتِ بالحدادِ الليالي

و«بيلْيوس» لم يَهَبْ أرجوانه^{٢٧}
 واصل الدهرُ بعدها جَريانه
 مُلكٌ قوم، وحلٌّ مُلكٌ مكانه^{٢٨}
 قُ دماءٍ خَلِيقَةٌ بالصيانه^{٢٩}
 سُ على ذي الدَّنِيَّةِ الفتانه؟^{٣٠}
 صار مُلكَ القُسوسِ، عرشَ الديانه^{٣١}
 ثم يُعلون في البريَّةِ شانَه
 ويُعزُّون بعدَه أكفانَه^{٣٢}
 تتبارى غباوةً وفطانَه^{٣٣}
 مة في الحُكْمِ، والهوى، والمجانَه^{٣٤}
 فيك عزٌّ، ولا مَهينًا مهانَه^{٣٥}
 أو بلادٌ يُعدُّها أوطانَه^{٣٦}
 ويرى عبدك الورعِ غلمانَه^{٣٧}
 تحسُدُ الشمسُ في الضحى سلطانَه^{٣٨}
 لاءً، ويعطي وِسيعَها أعوانَه^{٣٩}
 كلُّهم خازنٌ، وأنتِ الخزانَه؟^{٤٠}
 بر حتى أذاقهم طغيانَه؟^{٤١}
 أين ناديك؟ ما دَهى شيخانَه؟^{٤٢}
 ومن الدُّورِ ما ترى أحزانَه
 هل قضتْ مَرَّتَيْنِ منه اللُّبانَه؟^{٤٣}
 جعل القِسْطَ بينها ميزانَه^{٤٤}
 لن تَرُدِّي على الورى رومانَه^{٤٥}

هوامش

(١) صدرت عن باريس: رجعت وانصرفت. وبابل: مدينة قديمة بناها بختنصر في آسيا الصغرى، وكان بها بناء عظيم ذو طبقات بعضها فوق بعض، وهو ما يُسمَّى برجًا، وقالوا في صفته: إنه كان ذا طبقات، طول كل من جوانب الطبقة الأولى بلغ ٢٧٢ قدمًا وارتفاعها ٢٦ قدمًا، وفوقها طبقة ثانية طول كل من جوانبها ٢٣٠ قدمًا وارتفاعها

٢٦ قدمًا. كانت مائلة فوق الطبقة الأولى إلى الطرف الجنوبي الغربي، وكانت الطبقات الباقية موضوعة هذا الوضع، وكان طول الثالثة ١٨٨ قدمًا وارتفاعها ٢٦ قدمًا، وكان طول الرابعة ١٤٦ والخامسة ١٠٤. والسادسة ٦٢. والسابعة ٢٠، وكان ارتفاع كل من هذه الطبقات الأربع الأخيرة ١٥ قدمًا، وأمَّا جسر بابل فيذكرون عنه أنه كان هناك نهر يشقُّ المدينة من الشمال إلى الجنوب، وكان على كل من جانبي النهر سور له باب عند منتهى كل سوق من أسواق المدينة، وكان فوق النهر جسر واحد، وهو الجسر المنسوب إلى بابل، ويذكرون لها عجائب أخرى؛ كالبساتين المعلقة وسواها.

(٢) طيبة: مدينة مصرية قديمة كانت مقرَّ الملك في بعض الأزمنة. وكانت بها عبادة الشمس؛ ولهذا سمَّها مدينة الشمس.

(٣) رومة: عاصمة الدولة الإيطالية في هذا الزمن، وكانت مقرَّ الرومان في الزمن القديم. والقيصر: جمع قيصر، وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم.

(٤) الإسكندرية: المدينة الثانية في الدولة المصريَّة، مشهورة في التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة، والمسلة التي في باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن.

(٥) بغداد: عاصمة العراق العربي، كانت مقرَّ ملك الدولة العباسية. وسلطان أقبالها: قوَّة ملوكها. وأيمن أمرها: أي أتمَّ أمرها يمينًا وبركة.

(٦) السمر: حديث الليل.

(٧) الغرر: جمع غرَّة، وهي بياض قدر الدرهم في جبهة الفرس. والتحجيل: بياض في قوائم الفرس أيضًا.

(٨) القادر: اسم من أسماء الله تعالى.

(٩) زَمَّ البحر. من قولهم زَمَّ الشيء، إذا شدَّه وجمعه.

(١٠) فرق الأرض، بتخفيف الراء: فصلها وأبان مسالكها.

(١١) الداء العياء: الذي لا براء منه.

(١٢) السرائر: جمع سريرة، وهي السرُّ الذي يكتُم. والحوباء: النفس.

(١٣) الطبائع: جمع طبيعة، وهي السجِّيَّة التي جُبِلَ عليها الإنسان، وقيل: هي

القوة السارية في الأجسام، التي بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي.

(١٤) برح الخفاء: أي وضح.

(١٥) وأها: كلمة للتعجُّب من طيب كل شيء. أي ما أطيبه، وتكون للتلُّهف، وللتفجُّع

أيضًا، يقال: وأها على ما فات.

- (١٦) الكبر: جمع كبرى.
- (١٧) تزري: تضع منها أو تصغر شأنها. وما غير: ما مضى.
- (١٨) استلم الحجر: لمسه بالقبلة أو باليد.
- (١٩) الجدار: الحائط.
- (٢٠) أنشد ذلك القصر.. إلخ: أسأل عنه، أو اطلبه.
- (٢١) الثرى: التراب. والأنقاض: جمع نقض، بضم النون، وهي ما انتقض من البنيان. والعلاء: الرفعة والشرف.
- (٢٢) الصولجان: هو المحجن، وهو عصا منعطفة الرأس.
- (٢٣) الظلل: ما شخص من آثار، والدمنة: آثار الديار أيضًا. والرسم: ما كان لاصقًا بالأرض من آثار الدار.
- (٢٤) تماثيل: جمع تمثال: بكسر التاء. والإبانة: الإيضاح.
- (٢٥) الوقار والرزانة: بمعنى واحد، وهو الحلم والعظمة.
- (٢٦) هياكل: جمع هيكل، وهو هنا إمامًا البناء المرتفع، وإمامًا بيت الأصنام:
- (٢٧) الحواري: الناصر، والناصح أيضًا. ويليوس: هو يليوس قيصر أحد قيصرية الرومان الأقدمين. والأرجوان: صبغ أحمر، وقيل هو الحمرة من الألوان، والمراد به هنا الدم لحمرة، كناية عن القوة التي يستحل صاحبها سفك الدماء.
- (٢٨) راح دين: ذهب، وهو دين الرومان قبل النصرانية. وجاء دين: وهو النصرانية. وولى ملك الرومان الأقدمين، وحل مكانه ملك الغالين بعد ذلك التاريخ.
- (٢٩) والذي حصّل المجذون.. إلخ! أي أن أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال؛ ليحلوا في رومة دينًا بدل دين، ويقيموا ملكًا جديدًا على أنقاض ملك ناهب، لم يجنوا من ذلك كله ثمرة إلا إراقة دماء البشر التي تستحق الصيانة والحفظ.
- (٣٠) الدنيّة الفتانة: هي الدنيا.
- (٣١) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر، والمراد أن وصولهم إليه كان صعبًا شاقًا، كالمشقة التي يجدها الإنسان من القتاد في خرطه وإشاكلته.
- (٣٢) المعنى في هذا البيت والبيت الذي قبله أنهم يخالفون شريعة عيسى، بينما يدعون تعظيمه.
- (٣٣) القلب — بتشديد اللام: المحتل.
- (٣٤) الزهو: المنظر الحسن والكبر، والتهيه: الفخر. والمجانة: الهزل.

(٣٥) التناهي: بلوغ النهاية. فما تعدى عزيزاً.. إلخ أي إنك بلغت النهاية في كل شيء، فَمَنْ كان فيك عزيزاً لم يفته شيء من أسباب العزِّ، وَمَنْ كان مهيناً لم يفته شيء من موجبات المهانة.

(٣٦) أي لم يكن لغير أهلك عشيرة يعتزُّون بها، ولا بلاد يتخذونها وطناً يلجئون إليه؛ لأنك أسقطت العشائر والعصبيات، وغلبت الجميع على أوطانهم.

(٣٧) يصبح الناس فيك. إلخ: يعني أن أهلك كانوا سادة وعبيداً، وكان للعبيد على الأجانب عزُّ السادة وسلطانهم.

(٣٨) سلطانه: قوته.

(٣٩) قادر: وصف للملك في البيت المتقدِّم. ويمسح الممالك أعمالاً: أي يحولها أعمالاً. والأعمال ما تكون من البلاد تحت حكم المملكة ومضافاً إليها.

(٤٠) جبيته: جمعته.

(٤١) الأشراف: جمع شريف، وكان في رومة لعهداها القديم طائفة الأشراف تسوَّدت على مَنْ عداها؛ ونشأ بذلك في الشعب فريقان منفصلان: هما فريق السادة المسيطرين، وفريق العامة المسخرين.

(٤٢) أين ناديك: المراد به دار ندوة الرومان، وكانت هي ما نُسمِّيهِ الآن في النظم الدستورية مجلس الشيوخ. وما دهى: ما أصاب. وشيخانه: جمع شيخ، وهو الرجل تتألف منه ومن سواه جماعة المجلس.

(٤٣) أقصري: أي انتهى عند هذا الحدِّ وأمسكي عن الاسترسال. واللبانة: الحاجة.

(٤٤) القسط: العدل.

(٤٥) هبك: اسم فعل، أي افرضي أنك أفنيت ... إلخ.

على قبر نابليون

من فريد في المعاني وثمانين
صَدَفُ الدَّهْرِ بِتَرْبِئِهَا ضَنِين^١
قَدَمُ العَهْدِ تَوَارَتْ فِي السَّنِين
نَدَتْ الدَّارُ، وَلَكِنْ لَاتَ حِينَ
وَأَذَابَتَهُ تَبَارِيحُ الحَنِين^٢
وهوى الأوطانِ للأحرارِ دين؟

قَفَ على كَنْزِ بَبَارِيسَ دَفِينُ
وافتقد جوهرةً من شرف
قد توارت في الثرى، حتى إذا
غَرَبَتْ حتى إذا ما استيأست
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتها
لا تلوموها، أليست حُرَّةً

* * *

تُرْبُهَا القِيمُ بِالحرزِ الحَصِين^٣
نَزَلَ التَّارِيخُ قَبَرَ النَّابِغِين
ورفاتُ النَّسْرِ حازتَه الوكون^٤
لم تُقَلِّبْ مِثْلَهُ أَيْدِي القُيُون^٥
حائطُ الشكِّ على أَسِّ اليَقِين^٦
أُسِرَتْ أَمْسِ، وراياتِ سُبِين^٧
دِيدَبَانٌ سَاهِرٌ الجَفْنِ أَمِين
لك بالأمسِ هو اليومِ خَدِين^٨
عسلاً قد بات يسقيك الوزين^٩
جوهَرُ الوُدِّ - وإن صحَّ - ظنين^{١٠}

غِيَّبَتْ بَارِيسُ نَحْرًا، وَمَضَى
نَزَلَ الأَرْضِ، وَلَكِنْ بَعْدَمَا
أَعْظُمُ اللَّيْثِ تَلَقَّاهَا الشَّرَى
وَحَوَى الغِمْدُ بِقَايَا صَارِمِ
شَيَّدَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَبَنَوْا
لَسَتْ تُحْصِي حَوْلَهُ أَلْوِيَّةٌ
نَامَ عَنْهَا وَهِيَ فِي سُدَّتِهِ
وَكَأَيِّ مَنْ عَدُوٌّ كَاشِحِ
ووليُّ كان يسقيك الهوى
فإذا استكرمت وُدًا فاتهم

مَزْمَرٌ أَضْجَعَ فِي مَسْنُونِهِ جَلَّلَتْهُ هَيْبَةُ الثَّائِي بِهِ
 هل دَرِي المَرْمَرُ مَاذَا تَحْتَهُ
 أَيُّهَا الغَالُونَ فِي أَجْدَاثِهِمْ
 يَمَجِّي المَيْتُ، وَيَبْلَى رَمْسُهُ
 حَصَّنُوا مَا شِئْتُمْ مَوْتَاكُمْ!
 ليس في قَبْرِ — وَإِنْ نَالَ السُّهَى —
 فَانزِلِ التَّارِيخَ قَبْرًا، أَوْ فَنَمْ
 وَاخْدَعِ الأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ، فَلَنْ
 حَجَرُ الأَرْضِ وَضِرْغَامُ العَرِينِ^{١١}
 رَوْعَةَ الحِكْمَةِ فِي الشَّعْرِ الرِّصِينِ^{١٢}
 مِنْ قُوَى نَفْسِ، وَمَنْ خَلَقَ مَتِينٌ؟
 ابْحَثُوا فِي الأَرْضِ: هل عَيْسَى دَفِينٌ؟^{١٣}
 وَيَغُولُ الرِّبْعُ مَا غَالَ القَطِينِ^{١٤}
 هل وَرَاءَ المَوْتِ مِنْ حَصْنٍ حَصِينٌ؟
 مَا يَزِيدُ المَيْتَ وَزْنًا وَيَزِينُ^{١٥}
 فِي الثَّرَى غُفْلًا كِبَعِضِ الهَامِدِينَ^{١٦}
 تَجِدُ التَّارِيخَ فِي المُنْخَدَعِينَ!

يا عَصَامِيًّا حَوَى المَجْدَ سَوَى
 أُمَّكَ النَفْسُ قَدِيمًا أَكْرَمَتْ
 نَسَبُ البَدْرِ أَوْ الشَّمْسِ — إِذَا
 وَأَصُولُ الخَمْرِ مَا أَزْكَى عَلَيَّ
 لَا يَقُولَنَّ أَمْرُؤُ: أَصْلِي، فَمَا
 قَدْ تَتَوَجَّتْ، فَقَالَتْ أُمٌّ:
 وَتَزَوَّجْتَ، فَقَالُوا: مَالَهُ
 قَسَمًا لَوْ قَدَرُوا مَا احْتَشَمُوا
 فَضْلَةٌ قَدْ قُسِّمَتْ فِي المُعْرَقِينَ^{١٧}
 وَأَبُوكَ الفَضْلُ خَيْرُ المُنْجَبِينَ^{١٨}
 جِيءَ بِالأَبَاءِ — مَغْمُورٌ رَهِينٌ
 حُبَّتْ مَا قَدْ فَعَلْتَ بِالشَّارِبِينَ
 أَصْلُهُ مَسْكٌ وَأَصْلُ النَّاسِ طِينٌ
 وَلَدُ الثُّورَةِ عَقُّ الثَّائِرِينَ
 وَلِحُورٍ مِنْ بَنَاتِ المَلِكِ عَيْنٌ؟^{١٩}
 لَا يَعْفُ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ

أَرَأَيْتَ الخَيْرَ وَافَى أُمَّةً
 يَصْلُحُ المَلِكُ عَلَيَّ طَائِفَةٍ
 مَلَأُوا الدُّنْيَا، عَلَيَّ قَلَّتْهُمْ
 يَحْسُنُ الدَّهْرُ بِهِمْ مَا طَلَعُوا
 قَدْ أَقَامُوا قَدْوَةً صَالِحَةً
 لَمْ يَنَالُوا حَظَّهُمْ فِي النَابِغِينَ؟
 هُمْ جَمَالُ الأَرْضِ حَيْثَا بَعْدَ حِينٍ
 وَقَدِيمًا مَلَأْتُ بِالمَرْسَلِينَ
 وَبِهِمْ يَزِيدُ حَسَنًا أَقْلِينَ^{٢٠}
 وَمَضُوا أَمْثَلَةً لِمَحْتَذِينَ

إنما الأسوةُ - والدنيا أَسَى -
يا صريعَ الموتِ ندمانَ البلى
كِدَّتْ من قُتِلَ المنايا خبيرةً
يا مبيدَ الأُسْدِ في آجامها
يا عزيزَ السجنِ بالبابا، إلى
رُبِّ يومٍ لك جَلَى وانثنى
أحرزَ الغايةَ نصرًا غاليًا
قيصرا الأُنسَابِ فيه نازلاً
مُجِلِسَ التاجِ على مفرقه
حولَ (استرلتز) كان المنتقى
وُضِعَ الشطرنجُ، فاستقبلته
فإِذَا المَلِكُان: هذا خاضعُ
صَدَّتْ شاهَ الرويسِ والنمسا معًا

سببُ العُمران، نظمُ العالمين^{٢١}
كلُّ حيٍّ بالذي نُقِتَ رهين^{٢٢}
تعلمُ الأَجَالَ أَيَّانَ تحين؟^{٢٣}
هل أبادت خيلك الدودَ المهين؟
كم تردى في الثرى ذلَّ السجين؟^{٢٤}
سائلَ الغُرَّةِ مَمسوحَ الجبين^{٢٥}
لفرنسا، وحوى الفتحَ الثمين
قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين^{٢٦}
بيديه، لا بأيدي المُجلسين^{٢٧}
واصطدامُ النَّسرِ بالمستنصرين^{٢٨}
ببنانِ عابثِ باللاعبين
لك في الجمعِ، وهذا مُستكين^{٢٩}
مَنْ رأى شاهينَ صيدا في كمين؟

يا مُلَقَى النصرِ في أحلامه
يا مُنيلَ التاجِ في المهدِ ابنه
أَتَيْدُ في أُمَّةٍ أزهقتها
أَتعبَ الریحَ مَدَى ما سَلَكْتُ
من أديمِ يَهْرًا الدبِّ، إلى
لك في كلِّ مُغارٍ غارةٌ
ومن المکرِ تَغْنِيكَ بها
سُحَّرَ الناسُ وإن لم يشعروا
والجماعاتُ ثنايا المرتقى

أين من وادي الكرى (سنت هلين)^{٣٠}؟
ما الذي غرَّكَ بالغيبِ الجنين^{٣١}؟
إنها كالناسِ من ماءٍ وطين
من سُهولٍ وأجازت من حُزون^{٣٢}
فلواتٍ تُنضِجُ الضَّبَّ الكنين^{٣٣}
وعليها الدمعُ فيه والأنين^{٣٤}
هل يُزَكِّي الذَّبْحَ غيرُ الذابحين؟^{٣٥}
لقوِي، أو غنيٍّ، أو مُبين
في المعالي، وجُسورِ العابرين

يا خَطيبَ الدهرِ، هل مالِ البلى
تُرَجِّحُ السلمُ إذا حرَّكته

بلسانِ كان ميزانَ الشئون؟
كِفَّةً، أو تُرَجِّحُ الحربُ الزَّبون

حَطَبٌ لَا صَوْتَ إِلَّا دَوْنَهَا فِي صَدَاهَا الْخَيْلُ تَجْرِي وَالسَّيْنِ
 مِنْ قَصِيرِ اللَّفْظِ، فِي مَكْرِ النَّهْيِ وَطَوِيلِ الرَّمْحِ، فِي كَيْدِ الْوَتِينِ
 غَيْرَ وَضَاعٍ، وَلَا وَاشٍ، وَلَا مُنْكَرِ الْقَوْلِ، وَلَا لُغُو الْيَمِينِ
 سِرْنٌ أَمْثَالًا، فَلَوْ لَمْ يُحْيِهِ سَيْفُهُ أَحْيَيْنَهُ فِي الْغَابِرِينَ^{٣٦}

قُمْ إِلَى الْأَهْرَامِ، وَاخْشَعْ، وَاطْرَحْ خَيْلَةَ الصَّيِّدِ، وَزَهْوَ الْفَاتِحِينَ^{٣٧}
 وَتَمَهَّلْ، إِنَّمَا تَمْشِي إِلَى حَرَمِ الدَّهْرِ وَمَحْرَابِ الْقُرُونِ
 هُوَ كَالصَّخْرَةِ عِنْدَ الْقَبْطِ، أَوْ كَالْحَطِيمِ الطُّهْرِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ
 وَتَسَنَّمٌ مَنْبَرًا مِنْ حَجَرٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَكَ حَظًّا الْخَاطِبِينَ
 وَادُعْ أَجْيَالًا تَوَلَّتْ يَسْمَعُوا لَكَ، وَابْعَثْ فِي الْأَوَالِي حَاشِرِينَ
 وَأَعِدْهَا كَلِمَاتٍ أَرْبَعًا قَدْ أَحَاطَتْ بِالْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ^{٣٨}
 أَلْهَبْتَ خَيْلًا، وَحَضَّتْ فَيْلَقًا وَأَحَالَتْ عَسَلًا صَابَ الْمَنُونِ
 قَدْ عَرَضْتَ الدَّهْرَ وَالْجَيْشَ مَعًا غَايَةً قَصَرَ عَنْهَا الْفَاتِحُونَ
 مَا عَلِمْنَا قَائِدًا فِي مَوْطِنٍ صَفْحَ الدَّهْرِ، وَصَفَّ الدَّارِعِينَ^{٣٩}
 فَتَرَى الْأَحْيَاءَ فِي مَعْتَرِكِ وَتَرَى الْمَوْتَى عَلَيْهِمْ مُشْرِفِينَ
 عِظَةُ قَوْمِي بِهَا أَوْلَى وَإِنْ بَعْدَ الْعَهْدِ، فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ؟
 هَذِهِ الْأَهْرَامُ تَارِيخُهُمْ كَيْفَ مِنْ تَارِيخِهِمْ لَا يَسْتَحُونَ؟

يَا كَثِيرَ الصَّيِّدِ لِلصَّيِّدِ الْعُلَا قُمْ تَأَمَّلْ: كَيْفَ صَادَتْكَ الْمَنُونُ؟
 قُمْ تَرَ الدُّنْيَا كَمَا غَادَرْتَهَا مَنْزَلَ الْغَدْرِ وَمَاءَ الْخَادِعِينَ
 وَتَرَ الْحَقَّ عَزِيزًا فِي الْقَنَا هَيِّنًا فِي الْعُزْلِ الْمُسْتَضْعَفِينَ^{٤٠}
 وَتَرَ الْأَمْرَ يَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَرَ النَّاسَ نَثَابًا وَضُئِينَ^{٤١}
 وَتَرَ الْعِزَّ لِسَيْفِ نَزِقٍ فِي بِنَاءِ الْمَلِكِ، أَوْ رَأْيِ رَزِينِ
 سَنَنْ كَانَتْ، وَنَظْمٌ لَمْ يَزَلْ وَفَسَادٌ فَوْقَ بَاعِ الْمَصْلِحِينَ

هوامش

(١) التَّرب: اللَّدَّة والنظير، والتثنية هنا في معنى الإفراد.

- (٢) تباريح الشوق: توهَّجه، على أنه جمع لا مفرد له، أو هو جمع تبريج.
- (٣) الحرز: الموضع الحصين.
- (٤) الشرى: مأسدة بجانب الفرات يُضرب بها المثل. والوكون: جمع وكن، وهو عَشُّ الطائر في جبل أو جدار.
- (٥) الصارم: السيف القاطع. والقيون: جمع قين وهو صانع الحديد. والشرى والوكون والغمد: كلها في هذين البيتين كنايةات عن باريس.
- (٦) حائط الشك: كناية عن القبر. وأُسُّ اليقين: هو الموت الذي يتمثل فيها ضمُّ القبر من رفات.
- (٧) يشير إلى تلك الأعلام التي غنمها نابليون في حروبه، ثم وُضعت على قبره، رمزاً لما نال في هذه الحروب من نصر وتوفيق.
- (٨) العدو الكاشح: هو الباطن العداوة. والخدين: هو الصاحب والحبیب.
- (٩) الوزين: حَبُّ الحنظل المطحون.
- (١٠) الظنين: المتهم.
- (١١) المرمر المسنون: المصقول. وحجر الأرض: كناية عن محورها، والمراد به نابليون. والضرغام: الأسد.
- (١٢) الثاوي: المقيم.
- (١٣) الغالون: جمع غال، وهو المسرف.
- (١٤) يمحي: أي يزول. والرسم: القبر. والقطين: السُّكَّان.
- (١٥) السُّها: كوكب من بنات نعش الصغرى، يُضربُ به المثل في السمو والارتفاع.
- (١٦) غفلاً: أي مجهولاً.
- (١٧) الفضلة: البقية من كل شيء. والمعرَّق: العريق الأصل.
- (١٨) أكرمت: أي ولدت كراماً.
- (١٩) يشير إلى زواجه من ماري لويز ابنة إمبراطور النمسا.
- (٢٠) أفول النجم: غروبه، والمراد به هنا الموت.
- (٢١) الأسوة: القدوة وجمعها أسي.
- (٢٢) الندمان: النديم على الشراب وندمان البلى: كناية عن الميت.
- (٢٣) يشير إلى قول نابليون: «إنَّ الرصاصة التي تخرق هذا الصدر لم تخلق بعد» يقول: إنك لكثرة ما اخترت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الأجال.

- (٢٤) يشير إلى ما فعل نابليون بالبابا.
- (٢٥) جلى: سبق، والغرة — في جبين الفرس: بياض. ومسح الجبين: عادة لسؤاس الخيل يأتونها بعد سبق جيادهم في حلبة الرهان. ولا يخفى ما في البيت كله من مراعاة النظر.
- (٢٦) يريد بقبصري الأنساب: ملكي الروسيا والنمسا، وقد ولدا للملك والسلطان. وقصر النفس نابليون، وهو الذي سوّد نفسه ولم تسوّده الأنساب.
- (٢٧) الإشارة إلى نابليون، يشير إلى أنه هو الذي توجّ نفسه بيده يوم قدّم إليه التاج، ولم ير لأحد ممن قدّموه له حقاً في هذا العمل.
- (٢٨) استرلتز: موقعة من المواقع التي انتصر فيها نابليون.
- (٢٩) الملك: بتسكين اللام، هو الملك.
- (٣٠) سانت هيلين: الجزيرة التي نُفي إليها نابليون.
- (٣١) يشير إلى قول نابليون يوم بُشّر بولي عهده أو كما سمّاه «ملك روما» المستقبل لي.
- (٣٢) الحزون: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض.
- (٣٣) الأديم هنا: سطح الأرض. وهرأ اللحم: أنضجه. والكنين: المستور في جحره.
- (٣٤) المغار: الغارة على الأعداء. والغار: ورق الكروم، وقد كان يُتخذ منه إكليل للفتاح المنصور عند القدمات.
- (٣٥) التزكية: المدح. والذبح: ما يذبح.
- (٣٦) الغابر: الماضي والآتي، من أسماء الأضداد.
- (٣٧) الصيد: الملوك.
- (٣٨) يشير إلى تلك الجملة المشهورة التي قالها وهو على قمة الهرم يشجّع جنوده البواسل: «أيها الجنود: أن أربعين قرناً تنظر إليكم من قمة الأهرام».
- (٣٩) صفح الكتاب: قلب صفحاته.
- (٤٠) القنا: جمع قناة، وهي الرمح.
- (٤١) الضئين: الغنم.

تكريم^١

وطنٌ يرفُّ هوىً إلى شُبَّانِهِ
هم نَظْمٌ حَلِيئَةٌ، وجَوْهرٌ عَقْدِهِ
يرجو الربيعَ بهم ويأملُ دولَةَ
من غاب منهم لم يغب عن سَمْعِهِ
وإذا أتاه مبشراً بقُدومِهِم
ولقد يَخُصُّ النافعينَ بعطفِهِ
هيهات ينسى بذلَهُم أرواحَهُم
وقفوا له دون الزمانِ ورِيْبِهِ
في شِدَّةٍ نُقِلَتْ أناةٌ كُهولِهِ

كالرَّوضِ رِفَّتِهِ على رِيحانِهِ^١
والعِقدِ قِيمَتُهُ يَتِيمٌ جُمَانِهِ^٢
من حَسَنِهِ، ومن اعتدالِ زمانِهِ^٣
وَضَمِيرِهِ، وفؤادِهِ، ولسانِهِ
فمن القَمِيصِ ومن شذى أَرْدانِهِ^٤
كالشَّيخِ خَصَّ نَجِيبَهُ بجانِهِ^٥
في حَفِظِ راحَتِهِ وجلب أمانِهِ
ومشَتْ حَدائِثُهُم على حَدَثانِهِ^٦
فيها، وحكمتُهُم إلى فُتَيانِهِ^٧

* * *

قُمْ يا خَطيْبَ الجَمعِ، هات من الحلى
فلطالما أبدى الحنينَ لقسَّهِ
نادِ الشَّبَابِ، فلم يزلْ لك نادِيًا
أمدُّ حُداءِكَ في النَّجائبِ تنصرفُ

ما كُنْتَ تنشرُهُ على آذانه
واهتزَّ أشواقًا إلى سَحبانِهِ^٨
والمرءُ ذو أثرٍ على أُخْدانِهِ^٩
بهوى أَعنَّتْها إلى تحنانِهِ^{١٠}

^١ نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية في احتفال تكريمي أقيم للأساتذة: عبد الملك حمزة، وإسماعيل كامل، وعوض الجراوي، في فندق شبرد.

أَلْقِ النّصِيحَةَ غَيْرَ هَائِبٍ وَقِعِهَا
 قُلْ للشَّبَابِ: زَمَانُكُمْ مُتَحَرِّكٌ
 قَمْتَمَ عَلَى الْأَحْلَامِ تَلْتَزِمُونَهَا
 وَتُنَازِعُونَ الْحَيَّ فَضَلَ ثِيَابِهِ
 وَلَقَدْ صَدَقْتُمْ هَذِهِ الْأَرْضَ الْهَوَى
 أَمَلٌ بِذَلْتُمْ كُلَّ غَالٍ دُونَهُ
 اللَّيْثُ يَدْفَعُكُمْ بِشِدَّةٍ بِأَسِهِ
 يَرِيدُ هَذَا الطَّيْرَ حَرًّا مُطْلَقًا

ليس الشجاع الرأي مثل جبانه
 هل تأخذون القسط من دورانه؟^{١١}
 كالعالم الخالي على أوثانه^{١٢}
 والميت ما قد رث من أكفانه
 والحر يصدق في هوى أوطانه
 وفقدتم ما عز في وجدانه^{١٣}
 عنه، ويطعمكم بفطر لبيانه^{١٤}
 لكن بأعينه وفي بستانه

أُوفِدْتُمْ وَفِدَاءً، وَأُوفِدَ رَبُّكُمْ
 الْعَصْرُ حَرًّا، وَالشُّعُوبُ طَلِيقَةٌ
 فَاصِ الزَّمَانُ مِنَ النَّبُوغِ، فَهَلْ فَتَى
 أَيْنَ التَّجَارَةَ وَهِيَ مَضْمَارُ الْغَنَى؟
 أَيْنَ الْجَوَادُ عَلَى الْعُلُومِ بِمَالِهِ؟
 أَيْنَ الزَّرَاعَةُ فِي جَنَانٍ تَحْتَكُمُ
 أَثَذَا أَصَابَ الْقَطْنَ كَاسِدٌ سَوْقَهُ
 يَا مَنْ لَشَعْبٍ رَزَوَهُ فِي مَالِهِ
 الْمَلِكُ كَانَ، وَلَمْ يَكُنْ قَطْنٌ، فَلَمْ
 (الْفَاطِمِيَّةُ) شَيَّدَتْ مِنْ عَزِّهِ
 بِالْقَطْنِ لَمْ يَرْفَعِ قَوَاعِدُ مُلْكِهِ
 لَكِنْ بِأَوَّلِ زَارِعِ نَقْضِ الثَّرَى
 وَبِكُلِّ مُحَسِّنِ صِنْعَةٍ فِي دَهْرِهِ
 وَبِهَمَّةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ حَلَّقَتْ
 مَلِكٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ كَانَ بِنَاؤُهُ
 فَاتُوا الْهَيْكَلَ إِنْ بَنَيْتُمْ، وَاقْبَسُوا

معه العناية، فهى من أعوانه
 ما لم يحزها الجهل في أرسانه^{١٥}
 غمر الزمان بعلمه وبيانه؟
 أين الصناعة وهي وجه عنانه؟^{١٦}
 أين المشارك مصر في فدانه؟^{١٧}
 كخمائل الفردوس أو كجنانه؟^{١٨}
 قمنا على ساق إلى أثمانه؟
 أنساه ذكر مصابه بكيانه؟^{١٩}
 يغلب أبوئنا على عمرانته^{٢٠}
 وبنى (بنو أيوب) من سلطانه^{٢١}
 فرعون، والهرمان من بنيانه
 بذكائه، وأثاره ببنانته^{٢٢}
 تتعجب الأجيال من إتقانه
 في الجوّ. وارتفعت على كيوانته^{٢٣}
 من نحت أولكم ومن صوانته^{٢٤}
 من عرشه فيها، ومن تيجانه

هوامش

- (١) يرف هوى إلى شَبَّانَه: يرتاح إليهم. والرَّوْضُ: الأرض المخصَّرة بالنبات. جمع روضة.
- (٢) نظم حليته: جمعها وضم بعضها إلى بعض. واليتيم: الثمين الذي لا نظير له. والجُمان: اللؤلؤ. واحده: جمانة.
- (٣) يرجو الربيع.. إلخ: أي إن هذا الوطن يرجو أن يكونوا له مثل الربيع، وهو خير فصول السنة، ويأمل أن تقوم له دولة منهم، لها من الحسن والاعتدال ما يكون منها للربيع وزمنه.
- (٤) وإذا أتاه مبشَّرٌ.. إلخ: أي إذا أتى الوطن مبشر بأنهم قادمون عليه من غيبتهم، كان تأثير هذه البشرى فيه كتأثير قميص يوسف في أبيه يعقوب. والشَّذى: قوة نكاه الرائحة. والأردان: جمع ردن، وهو أصل الكم.
- (٥) يخصُّ النافعين بعطفه: يفردهم به. والنجيب: الولد كرم حسبه وحمد رأيه أو قوله أو فعله.
- (٦) الحدائة: صغر السن. والحدثان (بفتح الدال): نواب الدَّهر.
- (٧) الأناة: الحلم والوقار.
- (٨) قسُّ بن ساعدة: خطيب عربي من نجران يُضْرَبُ المثل ببلاغته. وسحبان: خطيب كذلك، وهو من وائل، والضمير فيها للوطن.
- (٩) الشباب: جمع شاب. والأخدان: الأصدقاء، جمع خدن.
- (١٠) الحُداء: الغناء للإبل لتنشط في مسيرها. والنجائب: النياق الكريمة. والأعنة: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة. والتحنان: الحنين.
- (١١) القسط: النصيب.
- (١٢) الأحلام: جمع حلم، وهو ما يراه النائم. والخالي: الماضي. والأوثان: جمع وثن: وهو ما يتخذ للعبادة من حجر ونحوه.
- (١٣) وجدان الشيء: إدراكه والظفر به.
- (١٤) اللبان: اللب.
- (١٥) الأرسان: جمع رسن، وهو الزمام يكون على أنف الدابة.
- (١٦) العنان (بفتح العين): السحاب.
- (١٧) الجواد: الكريم الكثير الجود.

- (١٨) الجنان: جمع جنة. والخمائل: جمع خميلة، وهي الشجر الكثير الملتف. والفردوس: الجنة أو نعيمها.
- (١٩) يامن لشعب.. إلخ: كان قد لحق القطن كساد عظيم؛ فارتاع له المصريون جميعاً. وكاد يشغلهم أمره عن الجهد في قضية الاستقلال، فهو يشير إلى ذلك.
- (٢٠) أبوتنا: أبأؤنا.
- (٢١) الفاطميّة: أي الخلفاء الفاطميون، أو الدولة الفاطمية، وهي إحدى الدول التي قامت في مصر بعد الإسلام، ومؤسسها المعزُّ لدين الله، قدم من بلاد المغرب ففتح مصر، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان. وبنو أيوب أيضاً: مؤسسو الدولة الأيوبية، وكان أعظمهم شأنًا السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي.
- (٢٢) الثرى: التراب، والمراد به الأرض. ونقضها: أي شقُّها للزرع. والبنان: أطراف الأصابع.
- (٢٣) حلَّقت: من حلَّق الطائر، إذا ارتفع في طيرانه واستدار كالحلقة. وكيوان: اسم زحل بالفارسية.
- (٢٤) الصَّوَّان (بفتح الصاد وتشديد الواو): ضرب من الحجارة شديد.

اعتداء^١

نَجَا وَتَمَاتَلْ رُبَانُهَا
وهَلَّلَ فِي الْجَوِّ قَيْدُومُهَا
تَحَوَّلَ عَنْهَا الْأَذَى، وَانْتَنَى
نَجَا (نَوْحُهَا) مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِي
يَدٌ لِلْعَنَائِيَّةِ، لَا يَنْقُضِي
وَقَى الْأَرْضَ شَرًّا مَقَادِيرِهِ
وَنَجَّى الْكِنَانَةَ مِنْ فِتْنَةٍ
يَسِيلُ عَلَى قَرْنِ شَيْطَانِهَا
فِيَا (سَعْدُ)، جُرْحُكَ سَاءَ الرِّجَالَ
وَقَتَّكَ الْعَنَائِيَّةُ بِالرَّاحَتَيْنِ
مَنَايَا أَبِي اللَّهِ إِذْ سَاوَرْتِكَ
حَوَّتْ دَمَكَ الْأَرْضُ فِي أَنْفِهَا
وَدَقَّ الْبَشَائِرَ رُكْبَانُهَا^١
وَكَبَّرَ فِي الْمَاءِ سُكَّانُهَا^٢
عُبَابُ الْخَطُوبِ وَطُوفَانُهَا
وَضَلَّ الْمُقَاتِلَ عُدْوَانُهَا^٣
— وَإِنْ نَفَدَ الْعُمُرُ — شُكْرَانُهَا
لَطِيفُ السَّمَاءِ وَرَحْمَانُهَا^٤
تَهَدَّدَتِ النَّيْلُ نَيْرَانُهَا^٥
عَقِيقُ الدِّمَاءِ وَعَقِيَانُهَا^٦
فَلَا جُرَحَتْ فِيكَ أَوْطَانُهَا
وَطَوَّقَ جَيْدَكَ إِحْسَانُهَا^٧
فَلَمْ يُلْقِ نَابِيَهُ تُعْبَانُهَا^٨
زَكِيًّا، كَأَنَّكَ (عَثْمَانُهَا)^٩

^١ اعتزم سعد زغلول السفر إلى إنجلترا للمفاوضة مع حكومتها، وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ؛ فترصد له شابٌ وأطلق عليه النار، ولكن الله أنجى حياته، ووقى البلاد شرَّ فتنةٍ كادت تعصف بين الأحزاب؛ فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئةً له، ونصيحةً لأهل النزق والطيش من الشبان، وحثًا على الإصلاح العملي، وتذكيرًا بمنزلة السودان وقناة السويس، اللذين هما من مصر بمنزلة الرُّوح من الجسد.

ورقَّت لآثاره في القميص كأن قميصك قرآنها
ورِيعَتْ كما ريعت الأرض فيك نواحي السماء وأعنانها^{١٠}
ولو زُلَّتْ غُيَّبَ (عَمُرُو) الأمور وأخلى المنابرَ (سحبانها)^{١١}

* * *

رماك على غرّة يافعٍ مُثارُ السريرة غضبانها^{١٢}
وقدماً أحاطت بأهل الأمور ميولُ النفوس وأضغانها^{١٣}
تلمسَ نفسك بين الصفوفِ ومن دونِ نفسك إيمانها^{١٤}
يريدُ الأمورَ كما شاءها وتأبى الأمورُ وسلطانها
وعند الذي قهر القيصرين مصيرُ الأمور وأحيانها^{١٥}
ولو لم يسابق دروس الحياة لبصره الرشد لقمانها^{١٦}
فإن الليالي عليها يحول شعورُ النفوس ووجدانها^{١٧}
ويختلف الدهرُ حتى يبينَ رُعاةَ العهودِ وخوانها^{١٨}

* * *

أرى مصرَ يلهو بحدّ السلاح وأيلعبُ بالناب ولدانها^{١٩}
وراح بغير مجال العقول يُجبل السياسة غلمانها
وما القتلُ تحيا عليه البلاد ولا همّة القولِ عمرانها
ولا الحكمُ أن تنقضي دولةٌ وتُقبلَ أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلاد وبالعلم تشتدُّ أركانها
فأين النبوغ؟ وأين العلوم؟ وأين الفنون وإتقانها؟
وأين من الخلق حظُّ البلادِ إذا قتل الشيبَ شبانها؟^{٢٠}
وأين من الرّبح قسطُ الرجال إذا كان في الخلقِ خسرانها؟
وأين المعلّمُ؟ ما خطبُه؟ وأين المدارسُ؟ ما شأنها؟
لقد عبثت بالنّيّاق الحداة ونام عن الإبل رُعيانها^{٢١}
إلى الخلقِ أنظرُ فيما أقول وتأخذُ نفسي أشجانها

* * *

ويا (سعدُ) أنت أمينُ البلاد
ولن ترتضي أن تُقدَّ القناة
وحجَّتنا فيهما كالصباح
فمصرُ الرِّياضُ، وسوادنها
وما هو ماءٌ، ولكنَّه
تُتمَّمُ مصرَ ينابِيعه
وأهلوه منذ جرى عذُّبه
وأما الشريكُ فعلاَّته
وحرِبُ مَضَتْ نحن أوزارها
وكم مَنْ أتاك بمجموعة
فأين من (المنش) بحرُ الغزال
وأين التماسيحُ من لُجَّةِ
ولكن رُؤوسُ لأموالهم
ودعوى القويِّ كدعوى السباع

قد امتلأت منك أيَّمانها^{٢٢}
ويُبتَر من مصرَ سوادنها^{٢٣}
وليس بمُعِيكَ تبيانها^{٢٤}
عيون الرِّياضِ وخلجانها^{٢٥}
وريدُ الحياةِ وشريانها^{٢٦}
كما تممَ العينَ إنسانها^{٢٧}
عشيرة مصرَ وجيرانها
هي الشُّركاءُ وأقطانها
وخيلٌ خَلَّتْ نحن فرسانها^{٢٨}
من الباطل، الحقُّ عنوانها
وفيض (نيانزا) وتهتانها؟^{٢٩}
يموتُ من البردِ حيطانها!^{٣٠}
يحرِّكُ قَرْنِيه شيطانها
من النابِ والظفرِ بُرْهانها

هوامش

- (١) تماثل العليل: أقبل وقارب البرء. والرَّبَّان: مجري السفينة.
- (٢) هلل: قال لا إله إلا الله. وقيدومها: صدرها. وسكانها — بضم السين — ذنباها.
- (٣) المقاتل: جمع مقتل: وهو العضو الذي إذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم.
- (٤) المقادير: جمع مقدور، وهو الأمر المحتوم. والضمير للطيِّف السماء وهو الله

تعالى.

- (٥) الكنانة: مصر.
- (٦) العقيان: الذهب، أي الدماء التي تشبه في حرمتها العقيق والعقبان.
- (٧) الراحتان: تثنية راحة. وهي الكفُّ. والجيد: العنق.
- (٨) المنايا: جمع منية، وهي الموت. وساروتك: وثبت عليك.
- (٩) عثمانها: يريد الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ثالث الخلفاء الراشدين، قَتَلَ وهو جالس يتلو القرآن وفي حجره المصحف.
- (١٠) ريعت: فرَّعت، بتشديد الزاي. وأعنان السماء: نواحيها.

- (١١) عمرو الأمور: أي مصرّف الأمور بحذقه وفطنته، وهو عمرو بن العاص (رضى الله عنه)، وسحبان: خطيب عربي مشهور من بني وائل.
- (١٢) اليافع: مَنْ راهق العشرين، أو مَنْ ترعرع وناهز البلوغ. والسريرة: ما يسرّه الإنسان من أمره.
- (١٣) الأضغان. الأحقاد.
- (١٤) تلمس نفسك: تطلبها مرة بعد أخرى
- (١٥) مصير الأمور: مرجعها. وأحيانها: جمع حين، وقالوا: إنه وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طالت أو قصرت. والقيصران: ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الإسلامي والله تعالى هو الذي قهرهما.
- (١٦) لقمانها، أي مَنْ هو كلقمان، وهو يُضْرَبُ به المثل.
- (١٧) عليها يحول: أي يتحوّل ويتبدّل. والمراد أن ما يكون للنفوس من ميول ووجدان يتغير بمضي الزمن.
- (١٨) رعاة العهود: الحافظون لها، جمع راعٍ. وخوانها: جمع خائن.
- (١٩) الولدان: الصبيان، جمع وليد.
- (٢٠) الخلق: المروءة والدين والسجّية، ويغلب الآن على السجّية الفاضلة والمعنى أنه إذا كان شبان البلاد يقتلون شبيها فلا حظّ لها من الخلق النافع.
- (٢١) الحدادة: جمع حادٍ، وهو مَنْ يغني للإبل لتنشط في سيرها.
- (٢٢) أيمانها: جمع يمين، وهي إحدى يدي الإنسان، والمراد أنها تأكّدت فيما بلغ إليه حسن ظنها أنك أمين عليها، كما يتأكّد الإنسان مما يكون في يده.
- (٢٣) القدُّ والبتر، هنا: بمعنى الضياع.
- (٢٤) وليس بمعبيك: أي بمعجزك.
- (٢٥) الرّياض: أي كالرّياض في نضرتها وجمالها. والسودان: كالعيون والخلجان التي تستقي منها ماءها، فكما تجفُّ الرّياض وتقفر إذا انقطعت عنها العيون والخلجان، كذلك تقفر مصر وتبور إذا فصلَّ عنها السودان.
- (٢٦) الوريد: عرق في العنق من الأوردة التي ترتبط بها الحياة. والشريان: العرق الذي يحمل الدّم من القلب.
- (٢٧) الينابيع: عيون الماء، وأحدها ينبوع. وإنسان العين: الدائرة التي ترى في سوادها.

(٢٨) أوزارها: أسلحتها، جمع وزر، وهو السلاح.
(٢٩) المنش: بحر في الشمال الغربي لأوروبا، بين إنجلترا شمالاً وفرنسا جنوباً. وبحر الغزال: أحد فروع النيل الأبيض في السودان. ونيانزا: إحدى البحيرات الثلاث التي يخرج منها النيل.

(٣٠) وأين التماسيح.. إلخ: أي إن مسافة التقاطع وعدم الاتصال بعيدة جداً بين السودان وبلاد الإنكليز، بقدر التناقض بين طبيعتهما؛ فهذا تعيش التماسيح في مائه، وتلك تموت الحيتان في مائها.

توت عنخ آمون

قَفِي - يا أختَ (يوشَع) - خَبْرِينَا
وَقُصِّي من مصارعهم علينا
فمثلك من روى الأخبارَ طرًّا
نرى لك في السماءِ خضيبَ قَرْنٍ
مشيتِ على الشبابِ شواظَ نارٍ
تُعِينِنَ الموالِدَ والمنايَا
فيا لكِ هِرَّةً أَكلتِ بنيها

أحاديثَ القرونِ الغابرينَا^١
ومن دُولاتهم ما تعلمينَا^٢
ومن نسبِ القبائلِ أجمعينَا^٣
ولا نُحصي على الأرضِ الطعينَا^٤
ودرتِ على المشيبِ رَحَى طحونَا^٥
وتبنينِ الحياةَ وتهدمينَا^٦
وما وُلدوا وتنتظرِ الجنينَا^٧

أُمَّ المالكينَ بني (أمون)
ولدتِ له (المأمين) الدواهي
فكانوا الشُّهَبَ حينَ الأرضِ ليلٌ
مشتُ بمنارهم في الأرضِ (روما)
ملوكُ الدهرِ بالوادي أقاموا
فَرُبُّ مصفدٍ منهم، وكانتِ
تَقِيدُ في الترابِ بغيرِ قَيْدٍ
تعالى الله، كان السحرُ فيهم
غَدُوا يبنون ما يبقى، وراحوا

ليَهْنِكَ أنهم نزعوا (أمونا)^٨
ولم تُلِدِي له قَطُّ (الأمينا)^٩
وحينَ الناسِ جِدُّ مُضَلِّينَا
ومن أنوارهم قَبِستُ (أثينا)^{١٠}
على (وادي الملوك) مُحَجِّبينَا^{١١}
تُسَاقُ له الملوكُ مُصَفِّدينَا^{١٢}
وحلَّ على جوانبه رهينا
أليسوا للحجارةِ مُنْطَقينَا؟^{١٣}
وراءَ الأبداتِ مُخَلِّدينَا

إذا عَمَدُوا لِمَأْثِرَةٍ أَعْدُوا
وليس الخلدُ مرتبةً تُلَقَى
ولكن مُنتهى هِمَمٍ كِبَارٍ
وسرُّ العبقريَّة حين يسري
وآثارُ الرجال إذا تناهتْ
وأخذك من فم الدنيا ثناءً
فغالي في بنيك الصيدِ غالي
شبابٌ قُنِعَ لا خيرَ فيهم
فناجيهم بعرشٍ كان صنواً
وكان العزُّ حليته، وكانتْ
وتاج من فرائده (ابنُ سيّتي)
علاً خدّاً به صَعَرَ، وأنقأ
ولستُ بقائل: ظلّموا، وجاروا
فإننا لم نُوقِّ النقصَ حتى
وما (البستيلُ) إلا بنت أميس
ورُبّة بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ
مُشَيِّدَةً لَشَافِي العُمي (عيسى)

لها الإِتقان والخلقُ المتينا
وتُوخذ من شفاه الجاهلينا
إذا زهبتْ مصادِرُها بقينا
فينتظمُ الصنائعَ والفنوننا
إلى التاريخِ خيرُ الحاكمينا
وتركك في مسامعها طنيننا^{١٤}
فقد حُبَّ الغلوُ إلى بنينا^{١٥}
وَبُورِك في الشبابِ الطامحيننا^{١٦}
لعرشك في سببِته سَنِيننا^{١٧}
قوائمهُ الكتائبُ والسفِيننا^{١٨}
ومن خرزاته (خوفو) و(ميننا)^{١٩}
ترفّع في الحوادث أن يديننا^{٢٠}
على الأجراء، أو جلدوا القطيننا^{٢١}
نُطالبَ بالكمالِ الأولِيننا^{٢٢}
وكم أكلَ الحديدُ بها صحيننا^{٢٣}
بناها الناسُ أمس مُسَخَّرِيننا^{٢٤}
وكم سَمَلَ القسوسُ بها عيوننا^{٢٥}

(أخا اللوردات)، مثلك من تحلى
لك الأصل الذي نبتت عليه
ومالك لا يُعدُّ، وكلُّ مالٍ
وجدت مذاق كلِّ تليدٍ مجدٍ
نشرت صفائحا، فجزتك مصرُ
فإن تك قد فتحت لها كنوزاً
فلو (قارون) فوق الأرض إلا
سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً
رأيت تنكراً، وسمعت عتبا

بحلية آله المُتطوّلِيننا^{٢٦}
فروعُ المجد من (كرنارفونا)^{٢٧}
سَيَفَنِي، أو سَيُفَنِي المالكِيننا^{٢٨}
ككيف وجدت مجد الكاسِيننا؟^{٢٩}
صحائف سؤدٍ لا ينطوِيننا
فقد فتحت لك الفتحة المبيننا^{٣٠}
تمنى لو رضيت به قريننا^{٣١}
وعادته يكد السكالِيننا
فعدراً للغضاب المحنقِيننا^{٣٢}

أَبَوَّتْنَا وَأَعْظَمُهم تُرَاتٌ
 ونأبى أن يحلَّ عليه ضيمٌ
 سَكَّتْ، فحام حولك كلُّ ظنٍّ
 يقول الناسُ في سرٍّ وجهر
 أمن سرق الخليفةَ وهو حيٌّ
 نحاذرُ أن يئولَ لآخرينا^{٣٣}
 ويذهبَ نهبَةً لناهبينا^{٣٤}
 ولو صرَّحتَ لم تُثر الظنونا^{٣٥}
 ومالكَ حيلةً في المرجفينا^{٣٦}
 يَعِفُّ عن الملوكِ مكفِّنينا؟^{٣٧}

خليليَّ اهبطا الوادي، وميلا
 وسيرا في محاجرهم رويدًا
 وخُصًّا بالعمار وبالتحايا
 وقبرًا كاد من حسنٍ وطيبٍ
 يُخال لروعة التاريخِ قُدَّتْ
 وكان نزيلُهُ بالملكِ يُدعى
 وقوما هاتفينَ به، ولكن
 فنَّمَّ جلالَةً قَرَّتْ ورامت
 جلالُ الملكِ أيامٌ وتمضي
 وقولا للنزِيلِ قدومِ سعد
 سلامٌ يومَ وارتك المنايا
 خرجتَ من القبورِ خروجَ عيسى
 يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهلٍ
 وأقسمُ كنتَ في (لوزان) شُغلاً
 أتعلمُ أنهم صلَّفوا، وتاهوا
 ولو كنا نجرُّ هناك سيقًا
 سيقضي (كرزُن) بالأمرِ عنَّا
 إلى عُرفِ الشمسِ الغاربينا^{٣٨}
 وطُوفًا بالمضاجعِ خاشعينا^{٣٩}
 رفاتِ المجدِ من (توتنخمينا)^{٤٠}
 يضيءُ حجارةً، ويضوعُ طينا^{٤١}
 جنادلُهُ العلا من (طور سينا)^{٤٢}
 فصار يُلقَّبُ الكنزَ الثمينا^{٤٣}
 كما كان الأوائِلُ يهتفونا^{٤٤}
 على مرِّ القرونِ الأربعينا^{٤٥}
 ولا يمضي جلالُ الخالدينا^{٤٦}
 وحيًّا الله مَقْدِمَك اليمينا^{٤٧}
 بواديهَا، ويومَ ظهرتَ فينا^{٤٨}
 عليكَ جلالَةً في العالمينا^{٤٩}
 ويخترقُ البخارُ به الحزونا^{٥٠}
 وكنتَ عجيبةً المتفاوضينا^{٥١}
 وصدُّوا البابَ عنا موصدينا؟^{٥٢}
 وجدنا عندهم عطفًا ولينا^{٥٣}
 وحاجاتُ (الكنانة) ما قُضينا^{٥٤}

تعالَ اليومَ خبرنا: أكانت
 وماذا جبتَ من ظلماتِ ليلٍ
 نواكِ سناتِ نومٍ، أم سنينا؟^{٥٥}
 بَعِيدِ الصبحِ، يُنْضِي المُدلجينا؟^{٥٦}

وهل تبقى النفوس إذا أقامت
وما تلك القباب؟ وأين كانت؟
مُمرّدة البناء، تُخالُ برجًا
تغطّي بالأثاث فكان قصرًا
حملت العرش فيه، فهل تُرجى
وهل تلقى المهيمَن فوق عرش
وما بالُ الطعام يكاد يقدي
ولم تكُ أمسَ تصبرُ عنه يومًا
لقد كان الذي حَزِرَ الأوالي
يحبُّ المرءُ نبشَ أخيه حيًّا
سُلبت من الحفائر قبل يوم
فإن تكُ عند بعثٍ فيه شكُّ
ولو لم يعصموك لكان خيرًا
يُضِرُّ أخو الحياة، وليس شيءٌ

هياكلها، وتبلى إن بلينا؟
وكيف أضلُّ حافرُها القرونا؟^{٥٧}
ببطن الأرض محطوطًا دفينا؟^{٥٨}
وبالصورِ العتاق فكان زونا؟^{٥٩}
وتأملُ دولةً في الغابرينا؟^{٦٠}
ويلقاه الملا مُترجلينا؟^{٦١}
كما تركته أيدي الصانعينا؟^{٦٢}
فكيف صبرت أحقابًا مئينا؟^{٦٣}
وخاف بنو زمانك أن يكونا؟^{٦٤}
وينبشه ولو في الهالكينا
يسلُّ من التراب الهامدينا؟^{٦٥}
فإن وراءه البعثُ اليقيننا؟^{٦٦}
كفى بالموت معتصمًا حصينا؟^{٦٧}
بضائرهِ إذا صحبَ المنونا؟^{٦٨}

زمانُ الفرد — يا (فرعون) — ولّى
وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ

ودالت دولة المتجبريينا؟^{٦٩}
على حكم الرعيةِ نازلينا

هوامش

(١) الخطاب للشمس، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس، فقد روي أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلمّا أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم، ويدخل السبت فلا يحلُّ له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فردَّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم، وقد لَحَّ ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله:

وما أنس لا أنس المليحة إذا بدت دجى، فأضاء الأفق من كل موضع

فحدّثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرة: الأجيال الماضية.

(٢) قصي: حدّثي، ومنه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾. ومصارعهم: مهالكهم. ودولاتها: جمع دولة، بضم ففتح، وهي الدَاهِيَة، يقال: جاء الدَّهْرُ بدولته، أي بدواهيه.

(٣) طرًا: جميعًا من دون أن تترك منها شيئًا. ونسب القبائل: ذكر أنسابها.

(٤) الخضيب: الملون بالخضاب. والقرن: حاجب الشمس. والطعين: المطعون.

(٥) (بالضم والكسر): دُخان النار.

(٦) المنايا: جمع منيَّة، وهي الموت.

(٧) الهرة: القطّة، ويقال في المثل: «أعق من الهرة»؛ لأنها تأكل أولادها. والجنين:

الولد ما دام في الرحم.

(٨) نزع أباه: أشبهه. إشارة إلى أمّ (آمون). واختلف المؤرخون: هل كانت أمّه

زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه؟ وكان من عادتهم أن لا يتولى الملك إلا مَنْ كانت أمّه زوجة شرعية لأبيه، إلا أن (توت عنخ آمون) تولّى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون.

(٩) إشارة للخليفين: الأمين والمأمون، وقد اختار المأمون؛ لأنه كان أفضل بني

العباس حزمًا، وحلمًا، وعلمًا، ورأيًا، ودهاءً، وهيبةً، وشجاعةً، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكًا، وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون.

(١٠) روما: عاصمة إيطاليا. وقبست: أخذت. وأثينا: عاصمة اليونان. وفيه إشارة

إلى ما أخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة.

(١١) وادي الملوك: هو إلى الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر على مسير نصف ساعة

تقريبًا، وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها. وقد كانوا يبالغون في العناية بها وإتقانها إلى حدّ يفوق الوصف.

(١٢) مصفّدين: مقيدين، يصف فراعنة مصر في مقرّهم الأخير. وهو مقام يتساوى

فيه الملوك والسوقة.

(١٣) منطقين: أي أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة؟ ويريد أنهم أنشئوا من الأبنية

ما يدلُّ على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه، وأشهر الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة، وهما من أعجب ما بنى البناة، وفيهما دليلٌ على أن المصريين القدماء

كانوا أعلم الأمم قاطبة بفنِّ العمارة وهندستها، وقد توالى الدهر عليها فلم ينل منهما مرُّ الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب، قال أحد الحكماء: «كل شيء يُخشى عليه الدهر إلا الأهرام، فإن الدهر يُخشى عليه منها».

(١٤) الطنين: صوت الذباب والطنست والناقوس ونحو ذلك.

(١٥) الصيد: جمع أصيد، وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً.

(١٦) شباب قنُع: أي قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا. والطمحون: المتفانون في طلب المعالي.

(١٧) الصنو: الأخ الشقيق والابن. والسنين (بفتح السين) مَنْ يكون في سنك.

(١٨) الكتائب: جمع كتيبة، وهي الجيش.

(١٩) ابن سיתי، هو رمسيس الثاني المعروف بسيزوستريس، ويُلقَّب بالأكبر؛ لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة، وطالت مدَّة حكمه، وكثرت فيها الآثار المصرية، وتزايدت العمارات، حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه. وولي الملك صغيراً في حياة والده، وقد تربَّى على الشجاعة والحماسة، وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال؛ فأرسله في جيش إلى بلاد الشام، وكان عمره عشر سنين، فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة، وله حروب عظيمة، ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسيا الشمالية، وكان في أيامه بنتاءور الشاعر المصري، وله فيه عدَّة مدائح يصف بها شجاعته وإقدامه. «خوفو» و«ميناً»: من الملوك الفرعنة الذين بلغت مصر في عهدهم شوطاً بعيداً في المدنيَّة، ومن آثارهما الخالدة الأهرامات.

(٢٠) علا خدًا: أي ذلك التاج؛ والصعر: أن يميل الرجل بخدِّه عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً.

(٢١) القطين: الخدم، أي أنه لا يجاري بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفرعنة كانوا يظلمون الأجراء، ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية.

(٢٢) لم نوق النقص: أي لم نحفظ منه.

(٢٣) البستيل: سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩، وفي هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل في فرنسا أشدَّ أنواع العذاب أيام الاستبداد، فكم هلك فيه فيلسوف عظيم، وفني بين جدرانه المظلمة مصلح كبير، وكم من سياسي جنى عليه عمله الخير بلاده فدخله حياً وفارقه ميتاً. وقد ذكر الفرنسيون

«البستيل»، واسم «البستيل» وعدّوه مستقرّ الظلم، ومعهد العسف والقسوة، فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم «البستيل»؛ فهدموه، واقتلعوا أصوله، وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقودًا يتحلين بها في أمكنة اللاكئ؛ إشارة لغلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين، وكان أخذه في ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩، وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية، ولا يزال الفرنسيون يحتفلون بذكره على الآن.

(٢٤) البيعة «بكسر الباء»: معبد النصرى، ومسحّرين: أي كلّفوا عملهم بلا أجره.

(٢٥) سمل العين: فقأها بحديدة محماة وقلعها.

(٢٦) المخاطب للورد كارنارفون الذي اهتدى إلى الكنوز، وكانت وفاته بالقاهرة في

سحر ليلة الخميس ٥ إبريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتنتال، وكانت قد عضّته بعوضة، فطُبّب خمسة عشر يومًا حتى أخذت تزول أعراض التسمم الذي أصابه من هذه العضة، ولكنه لم يقوَ على احتمال ذات الرئة التي أصيب بها، فأودت به. المتطولين: أصحاب الغنى والسعة.

(٢٧) لك الأصل.. إلخ: وذلك أنه من بيوتات إنجلترا القديمة في المجد.

(٢٨) ومالك لا يُعدّ.. إلخ: فهو يملك في بلاد الإنجليز ألف فدان.

(٢٩) وجدت مذاق.. إلخ: إشارة إلى استمراره في أعمال الحفر والتنقيب في وادي

الملوك، فقد بدأها منذ ست عشرة سنة، ولم يزل حتى اهتدى إلى أعظم أثر بين الآثار التي عثر عليها العلماء منذ قرن من الزمن، وقد ضمن له هذا العمل الجليل خلود اسمه، ورفعة ذكره، وكان اهتداؤه إلى هذا الكنز الثمين في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٣، وفي مدافن ملوك طيبة، تحت مدفن رعمسيس السادس. والصفائح: حجارة القبور.

(٣٠) إشارة على ما حواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينة النادرة المثال،

والآلئ: الغالية القليلة الوجود.

(٣١) قارون: رجل كان صاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل في الغنى.

(٣٢) التَنَكَّر: تغيّر الرجل عن حال تسرّه إلى حال يكرهها، وفي الأساس تنكّر لي

فلان: لقيني لقاءً بشعًا. والمحنقون: الذين ملأهم الغيظ.

(٣٣) أبوتنا: أي آباؤنا. والتراث: الميراث، وفيه إشارة إلى ما قيل يومئذ ونشرته

الصحف، من أن اللورد كرنارفون، أخذ خفية أعلى ما في الكنز من تحف، بينها تاج الملكة وعقدها.

(٣٤) الضيم: الظلم. أي نابى أن يظلم ذلك التراث بذهابه نهبًا كما روت الأنباء

البرقية في ذلك الحين.

(٣٥) سكت فحام حولك.. إلخ، أي إن الذي قيل وشاع لاقى منك سكوتًا عن نفيه؛ فلحقتك الشبهات بسبب سكوتك.

(٣٦) المرجفون: مَنْ يخوضون في الأخبار السيئة.

(٣٧) أَمَنْ سرق الخليفة.. إلخ هذا ما يقوله الناس، وذلك أن إنجلترا هي التي نقلت الخليفة وحيد الدين من قصره في الأستانة. وألجأته إلى المدرعة البريطانية «مالايا» هربًا من الكماليين؛ فذهبت به إلى مالطة في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١، فإذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء، فلا يبعد على رجالها أن يفعلوه بالملوك الأموات، وبما في قبورهم من جواهر ودرر، وقد ذكرت الأنباء في إثبات ذلك: أن اللورد كرنارفون أهدى إلى ابنة ملك الإنكليز عقدًا مصريًا قديمًا له قيمة عظيمة، وأنها لما علمت بوفاته وأن بعضه من القبر عضته. نزعت من عنقها ذلك العقد خوفًا من انتقام توت عنخ آمون الذي نسبت إليه يومئذ وفاة اللورد.

(٣٨) يريد بالشموس الغارين: ملوك الفراعنة. وغرفهم: مدافنهم.

(٣٩) المحاجر: ما يحميه الملوك حول منازلهم، ومنها محاجر أقبال اليمن، وهي أحماؤهم، أي ما كان يحميه كل واحد منهم.

(٤٠) العمار: التحية. وهو أيضًا الريحان يزِين به مجلس الشُّراب، واستعماله هنا على الإطلاق؛ إذ لا يليق أن يكون مقيدًا بتزيين هذا المجلس. التحايا: جمع تحية. والرُّفات: كل ما تكسَّر وبلي.

(٤١) يצוע: يتحرَّك وينتشر. أي كادت حجارته تضيء حسنًا، وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكيَّة.

(٤٢) الروعة: المسحة من الجمال. والجنادل: جمع جندل. وهو الحجارة. وطور سينا: هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى (عليه السلام).

(٤٣) النزيل: الضيف.

(٤٤) هاتفين به: أي بالملك الذي هو نزيل القبر، وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته.

(٤٥) فتمَّ: فهناك. والجلالة: عظم القدر. ورامت: أقامت. والقرون الأربعون: هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون.

(٤٦) أي أن الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه في التاريخ، أمَّا جلال الملك فلا

بقاء له.

(٤٧) اليمين: المبارك، وهو من اليمن.

(٤٨) وارثك: أخفتك.

(٤٩) خروج عيسى: أي كما خرج عيسى من القبر على رأي النصارى، وصاحب

الديوان لا يعتقد ذلك، وإنما ينظر فيه إلى رأيهم.

(٥٠) يجوب: يقطع. والبرق: اسم منقول من معناه الأصلي للتلغراف. والبخار:

اسم منقول كذلك للوابور، أو هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه. والحزون: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض.

(٥١) لوزان: إحدى مدن سويسرة. وقد عُرفت بمؤتمر الدول الذي اجتمع بها للنظر

فيما بينهن من الخلاف، ولتقرير الصلح بين التُّرك واليونان، وقد وافق اجتماع المؤتمر ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه.

(٥٢) صلفوا: تمدَّحوا بما ليس فيهم، وأدَّعوا فوق ذلك إعجابًا وتكبرًا. وصدُّوا الباب

عنا: منعهو عنا، أي لم يفتحوه لنا. وموصدين: من أوصد الباب، أطبقه وأغلقه.

(٥٣) أي لو كانت لنا قوة من السلاح لعاملونا باللين والمودة؛ لأنهم يدارون الأقوياء

ويمالئونهم.

(٥٤) كرزن: وزير إنكليزي مشهور، كان هو مندوب إنكلترا في مؤتمر لوزان.

والكنانة: هي مصر.

(٥٥) تعال اليوم.. إلخ: الخطاب لتوت عنخ آمون. ونواك: بعدك. والسَّنات: جمع

سنة، بكسر السين، وهي النعاس.

(٥٦) ينضي: يهزل. والمدلجون: الذين يسرون من أول الليل.

(٥٧) وما تلك القباب.. إلخ: أي وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة: وهي ما ظهر من

أبنية المقبرة الفخمة. والقرون: جمع قرن، وهو مائة عام.

(٥٨) ممرّدة البناء: مملسته.

(٥٩) تغطى: أي هذا البناء تغطى.. إلخ والأثاث: متاع البيت. والصور: جمع

صورة، يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء. والعقاق: جمع عتيق، وهو القديم، أو النجيب من الخيل، والجارج من الطير. والزون: الموضع تجمع فيه الأصنام.

(٦٠) في الغابرين: في الباقين، وفي القرآن الكريم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاَهَا

مِنَ الْغَابِرِينَ﴾، ويكون أيضًا بمعنى الماضين، فهو من الكلمات التي تُسْتَعْمَلُ للأضداد.

(٦١) المهيمن: من أسماء الله تعالى. والمترجلون: الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون

على أرجلهم.

- (٦٢) ما بال الطعام: ما حاله. ويقدى: من قدى الطعام، أي طاب طعمه ورائحته.
- (٦٣) الأحقاب: جمع حقب. بضم الحاء. وهو الدهر. والمئين: جمع مائة.
- (٦٤) لقد كان: أي لقد حصل الذي حذر الأوالي. والأولي: جمع أول، والمعنى: أن ما كنتم تخافونه، وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم، قد حصل، ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه.
- (٦٥) سللت: أخرجت منها برفق. الحفائر: جمع حفيرة. واليوم الذي يسئل الهامدين من التراب: هو يوم القيامة.
- (٦٦) فإن تك عند بعث.. إلخ: أي فإن تكن الآن تشكُّ في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محالة سيأتي البعث الذي لا تشكُّ فيه؛ وهو بعث يوم القيامة.
- (٦٧) يعصموك: يمنعوك من المكروه، أي لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه؛ لأن الموت يمنع الأذى أن يصل إليك، وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني.
- (٦٨) يضُرُّ: بضم الياء وفتح الضاد.
- (٦٩) زمان الفرد: أي زمان حكم الفرد. ودالت: انقلبت من حال إلى حال. والمتجبرون: المتكبرون.

تحية المؤتمر الجغرافي

وهل تصوّر أفرادًا وأعياننا؟^١
للشمس مُلْكًا، وللاقمارِ سلطانا^٢
علمًا على العُصْرِ الخالي وعِرفانا^٣
تواضعًا صخرًا وصَوَانًا^٤
أقوى على صَوْلجانِ الملكِ أيماننا^٥
حتى ينال لهم بالهدمِ بنياننا^٦
ولا الزواخرَ أثباجًا وشُطَّانًا^٧
للموتِ تحت لواءِ العِلْمِ شجعانا^٨
وأوغلوا في الفِلا كالأسدِ وحَدانا^٩
ولا «البخار» لبنتِ الماءِ رُبَّانًا^٩
لعبقريةِ أحمالًا وأظعاننا؟^{١٠}
عزَّ الحضارةِ أعلامًا وركباننا؟^{١١}
ولن ترى كجنودِ العلمِ إخوانا^{١٢}
شتى القبائلِ أجناسًا، وأوطاننا^{١٢}
بالأرضِ دارًا، وبالأحياءِ جيراننا^{١٣}
زرعًا، وضرعًا، وإقليمًا، وسُكَّانًا^{١٤}
وفصلِ البحرِ أصدافًا، ومرجاننا^{١٥}
وميِّز الناسَ أجناسًا وأديانا

هل تهبط النيِّراتُ الأرضَ أحيانًا؟
نزلنَ أولَ دارٍ في الثرى رَفَعَت
تفنتت قبل خلقِ الفن، وانفجرت
أبوَّةٌ لو سكتنا عن مفاخرهم
هم قَلَّبوا كِرَّةَ الدنيا فما جدتْ
وصيِّروا الدَّهْرَ هزءًا يسخرون به
لم يَسْلِكِ الأرضَ قومٌ قبلهم سُبُلًا
تقدَّم الناسَ منهم محسنون مضوا
جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةِ
أزمانَ لا البرُّ «بالواپور» منتهبًا
هل شيعَ النشءُ رَكَّبَ العلم، واكتنفوا
وسايروا الموكبَ المرموقَ مُتَشِّحًا
يسيرُ تحت لواءِ العلمِ مؤتلفًا
العلمُ يجمعُ في جنسٍ، وفي وطنٍ
ولم يزدك كرسِمِ الأرضِ معرفةً
علمُ أبانٍ عن الغبراءِ، فأنكشفتْ
وقسَمِ الأرضِ آكامًا، وأوديةً
وبيِّن الناسَ عاداتٍ وأمزجةً

وفد الممالك، هزَّ النيلُ مَنْكَبَهُ
 غدا على الثغرِ غادٍ من مواكِبِكُمْ
 جرت سفينتُكُم فيه، فقلَّبها
 يلقاكُمْ بِسَماءِ البحرِ ضاحيةً
 ولو نزلتم به والدَّهْرُ معتدلٌ
 إذ (الفنارُ) وراءَ البحرِ مؤتلقٌ
 أناف خلف سماءِ الليلِ متقدِّداً
 تَطوِي الجواري إليه اليَمَّ مُقبلةً
 نورَ الحضارة لا تبغي الركبُ له
 يا موكبَ العلم، قفْ في أرضِ مَنْفٍ به
 بكى تمائمُه طفلاً بها، ويبكي
 أرضَ ترعرَع لم يَصحبْ بساحتها
 عيسى ابنُ مريمٍ فيها جرَّ برُدَّتِه
 لولا الحياءُ لناجتُكُم بحاجتِها
 إذا تفرَّقْتُم في الغربِ ألسنةً
 لما نزلتم على أوديه ضيفاناً^{١٦}
 فراح مبتسمَ الأرجاءِ جذلانا^{١٧}
 على الكرامة قَيْدوماً وسكاناً^{١٨}
 وتارةً بفضاءِ البرِّ مُزداناً^{١٩}
 نزلتمُ بعروسِ المَلِكِ عُمرانا^{٢٠}
 كأنه فلقٌ من خدره باناً^{٢١}
 يُخال في شُرُفاتِ الجوّ (كِيوانا)^{٢٢}
 تجري بوارجٍ أو تناسب خُلجاناً^{٢٣}
 لا بالنهار ولا بالليل برهاناً
 يُناج مَهْداً، ويذكُرُ للصِّبا شاناً^{٢٤}
 ملاعباً من رُبى الوادي وأحضاناً^{٢٥}
 إلّا نبيين قد طابوا، وكُهاناً
 وجرَّ فيها العصا موسى بنُ عُمرانا
 لعل منكم على الأيام أعواناً
 لِيَنْتُم كلَّ قلبٍ لم يكن لانا

هوامش

- (١) النيرات: الكواكب، واحدها نير، بالياء المشددة. وتصور: تتصور. والأعيان: جمع عين، وهو شريف القوم. يقول: إن هؤلاء العلماء الذين أقبلوا من البلاد الأخرى ليحضروا المؤتمر في مصر، هم الكواكب المنيرة، ولكنهم مع ذلك أفراد من الناس، وأعيان شرفاء في أقوامهم. فهل الكواكب تهبط الأرض وتكون كذلك؟
- (٢) نزلن: أي هذه النيرات. وأول دار.. إلخ: هي مصر، وذلك كناية عن أنها سبقت العالم إلى العلم والمدنية. حتى رسخت قدمها فيهما.
- (٣) تفتنت: تنوعت فنونها، أو أخذت في فنون كثيرة. والعُصر: بضمّتين: الدَّهر. والخالِي: الماضي.
- (٤) أبوة: جمع أب، أي لنا أبوة أو أولئك أبوة. والمفاخر: جمع مفخرة، بفتح الخاء وضمها، وهي المأثرة. أو ما يفتخر به. والصوّان: نوع من الحجارة.
- (٥) الصولجان: عصا منعطفة الرأس، والأيمان: جمع يمين، وهي اليد، أي ما وجد أيماناً أقوى على صولجان الملك من أيمانهم.

- (٦) حتى ينال لهم بالهدم بنيانا: أي وهو لا ينال ذلك فهم يسخرون به أبداً.
- (٧) لم يسلك الأرض.. إلخ: وذلك أن المصريين القدماء هم أول من طاف الأرض برّاً وبحراً. والسبل: جمع سبيل. والزواجر: البحار، مفردها زاخر. والأنباج: جمع ثبج، وهو معظم البحر. والشطآن: جمع شطّ، وهو الشاطئ.
- (٨) جابوا: طافوا، والعباب: أكثر السيل، والمراد البحر. والعود: الخشب، والمراد به السفينة. والسارية: عمود ينصب في وسط السفينة ليعلق القلح به. والفلا: جمع فلاة، وهي الصحراء الواسعة، وقيل: المفازة لا ماء فيها. والوحدان: جمع واحد.
- (٩) أزمان: أي فعلوا ذلك من أزمان لم يكن بها الوابور ينهب البر، ولا البخار يجري السفن. والربان: مَنْ يُجْري السفينة. وجوب الأرض على هذه الحال يستدعي عزائم قوية، ويؤدي إلى مخاطر عظيمة.
- (١٠) هل شيع النشاء.. إلخ: أي هل خرجوا مع ركب العلم يودعونهم. والنشاء: جمع ناشئ: وهو الغلام جاوز حدّ الصغر. وركب العلم: هو العلماء الذين جاءوا فحضروا المؤتمر، ثم رجعوا إلى بلادهم. واكتنفوا أحمالاً وأطعانا: أحاطوا بها. والعبقرية: أصلها نسبة عبقر، وهو موضع كانت العرب تزعم أنه كثير الجن، وقد جعله المعاصرون اسماً وأرادوا به التناهي في حذق الشيء وإتقانه. والأحمال: الهوداج، واحدها: حمل — بكسر الحاء وفتحها — والأطعان: الهوداج أيضاً.
- (١١) المرموق: الذي ينظر إليه طويلاً. ومتشكّحاً: لابساً.
- (١٢) شتى القبائل: أي القبائل المتفرقة.
- (١٣) كرسم الأرض: يريد العلم الذي يعرف به رسم الأرض، وهو علم الجغرافيا.
- (١٤) أبان عن الغبراء: أوضحها. والغبراء: الأرض.
- (١٥) الآكام: التلال، وقيل: ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد. والأودية: جمع وادٍ، وهو المنفرج بين جبلين أو تلين. والأصداف: جمع صدف، وهو غشاء الدرّ. والمرجان: عروق حمر، تطلع من البحر.
- (١٦) المنكب: هو من الحيوان مجتمع رأس الكتف والعضد، ومن غير الحيوان ناحية كل شيء وجانبه، والمراد المعنى الأول؛ كناية عن نهوضه لإكرامهم.
- (١٧) غدا: أقبل. والثغر: هو ثغر الإسكندرية. والمواكب: جمع موكب، وهو الجماعة ركباً أو مشاة. والأرجاء: النواحي. والجدلان: الفرحان.
- (١٨) الكرامة: العزاة. والقيدوم: الصدر. والسكان — بالضم —: ذنب السفينة.

(١٩) ضاحية: بارزة منكشفة؛ وهو كناية عن صفائها.

(٢٠) ولو نزلتم به: أي بالثغر. ومعتدل: مستقيم، أي ليس منحرفاً ولا معوجاً عن

أنصافنا.

(٢١) إذ الفنار: أي إذ يكون الفنار.. إلخ. والفنار: هو منارة السفن تقام عالية في

الميناء ليهتدي الربانة في الليل بنورها. ومؤتلق: لامع. والفلق: الصبح، أو ما انفلق من عموده. والخدر: الستر، وقيل: هو كل ما وارك من بيت ونحوه.

(٢٢) أناف: طال وارتفع. وشرفات: واحدها شرفة، وهي ما أشرف من بناء القصر.

وكيوان: اسم فارسي لكوكب زحل.

(٢٣) الجواري: السفن، جمع جارية. واليُمُّ: البحر. والبوارج: جمع بارجة. وهي

سفينة كبيرة للقتال. وتنساب: تجري وتتدافع. والخلجان: جمع خليج، وهو شرم من البحر.

(٢٤) أرض منف: هي الأرض المصرية. ومنف: مدينة مصرية قديمة، بناها الملك

«ميناء» مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية، وجعلها مقرّ ملكه، وبقيت مقرّاً للملك حتى زالت الأسرة الثامنة. ويناج، من ناجاه: سارّه. والمهد: الموضع يهياً للصبي ويوطأ. يقول: قف بالعلم في الأرض التي نشأ فيها؛ ليناجي مهده الأول، ويذكر عهد صباه.

(٢٥) بكى: أي العلم. وتمائم: جمع تميمة، وهي العوذة التي تعلّق للأطفال مخافة

العين. والملاعب: جمع ملعب، وهو مكان اللعب، والرُّبى: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض.

الصليب الأحمر

وانشر عليها رحمةً وحناناً^١
وأعِنْ على آلامه الإنسانا
ما كنت إلا للمسيح بناناً^٢
خُضْ (كالخليل) إليهم النيرانا^٣
واضرع، وسلْ في خلقه الرّحمانا^٤
الله لا بيَعًا ولا صُلباناً^٥
هدمتُ لِسلم العالمين كياناً^٦

سر يا (صليب) الرّفقِ في ساح الوغى
وادخل على الموت الصفوف مُواسياً
والمسّ جراحاتِ البريّة شافياً
وإذا الوطيسُ رمى الشبابَ بناره
واجعل وسيلتك المسيح وأمه
الله جارُك في عوان لم تهب
وسلمتَ يا «حرمّ المعارك» من يدِ

وأراد أمراً بالبلاد فكانا
بيديه، أحدث في «الكنانة» شانا
ترمي العروشَ وتنثُر التيجانا^٧
ووقى من الفتنِ العباد. وصانا
وديارُ مصرٍ لا تزال جِناناً؟^٨
جيشُ يعافِ البغيّ والعدوانا^٩
عَفوا يداً. ومُهَنِّداً. وسنانا^{١٠}
وأرى الجريءَ على الشرور جباناً

يا أهلَ مصر، رمى القضاء بلطفه
إن الذي أمرُ الممالك كلّها
أبقى عليها عرشها في بُرْهَةٍ
وكسا البلادَ سكينَةً من أهلها
أوماً ترون الأرضَ خُرَّبَ نصفها
يرعى كرامتها، ويمنع حوضها
كجنود (عَمْرٍو) أينما ركزوا القنا
إن الشجاعَ هو الجبانُ عن الأذى

أمم الحضارة. أنتم أبأؤنا
 رقت لكم منا القلوب. كأنما
 ومن المروءة - وهي حائطُ ديننا -
 ولئن غزاكم من ذوينا معشرٌ
 حتى إذا الشحناء نامت بينهم
 منكم أخذنا العلم والعرفانا
 جرحاكم يوم الوغى جرجانا
 أن نذكر الإصلاح والإحسانا^{١١}
 فلرب إخوان غزوا إخوانا
 لم يعرفوا الأحقاد والأضغانا^{١٢}

هوامش

- (١) الساح جمع ساحة. والوغى: الحرب.
- (٢) الجراحات: جمع جراحة. والبنان: أطراف الأصابع: مفردها بنانة.
- (٣) الوطيس: شدة الحرب. والخليل: هو إبراهيم (عليه السلام)، وقصة إلقائه في النار مشهورة.
- (٤) الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير. واضرع. من ضرع إليه: خضع وذلل. والرحمن: اسم من أسماء الله تعالى.
- (٥) العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى. والبيع، بكسر الباء: جمع بيعة، بكسرها أيضاً، وهي متعبد النصارى.
- (٦) السلم: ضد الحرب. وكيان الشيء: وجوده أو طبيعته.
- (٧) البرهة: قطعة من الزمن طويلة. وتنتثر التيجان: ترميها متفرقة.
- (٨) الجنان: جمع جنة.
- (٩) يعاف: يكره.
- (١٠) كجنود عمرو: هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب. وركزوا القنا: غرزوها في الأرض. والقنا: الرماح: جمع قنأة. عفاوا: تركوا الشهوات. والمهتد: السيف. والسنان: نصل الرمح.
- (١١) الحائط: الجدار، أي من ديننا كالحائط من الدار.
- (١٢) الشحناء: عداوة امتلأت منها النفوس. والأضغان: الأحقاد.

تحيّة للتُّرك^١

بحمدِ اللهِ ربِّ العالمينا وحمدِك يا أميرَ المؤمنينا
لقينا في عدوِّك ما لقينا لقينا الفتحَ والنصرَ المبينا

* * *

هُمُّ شهرُوا أَدَى، وشهرتَ حربا فكنتَ أجلُّ إقدامًا وضربا
أخذتَ حدودَهُم شرقًا وغربا وطهَّرتَ المواقعَ والحصونا

* * *

وقبل الحربِ حربٌ منك كانت نتائجُها لنا ظهرت وبانَت
ألنَّتِ الحادِثاتِ بها، فلانت وغادرتِ القياصرَ حائرينا

* * *

جمعتَ لنا الممالكَ والشعوبا وكانت في سياستها ضروبا
فلمَّا هبَّ (جورجِيهم) هبوبا تَلَقَّتْ لا يصيبُ له مُعِينًا^١

^١ قيلت في الحرب بين اليونان والأترك سنة ١٣١٤ هجرية، ولَمَّا نالت قصيدة في العالم العربي بأجمعه ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار؛ وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكُّم صادفا هوَى في النفوس.

الشوقيات

* * *

رأى كيف السبيلُ إلى كريد وكيف عواقبُ الطيشِ المزيد
وكيف تنامُ يا عبدَ الحميد وتغفل عن دماءِ العالمينا؟

* * *

ولا واللهِ والرسُلِ الكرام وبيتك خير بيت في الأنام
لما كانوا - وسيفك ذو انتقام - يعادلُ جمعُهم منا جنينا

* * *

رأيتَ الحلمَ لَمَّا زادَ عَرًّا وجراً مَلْغَمَهم حتى تجرًّا^٢
فجاءتكَ دعاوى منه تترى وجاءته جنودك مبطينا

* * *

بخيلٍ في الهضابِ. وفي الروابي ونارٍ في القلاع. وفي الطوابي
وسيفٍ لا يلينُ، ولا يحابي إذا الأجالُ رجَّت منه لينا

* * *

وجيشٍ من غُزاةٍ عن غزاةٍ همُّ الأبطالِ في ماضٍ وآتي
ومن كرمٍ أذلُّوا كل عاتي وذُلُّوا في قتالِ المؤمنينا

* * *

أبعد بلائهم في كلِّ حربٍ وضربٍ في الممالكِ أيِّ ضربٍ
تحاولُ صبيةً في زِيِّ شعبٍ وتطمع أن تدوسَ لهم عرينا؟

* * *

جنودٌ للجراحِ الدَّهرِ مرهمٌ يدبُّرها البعيدُ الصيتِ أدهمٌ
فأنجدَ في تساليهٍ وأتَّهمٌ وكانت للعدا حصناً حصينا^٢

تحية للترك

* * *

أروتُر، لا تدسَّ السم دسًّا ومهلاً في التهؤس يا (هوساً)٤
سل اليونان: هل ثبتت (لرساً) وهل حُفِظَ الطريقُ على أثينا٥

* * *

معانَ الله، كلاً، ثم كلاً هم البحارةُ الغرُّ الأجلأ!
وما أسطولهم في البحر إلا (شخاشخ) ما يرحن وما يجينا!٦

* * *

وكم بعثوا جيوشاً من أمني أتت دارَ السعادة في أمان
وما سارت سوى يَوْمَيَ زمان فأهلاً بالغزاة الفاتحينأ!

* * *

وكم باتوا على هَرْجٍ ومَرْجٍ وقالوا: المالُ ميدولٌ لجورجي٧
وكلُّ المال من دخلٍ وخرَجٍ ديونٌ لا تقدِّرها ديونأ!٨

* * *

وكم فتحوا الثغورَ بلا تواني وبالأسطولِ جاءوا من مواني
وللبسفورِ طاروا في ثواني فأهلاً بالأوزَّ العائمينأ٩

* * *

وفي الآستانة انتصروا انتصارا ويطرسبرج دكوها حصارا
فيا للمسلمين وللنصارى وقيصرَ والملوكِ الآخرينا!

* * *

ويا غليوم، أين لك الفرارُ إذا جورجي وعسكره أغاروا؟
فضاقت عن سفينهمُ البحارُ وضاق البرُّ عنهم واجفينا!

الشوقيات

* * *

أَمُورٌ تَضْحَكُ الصَّبِيانُ مِنْهَا وَلَا تَدْرِي لَهَا الْعَقْلَاءُ كُنْهَا
فَسَلْ رَوْتِرْ، وَسَلْ هَافَسَ عَنْهَا فَإِنْ لَدَيْهِمَا الْخَبَرَ الْيَقِينَا

* * *

وَيَوْمَ مَلَوْنَ إِذْ صَحْنَا، وَصَاحُوا ذَكَرْنَا اللَّهَ مِنْ فَرَحٍ، وَنَاحُوا
وَدَارَتْ بَيْنَهُم بِالرَّاحِ رَاحٌ وَدَارَتْ رَاحَةُ الْإِيمَانِ فِينَا ١٠
عَلَى الْجَبَلِينَ قَدْ بَتْنَا، وَبَاتُوا وَقُتْنَا مِنْ مَنِيَّتِهِمْ، وَفَاتُوا
وَقَدْ مَتْنَا ثَبَاتًا، وَاسْتَمَاتُوا وَمَا الْبُسْلَاءُ كَالْمَسْتَبْسِلِينَا

* * *

خَسَفْنَا بِالْحَصُونِ الْأَرْضَ خَسْفًا تَزِيدُ تَأْبِيًّا فَنَزِيدُ قَذْفًا
بِنَارٍ تَنْسُفُ الْأَجْيَالَ نَسْفًا وَتَلْقَفُ نَارَهُمُ وَالْمَطْلَقِينَا

* * *

مَدَافِعُ مَا تَتُوبُ بِغَيْرِ زَادٍ بَرَائِكِينَ تَصُوبُ بِلا نَفَادٍ ١١
نَصَبْنَا لَهَا لَهْمَ فِي كُلِّ وَادِي فَكَنَّ الْمَوْتَ، أَوْ أَهْدَى عَيْونَا

* * *

جَعَلْنَا الْأَرْضَ تَحْتَهُمْ دَمَاءً وَصَيَّرْنَا الدُّخَانَ لَهُمْ سَمَاءً
وَإِذْ رَامُوا مِنَ النَّارِ احْتِمَاءً حَمَّتْ أَسْيَافُنَا مِنْهُمْ مَثِينَا

* * *

وَرُبَّ مُجَاهِدٍ شَيْخٍ مُبَجَّلٍ تَرَجَّلَتِ الْجِبَالُ وَمَا تَرَجَّلُ
أَرَادَ لِيَرْكَبَ الْمَوْتَ الْمَحْجَّلَ إِلَى أَجْدَادِهِ الْمَسْتَشْهَدِينَا

* * *

وَفِي لَجْوَادِهِ، وَحَنَا عَلَيْهِ فَخُوطِبَ فِي النُّزُولِ، فَمَا أَجَابَا

تَحِيَّةٌ لِلتُّرْكِ

وصابَ رصاصُها يُدْمِي يديه هنا فليطلبِ المرءُ المَنونا

* * *

وقد زاد البسالةَ من وقارِ هزيرٍ من ليوثِ التُّركِ ضاري
تقدَّم نحو نارٍ أي نارِ ليسبقَ نحوَ خالقه القرينا

* * *

جري، فأذلَّ هاتيكَ الألُوفَا وزحزح عن مواضعها الصفوفا
فخاض إلى مكامنِها الحُتوفا وما هابَ الرُّماةَ مسدِّدينا

* * *

دعا لله في وجه الأعادي كليثِ زائرٍ في بطن وادي
فلبَّتْ الفيالقُ والأراذي ودارَ هلالٌ رايتنا يميننا^{١٢}

* * *

فلمَّا أذعنوا أَنَّا المنايا وَأنا خيرٌ من قَاد السرايا^{١٣}
تفرَّقَ جمعُهم إلَّا بقايا على قُللِ الجبالِ مُجندَلينا

* * *

صلاةُ الله ربي والسلامُ على قتلى بفرسالو أقاموا^{١٤}
هم الشهداءُ، حول الله حاموا فأدناهم، وكانوا الفائزين

* * *

أنالوا الملكَ فتحًا أيَّ فتحٍ وشادوا للخلافةِ أيَّ صرحٍ
وجاءوا ربَّهم منهم بذبحٍ تَقَبَّلَه، وكان به ضنيننا^{١٥}

* * *

سلامًا سفحَ فرسالو سلاما وكنُ خيرَ المُقامِ لمنْ أقاما
وضنَّ بها وإن بليتَ عظاما تطيف بها الملائك حائمينا

الشوقيات

* * *

أَذْهَمُ. هَكَذَا تُقْنَى الْمَعَالِي وَتُقْنَى بِالْقَوَاضِبِ وَالْعَوَالِي^{١٦}
لَقَدْ بَيَّضْتَ لِلْمَلِكِ اللَّيَالِي سَيْفٍ يَفْضَحُ الْفَجْرَ الْمَبِينَا

* * *

أَخَذْتَ النِّصْرَ بِالْجَبَلِينَ غَضْبَا وَكُنْتَ اللَّيْثَ تَخْطِئًا وَوَثْبَا
حَمَلْتَ. فَمَا جَتِ الْحُمْلَانُ رُغْبَا يَظُنُّهُمْ الْجَهْلُ مَقَاتِلِينَا

* * *

وَفِي فِرْسَالٍ قَدْ جِئْتَ الْعُجَابَا بِسَطَتِ الْجَيْشِ تَقْرُؤُهُ كِتَابَا
وَقَدْ أَحْصَيْتَهُ بَابًا فَبَابَا وَكَانُوا عَنِ كِتَابِكَ غَافِلِينَا

* * *

ثَبَّتْ مُؤَمَّلًا مِنْكَ الثِّبَاتُ تَوَافِيكَ الرِّسَائِلُ وَالسُّعَاةُ
وَحَوْلَكَ أَهْلُ شُورَاكَ الثِّقَاتُ تَسْوَسُونَ الْجَيْشَ مَظْفَرِينَا

* * *

هَذَاكَ الصِّحْفُ سَارَتْ حَاكِيَاتِ وَطَيَّرَتْ الْبُرُوقُ مَحَدِّثَاتِ
وَحَدَّثَتْ الْمَمَالِكُ أَخَذَاتِ عُلُومَ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَالْفَنُونَا

* * *

بَنِي عَثْمَانَ، إِنَّا قَدْ قَدَرْنَا فَتَوَحَّكُمُ الْكِبَارَ وَقَدْ شَكَرْنَا
سَأَلْنَا اللَّهَ نَصْرًا، فَاَنْتَصَرْنَا بِكُمْ، وَاللَّهُ خَيْرُ النَّاصِرِينَا

هوامش

(١) جورجي: ملك اليونان يومئذ.

(٢) تجرًا: مخفف تجرًا.

تحية للترك

- (٣) تسالية: موقعة من مواقع هذه الحرب. وأنجد وأتهم: نزل نجدًا وتهامة، والمراد أنه أتى على كل ما فيها ما ارتفع منه وانخفض.
- (٤) هوسا: المراد به هافاس، وهي الشركة البرقيّة المعروفة.
- (٥) لرسا: موقعة من مواقع هذه الحرب.
- (٦) شخاشخ: جمع (شخشيخة) وهي لعبة معروفة للأطفال.
- (٧) الهرج والمرج: الفتنة والاختلاط.
- (٨) لا تقدّرهما ديونا: أي لضالّتها، والمراد في كل هذه الأبيات التهكم باليونان.
- (٩) وصف الأوزّ بجمع المذكر، قد يُرادُ به العظيم.
- (١٠) ملون: موقعة، والراح الأولى: الأكفُّ، والثانية: الخمر.
- (١١) تصوب: أي يسقط حممها كالطر.
- (١٢) الأراذي: جمع أردى، وهو الجيش.
- (١٣) السرايا: جمع سرّيّة، وهي القطعة من الجيش.
- (١٤) فرسالو: موقعة.
- (١٥) الذبح: ما يذبح.
- (١٦) القواضب: السيوف. والعوالي: الرماح.

الدستور العثماني

حاطَ الخلافةَ بالدستور حاميتها^١
بعد (الخليفة) بالشورى، وناديها^٢
بُعْدُ الديار، وأحياهم تداينها^٣
وأوشك البينُ يُبليهم، ويُبليها^٤
رَحَالَةَ البدو هاموا في فيافيها^٥
والنفسُ إن قَنَطَتْ فالْيَأْسُ مُرديها^٦

بشرى البرية قاصيها ودانيها
لَمَّا رآها بلا ركن تداركها
وبالأبيين من قوم أماتهم
حنوا إليها كما حنَّت لهم زمنا
مُشْتَتَتِينَ على الغبراء، تحسبهم
لا يقربُ اليأسُ في البأساءِ أنفَسَهم

* * *

جَلَّتْ، كما جَلَّ في الأملاكِ مُسديها^٧
ولا تَكْدُرُ بالآتامِ صافيها^٨
من صاحب (السكة الكبرى) ومُنشيتها^٩
والله للخير هاديه وهاديها
وحسبُ نفسك إخلاصَ يزكيها^{١٠}
أعلى الخواقينَ من عثمانَ ماضيها^{١١}
شَابَ الزمانُ، وما شابَتِ نواصيها
من رمح طاعنها، أو سهمِ راميتها

أسدى إلينا (أمير المؤمنين) يدا
بيضاء، ما شابها للأبرياءِ دمٌ
وليس مُستعظما فضلُ، ولا كرمٌ
إن الندى والرضى فيه وأُسرَتِ
قوم على الحبِّ والإخلاصِ قد ملكوا
إذا الخلائفُ من بيتِ الهدى حُمِدَتْ
خلافةُ الله في أحضانِ دولتهم
دروغها تحتمي في النائباتِ بهم

* * *

حارتُ رجالُ وضلَّتْ في مرآئها^{١٢}

الرأيُ رأيُ «أمير المؤمنين» إذا

وإنما هي سُورَى الله، جاءَ بها
 حَقَّنَتْ عندَ مناداةِ الجيوشِ بها
 ولو منعت أريقت للعبادِ دِمًّا
 وَمَنْ يَسُسُ دولةً قد سُسَّتْها زَمَنًا
 أتى ثلاثون حَوْلًا لم تَذُقْ سِنَةً
 مُسَهَّدَ الجفنِ، مكدودَ الفؤادِ بما
 تكادُ من صُحبةِ الدُّنيا وخَبَرَتِها
 كتابُه الحَقُّ، يُعليها، ويُغليها
 دَمَ البَرِيَّةِ إرضاءً لباريها^{١٣}
 وطاحَ من مُهَجِ الأجنادِ غاليتها^{١٤}
 تَهُنُّ عليه من الدُّنيا عواديها^{١٥}
 ولا استخفَّكَ لِلذَّاتِ داعيها
 يُضني القلوبَ، شجِيَّ النفسِ، عانيها^{١٦}
 تسيءُ ظَنُّكَ بالدُّنيا وما فيها

أما ترى المُلكَ في عرسِ وفي فرحِ
 لَمَّا استعدَ لها الأَقوامُ جئتَ بها
 فضلٌ لذاتك في أعناقِها، ويدٌ
 خلافةُ الله جِرَّ الذيلَ حاضرُها
 طارت قناها سرورًا عن مراكزِها
 هبَّ النسيمُ على «مقدونيا» بردًا
 تغلي بساكنِها ضغناً ونائرةً
 عاثت عصائبُ فيها كالذئابِ عدتْ
 خَلا لها من رُسومِ الحكمِ دارُها
 فسامرَ الشرِّ في الأَجبالِ رائحُها
 مظلومةٌ في جوارِ الخوفِ، ظالمةٌ
 رثتُ لها وبكتُ من رِقَّةِ دولٍ
 أعلامُ مملكةٍ في الغربِ خائفةٌ
 لَمَّا مُلَّتْنا قنوطًا من سلامتها
 من كلِ مستبسلٍ يرمي بمهجتهِ
 كأنها - وسلامُ الملكِ يطلبها -
 بدولةِ الرأْيِ والشورى وأهليها؟
 كالماءِ عندَ غليلِ النفسِ صاديها؟^{١٧}
 عندَ الرعيَّةِ من أسنى أياديها^{١٨}
 بما منحت، وهزَّ العطفَ بايديها^{١٩}
 وألقت الغمَدَ إعجابًا مواضيها^{٢٠}
 من بعد ما عَصَفَتْ جمرًا سوافيها^{٢١}
 على الصدورِ إذ ثارت دواعيها^{٢٢}
 على الأقطايحِ لَمَّا نام راعيها^{٢٣}
 وغرَّها من طولِ المُلكِ باليها^{٢٤}
 وصبَّحَ السهلَ بالعدوانِ غاديها^{٢٥}
 والنفسُ مؤذيةٌ مَنْ راحَ يؤذيها
 كالبومِ يبكي رُبوعًا عزَّ باكيها^{٢٦}
 لآلِ عثمانِ كادَ الدهرُ يطويها
 تَوَوَّبَتْ أُسْدُ الأَجامِ تحميها^{٢٧}
 في الهولِ إن هي جاشت لا يراعيها^{٢٨}
 أمانةٌ عندَ ذي عهدٍ يؤدِّيها

الدينُ لله، من شاءَ الإلهُ هَدَى
 لكلِ نفسٍ هَوَى في الدينِ داعيها

ما كان مُخْتَلَفُ الأديانِ داعيةً
 الكُتُبُ، والرسلُ، والأديانُ قاطبةً
 محبةً لله أصلٌ في مرادِها
 وكل خير يُلقَى في أوامرِها
 تسامُحُ النفسِ معنَى من مروءتِها
 تخلَقُ الصفحَ تسعدُ في الحياةِ به
 الله يعلمُ ما نفسِي بجاهلِةِ
 لئن غدوتُ إلى الإحسانِ أصرفها
 والنفسُ إن كبرت رقتُ لحاسدِها
 إلى اختلافِ البرايا، أو تعاديها
 خزائنُ الحكمةِ الكبرى لإواعيها
 وخشيةُ الله أسٌ في مبانِها^{٢٩}
 وكل شرٌّ يوقَى في نواهيها
 بل المروءةُ في أسمى معانيها
 فالنفسُ يسعدُها خُلُقٌ ويُشقيها^{٣٠}
 مَنْ أهلٌ خَلَّتْها مَمَّنْ يُعاديها؟^{٣١}
 فإن ذلك أجرى من معاليها
 واستغفرت كرمًا منها لثانيها^{٣٢}

* * *

يا شعبَ عثمانَ من تركٍ ومن عربٍ
 صبرتَ للحقِّ حين النفسُ جازعةً
 نلتَ الذي لم ينله بالقنا أحدٌ
 ما بين آمالكِ اللائي ظفرتَ بها
 حيَّاكَ مَنْ يبعثُ الموتى ويُحييها
 والله بالصبر عند الحقِّ موصيها
 فاهتفُ (لأنورها) واحمدُ (نيازيها)^{٣٣}
 وبين (مصر) معانٍ أنتَ تدريها

هوامش

- (١) حاط الخلافة: حفظها وتعهدها. وحاميتها: هو الله تعالى.
- (٢) الشورى: التشاور في الأمر، والمراد الرجوع في الحكم إلى رأي الأمة.
- (٣) الأبيون: جمع أبي من الإباء، وهو الكبر والنخوة.
- (٤) البين: الفرقة.
- (٥) البدو: الصحراء. ورحالة البدو: أي الرحالة من أهل البدو. وهاموا: ذهبوا لا يدرون أين يتوجهون. والفيافي: جمع فيفاء، وهي المكان المستوي، أو المفازة لا ماء فيها.
- (٦) اليأس: أن يقطع الإنسان أملة من الشيء، وهو القنوط أيضًا.
- (٧) أسدى: أحسن. وأمير المؤمنين: هو السلطان عبد الحميد. واليدُّ: النعمة، والمراد الدستور. وجلَّت: عظمت. والأملك: الملوك.
- (٨) بيضاء.. إلخ: وذلك إنه لم تكد أمة تستخلص الحكم من الملك المستبد به، وتعيده إلى رأيها، إلا بعد حرب تقع بينه وبينها، ولكن السلطان عبد الحميد لم يكد يعلم

أن الجيوش زاحفة لتستخلص الحكم الشوري حتى رضيه وأقرّه؛ فلم تقع يومئذ حرب، ولا أريقت دماء، وإن كانت قد حدثت بعد ذلك فتنة أُريدَ بها إرجاع الاستبداد، وانتهت بخلع السلطان.

(٩) السكة الكبرى: هي السكة الحديدية الحجازية، وقد أنشأتها الدولة في أيامه.

(١٠) يزكيها: يطهرها.

(١١) الخلائف: جمع خليفة. وبيت الهدى: هو بيت النبوة. والخواقين: جمع خاقان،

وهو اسم لكل ملك من الترك. وعثمان: هو مؤسس الدولة التركية.

(١٢) المرائي: الآراء، جمع مرأى.

(١٣) حقنت دم البرية: منعت أن يسفك. والبرية: الخلق. والباري: الخالق.

(١٤) أريقت، من أراق الماء: صبّه. والدماء: جمع دم. وطاح، هلك. والمهج: الأرواح.

والأجناد: العسكر، جمع جند.

(١٥) عواديها: جمع عادية من عدا عليه: ظلمه، أي العوادي التي تصيبه منها.

(١٦) مسهّد الجفن: من سهّده، بالتشديد جعله يسهد. أي لا ينام. ومكدود الفؤاد:

متعبه. ويضني القلوب: يثقلها. وشجي النفس: مشغولها. والعاني: الأسير.

(١٧) الغليل: شدّة العطش. وغليل النفس: أي مغلولها، من غلّ الرجل بضم الغين:

اشتدّ عطشه. والصادي: الشديد العطش أيضا.

(١٨) اليدُ هنا: النعمة.

(١٩) الحاضر: المقيم في الحضر. والبادي: المقيم في البادية.

(٢٠) مراكزها: جمع مركز، من ركز القناة، إذا غرزها في الأرض. والغمد: جفن

السيف. والمواضي: السيوف.

(٢١) مقدونيا: هي إقليم البلقان، من تركية أوربا، والبرد: حبُّ الغمام. والعصف:

اشتداد الريح. والسواقي: الرياح تذري التراب، جمع ساقية.

(٢٢) تغلي: أي مقدونيا. والضغن: الحقد. والنائرة: يقال: نارت في الناس نائرة،

أي هاجت هائجة، ودواعي الصدور: همومها.

(٢٣) عانت: أفسدت. والعصائب: جمع عصابة، وهي الجماعة من الرجال، قيل:

العشرة، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين. عدت: وثبت. والأقاطيع: جمع قطيع، وهو

الطائفة من الغنم.

(٢٤) الرسم الدارس: العافي القديم. والطلول: جمع طلل، وهو ما شخص من آثار.

(٢٥) فسامر الشَّر: من المسامرة، وهي الحديث ليلاً. وصَبَّح، بتشديد الباء: أتاه صباحًا.

(٢٦) رثت لها: رحمتها. وهذا البيت والأبيات قبله وصف الحالة مقدونيا، وذلك أن أوروبا كانت دائماً تدبّر المكايد للدولة التركية، وكانت تجد مقدونيل أصلح مكان لمكايدها؛ لما بين أهلها من اختلاف كثير في الجنس والدين واللغة، وكانت الدولة العليّة لا تكاد تطفئ فتنة في ناحية منها حتى تشبّ فتنة في ناحية أخرى، وكلّما كانت تتذرع بالقوة وإظهار الحزم في القضاء على أصحاب الثورات كان يشتدّ خوف الناس في هذا الإقليم.

(٢٧) يريد بأسد الآجام: رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد إعلان الدستور فأذعن لهم.

(٢٨) المستبسل: المستقتل. والمهجة: الروح. والهول: الخوف من الأمر لا يدري ما يهجم عليه منه. وجاشت: اضطربت.

(٢٩) المرشد: مقاصد الطرق.

(٣٠) تخلّق الصفح: أي اجعله خلّقاً لك. والصفح: الإعراض عن ذنوب الغير.

(٣١) الخلفة (بكسر الخاء): المصادقة والإخفاء.

(٣٢) شانيها: مبعضها.

(٣٣) القنا: الرماح، جمع قناة، وأنور ونيازي: هما بطلا الدستور العثماني

المشهوران.

الهلال والصليب الأحمران

(جبريل)، أَنْتِ هَدَيْتِ السَّمَاءَ
أَبْسُطِي جَنَاحَيْكَ اللَّذِي
وَزِيدِي (الهِلَالَ) مِنَ الْكُرَا
فَهُمَا لِرَبِّكَ رَايَةٌ
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَكْ
الْأَحْمَرَانَ عَنِ الدَّمِ
الغَادِيَانِ لِنَجْدَةِ
يَتَأَلَّقَانِ عَلَى الْوَعْيِ
يَقْفَانِ فِي جَنْبِ الدِّمَاءِ
لَوْ خَيَّمَا فِي (كَرْبَلَا)
أَوْ أَدْرَكَا يَوْمَ الْمَسِيحِ
وَلِنَاوَلَاهُ الشَّهَدَةَ، لَا
يَأْيُهَا (اللَّادِي) الَّتِي
أَبْلَيْتِ فِي نَزْعِ السَّهَائِ
وَمَرَرْتِ بِالْأَسْرَى، فَكُنْتِ
وَبِنَاتُ جِنْسِكَ إِنْ بَنَيْتِ
بِالْأَمْسِ لِأَدِيبِ (لَوِثْرِ)
أَسَدْتِ إِلَى أَهْلِ الْجَنُودِ

ءِ، وَأَنْتِ بَرَهَانُ الْعِنَايَةِ^١
مِنَ هُمَا الطَّهَارَةُ وَالْهَدَايَةِ
مَّةً، وَ(الصَّلِيبِ) مِنَ الرَّعَايَةِ
وَالْحَرْبِ لِلشَّيْطَانِ رَايَةَ
بِرٍّ مِنْهُمَا فِي الْبِرِّ آيَةَ
غَالِيٍّ وَحَرَمْتَهُ كِنَايَةَ^٢
الرَّائِحَانِ إِلَى وَقَايَةِ^٣
رَشْدًا تَبَيَّنَ مِنْ غَوَايَةِ^٤
كَالْعُذْرِ فِي جَنْبِ الْجِنَايَةِ
لَمْ يُمْنَعِ (السَّبْطُ) السَّقَايَةَ^٥
حَاحَ لِعَاوَنَاهُ عَلَى النِّكَايَةِ^٦
خَلَّ الَّذِي تَصِفُ الرِّوَايَةَ^٧
أَلْقَتْ عَلَى الْجَرْحَى جِمَايَةَ^٨
مِ بَلَاءِ دَهْرِكَ فِي الرَّمَايَةِ^٩
بِتِ نَسِيمٍ وَأَدِيهِمْ سِرَايَةَ^{١٠}
مِنَ الْبِرِّ أَحْسَنُ الْبِنَايَةِ
لَمْ تَأَلَّ جِيرَتَهَا عِنَايَةَ^{١١}
بِدِيَّاءٍ، وَغَالَتْ فِي الْحَقَايَةِ^{١٢}

وَمُحَجَّبَاتٍ هُنَّ أَطْرُفٌ
 يَسْعَفْنَ رِيًّا، أَوْ قَرَى
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مَلَأْتُكَ الرَّزْ
 لَبِينَ دَعْوَتِكَ الْكَرِيمِ
 الْمَحْسَنُونَ هُمْ اللَّبَابُ
 يَا أَيُّهَا الْبَاغُونَ. رُكَا
 الْبَاعِثُونَ الْحَرْبَ حُبًّا
 الْمَدْعُونَ عَلَى الْوَرَى
 الْمَثْكُلُونَ، الْمَوْتِمُو
 كُلُّ الْجِرَاحِ لَهَا التَّنَا
 إِلَّا جِرَاحَ الْحَقِّ فِي
 سَتَظْلٌ دَامِيَةٌ إِلَى

هَرُ عِنْدَ نَائِبَةِ كِفَايِهِ^{١٣}
 كُنْسَاءٍ طَيِّبٍ فِي الْبِدَايِهِ^{١٤}
 حَمْنٌ كُنَّ هُمْ حِكَايِهِ^{١٥}
 مَةً، وَاسْتَبَقْنَ الْبِرَّ غَايِهِ^{١٦}
 بٌ، وَسَائِرُ النَّاسِ الْنَفَايِهِ^{١٧}
 بَ الْجَهَالَةِ وَالْغَمَايِهِ
 آ لِلتَّوَسُّعِ فِي الْوَلَايِهِ
 حَقُّ الْقِيَامَةِ وَالْوَصَايِهِ
 ن، الْهَادِمُونَ بِلَا نَهَايِهِ^{١٨}
 م مِنْ عِزَاءٍ أَوْ نِسَايِهِ^{١٩}
 عَصْرَ الْحَصَافَةِ وَالْدِرَايَةِ^{٢٠}
 يَوْمَ الْخُصُومَةِ وَالشَّكَايِهِ

هوامش

- (١) جبريل: من الملائكة مختص بالوحي.
- (٢) الأحمران.. إلخ: أي اللذان جُعلا أحمرين ليُكَنَّى بهما عن الدَّمِّ وحرمته.
- (٣) النجدة: الإعانة.
- (٤) يتألقان: يلمعان ويضيئان.
- (٥) كربلا: مدينة في العراق بها قبر للحسين بن علي رضي الله عنهما. والسبط: ولد الولد والحسين سبط النبي ﷺ. يشير بذلك إلى مقتل الحسين، وما قيل من أن قتله منعوا عنه الماء حين طلبه وهو في النزع.
- (٦) يوم المسيح: أي اليوم الذي يزعم النصارى أن المسيح (عليه السلام) صُلب فيه.
- (٧) ولناوله الشهد.. إلخ: وذلك أن النصارى تدَّعي أن المسيح (عليه السلام) طلب وقت شدَّة الصلب ماءً فأعطوه خلًّا.
- (٨) اللادي: لقب عام لزوجات لوردات الإنكليز، وهي هنا زوجة المعتمد البريطاني في مصر أثناء الحرب الكبرى؛ وذلك أنها قامت تجمع المال إعانة للصليب الأحمر، وتدعو إلى ذلك.

(٩) أبلت، من أبلى في الحرب: أظهر بأسه حتى اختبره الناس وامتحنوه.

(١٠) السراية: مصدر سرى، أي تسلل.

(١١) لادي لوثر: إنكليزية أخرى. ولوثر: اسم زوجها. والجيرة: الجيران.

(١٢) الحفاية: الحفاوة، وهي أن تتلطف بالرجل وتبالغ في إكرامه وتظهر السرور

به.

(١٣) ومحجبات: أي ورُبَّ نساءٍ محجباتٍ لسن سافراتٍ مثلكن. والكفاية: ما يحمل

به الاستغناء والقناعة.

(١٤) الري: (بكر الرء وفتحها): أي تشرب الماء حتى تشبع. والقرى: ما قُري به

الضيف. وطى: قبيلة من العرب مشهورة بالكرم.

(١٥) الملائك: جمع ملك، بفتح اللام.

(١٦) لبين: أجبن. واستبقن البر: جاوزنه.

(١٧) اللباب: المختار الخالص من الشيء. والنفاية (بضم النون وفتحها): ما نفيته

من الشيء لرداءته.

(١٨) المثكلون، من أكلها ولدها: أماته. والموتمون: الذين يجعلون الأبناء يتامى

بقتل آبائهم في الحرب.

(١٩) النساية: النسيان.

(٢٠) الحصافة: استحكام العقل وجودة الرأي.

الجزء الثاني

باب الوصف

آية العَصْرِ فِي سَمَاءِ مِصْرَ

نظمت عند قدوم (فدرين) و(يونيه) طائرين من باريز إلى مصر سنة ١٩١٤

وتملكتِ مقاليدَ الجِواءِ^١
وتنحى لك عن عرشِ الهواءِ
لك يا بلقيسُ — من أوفى الإمامِ^٢
طوعَ سُلطانين: علم، وذكاءِ
خَيْلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياءِ
بُرْدُ^٣ في البرِّ والبَحْرِ بطاءُ؛
فوقَ عُنُقِ الرِّيحِ، أو متنِ العَمَاءِ^٤
لبثتُ غيرَ صَبَاحٍ وَمَسَاءِ
لِفريقي من بَنِيكَ البُسْلاءِ
في السَّمَوَاتِ قبورَ الشهداءِ
سَمَرَاءِ النَجْمِ في أوجِ العَلَاءِ^٥
للرياحِ الهُوجِ يوماً بِوِطَاءِ
ولهم أَلْفُ بساطٍ في الفضاءِ
رُفَعَةَ الذِّكْرِ، وَعَلِيَاءِ الثَّنَاءِ
سَالِفِ الحُبِّ، وَمَأثورِ الوَلَاءِ
مرحبًا بالأقربينَ الكَرَمَاءِ

يا فرنسا، نِلتِ أسبابَ السماءِ
غَلِبَ النَّسْرُ على دولته
وأنتِكِ الرِّيحُ تمشي أُمَّةً
رُوِّضتْ بعدَ جِمَاحٍ، وجرتُ
لكِ خَيْلٌ بجِناحِ أشبهت
وبَرِيدُ يسحبُ الذَّيْلَ على
تطلُعِ الشمسِ، فيَجْري دُونها
رحلَةَ المشرقِ والمغربِ ما
بُسْلاءِ الإنسِ والجنِّ فِدَى
ضاقتِ الأرضُ بهم، فاتَّخَذُوا
فِتْيَةً يُمسونَ جيرانَ السُّها
حُومًا فوقَ جبالٍ لم تكن
لِسليمانَ بِساطٌ واحدٌ
يركبونَ الشُّهْبَ والسُّحْبَ إلى
يا «نورًا» هبطوا «الوادي» على
داركم مصرُ، وفيها قومكم

طَرَّتُمْ فِيهَا، فَطَارَتْ فَرَحًا
هَلْ شَجَاكُمْ فِي ثَرَى أَهْرَامِهَا
أَيْنَ نَسَرُّ قَدْ تَلَقَى قَبْلَكُمْ
لَوْ شَهِدْتُمْ عَصْرَهُ! أَضْحَى لَهُ
جَرَّحَ الْأَهْرَامَ فِي عِزَّتِهَا
أَخَذَتْ تَاجًا بِتَاجِ ثَأْرَهَا
وَتَمَنَّتْ لَوْ حَوَتْ أَعْظَمَهُ
بِأَعَزِّ الضَّيْفِ خَيْرِ النَّزْلَاءِ^٧
مَا أَرَقْتُمْ مِنْ دُمُوعٍ وَدِمَاءٍ؟
عِظَةُ الْأَجْيَالِ مِنْ أَعْلَى بِنَاءِ^٨
عَالَمِ الْأَفْلَاكِ مَعْقُودِ اللَّوَاءِ
فَمَشَى لِلْقَبْرِ مَجْرُوحِ الْإِبَاءِ
وَجَزَّتْ مِنْ صَلْفِ الْكَبْرِيَاءِ^٩
بَيْنَ أَبْنَاءِ الشَّمْسِ الْعُظْمَاءِ

جَلَّ شَأْنُ اللَّهِ هَادِي خَلْقِهِ
زَفَّ مِنْ آيَاتِهِ الْكَبِيرَى لَنَا
مَرْكَبٌ لَوْ سَلَفَ الدَّهْرُ بِهِ
نِصْفُهُ طَيْرٌ، وَنِصْفٌ بَشَرٌ!
رَائِعٌ، مَرْتَفِعًا أَوْ وَاقِعًا،
مُسْرَجٌ فِي كُلِّ حِينٍ، مُلْجَمٌ
كِبِاسِطِ الرِّيحِ فِي الْقُدْرَةِ، أَوْ
أَوْ كَحَوْتِ يَرْتَمِي الْمَوْجَ بِهِ
رَاكِبٌ مَا شَاءَ مِنْ أَطْرَافِهِ
بِهُدَى الْعِلْمِ، وَنُورِ الْعِلْمَاءِ
طَلِبَةٌ طَالَ بِهَا عَهْدُ الرَّجَاءِ
كَانَ إِحْدَى مُعْجَزَاتِ الْقَدَمَاءِ
يَا لَهَا إِحْدَى أَعَاجِبِ الْقَضَاءِ!
أَنْفُسُ الشَّجْعَانِ قَبْلَ الْجَبْنَاءِ
كَامِلُ الْعُدَّةِ، مَرْمُوقُ الرُّوَاءِ^{١٠}
هُدْهُدِ السَّيْرَةِ فِي صِدْقِ الْبَلَاءِ
سَابِحٌ بَيْنَ ظُهُورٍ وَخَفَاءِ
لَا يُرَى مِنْ مَرْكَبِ نِي عُدْوَاءِ^{١١}

مَلَأَ الْجَوَّ فِعَالًا، وَغَدَا
وَتَرَى السُّحْبَ بِهِ رَاعِدَةً
حَمَلَ الْفُولَادَ رِيشًا، وَجَرَى
وَجَنَاحَ غَيْرِ نِي قَادِمَةٍ
وَدُنَابَى، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا
يَتَرَاى كَوَكْبًا ذَا ذَنْبٍ
فَإِذَا جَازَ الثَّرِيًّا لِلثَّرَى
يَمَلَأُ الْأَفَاقَ صَوْتًا وَصَدَى
عَجَبَ الْغَرْبَانِ فِيهِ وَالْحِدَاءِ
مِنْ حَدِيدٍ جُمِعَتْ، لَا مِنْ رَوَاءِ^{١٢}
فِي عَنَانَيْنِ لَهُ: نَارٍ، وَمَاءِ
كَجَنَاحِ النَّحْلِ مِصْقُولٍ سَوَاءِ^{١٣}
مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرُبَاءِ
فَإِذَا جَدَّ فَسَهْمًا ذَا مَضَاءِ
جَرَّ كَالطَّائِفِ ذَيْلَ الْخَيْلَاءِ
كَعَزِيفِ الْجَنِّ فِي الْأَرْضِ الْعَرَاءِ

أرسلته الأرض عنها خبراً طَنَّ في آذانِ سَكَّانِ السَّمَاءِ

* * *

يا شبابَ الغدِ، وابْنَايَ الفِدى
هل يمدُّ اللهُ لِي العيشَ، عسى
وأرى تاجِكُمْ فوق السُّها
مَنْ رآكُم قال: مصرٌ استرجعتُ
أُمَّةٌ للخلد ما تبني، إذا
تَعَصِمُ الأجسامَ من عادي البلا
إن أسأنا لَكُمْ، أو لم نَسِئْ
إنما مصرٌ إليكم وبكم
عَصْرُكم حرٌّ، ومُستقبَلُكم
لا تقولوا: حطنا الدهرُ، فما
هل علمتم أُمَّةً في جهلها
باطنُ الأُمَّةِ من ظاهرها
فخذوا العلمَ على أعلامه
واقراءوا تاريخكم، واحتفظوا
أنزل الله على ألسنتهم
واحكموا الدنيا بسلطان، فما
واطلبوا المجد على الأرض، فإن

لَكُمْ. أَكْرِمُ وَأَعَزِّزُ بالفداء
أن أراكم في الفريقِ السُّعداءِ؟
وأرى عرشَكُم فوق ذُكاء؟^{١٤}
عَزَّها في عهد «خوفو» و«مناء»
ما بنى الناسُ جميعاً للعفاء^{١٥}
وتَقِي الآثارَ من عادي الفناء
نحن هَلْكي، فلکم طولُ البقاء
وَحُقُوقُ البرِّ أُولى بالقضاء
في يمين الله خير الأمناء
هو إلا من خيال الشعراء
ظهرت في المجد حسناء الرِّداء؟
إنما السائلُ من لون الإناء
واطلبوا الحكمةَ عند الحكماء
بفصيح جاءكم من فصحاء
وَحْيِهِ في أعْصِرِ الوَحْيِ الوِضاء^{١٦}
خُلِقَتْ نَصْرَتُها للضعفاء
هي ضاقت فاطبوه في السماء

شَيْكْسِير

أعلى الممالك ما كرسِيه الماءُ
يا جيرةَ (المنش)، حَلَاكم أبوتكم
مُلْكٌ يطاول ملكَ الشمس، عزَّته
تأوي الحقيقةُ منه والحقوقُ إلى
أعلاه بالنظرِ العالِي، ونطقه

وما يعامتته بالحقَّ شَمَاءُ^{١٧}
ما لم يُطَوَّقَ به الأبناءَ آباءُ
في الغربِ باذخةً، في الشرقِ قَعَسَاءُ^{١٨}
رُكِنَ بِنَاهُ من الأخلاقِ بِنَاءُ
بحائطِ الرأْيِ أشياخُ أجلاءُ

وَحَاطَهُ بِالْقَنَا فِتْيَانُ مَمْلَكَةٍ
يُسْتَصْرَخُونَ، وَيَرْجَى فَضْلُ نَجْدَتِهِمْ
وَدَوْلَةٌ لَا يَرَاهَا الظَّنُّ مِنْ سَعَةِ
عَصْمَاءُ، لَا سَبَبُ الرَّحْمَنِ مُطَّرَحَ
تلك (الجزائر) كانت تحتهم رُكْنَا
وكان ودُّهم الصافي ونُصرتهم

في السلم زهرُ رُبِّي، في الروع أرزاءُ
كأنهم عربٌ في الدهرِ عَرَبَاءُ^{١٩}
ولا وراءَ مداها فيه عَليَاءُ
فيها، ولا رَجُمُ الإنسانِ قَطْعَاءُ
وراءَهُنَّ لِبَاغِي الصَّيْدِ عَنَقَاءُ^{٢٠}
للمسلمين وراعيهم كما شاءوا

دستورُهُم عجبُ الدنيا، وشاعرُهُم
ما أنجبتُ مثلَ (شيكسبير) حاضرةً
نالتُ به وَحْدَهُ (إنكلترا) شرفًا
لم تُكشَفِ النفسُ لولاهُ، ولا بُلِيَتْ
شِعْرٌ من النَّسَقِ الأعلى، يُؤَيِّدُهُ
من كلِّ بَيْتِ كَأَيِّ الله، تسكُنُهُ
وكلُّ معنى كعيسى في محاسنه
أو قِصَّةِ ككتابِ الدهرِ جامعةً
مهما تُمثِّلُ تَرِ الدنيا مُمَثَّلَةٌ

يَدُ على خلقه لله بيضاءُ
ولا نَمَتْ من كريم الطيرِ غَنَاءُ^{٢١}
ما لم تنلُ بالنجومِ الكُثْرَ جَوَازًا^{٢٢}
لها سرائرُ لا تُحصَى وأهواءُ^{٢٣}
من جانبِ الله إلهامٌ وإيحاءُ
حَقِيقَةٌ من خَيَالِ الشَّعْرِ غَرَاءُ^{٢٤}
جاءتُ به من بناتِ الشعرِ عَذَاءُ
كِلَاهُمَا فيه إضحاكُ وإبكاءُ
أو تُتَلَّ فهي من الإنجيلِ أجزاءُ

يا صاحبَ العُصْرِ الخالي. أَلَا خَبِرَ
أَمَّا الحِياةُ، فأمرُّ قد وصفتُ لنا
بمَنْ أَماتك قل لي: كيف جُمجمةٌ
كانتُ سماءَ بيانٍ غيرَ مُقلعةٍ
فأصبحتُ كأصيصٍ غيرِ مُفتقدٍ
وكيف بات لِسَانٌ لم يدع غرضًا
عفا، فأمسى زُنابى عقرِبِ بَلِيَتْ
وما الذي صنعتُ أيدي البلى بِيَدِ
في كل أنملة منها إذا انبَجَسَتْ

عن عالمِ الموتِ يرؤيه الألباءُ^{٢٥}
فهل لِمَا بعدُ تمثيلٌ وإدناء؟^{٢٦}
غبراءُ في ظلماتِ الأرضِ جَوَفَاءُ؟^{٢٧}
شُوبِها عَسَلٌ صافٍ وصهباءُ^{٢٨}
جَفَّتْه ريحانةٌ للشعرِ فيحاءُ^{٢٩}
ولم تَفْتَهُ من الباغين عوراءُ^{٣٠}
وسُمَّها في عروقِ الظلمِ مشاءُ
لها إلى الغيبِ بالأقلامِ إيماءُ؟
بَرْقٌ، وَرَعْدٌ، وأرواحُ، وأنواءُ^{٣١}

أَمَسَتْ مِنَ الدُّودِ مِثْلَ الدُّودِ فِي جَدِّهِ
وَأَيَّنَ تَحْتَ الثَّرَى قَلْبَ جَوَانِبِهِ
تُصْغِي إِلَى دَقِّهِ أذُنَ الْبَيَانِ، كَمَا
لِئِنَّ تَمْشَى الْبَلَى تَحْتَ التَّرَابِ بِهِ
قُفَّازُهَا فِيهِ حَصْبَاءٌ وَبَوْغَاءُ^{٣٢}
كَأَنَّهُنَّ لَوَادِي الْحَقِّ أَرْجَاءُ؟
إِلَى النُّوَاقِيسِ لِلرُّهْبَانِ إِصْغَاءُ
لَا يُؤْكَلُ اللَّيْثُ إِلَّا وَهُوَ أَشْلَاءُ^{٣٣}

وَالنَّاسُ صِنْفَانِ: مَوْتَى فِي حَيَاتِهِمْ
تَأْبَى الْمَوَاهِبُ، فَالْأَحْيَاءُ بَيْنَهُمْ
يَا وَاصِفَ الدَّمِّ يَجْرِي هَهُنَا وَهَهُنَا
لَا مُوَكَّ فِي جَعْلِكَ الْإِنْسَانَ ذَنْبَ دَمٍ
وَقِيلَ: أَكْثَرَ ذَكَرَ الْقَتْلَ، ثُمَّ أَتَوَّا
كَانُوا الذَّنَابَ، وَكَانَ الْجَهْلُ دَاءَهُمْ
لَوْمَ الْحَيَاةِ مَشَى فِي النَّاسِ قَاطِبَةً
قَمَّ أَيْدِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا، أَلَيْسَ لَهُ
وَأَيَّنَ صَوْتُ تَمِيذِ الرَّاسِيَاتِ لَهُ
وَأَيَّنَ مَاضِيَةً فِي الظُّلْمِ، قَاضِيَةً؟
أَيَّتْرُكُ الْأَرْضَ جَانُوهَا وَلَيْسَ بِهَا
تَأْوِي إِلَيْهَا الْأَيَّامَى، فَهِيَ تَعْرِيزَةٌ
وَآخَرُونَ بِبَطْنِ الْأَرْضِ أَحْيَاءُ
لَا يَسْتَوُونَ، وَلَا الْأَمْوَاتُ أَكْفَاءُ
قَمَّ أَنْظَرَ الدَّمَّ، فَهُوَ الْيَوْمَ دَأْمَاءُ^{٣٤}
وَالْيَوْمَ تَبْدُو لَهُمْ مِنْ ذَاكَ أَشْيَاءُ
مَا لَمْ تَسْعُهُ خِيَالَاتٌ وَأَنْبَاءُ
وَالْيَوْمَ عِلْمُهُمُ الرَّاقِي هُوَ الدَّاءُ
كَمَا مَشَى آدَمُ فِيهِمْ وَحَوَاءُ
كَتَيْبَةٌ مِنْكَ تَحْتَ الْأَرْضِ حَرَسَاءُ؟
كَمَا تَمَآيَدَ يَوْمَ النَّاسِ سَيْنَاءُ؟^{٣٥}
وَأَيَّنَ نَافِذَةً فِي الْبَغْيِ، نَجْلَاءُ؟
صَحِيفَةٌ مِنْكَ فِي الْجَانِينِ سُودَاءُ؟
وَيَسْتَرِيحُ الْيَتَامَى، فَهِيَ تَأْسَاءُ^{٣٦}

أَثَرُ النَّبَالِ فِي النَّبَالِ

في وصف ليلة راقصة أقيمت في قصر عابدين

حَفَّ كَأَسْهَا الْحَبِّبُ
أَوْ دَوَائِرُ دُرَّرُ
أَوْ فَمُ الْحَبِيبِ، جَلَا
أَوْ يَدٌ، وَبِاطْنُهَا
أَوْ شَقِيقٌ وَجَنَّتِهِ
رَاحَةُ النَّفُوسِ، وَهَلْ
فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ^{٣٧}
مَائِجٌ بِهَا لَبِّبُ^{٣٨}
عَنْ جُمَانِهِ الشَّنْبُ^{٣٩}
عَاطِلٌ وَمَخْتَضِبُ
حِينَ لِي بِهِ لِعِبِ^{٤٠}
عِنْدَ رَاحَةِ تَعَبِ

يا نديم، خِفَّ بها
 لا تقل: عواقبُها
 تنجلي ولي خُلُق
 يرقب الرفاق له
 شاعرُ العزيز، وما
 ليلةٌ لسيِّدنا
 دونها الرشيدُ، وما
 يُهرَعُ النزيلُ لها
 فالسرائي جَوْهرةٌ
 أو كِباقَة زهرا
 الجلالُ قبَّتُه
 ثابتٌ، وذروتُه
 أشرقتْ نوافذهُ
 واستنارَ رفرفهُ
 تعجبَ العيونُ له
 أقبلتْ شמושُ ضحى
 الظلامُ رايتُها
 في هَواجِجِ عَجَلًا
 قامَ دونها سَببُ
 فهى تارةً مهلٌ
 ترتمي بهنَّ جمى
 بابُه لِدِاخلِه
 قامتِ السُّراةُ به
 وانبرى النساءُ له
 العفافُ زينتُها
 أنجمٌ، مطالعُها
 سيدي لها فلَكُ
 لا كبا بك الطرب
 فالعواقبُ الأدب
 ينجلي وينسكب
 كلما سرى شربوا
 بالقليل ذا اللقب
 في الزمان تُرتقب
 أخذتْ له الكتبُ
 والرعيَّةُ النخبُ^{٤١}
 للعقول تختلب
 للعيون تأتشب^{٤٢}
 والسنا له طنُب^{٤٣}
 في الفضاء تضطرب
 فهى منظرٌ عجب
 والسُّجوفُ، والحُجبُ^{٤٤}
 كيف تسكنُ الشُّهبُ؟^{٤٥}
 ما لهن مُنتقب^{٤٦}
 وهى جيشُه اللُّجب^{٤٧}
 بالجياد تنسحب
 واستحثَّها سبب^{٤٨}
 وهى تارةً حَبب^{٤٩}
 لا يجوزه رغب^{٥٠}
 جنَّةٌ، هي الأرب
 والمعِيَّةُ النجبُ^{٥١}
 عجمُهْن، والعربُ
 والجمالُ، والحسب
 عابدينُ والرَّحَبُ^{٥٢}
 وهى منه تقترب

عند رُكنِ حُجْرَتِهِ يَزْدهي السَّرِيرُ به
 بَدْرُهُ لَنَا كَتَّبَ^{٥٣} حَوْلَ عَرْشِهِ عَجَمٌ
 والمَطَارِفُ القُشْبُ^{٥٤} رُتْبَةُ الجُدُودِ له
 حَوْلَ عَرْشِهِ عَرَبٌ شُرُفَتْ به وَسَمَا
 تستوي بها الرُّتَبُ الليوْثُ ماثِلَةٌ
 تالِدٌ، ومُكْتَسَبٌ^{٥٥} الحريرُ ملبَسُها
 والظبَاءُ تنسرب والقصورُ مَسْرَحُها
 واللُّجَيْنُ، والذَّهَبُ^{٥٦} يستفزُّها نَعَمٌ
 لا الرَّمَالُ، والعُشْبُ يُستعادُ مُرَقِصُه
 لا صدئٌ، ولا لَجَبٌ^{٥٧} فالقدودُ بانُ رَبِيٍّ
 تارةٌ ويُقْتَضَبُ يلعبُ العِناقُ بها
 بَيَدَ أَنها تَثِبُ^{٥٨} فهَيَّ مَرَّةً صُعْدٌ
 وهُوَ مُشْفِقٌ حَدِبٌ^{٥٩} وهَيَّ ههنا، وهُنا
 وهَيَّ مَرَّةً صَبَبٌ^{٦٠} مثلما التقتُ أَسْلٌ
 تلتقي، وتَصْطَحِبُ الرءُوسُ ماثِلَةٌ
 أو تعانقتُ قُضْبٌ^{٦١} والنُّحُورُ قائِمةٌ
 في الصدورِ تحتجِبُ والنُّهُودُ هَامِدةٌ
 قاعدٌ بها الوَصَبُ^{٦٢} والخصُورُ واهيةٌ
 والخدودُ تلتهبُ سالتِ الأكفُ بها
 بالبنانِ تَنجَبُ الخوانُ دائِرَةٌ
 فهَيَّ أَغْصَنُ نُهَبٌ^{٦٣} للوفودِ مائدةٌ
 المَلَأَ لها قُطْبٌ^{٦٤} والطريقُ مُتَّصِلٌ
 منه أينما انقلبوا والطعامُ حاضرُه
 نحوه، ومُنشعبُ باردٌ، ومِن عَجَبٍ
 والمزيدُ مُنتَهَبُ سائِغٌ لِذِي سَغَبٍ
 يُشْتَهَى وَيُطَلَبُ حاضرٌ لَدَى طَلَبٍ
 سائِغٌ ولا سَغَبٌ^{٦٥} حاضرٌ ولا طَلَبُ

ما تغيضُ والعُلبُ ^{٦٦}	والمُدَامُ أَكُوْسُهَا
والنُّهَى لها سَلَبٌ ^{٦٧}	وهيَ بَيْنَنَا سَلَبٌ
واعتلى بها العنْبُ	شَرَفْتُ مَنَافِحُهَا
ينقضِي لها قَرَبٌ ^{٦٨}	حَوَّلَهَا الحَوَائِمُ، ما
لا تناله الرِّيبُ	يَغْتَبِطُنَ فِي حَرَمِ
يُبتَغى وَيُجْتَذَبُ	ما سِوَى الحَدِيثِ به
مُ «وإن همو طَرَبوا»	هكذا الكرامُ، كرا
ليتَ فَجَرَهَا كَذِبُ	ليلةٌ عَلَتْ، وَغَلَتْ
أَنْ تَعِيدَهَا الحِقْبُ ^{٦٩}	يَكْفُلُ الأَمِيرُ لَنَا
سَيِّدُ لَنَا، وَأُبُ	عاشَ لِلنَّدَى مَلِكٌ
ضاقَ بالنَّدَى النَّشْبُ ^{٧٠}	حاتمُ الملوِكِ إذا
والهناؤُ ما يَهَبُ	السُّرورُ أَنْعَمُهُ
والحنانُ، والحَدَبُ ^{٧١}	والنَّدَى سَجِيَّتُهُ
رَوْضُ عِرْكَ الأَشْبِ ^{٧٢}	يا عَزِيزُ، دامَ لَنَا
في القبولِ تَرْتِيبُ ^{٧٣}	هذه عروسُ نُهيَ
شاعرُ الحِمَى الأَرَبِ	زَفَّها لَكُمْ، وَجَلَا
واكتفى بها الغَيْبُ ^{٧٤}	احتفى الحُضورُ بها
والمنازلُ الخُصْبُ	أنتم الظلالُ لَنَا
لم أقمَ بما يَجِبُ	لو مَدَحْتُمْكَ زَمَنِي

مَرَقَصُ

نُظِمَت هذه القصيدة في وصف مرقص أُقيم بسراي عابدين سنة ١٩٠٤

وَدَعَى الغَضْبُ	مَالَ واحْتَجَبُ
يشرحُ السببُ	ليتَ هاجري
ليته عتبُ	عَتْبُهُ رَضَى
واشياً كذبُ	علَّ بَيْنَنَا

يَخْلُقُ الرَّيْبَ ^{٧٥}	أَوْ مَفْنَدًا
دَمْعُهُ سَحْبٌ؟ ^{٧٦}	مَنْ لِمُدْنَفٍ
هَمُّهُ اللَّعِبِ	بَاتَ مَتَعَبًا
عِنْدَهُ وَصَبِ	يَسْتَوِي خَلٍ
غَيْرَ مُحْتَسِبِ	نَقْتُ صَدِّهِ
رُسُلٍ وَالْكَتَبِ	ضَقْتُ فِيهِ بِالِ
أَخْجَلَ الْقُضْبِ	كَلَّمَا مَشَى
وَالْمَهَا نَسْبِ	بَيْنَ عَيْنِهِ
شَفَّ عَنْ لَهَبِ	مَاءِ خَدِّهِ
شُرْبُهَا وَجِبِ ^{٧٧}	سَاقِي الطَّلَا
فَوْقَهَا الْحِقْبِ ^{٧٨}	هَاتِهَا مَشَّتْ
تَنْفَثُ الْحَبَبِ ^{٧٩}	بَابِلِيَّةً
أَدَمُ الْعِنَبِ	إِنَّ كَرَمَهَا
دَنَّهَا الْأَدَبِ	هُذَّبَتْ، فَفَى
خَيْرَ مَنْ شَرِبِ	إِسْقِيهَا فَتَى
رَاضَهَا الْحَسْبِ	كَلَّمَا طَغَى
هَالَةٌ عَجِبِ؟ ^{٨٠}	(عَابِدِينَ) أَمْ
وَالْعَلَا طُنْبِ ^{٨١}	أَسُّهُ الْهَدَى
مَائِجُ الرَّحَبِ	مُشْرِفُ الذَّرَى
يَرْفَعُ الْحُجْبِ	قَامَ رَبُّهُ
عَرِشٍ (مُنْحَتَبِ)	عِنْدَ عَرِشِهِ
(تُبَّعُ) الْعَلْبِ	دُونَ عِزِّهِ
وَفِدَهُ النَّخْبِ	السُّرَاةُ مِنْ
حَقَّقَهَا الرَّغْبِ	حَوْلَ سُدَّةٍ
عُجْمُ وَالْعَرَبِ	طَابَ عِنْدَهَا الِ
مِنْ بَنِي الصُّلْبِ	وَارْتَضَى الْمَلَا
سِرْبٌ انْسَرَبِ	مِنْ حِسَانِهِمْ

يَسْحَبُ الذَّنْبَ	بَيْنَ كَوَكِبٍ
فَاتِنِ الشَّنْبِ ^{٨٢}	عِنْدَ جُوْدِرٍ
حَاسِرِ اللَّيْبِ ^{٨٣}	عِنْدَ شَادِنٍ
أَيْنَمَا نَهَبَ	تَذَهَبُ النَّهْيُ
كَلَّمَا وَثَبَ	يَلْفِتُ الْمَلَا
سُنْدِسٍ قُشْبِ ^{٨٤}	فِي غَلَائِلِ
يَثْبِتِ الْيَبْلَبِ ^{٨٥}	دُونَهُنَّ لَا
عِطْفُهُ اضْطَرَابَ	قَرًّا نَهْدُهُ
صَدْرِهِ صَبَبَ	خَصْرُهُ هَبَا
مَشْيُهُ الْخَبَبِ	يُرْكِضُ النَّهْيُ
شَاءَ فِي الْكُتُبِ	رَائِعًا كَمَا
شَبَّهَهُ انْجَذَبَ	أَنْسَا إِلَى
أَيْنَمَا انْقَلَبَ	يَسْتَخِفُّهُ
لَحْنٍ مُنْتَخَبَ	مُطْرَبٌ مِنَ الْ
يُحْضِرُ الْغَيْبِ	يَجْمَعُ الْمَلَا
قَبْلَهُ طَرِبَ	مَا حَادَا الْمَهَا

يَا أَبَا النَّجْبِ	يَا ابْنَ خَيْرِ أَبِ
لِلْقَرَى انْتَدَبِ	أَنْتَ (حَاتِمٌ)
كُلُّ مَا يَجِبُ	فِي خِوَانِهِ
مِثْلُهُ الْقُبَيْبِ	لَمْ تَقُمْ عَلَى
يَا وَمَا نَضَبِ	أَنْهَلَ الْبِرَا
لَمْ يَقْلُ جَدْبِ	أَطْعَمَ الْوَرَى
مَا بِهِمْ سَغْبِ ^{٨٦}	مَا بِهِمْ صَدَى
سِ انْظُرِ النَّشْبِ ^{٨٧}	قُمْ أَبَا (نَوَا
بِحَرِّ ذُو الْغُبْبِ؟	مَا الْخَصِيبُ؟ مَا الْ
يُمَطِّرُ الذَّهْبِ؟	هَلْ عَهْدَتَهُ

ذا هو الجنا بُ الذي خصب
ظَلَّلَ الوري روضه الأشب^{٨٨}
خيرٌ مَنْ دعا خيرٌ مَنْ أدب^{٨٩}

(رَبِّ مصر)، عَشُّ وابُلُغِ الأرب
لم تزل ليا ليك تُرْتَقِب
مثلَ صفوها الـ دَهْرُ ما وهب
أحيها لنا عِدَّةَ الشُّهب
هاكِ مِدْحَةَ الشـ عاer الأرب^{٩٠}
زَفَّها إلى خيرٍ مَنْ حَطَب
فارسيَّة بزَّتِ العَرَب
لم يَجِئْ بها شاعرٌ نهب
إن تُراعها تسمَعِ العَجَب^{٩١}
بيدَ أنها بعضُ ما وجب

تَحْلِيَّةُ كِتَابِ

(قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوني) صفة الكتاب – صفة
التاريخ – صفة الجبرتي – واقعة الأهرام

أنا مَنْ بَدَّلَ بِالكَتَبِ الصَّحَابَا لم أجد لي وافيًا إلا الكِتَابَا
صاحبٌ – إن عِبْتَهُ أَوْ لَمْ تَعِبْ – ليس بالواجد للصاحبِ عابَا
كَلَّمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَنِي وكساني من حلى الفضلِ ثيابَا
صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً وودادٌ لم يُكَلِّفَنِي عَتَابَا
رُبَّ لَيْلٍ لَمْ نُقْصِرْ فِيهِ عَن سَمِرٍ طَالٍ عَلَى الصَّمْتِ وَطَابَا
كان من همَّ نهاري راحتي ونداماي. ونَقَلِي. والشَّرَابَا^{٩٢}
إن يَجِدْنِي يَتَحَدَّثُ، أَوْ يَجِدُ مَلَلًا يَطْوِي الأَحاديثَ اقْتِضابَا
تجدُّ الكُتُبَ عَلَى النَقْدِ كَمَا تجدُّ الإخوانَ صِدْقًا وَكِذابَا

فَتَحَيَّرَهَا كَمَا تَخْتَارَهُ وَادَّخِرَ فِي الصَّحْبِ وَالْكُتُبِ اللَّبَابَا
صَالِحُ الْإِخْوَانِ يَبْغِيكَ التُّقَى وَرَشِيدُ الْكُتُبِ يَبْغِيكَ الصَّوَابَا

* * *

غَالٍ بِالتَّارِيخِ، وَاجْعَلْ صُحُفَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي الْإِجْلَالِ قَابَا
قَلْبَ الْإِنْجِيلِ، وَانظُرْ فِي الْهَدَى تَلَقَّ لِلتَّارِيخِ وَزَنَا، وَحِسَابَا
رُبَّ مَنْ سَافَرَ فِي أَسْفَارِهِ بِلِيَالِي الدَّهْرِ وَالْأَيَامِ آبَا
وَاطْلُبِ الْخُلْدَ، وَرُمُهُ مَنزَلًا تَجِدُ الْخُلْدَ مِنَ التَّارِيخِ بَابَا
عَاشَ حَلْقُ، وَمَضُوا، مَا نَقَصُوا رُقْعَةَ الْأَرْضِ، وَلَا زَادُوا التُّرَابَا
أَخَذَ التَّارِيخُ مِمَّا تَرَكَوَا عَمَلًا أَحْسَنَ، أَوْ قَوْلًا أَصَابَا
وَمِنَ الْإِحْسَانِ، أَوْ مِنْ ضِدِّهِ نَجَحَ الرَّاغِبُ فِي الذِّكْرِ، وَخَابَا
مَثَلُ الْقَوْمِ نَسُوا تَارِيخَهُمْ كَلْقِيطِ عَيٍّ فِي النَّاسِ انْتِسَابَا
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةِ يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي انْقِضَابَا^{٩٢}

* * *

يَا أَبَا «الْحَفَاطِ» قَدْ بَلَّغْتَنَا طِبْئَةً، بَلَّغَكَ اللَّهُ الرَّغَابَا
لَكَ فِي الْفَتْحِ وَفِي أَحْدَائِهِ فَتَحَ اللَّهُ حَدِيثًا وَخَطَابَا
مَنْ يُطَالِعُهُ، وَيَسْتَأْنِسُ بِهِ يَجِدُ الْجِدَّ، وَلَا يَعْدَمُ دِعَابَا
صُحُفٌ أَلْفَتْهَا فِي شِدَّةٍ يَتَلَاشَى دُونَهَا الْفِكْرُ انْتِهَابَا
لُغَةٌ «الْكَامِلُ» فِي اسْتِرْسَالِهِ «وَابِنِ خَلْدُونَ» إِذَا صَحَّ وَصَابَا
إِنَّ لِلْفَصْحَى زِمَامًا وَيَدًا تَجَنَّبِ السَّهْلَ، وَتَقْتَادُ الصُّعَابَا^{٩٤}
لُغَةُ الذِّكْرِ، لِسَانُ الْمُجْتَبَى كَيْفَ تَعْيَا بِالْمُنَادِينَ جَوَابَا؟
كُلُّ عَصْرٍ دَارُهَا إِنْ صَادَفَتْ مَنزَلًا رَحْبًا، وَأَهْلًا، وَجَنَابَا^{٩٥}
إِئْتِ بِالْعُمَرَانَ رَوْضًا يَانِعًا وَادْعُهَا تَجْرِ يَنْابِيعَ عِذَابَا
لَا تَجِثْهَا بِالْمُتَمَتِّعِ الْمُقْتَنَى سَرَقًا مِنْ كُلِّ قَوْمٍ وَنِهَابَا
سَلِّ بِهَا أَنْدَلْسًا: هَلْ قَصَّرْتَ دُونَ مِضْمَارِ الْعُلَى حِينَ أَهَابَا؟
غُرَسَتْ فِي كُلِّ تَرْبٍ أَعْجَمِ فَزَكَّتْ أَصْلًا، كَمَا طَابَتْ نِصَابَا
وَمَشَتْ مِشْيَتَهَا، لَمْ تَرَكَبِ غَيْرَ رَجْلَيْهَا، وَلَمْ تَحْجَلْ غُرَابَا^{٩٦}

إِنَّ عَصْرًا تَجَلَّوهُ لَنَا
 المماليك تَمْشَى ظَلْمُهُمْ
 كُلُّهُمْ كَافُورٌ، أَوْ عَبْدُ الحَنَّا
 ولكلِّ شِيعَةٍ مِنْ جِنْسِهِ
 ظَلَمَاتٌ لَا تَرَى فِي جُنْحِهَا
 زِيدَتِ الأَخْلَاقُ فِيهِ حَائِطًا
 وترى الأَعْمَالَ مِنْ أَشْيَاخِهِ
 قَسَمًا لَوْلَاهُ لَمْ يَبْقَ بِهَا
 حَفِظَ الدينَ مَلِيًّا، وَمَضَى
 أُوذِيَتِ هَيْبَتُهُ مِنْ عَجْزِهِ
 لَمْ تَغَادِرْ قَلَمًا فِي رَاحَةٍ
 أَقْعَدَ اللهُ (الجبرتي) لَهَا
 حَبًّا (الشيخ) لَهَا فِي رُذْنِهِ
 مَلِكٌ لَمْ يُغْضِ عَنْ سَيِّئَةٍ
 لَا يَرَاهُ الظُّلْمُ فِي كَاهِلِهِ
 صُحْفُ (الشيخ)، وَيَوْمِيَّاتُهُ
 مِنْ حَوَاشٍ كَجَلِيدٍ لَمْ يَذُبْ
 و(الجبرتي) عَلَى فِطْنَتِهِ
 مُنْصَفٌ مَا لَمْ يَرُضْ عَاطِفَةً
 وَإِذَا الحَيُّ تَوَلَّى بِالهُوَى
 لَيْسَ الأَيَّامَ نَجْنَا وَضِيَابَا^{٩٧}
 ظُلَمَاتٍ، كُدْجِي اللّيلِ حِجَابًا
 غَيْرَ أَنْ المْتَنَبِي عَنْهُ خَابَا؟^{٩٨}
 إِنْ لِلشَّرِّ إِلَى الشَّرِّ انْجَذَابَا
 غَيْرَ هَذَا الأَزْهَرِ السَّمْحِ شَهَابَا^{٩٩}
 فَاحْتَمَى فِيهَا رِوَاقًا وَقَبَابَا
 صَبَّرُوهُ بِسِلَاحِ الحَقِّ غَابَا^{١٠٠}
 رَجُلٌ يَقْرَأُ أَوْ يَدْرِي الكِتَابَا
 يُنْقِذُ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَمَلِكْ ذَهَابَا^{١٠١}
 وَقُصَارَى عَاجِزٌ أَنْ لَا يُهَابَا
 دَوْلَةٌ مَا عَرَفَتْ إِلَّا الحِرَابَا
 قَلَمًا عَنْ غَائِبِ الأَقْلَامِ نَابَا^{١٠٢}
 مِرْقَمًا أَدْهَى مِنَ الصَّلِّ انْسِيَابَا^{١٠٣}
 يَا لَهُ مِنْ مَلِكٍ يَهْوَى السَّبَابَا^{١٠٤}
 وَهُوَ يَكْوِي كَاهِلَ الظُّلْمِ عِقَابَا
 كَزَمَانَ الشَّيْخِ سُقَمًا وَاضْطِرَابَا
 وَفِصُولِ تَشْبِيهِ التَّبَرِّ المُذَابَا
 مَرَّةً يَغْبَى، وَحِينًا يَتَغَابَى^{١٠٥}
 أَوْ يُعَالِجُ لهُوَى النَفْسِ غَلَابَا^{١٠٦}
 سِيرَةَ الحَيِّ بَغَى فِيهَا وَحَابَى

وَقَعَةُ الأَهْرَامِ جَلَّتْ مَوْقِعًا
 عِظَةُ المَاضِي، وَمُلْقَى دَرْسِهِ
 مِنْ بِنَاتِ الدَّهْرِ، إِلَّا أَنهَا
 وَمِنَ الأَيَّامِ مَا يَبْقَى وَإِنْ
 وَتَعَالَتْ فِي المَغَازِي أَنْ تُرَابَا^{١٠٧}
 لِعَقُولٍ تَجْعَلُ المَاضِي مَثَابَا^{١٠٨}
 تَنْشُرُ الدَّهْرَ وَتَطْوِيهِ كَغَابَا^{١٠٩}
 أَمْعَنَ الأَبْطَالُ فِي الدَّهْرِ احْتِجَابَا

غايةً في المجد لا تدنو طلابا
دولة الشرق استواءً وانقلابا
أممًا في مهدهم شهداً وصابا^{١١٠}
وعلى التلّ لبسناها معابا^{١١١}
قطع الأرض بطاحاً وهضابا^{١١٢}
خطفّت تاجاً، واصطادت عُقابا^{١١٣}
لبسوا الغارَ على الغارِ اعتصابا^{١١٤}
واختلاف النقع لوناً وإهابا^{١١٥}
لو تأنى حظّه قاذ السحابا
جمّع الجرحُ على الليثِ الذبابا
فيلق كالزهرِ حسناً والتهابا؟^{١١٦}
وجلالُ الخيلِ ذرّاً وذهابا^{١١٧}
لمست طعناً، ولا مست ضرابا
بين لصين أرادها جذابا
من ذئب الحرب، والأطولُ نابا
وقفوا من ساقه الجيش ذنابا
يخرسُ الأحمال، أو يسقي مُصابا

هي من أيّ سبيلٍ جئتُها
انظر الشرق تجدها. صرّفتُ
جلبتُ خيراً وشرّاً، وسقتُ
في (نصيبين) لبسناً حسنها
إن سرباً زحفَ (النسرُ) به
إن ترامتُ بلدًا عقبانهُ
شهد (الجيّزيُّ) منهم عُصبةً
كذئابِ القفرِ من طولِ الوغى
قادمهم للفتح في الأرض فتى
غرّت الناسَ به نكبته
برزت بالمنظر الضاحي لهم
حليّ الفرسان فيها جوهرًا
في سلاح كحليّ الغيد، ما
طرحت مصر، فكانت (موميًا)
نالها الأعرضُ ظفرًا منهما
وبنو الوادي رجالاتُ الحمى
موقفَ العاجز من حلفِ الوغى

الرَّبِيعُ وَوَادِي النِّيلِ

إلى (هول كين) الكاتب الروائي الشهير

حيّ الربيع حديقة الأرواح
وانشر بساحته بساط الرّاح
فالصفو ليس على المدى بمتاح
لتجاوب الأوتار والأقداح
غرّ، كأمثال النجوم، صباح
وتجمّلوا بمروّةٍ وسماح

آذار أقبل، فم بنا يا صاح
واجمع ندامى الظرف تحت لوائه
صفو أتيح، فخذ لنفسك قسطها
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا
واستأنسن من السقاة برفقة
رقت كندمان الملوك خلالهم

وإجعل صَبوحَكَ في البكور سَلِيلَةً
 مهما فضضتَ دِنَانَهَا فاستضحكت
 تطغى، فإنْ ذكرتُ كَرِيمَ أصولها
 (فرعونُ) خَبَّأَهَا ليوْمِ فُتوحه
 ما بين شَادٍ في المَجَالِي أَيُّهُ
 غَرِدٌ على أوتارِهِ، يُوحِي إلى
 بِيضِ القلَانِسِ في سوادِ جَلَابِيبِ
 رَتَّلَنَ في أوراَقهن مَلاحِنًا
 يخطرُن بين أرائِكِ ومَنابِرِ

للمنَجِبَيْنِ: الكَرَمِ والتفاح^{١١٨}
 مُلِيءِ المَكَانِ سَنَى، وطِيبَ نُقَاح
 خلعت على النشوانِ جَلِيَّةَ صاحي
 وأعدَدَ منها قُرْبَةً (لِفتاح)^{١١٩}
 ومُحَجَّباتِ الأيِّكِ في الأدواح^{١٢٠}
 غَرِدٍ على أغصانِه، صَدَّاح
 حُلِيِّنَ بالأطواقِ والأوضاح
 كالرَّاهِبَاتِ صَبِيحَةَ الإفصاح
 في هيكلٍ من سُنْدِسٍ فيَّاح

مَلِكُ النِّبَاتِ، فَكُلُّ أَرْضٍ دائِرُهُ
 منشورَةٌ أعلامُهُ، من أحمرِ
 لِبِسَتْ لِمَقْدَمِه الخمائلُ وَشَيِّها
 يغشى المنازلَ من لواحقِ نرجس
 ورءُوسِ «منثورٍ» خَفَضْنَ لِعزِّهِ
 الوردُ في سُرُرِ الغصونِ مُفْتَحِ
 ضاحيِ الموابِ في الرياضِ، مُمَيِّزٌ
 مرَّ النسيمُ بصفحتيه مُقْبِلًا
 هتَكَ الردى من حسِنِه وبهائِه
 ينبيكِ مصرعُه — وكلُّ زائلٌ —
 ويقائقِ النَّسْرِينِ في أغصانِها
 و«الْيَاسَمِينِ»، لَطِيفُه ونَقِيه
 مُتَالِقٌ خَلَلَ الغصونِ، كأنه
 و«الجَلَنَارُ» دمٌ على أوراِقِه
 وكان مَخزُونٌ «البنفسجِ» ثاكلٌ
 وعلى «الخواطِرِ» رِقَّةٌ وكأبَةٌ
 والسَّرْوُ في الجِبْرِ السوايغِ كاشفٌ

تلقاه بالأعراسِ والأفراح
 قانٍ، وأبيضُ في الرُّبَى لَمَاح
 ومَرَحَى في كَنَفِ له وجناح
 آنا، وأنا من ثغورِ أفاح^{١٢١}
 تيجانَهنَّ عواطرَ الأرواح
 متقابلِ يُثني على الفَتَّاح
 دون الزهورِ بِشَوْكَةٍ وسلاح
 مرَّ الشِّفاهِ على حدودِ ملاح
 بالليل ما نسجتُ يدُ الإصباح
 أن الحياةَ كغُدوةٍ ورواح
 كالدُّرِّ رُكَّبَ في صدورِ رماح^{١٢٢}
 كسريرةِ المتنزِّهِ المِسماح
 في بُلْجَةِ الأفنانِ ضوءُ صباح^{١٢٣}
 قاني الحروفِ، كخاتمِ السفاح
 يَلْقَى القضاءَ بخشيةٍ وصلاح
 كخواطرِ الشُّعراءِ في الأتراح^{١٢٤}
 عن ساقِه كمليحةِ مِفْراح^{١٢٥}

و«النخل» ممشوقُ العُدُوقِ، مُعَصَّبٌ
 كبناتِ فرعونَ شَهِدَنَ مَواكِباً
 وترى الفِضَاءَ كحائطٍ من مَرْمَرٍ
 الغَيْمُ فِيهِ كالنَّعَامِ: بَدِينَةٌ
 والشمسُ أبهى من عرويسِ بُرْقَعَتِ
 والماءُ بالوادي يُخَالُ مَسارِبًا
 بعثتُ له شمسُ النهارِ أشعَّةً
 يزهو على ورقِ الغصونِ نثيرُها
 وجرت سواقٍ كالنُّوَادِبِ بالقري
 الشاكياتُ وما عَرَفَنَ صِبابَةً
 من كلِّ باديةِ الضلوعِ غليليةِ
 تبكي إذا رَتَبَتِ، وتَضْحَكُ إن هَفَّتْ
 هي في السلاسلِ والغلو، وجارُها
 متزيئٌ بمناطقِ وِوشاحٍ
 تحتَ (المراوح) في نهارِ ضاحٍ
 نُضِدَتِ عليه بدائعُ الألواحِ
 بركتُ، وأخرى حَلَقَتِ بَجَناحِ
 يومَ الزَّفَافِ بعسجدٍ ووضاحٍ
 من زئبقٍ، أو مُلَقِياتِ صِفاحِ^{١٢٦}
 كانت حُلَى (النَّيْلُوفِرِ) السباحِ
 زَهَوَ الجواهرِ في بطونِ الرِّاحِ
 رُغَنَ الشَّجِيَّ بِأَنَّةِ ونُوحِ
 الباكياتِ بِمَدْمَعِ سَحَّاحِ
 والماءُ في أحشائها، مِلوحِ^{١٢٧}
 كالعيسِ بين تَنْشُطِ ورزاحِ^{١٢٨}
 أعمى، ينوءُ بِنِيرِهِ الفدَّاحِ

إني لأذْكَرُ بالربيعِ وحسنِهِ
 هل كان إلا زهرةً كزهورِهِ
 عهدَ الشبابِ وطرفِهِ المِمرِاحِ^{١٢٩}
 عجلَ الفناءَ لها بغيرِ جُنَاحِ؟

(هول كين)، مصرُ روايةٍ لا تنتهي
 فيها من البَرْدِيِّ، والمَزْمُورِ، والـ
 (ومناً)، و(قمبيز)، على (إسكندر)
 تلك الخلائقُ والدُّهورُ خزائنةُ
 أُفُقُ البلادِ — وأنتِ بين رُبوعِها —
 منها يدُ الكُتَّابِ والشُّراحِ
 توراة، والفرقان، والإصحاحِ: ^{١٣٠}
 فالقيصرين، فذِي الجلالِ (صلاح)
 فابعثُ خيالكِ يأتِ بالمفتاحِ
 بالنجمِ مَزْدانُ وبالمصباحِ

مَسْجِدُ أَيَا صُوفِيَا

كنيسةٌ صارت إلى مسجدِ
 هديَّةُ السيِّدِ للسيِّدِ

كانت لعيسىَ حرماً، فانتَهت
شَيْدَهَا الرومُ وأَقْيَالُهُم
تُنْبِئُ عن عَزٍّ، وعن صَوْلَةٍ
مَجَامِرُ الياقوتِ في صَحْنِهَا
ومثل ما قد أودعتُ من حُلِيٍّ
كانت بها العذراءُ من فضَّةٍ
عيسى من الأُمِّ لدى هالَةٍ
جَلَاهُمَا فِيهَا، وحَلَاهُمَا
وأودعَ. الجدرانَ من نقشه
فمن ملاكٍ في الدُّجَى رائحٍ
ومن نبات عاش كالْبَبِيغَا
فقلْ لَمَنْ شَادَ، فَهَدَّ القَوَى
كأنه فرعونٌ لَمَّا بنى
أُيعَبِدُ الله بسومِ الوَرَى
كنيسةٌ كالفَدَنِ المعْتَلَى
والله عن هذا وذا في غنى
قد جاءها (الفتاحُ) في عُصْبَةٍ
رمى بهم بنيانها، مثَلَمَا
فكَبَّرُوا فِيهَا، وصلَّى العِدا
وما توانى الرومُ يَفْدُونَهَا
فخانها من قيصرٍ سعده
بفاتحٍ، غازٍ، عفيفِ القَنَا
أجار مَنْ ألقى مقاليدَه
وناب عَمَّا كان من زُخرفِ
فيا لثأرٍ بيننا بعده
باقٍ كَثَّارٍ (القدس) من قبله
فلا يغرَّنك سكونُ الملا

بنُصرة الرُّوح إلى أحمد
على مثالِ الهَرَمِ المُخَلَّدِ ١٣١
وعن هوىَ للدين لم يخمد
تملؤه من نَدَّها الموقدِ ١٣٢
لم تتخذُ دارًا ولم تُحشد
وكان روحُ الله من عسجد
والأمُّ من عيسى لدى فَرَقَد
مصوِّرُ الرومِ القديرُ اليد
بدائِعًا من فَنِّه المفردِ
عند ملاكٍ في الضُّحى مغتدي
وهو على الحائطِ غَضُّ نَدِي
قوى الأجيرِ، المُتَعَبِ، المُجهدِ
لربِّه بيتًا، فلم يقصد: ١٣٣
ما لا يُسام العَيْرُ في المقود؟ ١٣٤
ومسجدُ كالقصر من أصيدِ ١٣٥
لو يعقلُ الإنسان أو يهندي
من الأسود الرُّكعِ، السُّجَّدِ
يصطدمُ الجَلْمَدُ بالجَلْمَدِ ١٣٦
واختلط المشهدُ بالمشهد
والسيفُ في المَفْدِيِّ والمفتدي
وأيدتُ بالقيصرِ الأسعدِ
لا يحملُ الحقدَ، ولا يعتدي
منهم، وأصفى الأَمَنَ للمرتدي
جلالةُ المعبودِ في المعبدِ
أقام، لم يقربُ، ولم يبعد
لا ننتهي منه، ولا يبتدي
فالشرُّ حولَ الصَّارِمِ المُغْمَدِ

لن ن يترك الروم عباداتهم
 هذا لهم بيت على بيتهم
 فإن يُعادوا في مفاتيحه
 يشيب فيه الطفل في مهده
 فكُنْ لنا اللهم في أمسنا
 لولا ضلالٌ سابقٌ لم يقم
 فكلُّ شرٍّ بينهم أو أذى
 أو ينزلَ التركُ عن السُّودد
 ما أشبه المسجدَ بالمسجد
 فيا ليومَ اللورى أسود
 ويُزعج الميِّتُ من المرقد
 وكن لنا اليومَ، وكن في غد
 من أجلك الخلقُ ولم يقعد
 أنت براءٌ منه طهرُ اليد

غَابُ بُولُونِيَا^١

يا غابَ بولون، ولي
 زمنٌ تقضى للهوى
 حُلْمٌ أريدُ رجوعه
 وهبِ الزَّمانَ أعادها
 يا غابَ بولون، وبني
 خَفَقَتْ لرؤيتك الضلوع
 وأراك أقسى ما عهدتُ
 كم يا جمادُ قساوةً؟
 هلاً نكرتَ زمانَ كُنَّا
 نطوي إليك دُجى الليا
 فنقولُ عندك ما نقو
 نُطقي هوىً وصبايةً
 نسري، ونسرخُ في فضا
 والطيرُ أقعدها الكرى
 فنبيتُ في الإيناس يغ
 نَمُّ عليك، ولي عُهود
 ولنا بظلك، هل يعود؟
 ورجوعُ أحلامي بعيد
 هل للشبيبةِ مَنْ يُعيد؟
 وجدُّ مع الذكرى يزيد
 عُ، وزلزلَ القلبُ العميد^{١٢٧}
 ت، فما تميلُ، ولا تميد
 كم؟ هكذا أبداً جُحود؟
 والزَّمانُ كما نريد؟
 لي، والدجى عنَّا يذود
 ل، وليس غيرك مَنْ يُعيد
 وحديثُها وتَرُّ وعُود
 نك، والرياحُ به هُجود
 والناسُ نامت والوجود
 بطننا به النجمُ الوحيد

^١ غاب بولونيا: متنزَّه مشهور في باريس.

فِي كُلِّ رُكْنٍ وَقْفَةٌ
 نَسْقِي، وَنُسْقِي، وَالهُوَى
 فَمِنَ الْقُلُوبِ تَمَائِمُ
 وَالْغَصْنَ يُسْجِدُ فِي الْفُضَا
 وَالنَّجْمُ يَلْحَظُنَا بَعِيدُ
 حَتَّى إِذَا دَعَتِ النَّوَى
 بَيْتِنَا، وَمِمَّا بَيْنِنَا
 لِيَلِي بِمَصْرَ، وَلِيَلُهَا
 وَبِكُلِّ زَاوِيَةٍ قُعود
 مَا بَيْنَ أَعْيُنِنَا وَلِيَدِ
 وَمِنَ الْجُنُوبِ لَهُ مُهُودِ
 ءِ، وَحَبِّدَا مِنْهُ السُّجُودِ
 نَ مَا تَحُولُ وَلَا تَحِيدِ
 فَتَبَدَّدَ الشَّمْلُ النُّضِيدِ
 بَحْر. وَدُونَ الْبَحْرِ بِيَدِ
 بِالْغَرْبِ، وَهُوَ بِهَا سَعِيدِ

المرأة العثمانية

يَا مَلَكًا تَعَبَّدَا
 مَبَارَكًا فِي يَوْمِهِ
 مُسَخَّرًا لِأُمَّةٍ
 قَدْ جَعَلْتَهُ تَاجَهَا
 وَأَعْرَضْتِ حَيْثُ مَشَى
 تُجِلُّهُ فِي حَسَنِهِ
 أَنْتِ شُعَاعٌ مِنْ عِلِّ
 كَمْ قَدْ أَضَاءَ مَنْزِلًا
 وَكَمْ كَسَا الْأَسْوَاقُ مِنْ
 لَوْلَا التَّقَى لَقَلْتِ: لَمْ
 إِنْ شِئْتِ كَانَ الْعَيْرُ، أَوْ
 وَإِنْ تُرِدِ غَيًّا غَوَى
 وَالْبَيْتُ أَنْتِ الصَّوْتُ فِيهِ
 كَالْبَبْغَا فِي قَفْصِ
 وَكَالْقَضِيبِ الْلَدَنِ، قَدْ
 يَأْخُذُ مَا عَوَّدْتَهُ
 مُصَلِّيًا مَوْحِدَا
 وَالْأَمْسِ، مَيْمُونًا غَدَا
 مِنْ حَقِّهَا أَنْ تَسْعَدَا
 وَعِزَّهَا، وَالسُّودَا
 وَأَطْرَقْتِ حَيْثُ بَدَا
 كَمَا تُجِلُّ الْفَرْقَدَا
 أَنْزَلَهُ اللَّهُ هُدَى
 وَكَمْ أَنْارَ مَسْجِدًا
 حُسْنِ، وَزَانَ الْبِلْدَا
 يَخْلُقُ سِوَاكَ الْوَلْدَا
 إِنْ شِئْتِ كَانَ الْأَسْدَا
 أَوْ تَبِغِ رُشْدًا رَشْدَا
 هِ، وَهُوَ لِلصَّوْتِ صَدَى
 قِيلَ لَهُ، فَقَلْدَا
 طَاوَعِ فِي الشَّكْلِ الْبِيدَا
 وَالْمَرْءُ مَا تَعَوَّدَا

مما انفردت في الورى
وكلُّ ليثٍ قد رمَى
أنت الذي جندته
وقلت: كنُّ لله، والسـ
بفضله وانفردا
به الإمام في العدا
وسُقنته إلى الردي
لطان، والترك، فدى

الهلالُ

سنونُ تُعادُ، ودهرٌ يعيدُ
أضاءَ لآدمَ هذا الهلالُ
نعدُّ عليه الزَّمانَ القريبَ
على صفحتيه حديثُ القرى
و(طيبةُ) أهلةُ بالملوك
يزول ببعض سنائه الصِّفا
ومن عجبٍ وهو جدُّ الليالي
لَعَمْرُكَ ما في الليالي جديد
فكيف تقول: الهلالُ الوليدُ؟
ويُحصي علينا الزمانَ البعيد
وأيامُ (عادٍ)، ودنيا (ثمود)
(وطيبةُ) مُقْفِرَةٌ بالصعيد
ويفنى ببعض سنائه الحديد^{١٣٨}
يُبِيدُ اللياليَ فيما يُبِيدُ!!

يقولون يا عامُّ: قد عدتَ لي
لقد كنتَ لي أمسٍ ما لم أُرِدْ
ومَنْ صابِرَ الدهرَ صبري له
ظمئتُ، ومثلي برِيٌّ أحقُّ
تغابيتُ حتى صحبتُ الجهولَ
فيا ليت شعري بماذا تعود؟
فهل أنتَ لي اليومَ ما لا أريدُ؟
شكا في الثلاثين شكوى (ليبيد)^{١٣٩}
كأني حسينٌ، ودهري يزيد^{١٤٠}
وداريتُ حتى صحبتُ الحسود

منظر الشروق والغروب في عالم الماء من أعلى السفينة

لِمَنْ غُرَّةٌ تَنجلي من بعيد
تَهزُّ الوجودَ تباشيرُها
ويغشى الدُّنا من حُلاها سنَى
من الموج مُلتَمِعٌ، مثلما
بمراًى كما الحُلم ضاحٍ سعيد؟
كما هزَّ من والديه الوليد
أضاءَ لنا كلَّ حالٍ نضيد^{١٤١}
تَحَلَّتْ نحرورُ الدُّمى، بالعقود^{١٤٢}

أَتَتْنَا مِنَ الْمَاءِ مُهْتَزَّةً
 وَتَضَعَدَ مِنْ غَيْرِ مَا سَلَّمَ
 وَهَذَا الْمَنِيرُ الْقَرِيبُ الْقَرِيبُ
 وَهَذَا الْمَنِيرُ الَّذِي لَنْ يُرَى
 وَهَذَا الْجُسَامُ الْخَفِيفُ الْخَطَا
 وَيَا لِمَصُورٍ آثَارَهَا
 وَتَقْلِيلَهَا كُلَّ جَمِّ السَّنَا
 مِنَ النَّارِ، لَكِنَّ أَطْرَافَهَا
 مِنَ النَّارِ، لَكِنَّ أَنْوَارَهَا
 هِيَ الشَّمْسُ، كَانَتْ كَمَا شَاءَهَا
 تَرُدُّ الْمِيَاهَ إِلَى حَدِّهَا
 وَتَطْلُعُ بِالْعَيْشِ، أَوْ بِالرَّدَى
 وَتَسْعَى لِمَا لَهَا مِنْ مَهْمَا سَعَتْ
 وَقَدْ تَتَجَلَّى إِذَا أَقْبَلَتْ
 وَقَدْ تَتَوَلَّى إِذَا أُدْبِرَتْ
 فَمَا لِلْغُرُوبِ يَهْيِجُ الْأَسَى
 كَذَا الْمَرْءُ سَاعَةَ مِيلَادِهِ
 وَلَيْسَ بِجَارٍ وَلَا وَاقِعٍ

مَنْوَرَةٌ، تَعْتَلِي لِلْوُجُودِ
 فِيَا لِلْمَصُورِ هَذَا الصُّعُودِ!
 وَهَذَا الْمَنِيرُ الْبَعِيدُ الْبَعِيدُ
 وَهَذَا الْمَنِيرُ وَكُلُّ شَهِيدِ
 وَهَذَا الْجُسَامُ الَّذِي مَا يَمِيدُ
 بِكُلِّ بَحَارٍ، وَفِي كُلِّ بَيْدٍ!!
 وَتَصْغِيرَهَا كُلَّ عَالٍ مَشِيدِ
 تَدُورُ بِبِاقُوتَةٍ لَنْ تَبِيدَ
 إِلَهِيَّةً، زِيَّنَتْ لِلْعَبِيدِ
 مِمَاتُ الْقَدِيمِ، حَيَاةُ الْجَدِيدِ
 وَتُبْلِي جِبَالَ الصِّفَا وَالْحَدِيدِ^{١٤٣}
 عَلَى الزَّرْعِ: قَائِمُهُ، وَالْحَصِيدِ
 بِخَيْرِ الْوَعُودِ، وَشَرِّ الْوَعِيدِ
 بِنُعْمَى الشَّقِيِّ وَبِوَسَى السَّعِيدِ
 وَلَيْسَتْ بِمَأْمُونَةٍ أَنْ تَعُودَ
 وَكَانَ الشَّرُوقُ لَنَا أَيَّ عِيدٍ؟
 وَسَاعَةً يَدْعُو الْجِمَامُ الْعَنِيدِ
 سَوَى الْحَقِّ مِمَّا قَضَاهُ الْمُرِيدِ

مَنْظَرُ طُلُوعِ الْبَدْرِ مِنَ سَفِينَةٍ

مَلِكَ السَّمَاءِ، بَهَرَتْ فِي الْأَنْوَارِ
 لَمَّا طَلَعَتْ عَلَى الْمِيَاهِ تُنِيرُهَا
 وَزَهَتْ لِنَاظِرِهَا السَّمَاءِ، وَقَرَّ مَا
 وَأَهْلًا لِلِ السُّرَاةِ، وَأَزْلَفُوا
 وَتَأَمَّلُوكَ، فَكُلُّ جَارِحَةٍ لَهُمْ
 وَالْبَدْرُ مِنْكَ عَلَى الْعَوَالِمِ يَجْتَلِي

فَفِدَاكَ كُلُّ مُتَوَجِّعٍ مِنْ سَارِي
 سَكَنْتُ، وَقَدْ كَانَتْ بِغَيْرِ قَرَارٍ
 فِي الْبَحْرِ مِنْ عُبْبٍ، وَمِنْ تِيَّارٍ^{١٤٤}
 لَكَ فِي الْكِمَالِ تَحِيَّةَ الْإِكْبَارِ
 عَيْنٌ تُسَامِرُ نَوْرَهَا وَتُسَارِي
 بِشَرِّ الْوُجُوهِ وَزَحْمَةِ الْأَبْصَارِ

مُوفٍ على الآفاق بالأسفار
يُمناه يجلوها على النُّظار
يُسْمُو بها، والنصفُ كاسٍ عار
عن قُفْلٍ ماسٍ، في سِوارِ نُضار
ضاحٍ، ويحملُ منك تاجَ فُخار
والشَّهْبُ دينارٌ لدى دينار
يبدو لها ذيلٌ من الأنوار
إِنَّ تَنْثِييَ في عسجِدِ زَخار
أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُحتار
شِعْرًا ليقراه، وأنتَ القارى
ونظيره قُرْبًا وبُعْدَ مَزار
وسواكما قمرٌ من الأَقمار
وهي الضنينةُ بالخيالِ الساري
لكن أداري، والمحبُّ يُداري
والله مُطْلِعٌ على الأسرار

مُتَقَدِّمٌ في النُّور، محبوبٌ به
يا دُرَّةَ الغِوَاصِ أخرجَ ظافراً
مُتَهَلِّلاً في الماءِ، أبدى نصفه
وافى بك الأفقُ السماءَ، فأسفرتُ
ونَهضتُ، يزهو الكونُ منك بمنظر
الماءِ والآفاقِ حولك فِضَّةٌ
والفلكُ مشرقةُ الجوانبِ في الدُّجى
بيننا تَخَطَّرُ في لُجَيْنِ مائِجٍ
وكأنها والموجُ منتظمٌ وقد
عَيِدَاءُ لاهيةً، تَخَطُّ لأغْيِدِ
فليهنِ بدرُ الأرضِ أنكِ صنوهُ
وحلاكُما، ما البدرُ إلا أنتما
أنتِ الكريمُ على الوجودِ بوجهه
هيفاءُ أهواها، وأعشقُ ذكرها
لي في الهوى سِرٌّ أبيتُ أصونه

بَلَدَةُ الْمُؤْتَمَرِ لِنَاظِرِهَا فِي بَهْجَةِ مَنَاظِرِهَا

جنيف وضواحيها

طَيِّفٌ يزورُ بفضله مهما سرى
سُبُلًا إلى جفنيك، لم يرضَ الثرى
مَلَكًا تنمُّ به السماءُ، مُطهرا
أهدابُه يأخذنه مُتحدِّرا
حَدْرًا وخوفًا أن يُراعَ ويُذعرا
بين الجفونِ. وبين هُديك، والكرى
متصوِّرا ما شئتَ أن يتصوِّرا
وتُدوسُ ألسنةَ الوشاةِ مظفِّرا

لا السُّهْدُ يُدنيني إليه، ولا الكرى
تَخَذَ الدُّجى، وسماءه، ونجومه
وأناك موفورُ النعيمِ، تخالُه
علمِ الظلامِ هبوطه، فمشت له
وحمى النساءُ أن تروحَ وأن تَجِي
ورقدتْ تُزْلِفُ للخيالِ مكانه
فهينتُه مثلَ السعادةِ شائقًا
تطوى له الرُّقباةِ منصورَ الهوى

ما سامحت أيامها فيما جرى
 زُونًا بتمثال الجمال منورًا
 بك أن تُقدِّم في المنى وتؤخِّرا
 حتى إذا ودَّعت عانقت الثرى
 فدننت كواكبها تُعلِّمه السرى
 ويرى له الميلاد أن يتصدرا
 بين الرياض، وبين ماء (سُويسرا)
 من كل أبيض في الفضاء وأخضرا
 مشبوبة الأجرام، شائبة الذرى
 وأناف مكشوف الجوانب مُنذرا
 أذنا من الحجر الأصمِّ ومشفرا^{١٤٥}
 ألفتيه دَرَجًا يَمُوج مُدَوِّرا
 فبدا زَبَرَجَدُه بهنَّ مجوهرا
 أوكارُ طير، أو خَمِيسٌ عسكرا^{١٤٦}
 والكهرباءُ تضيءُ أثناء الثرى
 يحكي حواليتها الغمامَ مسيرا
 بَرَدًا، ونار العاشقين تَسْعُرًا
 وخلالها يجري، ومن حول القرى
 مُتسَرِّعًا، مُتسلسلًا، مُتَعَثِّرًا
 يصلان جِسْرًا في المياه ومعبرا
 تطوي الجداول نحوها والأنهرا
 جاذبتُ لَيْلي ثوبه متحيرا
 أستقبل العرفَ الحبيبَ إذا سرى
 وقد اطمأنَّ الطيرُ فيها بالكرى
 فأَمِيلُ أنظر فيه، أطمعُ أن أرى
 آنستُ نورًا ما أتمَّ وأبهرًا!!
 بدرٌ تسايه الكواكبُ خَطْرًا

لولا امتنانُ العين يا طيفَ الرضا
 بانث مُشَوِّقَةً، وبات سوادها
 تُعطى المنى، وتنيلهنَّ خليقة
 وتعانق القمرَ السَّنيَّ عزيزة
 في ليلة قَدِمْ الوجودَ هلالها
 وتريه آثارَ البدور ليقتفي
 ناجيتُ مَنْ أهوى، وناجاني بها
 حيث الجبالُ صغارها وكبارها
 تَخَذَ الغمامُ بها بيوتًا، فانجلت
 والصخرُ عالٍ، قام يشبه قاعدًا
 بين الكواكب والسحاب، ترى له
 والسفحُ من أيِّ الجهاتِ أتيتَه
 نثرَ الفضاءِ عليه عقدَ نجومه
 وتنظمتُ بيضُ البيوت، كأنها
 والنجمُ يبعث للمياه ضياءه
 هام الفراشُ بها، وحام كتائبًا
 خُلِقت لرحمته، فباتت نازُه
 والماءُ من فوق الديار، وتحتها
 مُتصوِّبًا، مُتصعِّدًا، مُتمهَّلًا
 والأرضُ جِسْرٌ حيث دُرَّتْ ومَعْبَرٌ
 والفلكُ في ظلِّ البيوت مواخرًا
 حتى إذا هدا المَلا في ليله
 وخرجت من بين الجسور، لعلني
 أوي إلى الشجرات، وهي تهزني
 ويهزُّ مني الماءُ في لمعانه
 وهنالك ازدهمت السماء، وكان أن
 فسريتُ في لألائه، وإذا به

فيه، فما استتممت حتى فُسِّرا
 سسى يقظَةً، ومُنَايَ لَبَّتْ حُضْرَا
 بالطَّودِ أبيض من جبال (سُويسرا)
 وإذا هوت حمراء في تلك الذرى
 وغروبُها أجلى وأكملُ منظراً
 تهنا بها الدُّنيا، ويغتبط الثرى
 لاحت برأس الطَّودِ تاجاً أزهرًا
 حتى أناف، فلاح طاراً أكبرا
 مُستعصياً بمكانه أن يُنقرا
 وتغطَّت الأشباح، لكن جوهرًا
 وأنار، فأنكشف الوجودُ منورًا
 أذنت لداعي النقصِ تهوي القهقري^{١٤٧}
 وتبدل المستعظمُ المستصغرا
 وأحمرَّ بُرْقُعُها وكان الأصفرا
 جعلت أعاليه شريطاً أحمرًا
 وبدت ذراه الشَّمُّ تحمل مجمرًا
 شَرَكًا لتصطادَ النهارَ المذبرًا
 وأتى طولُهما الظلامُ فعسكرا
 وغروبُها الأجلُ البغيضُ لمن درى
 ما كان بينهما الصفاءُ ليعمرا
 والله عزَّ وجلَّ لن يتغيبرا
 ولدى جوانبه، وما بين الذرى
 عَجَلٌ هنالك كهربائي السرى
 قُضِبُ الحديدِ، تعرُّجًا وتحذُّرًا
 ويخفُّ بين الهوَّتَيْنِ تَخَطُّرًا
 عصماء، همَّ معانقًا متسورًا
 قمنا على فرع (السليف) لننظرا

حُلْمٌ أعارتني العناية سمعها
 فرأيتُ صفوي جَهْرَةً، وأخذتُ أنـ
 وأشرت: هل لُقيا؟ فأوحى: أن غدا
 إن اشرفت زهراء تسمو للضحى
 فشروقها منه أتمَّ معانِيًا
 تبدو هنالك للوجودِ وِليدةً
 وتضيءُ أثناءَ الفضاءِ بغرَّةً
 فسمت، فكانت نصفَ طار، ما بدا
 يعلو العوالمَ، مُستقلًا، ناميًا
 سالت به الآفاقُ، لكن عسجدًا
 واهتزَّ، فالدُّنيا له مُهتزةً
 حتى إذا بلغ السُّمُّ كماله
 فدنت لناظرها، ودان عنانها
 واصفرَّ أبيض كلَّ شيءٍ حولها
 وسما إليها الطَّودُ يأخذها، وقد
 مسَّته، فاشتعلت بها جناباته
 فكانما مدَّت به نيرانها
 حرقته، واحترقت به، فتولَّيا
 فشروقها الأملُ الحبيبُ لمن رأى
 خَطبانِ قاما بالفناءِ على الصِّفا
 تتغير الأشياءُ مهما عاودا
 أنهارنا تحت (السليف)، وفوقه
 رجلاً، ورُكبانًا، وزحَلَقَةً على
 في مركبٍ مُستأنسٍ، سألت به
 ينساب ما بين الصخور تمهلاً
 وإذا اعتلى بالكهرباءِ لذروة
 لما نزلنا عنه في أمِّ الذرى

أَرْضُ تَمَوْجُ بِهَا الْمَنَاظِرُ جَمَّةٌ
وَقُرَى صَرَبُنْ عَلَى الْمَدَائِنِ هَالَةٌ
وَمَزَارِعُ لِلنَّاطِرِينَ رَوَائِحُ
وَالْمَاءُ غُدْرٌ مَا أَرَقُّ وَأَغْزَرَا!!
فَحَشُونَ أَفْوَاهَ السُّهُولِ سِبَائِكًا
قَدْ صَغَّرَ الْبَعْدُ الْوُجُودَ لَنَا، فِيهَا
وَعَوَالِمٌ نِعَمَ الْكِتَابُ لَمَنْ قَرَا
وَمَدَائِنٌ حَلَّيْنِ أَجْيَادَ الْقُرَى
لَبَسَ الْفَضَاءُ بِهَا طَرَارًا أَخْضَرَا
وَجَدَاوِلُ هُنَّ اللَّجَيْنُ وَقَدْ جَرَى
وَمَلَأْنَ أَقْبَالَ الرُّوَاسِخِ جَوْهَرَا^{١٤٨}
لِلَّهِ مَا أَحْلَى الْوُجُودَ مَصْغَرَا!!

(وقال يصف مشاهد الطبيعة في طريقه إلى الأستانة قادمًا من أوربا:)

تلك الطبيعة، قف بنا يا ساري
الأرض حولك والسماء اهتزت
من كل ناطقة الجلال، كأنها
دلّت على ملك الملوك، فلم تدع
من شك فيه فنظرة في صنعه
حتى أريك بديع صنع الباري
لروائع الآيات والآثار
أم الكتاب على لسان القاري^{١٤٩}
لأدلة الفقهاء والأخبار^{١٥٠}
تمحو أثيم الشك والإنكار

كشف الغطاء عن (الطبول) وأشرفت
شبهتها (بلقيس) فوق سريرها
أو (بابن داود) وواسع ملكه
هوج الرياح خواشع في بابه
منه الطبيعة غير ذات ستار
في نضرة، ومواكب، وجواري
ومعالم للعز فيه كبار^{١٥١}
والطير فيه نواكس المنقار^{١٥٢}

قامت على ضاحي الجنان كأنها
كم في الخمائل وهي بعض إمائها
وحسيرة عنها الثياب، وبضبة
وضحوك سن تملأ الدنيا سنى
ووحيدة بالنجد تشكو وحشة
رضوان يُزجي الخلد للأبرار^{١٥٣}
من ذات خلخال، وذات سوار^{١٥٤}
في النعامات تجر فضل إزار^{١٥٥}
وغريقة في دمعها المردار
وكثيرة الأتراب بالأغوار^{١٥٦}

والنبت مرآة زهت بإطار^{١٥٧}
 كأنامل مرّت على أوتار
 فيها الجواهر من حصى وجمار^{١٥٨}
 منسوجة من سندس ونضار^{١٥٩}
 مختارة الشعراء في آذار
 دمع الصبابة بلّ غضن عذار
 منشفة من أنهر وبحار^{١٦٠}
 جبلان من صخر وماء جاري
 غمر الحضيض، مجلّل بوقار^{١٦١}
 جمّ المهابة من شيوخ نزار^{١٦٢}
 في الماء منحدرًا وفي التيار
 فكأنما ملأ الجهات ضواري
 والفلك قد مسخت حثيث قطار
 ما بين هاوية وجرف هاري

ولقد تمرّ على الغدير تخاله
 حلو التسلسل موجّه وجريزه
 مدّت سواعد مائه وتألقت
 ينساب في مخصلة مبتلة
 زهراء عون العاشقين على الهوى
 قام الجليد بها وسال، كأنه
 وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى
 في كل ناحية سلكت ومذهب
 من كل منهمر الجوانب والذرى
 عقد الضريب له عمامة فارغ
 ومكذب بالجن ريع لصوتها
 ملأ الفضاء على المسامع ضجة
 وكأنما طوفان نوح ما نرى
 يجري على مثل الصراط، وتارة

وطوى شعاب (الصرب) (والبلغار)^{١٦٣}
 في ساح مأمول عزيز الجار
 تاجان: تاج هدى، وتاج فخار
 ومشت مكارمه إلى الأمصار
 والغرب تمطره غيوث يسار^{١٦٤}
 وعوالم البحريّن في الإكبار
 في صورة المتدجج الجزار
 النازلين على القنا الخطار^{١٦٥}
 أزواج، والأموال، والأعمار
 المنزّلين منازل الأنصار

جاب الممالك حزنها وسهولها
 حتى رمى برحالنا ورجائنا
 ملك بمفرقه إذا استقبلته
 سكن (الثريا) مستقر جلاله
 فالشرق يسقى ديمة بيمينه
 ومدائن البريّن في إعظامه
 الله أيده بأساد الشرى
 الصاعدين إلى العدو على الطي
 المشتريّن الله بالأبناء، والـ
 القائمين على لواء نبيه

يا عرشَ (قسطنطينَ)، نلت مكانةً
شُرِّفْتَ بالصَّدِيقِ، والْفَارُوقِ، بل
حامي الخِلافةِ مَجْدِهَا وَكِيانِهَا
لم تُعْطَها في سالفِ الأعْصارِ
بِالأقْرَبِ الأَدْنَى مِنَ المُخْتَارِ
بِالرَّأْيِ آوَنَةً وَبِالْبِتَّارِ^{١٦٦}

تَاهَتْ (فَرُوقُ) عَلَى العَوَاصِمِ، وَازْدَهَتْ
(جَمَّ الجِلالِ، كَأَنما كَرَسِيَّه
أَخَذَتْ عَلَى (البُوسْفُورِ) زُخْرَفَها دُجَى
فَالْبَدْرُ يَنْظُرُ مِنْ نِوَاذِذِ مَنْزِلِ
وَكَوَإِكبُ الجِوْزَاءِ تَخْطُرُ فِي الرُّبَى
وَاسمِ الخِليْفَةِ فِي الجِهاَتِ مَنْوَّرِ
كَتَبَوه فِي شُرْفِ القِصُورِ، وَطالما
بِجُلُوسِ أَضْيَدِ باذِخِ المِقْدَارِ^{١٦٧}
جُزْءً مِنَ الكَرْسِيِّ نِي الأَنْوَارِ)
وَتِلْأَلَاتُ كَمَنْزِلِ الأَقْمَارِ
وَالشَّمْسُ نَمَّ مُطَلَّةً مِنْ دَارِ
(وَالنَّسْرِ) مَطْلَعُهُ مِنَ الأشْجارِ
تَبْدُو السَّبِيلُ، بِهِ وَيَهْدِي السَّارِي
كَتَبَوه فِي الأَسْماعِ وَالأَبْصارِ

يا واحِدَ الإِسْلامِ غَيْرَ مُدافِعِ
لي فِي ثَنائِكَ — وَهو باقِ خالِدٌ —
أَخْلَصْتُ حَبِي فِي الإِمَامِ دِيانَةً
لَمْ أَلْتَمَسْ عَرَضَ الحِياةِ، وَإِنما
إِن الصَنِيعَةَ لا تَكُونُ كَرِيمَةً
وَالحَبُّ لَيْسَ بِصادِقِ ما لَمْ تَكُنْ
وَالشَّعْرُ إِنْجِيلٌ إِذا اسْتَعْمَلْتَهُ
وَثَنَيْتَ عَنِ كَدْرِ الحِياضِ عِناثَهُ
عِنْدَ العِواهِلِ مِنْ سِياسَةِ دِهرِهمِ
(هَذا مُقَامُ أَنْتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ
إِنِ الهِلالَ — وَأَنْتَ وَحَدِّكَ كَهْفُهُ —
لَمْ يَبْقَ غَيْرَكَ مَنْ يَقولُ: أَصونُهُ

أنا فِي زَمانِكَ واحِدُ الأشْعارِ
شَعْرٌ عَلَى الشَّعْرَى المَنِيعَةِ زارِي^{١٦٨}
وَجَعَلْتَهُ حَتى المِماتِ شِعارِي
أَقْرَضْتُهُ فِي اللِهِ وَالمُخْتارِ
حَتى تُقَلِّدَها كَرِيمَ نِجارِ
حَسَنَ التَّكْرُمِ فِيهِ وَالإِثْثارِ
فِي نَشْرِ مَكْرُمَةٍ وَسَتْرِ عِوارِ
إِنَّ الأَدِيبَ مُسامِحٌ وَمُدارِي
سِرٌّ، وَعِنْدَكَ سائِرُ الأَسْرارِ
أَعْداءُ نائِكَ فِرْقَةٌ فِي النِّارِ)
بِينِ المِعاقِلِ مِنْكَ وَالأَسْوارِ)
صُنْهُ بِحِوْلِ الواحِدِ القَهَّارِ

البُسْفُورُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

الشوقيات

على أيّ الجنان بنا تَمُرُّ؟ وفي أيّ الحدائق تَسْتَقِرُّ؟
رويدًا أيها الفلّكُ الأبرُّ بلغت بنا الربوعَ، فأنت حرٌّ؟^{١٦٩}

* * *

سهرت ولم تنم للركب عَيْنُ كأنّ لم يَضَوْهم ضَجْرٌ وأَيْنُ^{١٧٠}
يَحْتُ خُطَاكَ لُجٌّ، بل لُجَيْنُ بل الإبريزُ، بل أفقٌ أغرٌّ^{١٧١}

* * *

على شبه السهول من المياه تُحيط بك الجزائرُ كالشّياه
وأنت لهنّ راعٍ ذو انتباه تَكْرُ مع الظلام ولا تَفِرُّ

* * *

يُنيف البدرُ فوقك بالهَبَاءِ رفيعًا في السموِّ بلا انتهاء^{١٧٢}
تخالُكما العيونُ إلى التقاءٍ ودون المُلتقى كوْنٌ ودهرٌ

* * *

إلى أن قيل: هذا (الدردنيلُ) فسرتَ إليه. والفجرُ الدليلُ
يُجيزك، والأمانُ به سبيلُ إذا هو لم يُجزْ فالماءُ خمرُ

* * *

تَمُرُّ من المعاقِلِ والجبالِ بعاليٍّ، فوقَ عاليٍّ، خلفَ عاليٍّ
إذا أومأَنَ وَقَفَتِ الليالي وتحمي الحادثات، فلا تمرُّ

* * *

مدافعُ، بعضها متقابلاتُ ومنها الصاعداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهراتُ وأخرياتُ توارى في الصخور وتستسرُّ

* * *

فلو أنّ البحارَ جرتُ مئينا وكان اللُّجُّ أجمعه سفينا

غَابُ بُولُونِيَا

لِتَلْقَى مِنْفَذًا، لَلْقَيْنَ حَيْنَا وَلَمَّا يَمْسِسِ (البوغازَ) ضُرُّ

* * *

وَبَعْدَ الْأَرْخَبِيلِ وَمَا يَلِيهِ وَتِيهِ فِي الْعِيَالِمِ أَيَّ تِيهِ^{١٧٣}
بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ فَسِرَتْ فِيهِ إِلَى (الْبَسْفُورِ) وَاقْتَرَبَ الْمَقَرُّ

* * *

تُسَايِرُكَ الْمَدَائِنُ وَالْأَنَاسِي وَفُكُّ بَيْنَ جَوَالٍ وَرَاسِي^{١٧٤}
وَتَحْضُنُكَ الْجَزَائِرُ وَالرَّوَاسِي وَتَجْرِي رِقَّةً لَكَ وَهِيَ صَخْرُ

* * *

تَسِيرُ مِنَ الْفَضَاءِ إِلَى الْمَضِيقِ فَأَنَا أَنْتَ فِي بَحْرِ طَلِيْقِ
وَأَوْنَةٌ لَدَى مَجْرَى سَحِيْقِ كَمَا الشَّلَالُ قَامَ لَدِيهِ نَهْرُ

* * *

وَتَأْتِي الْأَفْقَ تَطْوِيهِ سَجِلًا لِأَخَرَ كَالسَّرَابِ إِذَا أَضَلَّ
إِذَا قَلْنَا: الْمَنَازِلُ، قِيلَ: كَلًّا فَدُونَ بَلُوغِهَا ظَهْرٌ وَعَصْرُ

* * *

إِلَى أَنْ حَلَّ فِي الْأَوْجِ النَّهَارُ وَلِلرَّائِي تَبَيَّنْتَ الدِّيَارُ
فَقَلْنَا: الشَّمْسُ فِيهَا أَمْ نُضَارُ وَيَاقُوتُ، وَمَرْجَانُ، وَدُرُّ؟

* * *

وَدِدْنَا لَوْ مَشَيْتَ بِنَا الْهُوَيْنَا وَأَيْنَ لَنَا الْخُلُودُ لَدِيكَ؟ أَيْنَا؟
لِنَبْهَجِ خَاطِرًا وَنَقَرَّ عَيْنَا بِأَحْسَنِ مَا رَأَى فِي الْبَحْرِ سَفْرُ

* * *

بَلَوُحِ جَامِعِ الصُّورِ الْغَوَالِي وَدِيْوَانِ تَفَرَّدَ بِالْخِيَالِ
وَمِرَاةِ الْمَنَاطِرِ وَالْمَجَالِي تَمَرُّ بِهَا الطَّبِيعَةُ مَا تَمَرُّ

الشوقيات

* * *

فضاءً مُثَّلَ الفِرْدَوْسُ فِيهِ وَمَرَأَى فِي الْبِحَارِ بِلَا شَبِيهِ
فَإِيهِ - بَابِنَاتِ الشَّعْرِ - إِيهِ فَمَا لَكَ فِي عَقَوِقِ الشَّعْرِ عُذْرُ

* * *

لَأَجْلِكَ سِرْتُ فِي بَرٍّ وَبِحْرِ وَأَنْتِ الدَّهْرَ أَنْتِ بِكُلِّ قُطْرٍ
حَنْنْتَ إِلَى الطَّبِيعَةِ دُونَ مِصْرِ وَقُلْتِ لَدَى الطَّبِيعَةِ: أَيْنَ مِصْرُ؟

* * *

فَهَلَّا هَزَّكَ التَّبَرُّ الْمَذَابُ وَهَذَا اللَّوْحُ، وَالْقَلَمُ الْعُجَابُ
وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا حِجَابُ وَلَا دُونِي عَلَى الْآيَاتِ سِتْرُ؟

* * *

جِهَاتٌ، أَمْ عِذَارِي حَالِيَاتٌ؟ وَمَاءٌ، أَمْ سَمَاءٌ. أَمْ نَبَاتٌ؟
وَتِلْكَ جِزَائِرُ، أَمْ نَيِّْرَاتٌ؟ وَكَيْفَ طَلُوعُهَا وَالْوَقْتُ ظَهْرُ؟

* * *

جَلَاهَا الْأَفْقُ صُفْرًا وَهِيَ خُضْرُ كَزَهْرٍ دُونَهُ فِي الرُّوضِ زَهْرُ
لَوْ بِحَرٍّ بِهَا، وَالتَّفُّ بِحَرٍّ كَمَا مَلَكْتَ جِهَاتِ الدَّوْحِ عُذْرُ^{١٧٥}

* * *

تَلُوحُ بِهَا الْمَسَاجِدُ بِانْخِاطِ وَتَتَّصِلُ الْمَعَاقِلُ شَامِخَاتِ
طِبَاقًا فِي الْعُلَى، مِتْفَاوِتَاتِ سَمَا بَرٌّ بِهَا، وَانْحَطَّ بَرٌّ

* * *

وَكَمْ أَرْضٍ هِنَالِكَ فَوْقَ أَرْضِ وَرَوْضِ، فَوْقَ رَوْضِ، فَوْقَ رَوْضِ
وَدُورٌ بَعْضُهَا مِنْ فَوْقِ بَعْضِ كَسَطَرٍ فِي الْكِتَابِ عِلَاهِ سَطَرِ

* * *

سَطُورٌ لَا يَحِيطُ بِهِنَّ رَسْمٌ وَلَا يُحْصِي مَعَانِيهِنَّ عِلْمٌ
إِذَا قُرِئَتْ جَمِيعًا فَهِيَ نَظْمٌ وَإِنْ قُرِئَتْ فُرَادَى فَهِيَ نَثْرٌ

* * *

تَأْرَجُ كُلَّمَا اقْتَرَبْتَ وَتَزْكُو وَيَجْمَعُهَا مِنَ الْآفَاقِ سِلْكٌ^{١٧٦}
تَشَاكُلُ مَا بِهِ، فَالْقَصْرُ فُلُكُ عَلَى بُعْدِ لَنَا، وَالْفُلُكُ قَصْرٌ

* * *

وَنُونٌ دُونَهَا فِي الْبَحْرِ نُونٌ مِنْ الْبَسْفُورِ نَقَطُهَا السَّفِينِ
كَأَنَّ السُّبُلَ فِيهِ لَنَا عِيُونَ وَإِنْسَانُ السَّفِينَةِ لَا يَقْرُ

* * *

هِنَاكَ حَفَّتِ النُّعْمَى خُطَانَا وَحَاطَتْنَا السَّلَامَةَ فِي حَمَانَا
فَأَلْقَيْنَا الْمَرَاسِي. وَاحْتَوَانَا بِنَاءً لِلْخِلَافَةِ مُشْمَخِرٌ

* * *

فِيَا مَنْ يَطْلُبُ الْمَرَأَى الْبَدِيعَا وَيَعِشْقُهُ شَهِيدًا أَوْ سَمِيعَا
رَأَيْتَ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا فَهِنَّ الْوَاوُ، وَالْبَسْفُورُ عَمْرُو

الرَّحْلَةُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ

لَمَّا وَضَعْتَ الْحَرْبَ الشُّؤْمَى أَوْزَارَهَا،^{١٧٧} وَفَضَحَهَا اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ وَهَتَكَ إِزَارَهَا،^{١٧٨} وَرَمَّ لَهُمْ رِبْوَعَ السَّلْمِ، وَجَدَّدَ مَزَارَهَا،^{١٧٩} أَصْبَحَتْ وَإِذَا الْعَوَادِي^{١٨٠} مُقْصِرَةً! وَالِدَوَاعِي غَيْرِ مُقْصِرَةٍ. وَإِذَا الشُّوقُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ أَغْلَبَ، وَالنَّفْسُ بِحَقِّ زِيَارَتِهِ أَطْلَبَ، فَقَصَدْتَهُ مِنْ بَرِشْلُونَةَ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ يَوْمِيْنَ بِالْقَطَارِ الْمَجْدِّ، وَالْبَخَارِ الْمَشْتَدِّ، أَوْ بِالسَّفْنِ الْكَبْرَى الْخَارِجَةَ إِلَى الْحَيْطِ، الطَّوَايَةِ الْقَدِيمِ نَحْوَ الْجَدِيدِ مِنْ هَذَا الْبَسِيطِ،^{١٨١} فَبَلَّغْتَ النَّفْسَ بِمَرَاهِ الْأَرْبِ، وَاکْتَحَلْتَ الْعَيْنُ فِي ثَرَاهِ بِأَثَارِ الْعَرَبِ، وَإِنهَا لِشَتَى الْمَوَاقِعِ، مَتَفَرِّقَةَ الْمَطَالِغِ، فِي ذَلِكَ الْفَلَكِ الْجَامِعِ، يَسْرِي زَائِرُهَا مِنْ حَرَمِ، كَمَنْ يُمَسِّي بِالْكَرْنِكِ وَيُصْبِحُ بِالْهَرَمِ، فَلَا تَقَارِبَ غَيْرَ

العِتق والكرم: (طَلِيْطَلَة) تُطَلُّ على جسرِها البالي، و(أَشْبِيلِيَة) تُشْبِلُ ١٨٢ على قصرِها الخالي، و(قِرْطَبَة) مُنْتَبِذَةٌ ناحِيَة بِالْبَيْعَةِ ١٨٢ الغرَاءِ، و(غِرْنَاطَة) بَعِيدَة مَزَارِ الحمرَاءِ. وكان «البحترى» رحمه الله رفيقي في هذا الترحال، وسميري في الرحال، والأحوال تصلح على الرجال، كل رجل لحال. فإنه أبلغ من حَلَى الأثر، وحيًا الحجر، ونشر الخبر، وحشر العبر، ومَن قام في مَأْتَم على الدول الكُبر، والملوك البهاليل الغُمر، عطف على (الجعفري) حين تَحَمَّل ١٨٤ عنه الملا، وعطل منه الحُلَى، ووَكِل بعد (المتوكل) للبلَى. فرفع قواعده في السَّير، وبنى رُكْنَه في الخبر، وجمع معاملة في الفِكر، حتى عاد كقصور الخُلدِ امتلأت منها البصيرةُ وإن خلا البَصْر، وتكفَّل بعد ذلك (لكسرى) بإيوانه، حتى زال عن الأرض إلى ديوانه. وسينيتُهُ المشهورَةُ في وصفه، ليست دونه وهو تحت (كسر) في رصه ورصفه ١٨٥ وهي تُريك حُسْنَ قيامِ الشعرِ على الآثار، وكيف تتجددُ الديار في بيوته بعد الاندثار. قال صاحب الفتح القُسي، في الفتح القدسي، بعد الكلام: «فانظروا إلى إيوان كسرى وسينية البحرى في وصفه، تجدوا الإيوانَ قد خَرَّتْ شَعَفَاتُه، وعُفِرَتْ شرفَاتُه، وتجدوا سينية (البحترى) قد بَقِيَ بها (كسرى) في ديوانه، أضعاف ما بَقِيَ شخصُهُ في (إيوانه)». وهذه السينية هي التي يقول في مطلعها:

صنت نفسي عما يُدْنُسُ نفسي وترفَّعت عن ندى كل جبس

والتي اتفقوا على أن البديع الفرد من أبياتها قوله:

والمنايا مواثِل وأنوشِر وان يُزجي الجيوش تحت الدَرَس

فكنت كَلِّمًا وقفتُ بحجر، أو أطفُتُ بأثر، تمثَّلتُ بأبياتها، واسترحتُ من مَواثِل العبر إلى آياتها، وأنشدت فيما بيني وبين نفسي:

وعظ البحرى إيوان كسرى وشفتني القصور من عبد شمس

ثم جعلتُ أروض القولَ على هذا الروي، وأعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المهلهلة، وأتممت هذه الكلمة الرِيضة. وأنا أعرضها على القُرَّاءِ راجيًا أن يلحظوها بعين الرضاء، ويسحبوا على عيوبها ذيل الإغضاء، وهذه هي:

اذكرا لى الصِّبَا، وأيامَ أنسي
صُورَت من تصوُّراتٍ ومَسَّ ١٨٦
سِنَةً ١٨٨ حُلُوَّةً، ولذَّةً خَلَسَ ١٨٩
أو أَسَا ١٩٠ جُرَحَهُ الزمانَ المؤسِّي؟
رَقَّ، والعهدُ في الليالي تُقَسِّي ١٩١
أولَ الليلِ، أو عَوَتَ بعدَ جَرَسِ ١٩٤
كَلَّمَا تُزَنَّ شَاعِهِن بَنَقَسِ ١٩٧
ما لَه مَوْلَعًا بمنعٍ وحبسِ؟
حُ، حلالٌ للطيرِ من كلِّ ١٩٩ جنسِ
في خبيثٍ من المذاهبِ رَجَسِ
بهما في الدموعِ سِيرِي وأرسي
كِ يَدَ (الثَغْرِ) بينَ (رَمَلٍ) و(مَكْسِ)
نازعتني إليه في الخلدِ نفسي
ظمًا للسوادِ من (عينِ شمسِ) ٢٠٢
شخصُه ساعةً، ولم يخلُ حِسِّي
يَه، و(بالسَّرحةِ الزكِيَّةِ) يُمسي
نَعَمَتَ طَيْرُهُ بأرخمِ جَرَسِ ٢٠٤
من عُبَابِ، ٢٠٦ وصاحبٌ غيرُ نِكسِ ٢٠٧
قبلها لم يُجَنَّ يومًا بعرسِ
بين صنعاء ٢٠٨ في الثيابِ وقَسِ ٢٠٩
منه بالجسرِ بينَ عُزِّي ولُبَسِ
ه وإن كان كَوَثَرَ المتحسِّي ٢١١
الذِي يَحسُرُ العيونَ وَيُخسي ٢١٢
بَحَمِيلِ، وشاكِرٍ فضلَ عرسِ
لم تُفَقِّ بعدُ من مَنَاحِ (رمسي) ٢١٣
وسؤالَ اليراعِ عنه بهَمَسِ ٢١٤
وتجرَّدَنَ غَيْرَ طَوْقٍ وسَلَسِ ٢١٥

اختلافُ النَّهارِ والليلِ يُنسي
وصفا لي مُلَاوَةً من شبابِ
عصفتُ كالصِّبَا ١٨٧ اللعوبِ ومَرَّت
وسلا مصرَ: هل سلا القلبُ عنها
كَلَّمَا مَرَّت الليالي عليه
مُسْتَطارٌ ١٩٢ إذا البواخِرُ رنَّت ١٩٣
راهبٌ ١٩٥ في الضلوعِ للسفنِ فَطُنَ ١٩٦
يا أبنَةَ اليَمِّ، ١٩٨ ما أبوكِ بخيلٌ
أحرامٌ على بلابله الدَّوْ
كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهلِ، إلا
نَفْسِي مِرَجَلٌ، ٢٠٠ وقلبي شرَاعٌ
واجعلي وجهك (الفنارَ)، ومجرا
وطني لو شُغِلتُ بالخلدِ عنه
وهفا ٢٠١ بالفؤادِ في سلسبيلِ
شهد الله، لم يَغِبَ عن جفوني
يُصبحُ الفكرُ و(المسَلَّةُ) نادِ
وكانني أرى الجزيرةَ أيُّغًا ٢٠٣
هي (بلقيسُ) في الخمائلِ صُرْحُ ٢٠٥
حَسْبُهَا أن تكونَ للنيلِ عِرْسًا
لبستُ بالأصيلِ حُلَّةً وشي
قدَّها النيلُ، فاستحتتُ، فتوارتُ
وأرى النيلَ (كالعقيقِ) ٢١٠ بواديـ
ابنُ ماءِ السماءِ ذو الموكبِ الفخمِ
لا ترى في ركابه غيرَ مُثْنِ
وأرى (الجزيةَ) الحزينةَ تُكَلِّي
أكثرتُ ضجَّةَ السواقِي عليه
وقيامَ النخيلِ ضَفَّرَنَ شعرا

وَكَأَنَّ الْأَهْرَامَ مِيزَانُ فَرَعُو
 أَوْ قَنَاطِيرُهُ تَأَنَّقُ فِيهَا
 رُوْعَةٌ فِي الضَّحَى، مَلَاعِبُ جِنَّ
 وَ(رَهَيْنَ الرَّمَالِ) أَفْطَسُ، إِلَّا
 تَتَجَلَّى حَقِيقَةُ النَّاسِ فِيهِ
 لِعَبِّ الدَّهْرِ فِي ثَرَاهِ صَبِيًّا
 رَكِبْتُ صَيْدًا ٢٢١ المقادير عينيه
 فَأَصَابَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ: (كسرى)
 يَا فَوَادِي، لِكُلِّ أَمْرٍ قَرَارٌ
 عَقَلْتُ ٢٢٢ لُجَّةُ الْأُمُورِ عَقُولًا
 غَرِقْتُ حَيْثُ لَا يُصَاحُ بِطَافٍ
 فَلكُ يَكْسِفُ الشَّمْسُ نَهَارًا
 وَمَوَاقِيْتُ لِلْأُمُورِ، إِذَا مَا
 دُوِّلَ كَالرِّجَالِ، مَرْتَهِنَاتٌ
 وَلِيَالٍ مِنْ كُلِّ ذَاتِ سِوَارٍ
 سَدَدْتُ بِالْهَلَالِ قَوْسًا، وَسَلَّتْ
 حَكَمْتُ فِي الْقُرُونِ (خُوفُو) وَ(دَارَا)
 أَيْنَ (مِرْوَانُ): فِي الْمَشَارِقِ عَرْشُ
 سِقِمْتُ شَمْسُهُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهَا
 ثُمَّ غَابَتْ، وَكُلُّ شَمْسٍ سِوَى هَاتِيهِ
 وَعِظُ (الْبَحْتَرِيِّ) إِيوَانُ (كسرى)
 رَبِّ لَيْلٍ سَرِيئٌ وَالْبَرْقُ طَرْقِي
 أَنْظِمُ الشَّرْقَ فِي (الْجَزِيرَةِ) بِالْغَرِ
 فِي دِيَارٍ مِنَ الْخَلَائِفِ ٢٢٤ دَرَسِ
 وَرُبِّي كَالْجَنَانِ، فِي كَنْفِ الزَّيْتِ
 لَمْ يَزُغْنِي سِوَى ثَرَى قَرْطُبِيٍّ
 يَا وَقَى اللَّهَ مَا أَصْبَحُ مِنْهُ

نَ بِيَوْمٍ عَلَى الْجَبَابِرِ نَحْسِ
 أَلْفُ جَابٍ ٢١٦ وَأَلْفُ صَاحِبِ مَكْسِ ٢١٧
 حِينَ يَغْشَى الدُّجَى حَمَاهَا وَيُغْسِي ٢١٨
 أَنَّهُ صُنْعُ جِنَّةٍ غَيْرِ فُطْسِ ٢١٩
 سَبْعُ الْخَلْقِ فِي أَسَارِيرِ إِنْسِي
 وَاللِّيَالِي كَوَاعِبًا غَيْرَ عُنْسِ ٢٢٠
 لِنَقْدِ، وَمُخْلَبِيهِ لَفْرَسِ ٢٢٢
 (وَهْرَقْلًا)، (وَالْعَبْقَرِيِّ الْفَرَنْسِي)
 فِيهِ يَبْدُو وَيَنْجَلِي بَعْدَ لَبْسِ
 طَالَتْ الْحَوْتُ طُولَ سَبْحِ وَعَسَّ ٢٢٤
 أَوْ غَرِيْقِي، وَلَا يُصَاحُ لِجَسِّ
 وَيَسُومُ الْبَدْوَرَ لَيْلَةً وَكُسِ ٢٢٥
 بَلَّغْتَهَا الْأُمُورُ صَارَتْ لِعَكْسِ
 بِقِيَامٍ مِنَ الْجُدُودِ وَتَغْسِ
 لَطَمَتْ كُلَّ رَبِّ (رُومِ) (وَفُرْسِ)
 خَنْجَرًا يَنْفُذَانِ مِنْ كُلِّ تَرْسِ
 وَعَفَتْ ٢٢٦ (وَأَثَلَا) وَأَلْوَتْ (بِعَبْسِ)
 أَمْوِيٍّ، وَفِي الْمَغَارِبِ كَرْسِي ٢٢٧؟
 نَوْرَهَا كُلُّ ثَاقِبِ الرَّأْيِ نَطْسِ ٢٢٨
 نَكَ تَبْلَى، وَتَنْطَوِي تَحْتَ رَمْسِ ٢٢٩
 وَشَفَنْبِي ٢٣٠ الْقَصُورُ مِنْ (عَبْدِ شَمْسِ)
 وَبِسَاطِ طَوِيئُ وَالرِّيْحُ عَنَسِي ٢٣١
 بَ، وَأَطْوِي الْبِلَادَ حَزْنًا ٢٣٢ لَدَهْسِ ٢٣٣
 وَمِنَارٍ ٢٣٥ مِنْ الطَّوَائِفِ طَمْسِ
 نِ خُضْرٍ، وَفِي ذَرَا الْكُرْمِ طُلْسِ ٢٣٦
 لَمَسْتُ فِيهِ عِبْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي
 وَسَقَى صَفْوَةَ الْحَيَا مَا أَمْسِي

قَرِيَّةٌ لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ، كَانَتْ
 غَشِيَتْ سَاحِلَ الْمَحِيطِ، وَغَطَّتْ
 رِكِبَ الدَّهْرُ خَاطِرِي فِي ثَرَاهَا
 فَتَجَلَّتْ لِي الْقُصُورُ وَمَنْ فِيهِ
 مَا ضَفَّتْ^{٢٤٠} قَطُّ فِي الْمَلُوكِ عَلَى نَدِّ
 وَكَأَنِّي بَلَغْتُ لِلْعِلْمِ بَيْتًا
 قُدْسًا فِي الْبِلَادِ شَرْقًا، وَغَرْبًا
 وَعَلَى الْجَمْعَةِ الْجَلَالَةِ، وَالنَّانَا
 يُنْزَلُ التَّاجَ عَنِ مَفَارِقِ (دُونِ)
 سِنَةٍ مِنْ كَرَى، وَطَيْفِ أَمَانَ
 وَإِذَا الدَّارُ مَا بِهَا مِنْ أَنْيْسٍ
 وَرَقِيْقُ مِنَ الْبَيْوتِ عَتِيْقُ
 أَثَرُ مِنْ (مَحْمَدٍ)، وَتُثْرَاتُ
 بَلَغَ النَّجْمَ زُرُوءَةً، وَتَنَاهَى
 مَرْمَرٌ تَسْبَحُ النِّوَاطِرُ فِيهِ
 وَسَوَارِ^{٢٤٨} كَأَنَّهَا فِي اسْتَوَاءٍ
 فَتَرَّةُ الدَّهْرِ قَدْ كَسَتْ سَطْرِيْهَا^{٢٥٠}
 وَيُحَاهَا! كَمْ تَزَيَّنْتَ لِعَلِيمٍ
 وَكَأَنَّ الرَّفِيْفَ^{٢٥٢} فِي مَسْرَحِ الْعِيْدِ
 وَكَأَنَّ الْآيَاتِ فِي جَانِبِيهِ
 مِنْبَرٌ تَحْتَ (مُنْذِرِ)^{٢٥٥} مِنْ جَلَالِ
 وَمَكَانُ الْكِتَابِ يُغْرِيكَ رِيًّا
 صَنْعَةً (الدَّاخِلِ)^{٢٥٧} الْمُبَارِكِ فِي الْغُرِّ

دَهْرٍ، كَالجُرْحِ بَيْنَ بُرِّهِ وَنُكْسِ
 لِمَحْتَهَا الْعِيُونُ مِنْ طَوْلِ قَبْسِ
 (مر): مِنْ غَافِلٍ، وَيَقْظَانُ نُدْسِ^{٢٥٩}

مَنْ (الْحَمْرَاءُ) جُلَّلَتْ بِغُبَارِ الْـ
 كَسْنَا الْبَرَقِ، لَوْ مَحَا الضَّوْءُ لِحْظًا
 حِصْنُ (غَرْنَاطَةِ)، وَدَارُ بَنِي (الْأَحـ

فبدا منه في عصائبِ برس^{٢٦٠}
 قبله يُرجى البقاءَ ويُنسى
 وراءَ مَشْيِ النَّعِيِّ في دار عرس
 سُدَّةَ البابِ من سمير وأنس
 واستراحت من احتراسٍ وَعَسَّ^{٢٦١}
 لم تجد للعشيِّ تكرارَ مَسَّ
 ريخ، ساعينَ في خشوعٍ ونكس
 من نقوش، وفي عُصارةِ وُرْس^{٢٦٢}
 كالرُّبَى الشَّمِّ بين ظلِّ وشمس
 ولألفاظها بأزين لبس
 مُقْفِرَ القاعِ من ظبَاءٍ وخنس
 يتنزَّلنَ فيه أقمارَ إنس
 كَلَّةَ الظُّفْرِ لِيَنَّاتِ المَجَسِّ
 يَتَنزَّى على ترائبِ مُلس
 بعد عَرَكَ من الزمانِ وَضرس^{٢٦٣}
 بادَ بالأمس بين أسرٍ وَحَسَّ^{٢٦٤}
 باعها الوارثُ المُضِيعُ بِبَخْسِ
 عن حفاظ، كموكبِ الدَّفْنِ حُرْس^{٢٦٥}
 تحت آبائهم هي العرشِ أمس
 لُمِشَتْ، ومُحَسِّنِ لِمُحَسِّ
 لجبان، ولا تَسَنَّى لجبس^{٢٦٦}
 وهِي خَلْقِي، فَإِنَّهُ وَهِي أُسُّ
 وَجَنِّي دانيًا، وَسَلَسَالَ أنس
 ها بِقَيْظٍ، ولا جُمَايَ بِقرس^{٢٦٨}
 غيرَ حُورٍ حُوَّ^{٢٦٩} المراشف،^{٢٧٠} لُغْس^{٢٧١}
 وَرَبَا في رَبَاكِ واشتدَّ غَرْسِي
 بُمضاعٍ، ولا الصنِيعُ بِمَنَسِي

جَلَّلَ الثَّلْجُ دُونَهَا رَأْسَ (شِيرِي)
 سَرَمَدُ شَيْبُهُ، ولم أَرِ شَيْبًا
 مَشَتْ الحادِثَاتُ في غَرْفِ (الحمـ)
 هَتَكْتُ عِرْزَةَ الحِجَابِ، وَفَضَّتْ
 عَرَصَاتُ تَخَلَّتْ الخَيْلُ عَنْهَا
 وَمَغَانٍ على اللِيَالِي وَضَاءٌ
 لا تَرى غيرَ وافيدين على التا
 نَقَلُوا الطَّرْفَ في نضارَةِ آسِ
 وَقِبابٍ من لَازُورِدٍ وَتَبِرِ
 وَخَطُوطٍ تَكْفَلَتْ للمعاني
 وترى مجلسَ السَّبَاعِ خَلَاءٌ
 لا (الثُّرَيَّا)، ولا جِواري الثريا
 مَرَمَرُ قامتِ الأَسُودُ عليه
 مَرَمَرُ المَاءِ في الحياضِ جُمَانًا
 آخَرَ العَهْدِ بالجزيرة كانت
 فتراها، تقول: رايَةُ جيشِ
 ومفاتيحُها مقاليدُ مُلِكِ
 خرج القومُ في كِتابِ صُمَّ
 رَكِبُوا بالبحارِ نَعُشًا، وكانت
 رُبَّ بَانٍ لهادمٍ، وَجَمُوعِ
 إِمْرَةَ النَّاسِ هِمَّةً، لا تَأْتِي
 وإذا ما أصابَ بِنِيانَ قومِ
 يا ديارًا نزلتُ كالأخلدِ ظِلًّا
 مُحَسِّنَاتِ الفُصُولِ، لا ناجر^{٢٦٧} فيـ
 لا تَحْسُ العيونُ فوقَ رُبَاها
 كُسَيْتُ أَفْرُخِي بِظَلِّكِ رِيشًا
 هم بنو مصرَ، لا الجميلُ لديهم

من لسانِ على ثنائِكِ وَقَفْتُ
حَسْبُهُمْ هذه الطلولُ عِظَاتٍ
وإذا فاتك التفات إلى الما
وَجَنَانِ على ولائِكِ حَبْسِ
من جديِدِ على الدهورِ وَدَرَسِ
ضي فقد غاب عنك وجهُ التأسِّي

كُوكُ صُو

قال يصف (كوك صو) وهو موقع جميل في الأستانة العليّة. ومعنى اللفظين اللذين سُمِّي
بهما (ماء السماء)

تحيّةُ شاعِرٍ يا ماءً (جَكْسُو)
فَدَتِكَ مِياهُ (دِجَلَة) وهي سَعْدٌ
وجاءَكَ ماءٌ (زَمَزَم) وهو طُهُرٌ
وكان (النيلُ) يُعْرِسُ كلَّ عامٍ
وقد زعموه للغاداتِ رَمَسًا
ورَدَنكَ كوثرًا، وسَفَرَنَ حُورًا
فقل للجانحين إلى حجاب
إذا لم يَسْتَرِ الأدبُ الغواني
تأمل. هل ترى إلّا جلالاً
كأن الخود^{٢٧٢} (مريم) في سُفور
تهيَّبها الرجالُ، فلا ضميرٌ
عَشِيَّتِكَ والأصيلُ يفيضُ تبرًا
وتذهب في الخليج له وتأتي
وفي جيدِ الخميْلَةِ^{٢٧٤} منه عَقْدٌ
ولألآتِ الجبالِ فضاءً سَفْحِ
عل فُلكِ تسيّر بنا الهُوَيْنِي
تُنازَعُنا المذاهبُ حيثُ ملنا
لها في الماءِ مُنسابٌ كطير
صغارِ الحجم، مُرْهَفَةِ الحواشي

فليس سواك للأرواح أنس
ولا جُعِلت فداءك وهي نحس
وأموُنُ على الأردنِ قُدس
وأنت على المدى فَرَحٌ وعُرس
وأنت لِهَمَّهِنَّ الدَّهْرَ رَمَسُ
وهل بالهور إن أسفرنَ بأس؟
أُتَحَجَّبُ عن صنيعِ الله نَفْسُ؟
فلا يُغني الحريزُ، ولا الدِّمِقسُ
تُحِسُّ النفسُ منه ما تحس؟
ورائِها حوارِيّ وقَسُ
يهمُّ بها، ولا عينُ تُحِسُ
ويَنسُجُ للرُّبى حُلالاً ويكسو
أناملُ تَنثُرُ العِقيانَ^{٢٧٣} حَمَسُ
وفي آذانها قُرْطُ وسَلَسُ^{٢٧٥}
يَسُرُّ الناظرين، ونارَ رأس
ومن شعري نديمٌ لي وجلس
زوارقُ حولنا تجري وترسو
تُسَفُّ^{٢٧٦} عليه أحيانًا وتَحسو
لها عُرْفُ^{٢٧٧} إذا خطرت وجَرَسُ^{٢٧٨}

وإن هو لم يُحَرِّكْ فَهَيَّ رَعَسٌ ٢٧٩
 فَكُلُّ طَرِيقِهِ وَتَرُّ وَقَوْسُ
 كَمَا حَمَلَتْ حَبَابَ الرَّاحِ كَأْسُ
 مَلَائِكُ هَمُّهَا نَظْرٌ وَهَمْسُ
 عَلَى وَجَنَاتِهَا غَيْمٌ وَشَمْسُ
 زَهْوَرٌ لَا تُشَمُّ، وَلَا تُمَسُّ
 وَإِنْ طُوبِتْ، فَتَسْرِينٌ وَوَرْسُ
 وَلَكِنْ لَيْسَ يَجْمَعُهُنَّ لُبْسُ
 وَخَيْرُ الْوَقْتِ مَالِكٌ فِيهِ أُنْسُ
 بِهَا مِنْ دَهْرِهَا هَمٌّ وَبُؤْسُ
 وَقَدْ طُوبِيَ النَّهَارُ، وَمَاتَ أَمْسُ

إِذَا الْمِجْدَانُ حَرَّكَهَا اطمأنت
 وَإِنْ هُوَ جَدَّ فِي الْمَاءِ انسيابا
 حَمَلْنَ اللَّوْلُو الْمُنْتَوِرَ عَيْنًا ٢٨٠
 كَأَنَّ سَوَافِرَ ٢٨١ الْغَادَاتِ فِيهَا
 كَأَنَّ بَرَاقِعَ الْغَادَاتِ تَهْفُو
 كَأَنَّ مَا زَرَ ٢٨٢ الْعَيْنِ انْتَسَابَا
 إِذْ نُشِرَتْ، فَرِيحَانٌ وَوَرْدٌ
 عَجِبْتُ لَهُنَّ يَجْمَعُهُنَّ حَسْنُ
 فَكَانَ لَنَا بِظُلُكُ خَيْرٌ وَقْتِ
 نَمْتَعُ مِنْكَ (يَا جَكْسُو) نَفُوسًا
 عَلَى أَنْ بَانَ سِرُّكَ فَانْتَنِينَا

وقال في كلاب الآستانة وكان يُضربُ بها المثل في الكثرة والقدارة:

قالوا (فروق) الملكِ دارٌ مَخَافِ
 ولا ينقضي لنزيلها وسواسُ
 وأمن الكلابُ بها، وخاف الناسُ
 وكلاتُها في مَأْمَنِ، فاعجب لها

أُنْسُ الْوُجُودِ

إلى المستر روزفلت الرئيس الأسبق للولايات المتحدة

أَتَأْذِنُ لِرَجُلٍ تَعَوَّدَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دَائِرَةِ (الموظف) كَلِّمًا عَرَضَتْ حَالُ يَخْدُمُ
 الْوَطْنَ فِيهَا الرِّجَالُ يَرْفَعُ لَشَعْرِهِ ذِكْرَهُ، وَيَشْرَفَ قَدْرَهُ، مَهْدِيًا إِلَيْكَ مِنْهُ
 هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي لُغَةِ (الضاد)، وَهِيَ مِمَّا قَلْتُ فِي (أُنْسِ الْوُجُودِ) ذَلِكَ الْأَثَرُ
 الْمُحْتَضَرُ، الَّذِي جَمَعَ الْعَبْرَ، وَمَحَاهِ الدَّهْرِ أَوْ كَادَ وَكَانَ إِحْدَى آيَاتِهِ الْكَبْرَ، هِيَ اِكْلُ
 «لِفِرْعَوْنَ» وَ«بَطْلِيمُوسَ»، تَوَرَّاثَهَا عَنْ «الْكُهْنَةِ» «الْقَسُوسِ». ثُمَّ لَا تَكُونُ عَشِيَّةَ
 أَوْ ضُحَاهَا حَتَّى يَهُوِيَ فِي الْمَاءِ كُلُّ حَجَرٍ كَانَ يُقْبَلُ (كَالْأَسُودِ)، ٢٨٣ وَكُلُّ رَكْنٍ
 كَانَ يُسْتَلَمُ «كَالْحَطِيمِ» ٢٨٤ شَهِدْتُ عَلَى «أُنْسِ الْوُجُودِ» مَا يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ — وَلَوْ
 أَنَّهُ (رُوزْفَلْتِ) عَلِمًا وَحِكْمَةً وَأَدَبًا — كَيْفَ يَحْتَقِرُّ الدُّنْيَا وَيَحْتَرِّمُ الدِّينَ جَمِيعًا.
 دَخَلَتْهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَكَانَ «الدُّوقُ أَوْفُ كُونُوتِ» لَدَيْهِ يَتَمَشَّى فِي ظِلَالِهِ، وَيَتَنَقَّلُ

بين رسومِه وأطلالِه، عيناه ونفسه في إكباره وإجلاله، فكانت مني التفاتة فرأيت «فلاًحاً» أقبلَ ثم ألقى عباءته وتوجَّه يصلي «العصر» غيرَ مُلقٍ بالاً «لفرعون» كيف كان يعبد ويُعبد، ولا «لبطليموس» كيف كان يُعظَّم ويُمجَّد، ولا للمسيحية السمجة كيف دخلت على «الوثنية» المُعَبَّد، ولا «للملك إدوارد» الذي تحتل جنودُه الآن مصر وهو في ثياب أخيه «الدوق» يرفع البصرَ ويُسدله ممتلئاً من آيات الدَّهر مهابة وإعجاباً، مشغِلاً بالتاريخ القائم الجسِّم، يقرؤه كتاباً كتاباً. دين سهل سَمَّح يَسَّر، وإله واحد يُعَبَّد حيث وُجِد العابد، على العرَّاءِ كما في الهياكل، والكنائس والمساجد.

التاريخ — أيها الضيفُ العظيم — غابر متجدِّد، قديمه منوال، وحاضره مثال. والغدُّ بيد الله المتعال، وأنت اليوم تمشي فوق مَهْد الأعرصِ الأول، ولحد قواهر الدول، أرض اتَّخذها «الإسكندر» عريناً، وملأها على أهلها «قيصر» سفينياً، وخلف «ابن العاص» فيها لساناً وجنساً وديناً، فكان أعظَم المستعمرين حقيقةً وأكبرهم يقيناً، وهو الذي لم يعلم عليه أن بغى أو ظلم أو سفك الدم، أو نهى، أو أمر، إلا بين الرجاءِ والحذر؛ من عدل «عمر»، الذى تنبيك عنه السَّير.

قمت — أيها الضيف العظيم — في السودان خطيباً فأنصت العصر، والتفتت مصر، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون: «كيف خالف الرئيسُ سُنَّة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله، فطارد الشعوب وهو يهبُّ، والوجدان وهو يشبُّ، والحياة وهي تدبُّ، في هذا الشعب؟! ومَنْ حرمة العواطف السامية، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية، على صحراء أو بادية، كما طاردت السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية».

المصريُّ — أيها الضيف العظيم — سمح كريم التجاوز، فقد ظفرت بمنْ مَهْدِ عذرك، ونفى الظن عن كرمك، وادَّخر ودك الذى تخطبه الأمم المستضعفة، والشعوب المتلهَّفة، المتشوّفة، إذ قيل: إنما أراد الرئيس أن يمدح ديناً من حقه أن يمدح بكل لسان، وفي كل مكان، فكيف به في بعض معاهده في السودان؟! وأراد كذلك أن يحذّر من الفتنة في الجيوش، وينهى عن إيقاظها، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته، ويدعو هذه الأمة التي حركتها المستقبلية في السكون، إلى العملِ في ظلِّ الحقِّ والصبرِ بإذن الله مضمون، ومستقبل بمشيئة الله مأمون، وقديماً فاز بالصبر الصابرون.

فإن كان ذلك — أيها الضيف العظيم — وهو ما لانعتقد غيرهه — فمثلك
 مَنْ نصحَ للأُمم، وبعث العزائمَ والهمم. وعلم باللسان والقلم.
 على أننا نرجو أن ستذكرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعًا
 أهله، وأن ستعطينا عهدك، وتصفيينا ودَّك، وتملاً من أجمل الظنون وأحسنها
 بردك. يوم تقلُّ السفينة عظمتك ومجدك، وتنقل من أقصى البروج إلى أقصاها
 سعدك.

على يد الله تجري إن هي اندفعت وفي جِمي الله — لا في الماء — تحتجب

أيها المنتحي (بأسوان) دارًا
 اخلع النعل، واخفِض الطرف، واخشع
 قف بتلك (القصور) في اليمِّ غرقى
 كعذارى أخفين في الماء بضًا^{٢٨٥}
 مشرفات على الزوال، وكانت
 شاب من حولها الزمان وشابت
 رُب «نقش» كأنما نفض الصا
 و«دهان» كلامع الزيت، مرّت
 و«خطوط» كأنها هدب ريم^{٢٨٧}
 و«ضحايا» تكاد تمشي وترعى
 و«محاريب» كالبروج، بنتها
 شيدت بعضها الفراعين زلفى^{٢٨٩}
 و«مقاصير» أبدلت بفتات الـ
 حظها اليوم هدة، وقديماً
 سقت العالمين بالسعد والنحـ
 صنعة تدهش العقول، وفنُّ

كالثرياً تريد أن تنقضا
 لا تحاول من آية الدهر غصاً
 ممسكاً بعضها من الذعر بعضاً
 سابحات به، وأبدين بضاً
 مشرفات على الكواكب نهضاً
 وشبابُ الفنون ما زال غصاً
 نع منه اليدين بالأمس نفضاً
 أعصر منه بالسراج والزيت وضاً^{٢٨٦}
 حسنت صنعة، وطولاً، وعرضاً
 لو أصابت من قدره الله نبضاً
 عزمات من عزمة الجن أمضى^{٢٨٨}
 وبنى البعض أجنب يترضى^{٢٩٠}
 مسك تريباً، وبالليواقيت قضاً^{٢٩١}
 صرقت في الحظوظ، رفعا وحفضاً
 س، إلى أن تعاطت النحس محضاً^{٢٩٢}
 كان إتقانه على القوم فرضاً

فسكبتُ الدموعَ، والحقُّ يُقضي
 كيف سامَ البليّ كتابك فضاء؟
 مَنْ يَصْنُ مجدَّ قومه صان عرضا
 كان حتى على «الفراعين» غمضا
 يا سماءَ الجلالِ، لا صِرْتِ أرضا
 وتولّت عزائمُ العلمِ مَرْضَى
 من نظامِ النعيمِ أصبح فضاء؟^{٢٩٤}
 يركض المالكين كالخيل ركضا؟
 وجلا للفخارِ في السلمِ عرضا
 حكمت فيه شاطئين وعرضا؟
 في ثراها، وأرسل الرأسَ خفضا
 في قيود الهوانِ، عاينَ، جرّضى^{٢٩٥}
 تشتكي من نوائب الدهر عضا؟
 ملكة في السجون فوق خضوضى^{٢٩٦}
 أبهذا في شرعهم كان يُقضى؟
 أم رَمَاه الوشاةُ حقداً وبغضا؟
 دونَ فعلِ الفراقِ بالنفس مضا
 دون سيفٍ من اللواحق يُنضى^{٢٩٨}
 أين راوي الحديثِ نثراً وقرضا؟

يا قصوراَ نظرتُها وهيَ تقضي^{٢٩٣}
 أنتِ سَطْرٌ مَصْرٌ كتابٌ
 وأنا المحتفى بتاريخ مصرٍ
 رَبٌّ سرٌّ بجانبيك مُزالٍ
 قل لها في الدُعاءِ لو كان يجدي:
 حارَ «فيك» المهندسون عقولاَ
 أين ملكٌ حياؤها وفريد
 أين «فرعون» في المواكب تترى
 ساق للفتح في الممالكِ عرضاً
 أين «إيزيس» تحتها النيل يجري
 أسدالَ الطرفِ كاهنٌ ومليكٌ
 يُعرّض المالكون أسرى عليها
 ما لها أصبحت بغيرِ مُجيرٍ
 هي في الأسرِ بين صخرٍ وبحرٍ
 أين «هوروس» بين سيفٍ ونطع؟
 ليت شعري: قضى شهيداً غرامٍ
 رَبٌّ ضَرْبٍ من سَوْطِ فرعون مَضٌّ^{٢٩٧}
 وهلاكٍ بسيفه وهوَ قبانٍ
 قتلوه، فهل لذاك حديثٌ؟

م، ستعطى من الثناء، فترضى
 وجمى الجود (حاتم) الجود أفضى
 وابذل النصحَ بعد ذلك مَحْضاً
 ظِ إذا ذاقَت البريئةُ غمضا
 أخرجوه، فضيِّع العهدَ نقضا
 ليت بالنيل يوم يسقط غيضا^{٣٠٢}
 أنقذوه بالمال والعلم نقضا^{٣٠٣}

يا إمامَ الشعوبِ بالأمس واليو
 (مصر) بالنازلين من ساحِ (معن)^{٢٩٩}
 كن ظهيراَ^{٣٠٠} لأهلها ونصيراَ
 قل لقومِ على (الولايات) أيقا
 شيمه (النيل) أن يفي، وعجيب
 حاشه^{٣٠١} الماء، فهوَ صيدٌ كريمٌ
 شيدَ والمال والعلوم قليل

قال الرئيس ابن سينا:

هبطت إليك من المحل الأرفع
محبوبةً عن كلِّ مُقَلِّةٍ عارفٍ
وصلت على كرهٍ إليك، وربما
ألفت وما سكنت، فلما واصلت
وأظنها نسيت عهدًا بالحمى
حتى إذا اتصلت بهاءٍ هبوطها
علقت بها ثاءً الثقيل، فأصبحت
تبكي وقد ذكرت عهدًا بالحمى
... ..
ورقاء ذات تَعَزُّزٍ وتمنُّع
وهي التي سَفَرَتْ ولم تتبرقع
كرهت فراقك وهي ذات تفجُّع
ألفت مجاورة الخرابِ البُلُقع
ومنازلًا بفراقها لم تقنع
عن ميم مركزها بذات الأجرع
بين المعالم والطلول الخُصُّع
بمدماع تَهْمِي، ولما تُقْلِع
إلخ إلخ إلخ

وقد قال المقتطف في الشاعرين بعد كلام طويل: «والاثنتان جريا مجرى أفلاطون، في حسابان النفس روحاً كانت عند الخالق، ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان، إلا أن أفلاطون تصوورها فرساً مجنحة، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح، فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان. والفلاسفة يشعرون بشيء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورونه، ويجاريهم الشعراء في التصور، ويفوقونهم في الوصف».

ضُمِّي قِنَاعَكَ يَا سَعَادُ، أَوْ ارْفَعِي
الضاحياتُ، الضاحكاتُ، ودونها
يا دُمِيَّةً لَا يُسْتَزَادُ جَمَالُهَا
ماذا على سلطانِه من وقفة
بل ما يضرِك لو سمحتِ بجلوة؟
ليس الحجابُ لِمَنْ يَعِزُّ مَنَالُهُ
أنتِ التي اتَّخَذَ الجَمَالَ لِعِزِّهِ
وهو الصَّنَاعُ، يَصُوغُ كُلَّ دَقِيقَةٍ
لمستكِ راحتِه، ومسكِ روحِه
هَذِي المَحَاسِنُ مَا خُلِقْنَ لِبُرْقَعِ^{٣٠٤}
سِتْرِ الجَلالِ، وَبُعْدِ شَأْوَ المَطْلَعِ^{٣٠٥}
زيدِه حُسْنِ المُحَسِّنِ المَتَبَرِّعِ
للضَّارِعِينَ، وَعَطْفَةِ اللُّخْشَعِ؟
إِنَّ العُرُوسَ كَثِيرَةَ المَتَطَلِّعِ
إِنَّ الحِجَابَ لِهَيْبِنِ لِمَ يَمْنَعِ
مِنْ مَظْهَرٍ، وَلِسَرِّهِ مِنْ مَوْضِعِ^{٣٠٦}
وَأدقُّ مِنْكَ بَنَانُهُ لِمَ تَصْنَعِ^{٣٠٧}
فأتى البديعُ على مثال المُبْدِعِ

نِضْوٍ، وَمَهْتُوكِ الْمُسُوحِ مُصَرَّعٌ ٢٠٨
عاصي الظواهر في سريرة طيِّع
سُرُجٌ بِمُعْتَرِكِ الرِّيحِ الأربَعِ
والجاهلون على الطريق المَهْيَعِ
وَتَوَلَّتِ الحكماءُ، لم تَنَمَّعِ
شمسُ النهارِ بمثله لم تَطْمَعِ
وترجَّلتِ شمسُ النهارِ (لِيُوشَعِ) ٢٠٩
بل ما (لعيسى) لم يَقُلْ أو يَدَّعِ؟
مِنْ جانبِكِ، عِلاجُها لم يَنْجَعِ؟
ومشى على المِلا السُّجُودِ الرُّكْعِ ٢١٠
في (يوسفِ)، وتكَلَّمَتِ في المُرْضِعِ ٢١١
بالبابليِّ من البيان المُمْتَعِ ٢١٢
وحدَّثه في قُلُلِ الجِبالِ اللُّمَعِ ٢١٣
رُفِعَ الرَّحِيقُ وَسِرُّهُ لم يُرْفَعِ ٢١٤
أُتْرَعَنَ مِنْكَ، وَمِنْزَلًا لم تُتْرِعِ
وخلِيَّةً مَعْمُورَةً (بِالتَّبَعِ) ٢١٥
وَحَظِيرَةٌ مَحْرُومَةٌ لم تودِعِ ٢١٦
لم تَخُلْ من بَصَرِ اللَّبِيبِ الأُرُوعِ
قَصْرُ الحِياةِ، وَحَالَ وَشَكُّ المِضْرَعِ
لم تَحْسُنِ الدُّنْيا، ولم تَتْرَعِرِعِ ٢١٧
هم حائطُ الدُّنْيا، وَرَكْنُ المِجْمَعِ
شَأْوُ (الرئيسِ) وَكُلُّ صاحِبِ مِضْعِ
في العالَمِ المتفاوِتِ المتنوعِ

الله في الأبحار: مِنْ مُتهالكِ
من كلِّ غاؤٍ في طَوِيَّةِ راشِدِ
يَتَوَهَّجونَ وَيَطْفَأُونَ، كَأَنَّهُم
علموا، فضاقَ بهم وَشَقَّ طَريقَهُم
نهب (ابن سينا)، لم يَفْزَ بِكَ ساعةَ
هذا مَقامٌ، كلُّ عِزٍّ دونَه
(فمحمّدٌ) لِكَ و(المسيحُ) تَرَجَّلا
ما بالِ (أحمدَ) عَيِّ عنكَ بيانُه؟
ولسانُ (موسى) انحَلَّ، إلا عَقْدَةٌ
لَمَّا حَلَّتِ (بأدم) حِلَّ الحِبا
وأرى النبوَّةَ في ذُرَاكِ تَكَرَّمَتِ
وَسَقَّتِ (قريشَ) على لسانِ (محمّدِ)
وَمَشَتْ (بموسى) في الظلامِ مُشَرِّدًا
حتى إذا طُوِيَتْ وَرِثَتْ خِلالَها
قَسَمَتْ مَنازِلِكَ الحُظُوظُ: فمِنْزَلًا
وَخَلِيَّةً بِالنحلِ مِنْكَ عَمِيرَةً
وَحَظِيرَةً قَدْ أُودِعَتْ غُرَرَ الدَّميِ
نظر (الرئيسِ) إلى كمالِكَ نظِرَةً
فراهِ مِنْزَلَةً تَعَرَّضَ دُونِها
لولا كمالِكَ في (الرئيسِ) ومِثْلُه
اللَّهُ ثَبَّتْ أَرْضَه بِدَعائِمِ
لو أن كلَّ أَخِي يِراعَ بِالْغِ
نهب الكمالِ سُدَى، وَضاعَ مَحْلُه

في عامرِ، وَأَشَعَّةٌ في بَلْقَعِ
شَتَى الأشعَّةِ، فَالْتَقَتْ في المِرجِعِ
دَكَّا، وَمِثْلِكَ في المِنازلِ ما نُعي

يا نَفْسُ، مِثْلُ الشَّمسِ أَنْتِ: أَشَعَّةٌ
فإذا طوى اللهُ النِّهارَ تَرَجَّعَتْ
لَمَّا نُعِيَتْ إلى المِنازلِ غُودِرَتْ

صَجَّتْ عَلَيْكَ مَعَالِمًا وَمَعَاهِدًا
أَذْنَتْهَا بَنَوَى، فَقَالَتْ: لَيْتَ لَمْ
ورداء جُثْمَانٍ لَيْسَتْ مُرَقِّمٍ
كَمْ بِنْتٍ فِيهِ، وَكَمْ خَفِيَّتٍ، كَأَنَّهُ
أَسْتَمِتَ مِنْ دِيْبَاجِهِ، فَنَزَعْتَهُ؟
فَزَعْتِ وَمَا خَفِيَّتِ عَلَيْهَا غَايَةً
ضَرَعْتِ بِأَدْمُعِهَا إِلَيْكَ، وَمَا دَرَّتِ
أَنْتِ الْوَفِيَّةُ، لَا الذَّمَامُ لَدَيْكَ مَذُ
أَزْمَعْتِ، فَاثَلْتِ دَمُوعَكَ رِقَّةً
بَانَ الْأَحْبَةَ يَوْمَ بَيْنِكَ كُلَّهُمْ

وَبِكَتْ فِرَاقَكَ بِالذَّمُوعِ الْهُمَّعِ^{٣١٨}
تَصِلُ الْحِبَالُ، وَلِيْتَهَا لَمْ تَقْطَعْ
بِيدِ الشَّبَابِ عَلَى الْمَشِيْبِ مُرَقِّعٍ
ثُوبُ الْمَمْتَلِّ، أَوْ لِبَاسُ الْمَرْفَعِ؟^{٣١٩}
وَالْحَزُّ أَكْفَانٌ إِذَا لَمْ يُنْزَعِ
لَكِنَّ مَنْ يَرِدُ الْقِيَامَةَ يَفْزَعُ^{٣٢٠}
أَنَّ السَّفِينَةَ أَقْلَعْتَ فِي الْأَدْمَعِ
مَوْمٌ، وَلَا عَهْدُ الْهَوَى بِمُضِيْعٍ
وَلَوْ اسْتَطَعْتَ إِقَامَةً لَمْ تُزْمِعِي
وَذَهَبْتَ بِالْمَاضِي وَبِالْمَتَوَقَّعِ

مَيْدَانُ الْكُونْكَورد

ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريز، وهو الذي أُعدِمَ فيه الملك لويس السادس عشر في أيام الثورة الفرنسية

بميدان العداوة والشقاق
وأبي دم ذهبت به مُراق؟
ومات الثائرون، وأنت باق
لذا سُميت مَيْدَانُ الْوفاق

أَمِيدَانَ الْوفاقِ، وَكُنْتَ تُدْعَى
أَتَدْرِي: أَيُّ ذَنْبٍ أَنْتِ جَان؟
هَوَى فِيكَ السَّرِيرُ وَمَنْ عَلَيْهِ
أَصَابُوا، وَاسْتَرَا حَ (لُويْس) مِنْهُمْ

أَيُّهَا النَّيْلُ

إلى الأستاذ مرجليوت مدرّس اللغة العربية في جامعة أكسفورد
أَيُّهَا الْأَسْتَاذُ الْكَرِيمُ:

تَذَكَّرْتُ «أثينا» مَدِينَةَ الْحِكْمَةِ فِي الدُّهُورِ الْخَالِيَةِ، وَأَيَّامًا غَنَمْنَاها عَلَى رَسُومِهَا
الْعَافِيَةِ، وَأَطْلَالِهَا الْبَالِيَةِ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْمُؤْتَمَرِ، عِلْمَاؤُهُ الْهَالَةِ، وَأَنْتِ الْقَمَرُ،
أَوْ زُمْرُ الْحَجِيحِ وَأَنْتِ حَادِي الزُّمَرِ، وَأَرَى الْمُلُوكَ فِي الْحَفْرِ، بُنْيَانِهِمْ مَصْدُوعُ
الْجُدْرِ، وَبَيَانِهِمْ نُورَ الْبَشَرِ، نَزَلْنَا بِهِمْ فَإِذَا الدُّوَلُ خَبْرٌ، وَإِذَا الْمَمَالِكُ أَثْرٌ، وَالطُّوْلُ
شُغْلُ الْفُؤَادِ وَالْبَصْرُ، مَنَّا الْعِبْرَاتِ وَمِنْهَا الْعِبْرُ، صَمَتَ الْإِنْسَانَ وَنَطَقَ الْحَجْرُ،

فسبحان العزيز المقتدر القاهر فوق عباده بالقدَر. كان ذلك والحوادث أجنة، والأمور في أحسن الأعنة، والأرض بالسلم مطمئنة، مغتبطة بسلامة الشباب، منبسطة بتلاقي الأحباب، والصفو في الدار والأكدار بالباب، ثم أخذ الله الأمم بذنوبهم فرماهم بعوان في الماء، ضروس في الأرض والسماء، منهومة بالأموال مُدمنة للدماء، نزلت بالبرية فعصفت بأحسن شبابها ونباتها، ونقضت موفور أمنها وأقواتها، وهتكت في الثرى مَصون رُفاتها، وخلطت في الخنادق أحياءها بأمواتها، وعدت على الوحش في فلواتها، وعلى الطير في وكناتها، وعلى الرياح في مخترقاتها، وعلى بلم^{٢٢١} البحار وأخواتها، وهوام القفار وحشراتنا. وعلى بيوت الله في ستراتنا، والنواقيس في قبابها، والمآذن في سماواتنا، فسبحان الملك الأكبر، الذي يقهر ولا يقهر، ويغير ولا يتغير، والذي يقيم القيامة في ميقاتها. الشعر كالأحلام، تدخل على المسرور الكرى، وتكثر على المحزون في السرى. وقريحة الشاعر كعين صاحب الأيام، عندها للحن عبرة، وللسرور عبرة، وهذه أيها — الأستاذ الكريم — كلمة قيلت والهموم سارية، والأقدار بالمخاوف جارية، والدموع متبارية، وذئاب البشر يقتتلون على الفانية، نظمتها تغنياً بمحاسن الماضي، وتقييداً لمآثر الآباء، وقضاءً لحق «النيل» الأسعد الأمجد، ونسبتها إليك، عرفاناً لفضلك على لغة العرب، وما أنفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها، ونشر آدابها، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر، في أعظم جامعات العالم، فلعلها تقع إليك، فننتذكر على النوى تلك الأيام، ونتنادم من بعد على بساط الأدب والكلام، ونسأل الله أن يحقن الدماء، ويقيم جدار السلام.

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى تَتَدَفَّقُ؟

وبأيِّ كفٍ في المدائن تُغْدِقُ؟

ومن السماء نزلت أم فجرت من

عليا الجنان جداولاً تترقرق؟

وبأيِّ عين، أم بأية مُزنة^{٢٢٢}

أم أيُّ طوفانٍ تفيض وتفهق؟^{٢٢٣}

الشوقيات

وبأيّ نَوْلٍ ٢٢٤ أَنْتَ نَاسِجٌ بُرْدَةٌ
لِلضَّفْتَيْنِ، جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ؟ ٢٢٥
تَسْوَدُّ دِيبَاجًا إِذَا فَارَقْتَهَا
فَإِذَا حَضَرَتْ أَخْضَوْضَرَ الْإِسْتَبْرَقَ ٢٢٦
فِي كُلِّ أَوْنَةٍ تُبَدِّلُ صِبْغَةً
عَجَبًا، وَأَنْتِ الصَّابِغُ الْمُتَأَنِّقُ
أَتَتِ الدُّهُورُ عَلَيْكَ. مَهْدُكَ مُتْرَعٌ ٢٢٧
وَحِيَاضُكَ الشُّرْقُ ٢٢٨ الشَّهِيَّةُ نَفَقُ
تَسْقِي وَتُطْعِمُ، لَا إِنَاؤُكَ ضَائِقُ
بِالْوَارِدِينَ، وَلَا خَوَانُكَ يَنْفُقُ ٢٢٩
وَالْمَاءُ تَسْكُبُهُ فَيُسْبِكُ عَسَجَدًا ٢٣٠
وَالأَرْضُ تُغْرِقُهَا فِيحِيَا الْمُغْرَقِ
تُعِي مَنَابِعُكَ الْعَقُولَ، وَيَسْتَوِي
مُتَخَبِّطُ فِي عِلْمِهَا وَمُحَقِّقُ
أَخْلَقْتَ رَاوِقَ ٢٣١ الدُّهُورِ، وَلَمْ تَزَلْ
بِكَ حَمَاءَةً ٢٣٢ كَالْمَسْكَ، لَا تَتَرَوَّقُ ٢٣٣
حَمْرَاءُ فِي الْأَحْوَاضِ، إِلَّا أَنَهَا
بِيضَاءُ فِي عُنُقِ الثَّرَى تَتَأَلَّقُ
دَيْنُ الْأَوَائِلِ فِيكَ دَيْنُ مُرْوَةٍ
لِمَ لَا يُؤَلِّهُ مَنْ يَقْوَتُ وَيَرْزُقُ؟
لَوْ أَنَّ مَخْلُوقًا يُؤَلِّهُ لَمْ تَكُنْ
لِسَوَاكِ مَرْتَبَةُ الْأَوْهَةِ تَخْلُقُ ٢٣٤
جَعَلُوا الْهَوَى لَكَ وَالْوَقَارَ عِبَادَةً
إِنَّ الْعِبَادَةَ خَشِيَّةٌ وَتَعَلَّقُ
دَانُوا بِبَحْرِ بِالْمَكَارِمِ زَاخِرِ
عَذِبَ الْمَشَارِعِ، مَدُّهُ لَا يُلْحَقُ

عَابُ بُولُونِيَا

مُتَقَيِّدٌ بَعْهُوِدِهْ وَوَعُوِدِهْ
يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَصْدُقُ^{٣٣٥}
يَتَقَبَّلُ الْوَادِي الْحَيَاةَ كَرِيمَةً
مَنْ رَاخَتِيكَ عَمِيْقَةً تَتَدَفَّقُ
مَتَقَلَّبُ الْجَنْبِيْنَ فِي نَعْمَائِهْ
يَغْرَى وَيُصَبِّغُ فِي نَدَاكَ فَيُورِقُ
فِيْبِيْتُ خَضْبًا فِي ثَرَاهِ وَنِعْمَةً
وَيُعْمُهُ مَاءُ الْحَيَاةِ الْمَوْسِقِ^{٣٣٦}
وَإِلَيْكَ - بَعْدَ اللَّهِ - يَرْجِعُ تَحْتَهُ
مَا جَفَّ، أَوْ مَا مَاتَ، أَوْ مَا يَنْفُقُ^{٣٣٧}

أَيْنَ الْفِرَاعِنَةُ الْأُولَى اسْتَدْرَى^{٣٣٨} بِهِمْ
(عَيْسَى)، وَ(يُوسُفُ) وَ(الْكَلِيمُ) الْمُصْعَقُ؟
الْمُورِدُونَ النَّاسَ مَنْهَلًا^{٣٣٩} حَكْمَةً
أَفْضَى إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ لَيْسَتْقُوا
الرَّافِعُونَ إِلَى الضَّحَى آبَاءَهُمْ
فَالشَّمْسُ أَصْلُهُمُ الْوَضِيءُ الْمُعْرِقُ^{٣٤٠}
وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْبِلَى وَقَبُورِهِمْ
عَهْدٌ عَلَى أَنْ لَا مَسَاسَ، وَمَوْثِقُ
فَحَجَابُهُمْ تَحْتَ الثَّرَى مِنْ هَيْبَةٍ
كَحَجَابِهِمْ فَوْقَ الثَّرَى لَا يُخْرَقُ
بَلِغُوا الْحَقِيْقَةَ مِنْ حَيَاةِ عِلْمُهَا
حُجْبٌ مُكْتَفَةٌ، وَسِرٌّ مُغْلَقُ
وَتَبَيَّنُوا مَعْنَى الْوُجُودِ، فَلَمْ يَرَوْا
دُونَ الْخُلُودِ سَعَادَةً تَتَحَقَّقُ
يَبْنُونَ لِلدُّنْيَا كَمَا تَبْنِي لَهُمْ
خَرَبًا، غَرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ

فقصورهم، كُوخٌ، وبيتٌ بَدَاوَةٍ
 ٣٤١ وقبورهم، صرْحٌ أَشْمٌ، وجَوْسُقٌ
 رفعوا لها مِنْ جَنْدَلٍ وصفائِحِ
 ٣٤٢ عَمَدًا، فكانت حائطًا لا يُنْتَقِ
 تتشايِعُ الدَّارَانِ فيه: فما بدا
 دُنْيَا، وما لم يَبْدُ أُخْرَى تَصْدُقُ
 للموتِ سِرٌّ تَحْتَهُ، وِجْدَارُهُ
 سُورٌ عَلَى السَّرِّ الخَفِيِّ، وَخَنْدَقُ
 وكان منزلهم بأعماقِ الثرى
 بين المحلَّةِ ٣٤٣ والمحلَّةِ، فُنْدُقُ
 مَوْفُورَةٌ تحت الثرى أزوَادُهُم ٣٤٤
 ٣٤٥ رَحَبٌ بهم بين الكهوفِ الْمُطْبِقِ

ولِمَنْ هياكلٌ قد علا الباني بها
 ٣٤٦ بين الثَّرِيَا والثَّرِي تَتَنَسَّقُ؟
 منها المُشَيِّدُ كالبروجِ، وبعضُها
 ٣٤٧ كَالطُّودِ مُضَطَّجِعِ أَشْمٌ مُنَطَّقِ
 جُدُدٌ كأولِ عهدِها، وحيالها
 ٣٤٨ تَتَقَادِمُ الأَرْضُ الفِضَاءُ وتَعْتَقُ
 مِنْ كُلِّ ثَقَلٍ كاهلُ الدُّنْيَا به
 تَعِبٌ، وَوَجْهُ الأَرْضِ عنه ضَيِّقُ
 عالٍ على باعِ البلى، لا يَهْتَدِي
 ما يَعتَلِي منه وما يَتَسَلَّقُ
 مُتَمَكِّنٌ كَالطُّودِ أصلاً في الثرى
 والفرعُ في حَرَمِ السَّمَاءِ مُحَلَّقُ

هي من بناءِ الظلمِ، إلا أنه
يَبِيضُ وجهُ الظلمِ منه وَيُشْرِقُ
لم يُرْهِقِ الأَمَمَ الملوكُ بمثلها
فخراً لهم يَبْقَى وذكرًا يَعْْبَقُ
فُتِنَتْ بِشَطِئِكَ العِبَادُ، فلم يزل
قاصٍ يَحْجُبُهُمَا، ودانٍ يَرْمُقُ
وتضوّعتْ مِسْكَ الدُّهُورِ، كأنما
في كلِّ ناحيةِ بَخورٌ يُحْرَقُ
وتقابلتْ فيها على السُّرْرِ الدُّمَى^{٣٤٩}
مُسْتَرْدِيَاتٍ^{٣٥٠} الذلُّ لا تَتَفَنَّقُ^{٣٥١}
عَطَلَتْ،^{٣٥٢} وكان مكانهنَّ من العلى
(بِلَقِيْسٍ) تَقْبِسُ من حلاه وتَسْرِقُ
وعلا عليهن الترابُ، ولم يكن
يَزْكُو بهنَّ سوى العبيرِ^{٣٥٣} ويَلْبَقُ^{٣٥٤}
حُجْرَاتُهَا مَوْطوءَةٌ، وستورها
مَهتوكَةٌ، بيدِ البلى تَتَخَرَّقُ
أودى بزینتها الزَّمانُ وحَليها
والحسنُ باقٍ والشبابُ الرِّيِّقُ^{٣٥٥}
لو رُدَّ فرعونُ الغدَاةَ، لراعِه
أنَّ الغَرَانِيْقَ^{٣٥٦} العلى لا تَنطِقُ
خلع الزمانُ على الورى أيامه
فإذا الضُّحى لكِ حِصَّةٌ والرُّونقُ
لكِ من مواسمه ومن أعياده
ما تَحْسِرُ^{٣٥٧} الأبصارُ فيه وتَبْرَقُ
لا (الفرسُ) أوتوا مثله يوماً، ولا
(بغدادُ) في ظلِّ (الرشيدِ) و(جَلَّقُ)^{٣٥٨}
فَتُحُّ الممالكِ، أو قِيَامُ (العَجَلِ)، أو
يومُ القبورِ، أو الزفافُ المُونِقُ؟

كم موكبٍ تَتَخَايَلُ الدُّنْيَا بِهِ
 يُجَلَى كَمَا تُجَلَى النُّجُومُ وَيُنْسَقُ!
 (فرعونُ) فِيهِ مِنَ الْكَتَائِبِ مُقْبِلُ
 كَالسُّحْبِ، قَرَنُ الشَّمْسِ مِنْهَا مُفْتِقٌ ٣٥٩
 تَعْنُو ٣٦٠ لِعَزَّتِهِ الْوَجُوهُ، وَوَجْهَهُ
 لِلشَّمْسِ فِي الْأَفَاقِ عَانٍ مُطْرِقِ
 أَبَتْ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ جَنُودُهُ
 وَأَتَتْهُ بِالْفَتْحِ السَّعِيدِ الْفَيْلِقُ ٣٦١
 وَمَشَى الْمَلُوكُ مُصَفِّدِينَ، خَدُودَهُمْ
 نَعْلٌ لِفِرْعَوْنَ الْعَظِيمِ وَنُمْرُقُ ٣٦٢
 مَمْلُوكَةٌ أَعْنَاقَهُمْ لِيَمِينِهِ
 يَأْبَى فَيَضْرِبُ، أَوْ يَمُنُّ فَيُعْتِقُ
 وَنَجِيبَةٌ بَيْنَ الطَّفُولَةِ وَالصَّبَا
 عِذَاءً، تَشْرَبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلَقُ
 كَانَ الزَّفَافُ إِلَيْكَ غَايَةً حَظَّهَا
 وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوبِقُ ٣٦٣
 لَافَيْتَ أَعْرَاسًا، وَلاَفَتَ مَا أَتَمَّا
 كَالشَّيْخِ يَنْعَمُ بِالْفِتَاةِ وَتُرْهَقُ
 فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِلا
 ثَمَنِ إِلَيْكَ، وَحُرَّةٌ لا تُصَدِّقُ ٣٦٤
 حَوْلُ ٣٦٥ تُسَائِلُ فِيهِ كُلُّ نَجِيبَةٍ
 سَبَقَتْ إِلَيْكَ: مَتَى يَحُولُ فَتَلْحَقُ؟
 وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيبَةٌ
 يُبْغَى كَمَا يُبْغَى الْجَمَالُ وَيُعْشَقُ
 إِنْ زَوَّجُوكَ بِهِنَّ فَهِيَ عَقِيدَةٌ
 وَمِنَ الْعَقَائِدِ مَا يَلْبُ ٣٦٦ وَيَحْمُقُ

مَا أَجْمَلَ الْإِيمَانَ!! لَوْلَا ضَلَّةٌ
 فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهِدَايَةِ تُلْصَقُ
 زُفَّتْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ يَحْتُهَا
 دِينَ، وَيَدْفَعُهَا هَوَى وَتَشَوُّقُ
 وَلرُبَّمَا حَسَدَتْ عَلَيْكَ مَكَانَهَا
 تَرِبٌ^{٣٦٧} تَمَسَّحُ بِالْعُرُوسِ وَتُحْدِقُ
 مَجْلُوءَةٌ فِي الْفُلْكِ يَحْدُو^{٣٦٨} فُلْكَهَا
 بِالشَّاطِئِينَ مُزْغِرِدٌ وَمُصَفِّقُ
 فِي مَهْرَجَانٍ هَزَّتِ الدُّنْيَا بِهِ
 أَعْطَافَهَا، وَاخْتَالَ فِيهِ الْمَشْرِقُ
 فَرَعُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ، وَبِنَائِهِ
 يَجْرِي بِهِنَّ عَلَى السَّفِينِ الزُّورَقُ
 حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَوَاكِبُهَا الْمَدَى
 وَجَرَى لَغَايَتِهِ الْقَضَاءُ الْأَسْبُقُ
 وَكَسَا سَمَاءَ الْمِهْرَجَانِ جَلَالَةً
 سَيْفُ الْمَنِيَةِ وَهُوَ صَلَّتْ^{٣٦٩} يَبْرُقُ
 وَتَلَفَّتْ فِي الْيَمِّ كُلُّ سَفِينَةٍ
 وَانْتَالَ^{٣٧٠} بِالْوَادِي الْجَمُوعُ وَحَدَّقُوا
 أَلْقَتْ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفِيسِهَا
 وَأَتَتْكَ شَيْقَةَ حَوَاهَا شَيْقُ
 خَلَعَتْ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا
 أَعَزُّ مِنْ هَذِينَ شَيْءٌ يُنْفَقُ؟
 وَإِذَا تَنَاهَا الْحَبُّ وَاتَّفَقَ الْفِدَى
 فَالرُّوحُ فِي بَابِ الضَّحِيَّةِ أَلْيَقُ
 مَا الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ إِلَّا طِينَةٌ
 أَزْلِيَّةٌ^{٣٧١} فِيهِ تُضِيءُ وَتَغْسِقُ^{٣٧٢}

الشوقيات

هي فيه للخضبِ العميمِ خميرةٌ
يَنْدَى بما حملتُ إليه، وَيَبْتُقُ^{٣٧٣}
ما كان فيها للزيادةِ مَوْضِعُ
وإلى حماها النقصُ لا يتطَرَّقُ
مُنْبِتَّةٌ في الأرضِ، تَنْتَظِمُ النَّرَى
وتنالُ مِمَّا في السماءِ، وتغَلَقُ
منها الحياةُ لنا، ومنها ضِدُّها
أَبْدًا نَعُودُ لها، ومنها نُخَلَقُ
والزَّرْعُ سُنْبُلُهُ يَطِيبُ، وَحَبُّهُ
منها، فيخرجُ ذا، وهذا يُفَلَقُ
وتَشْدُ بيتَ النحلِ، فهو مُطَنَّبُ
وتمدُّ بيتَ النملِ، فهو مَرَوِّقُ
وتظلُّ بين قوى الحياةِ، جوائِلًا
لا تَسْتَقِرُّ، دوائِلًا لا تُمَحَقُ^{٣٧٤}
هي كِلْمَةُ الله القديرِ، ورُوحُه
في الكائناتِ، وسرُّه المستغلقُ
في النِّجم والقمرينِ مظهرُها، إذا
طلعتْ على الدُّنيا، وساعةٌ تَخْفِقُ
والذَّرُّ^{٣٧٥} والصَّخَرَاتُ مِمَّا كَوَّرَتْ
والفيلُ مما صَوَّرَتْ، والخِرْنِيقُ^{٣٧٦}
فتنتْ عقولَ الأولينِ، فألَّهوا
من كلِّ شيءٍ ما يَرُوعُ وَيَخْرُقُ
سَجَدُوا لمخلوقِ، وظنُّوا خالقًا
مَنْ ذا يُمَيِّزُ في الظلامِ وَيَفْرُقُ؟
دانَتْ (بأبَيْسَ) الرعيَّةُ كُلُّها
مَنْ يَسْتَغَلُّ الأرضِ، أو مَنْ يَعزِقُ
جاءوا من المرعى به يمشي، كما
تمشي وتَلْتَفِتُ المهاةُ وترشِقُ

دَاجِ كَجَنَحِ اللَّيْلِ زَانَ جَبِينَهُ
وَصَحَّحْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَهْلَةِ أَشْرَقَ ٢٧٧
العسجد ٢٧٨ الوهَّاجُ وَشِيَّ جَلَالِهِ
وَالوَرْدُ مَوْطِيئُ حُفَّهِ، وَالزَّنْبِقُ ٢٧٩
وَمِنَ الْعَجَائِبِ بَعْدَ طَوْلِ عِبَادَةٍ
يُؤْتَى بِهِ حَوْضَ الْخُلُودِ فَيُغْرَقُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي: هَلْ أَضَاعُوا الْعَهْدَ، أَمْ
حَذَرُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْهِ وَأَشْفَقُوا؟
قَوْمٌ وَقَارُ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
وَالشَّعْبُ مَا يَعْتَادُ أَوْ يَتَخَلَّقُ
يَدْعُونَ خَلْفَ السِّتْرِ آلِهَةً لَهُمْ
مَلَأُوا النَّدِيَّ جَلَالَةً، وَتَأَبَّقُوا ٢٨٠
وَاسْتَحْجَبُوا ٢٨١ الْكُهَّانَ، هَذَا مُبْلَغُ
مَا يَهْتِفُونَ بِهِ، وَذَاكَ مُصَدِّقُ
لَا يُسْأَلُونَ إِذَا جَرَتْ أَلْفَاظُهُمْ
مَنْ أَيْنَ لِلْحَجَرِ اللِّسَانُ الْأَذْلَقُ؟
أَوْ كَيْفَ تَخْتَرِقُ الْغُيُوبَ بِهَيْمَةٍ
فِيمَا يَنْوِبُ مِنَ الْأُمُورِ وَيَطْرُقُ؟
وَإِذَا هُمُ حَجُّوا الْقُبُورَ حَسِبْتَهُمْ
وَقَدَّ (الْعَتِيقِ) ٢٨٢ بِهِمْ تَرَامَى الْأَيْنُقُ ٢٨٣
يَأْتُونَ (طَيْبَةً) بِالْهَدْيِيِّ ٢٨٤ أَمَامَهُمْ
يَغْشَى الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى وَيُطَبِّقُ
فَالْبِرُّ مَشْدُودُ الزَّوَاهِلِ مُحَدَّجٌ ٢٨٥
وَالْبَحْرُ مَمْدُودُ الشَّرَاعِ مُوسَّقُ
حَتَّى إِذَا أَلْقَوْا بِهَيْكَلِهَا الْعِصَا
وَقَوُّ النُّذُورِ، وَقَرَّبُوا، وَاصَّدَّقُوا

وَجَرَتْ زوارقُ بالحجيجِ، كأنها
 ٣٨٦ رُقْطٌ تَدافعُ، أو سهامٌ تَمْرُقُ
 من شاطئٍ فيه الحياةُ لشاطئِ
 ٣٨٧ هو مُضَجَعٌ للسابقين ومِرْفَقُ
 عَرَبوا غروبَ الشمسِ فيه، واستوى
 ٣٨٩ شاهٌ ورُخٌّ ٣٨٨ في الترابِ وبَيَدِ
 حيثُ القبورُ على الفضاءِ كأنها
 ٣٩٠ قِطْعُ السَّحابِ، أو السَّرابُ الدَّيْسِقُ
 للحقِّ فيه جَوْلَةٌ، وله سَنًا
 كالصبحِ من جَنَباتِها يَتَفَلَّقُ
 نزلوا بها فمشى الملوكُ كرامةً
 ٣٩١ وجثا المِديلُ بماله والمُمْلِقُ
 ضاقت بهم عَرِصاتُها. فكأنما
 ٣٩٢ رَدَّتْ ودائِعها الفلاةُ الفَيْهَقُ
 وتَنادم الأحياءُ والموتى بها
 فكأنهم في الدَّهرِ لم يتفَرَّقوا

أصلُ الحضارةِ في صَعِيدِكَ ثابتُ
 ٣٩٣ ونباتُها حَسَنٌ عليك مُخْلَقُ
 وُلِدَتْ. فكنْتَ المهدَ، ثم ترعرعتُ
 فأظَلَّها منك الحَفِيُّ المُشْفِقُ
 ملأتُ ديارَكَ حكمةً، مأثورها
 ٣٩٤ في الصخرِ والبرديِّ الكريمِ مُنْبَقُ
 وَبَنَتْ بيوتَ العلمِ بانخَةَ الذرى
 يسعى لهنَّ مُعَرَّبٌ ومُشَرَّقُ
 واستحدثتُ دينًا، فكان فضائلًا
 ٣٩٥ وبناءَ أخلاقٍ يطول وَيَشْهَقُ

مَهَدَ السَّبِيلَ لِكُلِّ دِينٍ بَعْدَهُ
 كَالْمَسْكَ رِيَّاهُ بِأُخْرَى تُفْتَقُ ٣٩٦
 يَدْعُو إِلَى بِرٍّ، وَيَرْفَعُ صَالِحًا
 وَيَعَافُ مَا هُوَ لِلْمَرْوَةِ مُخْلِقٌ
 لِلنَّاسِ مِنْ أَسْرَارِهِ مَا عُلِّمُوا
 وَلشَّعْبِةِ الْكَهَنُوتِ مَا هُوَ أَعْمَقُ
 فِيهِ مَحَلٌّ لِلْأَقَانِيمِ ٣٩٧ الْعُلَى
 وَلِجَامِعِ التَّوْحِيدِ فِيهِ تَعَلَّقُ
 تَابُوتُ مُوسَى، لَا تَزَالُ جَلَالَةٌ
 تَبْدُو عَلَيْكَ لَهُ، وَرِيًّا تُنْشَقُ ٣٩٨
 وَجَمَالٌ يَوْسُفَ، لَا يَزَالُ لَوَاؤُهُ
 حَوْلَيْكَ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ يُرْتَقُ ٣٩٩
 وَدَمُوعُ إِخْوَتِهِ، رَسَائِلُ تَوْبَةٍ
 مَسْطُورُهُنَّ بِشَاطِئِكَ مُنْمَقٌ
 وَصَلَاةُ مَرْيَمَ، فَوْقَ زَرْعِكَ لَمْ يَزَلْ
 يَزْكُو لِذِكْرَاهَا النَّبَاتِ وَيَسْمُقُ ٤٠٠
 وَخَطَى الْمَسِيحِ عَلَيْكَ رُوحًا طَاهِرًا
 بَرَكَاتُ رَبِّكَ، وَالنَّعِيمُ الْغَيْدَقُ ٤٠١
 وَوَدَائِعُ (الْفَارُوقِ) ٤٠٢ عِنْدَكَ، دِينُهُ
 وَلَوَاؤُهُ، وَبَيَانُهُ، وَالْمَنْطِقُ
 بَعَثَ الصَّحَابَةَ يَحْمِلُونَ مِنَ الْهُدَى
 وَالْحَقُّ مَا يُحْيِي الْعُقُولَ وَيَفْتَقُ
 فَتَحُ الْفَتْوحِ، مِنَ الْمَلَائِكِ رَزْدَقُ ٤٠٣
 فِيهِ، وَمَنْ (أَصْحَابِ بَدْرِ) رَزْدَقُ
 يَبْنُونَ لِلَّهِ الْكِنَانَةَ بِالْقَنَا
 وَاللَّهُ مِنْ حَوْلِ الْبِنَاءِ مُوَفَّقُ

أحلاس^{٤٠٤} خيلٍ، بَيَدَ أَنْ حَسَامَهُمْ
 فِي السَّلْمِ مِنْ حَذْرِ الْحَوَادِثِ مُفْلَقَ
 تُطَوِي الْبِلَادُ لَهُمْ، وَيُنَجِّدُ جَيْشَهُمْ
 جَيْشٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ غَازٍ مُورِقٍ^{٤٠٥}
 فِي الْحَقِّ سُلٌّ وَفِيهِ أُعْمِدُ سَيْفُهُمْ
 سَيْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الْجَهَالَةِ يَفْرَقُ^{٤٠٦}
 وَالْفَتْحُ بَغْيِي لَا يَهْوَنُ وَقَعَهُ
 إِلَّا الْعَفِيفُ حَسَامُهُ، الْمَتَرَفُّقُ
 مَا كَانَتْ «الْفَسْطَاطُ» إِلَّا حَائِطًا
 يَأْوِي الضَّعِيفَ لِرُكْنِهِ وَالْمُرْهَقَ
 وَبِهِ تَلَوْدُ الطَّيْرِ فِي طَلَبِ الْكَرَى
 وَيَبِيْتُ «قَيْصَرُ» وَهُوَ مِنْهُ مُورِقُ
 «عَمْرُو» عَلَى شَطْبِ^{٤٠٧} الْحَصِيرِ مُعَصَّبُ^{٤٠٨}
 بِقِلَادَةِ اللَّهِ الْعَلِيِّ مَطْوَقُ
 يَدْعُو لَهُ «الْحَاخَامُ» فِي صَلَوَاتِهِ
 (مُوسَى). وَيَسْأَلُ فِيهِ عَيْسَى الْبَطْرُقُ
 يَا نَيْلُ، أَنْتَ بَطِيبٌ مَا نَعَتَ «الْهَدَى»
 وَبِمَنْحَةِ (التَّوْرَةِ) أَحْرَى أَخْلَقَ
 وَإِلَيْكَ يُهْدِي الْحَمْدَ خَلْقُ حَازِهِمْ
 كَنْفٌ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ مُرْهَقُ^{٤٠٩}
 كَنْفٌ «كَمَعْنٍ»، أَوْ كَسَاحَةِ «حَاتِمِ»
 خَلْقٌ يُودِّعُهُ، وَخَلْقٌ يَطْرُقُ
 وَعَلَيْكَ تُجَلَى مِنْ مَصُونَاتِ النُّهَى
 خُودٌ، عِرَائِسُ. خِذْزَهْنَ الْمُهْرَقُ^{٤١٠}
 الدَّرُّ فِي لَبَّاتِهِنَّ^{٤١١} مُنْظَمٌ
 وَالطَّيْبُ فِي حَبْرَاتِهِنَّ مُرْقَرَقُ

عَابُ بُولُونِيَا

لي فيك منْحُ ليس فيه تكْلُفُ
أَمَلَاهُ حُبُّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقُ
مِمَّا يُحْمَلُنَا الْهُوَى لَكَ أَفْرُخُ
سَنْطِيرِ عِنهَا، وَهِيَ عِنْدَكَ تُرَزَّقُ
تَهْفُؤُ وَإِلَيْهِمْ فِي التُّرَابِ قَلُوبُنَا
وَتَكَادُ فِيهِ بِغَيْرِ عِرْقٍ تَخْفُقُ
تُرْجَى لَهُمْ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ
مَنَا وَمِنْكَ بِهِمْ أَبْرُ وَأَرْفُقُ
فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَهَا
أَنْتَ الْوَفِيُّ إِذَا أَوْتَمَنْتَ الْأَصْدُقُ
لِلْأَرْضِ يَوْمًا، وَالسَّمَاءِ قِيَامَةً
وَقِيَامَةَ «الْوَادِي» غَدَاةَ تَحَلَّقُ ٤١٢

نَكْبَةٌ دِمَشْقُ

قِيلَتْ فِي حَفْلَةٍ أُقِيمَتْ لِإِعَانَةِ مَنكُوبِي سُورِيَا بَتِيَاتَرُو وَحَدِيقَةِ الْأَرْبِكِيَّةِ فِي يَنَائِرِ سَنَةِ
١٩٢٦

وَدَمَحُ لَا يُكْفِكُفُ يَا دِمَشْقُ
جَلَالُ الرُّزْءِ ٤١٤ عَنْ وَصْفِ يَدُقِ
إِلَيْكَ تَلَفْتُ أَبَدًا وَخَفَقُ ٤١٥
جِرَاحَاتُ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُمُقُ
وَوَجْهُكَ ضَاكُ الْقِسْمَاتِ طَلُقُ
وَمِلءُ رُبَاكَ أُرَاقُ وَوُزُقُ ٤١٧
لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتُ وَسَبَقُ
وَفِي أَعْطَافِهِمْ خُطْبَاءُ شُدُقُ ٤٢٠
بِكُلِّ مَحَلَّةٍ يَزْوِيهِ خَلُقُ
أَنْوْفُ الْأَسَدِ وَاضْطَرَمُ ٤٢١ الْمَدَّقُ ٤٢٢

سَلَامٌ مِنْ صَبَا (بِرَدَى) ٤١٣ أَرُقُ
وَمَعِزَّةُ الْيَرَاعَةِ وَالْقَوَافِي
وَذَكَرَى عَنْ خَوَاطِرِهَا لِقَلْبِي
وَبِي مِمَّا رَمَتَكَ بِهِ اللَّيَالِي
دَخَلْتِكَ وَالْأَصِيلُ لَهُ ائْتَلَقُ ٤١٦
وَتَحْتَ جِنَانِكَ الْأَنْهَارُ تَجْرِي
وَحَوْلِي فَتِيَّةٌ غُرٌّ صَبَاحُ
عَلَى لَهَوَاتِهِمْ ٤١٨ شِعْرَاءُ لُسُنُ ٤١٩
رُؤَاةٌ قِصَائِدِي، فَاعْجَبْ لِشَعْرِ
غَمَزَتْ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلْظَتْ

وضَّجَّ من الشَّكِيمَةِ ٤٢٣ كُلُّ حُرٍّ أَبِيٍّ من أُمِيَّةٍ فِيهِ عِتْقٌ ٤٢٤

لحاهها لله أنباءً توالَتْ
يُفْصِّلُهَا ٤٢٦ إِلَى الدنْيا بَرِيدٌ
تَكَادُ لروعةِ الأَحْدَاثِ ٤٢٨ فِيهَا
وقيل: معالمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ
أَلَسَتْ - دَمَشْقُ - لِلإسْلامِ ظَنْرًا ٤٢٩
صَلَّاحُ الدِّينِ، تاجُكَ لَمْ يُجَمَّلْ
وَكُلُّ حَضارَةٍ فِي الأَرْضِ طالَتْ
سَمائِكِ من حُلَى المَاضِي كِتابُ
بَنَيْتِ الدَوْلَةَ الكَبْرى وَمُلْكَا
لِه بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُرْسُ

عَلَى سَمْعِ الوَلِيِّ بِما يَشُقُّ ٤٢٥
وَيُجَمِّلُها إِلَى الأَفْاقِ بَرَقٌ ٤٢٧
تخال من الخُرافَةِ وَهِيَ صَدَق
وقيل: أَصابها تَلْفٌ وَحَرَق
وَمُرْضَعَةُ الأَبُوَّةِ لا تُعَقُّ؟
ولم يُوسَمِ بِأَزيِنِ مِنْهُ فَزَقُ
لِها مِنْ سَرَجِكِ العُلُويِّ عِرْقٌ ٤٣٠
وأَرْضُكَ مِنْ حَلَى التَّارِيخِ رَقٌ ٤٣١
غَبارُ حَضارَتَيْهِ لا يُشَقُّ
بِشائِرُهُ بِأَنْدَلِسٍ تَدَقُّ

رِباعُ الخَلدِ - وَيَحِكُ - ما دَهاها؟
وَهَلْ غَرَفُ الجِنايِ مُنْضَداً ٤٣٢؟
وَأين دُمى ٤٣٣ المَقاصِرِ ٤٣٤ مِنْ جِبالِ
يَرزَنَ وَفي نواحي الأيِّكِ نارُ
إِذا رُمِنَ السَّلامَةَ مِنْ طَريقِ
بَليلٍ لِلقِذائِفِ وَالْمِنايا
إِذا عَصَفَ الحَديدُ، أَحْمَرَّ أَفقُ
سَلِي مَنْ راعِ غَيْدِكَ بَعْدَ وَهِنِ ٤٣٥
وَلِلْمِستَعْمِرِينَ - وَإِنْ أَلانوا -
رِماكِ بِطَيْشِهِ، وَرَمَى فَرنِسا
إِذا ما جِاءَهُ طَلابُ حَقِ
دَمُ الثَّوارِ تَعرفُهُ فَرنِسا
جَرى فِي أَرْضِها، فِيهِ حِياةٌ

أَحَقُّ أَنها دَرَسَتْ؟ أَحَقُّ؟
وَهَلْ لِنَعيمِها كَأَمْسِ نَسَقُ؟
مُهَتَّكَةً، وَأَسْتارِ تُشَقُّ
وَخَلَفَ الأيِّكِ أَفْراخُ تُزَقُّ
أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْموتِ طُرُقُ
وَرِاءَ سَمائِهِ خَطْفٌ، وَصَعَقُ
عَلَى جَنبائِهِ، واسودَّ أَفقُ
أَبَيِّنَ فؤادِهِ وَالصَّخِرِ فَرَقُ؟
قَلوبُ كَالحِجارَةِ، لا تَرِقُّ
أَخو حَرْبٍ، بِه صَلَفٌ، وَحُمُقُ
يَقول: عِصابَةٌ خَرَجوا وَشَقُّوا
وَتَعَلِمَ أَنه نورٌ، وَحَقُّ
كَمُنْهَلِ السَّماءِ، وَفيهِ رِزْقٌ ٤٣٦

وزالوا دون قومهم ليبقوا
 فكيف على قناها تُسْتَرَقُ؟^{٤٣٧}
 وألقوا عنكم الأحلام، ألقوا
 بألقاب الإمارة وهي رِقٌّ^{٤٣٨}
 كما مالت من المصلوب عُتُقُ
 ولا يمضي لمختلفين فَتُقُ
 ولكن كلنا في الهم شرق
 بيان غير مختلف ونطق
 فإن رمت نعيم الدهر فاشقوا
 يد سلفت ودين مستحق
 إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا؟
 ولا يدي الحقوق ولا يحق
 وفي الأسرى فدى لهمو وعتق^{٤٤٠}
 بكل يد مضرجة يَدَقُ
 وعز الشرق أوله يمشق
 وكل أخ بنصر أخيه حق
 وإن أخذوا بما لم يستحقوا
 كينبوع الصفا حشنا ورَقُوا
 موارد في السحاب الجون بلق
 نضال دون غايته ورشق
 فكل جهاته شرف وخلق

بلاد مات فتيتها لتخيا
 وحزرت الشعوب على قناها
 بني سوريّة، اطرحوا الأماني
 فمن جدع السياسة أن تغرّوا
 وكم صيد^{٤٣٩} بدا لك من ذليل
 فتوق الملك تحدث ثم تمضي
 نصحت ونحن مختلفون دارا
 ويجمعنا إذا اختلفت بلاد
 وقفتم بين موت أو حياة
 وللأوطان في دم كل حُرٌّ
 ومن يسقي ويشرب بالمنايا
 ولا يبني الممالك كالضحايا
 ففي القتلى لأجيال حياة
 وللحرية الحمراء باب
 جزاكم ذو الجلال بني دمشق
 نصرتم يوم محنته أخاكم
 وما كان الدور قبيل^{٤٤١} شر
 ولكن نادة^{٤٤٢} وقراءة ضيف
 لهم جبل أشم له شعاف
 لكل لبوءة، ولكل شبيل
 كأن من السموأل^{٤٤٣} فيه شيئا

رَمَضَانُ وَوَلِيٌّ

الأبيات التي بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب

مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقٍ
 وَأَقْلَهُ فِي طَاعَةِ الْخَلْقِ!!

رمضان وولي، هاتها يا ساقى
 ما كان أكثره على الألفها

إن كان تَمَّ من الذنوب بواقِي
واليومَ مَنَّ العيدُ بالإطلاقِ
بنتُ الكُرومِ كريمةَ الأعراقِ
حتى نُراعٍ لصِيحَةِ الصَّفَاقِ^{٤٤}؛
من وَجَنَّتِيكَ تُدارُ والأحداقِ
كالغِيدِ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمذاقِ
يَكْفِيكَ - يا قَاسِي - دَمُ العِشاقِ
أَسْقَى بِكَأْسِ في الهمومِ بهاقِ
مِن عَالَمٍ لم يَحِوْ غيرَ نِفاقِ
وبِكَيْتٍ من وَجْدٍ، ومن إِشفاقِ
شَمَاءَ رَاوِيَةٍ مِنَ الأَخلاقِ
وبِبقِيَتٍ في خَلْفٍ بغيرِ خَلاقِ
ويقالُ: شَعَبُ في الحِضارَةِ رَاقِي؟
جَعَلَ الهُدَاةَ بِها دُعاةَ شِفاقِ

اللُّهُ غَفَّارُ الذُّنوبِ جَميعِها
بالأَمْسِ قَد كُنَّا سَجِينِي طاعِةٍ
ضَحِكْتَ إِلَيَّ مِنَ السَّرورِ، ولم تزلِ
ها تِ اسقِنِها غَيرَ ذاتِ عواقِبِ
صِرفاً مُسَلِّطَةَ الشِّعاعِ، كأَنما
حَمراءُ أو صَفراءُ، إِنَّ كَرِيمَها
وَحِذارِ من دِمِها الزَكِيِّ تُرِيقُها
لا تَسقِنِي إلا دِهاقاً^{٤٥}؛ إنني
فلعلَّ سُلطانَ المِدامَةِ مُخْرِجِي
(وَطَني، أَسفَتُ عَليكَ في عَيدِ المَلا
لا عَيدَ لي حَتى أراك بِأَمِّةٍ
(ذَهبِ الكِرامِ الجامِعونَ لِأمرِهم
(أَيظُلُّ بَعْضُهُم لِبَعْضِ خاذِلاً
(وَإِذا أَرادَ اللُّهُ إِشقاءَ القُرى

نَثَرَ السُّعودِ حُلَى على الآفاقِ
أَن لا يَفوتكما الزَمانَ تَلاقِ
فازدادَ من يُمِنِ، ومن إِشراقِ
عَيدُ الفَقيِرِ، وِليلةُ الأرزاقِ
جَزَلينَ عَن صَومٍ وَعَن إنفاقِ
إِلا قِتالَ البؤسِ والإملاقِ^{٤٧}؛
وأرى التَعاوَنَ أَنجَعَ التَرياقِ^{٤٨}؛
دُنيا تَعقُ، لَكِئِمةُ المِيثاقِ
مِن راحَتِيكَ بِوابِلِ غَيداقِ^{٤٩}؛
ويُساعدُ الأَنفاسَ في الأَزماقِ^{٥٠}؛
بِساوَبِقِ، وَبَلغَتَهُ (بِبَراقِ)
مَنَ لِلنَجومِ، وَمَنَ لَهم بِلِحاقِ؟

العَيدُ بَينَ يَدَيكَ يا ابْنَ مُحَمَّدِ
وَأتى يُقبَلُ راحَتِيكَ، وَيَرتَجي
قابِلَتَهُ بِسُعودِ وَجْهِكَ وَالسَّنا
فاهِناً بِطالِعِهِ السَّعِيدِ، يَزينُهُ
يَتَنزَلُ الأَجْرانِ^{٤٦}؛ في صُبحيَها
إِنني أَجلُّ عَن القِتالِ سرائِرِ
وأرى سُمومَ العالَمينَ كَثيرةً
قَسَمَتُ بَنيها، واستَبَدَّتْ فوَقَهم
واللِهُ أَتَعَبَها، وَضَلَّ كَيدَها
يَأسُو جِراحَ اليائِسينَ مِنَ الوَري
بِبلغِ الكِرامِ المَجدِ حينَ جَروا لَه
ورأوا غِبارَكَ في السُّها، وَتَراكضوا

مَوْلَايَ، طَلَبْتُ مِصْرَ أَنْ تَبْقَى لَهَا
سَبْقُ الْقَرِيضِ إِلَيْكَ كُلِّ مُهَنِّي
لَمْ يَدْخِرْ إِلَّا رِضَاكَ، وَلَا اقْتَنَى
إِنَّ الْقُلُوبَ — وَأَنْتَ مَلَأْ صَمِيمَهَا —
وَأَنَا الْفَتَى (الطَّائِي) ٤٥٢ فَيْكَ. وَهَذِهِ

فَإِذَا بَقِيَتْ فَكُلُّ خَيْرٍ بَاقٍ
مِنْ شَاعِرٍ، مُتَقَرِّدٍ، سَبَّاقٍ
إِلَّا وَلَآءَكَ أَنْفَسَ الْأَعْلَاقِ ٤٥١
بَعَثَتْ تَهَانِيهَا مِنَ الْأَعْمَاقِ
كَلِمِي هَزَزْتُ بِهَا أَبَا إِسْحَاقِ ٤٥٣

مِصْرُ

قال وقد كان أعدى وليمة إلى الكاتب الإنجليزي المستر هول كين

أَيُّهَا الْكَاتِبُ الْمِصْرِيُّ، صَوَّرَ
إِنَّ مِصْرًا رِوَايَةَ الدَّهْرِ، فَاقْرَأْ
مُلْعَبٌ مَثَلُ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ
وَأَمَّاءَ ٤٥٥ (الْكَلِيمِ) ٤٥٦ أَنْسَ نَارًا
وَمَنَايَا (مَنَا)، (فَكَسْرِي)، فَذِي (الْقَرْزِ
دُوْلٌ لَمْ تَبْدُ، وَلَكِنْ تَوَارَتْ
رَوْضَتِي أَرْيَنْتُ، وَأَبَدَتْ حُلَاهَا
مِثْلَ عَدْرَاءٍ مِنْ عَجَائِزِ (رُومَا)
ضَحِكُ الْمَاءِ، وَالْأَقَاحِي ٤٥٩ عَلَيْهَا
زُرْنَهَا وَالرَّبِيعُ فَضْلًا، فَخَفَّتْ
فَانزِلَا فِي عِيُونِ نَرَجِسِهَا الْغَضُّ

مِصْرَ بِالْمَنْظَرِ الْأَنِيْقِ الْخَلِيْقِ
عِبْرَةَ الدَّهْرِ فِي الْكِتَابِ الْعَتِيْقِ
فِي صِبَا الدَّهْرِ آيَةً (الصَّدِيقِ) ٤٥٤
وَالْتِجَاءَ (الْبَتُولِ) ٤٥٧ فِي وَقْتِ ضَيْقِ
نَيْنِ، فَالْقَيْصَرِيْنَ، (فَالْفَارُوقِ) ٤٥٨
خَلْفَ سِتْرٍ مِنَ الزَّمَانِ رَقِيْقِ
حِينَ قَالُوا: رِكَابُكُمْ فِي الطَّرِيْقِ
بَشَّرُوهَا بِزُورَةِ الْبَطْرِيْقِ
قَابَلَتْهُ الْغُصُونُ بِالتَّصْفِيْقِ
نَحْوَ رُكْبَيْكُمَا خُفُوفَ الْمَشُوقِ
صَبِيَانًا، وَفُوقَ حَدِّ الشَّقِيْقِ ٤٦٠

الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُنَوَسَطُ

أَيُّ الْمَمَالِكِ؟ أَيُّهَا
يَا أَبْيَضُ الْأَثَارِ، وَالصَّـ
إِنَّ الْبَيَانَ، وَإِنَّ حُسـ
أَبَدًا تَذَكَّرْنَا الذِيـ

فِي الدَّهْرِ مَا رَفَعْتَ شِرَاعَكَ؟
فَحَاتِ، ضَيِّعَ مَنْ أَضَاعَكَ
نَ الْعَقْلِ، مَا زَالَا مَتَاعَكَ
نَ جَلَّوْا عَلَى الدُّنْيَا شِعَاعَكَ

وَبَنَوْا مَنَارَكَ عَالِيَا
وَتَحَكَّمُوا بِكَ فِي الْوَجُو
حَتَّى إِذَا جِئْتَ الْأَنَا
وَالْيَوْمَ عَقُّ، كَأَنَّمَا
فَابُلَعُ — فَدَيْئُكَ — كُلُّ مَا
مُتَأَلَّقًا، وَبَنَوْا قِلاعَكَ
دِ، تَحَكَّمًا كَانَ ابْتِدَاعَكَ
مَ بِأَهْلِ حَكِمَتِهِ أَطَاعَكَ
يَنسَى جَمِيلَكَ وَاصْطِنَاعَكَ
ئِكَ، فَالْمَلَا يَنوِي ابْتِلاعَكَ

(وقال عندما زار قسم الأزهار والنُّمار في المعرض بباريس سنة ١٩٠١):

رَزَقَ اللهُ أَهْلَ بَارِيسَ خَيْرًا
عِنْدَهُمَ لِلنُّمَارِ وَالزَّهْرِ مِمَّا
جَنَّةٌ تَحْلِبُ الْعُقُولَ، وَرَوْضٌ
مَنْ رَأَاهُ يَقُولُ: قَدْ حُرِّمُوا الْفِر
مَا تَرَى الْكَرِّمَ قَدْ تَشَاكَلَ، حَتَّى
يُسْكِرُ النَّاضِرِينَ كَرِّمًا، وَلَمَّا
صَوَّرُوهُ كَمَا يَشَاءُونَ، حَتَّى
يَجِدُ الْمُتَّقِي يَدَ اللهِ فِيهِ
وَأَرَى الْعَقْلَ خَيْرَ مَا رُزِقُوهُ
تُنَجِبُ الْأَرْضُ مَعْرِضٌ نَسَقُوهُ
تَجْمَعُ الْعَيْنُ مِنْهُ مَا فَرَّقُوهُ
دَوْسَ، لَكِنْ بِسِحْرِهِمْ سَرَقُوهُ
لَوْ رَأَاهُ السُّقَاةُ مَا حَقَّقُوهُ؟
تَعْتَصِرُهُ يَدٌ، وَلَا عَتَقُوهُ
عَجِبَ النَّاسُ: كَيْفَ لَمْ يُنْطِقُوهُ؟
وَيَقُولُ الْجَحُودُ: قَدْ خَلَقُوهُ

بَارِيسُ

جَهْدُ الصَّبَابَةِ، مَا أَكَابِدُ فِيكَ
حَتَّامَ هِجْرَانِي؟ وَفِيمَ تَجَنُّبِي؟
قَدْ مَتُّ مِنْ ظَمًا، فَلَوْ سَامَحْتَنِي
أَجِدُ الْمَنَايَا فِي رِضَاكَ هِيَ الْمُنَى
يَا بِنْتَ مَخْضُوبِ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
فَخَضَابُ تَلِكْ؛ مِنَ الْعَيُونِ وَقَايَةُ
جَفْنَاكَ، أَيُّهُمَا الْجَرِيءُ عَلَى دَمِي؟
بِالسَّيْفِ، وَالسَّحَرِ الْمُبِينِ، وَبِالطَّلَى
بِهِمَا وَبِي سَقَمٌ، وَمِنْ عَجَبِ الْهُوَى
لَوْ كَانَ مَا قَدْ نَقَّتَهُ يَكْفِيكَ
وَالْإِلَامَ بِي ذُلُّ الْهُوَى يُغْرِيكِ؟
أَنْ أَشْتَهِيَ مَاءَ الْحَيَاةِ بِفِيكَ!!
مَاذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ؟ مَا يُرْضِيكَ؟
بَرِئْتُ بِنَانِكَ مِنْ سِلَاحِ أَبِيكَ
وَخِصَابُ ذَاكَ مِنَ الدِّمِ الْمَسْفُوكِ
بِأَبِي هُمَا مِنْ قَاتِلِ وَشْرِيكَ!!
حَمَلًا عَلَيَّ، وَبِالْقَنَا الْمَشْبُوكِ^{٤٦}
عُدَّوَانُ مُنْكَسِرٍ عَلَى مَنْهُوكِ

تَسْلُو عَنِ الدُّنْيَا وَلَا تَسْلُوكِ
يَا لِلرَّجَالِ لِمُغْرَقٍ مَتْرُوكِ
ضَلَّ الصَّبَاحَ لِمُغْرَقٍ مَتْرُوكِ
وَرَثَى لِحَالِي فِي السَّمَاءِ أَخُوكِ^{٤٦٨}
سِرِّي المَصُونِ، وَمَدْمَعِي المَهْتُوكِ
إِفْرَنْدُهُ^{٤٦٩} فِي جَفْنِهِ يَحْمِيكَ
سَلُّوا سَيُوفَهُمْ عَلَى أَهْلِيكَ
نَارًا سَنَابِكُهَا^{٤٧٠} عَلَى (البَلَجِيكِ)
والموتِ حَوْلَ شَكِيمِهَا^{٤٧٢} المَعْلُوكِ^{٤٧٣}
(نَامورَ) عَنِ فُولَازِهَا المَشْكُوكِ^{٤٧٤}
وعلى مَصُونِ مَوَاتِقِ وَصُكُوكِ^{٤٧٥}
مَا يَنْبَغِي مِنْ خُطَّةٍ وَسُلُوكِ
مِنْ نَخْوَةٍ، وَحَمِيَّةٍ، وَفُتُوكِ
لَاذُوا بَرَكِنِ لَيْسَ بِالمَذْكُوكِ
(بَارِيزُ)، لَمْ يَعْرِفْكَ مَنْ يَغْزُوكِ
تُرْمَى بِمَشْهُودِ النِّهَارِ^{٤٧٧} سَفُوكِ
وَدَعَارَةٍ: يَا إِفْكُ مَا زَعْمُوكِ!
شَهَوَاتُهُنَّ مَرْوِيَّاتُ فَيْكِ
أَصْحَابُ تِيجَانِ، مَلُوكُ أَرِيكِ
وَتَفَجَّرَتْ كَالكُوثْرِ المَعْرُوكِ^{٤٧٨}
مَا حَجَّ طَالِبُهُ سِوَى نَادِيكَ
وَالرَّكْنُ مِنْ بُنْيَانِهِ المَسْمُوكِ^{٤٧٩}
وَمَشَتْ حَضَارَتُهُ بِنُورِ بَنِيكَ
لِلْفَخْرِ، خَيْرٌ كَنُوزِهَا مَاضِيكَ
وَمَرَاتِعِ الغَزْلَانِ فِي وَاوِيكَ
وَمَقِيلِ أَيَّامِ الشَّبَابِ النُّوكِ^{٤٨١}
أَفُقِ كَجَنَاتِ النِّعِيمِ ضُحُوكِ

رِفْقًا بِمُسْبِلَةٍ^{٤٦٢} الشُّونِ^{٤٦٣} قَرِيحَةٍ^{٤٦٤}
أَبْكِيَّتِهَا، وَقَعَدَتْ عَنِ إِنْسَانِهَا^{٤٦٥}
ضَلَّتْ كَرَاهَا^{٤٦٦} فِي غِيَابِهِ^{٤٦٧} حَالِكِ
رَقَّ النِّسِيمُ عَلَى نُجَاهِ لِأَنْتِي
قَاسِيَّتُهُ، حَتَّى انْجَلَى بِالصَّبْحِ عَنِ
سُلَّتِ سَيُوفُ الحَيِّ، إِلَّا وَاحِدًا
جَرَّدْتَهُ فِي غَيْرِ حَقِّ، كَالْأَلَى
طَلَعْتَ عَلَى حَرَمِ المَمَالِكِ خِيْلَهُمِ
البَّاسُ وَالجَبْرُوتُ فِي أُعْرَافِهَا^{٤٧١}
عَرَتْ (لِيَاجَ) عَنِ الحِصُونِ، وَجَرَّدَتْ
تَمَشِي عَلَى خَطِّ المَلُوكِ وَخَتْمِهِمِ
وَالحَرْبُ لَا عَقْلَ لَهَا فَتَسُومُهَا
دَكَّتْ حِصُونَ القَوْمِ إِلَّا مَعْقِلًا
وَإِذَا احْتَمَى الأَقْوَامُ بِاسْتِقْلَالِهِمِ
وَلَقَدْ أَقُولُ وَأُدْمَعِي مُنْهَلَّةً:
مَا خِلْتُ جَنَاتِ النِّعِيمِ وَلَا الدُّمَى^{٤٧٦}
زَعْمُوكِ دَارَ خِلَاعَةٍ، وَمَجَانَةٍ
إِنْ كُنْتَ لِلشَّهَوَاتِ رِيًّا، فَالْعُلَا
تَلِيدِينَ أَعْلَامَ البَيَانِ، كَأَنَّهُمْ
فَاضَتْ عَلَى الأَجْيَالِ حِكْمَةُ شِعْرِهِمْ
وَالعِلْمُ فِي شَرْقِ البِلَادِ وَغَرْبِهَا
العِصْرُ، أَنْتِ جَمَالُهُ، وَجَلَالُهُ
أَخَذَتْ لَوَاءَ الحَقِّ عِنكَ شِعُوبُهُ
وَخِزَانَةُ التَّارِيخِ، سَاعَةٌ عَرَضَتْهَا
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنْ وَاوِيكَ الشَّرَى^{٤٨٠}
يَا مَكْتَبِي قَبْلَ الشَّبَابِ، وَمَلْعَبِي
وَمِرَاحِ لِدَاتِي. وَمَغْدَاهَا عَلَى

سَلِسٍ عَلَى نَوَلٍ ٤٨٢ السَّمَاءِ مَحُوكٍ ٤٨٣
 غَيْرِ الْقَوَافِي مَا بِهِ أَجْزِيكَ
 فَالِلَهُ جَلٌّ جَلَّالُهُ وَاقِيكَ
 فَلَيْسَ بِمَجْنُونٍ، وَلَيْسَ بِعَاقِلٍ
 كَمَا يَتَنَزَّرِي ٤٨٤ فِي الْحَصَى غَيْرُ نَاعِلٍ
 مِنَ الصَّخَبِ الْعَالِي، وَلَيْسَ بِحَافِلٍ
 وَيُمَطِّرُنَا مِنْ رَيْلِهِ ٤٨٥ شَرٌّ سَائِلٍ
 كَعَضَّةِ بَرْدٍ فِي نَوَاحِي الْمَفَاصِلِ
 زَ»، وَفِي جَوَانِحِ الْهُوَى لَهُ
 لَ، وَآلِهِ أَزْكَى سُلَالِهِ
 وَشَمَعَتْ كَالرَّيْحَانِ (ضَالَهُ)
 ظَرَ فِيهِ دَمْعَكَ وَانْهَمَالِهِ
 نَ الرُّوحِ يَسْرِي وَالرَّسَالِهِ
 زَ، يُبَارِكُ الْبَارِي حِيَالِهِ
 مَ لَخَلْقِهِ، وَجَلَّ حَلَالِهِ
 بُّ الْعَالَمِينَ مِنَ الْجِهَالِهِ
 حَةِ، وَالْبَلَاغَةِ، وَالنَّبَالِهِ
 أَزْكَى الْبَرِيَّةِ قَدْ مَشَى لَهُ
 وَحَدِيثُ (قَيْسٍ) ٤٨٧ وَالغَزَالِهِ
 فِي أَعْنَتِهَا خِيَالِهِ
 وَالرَّجَاحَةِ، وَالْبَسَالَةِ ٤٨٨
 وَالْعِلْمُ قَدْ أَلْقَى رِحَالِهِ
 اللَّهُ فَيَأْنَا ظِلَالَهُ
 يِنِ أَمِيرِ مَكَّةَ وَالْإِيَالِهِ
 دَارُ الْحَجِيجِ عَلَيْهِ هَالِهِ
 مُسْتَشْفِيًّا، وَاعْتَمَ نَوَالِهِ
 شَافِي الْعُقُولِ مِنَ الضَّلَالِهِ

وَسَمَاءَ وَحَيِّ الشَّعْرِ مِنْ مُتَدَفِّقٍ
 لَمَّا احْتَمَلْتُ لِكَ الصَّنِيعَةَ، لَمْ أَجِدْ
 إِنْ لَمْ يَقُوكِ بِكُلِّ نَفْسٍ حُرَّةٍ
 لَنَا صَاحِبٌ قَدْ مُسَّ إِلَّا بَقِيَّةً
 لَهُ قَدَمٌ لَا تَسْتَقِرُّ بِمَوْضِعٍ
 إِذْ مَا بَدَأَ فِي مَجْلِسٍ ظَنَّ حَافِلًا
 وَيُمَطِّرُنَا مِنْ لَفْظِهِ كُلَّ جَامِدٍ
 وَيُلْقِي عَلَى السَّمَارِ كَفًّا دِعَابُهَا
 (مَحْجُوبٌ)، إِنْ جِئْتُ «الْحَجَا
 شَوْقًا، وَحَبًّا بِالرَّسُو
 فَلَمَحَتْ نَضْرَةَ (بَانِهِ)
 وَعَلَى (الْعَتِيقِ) ٤٨٦ مَشَيْتَ تَنَدٍ
 وَمَضَى السُّرَى بِكَ حَيْثُ كَا
 وَبَلَّغْتَ (بَيْتًا) بِالْحَجَا
 اللَّهُ فِيهِ جَلَّ الْحَرَا
 فَهَنَّاكَ طِبُّ الرُّوحِ، طِ
 وَهَنَّاكَ أَطْلَالُ الْفَصَا
 وَهَنَّاكَ أَزْكَى مَسْجِدِ
 وَهَنَّاكَ عُذْرِي الْهُوَى
 وَهَنَّاكَ مُجْرِي الْخَيْلِ، يَجْرِي
 وَهَنَّاكَ مَنْ جَمَعَ السَّمَاةَ
 وَهَنَّاكَ حَيَّمَتِ النُّهَى
 وَهَنَّاكَ سَرْحُ حَضَارَةِ
 إِنَّ الْحَسِينَ بْنَ الْحَسِ
 قَمْرُ الْحَجِيجِ إِذَا بَدَا
 أَنْتَ الْعَلِيلُ، فَلُذْبُهُ
 لَا طِبُّ إِلَّا جَدُّهُ

عني، وبإلغ في مقاله
حي في أبيك بخير حاله
ك، أحببته، وأجلُّ آله
شوقُ الضريرِ إلى الغزاة^{٤٨٩}
ن، الصالحين، أولي العداله
له، فالنبيُّ لكم جلاله
بلغ الوجودُ به كماله؟

قَبِّلْ ثَرَاه، وَقُلْ لَهُ
أَنَا يَا ابْنَ أَحْمَدَ بَعْدَ مَدِّ
أَنَا فِي حِمَى الْهَادِي أَبِي—
شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى النَّوَى
يَا ابْنَ الْمَلُوكِ الرَّاشِدِي—
إِنْ كَانَ بِالْمَلِكِ الْجَلَا
أَوْلَيْسَ جَدُّكُمْ الَّذِي

طُوكِيُو

وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلزال الشهير

وسلَّ القريئين: كيف القيامه؟
س، وحلَّتْ أَشْرَاطُهَا^{٤٩٠}، والعلامه
هل ترى من ديار عادٍ دِعامه؟
وطوى أهلها بساطَ الإقامه^{٤٩١}
وأدارَ الردى على القومِ جامه^{٤٩٢}
غيرَ نِقْضٍ،^{٤٩٣} أو رِمَّةٍ، أو حُطامه^{٤٩٤}
— في مدى الظنِّ — عُمُقُهُ أَلْفُ قامه
نفخة الصُّور أن تَلُمَّ عِظامه
ذهبت رِيحُهُم وشالوا نَعامه^{٤٩٦}
صحبَةَ العيشِ، أو جِوارَ السلامه
تَحَارُ العيونُ فيها فخامه
والأساطيلُ وهى في البحر لامه^{٤٩٧}
خَلَّتْهَا فِي يَدِ الْقَضَاءِ حَمَامه
نَيْهِ (بوذا)، وزلزلت أقدامه
لِ الَّذِي يَكْسُحُ الْبِلَادَ أَمَامه
وحميماً^{٤٩٨} يَسُحُ سَحَّ الْغَمَامه؟

قَف (بطوكيو)، وطُف على (يو كاهامه)
دنت الساعه التي أُنْذِرَ الننا
قف، تأملْ مَصَارِعَ القوم، وانظُرْ
خُسِفَتْ بِالْمَسَاكِنِ الْأَرْضُ حَسْفًا
طَوَّفَتْ بِالْمَدِينَتَيْنِ الْمَنَايَا
لا ترى العينُ منهما أين جالت
حازهم من مَراجِلِ^{٤٩٥} الأرضِ قَبْرٌ
تحسبُ الميْتِ فِي نَوَاحِيهِ يُعْيِي
أصبحوا في ذرا الحياة، وأمَسُوا
ثِقُ بِمَا شَتَّتَ مِنْ زَمَانِكَ، إِلَّا
دولة الشرق وهي في زِرْوَةِ الْعَزِّ
خانها الجيشُ وهو في البرِّ رِزْجٌ
لو تَأَمَّلْتَهَا عَشِيَّةً جَاشَتْ
رَجَّهَا رَجَّةً أَكْبَتْ عَلَى قَرْ
استعدنا بالله من ذلك السَّيِّئِ
مَنْ رَأَى جَلَمًا يَهْبُ هُبُوبًا

ودخانًا يُلْفُ جُنْحًا بَجُنْحٍ ٤٩٩ لا ترى فيه مِعْصَمِيهَا اليَمَامَه؟
وهَزِيمًا كَمَا عَوَى الذئبُ فِي كَلِّ مَكَانٍ، وَزَمَجَرَ الضَّرْغَامَه؟

* * *

أَتَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ بِطُوفَا فَتَرَى الْبَحَرَ جُنًّا، حَتَّى أَجَازَ ٥٠١ الـ
مُزْبِدًا، ثَائِرَ اللَّجَاجِ، كَجَيْشِ فُلْكَ نُوحٍ تَعَوَّذُ مِنْهُ بِنُوحٍ
قَدْ تَخَيَّلْتَهُمْ مَتَابِيلَ سِحْرِ وَتَخَيَّلْتُ مَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ
أَبْرَاقِينَ تَلْكَ، أَمْ نَزَوَاتٍ ٥٠٢
تَجِدُ الْأَرْضَ رَاحَةً حَيْثُ سَالَتْ مَا لَهَا لَا تَضِجُ مِمَّا أَقَلَّتْ
كَلَّمَا لُبَّسَتْ بِأَهْلِ زَمَانٍ اسْتَوُوا بِالْأَدْنَى ضَرِيًّا، وَبِالشَّـ
لَبَّسَتْ هَذِهِ الْحَيَاةُ عَلَيْنَا ذَاكَ مِنْ مُؤَنَسَاتِهِ الظُّفْرُ وَالنَّأِ
سَرُّهُ مِنْ أَسَامَةِ الْبَطْشِ وَالْفَتـ لَوُمَّتْ مِنْهُمَا الطَّبَاعُ، وَلَكِنْ

نِ يُنَسِّي طُوفَانَ نُوحٍ وَعَامَه
بِرًّا، وَاحْتَلَّ مَوْجُهُ أَعْلَامَه
قَوَّضَ الْعَاصِفُ الْهَبُوبُ خِيَامَه
لَوْ رَأَتْه، وَتَسْتَجِيرُ زِمَامَه
مِنْ قِرَاعِ الْقَضَاءِ صَزَعَى مُدَامَه
ظَنَّ لَيْلَ الْقِيَامِ ذَاكَ، فَنَامَه
مِنْ جِرَاحِ قَدِيمَةٍ مُلْتَامَه؟
رَاحَةُ الْجِسْمِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَامَه ٥٠٣
مِنْ فَسَادٍ، وَحُمَلَتْ مِنْ ظُلَامَه؟
شَهَدَتْ مِنْ زَمَانِهِمْ آثَامَه
رَّ وُلُوعًا، وَبِالذَّمَاءِ نَهَامَه
عَالَمَ الشَّرِّ: وَحَشَّه، وَأَنَامَه
بُ، وَهَذَا سَلَاخُهُ الصَّمْصَمَامَه
لُكُ، فَسَمَى وَلِيدَهُ بِأَسَامَه ٥٠٤
وَلَدُ الْعَاصِيَيْنِ شَرُّ لَامَه! ٥٠٥

طَبَاعُ الْبُرِيدِ

العيد الفضي — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٠ — لطابع البوستة في جنيف — سلام على لسان
البريد

أَنَا مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ عَامَا
أُرْكَبُ الْبَحَرَ تَارَةً، وَأَجُوبُ الـ
وَيُوفَى النُّفُوسَ مِنْ رَسُولٍ
يَحْمِلُ الْغِشَّ وَالنَّصِيحَةَ، وَبِالْبَغْضَا
لَمْ أَرُحْ فِي رِضَاكُمُ الْأَقْدَامَا
بِرًّا طَوْرًا، وَأَقْطَعُ الْإِيَامَا
لَمْ يَكُنْ خَائِنًا، وَلَا نَمَامَا
ءَ وَالْحُبِّ، وَالرُّضَى وَالْمَلَامَا

وَيُؤَدِّي كَمَا وَعَاهُ الْكَلَامَا
فِيهِ أَبْكَى الْمُنْعَمَ الْبَسَامَا
وَأَفِيدُ الْجِرْمَانَ وَالْإِنْعَامَا
ثَمَنٌ لَا يُكَلِّفُ الْأَقْوَامَا
وَعُغْلَامٌ قَدْ سَاقَ مِنِّي غُلَامَا
وَجَزَوْنِي عَنْ خِدْمَتِي إِكْرَامَا
مِثْلَمَا جَامَلُوا الْمُلُوكَ الْعِظَامَا
وَيُوبِيْلِي يَدُومُ فِي النَّاسِ عَامَا

وَيَعِي مَا تُسِرُّهُ مِنْ كَلَامٍ
وَلَقَدْ أَضْحَكُ الْعَبُوسَ بِيَوْمٍ
وَأَهْنِي عَلَى النَّوَى وَأُعْزِّي
وَجَزَائِي عَنْ خِدْمَتِي وَوَفَائِي
رُبَّ عَبْدٍ قَدْ اشْتَرَانِي بِمَالٍ
عَرَفَ الْقَوْمُ فِي (جَنِيْفَا) مَحَلِّي
جَامَلُونِي إِذْ تَمَّ لِي رُبْعُ قَرْنٍ
وَيُوبِيْلُ الْمُلُوكِ يَلْبَثُ يَوْمًا

الطَّيَّارُونَ الْفَرَنْسِيُّونَ

مَلَكَ الْقَوْمُ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا
أَسْرَجُوا الرِّيحَ، وَسَامُوهَا اللَّجَامَا^{٥٠٦}
أَيَّةٌ لِلْعِلْمِ آتَاهَا الْأَنَامَا
أَصْبَحَتْ حِصَّةً مَنْ جَدَّ اعْتِمَامَا
مِنْ عِفَارِيَتِكَ يُدْعَى (شَاتِهَامَا)
ضَرَبَ الرِّيحَ بِسَوْطٍ وَالْغَمَامَا
جَمَعَتْ شَهْمًا، وَنَدْبًا، وَهَمَامَا^{٥٠٧}
مَا يُبَالُونَ: حَيَاةً، أَمْ حِمَامَا
نَزَلُوا، أَمْ حُفَرَاتٍ وَرَغَامَا^{٥٠٨}
عَبَسَتْ كَارِثَةٌ زَادُوا ابْتِسَامَا
جَمَعَ أَمْلَاكٍ عَلَى الْخَيْلِ تَسَامِي
هَلْ رَأَيْتَ الطَّيْرَ قَدْ رَفَّ وَحَامَا؟^{٥٠٩}
بِجَنَاحِيهِ كَمَا رُغَتْ النَّعَامَا
فَنَسُورًا، فَصُقُورًا، فَحَمَامَا
سَبَحَ الْحُوتُ بَدَأْمَاءٍ، وَعَامَا^{٥١٢}
طَارَدَ «النَّسْرُ» عَلَى الْجَوِّ الْقُطَامَا^{٥١٣}

قَمٌ (سَلِيمَانُ)، بِسَاطِ الرِّيحِ قَامَا
حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِهِمْ
صَارَ مَا كَانَ لَكُمْ مُعْجِزَةً
قُدْرَةٌ كُنْتَ بِهَا مُنْفَرِدًا
(عَيْنُ شَمْسٍ) قَامَ فِيهَا مَارِدٌ
يَمَلَأُ الْجَوَّ عَزِيفًا كَلَّمَا
مَلَكَ الْجَوَّ تَلِيهِ عَضْبَةٌ
اسْتَوَوْا فَوْقَ «مَنَاطِيْدِهِمْ»
وَقَبُورًا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا
مُطَمَّئِنِّينَ نَفُوسًا، كَلَّمَا
صَهْوَةً الْعِزِّ اعْتَلَوْا، تَحْسِبُهُمْ
رَفَعُوا «لَوْلَبَهَا»، فَاَنْدَفَعَتْ
شَالَ^{٥١٠} بِالْأَذْنَابِ كُلُّ، وَرَمَى
نَهَبَتْ تَسْمُو، فَكَانَتْ أَعْقَبًا^{٥١١}
تَنْبَرِي فِي زَرْقِ الْأَفْقِ، كَمَا
بَعْضُهَا فِي طَلَبِ الْبَعْضِ، كَمَا

أرسلت من جانب الأرض سهاما
تُنذِرُ الناسَ نُشورًا وقيامًا^{٥١٥}
وهو بالجَوْجُوِّ ما ضِ يترامى؟
أم مَقَرُّ الحَوْلِ^{٥١٨} في بعض القُدَامَى؟^{٥١٩}
يَزِنُ الجِسْمَ هُبوطًا وقيامًا؟
تكشفان الجَوَّ غِيثًا أم جَهامًا؟^{٥٢٠}
نفذت في الريح دَفْعًا واستلامًا؟
يوم ألقته وما جاز الفطامًا؟
دونه في الناس بالوُلْدِ اهتمامًا!
لم يَنْزِلْ فَهَمًّا، ولم يُعْطِ الكَلَمَا
وابتغاهما من رأى الدَّهْرَ غُلامًا
«وابنِ فَرْنائِسِ»، فما اسطاعا قيامًا
شهداءُ العلمِ أعلامُهُم مَقامًا
يَبْعَثُ اللُّهُ بِهِم عامًّا فعامًا
تملأُ الملكَ جمالًا ونظامًا

ويراها عالَمٌ في زُحَلِ^{٥١٤}
أو نجومًا ذاتِ أذنانٍ بدتْ
أترى القوَّةَ في جُوجُوهِ^{٥١٦}
أم تراها في الخوافي^{٥١٧} حَفِيَّتْ
أم ذُناباه إذا حَرَكه
أم بعينيه إذا ما جالتا
أم بأظفار إذا شَبَّكها
أم أمدَّتْهُ بروحِ أمه
فتلقاه أب، كم من أب
فَلَكِيٌّ هو، إلا أنه
طَلِبَةٌ قد رامها أباؤنا
أسقطتْ «إيكار» في تَجْرِيَّةِ
في سبيلِ المجدِ أودى نَفَرٌ
خلفاءُ الرُّسُلِ في الأرضِ همو
قطرةً من دمهم في مُلكه

فاجعل الخيرَ بناديها لزاما
فتعالَتْ تُمَطِرُ الموتَ الزُّوما
رحمةً منك، وعدلاً، وانتقاما

رَبِّ، إن كانت لخيرٍ جُعِلَتْ
وإن اعتزَّ بها البَشَرُ غداً
فاملأُ الجَوَّ عليها رُجْمًا

لكِ عند العلمِ والفرنِّ جُساما
لَقِيَتْ إلا نعيمًا وسلاما
سامرَ الأحياءِ فيها والنِّيَاما
إنَّ «للسَّينِ» - وإن جار - نِماما
كانت الشَّهَدُ، وأحبابًا كرامًا
تحملُ الأشواقَ عنكم والغراما

يا «فرنسا»، لا عَدِمنا مِننا
لطف اللُّهُ «بباريس»، ولا
رَوَعَتْ قلبي خُطوبُ رَوَعَتْ
أنا لا أدعو على «سين» طَغَى
لستُ بالناسي عليه عيشةً
اجعلوها رُسُلَكُم أهلَ الهوى

واستعيروها جَنَاحًا طالما
يَحْمِلُ الْمُضْنَى إِلَى أَرْضِ الْهَوَى
شَغَفَ الصَّبِّ وَشَاقَ الْمَسْتَهَامَا
«يَمَنَّا» حَلَّ هَوَاهُ، أَمْ «شَامَا»

أَرْكَبُ اللَّيْثَ، وَلَا أَرْكَبُهَا
غَدَرْتُ «جِيْرُونَ»، لَمْ تَحْفَلْ بِهِ
وَقَعْتُ نَاحِيَةً، فَاحْتَرَقْتُ
رَاضَهَا بِالْيُمْنِ مِنْ طَلْعَتِهِ
وَأَرَى لَيْثَ الشَّرَى أَوْفَى زِمَامَا
رَبِمَا حَاوَلَ مِنْ فَوْزٍ وَرَامَا
مِثْلَ قُرْصِ الشَّمْسِ بِالْأَفْقِ اضْطَرَامَا
خَيْرٌ مَنْ حَجَّ، وَمَنْ صَلَّى، وَصَامَا
خَرَّتِ النَّارُ خُشُوعًا وَاحْتَرَامَا
كَخَلِيلِ اللَّهِ، فِي حَضْرَتِهِ

مَا (لِرُوحِي) صَاعِدًا مَا يَنْتَهِي؟
كَلَّمَا دَارَ بِهِ دَوْرَتَهُ
أَنَا لَوْ نِلْتُ الَّذِي قَدْ نَالَه
هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا حَسَدًا
أُتْرَاهُ آثَرَ الْجَوِّ، فَزَامَا؟
أَبَدَتِ الرِّيحُ امْتِثَالًا وَارْتِسَامَا
مَا هَبِطَتْ الْأَرْضُ أَرْضَاهَا مُقَامَا
وَرِيَاءً، وَنِرَاعًا، وَخِصَامَا؟

مُلْكُ هَذَا الْجَوِّ فِي مَنَعَتِهِ
حَسَدَ الْإِنْسَانِ سِرْبِيهِ^{٥٢١} بِمَا
دَخَلَ الْعُشَّ عَلَى «أَنْسُرِهِ»
أَيْهَا الشَّرْقِ، انْتَبَهَ مِنْ غَفْلَةٍ
لَا تَقُولَنَّ: عِظَامِي أَنَا
شَاقَتِ الْعُلِيَاءَ فِيهِ خَلْقًا
كُلَّ حَيْنٍ مِنْهُمْ نَابِغَةٌ
طالما للنَّجْمِ وَالطَّيْرِ اسْتِقَامَا
أَوْتِيَا فِي ذُرُوقِ الْعَزِّ اعْتِصَامَا
أُتْرَى يَغْشَى مِنَ النَّجْمِ السَّنَامَا؟^{٥٢٢}
مَاتَ مَنْ فِي طُرُقَاتِ السَّيْلِ نَامَا
فِي زَمَانٍ كَانَ لِلنَّاسِ عِصَامَا
لَيْسَ يَأْلُوهَا طِلَابًا وَاغْتِنَامَا
يَفْضَلُ الْبَدْرَ بِهَاءً وَتَمَامَا

خَالِقَ الْعُضْفُورِ، حَيَّرَتْ بِهِ
أَفْنَوْا النَّقْدَيْنِ فِي تَقْلِيدِهِ
أَمَّمَا بَادُوا وَمَا نَالُوا الْمَرَامَا
وَهُوَ كَالدَّرْهِمِ رِيْشًا وَعِظَامَا

وَصْفُ مَرْقِصٍ

وقال يصف «البال» الخديوي الذي أُقيم سنة ١٩٠٣ بسراي عابدين

طال عليها القَدَمُ
 قد وُئِدَتْ في الصُّبَا^{٥٢٣}
 بالِغَ فِرْعَوْنَ في
 أَهْرَقَ عُنُقُودَهَا
 حَبَّأَهَا كَاهِنٌ
 اكْتَشِفَتْ فَا مَحَتْ^{٥٢٤}
 أو كخيال لها
 نَمَّ بِهَا دَنْهَا
 بي رَشَأُ نَاعِمٌ^{٥٢٨}
 أَخْرَجَهَا اللُّهُ كَالِ
 تَخَطَّرُ عن عَادِلٍ
 تَبَسُّمٌ عن لَوْلِي
 كَرَّمَهُ في النَّوَى
 مُضْطَهَدٌ خَصْرُهَا
 طَاوَعَ مِنْ صَدْرِهَا
 حَمَلَهُ ثِقْلَهُ
 تَسْأَلُ أَتْرَابَهَا
 أَيُّ فِتَى ذَلِكُ
 يَشْرِبُهَا سَاهِرًا
 قُلْنَ: تَجَاهَلْتَهُ
 شَاعِرٌ مِصْرَ الَّذِي
 قَلْتُ لَهَا: لَيْتَ لِمِ
 عَاذَلْتِي في الطَّلَى^{٥٢٣}
 إن عَبَسَ العَيْشُ لي
 فهي وجودٌ عَدَمٌ
 وانبعثت في الهَرَمِ
 كَرَّمَتْهَا من كَرَمِ
 تَقْدِيمَةً للصنمِ
 نَاجِيَةً في (الهَرَمِ)
 غَيْرَ شَدَا^{٥٢٥} أو ضَرَمَ^{٥٢٦}
 بعد متابٍ أَلَمَ^{٥٢٧}
 وهِيَ عليه أَنَمٌ
 ما عرف العَمْرَ هَمٌ
 زَهْرَةَ، والحسنُ كِمٌ^{٥٢٩}
 لم يُرَ إلا ظَلَمَ
 قَدَّرَهُ مَنْ قَسَمَ
 هَذَبَهُ في اليَتَمِ^{٥٣٠}
 جَانِبُهُ مُهْتَضَمٌ
 أَيُّ قَوِيٍّ حَكَمَ
 ثُمَّ عليه ادَّعَمَ^{٥٣١}
 مُؤَمِّنَةً بالعَنَمِ^{٥٣٢}
 نَّ العَرَبِي العَلَمُ؟
 لَيْلَتَهُ لِمِ يَنَمِ
 ذَلِكُ رَبُّ القَلَمِ
 لو حَفِي النَّجْمُ لَمِ
 نُزَمَ وفي نُتَّهَمِ
 لو أَنْصَفْتُ لِمِ أَلَمِ
 عُدْتُ بِهَا فَابْتَسَمِ

يَشْرِبُهَا كَابِرٌ^{٥٣٤} يَبْذُلُ، إِلَّا النَّهْيَ
 بَيْنَ ضُلُوعِي أَشَمَّ يَكْسِبُهَا خُلُقَهُ
 يَهْتِكُ، إِلَّا الْحَرَمَ يَمْنَعُهَا حِلْمَهُ
 يَمزُجُهَا بِالشَّيْمِ تَلِكُ شَمُوسُ الدُّجَى
 إِنْ دَفَعْتَهُ احْتَشَمَ تُقْبِلُ فِي مَوْكِبِ
 أَمْ ظَبِيَّاتُ الْخَيْمِ؟ خِلْتُ بِأَنْوَارِهِ
 شَقَّ سِنَاهِ الظُّلَمِ مَقْصِدُهَا سُدَّةٌ
 قَرْنَ ذُكَاةٍ نَجْمٍ^{٥٣٥} حَيْثُ كِبَارُ الْمَلَا
 آلَ إِلَيْهَا الْعِظَمِ قَدْ وَقَفُوا لِلْمَهَا
 بَعْضُ صِغَارِ الْخَدَمِ تَخْطِرُ مِنْ جَمْعِهِمْ
 فَانَسَرِبْتُ^{٥٣٦} مِنْ أُمَّمٍ خَارِجَةً مِنْ شَرِيٍّ
 بَيْنَ لِيوِثٍ بِهِمْ^{٥٣٨} نَاعِمَةٌ لَمْ تُرْعَ
 دَاخِلَةٌ فِي أَجْمٍ انْتَثَرَتْ لَوْلَا
 لَاهِيَةٌ لَمْ تَجْمُ تَمَرِحُ فِي مَأْمَنِ
 فِي الْمُهْجَاتِ انْتَضَمَ مُؤْتَلَفٌ سَرِبُهَا
 مِثْلَ حَمَامِ الْحَرَمِ مَنْدَفَعَاتٌ عَلَى
 حَيْثُ تَلَاقَى التَّامِ بَيْنَ يَدٍ فِي يَدٍ
 مَخْتَلِفَاتِ النَّعْمِ تَذْهَبُ مَشْيَ الْقَطَا
 أَوْ قَدَمٍ فِي قَدَمٍ تَبْعَتْ أَنْى بَدَتْ
 تَرْجِعُ كَرَّ النَّسَمِ تَعْجَلُ خَطْوًا تَنِي^{٥٣٩}
 ضَوْءَ جَبِينٍ وَفَمَ تَجْمَعُ مِنْ ذَيْلِهَا
 فَاتِنَةَ بِالرَّسْمِ^{٥٤٠} تَرْفَلُ فِي مُخْمَلٍ
 تَتْرَكُهُ لَمْ يُلَمَّ تَتَّبِعْ. إِلَّا الْهُوَى
 نَمَّ وَلَمَّا يَنْبَمُ فَاجْتَمَعَتْ فَالْتَقَتْ
 تَقَرَّبُ، إِلَّا أَلْتُهُمْ مُنْتَهَبٌ كَلَّمَا
 حَوْلَ خِوَانِ نُظْمِ مَائِدَةٌ مَدَّهَا
 ظُنَّ بِهِ النَّقْصُ تَمَّ بِحَرِّ نَوَالٍ خِضْمُ

تحسبها صوّرت
 لم تُر في (بابل)
 (حاتم) لو شامها
 (معن) لو انتابها
 أشبه بالبحر، لا
 قام لديها الملا
 مقترحا ما انتهى
 لو طلب الطير من
 يا ملكا لم تضق
 تجمع أشرافها
 تُخاطر من أمها
 سادة أفريقيا
 أنت رشيد العلي
 ليلتكم قدرها
 مشرقة، مثلها
 لا برح الصفو في
 ما شربوها وما
 من شهوات النهم
 ما عهدت في (إرم)
 أقلع عما زعم
 أدرك معنى الكرم
 يُحرجها مُزْدَحَم
 يبلغ ألفين ثم
 ملتقيا ما رسم
 أيكته ما احترم^{٥٤١}
 ساحتة بالأمم
 من غريب أو عجم
 بين صنوف النعم
 لُجَّتْهَا وَالْأَكْم
 فِي الْمَلَائِينَ احْتَكِم^{٥٤٢}
 فوق غوالي القيم
 في زمنٍ لم يقم
 ظلِّكمو يُغْتَنَم
 طال عليها القدم

توت عنخ آمون وحضارة عصره

دَرَجَتْ عَلَى الْكَنْزِ الْقُرُونُ
 خَيْرُ السِّیُوفِ مَضَى الزَّمَا
 فِي مَنْزِلٍ كَمَحَجَبِ الْـ
 حَتَّى أَتَى الْعِلْمُ الْجَسُو
 وَالْعِلْمُ (بَدْرِيٌّ)،^{٥٤٦} أَجـ
 هَتَكَ الْجِبَالَ^{٥٤٧} عَلَى الْحِضَا
 وَانْدَسَّ كَالْمِصْبَاحِ فِي
 وَأَتَتْ عَلَى الدَّنِّ السُّنُونُ^{٥٤٣}
 نٌ عَلَيْهِ فِي خَيْرِ الْجَفُونِ^{٥٤٤}
 غَيْبٍ اسْتَسَرَّ عَنِ الظَّنُونِ^{٥٤٥}
 رُ فْفَضَّ خَاتَمَهُ الْمَصُونِ
 لَ لِأَهْلِهِ مَا يَصْنَعُونَ
 رة، وَالْحُدُورَ عَلَى الْفَنُونِ
 حُفِّرَ مِنَ الْأَجْدَاثِ جُونِ^{٥٤٨}

حُجِرٌ مُمَرَّدَةٌ^{٥٤٩} المعَا
لا تهتدي الريحُ الهَبُو
قل في الثرى، شُمَّ الحُصُونِ
بُ لها، ولا الغيثُ الهَتُونِ
وَالقَبْرِ كَالدُّنْيَا يَخُونِ
خانت أمانةَ جارِها

يا ابنَ الثواقِبِ من (رَعِ)
نَسَبُ عَرِيْقُ فِي الضُّحَى
أرأيتَ كيفَ يئُوبُ من
وتَدولُ آثارُ القُروِ
حُبُّ الخلودِ بَنَى لِكَمِ
لم يأخِذِ المتقدِّمو
حتى تسابقتم إلى إلإِ
لم تتركوه في الجليـ
هذا القيامُ، فقل لنا: الـ
البعثُ غايَةُ زائلِ
السَّبْقُ من عاداتِكُم
أنتم أساطينُ الحضَا
المتقنون، وإنما

وابنَ الزَّواهرِ من (أْمُونِ)^{٥٥٠}
بَدَّ القَبائلَ والبُطونِ
عَمِرِ القِضاءِ المُغرِقون؟
ن، على رَحَى الزَّمنِ الطَّحون؟
خُلُقًا به تَتَفَرَّدون
ن به، ولا المتأخرون
حسان فيما تعملون
ل ولا الحَقيرِ من الشُّونِ
يَوْمُ الأخيرِ متى يكون؟
فان، وأنتم خالِدون
أَترى القيامَةَ تَسْبِقون؟
رَةَ والبُناةُ المحسِنون
يُجزَى الخلودَ المتقنون

أَنْزَلتَ حُفْرَةَ هَالِكِ
أَم فِي مِكانِ بَينَ ذِ
هو من قَبورِ المُتَلَفِ
لم يَبقُ غالٍ في الحضَا
ميتٌ تُحيطُ به الحِيا
وذخائرٌ من أعْصِرِ وألـ
حملتُ على العَجَبِ الزَّما
فتلَفَّتتُ (باريسُ) تَحـ

أَم حِجرَةَ المَلِكِ المَكِينِ؟
لِكَ يُدهِشُ المتأملين؟
ين، ومن قِصورِ المُتَرَفينِ
رَةَ لم يَحْزُهُ، ولا تَمينِ
ة، زمانُهُ معه دَفينِ
ت، ومن دُنْيا ودينِ
نَ وأهلَهُ المِستَكْبِرينِ
سَبُّ أنها صنَعُ البَنينِ

تذهبُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ لِمِ اسْتَحْدَثْتُ لَكَ جَنْدَلًا
وَصَفَائِحًا مِنْهُ الْقِيُونَ^{٥٥١} وَنَوَاطِسًا^{٥٥٢} وَهَاجَةً
لَوْ يَفْطِنُ الْمَوْتَى لَهَا وَتَنَازَعُوا الذَّهَبَ الَّذِي

أَكْفَانُ وَشِيٌّ فَصَلَّتْ بِرَقَائِقِ الذَّهَبِ الْفَتِينِ^{٥٥٣}
قَدْ لَفَّهَا لَفَّ الضَّمَامِ بِمُحَانِطِ آسِ رَزِينِ
وَكَأَنَّكَ الْوَرْدُ الْجَنِينِ وَبِكَلِّ زَاوِيَةِ رَقِيمِ^{٥٥٤}
وَتَرَى الدَّمَى، فَتَخَالِهَا أَنْ تَتَثَرَّتْ عَلَى جَنْبَاتِ زُونِ^{٥٥٥}
صُورٌ تَرِيكَ تَحَرُّكًا وَالْأَصْلُ فِي الصُّورِ السُّكُونِ
وَيَمْرٌ رَائِعٌ صَمَّتِهَا بِالْحَسِّ كَالنُّطْقِ الْمُبِينِ
صَحَبَ الزَّمَانَ دِهَانُهَا حَيًّا عَهِيدًا بَعْدَ حِينِ^{٥٥٦}
غَضُّ عَلَى طَوْلِ الْبِلَى حَيٌّ عَلَى طَوْلِ الْمَنُونِ
خَدَعَ الْعَيُونََ وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى تَحَدَّى اللَّامِسِينَ
غِلْمَانُ قَضْرِكَ فِي الرُّكَا بِ يُنَاوِلُونَ، وَيَطْرُدُونَ^{٥٥٧}
وَالْبُوقُ يَهْتَفُ، وَالسُّهَا مُ تَرْنُ، وَالْقَوْسُ الْحَنُونِ
وَكِلَابٌ صَيْدِكَ لُهْثٌ وَالْوَحْشُ تَنْفِرُ فِي السُّهُوِ
وَالطَّيْرُ تَرُسْفُ فِي الْجِرَا حِ، وَفِي مَنَاقِرِهَا أَنْيْنِ
وَكَأَنَّ آبَاءَ الْبَرِيِّ سِةً فِي الْمَدَائِنِ مُحَضَّرُونَ
وَكَأَنَّ دَوْلَةَ (آلِ شَمِ سِ) عَنِ شِمَالِكَ وَالْيَمِينِ^{٥٥٨}

مَلِكِ الْمَلُوكِ، تَحِيَّةً
هَذَا الْمَقَامِ عَرَفْتُهُ
وَوَقَفْتُ فِي آثَارِكُمْ
وَبَنَيْتُ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ
سَالَتْ عَيُونُ قِصَائِدِي
أَقْعَدْتُ جِيلاً لِلْهَوَى
كَنْتُمْ خِيَالُ الْمَجْدِ يُرُ
وَكَمْ اسْتَعْرَتَ جَلَالَكُمْ
تَاجُ تَنْقَلُ فِي الْخِيَا
خَرَزَاتِهِ السِّيفُ الصَّقِيْبُ

وَوَلَاءَ مُحْتَفِظِ أَمِينِ
وَسَبَقْتُ فِيهِ الْقَائِلِينَ
أَزْنَ الْجَلَالَ وَأُسْتَبِينَ
أَحَارِهَا شَعْرِي الرُّصِينِ
وَجَرَى مِنْ الْحَجَرِ الْمَعِينِ
وَأَقَمْتُ جِيلاً آخِرِينَ
فُعَ لِلشَّبَابِ الطَامِحِينَ
لِمَحْمَدٍ وَالْمَالِكِينَ^{٥٥٩}
لِ، فَمَا اسْتَقَرَّ عَلَى جَبِينِ
لُ يَشُدُّهُ الرَّمْحُ السَّنِينِ

قُلْ لِي: أَحِينِ بَدَا الثَّرَى
أَنْسَتَ مُلْكًا لَيْسَ بِالشَا
الْبَرُّ مَغْلُوبُ الْقَنَا
لَمَّا نَظَرْتَ إِلَى الدِيَا
لَمْ تَلَقْ حَوْلَكَ غَيْرَ (كُر)
أَقْبَلْتَ مِنْ حُجْبِ الْجَلَا
تَاجُ الْحَضَارَةِ حِينَ أَشْر
وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَمْ يَرَوْ

لَكَ، هَلْ جَزَعْتَ عَلَى الْعَرِينِ؟
كِي السَّلَاحِ، وَلَا الْحَصِينِ
وَالْبَحْرُ مَسْلُوبُ السِّفِينِ
رِ صَدَفَتْ بِالْقَلْبِ الْحَزِينِ^{٥٦٠}
تَرَ)، وَالنُّطَاسِيَّ الْمُعِينِ!
لِ عَلَى قَبِيلِ مُعْرَضِينَ
قِ لَمْ يَجِدْهُمْ حَافِلِينَ
هُ مِنْ قَرُونٍ أَرْبَعِينَ

قَسَمًا بِمَنْ يُحْيِي الْعِظَا
لَوْ كَانَ مِنْ سَفَرٍ إِيَا
أَوْ كَانَ بَعَثُكَ مِنْ دَبِيـ
وَطَلَعْتَ مِنْ وَايِ الْمَلُو
الْخَيْلُ حَوْلَكَ فِي الْجَلَا
وَعَلَى نَجَادِكَ هَالْتَا

مَ، وَلَا أَزِيدُكَ مِنْ يَمِينِ
بُكَ أَمْسِ، أَوْ فَتَحِ مُبِينِ
بِ الرُّوْحِ، أَوْ نَبْضِ الْوَتِينِ
كِ، عَلَيْكَ غَارُ الْفَاتِحِينَ
لِ الْعَسْجَدِيَّةِ يَنْثَنِينَ^{٥٦١}
نِ مِنْ الْقَنَا، وَالذَّارِعِينَ

والجندُ يدفعُ في رِكا
لرأيتَ جيلاً غيرَ جيـ
ورأيتَ محكومين قد
روحُ الزَّمانِ ونَظْمُه
إن الزمانَ وأهلَه
فإذا رأيتَ مَشايحًا
لاقَ الزمانَ، تَجْدَهُمُو
هَمُ في الأواخِرِ مَوْلِدًا
بِكَ بالملوكِ مُصَفِّدين
لِكَ، بالجبابِرِ لا يَدِين
نصبوا، ورَدُّوا الحاكمين
وسبيلُه في الآخرين
فرَغا من الفردِ اللعين
أو فِتيةً لك ساجدين
عن رُكْبِه مُتخَلِّفين
وعقولُهم في الأولين!

دِمَشْق

مَشَّتْ على الرَّسَمِ أحداثٌ وأزمان
رَثَّ الصحائفِ، باقٍ منه عُنوان
منه، وسائره دُنْيَا وبُهتان
إِلَّا قرائحُ مِن رادٍ وأذهان^{٥٦٤}
وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا^{٥٦٥}
فهل سألتَ سَريِرَ الغربِ: ما كانوا؟
في كلِّ ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان
سَرى به الهَمُّ، أو عادته أشجان
واليومَ دمعي على (الفَيْحَاءِ) هَتَّان^{٥٦٧}
ونِيَّراتٍ، وأنواءٍ، وعقبان
لو هانَ في تُرْبِه الإبريزُ ما هانوا
ولا زَهتُ ببني العَبَّاسِ بَغدان^{٥٦٩}
هل في المُصَلَّى أو المحرابِ (مَروان)؟
على المنابرِ أحرارٌ وعبدان
إذا تعالَى، ولا الآذَانُ آذان

قم ناجِ جِلْقٍ،^{٥٦٢} وأنشدُ رسَمَ مَنْ بانوا
هذا الأديمُ^{٥٦٣} كتابٌ لا كِفَاءَ له
الدَّيْنُ والوَحْيُ والأخلاقُ طائفةٌ
ما فيه إن قَلْبَتِ يومًا جواهره
بنو أُمَيَّةَ لِلأنبياءِ ما فتحوا
كانوا ملوكًا، سَريِرُ الشرقِ تَحْتَهُمُ
عالينَ كالشمسِ في أطرافِ دولتها
يا ويحَ قَلْبِي! مهما انتابَ أَرَسَمَهُمُ
بالأمسِ قمتُ على (الرَّهراءِ)^{٥٦٦} أندبهم
في الأرضِ منهم سماواتٌ، وألويَّةٌ
معادنُ العزِّ قد مالَ الرِّغامُ^{٥٦٨} بهم
لولا دِمَشْقُ لَمَا كانت (طَلَيْطَلَةٌ)
مَررتُ بالمسجدِ المَحْزُونِ أسأله
تَغْيِرَ المسجدِ المَحْزُونِ، واختَلَفَتْ
فلا الآذَانُ آذانٌ في منارته

دمشوق رَوْحُ، وَجَنَّاتُ، وَرِيحَان
الأَرْضُ دَارٌ لَهَا (الْفِيحَاءُ) بستان
كما تَلَقَّكَ دُونَ الخُلْدِ رضوان
والشمسُ فوق لُجَيْنِ المَاءِ عَقْبَانٌ^{٥٧١}
حورٌ^{٥٧٢} كَوَاشِفُ عن ساقِ، وولدان
السَّاقِ كَاسِيَّةٌ، والنحرُ عُرِيَان
وللعيونُ كما لِلطَّيْرِ أَلْحَان
أفوافُه، فَهُوَ أَصْبَاغٌ وَأَلْوَانٌ^{٥٧٤}
لدى ستورِ، حَواشِيهِنَّ أَفْنَان
جَفَّتْ من المَاءِ أذْيَالٌ وَأردانٌ^{٥٧٧}
نُبَّتْ أن طَرِيقَ الخُلْدِ لُبْنَان
فيها النَّدى، وبها (طَيِّ) (وَشَيْبَان) ^{٥٧٨}
أبَاؤُهُم في شَبَابِ الدَّهْرِ عَسَانٌ^{٥٨٠}
من (عبد شمس) ^{٥٨٢} وإن لم تَبْقَ تِيجان
لو أن إِحْسَانَكُمْ يَجْزِيهِ شُكْرَان
ولا كأوطانكم في البشرِ أوطان
فهل لها قِيَمٌ منكم وَجَنَّان؟ ^{٥٨٤}
فالمَلِكُ غَرَسٌ، وتجديدُ، وبنيان
لآبَ بالواحد المَبْكِي تَكْلَان
وَأَنْ يَبِينَ على الأَعْمَالِ إِتْقَان
لمطلبٍ فيه إِصْلَاحٌ وَعُمْرَان
وتحت عَقْلٍ على جَنْبِيهِ عِرْفَان
تَفَرَّقَتْ فيه أَجْناسٌ وَأديان

أَمَنْتُ بالله، وَاسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ
قال الرفاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمائِلُهَا:
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا (بَرْدَى) ^{٥٧٠}
دَخَلْتُهَا وَحَواشِيهَا زُمُرْدَةٌ
والحورُ في (دُمُر)، ^{٥٧٢} أو حَوْلَ (هاَمَتِهَا)
و(رَبْوَةٌ) الوادِ في جِلْبَابٍ راقِصَةٍ
والطيرُ تَصْدَحُ من خَلْفِ العيونِ بِهَا
وَأَقْبَلْتُ بِالنَّبَاتِ الأَرْضِ مُخْتَلِفًا
وقد صَفَّا (بَرْدَى) لِلرَّيْحِ، فابْتَرَدَتْ ^{٥٧٥}
ثم انْتَنَتْ لم يزل عنها البلال، ^{٥٧٦} ولا
خَلَّفَتْ (لُبْنَانَ) جَنَّاتِ النعيمِ، وما
حتى انْحَدَرْتُ إلى فيحاءٍ وارفَةٍ
نزلتُ فيها بِفَتِيانٍ ^{٥٧٩} جَاحِجَةٍ
بِیضِ الأَسْرَةِ، ^{٥٨١} باقٍ فِيهِمْ صَيْدٌ ^{٥٨٢}
يا فتيّةَ الشامِ، شُكْرًا لا انْقِضَاءَ لَهُ
ما فوقَ راحاتِكُمْ يَوْمَ السَّماحِ يَدٌ
خَمِيلَةٌ اللهُ وَشَتَّها يَدَاهُ لَكُمْ
شِيدُوا لَهَا المَلِكُ، وابتنوا رَكْنَ دَوْلَتِهَا
لو يُرْجَعُ الدَّهْرُ مَفْقُودًا لَهُ خَطْرٌ
المَلِكُ أَنْ تَعْمَلُوا ما اسطَعْنَمُوا عَمَلًا
المَلِكُ أَنْ تُخْرِجَ الأَمْوالُ نَاشِطَةً
المَلِكُ تَحْتَ لِسَانِ حَوْلِهِ أَدبٌ
المَلِكُ أَنْ تَتَلَقَّوا في هوى وَطَنِ

وَالنُّصْحُ خالِصُهُ دِينٌ وَإيمان
أو حِكْمَةٌ، فَهُوَ تَقْطِيعٌ وَأوزان
ونحن في الجُرحِ والأَلامِ إِخْوان

نصيحةٌ مَلُؤُها الإِخْلاصُ، صادِقَةٌ
والشُّعْرُ ما لم يكن ذَكَرَى وعاطِفَةٌ
ونحن في الشَّرْقِ وَالْفَصْحَى بنو رَحْم

أَخْتُ أَمِينَةَ

(وقال وقد رأى في الفلك وهي ترجع به إلى مصر طفلةً فيها من كريمته أمانةً مشابهة):

هذه نورُ السفينه	هذه شِبُهْ (أَمِينَه)
هذه صورتُها مُنْ	بئثُ عنها مُبِينَه
هذه لؤلؤةٌ عنـ	دي لها مثْلُ ثَمِينَه
من بناتِ الرومِ، لكن	لم تكن عندي مَهِينَه
أنا مَنْ يترك للديـ	ان في الدُّنيا شُثُونَه
يا مَلَاكَ الْفُلْكِ، لي صِنْدُ	وُك في تلك المدينة ^{٥٨٥}
أنتِ في الْفُلْكِ بَهَاءُ	وهو في (حُلْوَان) زِينَه
ناجِه، واذكُرْ له وَجْ	دَ أَبِيه، وَحَنِينَه
وأفدُه: إنني في الـ	بحر مذ دُستُ عَرِينَه
لستُ بالنفسِ صَنِينًا	وبه نفسي صَنِينَه
أسألُ الرحمنَ يُرْعِي	كَ وَإِيَّاهُ عُيُونَه

أُنْدُلُسِيَّةٌ

نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف كثيرًا من مشاهدته ومعاهده

يا نائح (الطلح)، ^{٥٨٦} أشباهُ عَوَادِينَا ^{٥٨٧}	نَشْجِي لِوَادِيكَ، أَمْ نَأْسَى لَوَادِينَا؟
ماذا تَقْصُ عَلِينَا غَيْرَ أَنْ يَدَا	قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا؟
رمى بنا البينُ أَيَّكَ غَيْرَ سَامِرْنَا	— أَمَا الْغَرِيبَ — وَظِلًّا غَيْرَ نَادِينَا
كُلُّ رَمْتِهِ النَّوَى: رِيَشُ ^{٥٨٨} الْفِرَاقِ لَنَا	سَهْمًا، وَسَلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سِغِينَا
إذا دعا الشوقُ لم نَبْرُحْ بِمُنْصَدِعِ	من الجناحين عِيٌّ لَا يُلَبِّبُنَا
فإن يَكُ الْجِنْسُ يَا ابْنَ الطَّلْحِ فَرَّقَنَا	إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنُ الْمُصَابِينَا
لم تَأَلْ مَاءَكَ تَحْنَانًا، وَلَا ظَمًّا	وَلَا ادِّكَارًا ^{٥٨٩} وَلَا شَجْوًا أَفَانِينَا ^{٥٩٠}
تَجُرُّ مِنْ فَنَنِ ^{٥٩١} سَاقًا إِلَى فَنَنِ	وَتَسْحَبُ الذَّيْلَ تَرْتَادُ الْمُؤَاسِينَا
أَسَاءَ ^{٥٩٢} جِسْمِكَ شَتَّى حِينَ تَطْلُبُهُمْ	فَمَنْ لِرَوْحِكَ بِالنُّطْسِ ^{٥٩٣} الْمُدَاوِينَا؟

أَهَا لَنَا نَاذِحِي أَيُّكَ^{٥٩٤} بِأَنْدَلِيسِ
رَسْمٌ وَقَفْنَا عَلَى رَسْمِ الْوَفَاءِ لَهُ
لِفَتْيَةِ لَا تَنَالِ الْأَرْضُ أَدْمَعَهُمْ
لَوْ لَمْ يَسُودُوا بِدِينٍ فِيهِ مَنبَهَةٌ^{٥٩٧}
لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ
لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نُسْخَتُهُ
نَسَقِي ثَرَاهُمْ ثَنَاءً، كُلَّمَا نُثِرْتُ
كَادَتْ عَيُونٌ قَوَافِينَا تُحَرِّكُهُ
لَكِنَّ مَصَرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَّةٍ^{٦٠٠}
عَلَى جَوَانِبِهَا رَفَّتْ تَمَائِمُنَا
مَلَاعِبُ مَرِحَتْ فِيهَا مَارِبُنَا
وَمَطَّلَعُ لِسُعودٍ مِنْ أَوَاخِرِنَا
بِنَا، فَلَمْ نَخُلْ مِنْ رَوْحِ^{٦٠٣} يَرَاوِحُنَا
كَأَمِّ مُوسَى، عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَكْفُلُنَا
وَمَصْرُ كَالْكَرْمِ نِي الْإِحْسَانِ: فَكَاهَةٌ

وإن حَلَلْنَا رَفِيقًا^{٥٩٥} مِنْ رَوَابِينَا!!
نَجِيشَ بِالذَّمْعِ، وَالْإِجْلَالُ يَثْنِينَا
وَلَا مَفَارِقَهُمْ إِلَّا مُصَلِّينَا^{٥٩٦}
لِلنَّاسِ، كَانَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُهُمْ دِينَا
كَالْخَمْرِ مِنْ (بَابِلِ) سَارَتْ (لَدَارِينَا)^{٥٩٨}
تَمَاتَلُ الْوَرْدِ (خَيْرِيَا) وَ(نَسْرِينَا)^{٥٩٩}
دُمُوعُنَا نُظِمْتُ مِنْهَا مَرَاثِينَا
وَكَدَنْ يُوَقِّطُنْ فِي التُّرْبِ السَّلَاطِينَا
عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا
وَحَوْلَ حَافَاتِهَا قَامَتْ رَوَاقِينَا^{٦٠١}
وَأَرْبُوعٌ أَنْسَتْ فِيهَا أَمَانِينَا
وَمَغْرِبٌ لَجْدُودٍ مِنْ أَوَالِينَا^{٦٠٢}
مِنْ بَرِّ مَصَرَ، وَرِيحَانُ يُغَادِينَا
وَبِاسْمِهِ ذَهَبَتْ فِي الْيَمِّ تَلْقِينَا^{٦٠٤}
لِحَاضِرِينَ، وَأَكْوَابُ لِبَادِينَا

يَا سَارِي الْبَرْقِ يَرْمِي عَنْ جَوَانِحِنَا
لَمَّا تَرَقَّرَقَ فِي دَمْعِ السَّمَاءِ دَمًا
الْلَيْلُ يَشْهَدُ لَمْ نَهْتِكْ دِيَاجِيَهُ
وَالنَّجْمُ لَمْ يَزْنَا إِلَّا عَلَى قَدَمِ
كَزْفَرَةٍ فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ حَائِرَةٍ
بِاللَّهِ إِنْ جُبَّتْ ظِلْمَاءُ الْعُبَابِ عَلَى
تَرْدُ عَنْكَ يَدَاهُ كُلَّ عَادِيَةٍ
حَتَّى حَوَّتْكَ سَمَاءُ النِّيلِ عَالِيَةٍ
وَأَحْرَزْتِكَ شُفُوفُ اللَّازُورِدِ عَلَى

بَعْدَ الْهُدُوءِ، وَيَهْمِي عَنْ مَاقِينَا
هَاجَ الْبِكَا، فَخَضِبْنَا الْأَرْضَ بِأَكِينَا
عَلَى نِيَامٍ، وَلَمْ نَهْتَفْ بِسَالِينَا
قِيَامَ لَيْلِ الْهُوَى، لِلْعَهْدِ رَاعِينَا
مَمَّا نُرَدِّدُ فِيهِ حِينَ يُضْوِينَا
نَجَائِبِ النُّورِ مَحْدُودًا (بَجْرِينَا)
إِنْسًا يَعِثْنَ فِسَادًا، أَوْ شِيَاطِينَا
عَلَى الْغِيُوثِ، وَإِنْ كَانَتْ مَيَامِينَا
وَشِي الزَّبَرْجَدِ مِنْ أَفْوَافِ وَاْدِينَا^{٦٠٥}

الشوقيات

وحازك الرِّيفُ أرجاءُ مُؤرَّجَةً رَبَّتْ خَمَائِلَ، واهتَزَّتْ بسَاتِينَا
فَقِفْ إِلَى النِّيلِ، واهتَفِ فِي خَمَائِلِهِ وَاتَزَلْ كَمَا نَزَلَ الطَّلُّ الرِّيَاحِينَا
وَأَسِ مَا بَاتَ يَدْوِي مِنْ مَنَازِلِنَا بِالْحَادِثَاتِ، وَيَضْوَى مِنْ مَغَانِينَا

وَيَا مُعَطَّرَةَ الوَادِي سَرَّتْ سَحَرًا فَطَابَ كُلُّ طُرُوحٍ مِنْ مَرَامِينَا
ذِكِيَّةَ الدَّيْلِ، لَوْ خِلْنَا غِلَالَتَهَا قَمِيصَ يوسُفَ لَمْ نُحَسَبْ مُغَالِينَا
جَشِمْتَ شَوْكَ السُّرَى حَتَّى أَتَيْتَ لَنَا بِالوَرْدِ كُتْبًا، وَبِالرِّيَا عَنَاوِينَا
فَلَوْ جَزِينَاكَ بِالأُرُوحِ غَالِيَةً عَنْ طِيبِ مَسْرَاكٍ لَمْ تَنْهَضْ جَوَازِينَا
هَلْ مِنْ ذِيولِكَ مِسْكِيٌّ نُحَمِّلُهُ غَرَائِبَ الشُّوقِ وَشَيْئًا مِنْ أَمَالِينَا؟
إِلَى الذِّينِ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرِهِمْ دُنْيَا، وَوَدَّهْمُو الصَّافِي هُوَ الدِّينَا

يَا مَنْ نَعَارُ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَمَائِرِنَا وَمَنْ مَصُونٍ هَوَاهِمٍ فِي تَنَاجِينَا
نَابِ الحَيْنِ إِيكُم فِي خَوَاطِرِنَا عَنِ الدَّلَالِ عَلَيْكُمْ فِي أَمَانِينَا
جئنَا إِلَى الصَّبْرِ نَدْعُوهُ كَعَادَتِنَا فِي النِّائِبَاتِ، فَلَمْ يَأْخُذْ بِأَيْدِينَا
وَمَا غُلِبْنَا عَلَى دَمْعٍ، وَلَا جَلِدٍ حَتَّى أَتْتَنَا نَوَاكُمُ مِنْ صَيَاصِينَا^{٦٠٦}
وَنَابِغِي^{٦٠٧} كَأَنَّ الحَشْرَ آخِرُهُ تُمَيِّتُنَا فِيهِ ذِكْرَاكُم وَتُحْيِينَا
نَطْوِي دُجَاهَ بَجْرَحٍ مِنْ فِرَاقِكُمُو يَكَادُ فِي غَلَسِ الأَسْحَارِ يَطْوِينَا
إِذَا رَسَا النُّجْمُ لَمْ تَرَقًّا مَحَاجِرُنَا حَتَّى يَزُولَ، وَلَمْ تَهْدَأْ تَرَاقِينَا
بَتْنَا نُقَاسِي الدَّوَاهِي مِنْ كَوَاكِبِهِ حَتَّى قَعَدْنَا بِهَا حَسْرَى تُقَاسِينَا
يَبْدُو النِّهَارُ فَيُخَفِّيهِ تَجَلُّدُنَا لِلشَّامَتَيْنِ، وَيَأْسُوهُ تَأْسِينَا

سَقِيًّا لِعَهْدِ كَأَكْنَافِ الرُّبَى رِفَةً^{٦٠٨} أَنَّى زَهَبْنَا، وَأَعْطَافِ الصَّبَا لِينَا
إِذِ الزَّمَانُ بَنَا غَيْنَاءً زَاهِيَةً تَرِفُ أَوْقَاتُنَا فِيهَا رِيَاحِينَا
الْوَصْلُ صَافِيَةً، وَالعَيْشُ نَاغِيَةً وَالسَّعْدُ حَاشِيَةً، وَالدَّهْرُ مَاشِينَا
وَالشَّمْسُ تَحْتَالُ فِي العِقْيَانِ، تَحْسَبُهَا (بَلْقَيْسَ) تَرْفُلُ فِي وَشِيِ الِيمَانِينَا

لو كان فيها وفاءً للمُصَافِينَا
والسَّيْلِ لَو عَفَّ، والمَقْدَارِ لَو دِينَا
مَاءً لَمَسْنَا بِهِ الإِكْسِيرَ، أَوْ طِينَا
عَلَى جَوَانِبِهِ الأَنْوَارُ مِنْ سِينَا
عَهْدُ الكِرَامِ، وَمِيثَاقُ الوَفِيِّينَا
أَلَّا بَأَيِّامِنَا، أَوْ فِي لِيَالِينَا
مَنَا جِيَادًا، وَلَا أَرْحَى مِيَادِينَا
وَلَمْ يَهْنُ بِيَدِ التَّشْتِيَتِ غَالِينَا
إِذَا تَلَوْنَ كَالجِرْبَاءِ شَانِينَا
فِي مَلِكْهَا عَرْشًا مَثَلُ وَادِينَا
عَلَيْهِ أَبْنَاءُهَا العُرَّ المِيَامِينَا؟
خَمَائِلُ السُّنْدُسِ المَوْشِيَّةِ الغِينَا^{٦١٠}
لَوَافِظُ القَرِّ بِالخَيْطَانِ تَرْمِينَا
قَبْلَ (القِيَاصِرِ) دِنَاهَا (فِرَاعِينَا)
فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى آثَارِ بَانِينَا
بِهِ يَدُ الدَّهْرِ، لَا بَنِيَانُ فَانِينَا
يُقْنِي المَلُوكِ، وَلَا يُبْقِي الأَوَايِنَا^{٦١٢}
سَفِينَةً عَرَقَتْ إِلَّا أُسَاطِينَا^{٦١٣}
كَنُوزُ (فِرْعَوْنَ) عَطَّيْنِ المَوَازِينَا

والنَّيْلُ يُقْبِلُ كَالدُّنْيَا إِذَا احْتَفَلْتُ
وَالسَّعِدُ لَوْ دَامَ، وَالنُّعْمَى لَوْ اطَّرَدْتُ
أَلْقَى عَلَى الأَرْضِ — حَتَّى رَدَّهَا نَهَبًا —
أَعْدَاهُ مِنْ يُمْنِهِ (التَّابُوتُ)، وَارْتَسَمْتُ
لَهُ مَبَالِغُ مَا فِي الخُلُقِ مِنْ كَرَمٍ
لَمْ يَجِرِ لِلدَّهْرِ إِعْذَارُ^{٦٠٩} وَلَا عُرْسُ
وَلَا حَوَى السَّعْدِ أَطْغَى فِي أَعْنَتِهِ
نَحْنُ اليَوَاقِيْتُ، خَاضَ النَّارَ جَوْهَرُنَا
وَلَا يَحُولُ لَنَا صَبْغٌ، وَلَا خُلُقٌ
لَمْ تَنْزَلِ الشَّمْسُ مِيزَانًا، وَلَا صَعَدَتْ
أَلْمُ تُوَلَّهَ عَلَى حَافَتِهِ، وَرَأَتْ
إِنْ غَازَلَتْ شَاطِئِيهِ فِي الضُّحَى لِبَسَا
وَبَاتَ كُلُّ مُجَاجٍ^{٦١١} الوَادِ مِنْ شَجِرٍ
وَهَذِهِ الأَرْضُ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ
وَلَمْ يَضَعْ حَجَرًا بَانَ عَلَى حَجِرٍ
كَأَنَّ أَهْرَامَ مِصْرٍ حَائِطٌ نَهَضَتْ
إِيوَانُهُ الفَخْمُ مِنْ عَلِيَا مِقَاصِرِهِ
كَأَنَّهَا وَرَمَالًا حَوْلَهَا التَّطَمَّتْ
كَأَنَّهَا تَحْتَ لِأَلَاءِ الضُّحَى نَهَبًا

مَرُّ الصَّبَا فِي ذِيُولِ مَنْ تَصَابِينَا
غُرًّا مُسَلَّسَةً المَجْرَى قَوَافِينَا
وَثَابَ مِنْ سِنَةِ الأَحْلَامِ لِأِهِينَا
(بِأَنْ نَغْصُ، فَقَالَ: آمِينَا)
وَالبَرَّ نَارَ وَغَى، وَالبَحَرَ غَسَلِينَا^{٦١٤}
فِيهَا إِذَا نَسِيَ الوَافِي، وَبَاكِينَا
خَيْرَ الوَدَائِعِ مِنْ خَيْرِ المَوْدِينَا^{٦١٥}

أَرْضِ الأَبُوتِ وَالمِيلَادِ طَيِّبِهَا
كَانَتْ مُحَجَّلَةً فِيهَا مَوَاقِفُنَا
فَأَبَ مِنْ كُرَّةِ الأَيَّامِ لِأَعْبُنَا
وَلَمْ نَدْعُ لِلِيَالِي صَافِيًا، فَدَعَتْ
لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَضْنَا الجَوْ صَاعِقَةً
سَعْيًا إِلَى مِصْرٍ نَقْضِي حَقَّ ذَاكِرْنَا
كَغَزِّ (بِحُلُوانِ) عِنْدَ اللّهِ نَطْلِبُهُ

لو غاب كلُّ عزيز عنه غَيَّبَتْنَا لم يَأْتِه الشوقُ إلَّا من نواحيننا
إِذَا حَمَلْنَا لمصِرٍ أو له شَجْنَا لم ندرِ: أَيُّ هوى الأَمِينِ شاجِينا؟

وَصَفُ الْعَوَاصَةِ وَنَكْبَةُ الْبَاخِرَةِ لُوْزِيْتَانِيَا

(قال في حادثة سف غواصة ألمانية للباخرة لوزيتانيا):

رَأَيْتُ عَلَى لَوْحِ (الخيال) ٦١٦ يَتِيْمَةً
فِيَا لَكَ مِنْ حَاكِ أَمِينٍ مُصَدِّقٍ
فَوَاهَا عَلَيْهَا، ذَاقَتْ الْيُتِيْمَ طِفْلَةً
وَلَيْتَ الَّذِي قَاسَتْ مِنَ الْمَوْتِ سَاعَةً
كَفَرَّخَ رَمَى الرَّامِي أَبَاهُ فَعَالَهُ
فَلَا أَبَّ يَسْتَنْدِرِي ٦١٧ بِظِلِّ جَنَاحِهِ
وَدَبَّابَةً ٦١٩ تَحْتَ الْعُبَابِ بِمَكْمَنِ
هِيَ الْحَوْتُ، أَوْ فِي الْحَوْتِ مِنْهَا مَشَابَهُ
أَبْتُّ لِأَصْحَابِ السَّفِينِ غَوَائِلًا
خَتُونٌ إِذَا غَاصَتْ، غَدُورٌ، إِذَا طَفَّتْ
تُبَيَّتُ ٦٢٠ سَفْنَ الْأَبْرِيَاءِ مِنَ الْوَعْيِ
فَلَوْ أَدْرَكَتْ تَابُوتَ مُوسَى لَسَلَّطْتُ
وَلَوْ لَمْ تُغَيَّبْ فُلُكُ نُوحٍ وَتَحْتَجِبُ
فَلَا كَانَ بَانِيهَا، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا
وَأُفَّ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي تَدَّعُونَهُ

قَضَى يَوْمَ (لوسيتانيا) أَبَوَاهَا
وَإِنْ هَاجَ لِلنَّفْسِ الْبُكََا وَشَجَاهَا
وَقُوْضَ رُكْنََاهَا، وَذَلَّ صِبَاهَا
كَمَا رَاحَ يَطْوِي الْوَالِدَيْنِ طَوَاهَا
فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ فَرْمَاهَا
وَلَا أُمَّ يَبْغِي ظِلَّهَا وَدَرَاهَا ٦١٨
أَمِينٍ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
لَوْ كَانَ فَوْلَادًا لَكَانَ أَخَاهَا
وَأَلَمُّ نَابًا حِينَ تَفْغَرُ فَاهَا
مُلْعَنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُرَاهَا
وَتَجْنِي عَلَى مَنْ لَا يَخُوضُ رَحَاهَا
عَلَيْهِ زُبَانَاهَا، ٦٢١ وَحَرٌّ حَمَاهَا
لَمَا أَمْنَتْ مَقْدُوفَهَا وَلَظَاهَا
وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَا وَحَوَاهَا
إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النَّفُوسِ رَدَاهَا

جِسْرُ الْبُسْفُورِ

هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَيْتُ جِسْرًا أمرٌ على الصراطِ، ولا عليه
له خَشْبٌ يَجُوعُ السُّوسُ فِيهِ وتمضي الفأرُ لا تَأوي إليه

ولا يتكأفُ المَنشارُ فيه
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه
وأسمجُ منه في عيني جُباةٌ ٦٢٢
إذا لا قيتَ واجدهم تصدَّى
ويمشي (الصدر) ٦٢٣ فيه كلُّ يوم
ولكن لا يمرُّ عليه إلاَّ
ومن عجبٍ هو الجسرُ المَعلى
يُفيدُ حكومةَ السلطانِ مالاَّ
يجود العالمون عليه، هذا
وغايةُ أمرِه أنا سمعنا
(أليس من العجائب أن مثلي
وتؤخذ باسمه الدُّنيا جميعاً

سوى مرَّ الفطيم بساعديه
وحأف في الهزيمة حافريه
تراهم وسطه ووجانبيته
كعفريتٍ يُشيرُ براحتيه
بموكبه السنِّي وحارسيه
كما مرَّت يداه بعارضيه
على البسفور يجمع شاطئيه
ويُعطيها الغنى من معدنيه
بعشرتِه، وذاك بعشرتيه
لسان الحال يُنشدنا لديه
يرى ما قلُّ ممتنعا عليه؟
وما من ذاك شيء في يديه؟

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا، يستهديه لكرمة ابن هاني بالمطرية
شجيرات، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها:

إلى حسين حاكم القنال
أهدي سلاماً طيباً كخلقه
وأحفظ العهد له على النوى
وبعدُ فالمعروف بين الصَّحبِ
وعندك الزُّهر بين الصَّحبِ
وقد سمعتُ عنك من ثقاتٍ
زهرك ليس للزهور رُونُقه
ما نظرتُ مثلك عينُ النرجسِ
ولي من الحدائق الغنَّاءِ
أتيتُ أستهدي لها وأسألُ
عشرَ شجيراتٍ من الغوالي
تزكو وتزهو في الشتا والصيفِ

مثال حُسن الخلق في الرجال
مع احترامٍ هو بعضُ حقه
والصدق في الودِّ له وفي الهوى
أنَّ التهادي من دواعي الحبِّ
كلاهما فيما يقال ندو
أنك أنتَ مَلِكُ النباتِ
تكادُ من فرطِ اعتناءٍ تخلُقه
بعد ملوك الظرف في الأندلسِ
رَوْضٌ على (المطرية) الفيحاءِ
وأرتضي النَّزرَ ولا أثقلُ
تندرُ إلا في رياض الوالي
وتجمع الألوان مثل الطيفِ

تُرسلها مُؤمَّنًا عليها إن هَلَكْتُ لي الحَقُّ في مِثْلِها
والحق في الخرطوم أيضا حَقِّي والدَّرْسُ للخادم كيف يَسْقِي
وبعد هذا لي عليك زورَةٌ لكي تدور حول رُوْضِي دُورَه
فإن فعلت فالقوافي تفعلُ ما هو من فعل الزهور أجملُ
فما رأيت في حياتي أزينًا للمرء بين الناس من حُسْنِ الثَّنَا

هوامش

- (١) أسباب السماء: مراقيها، أو طرقها، أو نواحيها، أو أبوابها.
- (٢) الأمة: المملوكة. وبلقيس: صاحبة نبي الله سليمان (عليه السلام) الذي سُحِّرَتْ له الريح.
- (٣) بُرْد: جميع برید.
- (٤) بطاء: جمع بطيء.
- (٥) العماء: السحاب المرتفع، أو الكثيف، أو الممطر، أو الرقيق.
- (٦) السُّها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.
- (٧) الضيف: النزيل على غيره ويكون للواحد والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر.
- (٨) يريد به نابليون الأول.
- (٩) الصِّلْف: مجاوزة قدر الظرف.
- (١٠) الرُّواء: حسن المنظر.
- (١١) مركب ذي عدواء: أي ليس بمطمئن.
- (١٢) الرُّواء: الماء العذب.
- (١٣) القادمة: واحدة القوادم، وهي عشر ريشات في مقدّم الجناح، وهي كبار الريش.
- (١٤) نُكَاء: اسم للشمس.
- (١٥) العفاء: الدروس والهلاك والفناء.
- (١٦) الوضاء: المشرقة الحسنة.
- (١٧) الدعامة أو الدعام: عماد البيت.
- (١٨) قعساء: أي ثابتة.
- (١٩) العرباء من العرب: الصُّرحاء الخلس.

- (٢٠) العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم.
- (٢١) الروضة الكثيرة العشب.
- (٢٢) الجوزاء: برج في السماء.
- (٢٣) بليت: امتحنت.
- (٢٤) غرّاء: ناصعة.
- (٢٥) الألباء: العقلاء، جمع لبيب.
- (٢٦) أدنى الشيء: قرّبه إليه.
- (٢٧) جوفاء: فارغة.
- (٢٨) مقلعة: ناهية. والشؤبوب: الدفعة من المطر.
- (٢٩) الأصبص: نصف الجرّة يُزرَعُ فيها الرياحين.
- (٣٠) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة.
- (٣١) انبجست: أي انفجرت.
- (٣٢) الحصباء: الحصى، الواحدة حصبة، والبوغاء: ما يثور من الغبار ودقائق التراب.
- (٣٣) أشلاء واحدها شلو: العضو والجسد من كل شيء.
- (٣٤) الدأماء: البحر
- (٣٥) يريد النار التي ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طور سيناء.
- (٣٦) أيامى: جمع أيم، وهي المرأة التي تفقد زوجها، أو الرجل الذي يفقد امرأته.
- وتأساء: تعزيه وتسليه.
- (٣٧) الحبيب: الفقايع التي تعلقو الخمر.
- (٣٨) اللبب، موضع القلادة من الصدر.
- (٣٩) جلا: أي كشف. والجمان: اللؤلؤ. والشنب: عذوبة الأسنان
- (٤٠) الشقيق: أحد شقائق النعمان، وهي أزاهر حمراء فيها بقع سوداء.
- (٤١) النخب: جمع نخبة وهي المختار من كل شيء.
- (٤٢) ائتشب الشجر: التفّ. والزهرا: الزهراء.
- (٤٣) السنا هنا مقصور من السناء: بمعنى الرفعة. والطنب: الوتد، أو الحبل الذي يشدُّ به سرادق البيت.
- (٤٤) الرفرف: الرقيق من ثياب الديباج. والسجوف: الستور جمع سجاف.

الشوقيات

- (٤٥) يشبّه مصابيح القصر بشهب ثابتة.
(٤٦) المنتقب: النقب.
(٤٧) الجيش اللجب: ذو الكثرة والضجيج.
(٤٨) السبب: الحبل، ويشير به أولاً إلى زمام الدابة، وثانياً إلى سوط السائق.
(٤٩) الخيب: سرعة عدو الجياد.
(٥٠) ترتمي: بمعنى ترمي. والرغب: الابتهاال، والمعنى أنها تذهب بهنّ إلى ملجأ هو وحده غاية الراجي وكعبة الضارع.
(٥١) السراة: جمع سري، وهو السيد الشريف في سقاء ومروعة. والنجب: جمع نجيب، وهو الكريم الحسيب.
(٥٢) الرحب: جمع رحبة، وهي الأرض المتسعة.
(٥٣) الكثب: القريب.
(٥٤) المطارف: أردية من خزّ. والقشب: الجدد.
(٥٥) التالد: القديم.
(٥٦) اللجين: الفضة.
(٥٧) اللجب: الضجيج.
(٥٨) البان: شجر سبط القوام لين ويشبّه به القدّ لظوله.
(٥٩) الحدب: العطوف.
(٦٠) الصعد: جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع. والصبب: المنحدر.
(٦١) الأسل: الرماح. والقضب: السيوف.
(٦٢) الوصيب: التعب.
(٦٣) النهب: جمع نهب، وهي المنهوب.
(٦٤) الخوان — بكسر الخاء وضمها —: يوضع عليه الطعام. والقطب بتسكين الطاء ويخفف: سيد القوم.
(٦٥) السغب: الجوع.
(٦٦) العلب: نوع من الأقداح الضخمة.
(٦٧) السلب: ما يسلب وينهب.
(٦٨) الحوائم: العطاش. والقرب: سير الليل لورد الغد.
(٦٩) الحقب: جمع حقبة وهي هنا بمعنى السنة.

- (٧٠) الندى: الكرم. والنشب: العقار أو المال.
- (٧١) الحذب: العطف والإشفاق.
- (٧٢) الروض الأشب: الملتف.
- (٧٣) ارتغب في الأمر: رغب فيه.
- (٧٤) الغيب: جمع غائب.
- (٧٥) مفند: مكذب.
- (٧٦) المدنّف: الذي أثقله المرض.
- (٧٧) الطلاء: الخمر.
- (٧٨) الحقب: جمع حقبة، وهي السنة.
- (٧٩) الحبيب: الفقايع التي تعلق الماء والخمر.
- (٨٠) الهالة: دارة القمر.
- (٨١) الطنب: حبل طويل يشدُّ به سرادق البيت أو الوتد.
- (٨٢) الشنب: ماء ورقة وعذوية في الأسنان.
- (٨٣) الشادن: ولد الظبية. والللب: المنحر، وموضع القلادة من الصدر.
- (٨٤) قشب: جمع قشيب وهو الجديد، والقشيب أيضًا: الأبيض والنظيف.
- (٨٥) اليلب: الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس، واليلب: الفولاذ، واليلب: خالص الحديد.
- (٨٦) السغب: الجوع، وقيل لا يكون إلا مع تعب.
- (٨٧) النشب: المال والعقار.
- (٨٨) الأشب: الملتف.
- (٨٩) أدب: أقام المأدبة.
- (٩٠) الأرب: الماهر البصير.
- (٩١) تراعها: تصغي إليها.
- (٩٢) النقل بالفتح: ما ينتقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.
- (٩٣) انقضابا: انقطاعًا.
- (٩٤) تجنب: تنحى.
- (٩٥) الجناب: الفناء.
- (٩٦) لم تحجل غرابًا: كناية عن أنها لم تقلد كما قلّد الغراب الطاووس.

- (٩٧) الدجن: إلباس الغيم الأرض.
- (٩٨) كافور: هو كافور الأخشيدي ممدوح المتنبّي. وعبد الخنا: أي كافور.
- (٩٩) الأزهر: يعني به معهد الأزهر.
- (١٠٠) الأعزال: الذين لا سلاح لهم.
- (١٠١) لم يملك زهاباً: أي لم يستطع.
- (١٠٢) الجبرتي: المؤرّخ المعروف.
- (١٠٣) الشيخ يعني به الجبرتي. والردن: أصل الكم، وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير. والمرقم: القلم. والصل: الثعبان.
- (١٠٤) السباب: السبُّ.
- (١٠٥) يتغابى: يتغافل.
- (١٠٦) غلاباً: أي مغالبة.
- (١٠٧) المغازي: وقائع الحروب والمعاني. تراباً، أي يشكُّ في قيمتها بالنظر لعظيم أثرها في مستقبل الشرق.
- (١٠٨) مثاباً: أي مرجعاً.
- (١٠٩) بنات الدهر: أي شدائده. وكعاب: أي وهي صبية لم تكبر.
- (١١٠) الصاب: عصارة شجر مرّ.
- (١١١) نصيين: أكبر الوقائع وأشهرها بين إبراهيم بن محمد علي وبين الأتراك.
- التل: واقعة التلّ الكبير المشهورة التي جرّت على مصر الاحتلال الإنجليزي.
- (١١٢) النسر: يعني به نابليون.
- (١١٣) عقبان: واحدها عقاب؛ وهو طائر من الجوارح.
- (١١٤) الجيزي: يعني به هرم الجيزة. واعتصب: تتوّج.
- (١١٥) النقع: الغبار. والإهاب: الجلد.
- (١١٦) الضاحي: البارز. والرّهر: يعني بها النجوم.
- (١١٧) الجلال: واحدها جل وهو للدابة كالثوب للإنسان تصان به.
- (١١٨) الصبوح: ما أصبح عند القوم من الشراب فشرّبوه.
- (١١٩) أحد آلهة قدماء المصريين.
- (١٢٠) الأيك: الشجر الكثيف الملتفُّ وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.

- (١٢١) أقاح: واحدها أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء.
- (١٢٢) يقائق: جمع يقق، وأبيض يقق أي شديد البياض ناصعه. والنسرين: ورد أبيض عطري قوي الرائحة.
- (١٢٣) البلجة: آخر الليل عند انصداع الفجر.
- (١٢٤) الخطر: نبات يُجْعَلُ ورقه في الخضاب الأسود يُخْتَصَّبُ به.
- (١٢٥) الحبر: جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن، وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر.
- (١٢٦) صفاح: واحده صفح وهو عرض السيف.
- (١٢٧) الملواح: السريع العطش.
- (١٢٨) رزحت الناقة رزوحًا: أَلقت نفسها إعياءً وهزالاً.
- (١٢٩) الطرف: هو الكريم من الخيل.
- (١٣٠) المزمور: واحد المزامير وهي الأناشيد والأدعية التي كان يترنم بها داود (عليه السلام).
- (١٣١) أقيالهم: ملوكهم.
- (١٣٢) مجامر الياقوت: جمع مجمرة وهو اسم ما يُجْعَلُ فيه الجمر.
- (١٣٣) لم يقصد: لم يعدل.
- (١٣٤) المقود: ما يقاد به من حبل أو غيره.
- (١٣٥) الفدن: القصر المشيد.
- (١٣٦) الجلمد: الصخر.
- (١٣٧) العميد: الذي هزّه العشق.
- (١٣٨) الصِّفا: الصَّخر.
- (١٣٩) لبيد: هو لبيد بن أبي ربيعة أحد المعرّين.
- (١٤٠) حسين: هو الحسين بن علي بن أبي طالب. ويزيد: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.
- (١٤١) السنا: الضوء. وحليت المرأة. لبست حليها؛ أي ما تتزين به. ونضيد: أي متسق.
- (١٤٢) الدُّمى: واحدها دمىة وهي الصورة المنقشة المزينة.

- (١٤٣) الصَّفا: الصَّخر.
- (١٤٤) العيب: الماء المتدفق.
- (١٤٥) المشفر: الشفة من الإنسان.
- (١٤٦) الخميس: الجيش.
- (١٤٧) أذنت: أنصتت.
- (١٤٨) أقبال الجبال: أي وجوها.
- (١٤٩) أمُّ الكتاب: فاتحته.
- (١٥٠) الأحبار: جمع حَبْرٍ وهو العَالِم، وقيل الصالح من العلماء.
- (١٥١) المعالم: جمع معلم وهو ما يستدلُّ به على الطريق من أثرٍ ونحوه.
- (١٥٢) هوج: جمع هوجاء، والريح الهوجاء التي تستوي في هبوبها وتقلع البيوت.
- (١٥٣) الضاحي: المكان البارز. ويزجي: يسوق ويستحثُّ.
- (١٥٤) الإماء: الجواري.
- (١٥٥) الإزار: الملحفة وكل ما ستر.
- (١٥٦) النجد: ما ارتفع من الأرض. والغور: القعر من كل شيء.
- (١٥٧) إطار الشيء: كل ما أحاط به.
- (١٥٨) الجمار: جمع جمرة، وهي الحصى.
- (١٥٩) اخضل الشيء: صار ندياً بليلاً. والنضار: الذهب.
- (١٦٠) الدُّجى: الظلمة، أو سواد الليل.
- (١٦١) الحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل.
- (١٦٢) الضريب: الثلج. والفارع: المرتفع الهبئ الحسن.
- (١٦٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.
- (١٦٤) الديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعدٍ ولا برق.
- (١٦٥) الخطَّار: المضطرب.
- (١٦٦) البتَّار: السيف القاطع.
- (١٦٧) الأصيد: الملك؛ لأنه لا يلتفت من زهوه يميناً وشمالاً.
- (١٦٨) الشعري: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدَّة الحر. وزرى عليه فعله: عابه.
- (١٦٩) الفلك: السفينة، يؤنث ويذكر.

- (١٧٠) الأَيْن: الإعياء.
(١٧١) اللجين: الفضة.
(١٧٢) الهباء: الغبار أو ما يشبه الدُّخان.
(١٧٣) العيالم: جمع عيلم وهو البحر.
(١٧٤) الأُناسى: جمع إنسي.
(١٧٥) الدَّوح: جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتَّسعة من أي شجرة كانت.
(١٧٦) تَأْرَج: أي فاح.
(١٧٧) أوزار الحرب: آلاتها.
(١٧٨) الإزار: الملحفة.
(١٧٩) المزار. الزيارة.
(١٨٠) العوادي: العوائق.
(١٨١) البسيط: الأرض الواسعة.
(١٨٢) أشبل عليه: أي عطف، والمرأة تشبل على أولادها: أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج.
(١٨٣) البيعة: متعبَّد النصارى.
(١٨٤) تحمَّل: ارتحل.
(١٨٥) رصف الحجارة رصفًا: ضم بعضها إلى بعض.
(١٨٦) الملاوة: البرَّهة من الدَّهر.
(١٨٧) الصِّبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.
(١٨٨) السنة: النعاس.
(١٨٩) خلَس الشيء: أخذه في نهزة ومخاتلة.
(١٩٠) أسا الجرح: داواه.
(١٩١) قساه تقسية: أي صيَّره قاسيًا.
(١٩٢) مستطار: استطير الشيء: طير وانتشر.
(١٩٣) رنَّ: أي صاح ورفع صوته بالبكاء.
(١٩٤) الجرس: الصوت.
(١٩٥) الراهب: هو مَنْ تبتل
(١٩٦) فطن للشيء: أي حذق به.

الشوقيات

- (١٩٧) النقس: ضرب النواقيس.
(١٩٨) اليمُّ: البحر.
(١٩٩) الدوح: جمع دوحة؛ وهي الشجرة العظيمة.
(٢٠٠) المرجل: القدر من الحجارة والنحاس.
(٢٠١) هفا: أي أسرع.
(٢٠٢) السواد: ما حول البلدة من القرى.
(٢٠٣) الأيك: الشجر الكثير الملتف، وقيل: الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.
(٢٠٤) الجرس: الصوت، أو خفيه.
(٢٠٥) الصَّرح: القصر، وكل بناءٍ خالٍ.
(٢٠٦) العباب: كثرة الماء، والعباب: معظم السيل، والعباب: ارتفاعه وكثرته.
(٢٠٧) النكس: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه.
(٢٠٨) صنعاء: قسبة بلاد اليمن، وقرية بباب دمشق.
(٢٠٩) ثوب قسي وتكسر قافه، منسوب إلى قس وهو موضع بين العريش والفرما، من أرض مصر.
(٢١٠) العقيق: كل ما شقّه ماء السيل فأنهره ووسَّعه، ويعني بالعقيق هنا عقيق المدينة، وهو معروف.
(٢١١) المتحسي: أي الشارب.
(٢١٢) يخسي: من خسا البصر. كلٌّ وأعيا.
(٢١٣) رمسي: أي رمسيس.
(٢١٤) اليراع: القصب.
(٢١٥) سلسلت النخلة سلسًا: ذهب كريهاً.
(٢١٦) جاب: الجابي الذي يجمع الخراج.
(٢١٧) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية.
(٢١٨) يغسي: يظلم.
(٢١٩) فطس الرجل: تطامنت قسبة أنفه وانتشرت في وجهه، فهو أفطس. والجمع فُطس.
(٢٢٠) عنس: جمع عانس، وهي الجارية التي طال مُكُئها في أهلها بعد إدراكها ولم تتزوج.

- (٢٢١) صيد: واحدها صائد.
(٢٢٢) الفرس: الافتراس.
(٢٢٣) عقلت: قيدت.
(٢٢٤) غَسَّ في البلاد غَسًّا: دخل فيها ومضى قدمًا.
(٢٢٥) ليلة لوكس: أي ليلة دخول القمر في نجم منحوس.
(٢٢٦) عفت: درست ومحت.
(٢٢٧) كرسي: أي عرش.
(٢٢٨) نطس: أي عالم.
(٢٢٩) الرمس: القبر.
(٢٣٠) شفتني: أي وعظتني هي أيضًا وعظًا شافياً.
(٢٣١) العنس: الناقة.
(٢٣٢) الحزن: ما غلظ من الأرض.
(٢٣٣) الدَّهَس: المكان السهل ليس برملاً ولا تراب.
(٢٣٤) الخلائف: جمع خليفة.
(٢٣٥) المنار: العلم يُجَعَلُ للطريق.
(٢٣٦) طلس: واحدها أطلس، وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة.
(٢٣٧) القلس: حبل السفينة.
(٢٣٨) الحدس: السير على غير هداية.
(٢٣٩) القعس: العزُّ الثابت.
(٢٤٠) ضفت: من ضفا: سبغ واتَّسع.
(٢٤١) الخميس: الجيش. والدرافس: العلم الكبير.
(٢٤٢) الهجس: كل ما وقع في خلد الإنسان.
(٢٤٣) محس: أي حاس بهم.
(٢٤٤) الحرس: الدَّهر.
(٢٤٥) الأقرب: الأقرب.
(٢٤٦) نهلان: جبل بالعالية.
(٢٤٧) قدس: جبل عظيم بنجد.
(٢٤٨) السواري: واحدها سارية، وهي الأسطوانة (العمود).

الشوقيات

- (٢٤٩) الوزير: يعني به ابن مقلة المشهور بجودة الخط.
(٢٥٠) سطرِيها: صفيها.
(٢٥١) ويحها كم تزينت لعليم: أي لمدرس عالم واستعدت لإقامة الصلوات الخمس.
(٢٥٢) الرفيف: السقف.
(٢٥٣) الدَّمقس: الحرير.
(٢٥٤) المعارج: واحدها معرج، وهو السلم والمصعد.
(٢٥٥) منذر. هو قاضي الأندلس منذر بن سعيد المعروف بالعدل والزهد.
(٢٥٦) ريا ورده: أي رائحة ورده.
(٢٥٧) الدَّاخل: هو «عبد الرحمن بن معاوية بن هشام» مؤسس الدولة الأمويَّة بالأندلس.
(٢٥٨) الشمس: الأيَّاة.
(٢٥٩) الندس: الفهم.
(٢٦٠) عصائب برس: أي بيض كالقطن.
(٢٦١) العسُّ: احتراس الليل.
(٢٦٢) الورس: نبات أحمر اللون.
(٢٦٣) الضرس؛ من ضرس الزمان القوم: اشتدَّ عليهم.
(٢٦٤) الحس: القتل.
(٢٦٥) الحفاظ: الذبُّ عن المحارم.
(٢٦٦) الجبس: الجبان.
(٢٦٧) شهر رجب، أو صفر، أو شهر من شهور الصيف.
(٢٦٨) بقرس: ببارد.
(٢٦٩) حو المرافش: أي سمر الشفاه، وهو مستلمح من النساء.
(٢٧٠) المرافش: الشفاه.
(٢٧١) اللعس: سوادٌ مستحسن في الشفة.
(٢٧٢) الخود: جمع خودة وهي المرأة الشابة.
(٢٧٣) العقيان: الذهب الخالص.
(٢٧٤) الخميلة: الموضع الكثير الشجر.
(٢٧٥) السلس: الخيط الذي ينظم به الخرز الأبيض تلبسه الإماء، وقيل القرط من الحلي.

- (٢٧٦) أَسْفُ الطَائِرِ: على وجه الأرض.
- (٢٧٧) العَرَفُ: لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك.
- (٢٧٨) الجَرَسُ: الصوت، أو خَفِيَّةٌ.
- (٢٧٩) رَعَسُ: من رَعَسَ الرجل إذا مشى مشياً ضعيفاً.
- (٢٨٠) العَيْنُ: جمع عِينَاهُ، وهي المرأة التي عظم سواد عيناها في سعة.
- (٢٨١) سَوَافِرُ: جمع سَافِرَةٍ، وهي المرأة التي كشفت عن وجهها.
- (٢٨٢) مَازَرُ: جمع إِزَارٍ، وهو الملحفة.
- (٢٨٣) الأَسْوَدُ: هو الحجر الأسود الذي بمكة.
- (٢٨٤) الحَطِيمُ: جدار حجر الكعبة، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام.
- (٢٨٥) البَضُّ: الرخص الجسد.
- (٢٨٦) وِضَاءٌ: وِضَاءٌ.
- (٢٨٧) رِيمٌ: غزال.
- (٢٨٨) أَمْضَى: أَحَدٌ.
- (٢٨٩) زَلْفَى: تَقْرِبًا.
- (٢٩٠) يَتْرَضَى: يطلب الرضا.
- (٢٩١) قِضَا: حصى.
- (٢٩٢) مَحْضًا: خَالِصًا.
- (٢٩٣) تَقْضَى: تَفْنَى.
- (٢٩٤) فَضًّا: مَفْضُوضًا.
- (٢٩٥) جَرَضَى: مَغْمُومِينَ.
- (٢٩٦) حَضُوضَى: جبل في البحر.
- (٢٩٧) مَضٌّ: مَوْجٌ.
- (٢٩٨) يَنْضَى: يُسَلُّ.
- (٢٩٩) مَعْنٌ: هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب.
- (٣٠٠) ظَهْرِيًّا: نَصْرِيًّا.
- (٣٠١) حَاشَهُ، من حَاشَ الصيد: أخرجته في كل مكان.
- (٣٠٢) غَيْضًا، من غَاضَ الماءَ غَيْضًا: نَقَصَ أو غَارَ فَذَهَبَ في الأَرْضِ.
- (٣٠٣) نَقْضًا: ما انتقض من البناء، أي انتكث.

(٣٠٤) الخطاب للنفس: خاطبها كما يخاطبها فيلسوف، علم بدائعها، وبحث عن حقيقتها؛ فرأها تزيد غموضًا كلما زاد بحثًا، مع أنها أقرب ما يكون إليه.
 (٣٠٥) الضاحيات: الطاهرات البارزات، وصف بها محاسن النفس، وقال: إنها مع ذلك، مطلعها بعيد وجلالها مستور.
 (٣٠٦) «من» زائدة، والمعنى: أن النفس اتخذها الجمال مظهرًا لعزه، وموضعًا لسره.

(٣٠٧) الصناع: الماهر في الصناعة.
 (٣٠٨) نصب اسم الجلالة على الاستغاثة، والكلام في الأبيات الخمسة بعده وصف لما عاناه الأبحار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس، فشق طريقهم كلما زادوا بحثًا، أمّا جاهلون ففي راحة سائرون في المهيع، أي الطريق الواسع البين.
 (٣٠٩) الضمير في ذلك يرجع إلى النفس، أراد بها الجوهر الإلهي.
 (٣١٠) حلّ الحبا: نهض، والمقصود هنا تقديس الروح العالي الذي نفخ الله في آدم (عليه السلام).

(٣١١) أراد بيوسف: يوسف الصديق، ومعنى تكرم النبوة فيه أنها سمت بنفسه وبلغت بها الكمال لما عفاً، وأراد بالمرضع: السيد المسيح (عليه السلام).
 (٣١٢) أراد بالبابلي: السحر إشارة إلى قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً».
 (٣١٣) إشارة إلى العليقة الملتهبة.
 (٣١٤) فاعل طويت يعود على النبوة. والخلال: الصفات والمزايا التي يبقى أثرها كما يبقى أثر الخمر بعدما تزول.

(٣١٥) التبع: يعسوب النحل الأعظم، وهو ما يسمونه الملكة.
 (٣١٦) الدُمي: الصور، أو التماثيل الجميلة، أشار بما في الأبيات الثلاثة المتقدمة إلى تفاوت النفوس في الناس.

(٣١٧) أي لولا كبار النفوس لما ارتقى العالم وصلحت الأنام، والمقصود من الكمال هنا: بلوغ النفس الكمال في النبوة، أو ما يقرب من الكمال في بعض العبقريين من الناس، والرئيس منهم.

(٣١٨) فاعل ضجت عائد إلى المنازل أي الأجسام، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز. أراد بالمعالم: ذوي النفوس الصغيرة، وبالمعاهد: ذوي النفوس الكبيرة.
 (٣١٩) المرفع: الكرنفال الذي يلبس الناس فيه ثيابًا مزوّقة.

- (٣٢٠) فزعت: تأهبت أو استجارت، والضمير عائد إلى أجسام. وأراد بالقيامة: ساعة الموت.
- (٣٢١) البلم: صغار السمك.
- (٣٢٢) المزنة: هي هنا السحابة الممطرة.
- (٣٢٣) تفهَّق: فهق الإناء امتلاً حتى صار يتصعب.
- (٣٢٤) النول: خشبة الحائك ينسج عليها.
- (٣٢٥) يخلق: يبلى.
- (٣٢٦) الإستبرق: الحرير.
- (٣٢٧) مترع: ممتلئ.
- (٣٢٨) الشُّرق: الغرقى.
- (٣٢٩) تنفق: يفنى ويقلُّ.
- (٣٣٠) العسجد: الذهب.
- (٣٣١) الراووق: المصفاة.
- (٣٣٢) الحمأة: الطين الأسود.
- (٣٣٣) تتروَّق، من روق الشراب: صفاه.
- (٣٣٤) تخلق: أي تكون خليقة وجديرة.
- (٣٣٥) السنن: النهج.
- (٣٣٦) الموسيقى: اسم فاعل من أوسق، والهمزة فيه للتعدية، وثلاثيه وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقت، أو من وسقت الشيء إذا حملته.
- (٣٣٧) ينفق، من نفق الرجل والدابة: ماتا، يعني ما مات من الإنسان، وما هلك من الحيوان.
- (٣٣٨) استذرى بفلان: التجأ إليه، واستذرى بالشجرة: أي استظلَّ بها.
- (٣٣٩) المنهل: المورد.
- (٣٤٠) المعرَّق: العريق في النسب.
- (٣٤١) الجوسق: القصر.
- (٣٤٢) ينعزع: يزعزع.
- (٣٤٣) المحلة: المنزل.
- (٣٤٤) الأزواد: جمع زاد وهو الطعام يُتخذ للسفر.

الشوقيات

- (٣٤٥) المطبق: السجن تحت الأرض.
(٣٤٦) تنتسق: تنتظم.
(٣٤٧) منطق: مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه.
(٣٤٨) تعتق: من عتق الشيء؛ قدم.
(٣٤٩) الدُّمى: جمع دميمة، وهي الصورة المنقّشة.
(٣٥٠) مسترديات: لابسات.
(٣٥١) تتفنق: تتنعم.
(٣٥٢) عطلت: من عطلت المرأة لم يكن عليها حلي.
(٣٥٣) العبير: أخلاط من الطيب.
(٣٥٤) يلبق: يلبق.
(٣٥٥) الريق من كل شيء؛ أوله وأصله.
(٣٥٦) الغرائيق: جمع غرنيق، وهو الشاب الأبيض الجميل، ويقصد التماثيل.
(٣٥٧) تحسّر: من حسر البصر؛ كلُّ لطول مدى البصر.
(٣٥٨) جلق: دمشق.
(٣٥٩) مفتق: من فتق قرن الشمس أصاب فتقا من السحاب فبدا منه.
(٣٦٠) تعنو: تخضع وتذل.
(٣٦١) الفيلق: الكتيبة العظيمة.
(٣٦٢) النمرق: الوسادة الصغيرة.
(٣٦٣) موبق: مهلك.
(٣٦٤) تصدق: من أصدق الرجل المرأة أى سمى لها صداقها.
(٣٦٥) الحول: السنة.
(٣٦٦) يلبُّ: من لبَّ أى صار لبيباً.
(٣٦٧) الترب: مَنْ وُلِدَ معك.
(٣٦٨) يحدو: من حدا الإبل؛ ساقها وغنى لها.
(٣٦٩) الصّلت: السيف الصقيل الماضي.
(٣٧٠) انثال: أي انصب.
(٣٧١) أزلية: الأزل: القدم.
(٣٧٢) تغسق: تظلم.

- (٣٧٣) يَبْتَقُ: من بَثَقَ السَّيْلَ مَوْضِعَ كَذَا: خَرَقَهُ وَشَقَّهُ.
- (٣٧٤) تَمَحَّقُ: من مَحَقَهُ أَهْلَكَه.
- (٣٧٥) الذَّرُّ: الهَبَاءُ الْمُنْبَعِثُ فِي الْهَوَاءِ، الْوَاحِدَةُ ذَرَّةٌ.
- (٣٧٦) الْخَرْنَقُ: الْفَتَى مِنَ الْأَرْنَبِ.
- (٣٧٧) الْوَضْحُ: الْغَرَّةُ، وَالْوَضْحُ: التَّحْجِيلُ فِي الْقَوَائِمِ.
- (٣٧٨) الْعَسْجَدُ: الذَّهَبُ.
- (٣٧٩) الزَّيْبِقُ: نَبَاتٌ لَهُ زَهْرٌ طَيِّبٌ الرَّائِحَةُ.
- (٣٨٠) النَّدَى: النَّدَى.
- (٣٨١) اسْتَحْجَبُوا الْكُفَّانَ: أَيِ وَلُؤْهُمِ الْحِجَابَةَ، وَهِيَ خَطَّةُ الْحَاجِبِ أَيِ الْبَوَابِ.
- (٣٨٢) الْعَتِيقُ: الْكَعْبَةُ.
- (٣٨٣) الْأَيْنِقُ: جَمْعُ نَاقَةٍ.
- (٣٨٤) الْهَدَى: مَا يَهْدَى إِلَى الْحَرَمِ مِنَ النِّعَمِ، وَقِيلَ هُوَ جَمْعُ الْهَدَى، وَاحِدَتُهَا هَدِيَّةٌ.
- (٣٨٥) مَحَدَّجٌ: مِنْ حَدَجِ الْأَحْمَالِ: شَدَّهَا وَوَسَقَهَا.
- (٣٨٦) رَقَطُ: وَاحِدَتُهَا رَقِطَاءٌ وَهِيَ الْحَيَّةُ.
- (٣٨٧) الْمَرْفِقُ: الْمَتَكَأُ.
- (٣٨٨) الرَّخُ: قِطْعَةٌ شَطْرَنْجٍ يَلْعَبُ بِهَا.
- (٣٨٩) الْبَيْدِقُ: قِطْعَةٌ شَطْرَنْجٍ يَلْعَبُ بِهَا.
- (٣٩٠) الدَيْسِقُ: بَيَاضُ السَّرَابِ وَتَرْقِرَقُهُ، وَهُوَ اسْمٌ لِلسَّرَابِ أَيْضًا، وَيَطْلُقُ كَذَلِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَنْبِرُ وَيُضِيءُ.
- (٣٩١) الْمَلْقُ: الْفَقِيرُ.
- (٣٩٢) الْفِيهَقُ: الْوَاسِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
- (٣٩٣) مَخْلَقُ: مَتَطِيبٌ.
- (٣٩٤) مَسْطَرُ: مَسْطَرٌ.
- (٣٩٥) يَشْهَقُ، مِنْ شَهَقَ الْجَبَلُ: ارْتَفَعَ.
- (٣٩٦) تَفْتَقُّ: مِنْ فَتَقَ الْمَسْكَ بَغْيَرَهُ اسْتَخْرَجَ رَائِحَتَهُ بِشَيْءٍ يَدْخُلُهُ عَلَيْهِ.
- (٣٩٧) الْأَقَانِيمُ: جَمْعُ أَقْنُومٍ وَهُوَ الْأَصْلُ وَالشَّخْصُ.
- (٣٩٨) تَنْشَقُ: تَشْمُ.
- (٣٩٩) يَرْنَقُ: يَخْفَقُ وَيَتَحَرَّكُ.

الشوقيات

- (٤٠٠) يسمق: سمق النبات أي طال وعلا.
(٤٠١) الغيدق: من غيدق المطر؛ كثر.
(٤٠٢) الفاروق: عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
(٤٠٣) الرزدق: الصفُّ من الناس.
(٤٠٤) أحلاس خيل: أي ملازمون ظهورها.
(٤٠٥) مورق: هو هنا بمعنى غانم.
(٤٠٦) يفرق: يحذر.
(٤٠٧) الشطب: السعف الأخضر الرطب من جريد النخل.
(٤٠٨) معصب: متوجّج.
(٤٠٩) المرهق: مَنْ يغشاه الناس والأضياف كثيراً.
(٤١٠) المهرق: الصحيفة.
(٤١١) لباتهن: واحدها لبة وهي النحر.
(٤١٢) تحلق: تجفُّ، من حلقت الإبل إذا ارتفع لبنها وجفَّ.
(٤١٣) بردى: نهر دمشق.
(٤١٤) الرزء: المصيبة.
(٤١٥) خفق: خفوق.
(٤١٦) ائتلاق: من ائتلق لمع وأضاء.
(٤١٧) الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة.
(٤١٨) لهوات: جمع لها، وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٤١٩) لسن: من لسن الرجل فصح، أو تناهى في الفصاحة والبلاغة.
(٤٢٠) شdq: جمع أشdq، أي بليغ مفوه كريم.
(٤٢١) اضطررم. من اضطرمت النار: اشتعلت.
(٤٢٢) المدَّق: قصبه الأنف.
(٤٢٣) الشكيمة من اللجام: الحديدة المعترضة في فمّ الفرس.
(٤٢٤) العتق: الكرم وخلوص الأصل.
(٤٢٥) الولي: المحبُّ والصديق.
(٤٢٦) فصَّل: بيَّن.
(٤٢٧) يجمل، من أجمل الكلام: فصَّله وبيَّنه.

- (٤٢٨) الأحداث: المصائب.
(٤٢٩) الظئر: المرضعة.
(٤٣٠) السرح: الشجر العظام.
(٤٣١) الرِّق: جلد رقيق يكتب فيه.
(٤٣٢) منضَّد: منسَّق.
(٤٣٣) الدُّمى: واحدتها دمية، وهي الصورة المنقَّشة.
(٤٣٤) المقاصير: واحدتها مقصورة وهي الحجر.
(٤٣٥) الوهن: نصف الليل، أو بعده بساعة.
(٤٣٦) منهل السماء: أي قطره.
(٤٣٧) تسترق: تستعبد.
(٤٣٨) الرِّق: العبودية.
(٤٣٩) الصيد: ميل العنق وهو يضرب للكبر.
(٤٤٠) العتق: الحرية.
(٤٤١) القبيل: جمع قبيلة وهي العشيرة.
(٤٤٢) الزادة: جمع زائد وهو الحامي.
(٤٤٣) السموأل: هو السموأل بن عاديء اليهودي صاحب القسيمة التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

- (٤٤٤) الصَّفَّاق: الديك.
(٤٤٥) الدُّهاق من الكئوس: الممتلئة.
(٤٤٦) الأجران: مثني أجر أي زكاة الفطر والصوم.
(٤٤٧) الإملاق: من أملق الرجل؛ أنفق ماله حتى افتقر.
(٤٤٨) التُّرياق: دواء مرگب بدفع السموم.
(٤٤٩) الغيدق: الكريم، الجواد، الواسع الخلق، الكثير العطيَّة.
(٤٥٠) الأرماق: جمع رمق؛ وهو بقية الحياة.
(٤٥١) الأغلاق: جمع علق؛ وهو النفيس من كل شيء.
(٤٥٢) الطائي: أبو تمَّام الطائي الشاعر.
(٤٥٣) أبو إسحاق: المعتصم بالله.

الشوقيات

- (٤٥٤) الصَّدِّيق: يوسف (عليه السلام).
(٤٥٥) أمّحاء: صعق.
(٤٥٦) الكلّيم: موسى (عليه السلام).
(٤٥٧) البتول: مريم العذراء عليها السلام.
(٤٥٨) الفاروق: عمر بن الخطاب (رضى الله عنه).
(٤٥٩) الأّقاحي: جمع أقحوانة وهو نباتٌ له زهر أبيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء.
- (٤٦٠) الشقيق: زهر.
(٤٦١) الطلى: الخمر.
(٤٦٢) مسبلة: من أسبل الدمع، أي أرسله.
(٤٦٣) الشئون: الدموع.
(٤٦٤) قريحة: أي ذات قرحة، وهي الجرح.
(٤٦٥) إنسانها: إنسان العين، وهو المثل يرى في سوادها.
(٤٦٦) كراها: نومها.
(٤٦٧) غياهب: جمع غيب؛ وهو الظلمة.
(٤٦٨) أخوك: يعني البدر.
(٤٦٩) الإفزند: جوهر السيف ووشيه.
(٤٧٠) سنابكها: جمع سنبك، وهو طرف الحافز.
(٤٧١) أعرافها: الواحد عرف، وهو شعر عنق الفرس.
(٤٧٢) شكيمها: جمع شكيمة، وهي الحديدية المعترضة في فم الفرس.
(٤٧٣) المعلوك، من علك الفرس للجام: لأكه وحركه في فمه.
(٤٧٤) المشكوك: أي المشدود.
(٤٧٥) أي إنها انتهكت المعاهدات.
(٤٧٦) الدُّمى: جمع دمية. وهي الصورة المنقّشة.
(٤٧٧) يعني الحرب.
(٤٧٨) ماء معروك: أي مزدحم عليه.
(٤٧٩) الممسوك: المرتفع.
(٤٨٠) الشرى: مأسدة بجانب الفرات يُضَرَّبُ بها المثل.

عَابُ بُولُونِيَا

- (٤٨١) النوك: جمع أنوك، وهو الأحمق، وقيل: العاجز الجاهل.
- (٤٨٢) النول: خشبة الحائك يُنْسَجُ عليها.
- (٤٨٣) محوك: من حاك أي نسج.
- (٤٨٤) يتنزي: يثب.
- (٤٨٥) الريل: اللعاب. من رال الصبي ريلاً؛ أي جرى لعابه.
- (٤٨٦) العتيق: الحرم المكي.
- (٤٨٧) هو قيس بن الملّوح المعروف بمجنون بني عامر، وله أحاديث يرجع إليها في الأغاني، ومنها حديث الغزاة الآنفة.
- (٤٨٨) البسالة: الشجاعة.
- (٤٨٩) الغزاة: الشمس.
- (٤٩٠) الأشراط، المفرد شرط: العلامة.
- (٤٩١) أي ارتحلوا.
- (٤٩٢) الجام: الكأس.
- (٤٩٣) النقض: اسم البناء المنقوض.
- (٤٩٤) الحطامة: ما تحطّم من الشيء المحطوم، أي ما تكسّر منه.
- (٤٩٥) مراجل: جمع مرجل، وهو القدر من الحجارة والنحاس.
- (٤٩٦) أي ارتحلوا وتفرّقوا.
- (٤٩٧) اللامة: الدرع.
- (٤٩٨) الحميم: الماء الحار.
- (٤٩٩) جنح الليل: طائفة منه.
- (٥٠٠) هي زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر.
- (٥٠١) أجاز الموضع: سلكه.
- (٥٠٢) نزوات الجرح: سوراته ونزفاته.
- (٥٠٣) الحجامّة: الفصد.
- (٥٠٤) أسامة: الأسد.
- (٥٠٥) العاصيين: آدم وحواء.
- (٥٠٦) سام: من سام فلاناً الأمر: كلّفه إياه.
- (٥٠٧) الندب: الخفيف في الحاجة، الظريف، النجيب؛ لأنه إذا ندب إليها خفّ لقضائها.

الشوقيات

- (٥٠٨) الرغام: التراب.
(٥٠٩) زَفَّ الطائر: رمى بنفسه أو بسط جناحيه.
(٥١٠) شالت الناقة بذنيها: رفعته.
(٥١١) أعقبا: جمع عقاب، وهو طائر من الجوارح.
(٥١٢) الدأماء: البحر.
(٥١٣) القطاما: الصقر.
(٥١٤) زحل: كوكب من الخنس، سُمِّي به لبعده وتخنيسه.
(٥١٥) نشورًا، من نشر الله الموتى: أحياهم.
(٥١٦) الجَوْجُو من الطائر: الصدر.
(٥١٧) الخوافي: رشات إذا ضَمَّ الطائر جناحية خفيت، وقيل: هي الأربع اللواتي بعد المناكب.

- (٥١٨) الحول: القوَّة والقدرة على التصرُّف.
(٥١٩) القدامى: جمع قادمة، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح.
(٥٢٠) الجِهَام: السَّحاب الذي لا ماء فيه.
(٥٢١) السرب: القطيع من الضباء والنساء وغيرها.
(٥٢٢) السنّام: حذبة في ظهر البعير.
(٥٢٣) وئدت: من وأد ابنته؛ دفنها في القبر وهي حيَّة.
(٥٢٤) امحى الشيء: ذهب أثره.
(٥٢٥) الشذا: قوَّة ذكاء الرائحة.
(٥٢٦) الضرم: الاشتعال.
(٥٢٧) أي كخيال الخمر إذا ألمَّ بالتائب عنها.
(٥٢٨) رشا: الرشا ولد الطيبة الذي قد تحرَّك ومشى.
(٥٢٩) الكم: غطاء النور.
(٥٣٠) اليتيم: مصدر؛ يقال: درَّة يتيمة أي ثمينة لا نظير لها.
(٥٣١) ادَّعم: ارتكز.
(٥٣٢) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يُشَبَّه بها البنان المخضوب.
(٥٣٣) الطلى: الخمر.
(٥٣٤) الكابر: الكبير، والكابر: الرفيع الشَّأن والشرف.

- (٥٣٥) نكاء: الشمس.
- (٥٣٦) انسربت: يقال انسرب الظبي إذا دخل في سربه.
- (٥٣٧) من أمم: أي من قريب.
- (٥٣٨) بهم: واحدها بهمة وهو الشجاع.
- (٥٣٩) تني: تتأنى.
- (٥٤٠) الرسم: حسن المشي.
- (٥٤١) احترم الشيء: معه.
- (٥٤٢) الملائن: العرب والعجم.
- (٥٤٣) الدن: باطية الخمر.
- (٥٤٤) الجفون: الأغمام.
- (٥٤٥) استسرّ: توارى.
- (٥٤٦) بدري: نسبة إلى بدر، وفي الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم.
- (٥٤٧) الحجال: جمع حجلة وهو ستر العروس في جوف البيت.
- (٥٤٨) جون: سود.
- (٥٤٩) ممرّدة: مطولة.
- (٥٥٠) رع وأمون: معبودان مصريان قديمان.
- (٥٥١) القيون: الصنّاع.
- (٥٥٢) نواوس: توابيت.
- (٥٥٣) الفتين: المحرق.
- (٥٥٤) الرّقين: الرّقيم وهو الكتاب.
- (٥٥٥) الزون: معرض الأصنام.
- (٥٥٦) العهيد: القديم.
- (٥٥٧) يطردون: يزاولون الصيد.
- (٥٥٨) آل شمس: الفراعنة.
- (٥٥٩) الخديو محمد توفيق الأول.
- (٥٦٠) صدفت: أعرضت.
- (٥٦١) الجلال: جمع جلّ وهو غطاء الفرس.
- (٥٦٢) جلق: دمشق.

الشوقيات

- (٥٦٣) الأديم: الأرض.
(٥٦٤) الرّاد: الراديوم.
(٥٦٥) ما دانوا: ما غلبوا من الأمم وقهروا.
(٥٦٦) الزّهاء: قصر خلفاء بني أمية بالأندلس.
(٥٦٧) الفيحاء: دمشق.
(٥٦٨) الرّغام: التراب.
(٥٦٩) بغداد: إحدى لغات كثيرة في بغداد.
(٥٧٠) بردى: نهر دمشق.
(٥٧١) العقيان: الذهب الخالص.
(٥٧٢) دمر: ضاحية دمشق.
(٥٧٣) الحور: شجر عظيم يشبه السرو.
(٥٧٤) أفوافه: جمع فوف بالضم، نوع من الثياب؛ والمراد هنا الزّهر.
(٥٧٥) ابتردت: اغتسلت.
(٥٧٦) البلال: أي اللبل.
(٥٧٧) أردان: جمع ردن؛ وهو الكم.
(٥٧٨) طي وشيبان: قبيلتا حاتم ومعن.
(٥٧٩) ججاج: جمع ججج وهو السيد المسارع إلى المكارم.
(٥٨٠) غسان: أبو قبيلة باليمن، منهم ملوك غسان وكانوا ملوكًا للشام.
(٥٨١) الأسرة: الوجوه.
(٥٨٢) الصيد: رفع الرأس كبرًا.
(٥٨٣) عبد شمس: يعني بني أمية.
(٥٨٤) جنّان: بستان.
(٥٨٥) الصنو: الأخ.
(٥٨٦) الطلح: نوعٌ من الشجر، سُمِّيَ به وادٍ بظاهر إشبيليا كان ابن عبّاد شديد الولع به.
(٥٨٧) عوادينا: عوادي الدّهر النازلة بنا؛ وهي مصائبه.
(٥٨٨) ريش: من راش السهم ألصق عليه الريش.
(٥٨٩) الفنن: الغصن المستقيم.

- (٥٩٠) الأَسَاءَةُ: الأَطْبَاءُ.
(٥٩١) ادِّكَارًا: تَذَكُّرًا.
(٥٩٢) أَفَانِينَ: أَجْنَاسُ.
(٥٩٣) النَطْسُ: الأَطْبَاءُ الحُدَّاقُ.
(٥٩٤) الأَيْكُ. الشَّجَرُ الكَثِيفُ المَلْتَفُّ.
(٥٩٥) الرِّفِيفُ: الخَصْبُ.
(٥٩٦) يَقْصِدُ بِهِم مَلُوكَ الأَنْدَلُسِ.
(٥٩٧) مَنبَهَةٌ: أَي شَرَفٌ وَرَفْعَةٌ.
(٥٩٨) بَابِلٌ وَدَارِينَا: مَدِينَتَانِ مَشْهُورَتَانِ بِجُودَةِ الخَمْرِ.
(٥٩٩) خَيْرِيًّا وَنَسْرِيًّا: نَوْعَانِ مِنَ الزَّهْرِ.
(٦٠٠) المَقَّةُ: المَحَبَّةُ.
(٦٠١) الرِّوَاقِيُّ: وَاحِدَهَا رَاقِيَةٌ، وَهِيَ الَّتِي تَرْقِي الصَّبِيَّ إِذَا كَانَ بِهِ سِحْرٌ.
(٦٠٢) الجَدُودُ: الحِظُوظُ.
(٦٠٣) الرُّوحُ: الرَّحْمَةُ وَالرِّزْقُ.
(٦٠٤) شَبَّهَ مِصرَ — حِينَ ضَاقَتْ بِهِ عَلَي الرِّغْمِ مِنْهَا فَرَكِبَ البَحْرَ وَخَرَجَ إِلَى المَنْفَى — بِأَمِّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حِينَ أَلْقَتْهُ فِي اليَمِّ صَبِيًّا وَسَأَلَتْ اللهُ أَنْ يَكْفِلَهُ.
(٦٠٥) الشَّفُوفُ: وَاحِدَهَا شَفٌّ: الثَّوبُ الرِّقِيقُ. وَاللازُورِدُ: حِجْرٌ صَافٍ شَفَّافٌ أَزْرَقٌ. وَالأَفْوَافُ: يَرِيدُ بِهَا الخَمَائِلُ.
(٦٠٦) الصِّيَاصِيُّ: الحِصُونُ وَكُلٌّ مِنْ امْتَنَعَ بِهِ.
(٦٠٧) يَرِيدُ بِهِ اللَّيْلَ الَّذِي مَلَّؤَهُ الهَمُّ وَالأَرْقُ أَشَارَ إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ:
كَلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٌ وَلَيْلَ أَقَاسِيَةَ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
(٦٠٨) الرِّفَّةُ: النُّصْرَةُ.
(٦٠٩) الإِعْذَارُ: طَعَامٌ يَتَّخَذُ لِسُرُورِ حَادِثٍ.
(٦١٠) الغَيْنُ: وَاحِدَهَا أَغْنِينُ: الخَضِرُ.
(٦١١) المِجَاجُ: مَا تَمَجُّهُ الأَرْضُ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ؛ أَي مَا تَخْرُجُهُ.
(٦١٢) جَمْعُ إِيْوَانٍ.
(٦١٣) الأَسَاطِينُ: وَاحِدَتُهَا أُسْطُوَانَةٌ، وَهِيَ السَّارِيَّةُ.

الشوقيات

- (٦١٤) الغسلين: الصديد.
(٦١٥) إشارة إلى المرحومة والدة الناظم.
(٦١٦) الخيال: السينما توغراف.
(٦١٧) يستذري: يستظل.
(٦١٨) الذرى بالفتح: الفناء.
(٦١٩) الدبابة: يعني بها الغواصة.
(٦٢٠) يقال: بين العدو إذا أوقع به ليلاً من دون أن يعلم.
(٦٢١) زُبانا العقرب: قرناها.
(٦٢٢) جباة: جمع جابي وهو المحصل.
(٦٢٣) يريد به الصدر الأعظم، وهو كبير الوزراء.

باب النسيب

خدعوها

خدعوها بقولهم: حسناء
أتراها تناست اسمي لَمَّا
إن رأنتني تميل عني، كأن لَم
نظرة، فابتسامة، فسلام
يوم كُنَّا — ولا تسل: كيف كُنَّا؟ —
وعلينا من العفافِ رقيب
جاذبتني ثوبي العصيِّ وقالت:
فاتقوا الله في قلوبِ العذارى

أخذ البيت الرابع فزاد قوله:

نظرة، فابتسامة، فسلام
ففراق يكون فيه دواء
فكلاً، فموعد، فلقاء
أو فراق يكون منه الداء

وقال:

لا السُّهُدُ يَطْوِيهِ وَلَا الْإِغْضَاءُ
دَاجِي عُبَابِ الْجُنْحِ، فَوَضَى فُلُكُهُ
لَيْلٌ عِدَادُ نُجُومِهِ رُقْبَاءُ
مَا لِلْهَمُومِ وَلَا لَهَا إِرْسَاءُ

أغزالة الإِشراق، أنتِ من الدُّجى
رفقًا بجفنِ كلِّما أبْكَيْتِه
ما مدَّ هُدْبِيهَ ليصطادَ الكرى
مَنْ لي بهنَّ لياليًا نهلَّ^٢ الصِّبا
ألفنَّ أوطاري، فعيثيَ والمُنَى
ومن السُّهادِ إذا طلعتِ شفاءً
سال العَقيقُ^١ به، وقام الماءُ
إلَّا وظيفك في الكرى العَنقَاءُ
مما أفَضْنَ وَعَلَّتْ^٣ الأهواءُ؟
في ظلَّهنَّ الكأسُ والصَّهْبَاءُ

وقال:

سُوَيْجَعِ النِّيلِ، رِفْقًا بالسُّوَيْدَاءِ
لله وادٍ كما يَهْوَى الهوى عَجْبُ
وأنتِ في الأَسْرِ تشكو ما تُكابده
اللّه في فَنَنِ تلهو الزمانَ به
وفي جوانحك اللَّاتِي سمحتَ بها
ماذا تريد بذِي الأَنَاتِ في سهري؟
حَسَبُ المضاجِعِ مني ما تعالج من
أُمْسِي وأُصْبِحُ مِنْ نَجْوَكَ في كَلْفِ
الليل يُنْهَضُنِي من حيث يُقْعِدُنِي
آتي الكواكِبَ لم أنقل لها قَدَمًا
وألحظُ الأرضَ، أطوي ما يكون إلى
مُؤَيِّدًا بِكَ في جَلِّي ومُرْتَحَلِي
تُوجِي إِلَيَّ الذي تُوجِي، وتسمع لي

قال أبو نواس:

يا وَيْحَ أَهْلِي، أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
وطلِّبَ إليه تشطير هذا البيت فقال:
يا وَيْحَ أَهْلِي، أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
على الفراشِ، ولا يَدْرُونَ ما دائي
ويَدْرُجُ الموتُ في جسمي وأعضائي

وينظرون لجنبٍ لا هدوءَ له على الفراشِ، ولا يدرون ما دائي

وقال:

منكَ يا هاجرُ دائي
يا مَنْى رُوحِي، ودنيا
أنتِ إنْ شئتَ نعيمِي
ليس منْ عُمْرِي يومٌ
وحياتي في التَّداني
نَمَ على نسيانِ سُهدي
كلُّ ما ترضاه يا مَوْ
وكما تعلم حُبِّي
فيك يا راحة رُوحِي
وتوارَيْتُ بدمعي
أنا أهواك، ولا أُرُ
غرتُ، حتى لَترى أُرُ
ليتني كنتُ رِداءً
ليتني ماؤك في الغُ

وقال:

لقد لامني يا هندُ في الحب لائمٌ
فما هو بالواشي على مذهب الهوى
وصفتُ له منْ أنتِ، ثم جرى لنا
وقلت له: صبرًا، فكلُّ أخي هوى

وقال:

على قدرِ الهوى يأتي العتابُ
ومنْ عاتبْتُ يَفِدِيهِ الصَّحابُ

أَلَوْمُ مُعَذِّبِي، فَأَلَوْمُ نَفْسِي
 ولو أني استطعتُ لتبتُ عنه
 ولي قلب بأن يهوى يُجَارَى
 ولو وُجِدَ الْعِقَابُ فَعَلْتُ، لَكِن
 يلوم اللائمون وما رأوه
 صَحَوْتُ، فَأَنْكَرَ السُّلْوَانَ قَلْبِي
 كأنَّ يَدَ الْغَرَامِ زَمَامُ قَلْبِي
 كأنَّ رَوَايَةَ الْأَشْوَاقِ عَوْدُ
 كأنني والهوى أَخَوَا مُدَامِ
 إذا ما اعْتَضْتُ عن عشقٍ بعشقٍ

فَأَغْضِبُهَا وَيُرْضِيهَا الْعَذَابُ
 ولكنَّ كيف عن رُوحِي الْمَتَابُ؟
 وَمَالِكُهُ بَأْنَ يَجْنِي يَثَابُ
 نِفَارُ الطَّبِّي لَيْسَ لَهُ عِقَابُ
 وَقَدَّمَا ضَاعَ فِي النَّاسِ الصَّوَابُ
 عَلِيٌّ، وَرَاجَعَ الطَّرَبَ الشَّبَابُ
 فَلَيْسَ عَلَيْهِ دُونَ هَوَى حِجَابُ
 عَلَى بَدءٍ وَمَا كَمَلِ الْكِتَابُ
 لَنَا عَهْدٌ بِهَا، وَلَنَا اصْطِحَابُ
 أُعِيدَ الْعَهْدُ، وَامْتَدَّ الشَّرَابُ

وقال:

أُرِيدُ سُلُوكَكُمْ، وَالْقَلْبُ يَا بِي
 وَأَهْجَرَكُمْ، فِيهِجْرَنِي رُقَادِي
 وَأَذْكَرَكُمْ بِرُؤْيَةِ كُلِّ حُسْنٍ
 وَأَشْكَو مِنْ عَذَابِي فِي هَوَاكُمِ
 وَأَعْلَمُ أَنَّ دَابِكُمْ جَفَائِي
 وَرُبَّ مَعَاتِبٍ كَالْعَيْشِ، يُشْكَى
 أَتَجْزِينِي عَنِ الرُّلْفَى نِفَارًا؟
 فَكُلُّ مَلَاحَةٍ فِي النَّاسِ ذَنْبٌ
 أَخَذْتُ هَوَاكَ عَنِ عَيْنِي وَقَلْبِي
 وَأَنْتَ مِنَ الْمَحَاسَنِ فِي مِثَالِ
 أَحِبُّكَ حِينَ تَتَنَّى الْجِيدَ تَيْهًا
 وَقَالُوا: فِي الْبَدِيلِ رِضًا وَرَوْحًا
 وَرَاجَعْتُ الرِّشَادَ عَسَاى أَسْلُو
 إِذَا مَا الْكَأْسُ لَمْ تُذْهِبْ هَمُومِي
 عَلَى أَنِّي أَعْفُ مِنْ احْتِسَاها

وَأَعْتَبُكُمْ، وَمَلَأَ النَّفْسَ عُتْبِي
 وَيُضْوِينِي الظَّلَامُ أَسَى وَكَرْبًا
 فَيَصْبُو نَاطِرِي، وَالْقَلْبُ أَصْبَى
 وَأَجْزِيكُمْ عَنِ التَّعْذِيبِ حُبًّا
 فَمَا بِالِي جَعَلْتُ الْحَبَّ دَابًّا؟
 وَمَلَأَ النَّفْسَ مِنْهُ هَوَى وَعُتْبِي
 عَنَيْتَكَ بِالْهَوَى، وَكَفَاكَ عَتْبًا
 إِذَا عَدَّ النَّفَارُ عَلَيْكَ ذَنْبًا
 فَعَيْنِي قَدْ دَعَتْ، وَالْقَلْبُ لَبِي
 فَدَيْتَكَ قَالِبًا فِيهِ وَقَلْبًا
 وَأَخْشَى أَنْ يَصِيرَ التَّيِّهَ دَابًّا
 لَقَدْ رُمْتُ الْبَدِيلَ، فَرَمْتُ صَعْبًا
 فَمَا بِالِي مَعَ السُّلْوَانِ أَصْبَى؟
 فَقَدْ تَبَّتْ يَدُ السَّاقِي، وَتَبَّا
 وَأَكْرَمُ مِنْ عَذَارَى الدَّيْرِ شَرْبًا

ولي نفسُ أروِيها فتزكو كزهر الورد نَدْوُهُ فهبًا

وقال:

رَوَّعوه، فتَوَلَّى مُغَضِّبَا
خُلِقتْ لاهِيَةً ناعمة
لي حبيبٌ كُلُّما قيل له
كذب العُدَّالُ فيما زعموا
لو رأونا والهوى ثالثنا
في جوار الليل، في نَمَّتِه
مِلءٌ بُرْدِينا عفافٌ وهوى
يا غزالاً أهْلُ^٧ القلبُ به
لك ما أحببتَ مِنْ حَبَّتِه
هو عندَ المالكِ الأوَّلَى به
إن رأى أَبقى على مملوكه
لكَ قَدْ سجدَ البانُ له
ولِحاظُ، من معاني سحره
كان عن هذا لقلبي غُنِيَّةُ
فِطرتي لا آخِذَ القلبُ بها
لو جَلَّوْا حُسْنَكَ أو غَنَّوْا به
ايها النفسُ، تجدِّين سُدَى
جَرَّبِي الدنيا تَهْنُ عندك، ما
نلتِ فيما نلتِ من مَظْهرها

أعلِمتُم كيف ترتاعُ الظُّبَا؟
رُبِّما رَوَّعها مرُّ الصِّبَا
صَدَّقَ القولُ، وزكَّى الرِّبَا
أملَى في فاتِنَى ما كذبا
والدُّجى يُرْجَى علينا الحُجبا
نذكر الصبَحَ بأنَّ لا يقربا
حفظَ الحسَنَ، وصنَّتْ الأديبا
فلبى السَّفْحُ وأحنى ملعبا
مَنْهلاً عَذْبانَ ومَرَعَى طيِّبا
كيف أشكو أنه قد سَلِبا؟
أو رأى أتلفه، واحتسبا
وتمنَّتْ لو أَقلَّتَه الرُّبَى
جمع الجفنُ سهاماً وظبى^٨
ما لقلبي والهوى بعد الصِّبَا؟
خُلِقَ الشاعِرُ سَمَحاً طَرِبا
«للبيدِ» في الثمانينَ صبا^٩
هل رأيتِ العيشَ إلا لِعِبا؟
أهونَ الدنيا على من جَرِّبا!!
ومُنِحَتِ الخلدُ نكراً، ونبا

وقال والمعنى لشاعر تركي:

ما تلكَ أهدابى تَنظَّفُ
بل تلكَ سُبْحَةُ لؤلؤِ
مَ بينها الدمعُ السَّكوبُ
تُحْصَى عليكُ بها الذُّنوبُ

وقال:

ما خُنْتُ رَبَّ الْقَنَا وَالْمَشْرِفِيَّاتِ
بِالْبَالِ سَلَوَاكِ فِي ماضٍ وَلَا آتِ
وَتَغْرُكِ الْمَتَمَنَّى كُلَّ حَاجَاتِي

لَا وَالْقَوَامِ الَّذِي، وَالْأَعْيُنِ اللَّاتِي
وَلَا سَلَوْتُ، وَلَمْ أَهْمُمْ، وَلَا خَطَرْتُ
وَخَاتَمُ الْمَلِكِ لِلحَاجَاتِ مُطَلَّبُ

وقال:

كم إلى كم تَكِيدُ لِلروحِ كَيْدًا؟
لَسَهَامًا أَرْسَلْنَهَا لَنْ تَرَدَّا
فَاتَّقِ اللَّهَ، وَالتَّزِمِ لَكَ حَدًّا
ثُمَّ صُغِ لِي مِنَ الحَدَائِدِ كَيْدًا
وَكَفِّ جَنْبِي خَافِقًا لَيْسَ يَهْدَا
مَا قَطَعْتَ الزَّمَانَ أَرْجُوهُ وَعُدَا

لَحَظْهَا لِحَظْهَا، رُوَيْدًا رُوَيْدًا
كُفَّ أَوْ لَا تَكُفَّ، إِنَّ بَجْبِنِي
تَصِلُ الضَّرْبَ مَا أَرِي لَكَ حَدًّا
أَوْ فُصِّغِ لِي مِنَ الحِجَارَةِ قَلْبًا
وَكَفِّ جَفْنِي دَافِقًا لَيْسَ يَرْقَا
فَمَنْ الغَبْنِ أَنْ يَصِيرَ وَعِيدَا

وقال:

وُدُّ الغَوَانِي مِنْ شَبَابِكَ أَبْعَدُ
وَالْيَوْمِ أَوْشَكِتِ البَقِيَّةُ تَنْقُدُ
أَعْيَا، وَفَارِقَهُ الخَلِيلُ المُسْعِدِ
يَا لَيْتَ قَائِلَهُ الطَّرِيرُ الأَمْرُدُ
جَعَلَ النَسِيبَ حِبَالَةَ يَتَصَيَّدُ؟
وَخَدَعْتَ مَنْ قَطَعْتَ وَمَنْ تَتَوَدَّدُ
وَالْيَوْمِ تَنْشُدُ مِنْ يَشَى وَيُقْنَدُ
وَإِذَا وَجَدْتَ الشَّعْرَ عَزَّ الأَعْيَدُ؟

الرُّشْدُ أَجْمَلُ سِيرَةٍ يَا أَحْمَدُ
قَدْ كَانَ فِيكَ لِوَدَّهَنْ بَقِيَّةُ
«هَارُوتُ» شِعْرَكَ بَعْدَ «مَارُوتِ» الصَّبَا
لَمَا سَمِعْنَاكَ قُلْنَ: شَعْرُ أَمْرُدُ
مَا لِلوَاهِي النَاعِمَاتِ وَشَاعِرِ
وَلَكُمُ جَمَعَتَ قُلُوبَهُنَّ عَلَى الهَوَى
وَسَخِرْتُمْ مِنْ وَاشٍ، وَكِدْتُمْ لِعَاذِلِ
أَثْدَا وَجَدْتُمْ الغَيْدَ أَلْهَاكَ الهَوَى

وقال:

تَعَلَّمُوا الكَيْدَ مِنْ عَيْنِيكَ وَالفَنَدَا
مَاذَا رَأَتْ بِي مِمَّا يَبْعَثُ الحَسَدَا؟
وَالجَفْنَ مُنْكَسِرًا، وَالخَدُّ مُنْقَدَا

إِنَّ الوُشَاةَ — وَإِنْ لَمْ أَحْصِهِمْ عَدَا —
لَا أَخْلَفَ اللَّهُ ظَنِّي فِي نَوَاطِرِهِمْ
هَمْ أَغْضَبُوكَ فَرَاخَ القَدِّ مُنْتَنِيَا

فأسمعوها الذى لم يُسمعوا أحدا
فأنظر بعينك، هل أبقيت لي جلدًا؟
ظلمًا، وما أتخذت غير الهوى ولدا
يخاف إن رجعت أن تنكر الجسدًا
وللمواعيد ماءً لا يبُلُّ صدى
فمن مُعيرى من هذا الورى كبدًا؟

وصادفوا أذنا صغواءً لينةً
لولا احتراسى من عينيك قلت: ألا
الله في مهجةً أيتمت واحدها
وروح صبّ أطلال الحب غربتها
دع المواعيد، إنى مت من ظمًا
تدعو، ومن لى أن اسعى بلا كبد؟

وقال:

وأشفق الصخر، ولان الحديد
هيهات! بل قسوته لي تزيد

بثت شكواى، فذاب الجليدُ
وقلبك القاسى على حاله

وقال:

ويُبدي بئى في الهوى ويُعيد
ولكن ليال ما لهن عديد
شجون قيام بالضلوع قعود
عليه قديم في الهوى، وجديد
لك الله يا قلبى، أنت حديد؟
إذا حل غيد، أو ترحل غيد
لهم والأسرار الغرام مديد
غصون قيام للنسيم سجود
يعارضها مضمنى الصبا فتحيد
ومارت عليها الحلوى وهى تميد
بأهل، ومفقود الأليف وحيد
وجدلان يشدو في الربى ويشيد
وعزيان كاس تزدهيه مهود
ويقطر منها العيش وهو رعيد

يمدُّ الدجى في لوعتى ويزيد
إذا طال واستعصى فما هي ليلة
أرقت وعادتنى لذكرى أجبتى
ومن يحمل الأشواق يتعب، ويختلف
لقيت الذى لم يلق قلب من الهوى
ولم أخل من وجد عليك، ورقية
وروض كما شاء المحبون، ظلّه
تظللنا والطيير في جنباته
تميل إلى مضمنى الغرام، وتارة
مشى في حواشيه الأصيل، فذهبت
وقامت لديها الطير شتى، فانس
وباك ولا دمع، وشاك ولا جوى
وذى كبرة لم يعط بالدهر خبرة
غشيناه والأيام تندى شبيبة

فقلتُ لها: حتى النهارُ شهيد
فما هي ممّا نبتغي ونصيد
ويومَ تُسلُّ المرهفاتُ أسودُ
ويقتلنا لحظُّ، ويأسرُ جيدُ
ونحن لسُلطان الغرام عبيد
أما لك يا عهدَ الشباب مُعيد؟
لأمس كباقي الغابراتِ عهيد^{١١}
كأنّي على دَرَبِ المشيبِ (أبيد)
شَبَبنا وشَبَبنا والزَّمانُ وليدُ

رأتُ شفقا ينعى النهارَ مُصرِّجاً
فقالَتْ: وما بالطير؟ قلتُ: سكينَةٌ
أجلُّ لنا الصيدان: يومَ الهوى مَهًا
يُحطِّم رُمحَ دوننا ومُهَنَّدُ
ونحكَم حتى يقبلَ الدهرُ حُكْمنا
أقول لأيام الصِّبا كلِّما نأتُ:
وكيف نأتُ والأمسُ آخرُ عهدِها؟
جَزَعْتُ، فراعنتى من الشَّيبِ بِسْمَةٌ
ومن عبثَ الدنيا وما عبثَ سدَى

وقال:

ألفَ الدَّلالَ على المدى
والكمُّ يفتحه الندى^{١٢}

هام الفؤادُ بشادن
أبكى، فيضحكُ ثغرُهُ

وقال عن شاعر تركي:

حُسْنَى، ولى هَجْرٌ وصدُّ
وأنا العلامة، لا تُعدُّ

للعاشقين رضاطٌ وألُّ
ذُكروا، فكانوا سُبْحَةً

وقال:

الله في جنبٍ بغيرِ عماد
قُهرتُ، وقد كانت من الأطواد
كانت جنائيتها على الأجساد
وسنَى، وما يطعمن غير رُقادي
مرضى، وكم أفئِنَّ من عواد
في حرٍّ ما نصلَى الضعيفُ البادي
فصرَعَتْها، وسلِمَنَّ بالأغمداد

في مقلتيك مَصارعُ الأكبادِ
كانت له كِبْدٌ، فحاق بها الهوى
وإذا النفوسُ تطوَّحتُ في لذَّةِ
نَسوى، وما يُسقيَنَّ إلاَّ راحتى
ضعفى، وكم أبليَنَّ من ذى قوة
يا قاتلَ الله العيونَ، فإنها
قاتلنَ في أجفانهنَّ قلوبنا

وَصَبَغَنَ مِنْ دِمَاهَا الْخُدُودَ تَنْصُلًا وَلِيقِينَ أَرْبَابَ الْهُوَى بِسَوَادٍ

وقال:

قَفْ بِاللَّوَاظِظِ عِنْدَ حَدِّكَ
وَأَجْعَلْ لِغِمْدِكَ هُدْنَةً
وَصُنِّ الْمَحَاسِنَ عَنْ قَلْوِ
نَظَرْتِ إِلَيْكَ عَنِ الْفُتُو
أَعْلَى رِوَايَاتِ الْقَنَا
نَالَ الْعَوَاذِلُ جِهْدَهُمْ
نَقَلُو غَلِيكَ مَقَالَةً
قَسَمًا بِمَا حَمَلْتَنِي
مَا بِي السَّهَامِ الْكُثْرَ مِنْ

يَكْفِيكَ فِتْنَةُ نَارِ حَدِّكَ
إِنْ الْحَوَادِثَ مِلءُ غِمْدِكَ
بِ لَا يَدِينُ لَهَا بُجْنِدِكَ
رِ، وَمَا أَنْقَتَ سَطَوَاتِ حَدِّكَ
مَا كَانَ نِسْبَتُهُ لِقَدِّكَ
وَسَمِعْتَ مِنْهُمْ فَوْقَ جَهْدِكَ
مَا كَانَ أَكْثَرُهَا لِعَبْدِكَ
فَحَمَلْتُ مِنْ وَجْدِي وَصَدِّكَ
جَفْنِيكَ، لَكِنْ سَهْمٌ بَعْدَكَ

وقال:

مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ
حَيْرَانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبُهُ
أَوْدَى حَرَقًا إِلَّا رَمَقًا
يَسْتَهْوَى الْوُرُقَ تَأْوُهُ
وَيُنَاجِي النُّجْمَ وَيَتَعَبَهُ
وَيُعَلِّمُ كُلَّ مُطَوَّقَةٍ
كَمْ مَدَّ لِطَيْفِكَ مِنْ شَرِكِ
فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسْعِفُهُ
الْحَسَنُ، حَلَفْتُ بِبُوسُفِهِ
قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسَا
وَتَمَنَّتْ كُلُّ ١٣ مُقَطَّعَةٍ
جَحَدَتْ عَيْنَاكَ زَكَى دِمِي

وَبَكَاهُ وَرَحَّمَ عُوْدُهُ
مَقْرُوحَ الْجَفْنِ مُسْهَدُهُ
يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِدُهُ
وَيُذِيبُ الصَّخْرَ تَنْهَدُهُ
وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
شَجْنًا فِي الدَّوْحِ تُرَدِّدُهُ
وَتَأْدَبُ لَا يَتَّصِيْدُهُ
وَلَعَلَّ خِيَالَكَ مُسْعِدُهُ
(وَالسُّورَةَ) إِنَّكَ مُفْرِدُهُ
حَوْرَاءُ الْخُلْدِ وَأَمْرُدُهُ
يَدَاهَا لَوْ تَبِعْتُ تَشْهَدُهُ
أَكْذَلِكْ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ؟

قد عزَّ شهودي إذا رمتا
 وهممتُ بجيدك أشركه
 وهزرتُ قوامك أعطقه
 سببُ لِرِضاك أمهده
 بيني في الحبِّ وبينك ما
 ما بالُ العازلِ يفتح لي
 ويقول: تكاد تُجنَّ به
 مولاى وروجى في يده
 ناقوسُ القلب يدقُّ له
 قسماً بئنايا لؤلؤها
 وِرْضابٍ يُوعَدُ كَوَثْرُهُ
 وبخالٍ كاد يُحجُّ له
 وقوامٍ يروى الغُصْنُ له
 وبخُصِرٍ أوْهَنَ مِنْ جَلْدِي
 ما خُنْتُ هواك، ولا خطرْتُ
 فأشرتُ لخدك أشهدُه
 فأبى، واستكبر أصدُه
 فنبا، وتمنَّع أملدُه
 ما بالُ الخُصْرِ يُعقِّدُه؟
 لا يَقْدِرُ وإشٍ يُفْسِدُه
 بابَ السُّلوانِ وأوصدُه؟
 فأقول: وأوشكُ أعبدُه
 قد ضيّعها سلِمتُ يده
 وحنايا الأضلعِ مَعْبِدُه
 قسم الياقوتِ مُنْضدُه
 مَقْتولُ العِشْقِ ومُشْهدُه
 لو كان يُقبَلُ أسودُه
 نسباً، والرُّمْحُ يُفَنِّدُه
 وعوادى الهجرِ تُبَدِّدُه
 سلوى بالقلبِ تُبَرِّدُه

وقال:

بالله يا نَسَماتِ النيلِ في السَّحْرِ
 هل عندكُنَّ عن الأحبابِ مِنْ خَبْر؟
 عرفتكُنَّ بَعْرِفٍ لا أَكَيِّفُه
 لا في العَوالى، ولا في النُّورِ والزَّهْر
 من بعض ما مسح الحسنُ الوجوهَ به
 بينَ الجبينِ، وبينَ الفَرْقِ والشَّعْر
 فهل عَلِقْتُنَّ أثناءَ السُّرى أَرْجاً
 من الغدائرنِ أو طيبا من الطُّرَر؟
 هجُتُنَّ لى لَوْعَةُ في القلبِ كامنةً
 والجُرْحُ إنْ تَعْتَرِضُه نَسَمَةٌ يَثُر

نَكَرْتُ مِصْرَ، وَمَنْ أَهْوَى، وَمَجَلَسَنَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ بَيْنَ الْجِسْرِ وَالنَّهْرِ
وَالْيَوْمِ أَشْيَبُ، وَالْآفَاقُ مُذْهَبَةٌ
وَالشَّمْسُ مُصْفَرَّةٌ تَجْرِي لِمُنْحَدَرٍ
وَالنَّخْلُ مُتَّشِحٌ بِالغَيْمِ، تَحْسِبُهُ
هَيْفَ الْعَرَائِسِ فِي بَيْضِ مِنَ الْأُزْرِ
وَمَا شَجَانِي إِلَّا صَوْتُ سَاقِيَةٍ
تَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بَيْنَ النَّوْحِ وَالْعَبَرِ
لَمْ يَتْرِكِ الْوَجْدُ مِنْهَا غَيْرَ أَضْلَعِهَا
وغيرَ دَمْعٍ كَصَوْبِ الْغَيْثِ مُنْهَمِرٍ
بَخِيلَةٌ بِمَا قِيَهَا، فَلَوْ سَأَلْتُ
جَفْنَا يُعِينُ أَخَا الْأَشْوَاقِ لَمْ تُعِرْ
فِي لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ طَيِّبَةٍ
مَحَابَهَا كُلَّ ذَنْبٍ غَيْرِ مُغْتَفَرٍ
عَفَّتْ، وَعَفَّ الْهَوَى فِيهَا، وَفَازَ بِهَا
عَفُّ الْإِشَارَةِ، وَالْأَلْفَاظِ، وَالنَّظَرِ
بِتْنَاءِ، وَبَاتَتْ حَنَا نَا حَوْلَنَا وَرِضًا
ثَلَاثَةٌ بَيْنَ سَمْعِ الْحَبِّ وَالْبَصْرِ
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ، كَانَ النُّجْمُ رَابِعَنَا
لَوْ يُذَكِّرُ النُّجْمُ بَعْدَ الْبَدْرِ فِي خَبَرِ
وَأَنْصَفْتَنَا، فَظَلِمُ أَنْ نُجَازِيَهَا
شَكْوَى مِنَ الطَّوْلِ، أَوْ شَكْوَى مِنَ الْقِصْرِ
دَعُ بَعْدَ رِيْقَةٍ مَنْ تَهْوَى وَمَنْطِقِهِ
مَا قِيلَ فِي الْكَأْسِ، أَوْ مَا قِيلَ فِي الْوَتْرِ
وَلَا تُبَالٍ بِكَانِزٍ بَعْدَ مَبْسِمِهِ
أَعْلَى الْيَوَاقِيَتِ مَا أُعْطِيَتِ وَالذَّرِّ
وَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا قَوْلُ عَازِلَةٍ
مَا بَالُ أَحْمَدَ لَمْ يَحْلُمَ وَلَمْ يَقْرَ؟

هلا ترفّع عن لَهْوٍ وعن لَعِبٍ؟
 إن الضغائر تُغْرِى النفس بالصَّغَرِ
 فقلتُ: للمجد أشعارى مُسَيِّرة
 وفي غوانى العُلا - لا في المَها - وطرى
 مصرُ العزِيزَةُ، ما لي لا أودَّعُها
 وداعَ مُحْتَفِظٍ بالعهد مُدَكِّرِ
 خَلَّفْتُ فيها القَطَا ما بين ذى زَعَبٍ
 وذى تَمائمَ لم ينهض ولم يَطِرِ
 أسلمتُهُم لعيون الله تحرسُهُم
 وأسلمونى لظلِّ الله في البشرِ

وقال:

عَرَضُوا الأمانَ على الخواطرِ
 فوقفتُ في حَدَرٍ، ويأُ
 يا قلبَ شانِكِ والهوى
 إن التى صادتُك تسـ
 يا ثَغَرها، أمسيتُ كالـ
 يا لحظَها، مَنْ أمُها؟
 يا شعَرها، لا تَسَعِ في
 يا قَدَّها، حتَّامِ تغـ
 وبأى ذنبٍ قد طعنـ
 واستعرضوا السُّمَرَ الخواطرِ^{١٤}
 بى القلبِ إلا أن يُخاطرِ
 هذى الغصونُ وأنت طائرِ
 عى بالقلوب لها النواظرِ
 غواص، أحلم بالجواهرِ
 أو مَنْ أبوها في الجاذرِ؟
 هتكى، فشأنُ الليلِ ساترِ
 دو عاذلاً وتروح جائرِ؟
 حت حشائى يا قدَّ الكبائرِ؟

وقال:

فى ذى الجفونِ صوارمُ الأقدارِ
 وكفى الحياةَ لنا حوادثِ، فافتنى
 ما أنتِ فى هذى الحلى إنسيَّة
 راعى البريَّةِ يا رَعاكِ البارى
 ملاً النجومِ وعالمِ الأقمارِ
 إن أنتِ إلا الشمسُ فى الأنوارِ

وئبُ النهى، وتطاولُ الأفكار
 مهما طلعتِ، فكيف بالأبصار؟
 يا رُونِقَ الآصال والأسحار
 أنتِ الدُّنى وأنا الخيالُ السارى
 سبُلُ إليك خَفِيَّةُ الأغوار
 سببى إليك، وسَلِّمِنَ ومَنارى
 ما كنتما إلا النَّميرَ الجارى
 مُتَرَقِّرًا بمسارح الأوطار
 إن الفراق جَهَنَّمُ الأقدار

زهراء بالأفُق الذى من دونه
 تتهتَّكُ الأبوابُ خَلْفَ حجابها
 يا زينة الإصباحِ والإمساءِ، بل
 ماذا تحاول من تنائينا النوى؟
 ألقى الضحى أفاك، ثم من الدجى
 وإذا أنستُ بوحدتى فلأنها
 إليه زمانى فى الهوى وزمانها
 مُتَسَلِّسلا بين الصبابة والصبأ
 نظر الفراق إليكما، فطواكما

وقال:

إن الهوى قَدَرٌ من الأقدار
 وأبيحُ حادثة الغرام وقارى
 والنفس ماضية مع الأوطار
 أبدا، ولا أَدعوك للإقصار
 لو أنه بيدي فككتُ إسرائى
 قبل المشيب، فما له من جار
 مَثَلُ الرياضِ تحبُّ فى آذار^{١٥}
 ومنأى منها ظبية بسوار
 محجوبةٌ إلا عن الأنظار
 تمشى الدلال، ولا بذات نِفار
 عن جَنَّة، وتلفتت عن نار
 نظراً، ولا ينظرُن فى الإصدار
 أمرٌ أحاول كَتَمَه وأدارى

لك أن تلوم، ولي من الأعذار
 ما كنتُ أسلمُ للعيون سلامتى
 وطرٌّ تعلَّقه الفؤادُ وينقضى
 يا قلب، شأنك، لا أمدك فى الهوى
 أمرى وأمرك فى الهوى بيد الهوى
 جارِ الشبيبة، وأنتفع بجوارها
 مَثَلُ الحياة تحبُّ فى عهد الصبأ
 ابداً (فروق) من البلاد هي المنى
 ممنوعةٌ إلا الجمالَ بأسره
 خُطواتها التقوى، فلا مَزْمُوءةٌ
 مرَّت بنا فوق الخليج، فأسفرتُ
 فى نِسوةٍ يوردن من شئن الهوى
 عارضتُهْن، وبين قلبى والهوى

وقال:

إذن أنا أولى بالقناع وبالجدر
 رددت به أمر الغرام إلى أمرى
 ولكن نفس الحر أجزر للحر
 تراءت دموعي فيه سابقة الفجر
 وهل بالسُّها في حلة السقم من نكر
 أخوض غمار الظن والنظر الشزر
 يبالغن في زجري، ويسر فن في نهري
 نرى حالة بين الصباية والسحر
 وذرن قضاء الله في خلقه يجرى
 رددت قلوب العاذلات إلى العذر
 يقلن: أمانا للعداري من الشعر
 وجدت مقال الهجر يزري بأن يزري
 ومن وهو يعدل في الوصال وفي الهجر
 فلا بد من يسر، ولا بد من عسر
 يجد مرها في الحلو، والحلو في المر
 فإني وجدت الكد أقتل للفقير
 يخنه الرفيق العون في المسلك الوعر
 يعيش مستباح العرض، منهتك الستر
 يبئ فضله عنه، ويعطل من الفخر

أتغلبني ذات الدلال على صبرى؟^{١٦}
 تتيه، ولي جلم إذا ما ركبته
 وما دفعي اللوام فيها سامة
 وليل كأن الحشر مطلع فجره
 سريت به طيفا إلى من أحبها
 طرقت جماها بعد ما هب أهلها
 فما راعني إلا نساء لقيتني
 يقلن لمن أهوى وأنسن ربيّة:
 إلكن جارات الحمى عن ملامتي
 وأخرجنى دمعى، فلما زجرته
 فسألنّها: ما اسمي؟ فسّت، فجنّني
 فقلت: اخاف الله فيكن، إنني
 أخذت بحظ من هواها وبينها
 إذا لم يكن للمرء عن عيشة غنى
 ومن يخبر الدنيا ويشرب بكأسها
 ومن كان يغزو بالتعلات فقره
 ومن يستعن في أمره غير نفسه
 ومن لم يقم سترًا على عيب غيره
 ومن لم يجمّل بالتواضع فضله

وقال:

ياليل، هل خبر عن الفجر
 لا تبتغى جولا، ولا يسرى
 أن الصباح رهينة الحشر
 بدجنة كسريرة الدهر
 والموج منقلب إلى البحر
 (فرعون) هذا السُّهد والفكر

قلب يذوب، ومدمع يجرى
 حالت نجومك دون مطلعته
 وتناولت جنحا، فحيل لى
 ارسيتها وملكت مذهبها
 ظلم تجى بها وترجعها
 ليت الكرى (موسى) فيوردها

ولقد أقول لهاتفٍ سحرًا
والروضُ أخرسٌ غيرٌ وسوسةٍ
والطيرُ ملءُ الأيكِ، أرؤسها
ألقى الجناحَ، وناءً بالصدر
كلم السهادُ بيوتَ هذبهما
تهدا جوانحه، فتحسبه
وتثور، فهو على الغصون يدُّ
يبكى لغير نوى ولا أسر
خفق الغصون، وجزية الغدر
مثل الثمار بدت من السدر
ورنا بصفراوين كالتبر
وأقام بين رؤومها الحمر
من صنعة الأيدي أو السحر
علقت أناملها من الجمر

يا طيرُ، بُتَّ أخاك ما يجرى
بى مثلُ ما بك من جوى ونوى
عبث الغرامُ بنا وروعنا
يا طيرُ، لا تجزع لحادثةٍ
فيما دهاك لو أطلعت رضى
يا طيرُ، كدر العيش لو تدرى
وإذا الأمورُ استصعبت صعبت
يا طيرن لو لُذنا بمضطبر
وعسى الأمانى العذابُ لنا
إننا كلانا موضع السر
أنا في الأنام، وأنت في القمر^{١٧}
أنا بالملام، وأنت بالزجر
كل النفوس رهائن الضر
شرُّ أخفُّ عليك من شرِّ
في صفوه، والصفو في الكدر
ويهون ما هونت من أمر
فلعل روح الله في الصبر
عون على السلوان والهجر

وقال:

بدأ الطيفُ بالجميلِ وزارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا
أنت إن بت في الجفون فأهلُّ
زار، والحرُّ بين جفنى ونومى
حسنُ يا خيالُ صنْعك عندى
يا رسول الرضى وقيت العثارا
وتيمم من السؤيداء دارا
عادة النور ينزل الأبصارا
قد أعد الججى لها أوزارا
أجمل الصنع ما يصيب افتقارا

بِ، كَأَن لَّمْ يَكُنْ لَهُ الْقَلْبُ جَارًا؟
 هـ عَنِ الذَّنْبِ رِقَّةً وَاعْتِذَارًا؟
 وَجَرِيحُ الْأَنَامِ يَطْلُبُ ثَارًا؟
 هُدًى مِنْ مَقَلَّتِي أَمْرًا، فَصَارَا وَأَذَى النَّصِيحِ
 أَنْ يَكُونَ جِهَارًا
 رَجِمَ اللَّهُ يَا جَفَوْنِي النَّهَارَا
 قَلْنِ: صَبْرًا، فَقَلْتِ: هَاتِي اصْطَبَارَا
 بَعْدَ لَيْلِي، وَلَمْ أَجِدْكَ قِصَارَا
 لَا يُبَالِي بِحَمَلِنِ صِغَارَا
 مُدْمِنُ الْخَمْرِ لَا يُحْسِبُ الْخُمَارَا
 خَرَجَ الرَّشْدُ عَنِ أَكْفِ السُّكَارِي

مَا لَرَبِّ الْجَالِ جَارَ عَلَى الْقَلْبِ
 وَأَرَى الْقَلْبَ كُلَّمَا سَاءَ يَجْزِي
 أَجْرِيحُ الْغَرَامِ يَطْلُبُ عَطْفًا
 أَيُّهَا الْعَادِلُونَ، نِمْتُمْ، وَرَامَ السُّدُ
 أَفَةُ النَّصِيحِ أَنْ يَكُونَ لَجَاجًا
 سَاءَلْتَنِي عَنِ النَّهَارِ جَفَوْنِي
 قَلْنِ: نَبِيكِيه؟ قَلْتِ: هَاتِي دَمَوْعًا
 يَا لِيَالِي، لَمْ أَجِدْكَ طَوَالًا
 إِنْ مَنْ يَحْمَلُ الْخَطُوبَ كِبَارًا
 لَمْ نَفِقْ مِنْكَ يَا زَمَانُ فَنَشْكُو
 فَاصْرِفِ الْكَأْسَ مُشْفَقًا، أَوْ فَوَاصِلُ

وقال:

فإنك دون الطير للسر مَوْضِعُ
 تَبْنُ فُنْصِغِي، أَوْ تَحَنُّ فَنَسْمَعُ
 كلانا غريب، نازح الدار، مَوْجَعُ
 وناء على قرب الديار مَرْوَعُ
 وأنت تُغْنِي فِي الْغُصُونِ وَتَسْبِجَعُ
 فقد تُمْسِكُ الْعَيْنَانَ وَالْقَلْبُ يَدْمَعُ
 نَدِ مِثْلُ أَيَّامِ الْحَدَائِثِ مُمْرَعُ
 فما البين إلا حادثٌ مُتَوَقَّعُ
 تُفَرِّقُهَا الْأَيَّامُ، وَالسَّمَطُ يَجْمَعُ
 فلا تُنْكَرِيه، فَهُوَ عِنْدَكَ مُوَدَّعُ
 جوانح في شوق إليه وَأَضْلَعُ
 يُذَالُ عَلَى سَفْحِ الْهَوَانِ وَيُوضَعُ
 وَيَطْرَبُ إِنْ قَلْتِ: الْأَسِيرُ الْمُمْنَعُ
 هو القلب، كالإنسانِ يُغْرَى وَيُحْدَعُ

أَبْتُكَ وَجَدِي يَا حَمَامُ، وَأَوْدِعُ
 وَأَنْتِ مُعِينُ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْهَوَى
 أَرَاكَ يَمَانِيًا، وَمَصْرُ خَمِيلَتِي
 هما اثنان: دان في التغرّب آمنُ
 ومن عجب الأشياء أبكى وأشتكى
 لعلك تُخْفِي الْوَجْدَ، أَوْ تَكْتُمُ الْجَوَى
 شجاك صغار كالخمان وموطنُ
 إذا كان في الأجال طولٌ وفسحةُ
 وما الأهل والأحباب إلا لآليءُ
 أُمْنِكِرْتِي، قَلْبِي دَلِيلُ وَشَاهِدِي
 أَسِيرِكَ، لَوْ يُفْدَى فِدْنُهُ يَجْمَعُهَا
 رماه إليك الدهر من حالي الهوى
 ومن عجب، يَأْسَى إِذَا قَلْتِ: مُتَعَبُ
 لَقِيَتْ عَلِيمًا بِالْغَوَانِي، وَغَنَمَا

وأعلم أن الغدرَ في الناس شائعٌ
وأن نِزاعَ الرُّشدِ والغَىَّ حالةٌ
وأنَّ أمانىَّ النفوسِ قِواتلٌ
وأن دُعاةَ الخيرِ والحقِّ حربُهُم

وقال:

تَأْتِي الدَّلَالَ سَجِيَّةً وَتَصْنَعُ
تَهْ كَيْفَ شِئْتَ، فَمَا الْجَمَالُ بِحَاكِمِ
لَكَ أَنْ يُرَوِّعَكَ الْوِشَاءُ مِنَ الْهُوَى
قَالُوا: لَقَدْ سَمِعَ الْغِزَالَ لِمَنْ وَشَى
أَنَا مَنْ يَحِبُّكَ فِي نِفَارِكَ مُؤَنِّسًا
قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَيَّامِ الْهُوَى
وَصَدَقْتُ فِي حَبِّي، فَلَسْتُ مُبَالِيًا
يَا مَنْ جَرَى مِنْ مُقَلَّتِيهِ إِلَى الْهُوَى
اللَّهِ فِي بَكْدٍ سَقَيْتَ بِأَرْبَعِ

وقال:

رَدَّتْ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكِ
مَرًّا مِنْ بَعْدِكَ مَا رَوَّعَنِي
كَمْ شَكُوتُ الْبَيْنِ بِاللَّيْلِ إِلَى
وَبَعَثْتُ الشُّوقَ فِي رِيحِ الصَّبَا
يَا نَعِيمِي وَعَذَابِي فِي الْهُوَى
أَنْتَ رُوحِي. ظَلَمَ الْوَأَشَى الَّذِي
مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ
أَرْجِفُوا أَنْكَ شَاكٍ مُوجِعٌ

وأراك في حالي دلالك مُبديعا
حتى يُطاع على الدلال ويُسمعا
وعلى أن أهوى الغزالَ مُروعا
وأقول: ما سمع الغزال، ولا وعى
ويحبُّ تيهك في نيفارك مَطمعا
وجعلتها أملاً عليك مُضيعا
أن أمنح الدنيا به أو أمنعا
صرفا، ودار بوجنتيه مُشعشعا^{١٨}
لو صبَّحوا (رضوى) بها لتصدعا^{١٩}

نامت الأعينُ. إلا مُقلة تسكُّب الدَّمع، وترعى مضجَعك

وقال مشطراً حيث اجتمع بعض الأدباء في مجلس، فذكر أحدهم بيتاً للبهاء زهير

وهو:

يقول أناسٌ: لو وصفت لنا الهوى فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف؟

فقال:

يقول أناسٌ: لو وصفت لنا الهوى لعل الذي لا يعرفُ الحبَّ يعرف
فقلت: لقد نُقِئتُ الهوى، ثم نُقِئتُه فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف؟

وقال:

عَلَّموه كيفَ يجفُو جفا
مسرفٌ في هجره ما ينتهي
جعلوا ذنبي لديه سَهْرِي
عرف الناسُ حقوقى عنده
صح لي في العمرِ منه موعِدٌ
ويرى لي الصبرِ قلبٌ ما درى
مُستَهامٌ في هواه مُدَنَّفٌ
يا خليلي، صفا لي حيلة
أنا لو ناديتُه في ذلَّةِ
ظالمٌ لا قيْتُ منه ما كفى
أُتراهم علَّموه السَّرَفَا؟
ليتَ بدرى إذ درى الذنبَ عفا
وغريمي ما درى، ما عرفا
ثم ما صدقتُ حتى أخلفا
أنَّ ما كلفنى ما كلفا
يترضى مستهماً مُدَنَّفَا
وأرى الحيلة أن لا تصفا
هي ني روجي فخذها، ما احتقى

وقال:

جئتنا بالشعور والأحداق
وهزرن القنا قُدودًا، فأبلى
حبذا القسَم في المحبين قسَمي
وقسمن الحظوظَ في العشاق
كل قلبٍ مُستضعفٍ خَفَّاقٍ
لو يلاقون في الهوى ما الأقى

حيلتى في الهوى وما أتمنى
 لو يُجَارَى المحبُّ عن فَرْطِ شَوْقٍ
 وفتاةٍ ما زادها في غريبِ الـ
 ذقت منها حلواً ومراً، وكانت
 ضربتُ موعداً، فلما التقينا
 قلت: ما هكذا الموائيقُ، قالت:
 عَطَفْتُهَا نَحَافَتِي، وشجاها
 فأررتني الهوى، وقالت: حَشِينَا
 يا فتاةَ العراقِ، أكتُمُ مَنْ أَنـ
 لي قوافٍ تَعَفُّ في الحبِّ إلا
 لا تَمْنَى الزمانُ منها مزيداً
 حمليني في الحبِّ ما شئتُ إلاَّ
 واسمحي بالعناقِ إرضى الدُّلُّ

وقال:

مُضُنِّي وليس به حَرَكَ
 وَيَمِيلُ من طَرِبٍ إذا
 إن الجمالَ كساک من
 وَنَبَتٌ؟ بين جوانحي
 حُلُو الوعودِ، متى وفاك؟
 من كلِّ لَفِظٍ لو أذِنـ
 أَخَذَ الحلاوةَ عن نَنَّا
 ظَلَمًا أقول: جَنَى الهوى
 غَدَتَا مَنِيَّةً مَنْ رَأَيْـ

لَكُنْ يَخْفُ إذا رَأَك
 ما مِلَّتْ يا غصنَ الأراك
 وَرَقَ المحاسنِ ما كساک
 والقلبُ من دَمِه سقاك
 أَتُراكَ مُنْجِزَها تُراكَ؟
 حَتَّ لأجله قَبَلْتُ فاك
 ياك العِذابِ، وعن لَمَّاك
 لم يَجِنِ إلا مُقْلَتَاك
 حَتَّ، وَرُحَّتْ مُنِيَّةً مَنْ رَأَك

وقال:

فدأتك الجوانح من نازل
بذلت له الجفن دون الكرى
وقلت: أراك برغم العذول
فويح المتيّم!! حتى الخيال
يحنّ عليك ضلوعُ عفّت
وقلبُ جو عندها خافق
ومن عبث العشق بالعاشقين
غفلت عن الكأس حتى طغت
وشفت، وما شف منى الضمير
يظلّ نديمي يسقى بها
أبدّها كرمًا كلما

وقال:

لام فيكم عذوله وأطالا
كلّ يوم لهم أحاديث لوم
بعثت ذكركم، فجاءت خفافاً
أيها المنكر الغرام علينا
آية الحسن للقلوب تجلّت
لك نصحي، وما عليك جدالي
وهب الرشد أننى أنا أسلو

وقال:

بات المعنى والدجى بيتلى
والشهب في كلّ سبيل له
إذا رعاها ساهياً ساهراً
يا ليل، قد جرّت، ولم تعدل
والبرح لا وإن وما منجلى
بموقف اللوام والعذل
رعيته بالحدق الغفل
وما أنت يا أسود إلا حلى

تفعل أحجمت فلم تفعل
 ما كنت للأعداء ما أنت لي
 والكأس لا تفنى ولا تمتلى
 يشرب من عين ومن جدول
 والفكر يُذكى، والحشا يصطلى
 كأنه الناقوس في الهيكل

وقال:

أنا إن بذلت الروح كيف ألام
 عمدت إلى قلبي بسهم نافذ
 يا قلب، لا تجزع لحادثة الهوى
 عرفت قلوب الناس قبلك: ما الجوى؟
 تجرى العقول بأهلها، فإذا جرى
 ما كنت أعلم - والحوادث جمّة -
 جنياً على كبدي وما عرضتها
 ولقد أقول لمن يحث كُنوسها
 لم تجر بين جوانحي إلا كما

وقال:

هل تيمم البان فؤاد الحمام
 أم شقه ما شقني فانثنى
 يهزه الأيك إلى إلفه
 وتوقد الذكرى بأحشائه
 كذلك العاشق عند الدجي
 له إذا هب الجوى صرعة
 يا عادي البين، كفى قسوة

فناح فاستبكي جفون العمام؟
 مبلبل البال شريد المنام؟
 هز الفراش المذنف المستهام
 جمراً من الشوق حثيث الضرام
 يا للهوى مما يثير الظلام!
 من دونها السحرُ وفعل المدام
 روعت حتى مهبجات الحمام

تلك قلوب الطيرِ حَمَلَتْهَا
لا ضربَ المقدورِ أَحِبَابِنَا
يا زمنَ الوصلِ، لأنْتَ المنى
لله عيشٌ لي وعيشٌ لها
وَأَنْسُ أَوْقَاتِ ظَفَرِنَا بِهَا
لكنه الدهرُ قليلُ الجَدَى
لو سَامَحْتَنَا فِي السَّلَامِ النَّوَى
ولا نُقْضَى العِمرَانِ فِي وَقْفَةٍ
قالت وقد كادَ يَمِيدُ الثَّرَى
وغيبت الأعيُنَ فِي دمعها
يا بَيْنُ، وَلَى جَلْدِي فَاتَّيْتُدُ
فقلت والصبرُ يجارى الأسى
إن كان لي عندك هذا الهوى

ما ضعفت عنه قلوبُ الأنام
ولا أعادينا بهذا الحُسام
وللمنى عَقْدٌ، وَأَنْتَ النظام
كنتَ به سمحاً رخيَّ الزَّمام
في غلْفَةِ الأيامِ، لو دُمْتَ دام
مُضِيْعُ العَهْدِ، لثِيْمُ الذَّمَامِ
لطال حتى الحشرِ ذاك السلام
نسلو بها الغمضَ ونسلو الطعام
من هَدَّةِ الصبرِ وهَوْلِ المقام
ونالت الألسنُ إِلَّا الكلام:
ويا زمني، بعضُ هذا حرام
واللبُّ مأخوذٌ، ودمعي انسجام:
بِأَيِّمَا قلت كتمت الغرام

وقال:

صريعُ جفنيك ينفى عنهما التهما
الله في روحِ صَبِّ يَغْشِيَانِ بِهَا
وَكُفَّ عَن قَلْبِهِ المَعْمُودِ نَبْلَهُمَا
سلو غزالاً غزا قلبي بحاجبه
واستخبروه: على كم نارُ جَفَوْتِهِ؟
واستوهبوه يداً في العمرِ واحدةً
ولا تَرَوْا مِنْهُ ظِلْمًا أَنْ يُضِيْعَنِي

فما رميت ولكن القضاء رمى
مَوَارِدِ الحَتْفِ لم ينقل لها قدما
أليس عهدك فيه حبةً ودما؟
أما كفى السيفُ حتى جردَ القلما؟
أما كفى ما جنت نارُ الخدودِ أما؟
ومَهَّهوا عُذْرَهُ عني إذا حرما
من ضيِّع العَرَ المملوكَ ما ظلما

وقال:

ناد الكرى ن مقلتيك حمامُ
حيرانٌ، مشبوبُ المضاجعِ، ليُّه

لبَّاه شوقٌ ساهرٌ وغرام
حربٌ، وليلُ النائمين سلام

بين الدّجى لكما وعادية الدّجى
تتعاونان، وللتعاون أمةٌ
يا أيها الطيرُ الكثيرُ سميرهُ
عانقتُ أغصاناً، وعانقتُ الجوى
أُحَرِّمَ الأَجْفَانَ إِدْنَاءَ الكرى
حاولنُ منه إلى خيالك سُلماً
فأذنُ لِطَيْفِكَ أن يُلِمَّ مُجَامِلاً
مَهْجٌ تُؤَلَّفُ بينها الأَسْقَامُ
لا الدهرُ يخذلها ولا الأيامُ
هل ريشةٌ لجناحه فيُقَامُ؟
وشكوتُ، والشكوى على حرام
يَهْنِيكَ ما حَرَّمْتُ حين تنام
لو سَامَحَتْ بخيالك الأَحْلَامُ
ومؤمِّلُ من طيفك الإِلْمامُ

وقال:

شغَلْتَهُ أَشْغَالٌ عَنِ الأَرَامِ
وَمَضَى يَجْرُ عَلَى الهوى أَذْيَالَهُ
ويذمُّ عهدَ الغانياتِ كَنَاقِيَةٍ
لا تعجلنَّ وفي الشبابِ بَقِيَّةٌ
كانت إِنْابَتُكَ المُرِيبَةَ سَلْوَةً
إِن الذي جعلَ القلوبَ أَعْنَةً
يا قلبَ أحمدَ - والسَّهَامُ شديدةٌ -
تَدْرِي، وتَسألُنِي تَجاهلاً عارِفِ:
ما زلتَ تَرَكُّبُ كُلَّ صَعْبٍ في الهوى
وَإِذا القلوبُ استرسلت في غَيِّها

وقال:

بِه سِحْرٌ يُتَيَّمُهُ
هما كاد لمهجته
تعدّبه بسحرهما
فلا هَارُوتَ رَقَّ له
وتُظْلِمُهُ فلا يشكو
كلا جَفَنِيكَ يَعْلمُهُ
ومنكَ الكيدُ مُعْظَمُهُ
وتُوجِدُهُ، وتُعدمه
ولا مَارُوتَ يَرْحَمُهُ
إلى من ليس يظلمه

الشوقيات

أَسْرًا، فَمَاتَ كَتْمَانًا وِبَاحٍ، فَخَانَهُ فُمُهُ
 فَوَيْحَ الْمُدْنَفِ المَعْمِ وَوِدِّ حَتَّى البِثِّ يُحْرَمُهُ
 طَوِيلُ اللَّيْلِ، تَرْحُمُهُ هَوَاتِفُهُ وَأَنْجُمُهُ
 إِذَا جَدَّ الغَرَامُ بِهِ جَرَى فِي دَمْعِهِ دُمُهُ
 يَكَادُ لَطُولُ صَحْبَتِهِ بَعَادَى السُّقْمِ يُسْقُمُهُ
 تَنَى الأَعْنَاقَ عُوْدُهُ وَأَلْقَى العِذْرَ لُوْمُهُ
 قَضَى عَشَقًا سَوَى رَمَقٍ إِلَيْكَ غَدًا يَقْدَمُهُ
 عَسَى إِنْ قِيلَ: مَاتَ هَوَى تَقُولُ: اللّٰهُ يَرْحَمُهُ
 فَتَحِيَا فِي مَرَاقِدِهَا بَلْفِظٍ مِنْكَ أَعْظَمُهُ

بِرُوحِي البَانُ يَوْمَ رَنَا عَنِ المَقْدُورِ أَعْصَمُهُ
 وَيَوْمَ طَعْنَتْ مِنْ غُصْنٍ مُعَلَّمُهُ مُنْعَمُهُ
 قِضَاءُ اللّٰهِ نَظَرْتُهُ وَلَطْفُ اللّٰهِ مَبْسَمُهُ
 رَمَى، فَاسْتَهْدَفْتُ كَبْدِي بَى الرِّامِي وَأَسْهَمُهُ
 لَهُ مِنْ أَضْلَعِي قَاعٌ وَمِنْ عَجَبٍ يَسْلَمُهُ
 وَمِنْ قَلْبِي وَحَبَّتِهِ كِنَاسٌ بَاتَ يَهْدِمُهُ
 غَزَالٌ فِي بَدَايِهِ النَّيِّ هُ بَيْنَ العِيدِ يَقْسِمُهُ

وقال:

مَنْ صَوَّرَ السَّحَرَ المُبِينَ عَيُونَا وَأَحَلَّهُ حَدَقًا لَهَا وَجِفُونَا؟
 نَظَرْتُ، فَحَلَّتْ بَجَانِي، فَاسْتَهْدَفْتُ كَبْدِي، وَكَانَ فَوَادَى المَغْبُونَا
 وَرَمَتْ بِسَهْمِ جَالٍ فِيهِ جَوْلَةٌ حَتَّى اسْتَقَرَّ، فَزَرَّنَ فِيهِ رَنِينَا
 فَلَمَسْتُ صَدْرِي مُوجَسًا وَمُرَوَّعًا وَلَمَسْتُ جَنْبِي مُشْفِقًا وَضَنِينَا
 يَا قَلْبُ، إِنْ مِنَ البَوَاتِرِ أَعْيِنَا سُوَادًا، وَإِنَّ مِنَ الجَاذِرِ عَيْنَا
 لَا تَأْخُذَنَّ مِنَ الأُمُورِ بظَاهِرِ إِنَّ الظَّوَاهِرَ تَخْدَعُ الرَّائِنَا
 فَلَكُمْ رَجَعْتُ مِنَ الأَسِنَّةِ سَالِمًا وَصَدَرْتُ عَنْ هَيْفِ القُدُودِ طَعِينَا

وَحَمِيلَةٌ فَوْقَ الْجَزِيرَةِ مَسَّهَا
كَالتَّيْرِ أَفْقًا، وَالزَّبْرَجِدِ رَبْوَةً
وَقَفَ الْحَيَا مِنْ دُونِهَا مُسْتَأْذِنًا
وَجَرَى عَلَيْهَا النَّيْلُ يَقْذِفُ فِضَّةً
يُغْرَى جَوَارِيَهُ بِهَا، فَيَجْتَنُّهَا
رَاعِ الظَّلَامِ بِهَا أَوَانَسُ تَرْتَمِي
يَخْطُرُنَ فِي سَاحِ الْقُلُوبِ عَوَالِيًا
عَفَنَ الذِّيُولَ مِنَ الْحَرِيرِ وَغَيْرِهِ
عَارِضَتُهُنَّ وَلِي فَوْادُ عُرْضَةٌ
فَنَظَرْنَ لَا يَدْرِينَ: أَذْهَبُ يَسْرَةً
وَنَفَرْنَ مِنْ حَوْلِي وَبَيْنَ خَبَائِلِي
فَجَمَعْتُهُنَّ إِلَى الْحَدِيثِ بِدَاتِهِ
وَسَمِعْتُ مَنْ أَهْوَى تَقْوِيلَ لِتَرْبِهَا:
قَالَتْ: أَرَاهُ عِنْدَ غَايَةِ وَجْدِهِ
ذَهَبُ الْأَصِيلِ حَوَاشِيًا وَمَتُونًا
وَالْمِسْكِ تَرْبًا، وَاللُّجَيْنِ مَعِينًا
وَمَشَى النَّسِيمُ بِظَلْمَا مَاؤُونًا
نَثْرًا، وَيَكْسِرُ مَرْمَرًا مَسْنُونًا
وَيُغَيِّرُهُنَّ بِهَا، فَيَسْتَعْلِينَا
مِثْلَ الظُّبَابِ مِنَ الرَّبِيِّ يَهْوِينَا
وَيَمْلَنَ فِي مَرَأَى الْعَيُونِ غُصُونًا
وَسَحَبْنَ تَمَّ الْأَسَّ وَالنَّسْرِينَا
لَهْوَى الْجَاذِرِ دَانَ فِيهِ وَدِينَا
فَيَجِدُنَّ عَنِّي، أَمْ أَمِيلُ يَمِينًا؟
كَالسَّرْبِ صَادَفَ فِي الرُّوَّاحِ كَمِينَا
فَغَضِبْنَ، ثُمَّ أَعَدَّتْهُ فَرُضِينَا
أُحْرَى بِأَحْمَدَ أَنْ يَكُونَ رَزِينًا^{٢٠}
فَلَعَلَّ لَيْلَى تَرْحُمُ الْمَجْنُونَا

أَذْعَنَ لِلْحُسْنِ عَصِيَّ الْعِنَانُ
يَعِيشُ جَفْنَاكَ لَبِثَ الْمُنَى
يَا مُسْرَفًا فِي النَّيِّهِ مَا يَنْتَهَى
وَيَا كَثِيرَ الدَّلِّ فِي عِرِّهِ
وَيَا شَدِيدَ الْعُجْبِ، مَهْلًا، فَمَا
وَحَاوَلْتُ عَيْنَاكَ أَمْرًا فَكَانَ
أَوْ الْأَسَى فِي قَلْبِ رَاحِ وَعَانَ
أَخَافُ أَنْ يَفْنَى عَلَيْنَا الزَّمَانُ
لَا تَنْسَ لِي عَزَى قُبَيْلِ الْهَوَانِ
مَنْ مُنْكَرٍ أَنْكَ زَيْنُ الْحِسَانِ

وقال:

يَا حَسَنَهُ بَيْنَ الْحِسَانِ
كَالْبَدْرِ تَأْخُذُهُ الْعَيُ
مَلِكِ الْجَوَانِحِ وَالْفَوْأِ
وَمَنَايَ مِنْهُ نَظْرَةٌ
فِي شَكْلِهِ إِنْ قِيلَ: بَانَ
نُ وَمَا لَهْنَ بِهِ يَدَانُ
دَ ففِي يَدَيْهِ الْخَافِقَانُ
فَعَسَى يُشِيرُ الْحَاجِبَانُ

الشوقيات

فَعَسَى يُزَكِّي حُسْنَهُ مَنْ لَا لَهُ فِي الْحَسَنِ ثَانُ
فَدَعُوهُ يَغْدِلُ أَوْ يَجْوُ رُ، فَإِنَّهُ مَلَكُ الْعِنَانِ
حَقُّ الدَّلَالِ لِمَنْ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مَكَانُ

وقال:

يَا نَاعِمًا رَقَدْتَ جُفُونَهُ مُضْنَاكَ لَا تَهْدَا سُجُونَهُ
حَمَلَ الْهَوَى لَكَ كُلَّهُ إِنْ لَمْ تُعْنَهُ فَمَنْ يُعِينُهُ؟
عُدُّ مُنْعِمًا، أَوْ لَا تَعُدُّ أَوْدَعْتَ سِرَّكَ مَنْ يَصُونُهُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْهَوَى سَبَبٌ سَيَجْمَعُنَا مَتِينَهُ
رِشَاءُ يُعَابُ السَّاحِرُو نَ وَسَحَرُهُمْ، إِلَّا جُفُونَهُ
الرُّوحُ مَلِكٌ يَمِينُهُ يَفْدِيهِ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ
مَا الْبَانُ إِلَّا قَدُّهُ لَوْ تَيَّمَتْ قَلْبًا غُصُونَهُ
وَيَزِينُ كُلَّ يَتِيمَةٍ فَمُهُ، وَتَحْسِبُهَا تَزِينُهُ
مَا الْعَمْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ كَانَ الصَّبَاحُ لَهَا جَبِينُهُ
بَاتَ الْغُرَى يَدِينُنَا فِيهَا كَمَا بَتْنَا نَدِينَهُ
بَيْنَ الرَّقِيبِ وَبَيْنُنَا وَإِذْ تُبَاعِدُهُ حُزُونُهُ
نُعْتَابُهُ، وَنَقُولُ: لَا بَقَى الرَّقِيبُ وَلَا عِيُونُهُ

وقال:

صَحَا الْقَلْبُ، إِلَّا مِنْ حُمَارِ أَمَانِي يَجَاذِبُنِي فِي الْغَيْدِ رَتْ عِنَانِي
حَنَانِيكَ قَلْبِي، هَلْ أُعِيدُ لَكَ الصَّبَا؟ وَهَلْ لِلْفَتَى بِالْمُسْتَحِيلِ يَدَانُ؟
تَحَنُّ عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطَيْبِهِ وَهَلْ أَنْتَ غَلَا مِنْ دَمِ وَحْنَانُ؟
إِذَا لَمْ تَصُنْ عَهْدًا، وَلَمْ تَرَخْ ذِمَّةً وَلَمْ تَدَكِّرْ إِذَا الْفَاءُ، فَلَسْتَ جَنَانِي
أَتَذَكِّرُ إِذْ نُعْطِيَ الصَّبَابَةَ حَقَّهَا وَنَشْرَبُ مِنْ صَرْفِ الْهَوَى بِدَنَانُ؟
وَأَنْتَ حَفْوُوقُ، وَالْحَبِيبُ مَبَاعِدُ وَأَنْتَ حَفْوُوقُ، وَالْحَبِيبُ مَدَانُ؟
وَأَيَّامٌ لَا أَلُو رِهَانًا مَعَ الْهَوَى وَأَنْتَ فَوَّادِي عِنْدَ كُلِّ رِهَانُ

لقد كنتُ أشكو من خُفوكِ دائبًا
سقاكَ التَّصابي بعد ما علكِ الصِّبَا
وما زلتُ في رِيحِ الشباب، وإنما
ولا أكذبُ البارى، بني الله هيكلى
أدينُ إذا اقتادَ الجمالُ أزمّتى

وقال:

الله في الخلق من صبَّ ومن غانى
صونى جمالكِ عنّا إننا بشرُّ
أو فابتغى للكا تأوينه ملكًا
يَساب في النور مَشغوفًا بصورته
إذا تبسّم أبدى الكونُ زينته
وأشرقى من سماءِ العزِّ مُشرقَةً
عسى تَكفُّ دموعُ فيكِ هاميةً
يا مَنْ هجرتُ إلى الأوطان رؤيتها
أتذكرين حنيني في الزمان لها
وعَبَطَى الطيرَ ألقاه اصيْحُ به:

وقال:

قلْبُ بوادى الحمى خَلْفته رَمَقًا
أحنى عليكِ من الكُتبان، فاتَّخذى
عَرَبته، فَوَهى جَنبى لفرقته
لا ردهُ الله من اسرٍ، ومن خَبِلٍ
دلّهته بعزيزٍ في مَحاجرِه
رمى فضجتُ على قلبى جوانحُه
يا صورةَ الحورِ في جِلبابِ فانيةٍ

ماذا صنعتِ به يا ظبيةَ البان؟
عليه مَرعاكِ من قاعِ وكُتبان
وحنَّ للنازحِ المأسورِ جُثماني
إن كان في ردهِ صَحوى وسُلوانى
ماضٍ، له من مُبينِ السَّحرِ جَفنان
وقلن: سهمٌ، فقال القلبُ: سهمان
وكوكبِ الصبحِ في أعطافِ إنسان

الشوقيات

مُرَى عَصِيَّ الكرى يَغْشَى مُجَامَلَةً
فحسبُ حَدَى مِنْ عَيْنَيَّ ما شربا
وسامحى في عناق الطيفِ أجفاني
فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينان

وقال:

قالوا له: رُوحى فِداه
أنا لم أقم بصدوده
تجرى الأمور لغايةٍ
سُمِّيَتْهُ بدرَ الدُّجى
ودعوته غصنَ الرِّيا
وأقولُ عنه: أخو الغزا
قال العواذلُ: قد جفا
أنا لو أطعت القلبَ فيد
والنُّصْحُ مُتَّهَمٌ وإن
أذنُ الفتى في قلبه
هذا التجنُّى ما مَداه؟
حتى يُحَمِّلَنِي نَواه
إِلَّا عذابى في هواه
ومن العجائب لا أراه
ض، فلم أجد رَوْضًا حواه
ل، ولا أرى إِلَّا أخاه
ما بالُ قلبك ما جفاه؟
ه لم أزدَه على جَواه
نَثَرْتُهُ كالدُّر الشفاه
حينًا، وحينًا في نَهاه

وقال:

مقاديرُ من جَفَنِيكَ حولنَ حاليا
نفذن على اللبِّ بالسهم مُرسلًا
وألْبَسَنى ثوبَ الضنى فلبسته
وما الحبُّ إِلَّا طاعةٌ وتجاوزُ
وما هو إلا العينُ بالعينُ تلتقي
وعندي الهوى، موصوفه لا صفاته
وبى رَشَأُ قد كان دنياى حاضرا
سمحتُ بروحي في هواه رخيصةً
ولم تجرِ ألفاظُ الوشاةِ بريبةً
أقول لمن ودَّعتُ والركبُ سائرُ:
فذُقتُ الهوى من بعد ما كنتُ خاليا
وبالسَّحرِ مَقْضِيًا، وبالسيفِ قاضيا
فأحبُّ به ثوبًا وإن ضمَّ باليا
وإن أكثروا أوصافه والمعانيا
وأن نوعوا أسبابه والدواعيا
إذا سألوني: ما الهوى؟ قلتُ: ما بيا
فغادرنى أشتاقُ دنياى نائيا
ومن يهوَ لا يُوثره على الحبِّ غاليا
كهذى التي يجرى بها الدَّمعُ وأشيا
برغم فؤادى سائرُ بفؤاديا

كفكى بالهوى كأساً، وراحاً، وساقياً
من الظلم أن يغدو لنا رَيْن صالياً
فرفقاً به من طعنة القَدِّ جَرْحُهُ

أماناً لقلبي من جفونك في الهوى
ولا تجعليه بين خدِّيك والنوى
ولم يندمل من طعنة القَدِّ جَرْحُهُ

وقال:

الله في مُهَج طاحت غَوَالِيهَا
وارْدُدْنَهَا كَرَمًا لو كان يُجديها
ما كان من عَبَثِ الأَحْدَاقِ يكفِيها
على (الجزيرة) سُرْبٌ من غَوَانِيهَا
من الجوانح ضَمَّتْهَا حَوَانِيهَا
مَهزوزةً شكلاً، مشروعةً تِيهَا^{٢٣}
نَشَوَى مَنَاصِلُهَا، كَحَلَى مَوَاضِيهَا
ولم نَحَلْ طَبَّيَاتِ القَاعِ تَلْقِيهَا
حتى أَنْتَنَيْتِ بِنَفْسِ عَزِّ فَادِيهَا
لَبَّائُهَا عن شبيهه الدَّرِّ من فِيهَا
كأن يُوَشِّعَ مَفْتُونٌ يُجَارِيهَا
للناظرين، وِبَانًا في تَتْنِيهَا
عُجْبًا، وكلَّ نَوَاحِيهِ مَرَاتِيهَا
يَزُورُ عن لحظاتي في مَسَارِيهَا
ومن غلائلها عَمَّا يُدَانِيهَا
فقلت: هل يُحَرِّجُ الأَقْمَارَ رَائِيهَا
ما كنتُ أعلمُ أن الرِّيمَ يروِيها
صدى السريرة والأدَابِ يَحْكِيها

أهل القُدودِ التي صالت عَوَالِيهَا
خُذْنَ الأَمَانَ لها لو كان يَنْفَعُهَا
وانظرنَ ما فعلتُ أَحْدَاقَكُنَّ بها
تَعَرَّضْتُ أَعْيُنُ مِنَّا، فَعَارَضْنَا
ما تَرْنُ من كُنُسٍ^{٢٢} إِلَّا كُنُسٍ
عَنَّتْ لَنَا أَصْلًا، تُغَرِّى بِنَا أَصْلًا
وَأَرْهَفَتْ أَعْيُنًا ضَعْفَى حَمَائِلُهَا
لنا الحبائلُ تَلْقِيهَا نَصِيدُ بها
نصَبْنَهَا لك من هُدْبٍ ومن حَدَقِ
من كلِّ زهراءِ في إِشْرَاقِهَا ضَحَكَتْ
شمسُ المحاسنِ يَسْتَبْقَى النَهَارُ بها
مَشَتْ على (الجسر) رِيماً في تَلْفَتْهَا
كأنَّ كلَّ غَوَانِيهِ ضَرَّائِرُهَا
عَارَضَتْهَا وضميرى من محارمها
أَعْفُ من حَلِيهَا عَمَّا يُجَاوِرُهُ
قالت: لعلَّ أَدِيبَ النِيلِ يُحَرِّجُنَا
بيني وبينك أشعارٌ هتفتُ بها
والقولُ إنَّ عَفَّ أو ساءتْ مَوَاقِعُهُ

وقال:

وأشكو إليها كَيْدَ إنسانِها لِيَا

أدارى العيونَ الفاتراتِ السَّواجِيَا

قتلنَ ومَنَّينَ القَتيلَ بألسُن
 وكَلَّمَنَ بالألحاظِ مَرَضَى كَليلَةً
 حَبَّبَتِكِ ذاتَ الخالِ، والحبُّ حالَةٌ
 وإنكِ دُنيا القلبِ مهما عَدَرَتِه
 صدودُك فيه ليس يألوه جارحًا
 وبينَ الهوى والعَدلِ للقلبِ موقِفُ
 وبينَ المُنَى واليأسِ للصبرِ هِزَّةٌ
 وعَرَضُ بي قومي، يقولونَ: قد غوى
 يَرمونَ سُلوانًا لقلبي يُريحُه
 وما العشقُ إلا لذةٌ ثم شِقوَةٌ
 من السحرِ يُبَدِّلنَ المنيا أمانيا
 فكانتِ صِحاخًا في القلوبِ مواضيا
 إذا عَرَضتِ للمرءِ لم يَدِرِ ماهيا
 أتى لك مملوءًا من الوجدِ وافيًا
 ولفظُك لا ينفكُ للجرحِ آسيا
 كخالِكِ بينَ السيفِ والنارِ ثاويا^{٢٤}
 كخَضِرِكِ بينَ النَهْدِ والرَّدْفِ واهيا
 عِدِمْتُ عذولي فيكِ إن كنتُ غاويا
 ومن لى بالسُّلوانِ أشريه غاليا؟
 كما شَقِيَ المَخمورُ بالسُّكرِ صاحيا

هوامش

- (١) العقيق: كناية عن الدَّم.
- (٢) نهل، من نهلت الإبل: شربت أول الشرب.
- (٣) عَلَّت، من علَّ الرجل: شرب شربة ثانية.
- (٤) سويجج: تصغير ساجع. والسويداء: حبة القلب.
- (٥) يضيوني: يضعفني، من أضواه الأمر: أضعفه.
- (٦) والقلب اصبى: أي أشد صبوة.
- (٧) أهل به: عمر.
- (٨) الطبى: جمع طبة وهي حد السيف.
- (٩) هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذي قال حين بلغ الثمانين وقد شكَا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة:

أن الثمانين — وبلغتها — قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

- (١٠) الفند: الكذب وكفر النعمة.
- (١١) العهد: القديم.
- (١٢) الكم بكسر الكاف: الغلاف الذي ينشق عن الثمر.

باب النسيب

- (١٣) يعنى بكل مقطعة يدها إلخ. صواحيبات يوسف الصديق اللواتي ورد ذكرهن في السورة.
- (١٤) السمر: الرماح. والخواطر: المهتزاز، يقال: خطر الرمح إذا اهتز، وهي هنا كناية عن القدود.
- (١٥) آذار: شهر مارس وهو أول فصل الربيع.
- (١٦) هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامي باشا البارودي، نظمته ثم أمسكه، فأكملة الشاعر وأضاف إليه هذه الأبيات.
- (١٧) القمر: جمع قمرية وهي ضرب من الحمام.
- (١٨) المشعشع: الشراب يمزج بالماء.
- (١٩) رضوى: اسم جبل.
- (٢٠) الترب بالكسر: وما ولد معك، وأكثر ما يستعمل في المؤنث، يقال هذه ترب فلانه إذا كانت على سنه.
- (٢١) الأنداء: الأمطار.
- (٢٢) الكنس: جمع كناس، وهو بيت الظبي.
- (٢٣) يقال: شكلت المرأة شكلا: كانت ذات شكل أي غنج ودلال وغزل.
- (٢٤) يعنى الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد — وهي كناية عن الحمرة — وبين سيف اللحظ وهو معروف.

متفرقات

مَصَايِرُ الْأَيَّامِ:

وأحببُ بأيَّامه أحبباً!
ن، عنانُ الحياةِ عليها صَبِي
ةِ وأنفاسُ رِيحانِها الطيِّبِ
ع على مشرقِ الشمسِ والمغربِ
وراعِ غريبِ العصاِ أجنبي
ةِ شديدٍ على النفسِ مُستصعبِ
يروضُ الجناحِ، ومن أُرغَبِ
س،^١ مهارةُ عرابيدُ في المَلْعَبِ
ةِ، على الأُمَّ يُلقونها والأبِ
تضيِّقُ به سَعَةُ المذهبِ
وأعدى المؤدَّبَ حتى صَبِي!
ح، وليس إذا جَدَّ بالمطربِ
ن على الناسِ دائرةُ العَقْرَبِ
بِ، وتقذِفُ بالسَّمِ في الشُّبِّبِ
ء وتجرى المقاديرُ في اللُّوَلْبِ
حقائبُ فيها الغدُّ المُختبِ
من الناسِ، أو يَمِضُ لا يُحسبِ

ألا حَبَّبَا صُحْبَةَ المَكْتَبِ
ويا حَبَّبَا صِبيَّةً يَمرحو
كأنهمو بِسَماتُ الحيا
يُراخُ وَيُعَدَى بهم كالقَطِيـ
إلى مَرْتَعِ أَلفوا غيرَه
وَمُستَقْبِلٍ من قيودِ الحيا
فراخُ بأيكِ: فمن ناهِضِ
عصافيرُ عند تهجِّي الدرو
خَلِيُون من تَبِعاتِ الحيا
جنونُ الحَدائِةِ من حولهم
عدا فاستبدَّ بعقلِ الصبِيِّ
لهم جَرٌّ مُطْرَبٌ في السرا
توارتُ به ساعةٌ للزما
تَشُولُ^٢ بإيرتها للشبا
يَدُقُّ بِمِطْرَقَتَيْها القضا
وتلك الأواعى بأَيَّامانهم^٣
ففيها الذي إن يُقِمَ لا يُعدُّ

الشوقيات

وفيها اللّواءُ، وفيها المنا رُ، وفيها التَّبِيحُ، وفيها النَّبِيُّ
وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزحَا مَ، وفيها المقدمُ في المواكِبِ

جميلٌ عليهم قشيبُ الثيا
كساهم بنانُ الصِّبا حُلَّةً
وأبهى من الورد تحت الندى
وأطهر من ذيلها لم يلمَّ
قطيعُ يزجيه راع من الدهـ
أهابت هروائهُ بالرِّفا
وصرفَ قطعانهُ، فاستبدَّ
أراد لمن شاء رَعَى الجديـ
وروى على رِيها النَّاهلا
وألقى رِقابًا إلى الضاريـ
وليس يبالى، رضا المستريـ
وليس بمُبِقِّ على الحاضريـ

ب، وما لم يُجَمِّل ولم يَقشِب
أعزَّ من المخمِلِ المُذْهَبِ
إذا رفَّ في فرعه الأهدب
من الناس ماشٍ، ولم يَسْحَبِ
ر، ليس بليِّن ولا صُلَّبِ
ق، ونادت على الحَيِّدِ الهُرَّبِ
ولم يخشَ شيئًا، ولم يَرهَبِ
ب، وأنزل من شاء بالمُخْصِبِ
ت، وردَّ الظِّماءَ فلم تَشْرَبِ
ن، وضنَّ بأخرى فلم تُضْرَبِ
ح، ولا صَجَرَ الناقيمِ المُتَعَبِ
ن، وليس بباكٍ على الغيِّبِ

فيا ويحهم! هل أحسُّوا الحيا
تجرَّبُ فيهم وما يعلمو
سَقَتُهُم بِسَمِّ جَرى في الأصو
ودار الزمانُ، فدالَ الصِّبا
وجدَّ الطَّلابُ، وكدَّ الشبا
وعادت نواعِمُ أيَّامه
وعُذِبَ بالعلمِ طُلابُه
رَمَتُهُم به شهواتُ الحيا
وزهُوُ الأبوَّةِ من مُنجِبِ
وعقلٌ بعيدُ مرامى الطِّما

ة؟ لقد لعبوا وهى لم تلعب
ن، كتجربةِ الطبِّ في الأرنب
ل، وروى الفروعَ ولم ينضب
وشبَّ الصِّغارُ عن المكتب
بُ وأوغل في الصَّعبِ فالأصعب
سِنينَ من الدَّابِ المنصبِ
وغصُّوا بِمَنهلهِ الأعذابِ
ة، وحُبُّ النَّباهةِ والمكسبِ
يفاخِرُ مَنْ ليس بالمنجبِ
ح، كبيرُ اللَّبانةِ والمارِبِ

وَلَوْعُ الرَّجَاءِ بِمَا لَمْ تَنْلُ عَقُولُ الْأَوَالِي وَلَمْ تَطْلُبِ
تَنْقَلَ كَالنَّجْمِ مِنْ غَيْهَبٍ يَجُوبُ الْعَصُورَ إِلَى غَيْهَبِ
قَدِيمِ الشُّعَاعِ كَشَمْسِ النِّهَا رِ جَدِيدٍ كِمَصْبَاحِهَا الْمُلْهَبِ
أَبُو قِرَاطُ مِثْلُ ابْنِ سِينَا الرَّئِي سِ، وَهُوَ مِيرٌ مِثْلُ أَبِي الطَّيِّبِ
وَكُلُّهُمْ حَجَرٌ فِي الْبِنَا ءِ، وَغَرَسُ مِنَ الْمَثْمَرِ الْمُعْقِبِ

تَوَلَّفُهُمْ فِي ظِلَالِ الرِّخَا عِن وَفِي كَنْفِ النَّسَبِ الْأَقْرَبِ
وَتَكْسِرُ فِيهِمْ غُرُورَ الثَّرَا ءِ، وَزَهْوَ الْوِلَايَةِ وَالْمَنْصِبِ
بِيوتُ مُنَزَّهَةٌ كَالْعَتِي ق وَإِنْ لَمْ تُسْتَرَّ وَلَمْ تُحَجَّبِ
يُدَانِي ثَرَاهَا ثَرَى مَكَّةَ وَيَقْرَبُ فِي الطُّهْرِ مِنْ يَثْرِبِ
إِذَا مَا رَايْتَهُمْو عِنْدَهَا يَمُوجُونَ كَالنَّحْلِ عِنْدَ الرَّبِيِّ
رَأَيْتَ الْحَضَارَةَ فِي حَصْنِهَا هُنَاكَ، وَفِي جُنْدِهَا الْأَغْلَبِ
وَتَعْرُضُهُمْ مَوَكِبًا مَوَكِبًا وَتَسْأَلُ عَنِ عِلْمِ الْمَوَكِبِ
دَعِ الْحِظَّ يَطْلَعُ بِهِ فِي غَدِ فَإِنَّكَ لَمْ تَدْرِ مَنْ يَجْتَبِي
لَقَدْ زَيْنَ الْأَرْضَ بِالْعَبْقَرِيِّ مُحَلَّى السَّمَاوَاتِ بِالْمَوَكِبِ

لُبَّانٌ

السَّحْرُ مِنْ سُودِ الْعَيُونِ لِقِيَّتُهُ وَالْبَابِلِيُّ بِلِحْظِهِنَّ سُقِيَّتُهُ
الْفَاتِرَاتِ وَمَا فَتَرْنَ رَمَايَةً يُمْسِدِدُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَبِيَّتُهُ
النَّاعَسَاتِ الْمَوْقِظَاتِي لِلْهَوَى الْمُغْرِيَاتِ بِهِ وَكُنْتُ سَلِيَّتُهُ
الْقَاتِلَاتِ بَعَابِثٍ فِي جَفْنِهِ ثَمَلِ الْغِرَارِ مُعْرِبِدِ إِصْلِيَّتِهِ °
الشَّارِعَاتِ الْهُدْبِ أَمْثَالَ الْقَنَا يُحْيِي الطَّعِينَ بِنِظْرَةِ وَيُمِيَّتِهِ
النَّاسِجَاتِ عَلَى سِوَاءِ سَطُورِهِ سَقَمًا عَلَى مَنَوَالِهِنَّ كُسِيَّتِهِ

وَأَغْنَى أَكْحَلَ مِنْ مَهَا «بِكْفِيَّةٍ» عَلِقْتَ مُحَاجِرَهُ دَمِي وَعَلِقْتَهُ

بين القنا الخطَّار حُطَّ نَحِيته
والأس من حُضْرِ الخمائل قوته
قال الجمال براحتي مَثَلته
فأتيت دون طريقه فزحمته
حالاً من الغيد الملاح عرفته
وزعمتهن لُبانتى فأغرته
وقعت عليه حبائلي فكنصته
وأتيت من سحر البيان فصدته
لابن البتول وللصلاة وهبته^٦
افق البيان بأرضكم يممته
لُبنانُ وانتظم المشارق صيته
تتهلل الفُضحى إذا سميته
حفظاً ولا طلبُ الجديد يفوته
خُلُق يبين جلاله وثبوته
تبرُ القرائح في التراب لمحته
ثم أنثنت إلى البيان بكيته
يُوسم بأزينَ منهما ملكوته
وذرا البراعة والحجى «بيروته»
هأمُ السحاب عروشُه وتخوته
إلا سُبُحاته^٧ وسُموته^٨
في السُود العالى له ونعوته
وشتاؤه يئد القرى جبروته
والذُّ من عَطَلٍ^٩ النُحور مُروته^{١٠}
مسك الوهادِ فتيقه وفتيته^{١١}
وكان أحلامَ الكعاب بيوته
سرُّ السرور يجوده ويقوته^{١٢}
وكان أقرات الولائد توته

لُبنانُ دارته وفيه كِناسه
السلسبيلُ من الجداول وزده
إن قلتُ تمثال الجمال مُنصبًا
دخل الكنيسة فارتقبتُ فلم يُطل
فازور. غضباناً وأعرض نافراً
فصرفتُ تلعبى إلى أترابه
فمشى إلى وليس أولَ جوذِرٍ
قد جاء من سحر الجفون فصادني
لما ظفرتُ به على حرم الهدى
قالت ترى نجمَ البيان فقلت بل
بلغ السُّها بشموسه وبدوره
من كلِّ عالى القدر من أعلامه
حامى الحقيقة، لا القديم يتوذه
وعلى المشيد الفخم من آثاره
في كل رابية وكل قرارة
أقبلتُ أبكى العلم حول رسومهم
لبنانُ والخلد، اختراع الله لم
هو ذرّوة في الحسن غير مَرُومة
ملكُ الهضابِ الشمَّ سلطانُ الرُّبى
سيناءُ شاطرُه الجلال فلا يرى
والأبلقُ الفردُ انتهت أوصافُه
جبل عن أذار يُزرى صيفُه
أبهى من الوشى الكريم مروجُه
يغشى روابيه على كافورها
وكان أيامَ الشباب ربوعُه
وكان ريعانَ الصِّبا ریحانُه
وكان أثناء النواهد تينُه

وكان همس القاع في أذن الصفا^{١٢} صوت العتابِ ظهوره وخُفوته
وكان ماءهما وجرس^{١٤} لجينه وضح^{١٥} العروس تبينه وتصيته^{١٦}

* * *

زعماء لبنان وأهل ندييه لبنان في ناديكمو عظمتُه
قد زادني إقبالكم وقبولكم شرفاً على الشرف الذي أوليته
تاج النيابة في رفيع رءوسكم لم يُشر لؤلؤه ولا ياقوته
«موسى»^{١٧} عدو الرقّ حول لوائكم لا الظلم يرمبه، ولا طاغوته
أنتم وصحابكم إذا أصبحتمو كالشهر أكمل عدّة موقوته
هو غرة الأيام فيه، وكلكم آحاده في فضلها وسبوته

المؤتمر^١

صرح على الوادى المبارك ضاحي متظاهر الأعلام والأوضح
ضافى الجلالة كالعتيق مفضل ساحات فضل في رحاب سماح
وكان زفرقه رواق من ضحى وكان حائطه عمود صباح
الحق خلف جناح استدرى^{١٨} به ومرشد السلطان خلف جناح
هو هيكل الحرية القاني، له ما للهياكل من فدى وأضح
يبنى كما تبنى الخنادق في الوغى تحت النبال وصوبها السّاح
ينهار الاستبداد حول عراضه مثل انهيار الشرك حول (صلاح)^{١٩}
ويكب طاغوت الأمور لوجهه متحطم الأضنام والأشباح
هو ما بنى الأعزال بالراحات، أو هو ما بنى الشهداء بالأرواح
أخذته (مصر) بكل يوم قائم وزد الكواكب أحمر الإصباح
هبت سماحاً بالحياة شبابها والشيب بالأزماق غير شحاح

^١ مؤتمر سياسي اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برياسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦.

الشوقيات

ومشتُ إلى الخيل الدوَّارِ وانْبَرْتُ
وَقَفَاتُ حَقًّا لِمَ تَقْفُهَا أُمَّةٌ
وإذا الشُّعوبُ بَنَوْا حَقِيقَةَ مُلْكِهِمْ
للظَّافِرِ الشَّاكِي بِغَيْرِ سِلَاحٍ
إِلا أَنُثِنْتَ آمالُها بِنِجَاحٍ
جَعَلُوا الماتَمَ حائِطًا للأَفْراحِ

بشرى إلى الوادى تَهَزُّ نَباتَه
تسرى مَلَمَحَةَ الحِجولِ ٢٠ على الرُّبى
التَّامَتِ الأَحْزابُ بَعْدَ تَصَدُّعِ
سُجِبَتِ على الأَحقادِ أذْيالُ الهوى
وَجَرَّتْ أَحاديثُ العَتابِ كَأَنَّها
تَرْمِي بِطَرْفِكَ في المِجامِعِ لا تَرى
هَزُّ الرَبيعِ مَنَاكِبَ الأَدواحِ
وتَسيلُ غُرَّتُها بِكُلِّ بِطَاحِ
وتَصافِيتِ الأَقلامُ بَعْدَ تَلَاجِي
وَمَشَى على الضَّغْنِ الوِدادُ المَاحِي
سَمَرٌ على الأوتارِ والأَقْصادِ
غَيرَ التَعانُقِ واشتَباكِ الرِاحِ

سَمَسَ النَهارِ، تَعَلَّمى المِيزانَ من
مِلى أَنْظَريه في النَدَى كَأَنَّهُ
كَم تَاجِ تَضْحِيَةٍ وَتَاجِ كِرامَةٍ
والشَيْبُ مُنْبَثِقٌ كَنورِ الحَقِّ من
لَبَى أذانِ الصُّلحِ أَوَّلَ قَائمِ
سَبَقِ الرِجالِ مُصافِحًا ومُعانِقًا
(عدلي) الجليلِ ابنِ الجليلِ من المِلا
حُلُوِّ السَجِيَّةِ في قِناةٍ مُرَّةٍ
سَعْدِ) الدِيارِ وشيخِها النُّضاحِ ٢١
(عثمانُ) عَن أَمِّ الكِتابِ يُلَاحِى
لِلعِينِ حَولَ جَبينِهِ اللِماحِ
فُودِيَه، أو فَجْرِ الهِدى المِنصُاحِ ٢٢
والصُّلحُ حُمسُ قِواعِدِ الإِصلاحِ
يَمْنى السِّماحِ وهِيكَلِ الإِسْجَاحِ ٢٣
والمَاجِدِ ابنِ المَاجِدِ المِسمَاحِ
نَمِلُ الشِّمائلِ في وَقارِ صَاحِ

شَتَّى فِضائِلَ الرِجالِ، كَأَنَّها
فَإِذا هِىَ اجْتَمَعَتِ لِمَلِكِ جَبْهَةً
اللَّهُ أَلْفَ لِلبلادِ صَدورِها
وزَراءُ مَمْلَكَةٍ، دَعائِمُ دِولَةٍ
يَبنُونُ بِالدِستورِ حائِطًا مُلْكِهِمْ
شَتَّى سِلاحِ من قَنًا وِصْفاحِ ٢٤
كَانَتِ حِصونَ مَناعَةٍ وَنِطَاحِ
مِن كُلِّ دَاهِيَةٍ وَكُلِّ صُراحِ
أَعلامُ مُؤتَمَرٍ، أَسودُ صَباحِ ٢٥
لا بِالصِّفاحِ ولا على الأَزْمَاحِ

وَجَوَاهِرُ التَّيْجَانِ مَا لَمْ تُتَّخَذْ مِنْ مَعْدِنِ الدِّسْتُورِ غَيْرُ صِحَاحِ

أَحْتَلَّ حِصْنَ الحَقِّ غَيْرُ جَنُودِهِ وَتَكَالَبَتِ أَيْدٍ عَلَى المِفْتَاحِ
ضَجَّتْ عَلَى أَبْطَالِهَا تُكْنَأْتُهُ وَاسْتَوْحِشَتْ لِكُمَائِهَا النُّزَاحِ
هُجِرَتْ أَرَائِكُهُ، وَعُطِّلَ عَوْدُهُ وَخَلَا مِنَ الغَادِينَ وَالرُّوَّاحِ
كَالغَارِ مِنْ شَرَفٍ وَسَمِتٍ ٢٦ صِلَاحِ وَعَلَاهُ نَسْجُ العِنْكَبُوتِ، فَزَادَهُ

قُلْ لِلبَنِينَ مَقَالَ صَدِيقٍ، وَأَقْتَصِدْ دَرْعُ الشَّبَابِ يَضِيقُ بِالنُّصَاحِ:
أَنْتُمْ بَنُو اليَوْمِ العَصِيبِ. نَشَأْتُمْ فِي قَصْفِ أَنْوَاءٍ، وَعَصْفِ رِيَّاحِ
وَرَأَيْتُمُ الوَطْنَ المَوْأَلَفَ صَخْرَةً فِي الحَادِثَاتِ وَسَيْلِهَا المَجْتَاحِ
وَشَهَدْتُمْ صَدْعَ الصَّفُوفِ وَمَا جَنَى مِنْ أَمْرِ مُفْتَاتٍ وَنَهَى وَقَاحِ
صَوْتُ الشُّعُوبِ مِنَ الزَّبِيرِ مُجَمَّعًا فَإِذَا تَفَرَّقَ كَانَ بَعْضُ نُبَاحِ
أَظْمَتُكُمُ الأَيَّامُ، ثُمَّ سَقَتِكُمُ رَنَقًا مِنَ الإِحْسَانِ غَيْرَ قِرَاحِ
وَغَذَا مُنِحَتِ الخَيْرِ مِنْ مُتْكَلَّفِ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ سَجِيَّةُ المَنَاحِ
تَرَكَتُمُ مِثْلَ المَهِيضِ جِنَاحَهُ لَا فِي الحِبَالِ، وَلَا طَلِيقِ سَرَاحِ
مَنْ صَيَّرَ الأَعْلَالَ زَهْرَ قَلَائِدِ وَكَسَا القَيُودَ مَحَاسِنَ الأَوْضَاحِ؟
إِنَّ التِّي تَبِغُونَ، دُونَ مَنَالِهَا طَوَّلُ اجْتِهَادِ، وَاضْطِرَادُ كِفَاحِ
سَيَرُوا إِلَيْهَا بِالأُنَاةِ طَوِيلَةً إِنَّ الأُنَاةَ سَبِيلُ كُلِّ فَلَاحِ
وَخَذُوا بِنَاءِ المُلْكِ عَنِ دِسْتُورِكُمْ إِنْ الشَّرَاعَ مُنْتَقَفُ المَّلَاحِ
يَتِ دَارَ مَحْمُودٍ، سَلِمَتْ، وَبُورِكَتْ أَركَانُكِ الهَرْمِيَّةُ الصُّفَّاحِ ٢٧
وَازْدَدَتْ مِنَ حَسَنِ التَّنَائِ وَطِيبِهِ حَجْرًا هُوَ الدُّرِّيُّ فِي الأَمْدَاحِ
الأُمَّةُ انْتَقَلَتْ إِلَيْكَ، كَأَنَّمَا أَنْزَلْتَهَا مِنْ بَيْتِهَا بِجِنَاحِ
بَرَكَاتُ شَيْخٍ بِالصَّعِيدِ مُحَمَّلِ عِبَاءِ السَّنِينِ مُؤَمَّلِ نَفَاحِ
بِالأَمْسِ جَاءَ عَلَى القَضِيَّةِ بِابْنِهِ وَالْيَوْمَ آوَاهَا بِأَكْرَمِ سَاحِ

أَعْقَابُ فِي عَنَانِ الْجَوِّ لَاحٍ أَمْ سَحَابٌ فَرَّ مِنْ هُوَجِ الرِّيحِ؟
أَمْ بِسَاطِ الرِّيحِ رَدَّتْهُ النُّوَى بَعْدَ مَا طَوَّفَ فِي الدَّهْرِ وَسَاخُ؟
أَوْ كَأَنَّ الْبُرْجَ أَلْقَى حَوْتَهُ فَتَرَامِي فِي السَّمَوَاتِ الْفِسَاحِ

أَقْبَلْتُ مِنْ بُعْدٍ تَحْسَبُهَا نَحْلَةً عَنَّتْ وَطَنْتُ فِي الرِّيحِ
يَا سِلَاحَ الْعَصْرِ بُشِّرْنَا بِهِ كُلُّ عَصْرٍ بِكَيْمِيٍّ وَسِلَاحِ
إِنْ عَزَا لَمْ يَظَلَّلْ فِي غَدٍ بَجَنَاحَيْكَ ذَلِيلٌ مُسْتَبَاحِ
فَتَكَائُرٌ وَتَأَلَّفٌ قِيَالًا تَعَصِمُ السَّلْمَ وَتَعْلُو لِلْكَفَاحِ
مِصْرٌ لِلطَّيْرِ جَمِيعًا مَسْرُحٌ مَا لَنَا فِيهِ ذُنَابِي أَوْ جَنَاحِ
رُبَّ سِرْبٍ قَاطِعٍ مَرَّ بِهِ هَبَطَ الْأَرْضَ مَلِيًّا وَاسْتِرَاحِ
لِمَ لَا يَفْتِنُ فَتِيَانَ الْحَمَى ذَلِكَ الْإِقْدَامُ، أَوْ ذَاكَ الطَّمَّاحِ؟
مَنْ فَتَى حَلًّا مِنَ الْجَوِّ بِهِمْ فَتَلَقَّوهُ عَلَى هَامٍ وَرَاحِ
أَنَّهُ أَوَّلُ عُصْفُورٍ لَهُمْ هَزَّ فِي الْجَوِّ جَنَاحِيهِ وَصَاحِ
دَبَّتْ الْهَمَّةُ فِيهِ، وَمَشَتْ عَزَمَاتُ مَنْكَ يَا (حَرْبُ) صِيحَاحِ^{٢٨}
نَاطَحَ النُّجْمِ فَتَى عَلَّمْتَهُ فِي حَيَاةِ حُرْرَةٍ كَيْفَ النُّطَاحِ
لَكَ فِي الْأَجْيَالِ تَمَثُّالٌ مَشَى وَجَدُوا الرِّشْدَ عَلَيْهِ وَالصَّلَاحِ
جَاوَزَ النِّيلَ وَعَبَّرِيَهُ إِلَى أَكْمَ الشَّامِ وَهَاتِيكَ الْبَطَاحِ

فَارَسَ الْجَوَّ، سَلَامٌ فِي الذُّرَى وَعَلَى الْمَاءِ، وَمِنْ كُلِّ النُّوَاخِ
ثَبَّ إِلَى النُّجْمِ، وَزَاجِمٌ رُكْنَهُ وَامْتَلَى مِنْ خَيْلَاءِ وَمِرَاحِ
إِنَّ هَذَا الْفَتْحَ لَا عَهْدَ بِهِ لِضِفَافِ النِّيلِ مِنْ عَهْدِ (فَتْحِ)

^٢ قيلت بمناسبة قدوم صدقي الطيار المصري الأول من برلين إلى القاهرة طائرا في سنة ١٩٣٠.

النَّسْرُ الْمِصْرِيُّ

تلك أبواب السماء انفتحت ما وراء البابِ يا طيرَ النجاح؟
اسماءُ النيلِ أيضًا حَرَمٌ من طريقِ الهندِ، أم جَوْ مُباح؟

عينُ شمسٍ مُلِئَتْ من موكب كان للأبطالِ أحيانًا يُتاح
رَبِّمَا جَلَّلَ وجهَ الأرضِ، أو ربِّمَا سَدَّ على الشمسِ السراح
إِنْ يَفْتَهُ الجيشُ أو روعتهُ لم يَفْتَهُ النَّشَأُ الزُّهُرُ الصَّبَاح
وَفدى (فائزة) سُمُرَ القَنَا وَفدى حارسِها بيضُ الصَّفاح
ولقد ابطأتَ حتى يَنَمُ للحمى ليلٌ ولم يَنعم صَباح
فابتغى العُذَرَ كِرَامٌ، وانْبَرَتْ ألسُنُ في الثُّلمِ والهِدْمِ فَصاح
تلتوى الخيلُ على راكبها كيف بالعاصفِ في يومِ الجَماح؟
ليس مَنْ يركبُ سَرَجًا لِينًا مثلَ مَنْ يركبُ أعرافَ الرياح
سِرٌّ رُوِيْدًا في فضاءِ سافرِ ضاحكِ الصَّفحةِ كالفرديوسِ صاح
طرفت عَيْنًا به الشمسُ، فلو خُيِّرَتْ لم تتحَفَّزَ للروح
وتكاد الطيرُ من خَفَّتِه تتعالى فيه من غيرِ جَناح
قف تأمل من عُلُوِّ قُبَّةً رُفِعَتْ للفصلِ والرأيِ الصُّراح
نزل النَوَابُ فيها فتيةً في جَناحِ وشيوخًا في جَناح
حملوا الحقَّ وقاموا دونهُ كَرَعِيلِ الخيلِ أو صفِّ الرماح

يا أبا الفاروقِ، مَنْ ترعى ففى كَنَفِ الفضلِ وفي ظلِّ السَّمَاح
أنت من آباءك السُّحْبِ، وما في بناءِ السُّحْبِ الأيدى الشَّحاح
يَدُكَ السَّمْحَةَ في الخيرِ، وفي هِمَّةِ العَرَسِ، وفي أسوِ الجراح
نحن افلحنا على الأرضِ بكم ورجونا في السماواتِ الفلاح

تَوْتُ عَنْخِ آمُونَ وَالْبَرْمَانَ

قَمٌ، سابقِ (الساعة) واسْبِقِ وعدَها الأرضُ ضاقتَ عنكَ، فاصدعْ غمَها

وأملأ رماحاً غورها ونجدها
شلالها، وعدبها، وعدها^{٢٩}
تلك الوجوه لا شكونا فقدها
سُلت من (وادي الملوك) فازدهى
واسترجعت دولته إفرندها
أبلى ظبي الدهر، وفل حدها
سافر أربعين قرناً عدداً
إنجلترا، وجيشها، ولوزدها
قامت على السودان تبنى سداً

وافتح أصول النيل واستردّها
واصرف إلينا جزرها ومدها
بيّضت القربى لنا مسودّها
والقت الشمس عليه رأدها
أبيض، ريان المتون، وزدها
وأخلق العصور، واستجدّها
حتى أتى الدار، فألقى عندها
مسلوّة الهنديّ تحمي هندها
وركزت دون القناة بندها^{٣٠}

فقال والحسرة ما أشدها
وليت عيني لم تفارق رقدتها
مصر فتاتي لم توقر جدّها
وخلطت ظبائها وأسدها
قد سحبت على جلالى بردها

: ليت جدار القبر ما تدهدها^{٣١}
قم نبني يا بنتوور: ما دها؟^{٣٢}
دقت وراء مضجعي جازبندها
وسكب الساقى الطلا، وبدها^{٣٣}
ليت جلال الموت كان صدها

فقلت: يا ماجدها وجعدّها^{٣٤}
لحدك ودته النجوم لحدّها
سلطانها، وعزها، ورعدّها
آثاركم يخطى الحساب عدّها
أبوابك اللاتي قصدنا قصدها
لولا جهود لا نريد جدها
قلت لك: اضرب يده وقدها

لو لم تك ابن الشمس كنت ردها^{٣٥}
أريتنا الدنيا به وجدها
وكيف يعطى المتقون حلدها
انهدم الدهر ولم يهدّها
(كارتري) في وجه الوفود ردها
وحرمه من قريك استمدّها
وابعث له من البعوض نكدها

مصر الفتاة بلغت أشدها
وأثبت الدم الزكي ردها

النَّسْرُ الْمِصْرِيُّ

ولعبت على الجبال وحدها
فأرسلت دُهاثها ولُدّها^{٣٦}
وبعثت للبرلمان جُنْدَهَا
حدت إليه شيبها ومُرْدَهَا
ونثرت فوق الطريق ورْدَهَا
مؤثلاًها، وكهفها، ورِدّها^{٣٧}
وألّفوا بعد انفراطِ عَقْدَهَا
وبسطوا على الحجازِ أيْدَهَا
حتى أتى الدارَ التي أعدّها
فثبّت الشورى، وشَدَّ عَقْدَهَا

وجرّبت إرْخاءَهَا وشَدّها
في الغرب سدّوا عنده مَسَدَهَا
وحشّدت للمهْرْجانِ حَشْدَهَا
وابرزت كعابها وخوْدَهَا
واستقبلت فؤادها ووَفْدَهَا
وابن الذين قَوْموا مَقْدَهَا
وجعلوا صحراءَ ليبيا حدّها
وصيروا العاتى فيه عبْدَهَا
لمصر تبني في ذراها مَجْدَهَا
وقلّد الجيل السعيدَ عَهْدَهَا

سُلْطَتُهُ إِلَى بَنِيْنَا رَدّها

يا ربّ قَوَّ يَدَهَا، وشَدّها
وقيس لكلّ خطوّة ما بعدها
واصرف إلى جدّ الشئونِ جَدّها
واكبّ هوى الأنفيس، واكسِرَ حَقْدَهَا
واملاً بالبانِ النبوغِ نَهْدَهَا
وتنجت براحتيها فَرْدَهَا

وافتح لها السُّبُلَ، ولا تُسَدّها
وعن صغيرات الأمور حُدّها
ولا تُضِعْ على الضحايا جُهْدَهَا
واجمع على الأمّ الرّءومِ وُلْدَهَا
ولا تدعها تُحَيِّ مُسْتَبِدّها

مَصْرَعُ اللُّورِدِ كِتْشَنَر

قف بهذا البحرِ وانظرْ ما غَمَرُ
واعرض الموجِ مليّاً، هل ترى
أخذت ناحية الحقِّ به
منع اللُّبثِ وإن طال المدى
دائر الدُّولابِ بالناسِ على

مظهر الشمس وإقبال القمرِ
غمرةً أودت بحواض الغمَرِ؟
وسبيل الناس في خالي العُصُرِ
فلك ما لعصاه مُسْتَقَرُّ
جانبيهِ المُرتقى والمُنْحَدَرُ

وَأَتَى (الأهرامَ) من أَمِّ الحُجَرِ
 نَزَعُهَا من عَضِدِ الأَرْضِ عَسِرِ
 ما لِياليها المُرْنَاتُ الوَتْرُ؟
 من دُمَى يَسْحَبْنَ في المِسْكِ الحَبْرُ^{٤٠}
 شَنَّهَا الدهرُ عليه من غَيْرِ
 نَمٍ طويلاً، قد تَوَسَّدَتِ الرَّهْرُ
 بَيْدَ أن الصَّلَّ^{٤١} في أصلِ الشجرِ
 وقضاءُ الله يَأْتِي وَيَذَرُ
 لك صافٍ وُدُهُ بعدَ الكَدَرِ
 أو تكن حرباً فقد فات الضَّرِرُ
 أم كتابُ الدهرِ، أم صُحُفُ القَدَرِ؟
 فَلِمَ القُدْرَةِ فيها ما سَطِرُ
 والمِسِّ العَبْرَةَ من بينِ الفقْرِ^{٤٢}
 آيَةً جانِبُهُ المُرْخَى السُّتْرُ
 وجَوَارِي الدهرِ يَمْشِينِ الخَمْرُ^{٤٣}
 في كنوزِ البحرِ مطروحِ الكِسْرِ^{٤٤}
 ناله الفجرُ عِشاءً بالقَصْرِ
 طالما أَوْحَتْ إليه فَأَتَمَرُ
 في نهارِ الفَرَقِ، أو ليلِ الشَّعَرِ
 بِرُفَاتِ السحرِ، أو فَلَ الحَوْرِ^{٤٥}
 بينِ طِمِّ، وظلامِ مُعْتَكِرِ^{٤٦}
 هكذا الدنيا إذا المَوْتُ حَضَرَ
 ضاقَ عنك السعدُ، أو ضاقَ العُمُرُ
 رحمةَ المجدِ، ورفقاً بالكِبَرِ
 من وَقارِ الليثِ أن لا يُحْتَضِرُ

نقض (الإيوان) من أساسه
 وَمَحَا (الحمراء)^{٣٨} إلا عمداً
 أين (روميَّةُ)؟ ما قَيَّضَها؟
 أين (وادي الطَّلحِ)^{٣٩} واللأثى به
 أين (نابليونُ)؟ ما غاراته؟
 أيُّها الساكنُ في ظلِّ المنى
 شَجَرَ نامٍ. وِظْلٌ سابغُ
 يَذَرُ المرءُ وَيَأْتِي ما اشتهى
 كلُّ مَحْمُولٍ على النعشِ أُخُ
 إن تكن سَلْمًا له لم ينتقع
 راكبِ البحرِ، أمُوجُ ما ترى؟
 لُجَّةُ (كاللُّوحِ)، لا يُحْصَى على
 فتَلَفَّتْ، وتَنَسَّمَ حكمةً
 وتَأَمَّلْ مَلْعَبًا أعجَبُهُ
 ههنا تمشى الجوارى مَرَحًا
 رَبُّ سيفِ ضَرْبِ الجمعِ به
 ونجادٍ لم يُطاوَلَ ضُحُوَّةُ
 وسفينِ أمرٍ فيها البِلى
 ووجوهٍ نهبِ الماءِ بها
 وعيونِ ساجياتِ سُجَّيْتِ
 قُلْ لَلَيْثِ حُسْفَ الغَيْلِ به
 انظرِ الفلَكِ: إمنها أُنْرُ؟
 هذه منزلةٌ لو زدتها
 فامُضِ شَيْخًا في هوى المجدِ قَضَى
 مَيْتَةً لم تَلُقْ منها عَلْرًا^{٤٧}

أَنْتُمْ القَوْمُ جَمَى المَاءِ لَكُمْ يَرْجِعُ الوِزْدُ إِلَيْكُمْ وَالصِّدْرُ

لُجَجُ الدَّأْمَاءِ أوطانٌ لكم
ومن الأوطانِ دُورٌ وحُفَرٍ
لَسْتُ في البحرِ وحيداً، فاستَضِفْ
فيه آباءك تنزِلُ بالدُّرِّ
رَسَبُوا فيه كراماً وطفاً
طائفُ النصرِ عليهم والظَّفَرُ

نَشَأَ (النَّيْلِ)، إليكم سيرة
لِكُمُو فيها عِظَاتٌ وَعَبَرُ
إِقْرَأُوهَا يُكْشِفُ العَصْرُ لَكُمْ
كُلُّ عَصْرٍ بِرِجَالٍ وَسِيرِ
لا تقولوا: شاعرُ الوادِي غَوَى
مَنْ يُغَالِطُ نَفْسَهُ لا يَعتَبِرُ
موقفُ التاريخِ من فوقِ الهوى
ليس مَنْ مات بِخَافٍ عنكمو
شَدْتُمو دنياءُ في أَحْسَنِها
وَبَنَى مملكةَ النُّوبِ بكم
واحذروا من قِسْمَةِ النَّيْلِ فيا
فانكروا القتلى، ولا تنسوا البِدْرُ^{٤٨}
ضِيعَةَ الوادِي إذا النَّيْلُ شَطِرُ

رجلٌ ليس ابنَ (قارونَ)، ولا
بابنِ (عادِيٍّ) من العَظْمِ النَّخْرِ
ليس بالزَّاحِرِ في العلمِ، ولا
هو ينبوعُ البَيانِ المَنفَجِرِ
رَضَعَ الأخلاقَ من ألبانها
إِنَّ للأخلاقِ وَقَعاً في الصَّغَرِ
ورأها صورةً في أُمَّةٍ
ومن القُدُوةِ ما تُوجِي الصُّورِ
ذلك المجدُّ، هذى سُبُلُهُ
بَيَّنَّ فيها سبيلُ المُعْتَذِرِ
أبَعَدَ السَّاعُونَ يَبْغُونَ المَدَى
والمدى في المجدِ دانٍ لِنَقَرِ
كجِيادِ السَّبِقِ، لن تُغْنِيها
أدواتُ السَّبِقِ ما تغنى الفِطْرِ

وَجَنَاحُ السَّلَمِ إلا أَنها
ساعةُ الرَّوْعِ جَنَاحٌ من سَقَرِ
من حديدٍ جانِبِهاها سابِغِ
رَبِضِ الموتِ عليه وَفَعَرِ
أشْبَهَتْ افواهُها أعجازها
قُنُقْدُ في اليَمِّ مشرُوعُ الإِبْرِ
أرَهَفَتْ سَمْعَ العِصَا^{٤٩} واكتحلت
إِثْمِدِ الزرقاءِ^{٥٠} في عرضِ السِّدْرِ^{٥١}

رُسِّلُ الأرواحِ في نَقْلِ الفِكرِ
 بعيونِ الملكِ في بحرٍ وبِرِّ
 خادِرًا في ألفِ نَابٍ وظُفْرٍ^{٥٢}
 وَرَكِبْتَ النَجْمَ بالموتِ عَثَرَ
 سَلَّهَ المِقْدَارُ من جفنِ الحَذَرِ
 بالعوايدِ مُتَعَالٍ مُعْتَكِرِ
 في حديدٍ وعديدٍ مُنْتَصِرِ
 بوقَاحِ في الجوارى وَخَفِرِ^{٥٣}
 لُجَجِ السَّنَدِ وَخُلْجَانِ الخَيْرِ^{٥٤}
 تَلْمَسُ المَاءَ فيزَمَى بالشرِ
 ليس دونَ اللهِ تحتَ الليلِ سِرِّ
 وَنَزَتْ جَنَبًا، ونَاءَتْ من أخرِ
 فأتاها حينُها، فَهَى خَبَرِ^{٥٥}

وتؤدِّي القولَ، لا يسبقُها
 حَطَرَتْ في مَحَجَرِيها ومَشَتْ
 غابَةٌ تجرى بسُلطانِ الشَّرِي
 وأذا الموتُ إلى النفسِ مشى
 رَبُّ ثاوٍ في الطُّبَى مُمْتَنِعِ
 تَسَحَّبُ الفولانُ في مُلْتَطِمِ
 لو أَشَارَتْ جَاءَها ساحلُهُ
 أو فَدَى الميِّتِ حَيٌّ فِدِيَتْ
 بعثَ البحرُ بها كالموجِ من
 لَمَسَتْها للمقاديرِ يَدُ
 ضربتها وهى سُر في الدُّجى
 وَجَفَّتْ قلبًا، وخارتُ جُوجُؤًا
 طُعِنَتْ، فانبَحَسَتْ، فأسرختُ

البرلمان

على أثر ائتلاف الأحزاب

ولكلِّ أمرٍ غايةٌ وقرارُ
 فَلكَ بكلِّ فُجاءةٍ دَوارُ
 لا النقصُ يُعجزه، ولا الإمرارُ
 وهل استجاب، فسالمَ المِقْدَارُ؟
 لم يعترضها في الفصولِ ستارُ؟
 وعدتُ فما حَوَتْ المدى الأوطارُ
 خطواتُ شعبٍ في القَتادِ تُسارُ
 سُورُ، ومن عِلْمِ الزمانِ إطارُ
 أصلُ، ومن أدبِ البلادِ نِجارُ

سكنَ الزمانُ، ولانت الأقدارُ
 أُرْحَى الأَعِنَّةُ للخطوبِ وردِّها
 يجرى بأمرٍ، أو يدور بضدِّه
 هل أذنتنا الحادِثاتُ بهدنة؟
 سُيدَ الستارُ، وهل شهِدَتْ روايةً
 وَجِرتُ فما استولتْ على الأمدِ المنى
 دونَ الجلاءِ، ودونِ يانِعِ وَرِدِه
 وبناءِ أخلاقٍ عليه من النهى
 وحضارةٍ من منطقِ الوادي لها

مُسْتَهْتَرِينَ، إِلَى الْجَرَائِمِ سَارُوا
 عَنِ الْعَقَائِدِ، بِالْغُلُوِّ تُضَارُ
 مَنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولَهُ الْإِضْرَارُ
 بِالرِّيفِ مَا يَدْرُونَ: مَا السَّرْدَارُ؟
 فِيهَا، وَلُطِّخَ بِالدَّمِ الْأَبْرَارُ
 حَتَّى انْجَلَتْ غُنْمٌ لَهَا وَغَمَارُ
 لِيَنَّ الْحَدِيدِ مَشَتْ عَلَيْهِ النَّارُ
 وَالْعِزُّ لِلدُّسْتُورِ وَالْإِكْبَارُ
 فِيهِ، وَلَا يَطْغَى بِهِ جِبَارُ
 وَالخَيْرُ مَا تَقْضَى وَمَا تَخْتَارُ
 أَصَالُهُ، وَأَخْضَلَّتْ الْأَسْحَارُ
 وَلِكُلِّ جَهْدٍ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارُ
 وَيَبْنِيَنَّ لَمْ يَجِدُوا السَّلَاحَ فَنَارُوا
 وَمِنَ الْمَشَانِقِ وَالسَّجُونِ جِدَارُ
 بِالْحَقِّ أَوْ بِالْوَجِبِ الْأَحْرَارُ
 فِيهِ، وَلَا سُلْطَانَ مِصْرَ صَغَارُ
 فِيهِ، وَلَا غَيْرَ الصَّلَاحِ شِعَارُ
 حَتَّى تَقَرَّ وَتَطْمِئِنَّ الدَّارُ
 وَالرِّيحُ دُونَ الْفَلَكِ وَالْإِعْصَارُ
 وَمَعَ الْمَجْدِّ بِالْجِمَاحِ عِثَارُ
 بَانَ زَعَامَتُهُ هَدَى وَمَنَارُ
 يَأْبَى وَيَغْضَبُ لِلشَّرَى وَيَغَارُ
 عَنْهَا، وَلَا تَتَنَاعَسُ الْأَظْفَارُ
 صَبِيحُ، وَلِلْحَقِّ الْمَبِينِ نَهَارُ
 عُرْسُ، وَصَدْرُ نَهَارِهِ إِعْذَارُ
 وَتَلَفَّتْ خَلْفَ الزَّحَامِ دِيَارُ
 وَتَنَقَّلَتْ بِجَلَالِهَا الْأَخْبَارُ

أَعْمَى هُوَ الْوَطْنِ الْعَزِيزِ عَصَابَةُ
 يَا سَوْءَ سُنَّتِهِمْ وَقُبْحَ غُلُوِّهِمْ
 وَالْحَقُّ أَرْفَعُ مِلَّةً وَقَضِيَّةً
 أَخَذَتْ بِذَنْبِهِمِ الْبِلَادُ وَأُمَّةً
 فِي فِتْنَةٍ خُلِطَ الْبِرِيُّ بِغَيْرِهِ
 لَقِيَ الرِّجَالُ الْحَادِثَاتِ بِصَبْرِهِمْ
 لَانُوا لَهَا فِي شِدَّةٍ وَصَلَابَةٍ
 الْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالْكِنَانَةُ حُرَّةُ
 الْأَمْرِ شُورَى، لَا يَعِثُ مُسَلِّطُ
 إِنْ الْعِنَايَةَ لِلْبِلَادِ تَخَيَّرْتُ
 عَهْدٌ مِنَ الشُّورَى الظُّلَيْلَةَ نُضَّرْتُ
 تَجْنِي الْبِلَادُ بِهِ ثَمَارَ جَهودِهَا
 بَنِيَانَ آبَاءٍ مَشَوْا بِسَلَاحِهِمْ
 فِيهِ مِنَ التَّلِّ الْمُدْرَجِ حَائِطُ
 أَبَتِ التَّقْيِيدِ بِالْهَوَى، وَتَقَيَّدَتْ
 فِي مَجْلِسِ لَا مَالُ مِصْرَ غَنِيمَةٌ
 مَا لِلرِّجَالِ سِوَى الْمَرَّاشِدِ مِنْهَجُ
 يَتَعَاوَنُونَ كَأَهْلِ دَارٍ زُلْزَلَتْ
 يُجْرُونَ بِالرَّفَقِ الْأُمُورَ وَفُلْكَهَا
 وَمَعَ الْمَجْدِّ بِالْأُنَاةِ سَلَامَةٌ
 الْأُمَّةُ اثْتَلَفَتْ، وَرَضَ بِنَاؤها
 أَسَدٌ وَرَاءَ السَّنِّ مَعْقُودُ الْحُبَا
 كَهْفُ الْقَضِيَّةِ لَا تَنَامُ نِيُوبُهُ
 يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَرَاءَ فَجْرِكَ لِلْهَدَى
 مَا أَنْتَ إِلَّا فَارِسِيٌّ، لَيْلُهُ
 بَكَرَتْ تُزَاجِمُ مَهْرَجَانِكَ أُمَّةً
 وَرَوَى مَوَاكِبِكَ الزَّمَانَ لِأَهْلِهِ

الشوقيات

أَقْبَلْتِ بالدستورِ أَبْلَجَ زَاهِرًا
وَدُوَابُهُ الدنْيَا تَرِفُ حَدَاثَةً
يَحْمِي لَفَائِفُهُ، وَيَحْرَس مَهْدَهُ
وَكأنه عَيْسَى الْهُدَى فِي مَهْدِهِ
التَّاجُ فَضَّلَ فِي سَمَائِكَ بِالضَّحَى
يَكْسُو مِنَ الدستورِ هَامَةً رَبَّهِ
بِالْحَقِّ يَفْتَحُ كُلُّ هَادٍ مُصْلِحٍ
يَفْتَنُ فِي قَسَمَاتِهِ النُّظَارِ
عَنْ جَانِبِيهِ، وَلِلزَّمَانِ عِذَارِ
شَيْخٍ يَنْوُدُ، وَفَتِيئَةً أَنْصَارِ
وَكأن سَعْدًا يَوْسُفُ النُّجَارِ
مِنْكَ الْحَلَى، وَمِنَ الضَّحَى الْأَنْوَارِ
مَا لَيْسَ يَكْسُو الْفَاتِحِينَ الْغَارِ
مَا لَيْسَ يَفْتَحُ بِالقَنَا الْمِغْوَارِ

* * *

وَطَنِي، لَدَيْكَ — وَأَنْتَ سَمَّحٌ مُفْضِلٌ —
تَابَ الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْ هَفَوَاتِهِ
تُنْسَى الذَّنُوبُ، وَتَذَكَّرُ الْأَعْدَارِ
بِوَزَارَةِ تُمَحَى بِهَا الْأَوْزَارِ

قصيدة في حفلة

وقال وقد القيت في حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التمثيل العربي برئاسة السيدة هدى شعراوي:

قُلْ لِلرِّجَالِ: طَغَى الْأَسِيرُ
أَوْهَى جَنَاحِيهِ الْحَدِيدُ
زَهَبَ الْجِجَابُ بِصَبْرِهِ
هَلْ هُيئَتْ دَرَجُ السَّمَا
وَهَلْ اسْتَمَرَّ بِهِ الْجَنَا
وَسَمَا لَمَنْزَلِهِ مِنَ الدِّ
وَمَتَى تُسَاسُ بِهِ الرِّيَا
أَوْ كُلُّ مَا عِنْدَ الرِّجَا
وَالسَّجُنُ فِي الْأَكْوَاخِ، أَوْ
طَيْرُ الْجِبَالِ مَتَى يَطِيرُ؟
دُ، وَحَزَّ سَاقِيهِ الْحَرِيرِ
وَأَطَالَ حَيْرَتَهُ السُّفُورِ
ءَ لَهُ، وَهَلْ نَصَّ الْأَثِيرُ؟
حُ، وَهَمَّ بِالنَّهْضِ الشَّكِيرُ؟^{٥٦}
نِيَا، وَمَنْزَلُهُ خَطِيرُ؟
ضُ كَمَا تُسَاسُ بِهِ الْوَكُورِ
لِ لَهُ الْخَوَاطِبُ وَالْمَهُورُ؟
سَجُنُ يُقَالُ لَهُ: الْقُصُورُ؟

* * *

تَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْأَدَّ
يَمَّ جَمِيعَهُ رَوْضٌ وَنُورُ

النَّسْرُ الْمِصْرِيُّ

في كل ظل ربوةً وبكلِّ وارفَةٍ غدير
في كلِّ ظلٍّ من ذهبٍ سيا جٍّ، أو من الياقوت سور
ما تَمَّ من دون السما ء له على الأرض الحُبور
إن السماءَ جديرةٌ بالطير، وهوَ بها جدير
هي سَرَجُهُ المشدودُ، وهـ و على أَعْنَتِهَا أمير
حُرِّيَّةُ خُلِقِ الْإِنَا ث لها، كما خُلِقَ الذكور

هاجَتِ بناتِ الشعرِ عيـ نُّ من بناتِ النيلِ حُور
لي بينهن ولائدٌ هم من سوادِ العينِ نور
لا الشعرُ يأتى في الجما ن بمثلهن، ولا البحور
من أجلهن أنا الشفـيـ قُ على الدُّمى، وأنا الغيور
أرجو وأمل أن ستجـ رى بالذى سِئِنَ الأمور

يا قاسمُ، أنظر: كيف سا ر الفكرُ وانتقلِ الشعور؟
جابتِ قضيَّتكَ البلا دَ، كأنها مَثَلٌ يسير
ما الناسُ إلا أوَّلُ يمضى فيخلفه الأخير
الفكرُ بينهما على بُعْدِ المَزارِ هو السفير
هذا البناءُ الفخْمُ ليـ س أساسُه إلا الحفير
إن التي خَلَفَتْ أُمـ س، وما سِواكَ لها نصير
نهض الحفَى بِشأنها وسعى لخدمتها الظهير
في زمةِ الفُضلى هدى جِيلٌ إلى هادِ فقير
أقبلنَ يسألنَ الحضا رةً ما يُفيد وما يَضر
ما السُّبُلُ بَيِّنَةٌ، ولا كلُّ الهداةِ بها بصير

ما في كتابك ظُفْرَةٌ تُنْعَى عليك، ولا غرور

الشوقيات

هَذَّبْتَهُ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
وَوَضَعْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنْ
لَكَ فِي مَسَائِلِهِ الْكَلَا
وَلَكَ الْبَيَانُ الْجَذْلُ فِي
مَطْلَبِ خَشْنٍ، كَثُ
مَا بِالْكِتَابِ وَلَا الْحَدِيدِ
حَتَّى لِنَسْأَلُ: هَلْ تَغَا
عَشْرُونَ عَامًا مِنْ زَوَا
رُغْنِ النِّسَاءِ، وَقَدْ يَرُو
فَنَسِيْنَ أَنْكَ كَالْبَدْوِ
تَفْنَى السَّنُونَ بِهَا، وَمَا

مِنْ خَلَائِقِكَ السُّطُورِ
حَسَابٍ وَاضِعِهِ عَسِيرِ
مُ الْعَفِّ وَالْجَدْلُ الْوَقُورِ
أَثْنَائِهِ الْعِلْمُ الْغَزِيرِ
يِرٌّ فِي مَزَالِقِهِ الْعَثُورِ
ثَ إِذَا ذَكَرْتَهُمَا نَكِيرِ
رُ عَلَى الْعَقَائِدِ، أَمْ تُغَيِّرُ؟
لَكَ مَا هِيَ الشَّيْءُ الْكَثِيرِ
عُ الْمُشْفِقِ الْجَلُّ الْيَسِيرِ
رِ، وَدُونَ رِفْعَتِكَ الْبُدُورِ
أَجَالُهَا إِلَّا شَهُورِ

لَقَدْ اخْتَلَفْنَا، وَالْمُعَا
فِي الرَّأْيِ، ثُمَّ أَهَابَ بِي
وَمَحَا الرَّوَّاحُ إِلَى مَغَا
فِي الرَّأْيِ تَضَطَّنُ الْعَقُورِ

بِشْرٌ قَدْ يَخَالِفُهُ الْعَشِيرِ
وَبِكَ الْمُنَادِمُ وَالسَّمِيرِ
نَى الْوَدِّ مَا اقْتَرَفَ الْبُكُورِ
لُ وَلَيْسَ تَضَطَّنُ الصُّدُورِ

قَل لِي بَعِيثِكَ: أَيْنَ أَنْدُ
أَيْنَ الْإِمَامُ؟ وَأَيْنَ إِسْ—
لَمَا نَزَلْتُمْ فِي الثَّرَى
عَصْرَ الْعَبَاقِرَةِ النُّجُورِ

ت؟ وَأَيْنَ صَاحِبُكَ الْكَبِيرِ؟
مَاعِيْلُ وَالْمَلَأُ الْمَنِيرِ؟
تَاهَتْ عَلَى الشَّهْبِ الْقُبُورِ
مِ بِنُورِهِ تَمْشَى الْعَصُورِ

تَكْرِيْمٌ حَسَنِيْنَ بِكَ بِمُنَاسَبَةِ طَيْرَانِهِ

جِنَّ عَلَى حَرَمِ السَّمَاءِ آغَارُوا
مِنْ كُلِّ أهُوجٍ فِي الْهَوَاءِ عِنَانُهُ

أَمْ فَتِيَّةٌ رَكَبُوا الْجَنَاحَ فَطَارُوا؟
هُوجُ الرِّيحِ، وَسَرُّجُهُ الْأَعْصَارُ

يبغى حجابَ الشمسِ يطلبُ عندها
لم يبقَ منه ومن حضارةِ عهده
ومقالةُ الأجيالِ لم يَلْحَقْ بهم
عزًّا تَحَمَّلَه الجُدودُ وساروا
إِلَّا صُوى مَحجوجةً ومناز
بانٍ، ولم يُدرِكْهم حَفَّار

طلعوا على الوادى برايةِ عصرهم
اثنان ثم ترى النسور كثيرةً
سرُّ النجاجِ ورُكُنُ كلِّ حضارةٍ
نُسِختْ بأبطالِ السماءِ بطولةً
هذا زمانٌ لا الأَعِنَّةُ منزلٌ
ما البأسُ إلا من جَنَاحِي خاطفٍ
أترى السلامة في السماءِ وظلِّها
حَرَمُ الهدى والحقِّ رِيحُ جلاله
يا جائبَ الصحراءِ ملءُ سرابِها
يكفيك من هَمَمِ الشجاعةِ ليلةً
لما اعتمدتَ على الجناحِ تَلَفَّتْ
في كلِّ صحراءٍ، وكلَّ تَنُوفَةٍ
(حَسَنِينَ)، لو لم يَعذروكَ لبادرتَ
لله سرجُك في السماءِ، فإنه
عَرَضَ الخُسوفُ له فما أزرى به
أولم تَطَأْ أرضَ السماءِ، ولم تَدُرْ
ألقي أبو الفاروق نحوك باله
مَلِكُ رُحمتِ بقرْبِه وجوارِه

ولكلِّ عصرٍ رايةٌ وشعار
من كلِّ ناحيةٍ لها أو كار
هَمَمٌ من المتطوعين كبار
في الأرضِ يوشِكُ ركنُها ينهار
للْبأسِ فيه، ولا الأَسِنَّةُ دار
في البرِّ والبحرِ اسمُه الطيَّار
أم بالسماءِ يصولُ الاستعمار؟
وغدا وراح بجانبَيْه دَمار
عَرَّرَ، ومِلءُ تُرابِها أخطار
لك من عوائلها حَلَّتْ ونهار
بيدٍ، وقَلَّبت العيونَ قِفار
أرضُ عليك من السماءِ تَغَار
لك من لسانِ جراحِك الأعدار
سَرَجُ الأهلَّةِ ما عليه غُبار
ما في الخُسوفِ على الأهلَّةِ عار
حيثُ الشُموسُ تَدورُ والأقمار؟
وتشاغلت بك أُمَّةٌ وديار
حتى كأنك للعناية جَار

نصِبَ السُّرايِقُ والمطارُ، وحَلَّقَتْ
فلمستَ أفضيَّةَ السماءِ، وأسْفَرَتْ
قَدَرَ على يُمنى يَدِيهِ سلامةً
في الجَوِّ تَلْمَسُ شَخْصَكَ الأبصار
حتى نَظَرَتْ وجوهَها الأقدار
لك حيثُ مِلتَ، وفي السماءِ عِثار

فإذا سَقَطَتْ على حديد مُضْرَم
 ماذا لقيتَ من النجائب كُلِّها؟
 هذى تَعَثَّرُ في الرِّمَامِ، وتلك لا
 فَشَلُّ يُعْظَمُ كالنجاح عليه من
 لو لم يكن قَتْلَى وَجَرَحَى في الوَعَى
 صَدَفَ الحديدُ، ولم تَنَلْكَ النار
 قُلْ لِي، أَعْنَدَكَ للنجائبِ ثار؟
 تمضى، وأخرى في السُّلُوكِ تحار
 شَرَفِ الجروحِ ونورهنَّ فَخار
 لم يَعلُ هَامَ الظافرين الغار

صَفْرُ قَرِيْشٍ (عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ)

موشح أندلسي

مَنْ لِنَضْوٍ يَتَنَزَّى^{٥٧} أَلْمَا
 حَنَّ لِلْبَانِ وَنَاجَى الْعَلْمَا
 بَرَّحَ الشُّوقُ بِهِ فِي الْغَلَسِ
 أَيْنَ شَرِقَ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدَلَسِ

بُلْبُلٌ عَلَّمَهُ الْبَيْنُ الْبِيَانُ
 فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مَخْلُوعِ الْعِنَانِ
 كَلِمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجِنَانِ
 ارْتَدَى بُرْنُسَهُ وَالْتَنَّمَا
 وَيُرَى ذَا حَدَبٍ إِنْ جَتَّمَا
 فِي حَبْلِ الشُّجُونِ ارْتَبَكَا
 ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِ شَبَكَا
 جُنَّ فَاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَى
 وَحَطَا خُطْوَةً شَيْخِ مُرْعَسِ^{٥٨}
 فَإِنْ ارْتَدَّ بَدَا ذَا قَعَسِ^{٥٩}

فَمُهُ الْقَانِي عَلَى لَبَّتِهِ
 مَدَّهُ فَإِنَشَقَّ مِنْ مَنبِتِهِ
 وَبَكَى شَجْوًا عَلَى شَعْبَتِهِ
 سَلَّ نَ فِيهِ لِسَانًا عَنَمًا^{٦٠}
 وَتَرَّ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ رَنَمًا
 كَبَقَايَا الدَّمِّ فِي نَضْلٍ نَقِيقِ
 مَنْ رَأَى شَقِيٍّ مَقْصٌ مِنْ عَقِيقِ؟
 شَجَوْ ذَاتِ التُّكْلِ فِي السَّنْرِ الرَّقِيقِ
 مَاضِيًا فِي الْبَثِّ لَمْ يَحْتَبِسِ
 فِي الدُّجَى، أَوْ شَرَّرُ مِنْ قَبَسِ

نَفَرَتْ لَوْعَتُهُ بَعْدَ الْهَدْوِ
 وَالدُّجَى بَيْتُ الْجَوَى وَالْبُرْحَا

يَتَعَايَا بِجَنَاحٍ وَيَنوُءُ بجناحٍ مُذْ وَهَى ما صلحا
سَاءَ الدهرُ، وما زال يَسوؤُ ما عليه لو أَسَا ما جَرَحَا
كَلِّمًا أَدْمَى يَدَيْهِ نَدْمَا سالتا من طَوَّقِهِ والبُرْنِيسِ
فِنَيْتٌ أَهْدابُهُ إِلَّا دَمَا قام كالياقوت لم يَنْبَجِيسِ^{٦١}

مَدَّ فِي اللَّيْلِ أَنْيُنًا وَخَفَّقُ خَفَقَانَ الْقُرْطِ فِي جُنْحِ الشَّعَرِ
فَرَعَتْ مِنْهُ النَّوَى غَيْرَ رَمَقُ فَضْلَةَ الْجُرْحِ إِذَا الْجُرْحُ نَعَرَ^{٦٢}
يَتَلَشَّى نَزَوَاتٍ فِي حُرْقُ كَذْبَالٍ آخَرَ اللَّيْلِ اسْتَعَزَّ
لَمْ يَكُنْ طَوَّقًا، وَلَكِنْ ضَرَمَا ما على لَبَّتِهِ مِنْ قَبْسِ
رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ! هَلْ عَلِمَا أَنْ تَلِكِ النَّفْسِ مِنْ ذَا النَّفْسِ؟

قُلْتُ لِلَّيْلِ - وَلِلَّيْلِ عَوَاذُ - مَنْ أَخُو الْبَثِّ؟ فَقَالَ: ابْنُ فِرَاقِ
قَلْتُ: ما واديه؟ قال: الشَّجْوُ وَاذُ ليس فيه من جِجَازٍ أو عِراقِ
قَلْتُ: لَكِنْ جَفَنُهُ غَيْرُ جِوَاذُ قال: شَرُّ الدَّمِغِ ما ليس يُرَاقِ
نَغْبِطُ الطَّيْرَ، وما نَعْلَمُ ما هي فيه من عذابِ بَيْسِ
فَدَعَ الطَّيْرَ وَحِظًا قُسِما صَيَّرَ الْأَيْكَ كُدُورِ الْأَنْسِ

نَاحَ إِذَا جَفَنَائِي فِي أَسْرِ النُّجُومِ رَسَقًا فِي السُّهُدِ وَالِدَمْعِ طَلِيقِ^{٦٣}
أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ بَحْرِ الِهْمُومِ ما عسى يُعْنَى غَرِيقُ عن غَرِيقِ؟
إِنَّ هَذَا السَّهْمَ لِي مِنْهُ كُلوْمُ كلُّنا نازِحُ أَيِّكَ وفَرِيقِ
قَلْبِ الدُّنْيَا تَجِدُهَا قِسْمَا صُرِّفَتْ مِنْ أَنْعَمِ أو أَبْوَسِ
وَانظُرِ النَّاسَ تَجِدُ مِنْ سَلِما من سِهامِ الدهرِ سَجَّتُهُ الْقِيسَى

يا شِبابَ الشَّرْقِ عُنُوانَ الشِّبابِ ثَمَرَاتِ الحَسَبِ الزَّاكِي النَّمِيرِ
حَسْبُكُمْ فِي الكَرَمِ الْمُحْضِ اللَّبابِ سِيرةٌ تَبْقَى بقاءَ ابْنِي سَمِيرِ^{٦٤}

الشوقيات

في كتاب الفخر (للداخل) ٦٥ باب
في الشموس الزُّهر بالشام انتمى
قعد الشرقُ عليهم مأتما
لم يَلجِه من بنى المُلْكِ أميرُ
ونَمَى الأَقْمَارَ بالأندلسِ
وانثنى الغربُ بهم في عُرْسِ

هل لكم في نَبَاٍ خَيْرِ نَبَأُ
حَلَّ في الأنبياءِ ما حَلَّتْ سَبَأُ
مِثْلَهُ المقدارُ يومًا ما حَبَأُ
يُعْجِزُ القِصَاصَ إلا قَلَمَا
يُؤَثِّرُ الصدقَ وَيَجْزِي عِلْمَا
حَلِيَّةِ التاريخِ، مَأثورِ عَظِيمِ
مَنْزَلِ الوُسْطَى من العِقدِ النَّظِيمِ
لَسَلِيبِ التاجِ والعَرِشِ كَظِيمِ
في سوادِ مَنْ هَوَى لم يُغْمَسِ
قَلْبَ العالمِ لو لم يُطْمَسِ؟

عن عِصامِي نَبيلِ مُعْرِقِ
نَهَضتْ دَوَلَتُهُم بِالْمَشْرِقِ
ثم خان التاجُ وَدَّ المَفْرِقِ
غفلوا عن ساهرِ حَوْلِ الجَمِي
حام حَوْلِ المَلِكِ ثم اقتحما
في بُنَاةِ المَجدِ ابْناءِ الفِخَارِ؟
نَهَضتْ الشمسُ بأطرافِ النِهارِ
وَنَبَتُ بِالأنْجُمِ الزُّهْرِ الدِيَارِ
بِاسِطٍ من سَاعِدَيِ مُفْتَرِسِ
ومَشَى في الدَمِ مَشَى الضَّرِسِ

تَأرُّ عِثْمَانَ لِمِروانِ مَجازُ
حَسَنوا لِلشَّامِ ثارًا وَالْحِجازُ
مَكْرُ سَوايسِ على الدَّهْماءِ جازُ
جَعَلوا الحَقَّ لِبِغْيِ سَلَمَا
وقَدِيمًا بِاسمِهِ قَد ظَلَمَا
وَدَمِ السَّبِيطِ ٦٦ أثارِ الأَقْرَبونِ
فَتَغالى النَّاسُ فيما يَطْلَبونِ
وَرُعاةُ بِالرِعايا يَلْعَبونِ
فَهُوَ كَالسُّتْرِ لِهِمِ وَالتُّرْسِ
كُلُّ نىِ مِئذَنَةٍ أو جَرَسِ

جُزِيَتْ مَرَوَانُ ٦٧ عن أَبائِها
ومِنِ النَّفْسِ ومِنِ أهوائِها
حَلَّتْ الأَعوادُ من أَسْمائِها
ما أراقوا من دِماءٍ ودُموغِ
ما يُوَدِّيهِ عن الأَصْلِ الفُرُوعِ
وتَغَطَّتْ بِالمِصالِيبِ الجُدُوعِ

ظَلَمْتُ حَتَّى أَصَابَتْ أَظْلَمًا^{٦٨} حاصدَ السيفِ، وبيءَ المحبسِ
فَطِنْنَا فِي دَعْوَةِ الْآلِ لِمَا هَمَسَ الشَّائِي وَمَا لَمْ يَهْمِسِ

لَبِسْتُ بُرْدَ النَّبِيِّ النَّيِّرَاتِ من بنى العباس نورًا فوقَ نُورِ
وقديمًا عندَ مَرْوَانَ تِرَاثِ لَزَكِيَّاتٍ مِنَ الْأَنْفُسِ نُورِ
فَنَجَا الدَّخْلُ سَبْحًا بِالْفُرَاتِ تَارَكَ الْفِتْنَةَ تَطْعَى وَتَنُورِ^{٦٩}
غَسَّ^{٧٠} كَالْحُوتِ بِهِ وَاقْتَحَمَا بَيْنَ عِبْرِيهِ عَيُونََ الْحَرَسِ
وَلَقَدْ يُجِدِي الْفَتَى أَنْ يَعْلَمَا صَهْوَةَ الْمَاءِ وَمَتَنَ الْفَرَسِ

صَحِبَ الدَّخْلَ مِنْ إِخْوَتِهِ حَدَّثَ خَاضَ الْغَمَارَ ابْنَ ثَمَانَ
غَلَبَ الْمَوْجَ عَلَى قُوَّتِهِ فَكَانَ الْمَوْجَ مِنْ جُنْدِ الزَّمَانِ
وَإِذَا بِالشَّطِّ مِنْ شَقْوَتِهِ صَائِحٌ صَاحُ بِهِ: نِلْتَ الْأَمَانَ
فَانْتَنَى مُنْخِدِعًا مُسْتَسْلِمًا شَاةٌ اغْتَرَّتْ بِعَهْدِ الْأَطْلَسِ^{٧١}
خَضَبَ الْجَنْدُ بِهِ الْأَرْضَ دَمَا وَقُلُوبُ الْجَنْدِ كَالصَّخْرِ الْقَسِي

أَيُّهَا الْيَائِسُ، مُتَّ قَبْلَ الْمَمَاتِ أَوْ إِذَا شِئْتَ حَيَاةً فَالرَّجَا
لَا يَضِقُّ دَرْعُكَ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ إِنْ هِيَ اشْتَدَّتْ وَأَمَلُ فَرَجَا
ذَلِكَ الدَّخْلُ لَأَقَى مُظْلِمَاتِ لَمْ يَكُنْ يَأْمَلُ مِنْهَا مَخْرَجَا
قَدْ تَوَلَّى عِزُّهُ وَانصَرَمَا فَمَضَى مِنْ غَدِهِ لَمْ يَيْأَسِ
رَامَ بِالْمَغْرِبِ مُلْكًا فَرَمَى أَبْعَدَ، الْغَمْرِ، وَأَقْصَى الْيَبْسِ

ذَاكَ — وَاللَّهِ — الْغِنَى كُلُّ الْغِنَى أَيْ صَعِبٍ فِي الْمَعَالَى مَا سَلَكَ
لَيْسَ بِالسَّائِلِ إِنْ هَمَّ: مَتَى؟ لَا، وَلَا النَّاطِرُ مَا يُوجِي الْفَلَكَ
زَايِلَ الْمُلْكَ نَوِيهِ فَأَتَى مُلْكٌ قَوْمٍ ضَيَّعُوهُ فَمَلَكَ
غَمْرَاتُ عَارَضَتْ مُقْتَحَمَا عَلَى النَّفْسِ أَشَمَّ الْمَعْطَسِ^{٧٢}

كُلُّ أَرْضٍ حَلَّ فِيهَا، أَوْ حِمَى منزلُ البدرِ، وغابُ البَيْهَسِ ٧٣

* * *

نَزَلَ النَّاجِي عَلَى حُكْمِ النَّوَى وَتَوَارَى بِالسُّرَى مِنْ طَالِبِيهِ
غَيْرَ نَى رَحْلٍ وَلَا زَادٍ سِوَى جَوْهَرٍ وَافَاهُ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ
قَمَرٌ لَاقَى حُسُوفًا فَاَنْزَوَى لَيْسَ مِنْ آبَائِهِ إِلَّا نَبِيَّهُ
لَمْ يَجِدْ أَعْوَانَهُ وَالْحَدَمَا جَانِبُوهُ غَيْرَ (بَدْرٍ) الْكَيْسِ
مِنْ مَوَالِيهِ التُّنْقَاتِ الْقُدَمَا لَمْ يَخْنَهُ فِي الزَّمَانِ الْمُؤَيِّسِ

* * *

حِينَ فِي إفريقيَا انحلَّ الوِثَامُ وَتَوَارَى بِالسُّرَى مِنْ طَالِبِيهِ
مَاتتِ الأُمَّةُ فِي غيرِ التَّنَامِ جَوْهَرٍ وَافَاهُ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ
يَمَنُّ سَلَّتْ ظبَاهَا وَالشَّامُ لَيْسَ مِنْ آبَائِهِ إِلَّا نَبِيَّهُ
فَرَّقَ الجِنْدَ الغِنَى فَاَنْقَسَمَا جَانِبُوهُ غَيْرَ (بَدْرٍ) الْكَيْسِ
أَوْحَشَ السُّودُدُ فِيهِمْ، وَسَمَا لَمْ يَخْنَهُ فِي الزَّمَانِ الْمُؤَيِّسِ

* * *

حِينَ فِي إفريقيَا أنحلَّ الوِثَامُ وَاضْمَحَلَّتْ آيَةُ الفَتْحِ الجَلِيلِ
مَاتتِ الأُمَّةُ فِي غيرِ التَّنَامِ وَكَثِيرٌ لَيْسَ يَلْتَامُ قَلِيلُ
يَمَنُّ سَلَّتْ ظبَاهَا وَالشَّامُ شَامَهَا ٧٤ هِنْدِيَّةً ذَاتَ صَلِيلِ
فَرَّقَ الجِنْدَ الغِنَى فَاَنْقَسَمَا وَغَدَا بَيْنَهُمُ الحَقُّ نَسَى
أَوْ حَشَّ السُّودُدُ فِيهِمْ، وَسَمَا لِلْمَعَالَى مَنْ بِهِ لَمْ تَأْنَسِ
رُجِمُوا بِالعَبْقَرِيِّ النَّابِهِ البَعِيدِ الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِيَادِ
مَدَّ فِي الفَتْحِ وَفِي أَطْنَابِهِ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ بِنَاءِ ابْنِ زِيَادِ ٧٥
هَجَرَ الصَّيِّدِ، فَمَا يُغْنَى بِهِ وَهُوَ بِالمَلِكِ رَفِيقٌ ذُو اصْطِيَادِ
سئُلُ بِهِ أُنْدَلَسًا: هَلْ سَلِمَا مِنْ أُخَى صَبْدٍ رَفِيقِ مَرِسِ؟ ٧٦
جَرَّدَ السَّيْفَ، وَهَزَّ القَلَمَا وَرَمَى بِالرَّأْيِ أُمَّ الخُلَسِ ٧٧

* * *

بِسَلَامٍ شَا شِرَاعًا مَا دَرَى
 فِي جَنَاحِ الْمَلِكِ الرُّوحُ ٧٨ جَرَى
 غَسَلَ الْيَمُّ جِرَاحَاتِ النَّثْرِ
 هَلْ دَرَى أَنْدَلُسُ مَنْ قَدَمَا
 بِسَلِيلِ الْأَمْوِيِّينَ سَمَا
 مَا عَلَيْهِ مِنْ حَيَاءٍ وَسَخَاءٍ
 وَبِرِيحِ حَفِّهَا اللَّطْفُ رُخَاءٍ
 وَمَا الشَّدَّةُ مَنْ يَمْحُو الرَّخَاءَ
 دَارَهُ مِنْ نَحْوِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟
 فَتَحَ مُوسَى مُسْتَقَرَّ الْأُسْسِ

أَمْوِيٌّ لِلْعُلَا رِحَلَتْهُ
 كَالهَلَالِ انْفَرَدَتْ نَقَلَتْهُ
 بُنِيَتْ مِنْ خُلُقِ دَوْلَتُهُ
 وَإِذَا الْأَخْلَاقُ كَانَتْ سَلَمَا
 فَارَقَ فِيهَا تَرَقَّ أَسْبَابَ السَمَا
 وَالْمَعَالَى بِمِطْيَى وَطُرُقُ
 لَا يُجَارِيهِ رِكَابٌ فِي الْأَفْقِ
 قَدْ يَشِيدُ الدُّوَلِ الشَّمَّ الْخُلُقِ
 نَالَتْ النَجْمَ يَدُ لِلْمَلْتَمِسِ
 وَعَلَى نَاصِيَةِ الشَّمْسِ اجْلِسِ

أَيُّ مُلْكٍ مِنْ بِنَايَاتِ الْهَمَمِ
 ذَلِكَ النَّاشِئُ فِي خَيْرِ الْأَمَمِ
 حَكَمَتْ فِيهِ اللَّيَالِي وَحَكَمَ
 سُلْبَ الْعِزِّ بِشَرْقِ فَرَمَى
 وَإِذَا الْخَيْرُ لِعَبْدٍ قُسَمَا
 أَسَسَ الدَّاخلُ فِي الْغَرْبِ وَشَاذُ؟
 سَادَ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يُخْلَقْ يُسَادُ
 فِي عَوَادِيهَا قِيَادًا بِقِيَادُ
 جَانِبَ الْغَرْبِ لِعِزِّ أَقْعَسِ
 سَنَحَ السَّعْدُ لَهُ فِي النَّحْسِ

أَيُّهَا الْقَلْبُ، أَحَقُّ أَنْتَ جَارُ
 هَاهُنَا حَلَّ بِهِ الرِّكْبُ وَسَارُ
 فَلَكُ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ مُدَارُ
 هَاهُنَا كُنْتَ تَرَى حَوَّ الدَّمَى
 نَاقَلَاتٍ فِي الْعَبِيرِ الْقَدَمَا
 لِلَّذِي كَانَ عَلَى الدَّهْرِ يَجِيزُ؟
 وَهَنَا ثَاوٍ إِلَى الْبَعَثِ الْأَسِيرُ
 صَرَعَ الْجَامَ ٧٩ وَالْوَى بِالْمُدِيرُ
 فَاتَنَاتٍ بِالشَّفَاهِ اللَّعْسِ ٨٠
 وَاطْنَاتٍ فِي حَبِيرِ السُّنْدُسِ

حُذِّ عَنْ الدُّنْيَا بَلِيغَ الْعِظَةِ
 قَدْ تَجَلَّتْ فِي بَلِيغِ الْكَلِمِ

الشوقيات

طَرَفَاها جُمَعَا في لَفْظَةٍ فِتْأَمَلْ طَرَفَيْهَا تَعَلِّمِ
 الأمانى حُلْمٌ في يَقْظَةٍ والمنايا يَقْظَةٌ من حُلْمِ
 كُلُّ ذى سِقْطَيْنِ^{٨١} في الجوّ سما واقْعُ يَوْمًا وإن لم يُغْرَسِ
 وسيلقى حَيْنَهُ نَسْرُ السّما يوم تُطَوَّى كالكتابِ الدرسِ

أين — يا واحدَ مروانَ — عَلِمَ من دعاكَ الصقرَ سَمَّاهُ العُقَابُ؟^{٨٢}
 رايَةً صرَّفَها الفِرْدُ العَلَمُ عن وجوهِ النصرِ تصريفَ النِقابِ
 كنتَ إن جَرَدْتَ سيفًا أو قَلَمَ أبتَ بالألبابِ أو دِنْتَ الرِّقابِ
 ما رأى الناسُ سواهَ عِلْمًا لم يُرَمِّ في لُجَّةٍ أو يبسِ
 أعلى رُكنِ السَّمَاكِ أدْعَمًا وتغطَّى بِجَنَاحِ القُدُسِ

قصرُك (المُنْيَةَ) من قُرْطَبَةِ فيه واروكَ، وللهِ المَصيرُ
 صَدَفُ حُطِّ على جوهرةِ بَيَدَ أن الدهرِ نَبَّاشُ بصيرُ
 لم يَدَعُ ظَلًّا لقصرِ (المُنْيَةَ) وكذا عُمُرُ الأمانى قصيرُ
 كنتَ صقْرًا قُرْشِيًّا عِلْمًا ما على الصقرِ إذا لم يُرَمَسِ
 إن تَسَلْ: أين قبورُ العُظَمَا؟ فعلى الأفواهِ أو في الأنفُسِ

كم قبورِ زَيْنَتِ جِيدِ الثرى تحتها أنجسُ من مَيِّتِ المجوسِ
 كان مَنْ فيها وإن جازوا الثرى قبلَ موتِ الجسمِ أمواتِ النفوسِ
 وعظامُ تتزكَّى عنبرا من ثناءِ صِرْنِ أغفالِ الرُّموسِ
 فانتَخذُ قبرَكَ من ذِكْرِ، فما تَبْنِ من محموده لا يُطَمَسِ
 هَبْكَ من حرصِ سَكْنَتِ الهرما أين بانيه المينعِ الملمَسِ؟!

زَحَلَةٌ

ولمحتُ من طُرُقِ المِلاحِ شِباكي
أَمْشِي مَكَانَهُمَا عَلَى الأَشْوَاقِ
لِما تَلَفَّتْ جَهَشَةُ المِتْباكي
فإذا أَهَيْبَ بِهِ فليس بِشاكِ
من بَعْدِ طُولِ تَناولِ وَفِكاكِ
بَعْدَ الشِّبابِ عَزيزَةُ الإِدرَاقِ
لِفَتوَةٍ. أو فَضْلَةُ لِعِراكِ
وَنَشْدُ شَدِّ العُصْبَةِ الفُتَّاقِ
ما يَبِعثُ الناقوسُ في النُّسَاقِ
ما يَشبُهُ الأَحلامَ من ذِكرِاكِ
والذِكرِياتُ صَدَى السنينِ الحَاكِ
عَناءَ كَنتُ حِياَلِها أَلْقاكِ
ووجدتُ في أنفاسِها رِياكِ
بِينَ الجِداولِ والعيونِ حَواكِ
لِما حَظَرْتُ يُقَبِّلانِ حَطاكِ؟
حَتى تَرَفِّقُ ساعِدى فَطواكِ
واحمرُّ من حَفَرِيهما خِداكِ
ولثمتُ كِالصَبِّحِ المَنورِ فاكِ
من طيبِ فيكِ، ومن سُلَافِ لَمَكاكِ
عَينِي في لَغةِ الهوى عِيناكِ
وَنَسِيتُ كُلَّ تَعاتِبٍ وَتَشاكِ
جُمِعَ الزِمانُ فَكانَ يَومَ رِضاكِ

شَيَّعْتُ أَحلامِي بِقَلبِ باكِ
وَرَجَعْتُ أَدراجَ الشِّبابِ وِورِدِهِ
وَبجانِبي واِه، كَأَنَّ حُفوقَهُ
شاكى السِّلاحِ إذا حَلا بِضِلوَعِهِ
قَد راعَهُ أَني طَوَيْتُ حِباثِلي
وَيَحِ ابْنَ جَنبِي؟ كُلُّ غايَةٍ لُدَّةٌ
لِمَ تَبَقُ مِنّا - يا فِؤادُ - بِقِيةً
كنا إذا صَفَّقَتْ نَسْتَبِقُ الهوى
واليوْمَ تَبِعثُ فيَّ حينَ تَهْزُني
يا جارةَ الوادى، طَرِبْتُ وَعادِني
مَثَلْتُ في الذِكرى هِواكِ وَفي الكرى
ولقد مررتُ على الرِياضِ بَرَبوَةٍ
ضَحِكتُ إِلى وَجُوهاها وَعِيونِها
فذهبتُ في الأَيامِ أَذْكرُ رَفَرَفًا
إِنْكَرْتِ هَروَلَةَ الصِّبايَةِ والهوى
لِمَ أَدْر ما طِيبُ العِناقِ على الهوى
وتَأوَدْتُ أَعْطافَ بانِكِ في يَدِي
وَدَخَلْتُ في ليلِين: فَرَعَكِ الدُّجى
ووجدتُ في كُنْهِ الجِوانِحِ نَشوَةً
وتَعَطَّلْتُ لَغةَ الكِلامِ وَخاطَبْتُ
وَمَحَوْتُ كُلَّ لُبانَةٍ من خَاطِرى
لا أَمِسُ من عَمْرِ الزِمانِ ولا عُدُّ

أَقْدارُ سَيرِ لِالحِياةِ دَرَاقِ
كُرةٌ وِراءَ صَوالِجِ الأَفْلاكِ
كالطيرِ فِوقَ مَكاِمِ الأَشْراكِ
مُلَقى الرِحالِ على ثِراكِ الذِكاكِ

لُبْبانُ، رَدَّتْني إِليكِ مِنَ النِّوى
جَمَعْتُ نَزِيلِي ظَهْرِها مِنَ فِرْقَةٍ
نَمْشى عَلِياها فِوقَ كُلِّ فِجاءَةٍ
ولو أَنَّ بِالشِّوقِ المِزارُ وَجدتْني

طِيبِي كَجِلَّقَنٍ وَاسْكَبِي بَرْدَاكِ
 أَلْفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُبَاكِ
 لَتَهْلَلُ الْفَرْدُوسُ، ثُمَّ نَمَاكِ
 لِمَ يَا زُحَيْلَةَ لَا يَكُونُ أَبَاكِ؟
 هَيْهَاتَ! نَسَى الْبَابِلِيُّ جَنَّاكَ
 لِلنَّاطِرِينَ إِلَى أَلَدِّ حِيَاكِ
 أَوْدَعَنَ كَافُورًا مِنَ الْأَسْلَاكِ
 لَمَا رَأَيْتُ الْمَاءَ مَسَّ طِلَاكِ
 سَلَفَتُ بِظُلُوكِ وَانْقَضَتْ بِذَرَاكِ
 لُبْنَانُ فِي الْوَشْيِ الْكَرِيمِ جَلَاكِ
 فِي الْعَاجِ مِنْ أَيِّ الشُّعَابِ أَتَاكِ
 صَنِينَ وَالْحَرَمُونَ^{٨٢} فَاحْتَضْنَاكِ
 سَأَلْتُ حُلَاهُ عَلَى الثَّرَى وَجَلَاكِ
 كَالْغَيْدِ مِنْ سِتْرٍ وَمِنْ شُبَاكِ
 رَكْنُ الْمَجْرَةِ أَوْ جِدَارُ سِمَاكِ
 فِي الْأَيْكِ، أَوْ وَتَرًا شَجِيَّ حَرَاكِ
 تَحْتَ السَّمَاءِ مِنَ الْبِلَادِ فِدَاكِ
 وَمَشَى مَلُوكُ الشَّعْرِ فِي مَغْنَاكِ
 أَرْضًا تَمَخَّضَ بِالشَّمُوسِ سِوَاكِ
 وَيِرَاعُهُ مِنْ خُلُقِهِ بِمَلَاكِ
 سَرَقَ الشَّمَائِلَ مِنْ نَسِيمِ صَبَاكِ
 وَعَصَاهُ فِي سِحْرِ الْبَيَانِ عَصَاكِ
 وَجَمَعْتَهُ بِرَوَايَةِ الْأَمْلَاكِ
 أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكِ
 اللَّهُ صَاغَكَ، وَالزَّمَانُ رَوَاكِ

بِنْتَ الْبِقَاعِ وَأَمَّ بَرْدُونِيَّهَا
 وَدِمَشْقُ جَنَاتِ النِّعِيمِ، وَإِنَّمَا
 قَسَمًا لَوْ انْتَمَتِ الْجِدَاوِلُ وَالرُّبَا
 مَرَاكِ مَرَاهُ وَعَعَيْنُكَ عَيْنُهُ
 تِلْكَ الْكُرُومُ بَقِيَّةٌ مِنْ بَابِلِ
 تُبْدِي كَوْشَى الْفُرْسِ أَفْتَنَ صِبْغَةَ
 حَرَزَاتِ مِسْكِ، أَوْ عُقُودَ الْكَهْرِبَا
 فَكَّرْتُ فِي لَبَنِ الْجِنَانِ وَخَمْرِهَا
 لَمْ أَنْسَ مِنْ هَبَةِ الزَّمَانِ عَشِيَّةً
 كُنْتُ الْعُرُوسَ عَلَى مِنْصَةِ جِنْحِهَا
 يَمْشِي إِلَيْكَ اللَّحْظُ فِي الدِّيْبَاجِ أَوْ
 ضَمَّتْ ذِرَاعَيْهَا الطَّبِيعَةُ رِقَّةً
 وَالْبَدْرُ فِي تَبَجِّ السَّمَاءِ مُنَوَّرٌ
 وَالنِّيْرَاتُ مِنَ السَّحَابِ مُطَلَّةٌ
 وَكَأَنَّ كُلَّ ذُوَابَةٍ مِنْ شَاهِقِ
 سَكَنْتُ نَوَاحِي اللَّيْلِ، إِلَّا أَنَّهُ
 شَرَفًا — عُرُوسَ الْأَزْرِ — كُلُّ خَرِيدَةٍ
 رَكَزَ الْبَيَانَ عَلَى ذِرَاكِ لَوَاءِهِ
 أَدْبَاوُكِ الزُّهْرُ الشَّمُوسُ، وَلَا أَرَى
 مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ عِلْمُهُ فِي شَعْرِهِ
 جَمَعَ الْقَصَائِدَ مِنْ رُبَاكِ، وَرَبَّمَا
 (مُوسَى) بِبَابِكِ فِي الْمَكَارِمِ وَالْعِلَا
 أَحَلَلْتِ شَعْرِي مِنْكَ فِي عَلِيَا الذُّرَا
 إِنْ تُكْرِمِي يَا زَحْلُ شَعْرِي إِنْنِي
 أَنْتِ الْخِيَالُ: بَدِيعُهُ، وَغَرِيبُهُ

ذِكْرِي اسْتِقْلَالِ سُورِيَا وَذِكْرُ شُهَدَائِهَا

حياةً ما نريدُ لها زيالا
وعيشٌ في أصولِ الموتِ سمٌّ
وأيامٌ تطيرُ بنا سحابًا
نُريها في الضميرِ هُوىً وحبًّا
قصارٌ حين نجرى اللهُوَ فيها
ولم تضقِ الحياةُ بنا، ولكنْ
ولم تقتلِ براحتها بَنيها
ولو زاد الحياةُ الناسَ سعيًا
ودنيا لا نودُّ لها انتقالا
عُصارتُه، وإن بَسَطَ الظلالا
وإن خيلتْ تدبُّ بنا نِمالا
ونُسمِعها التبرمَ والملا
طوالً حين نَقطعها فعلا
زحامُ السوءِ ضيقُها مَجالا
ولكنْ سابقوا الموتِ اقتتالا
وإخلاصًا لزداتهم جمالا

* * *

كأن الله إذا قَسَمَ المعالى
ترى جدًّا، ولست ترى عليهم
وليسوا أرغد الأحياءِ عيشًا
إذا فعلوا فخيرُ الناسِ فعلاً
وإن سألْتَهُمُ الأوطانُ أعطوا
لأهل الواجب أدخر الكمالا
ولو عا بالصغائر واشتغالا
ولكنْ أنعمَ الأحياءِ بالا
وإن قالوا فأكرمهم مَقالا
دماً حرًّا، وابناءً، ومالا

* * *

بَنَى البَلدِ الشَّقِيقِ، عِزَاءَ جَارِ
قَضَى بِالْأَمْسِ لِلْأَبْطالِ حَقًّا
يُعْظَمُ كُلَّ جُهْدِ عِبقِيٍّ
وما زلنا إذا دَهَتِ الرِزَايا
وقد أنسى الإِسَاءَةَ من حَسودِ
ذَكَرْتُ المِهْرَجانَ وَقَد تَجَلَّى
وِدَارِي بَيْنَ أعراسِ القِوافِي
تَسَلَّلَ في الزحامِ إِلَيَّ نِضْوُ
رِسولِ الصابِرينِ أَلَمَّ وَهنا
أهَابَ بدمعه شَجَنُ فسالا
وأضحى اليَوْمَ بالشهداءِ غالى
أكان السَلْمَ أم كان القِتالا
كأرحمِ ما يكونُ البَيْتُ آلا
ولا أنسِ الصنِيعَةَ والفَعالا
ووفدَ المِشرِقيينَ وَقَد توالى
وقد جُلِيتِ سماءٌ لا تُعالى
من الأحرارِ تحسبُه خيالاً
وبلَّغني التحيَةَ والسؤالاً

دنا مني فناولني كتابًا
وجدتُ دمَّ الأسودِ عليه مسكًا
كأنَّ أساميَّ الأبطالِ فيه
رواةُ قصائدي قد رتلوها
إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها
أحسَّتْ راحتاي له جلالا
وكان الأصلُ في المسكِ الغزالا
حواميمٌ على رَقِّ تتالى
وعنَّوْها الأسنَّةَ والنَّصالا
فكانت في الخيام لهم نقالا

بَنى سورِيَّةَ، التئموا كيومِ
سَلُوا الحريَّةَ الزهراءِ عَنَّا
وهل نلنا كلانا اليومَ إلا
عرفتم مهرها فمهرتموها
وقمتم دونها حتى خضبتم
دعوا في الناس مفتونًا جبانًا
أيطلب حَقَّهم بالروح قومٌ
وكونوا حائطًا لا صدعَ فيه
وعيشوا في ظلالِ السلمِ كدًا
ولكن أبعدَ اليومين مَرَمَى
وليس الحربُ مَرَكَبَ كلِّ يومِ
خرجتم تطلبون به النزالا
وعنكم: هل أذاقتنا الوصالا؟
عراقيبَ المواعدِ والمطاللا؟
دما صبغَ السبابِ والدغالا
هَوادِجَها الشريفةَ والحجالا
يقول: الحربُ قد كانت وبالا
فتسمع قائلا: ركبوا الضلالا؟
وصفًا لا يُرَقَّع بالكسالى
فليس السلمُ عجزًا واتكاللا
وخيرهما لكلم نصحا وآلا
ولا الدمُّ كُلُّ أونةٍ حلالا

سأذكر ما حَيَّيتُ جدارَ قبرِ
مقيمٍ ما أقامت (ميسلون)
لقد أوحى إليّ بما شجاني
تَغَيَّبَ عَظْمَةُ العَظَمَاتِ فيه
كأن بُناتَه رُفَعوا مَنارًا
سَرَجُ الحَقِّ في تَبِجِ الصحارى
ترى نورَ العقيدةِ في ثراه
مشى ومشتُ فيالقُ من فرنسا
بظاهرِ جَلَقِ رَكِبِ الرمالا
يذكر مصرعَ الأسدِ الشَّبِالا
كما توحى القبورُ إلى التُّكالى
وأولُ سيِّدِ لِقَى النَبِالا
من الإخلاص، أو نصبوا مِثالا
تَهَابَ العاصفاتُ له ذبالا
وتَنَشَّقُ من جوانبه الخلالا
تجرُّ مَطارِفَ الظفرِ اختيالا

مِلَأَنَّ الْجَوَّ أَسْلِحَةً خِفَافًا
وَأَرْسَلَنَّ الرِّيحَ عَلَيْهِ نَارًا
سَلْوَهُ: هَل تَرَجَّلَ فِي هَبُوبٍ
أَقَامَ نَهَارَهُ يُلْقَى وَيُلْقَى
وَصَاحَ، تَرَى بِهِ قَيْدَ الْمَنِيَا
فَكُفِّنَ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
إِذَا مَرَّتْ بِهِ الْأَجْيَالُ تَنْتَرَى
تَعَلَّقَ فِي ضَمَائِرِهِمْ صَلِيبًا
وَوَجَهَ الْأَرْضِ أَسْلِحَةً ثِقَالًا
فَمَا حَفَلَ الْجَنُوبَ وَلَا الشَّمَالََا
مِنَ النَّيْرَانِ أَرْجَلَتِ الْجِبَالَ؟
فَلَمَّا زَالَ قَرِصُ الشَّمْسِ زَالَا
وَلَسْتَ تَرَى الشَّكِيمَ وَلَا الشَّكَالََا
وَعُيِّبَ حَيْثُ جَالَ وَحَيْثُ صَالََا
سَمِعْتَ لَهَا أَزِيْرًا وَابْتَهَالََا
وَحَلَّقَ فِي سَرَائِرِهِمْ هَلَالََا

تِمَثَالُ نَهْضَةِ مِصْرَ

جَعَلْتُ حُلَاهَا وَتِمَثَالَهَا
وَأَرْسَلْتُهَا فِي سَمَاءِ الْخِيَالِ
وَإِنِّي لِغَرِيْدُ هَذِي الْبِطَاحِ
تَرَى مِصْرَ كَعَبَّةَ أَشْعَارِهِ
وَتَلْمَحُ بَيْنَ بِيُوْتِ الْقَصِيْدِ
أُدَارَ النَّسِيْبِ إِلَى حَبَّهَا
أَرَنَّ بَغَابِرَهَا الْعَبْقَرَى
وَيَرُوِي الْوَقَائِعَ فِي شَعْرِهِ
وَمَا لَمَحُوا بَعْدُ مَاءَ السِّيُوْفِ
عِيُوْنَ الْقَوَافِي وَأَمَثَالَهَا
تَجَرُّ عَلَى النُّجْمِ أَذْيَالَهَا
تَغْدَى جَنَاهَا وَسَلْسَالَهَا
وَكَلَّ مَعْلَقَةً قَالَهَا
حِجَالٌ^{٨٤} الْعُرُوْسِ وَأَحْجَالَهَا^{٨٥}
وَوَلَّى الْمَدَائِحَ إِجْلَالَهَا
وَعَنَى بِمِثْلِ الْبُكََا حَالَهَا
يَرُوْضُ عَلَى الْبِئَاسِ أَطْفَالَهَا
فَمَا ضَرَّ لَوْ لَمَحُوا آلَهَا

وَيُوْمِ ظَلِيْلِ الضُّحَى مِنْ بَشَنَسِ
رُوِي ظَلُّهُ عَنِ شَبَابِ الزَّمَانِ
مَشَتْ مِصْرُ فِيهِ تَعْيِيْدُ الْعَصُوْرَ
وَتَعْرُضُ فِي الْمِهْرَجَانِ الْعَظِيْمِ
أَفَاءَ عَلَى مِصْرَ أَمَالَهَا
رَفِيْفَ الْحَوَاشِي وَإِخْصَالَهَا^{٨٦}
وَيَغْمُرُ ذَكَرَ الصَّبَا بِأَلَاهَا
ضُحَاهَا الْخَوَالِي وَأَصَالَهَا

الشوقيات

وأقبل (رمسيس) جمَّ الجلال
وما دان إلا بِشُورَى الأمور
فحياً بأبلجٍ مثل الصَّبَاحِ
وأوما إلى ظلماتِ القرونِ
سَنَى المواقِبِ، مُختالها
ولا اختال كِبْرًا، ولا استالها^{٨٧}
وجوهَ البلادِ وأرسالها
فشقَّ عن الفنِّ أسدالها

فمن يُبلِّغُ (الكرنك) الأَقْصَرَ
ويُسمعُ ثمَّ بِوادي الملوكِ
وكلَّ مَخْلَدَةٍ في الدُمَى
عليها من الوَحَى ديباجةٌ
تكاد - وإن هي لم تتصل
وما الفنُّ إلا الصرِيحُ الجميلُ
وما هو الإجمالُ العقولِ
ويُنْبِئُ (طيبة) أطلالها
ملوكَ الديارِ وأقيالها
هنالك لم نُحْصِ أحوالها
ألحَ الزمانُ فما ازدالها
بروح - تَحَرَّكَ أوصالها
إذا خالطَ النفسَ أوحى لها
إذا هي أولَّتَه إجمالها

لقد بعثَ اللهُ عهدَ الفنونِ
تعالوا نرى كيف سَوَى الصَّفَاةِ
دنت من أبى الهولِ مَشَى الرَّؤْمِ
وقد جاب في سَكَراتِ الكَرَى
وألقى على الرملِ أرواقه^{٨٨}
يُخال لإطراقه في الرَّمالِ
فقالَت: تَحَرَّكَ، فَهَمَّ الجِماذُ
فهل سَكَبَتْ في تجاليدِه
أتذكُرُ إذا غَضِبْتَ كاللِّبابةِ^{٩٠}
وألقت بهم في غمارِ الخطوبِ
وثاروا، فجنَّ جُنونُ الرياحِ
وبات تَلَمَّسُهُم شِيخَهُم
ومن ذا رأى غابَةً كافحتُ
وأخرجت الأَرْضُ مَنَّالها
فتاةً تَلَمَّمِ سِرْبِالها
إلى مُقْعَدِ هاجِ بَلْبِالها
عُرُوضِ اللِيالى وأطوالها
وأرْسَى على الأرضِ أثقالها
سَطِيحَ^{٨٩} العصورِ ورَمَّالها
كأنَّ الجِماذَ وعَى قالها
شُعاعَ الحِياةِ وَسَيَّالها؟
ولمَّت من الغِيلِ أشبالها؟
فخاضوا الخطوبَ وأهوالها
وزُلْزِلتِ الأَرْضُ زِلْزالها
حديثَ الشُعبِ وأشغالها
فردَّت من الأَسْرِ رِثْبِالها؟

وأهْيَبُ ما كان بأُسِّ الشَّعَوْبِ إذا سَلَّحَ الحَقُّ أَعزَلَهَا

تقدِّمَ جَدُّكَ أبطالها
 نماها، ونَبَّهَ أنسالها^{٩١}
 ولكنها مَلِكُ من نالها
 إذا عَرَضت مصرُ أجيالها
 لِمَ يشهد (النيلُ) أمثالها
 لقد لِبِسَ البِرُّ قَسطالها^{٩٢}
 رة لو سالم الدهرُ إقبالها
 ورَكَّبَ في التاج (صومالها)
 ويفضِّلُنَ في الخيرِ مِنوالها
 رِكابَ السماءِ وأفضالها
 جُدوبَ العقولِ وإمالها
 يمينَ الجدودِ وشيمالها
 وتفتَحُ للشَّرِّقِ أقالها

(فؤادُ)، ارفع السَّتَرَ عن نهضة
 ورُبُّ امرئٍ لم تَلِدْه البلادُ
 وليس اللالئِ مَلِكُ البحورِ
 وما (كعلئ) ولا جيلُه
 بَنَوْا دولةً من بنات الأسنِّ
 لئن جَلَّلَ البحرَ أسطولها
 فأما أبوكَ فدينا الحضا
 تخيِّر (إفريقيّا) تاجه
 رِكابُك يا (ابن المِعزِّ) الغيوثُ
 إذا سِرْنُ في الأرضِ نَسَّينها
 فلم تبحرِ القصرَ إلا شفيئتَ
 لقد رَكَّبَ اللهُ في ساعدك
 تَخَطُّ وتَبْنِي صُروحَ العلومِ

الحريّة الحمراء

قيلت في احتفال بيوم ١٣ نوفمبر

مُهَجِّجٍ من الشهداءِ لم تتكلم
 كدمِ الحسينِ على هلالِ محرّمِ
 متمايلُ الأعطافِ مُبْتَسِمُ الفمِ
 زُهرُ الملائكِ في سماءِ الموسَمِ
 بين السحابِ قبورها والأنجمِ؟
 ما حلَّ بالبيتِ المضئِ المظلمِ
 غُرسًا أقيمَ على جوانبِ مَأْتَمِ
 سلوى تُرَقِّدُ جرحها كالبَلَسَمِ

في مهرجانِ الحَقِّ أو يومِ الدمِ
 يبدو على هاتورَ نورُ دمائها
 يومُ الجهادِ بها كمصدرِ نهاره
 طلعت تَحُجُّ البيتَ فيه كأنها
 لم لا تُطَلُّ من السماءِ وإنما
 ولقد شَجاها الغائبون، وراعها
 وإذا نظرتَ إلى الحياةِ وجدتها
 لا بُدَّ للحريّةِ الحمراءِ من

يعلو فَمَ التَّكَلَّى وثغرَ الأيِّمِ
لنظمتُ للأجيالِ ما لم يُنظَمْ
باعَ الخيالِ العبقريِّ الملهمِ
والنفيِّ حالٍ من عذابِ جهنَّمِ
مَثَّلْتُ فيها صورةَ المُستسلمِ
وحكيتهُ مُتغيِّظًا لم يكْظَمْ
وطنيَّةُ بمُتَّقفٍ ومُعَلِّمِ
بسواهِ جلَّ جلالُه لا تحتمى
يدهُ لنُصرتها ثلاثةُ أسهمِ
كالسيفِ في يُمْنَى الكَمِيِّ المُعَلِّمِ
مَلِكِ البحارِ بكلِّ قَيْصَرَ مُحجَمِ
والبأسِ والسلطانِ دونِ السُّلَمِ
أُوْحُوا إلى مصرَ الفتاةِ: تقدِّمى
لبنِ اللُّبابةِ، وهاجِ عِرْقُ الضَّيْغِمْ
حرِّيَّةُ صَبَغَتْ أديمَكَ بالدمِ
ضحكتُ أسرَّةً وجهك المتجهمِ
يا ليت من «سعد» الحمى لم تَيتِمِ
ليس الشُّبُولُ عن العرينِ بُنُومِ

وتبسُّمِ يعلو أسرَّتْها كما
يَوْمُ البطولةِ لو شهدتُ نهارَه
غَبِنْتُ حقيقتهُ، وفاتِ جمالُها
لولا عوادى النَّفْيِ أو عقباتُه
لجمعتُ ألوانَ الحوادثِ صورةً
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظه
دَعَتِ البلادَ إلى الغِمَارِ فغامرتُ
ثارتُ على الحامى العتيدِ، واقسمتُ
نثرَ الكنانةِ ربُّها، وتخيَّرتُ
من كلِّ أعزَلِ حقِّه بيمينه
لم يُجموا في ساعةٍ قد أظفرتُ
وقفوا مطيِّهمو بسُلْمِ قصره
وتقدِّموا، حتى إذا ما بلَّغوا
سألتُ من الغابِ الشُّبُولُ غَلا بها
يَوْمَ النضالِ، كَسَتْكَ لَوْنَ جمالِها
أصبحتُ من غَرَّرِ الزمانِ، وأصبحتُ
ولقد يَتِمَّتْ، فكنتُ أعظمَ رُوعَةً
لَيَنَمُ أبو الأشبالِ مِلءَ جفونِه

وقال في تكريم الدكتور علي بك إبراهيم الجراح العبقري.

وخذوا القمَّةَ علمًا وبيانا
ليس كلُّ الخيلِ يشهدن الرِّهانا
تملأُ المضمارَ معنَى وعيانا
وخذوا المجدَ عِنانًا فعنانا
من أيادٍ، حسدًا أو شنانا

ابتغوا ناصيةَ الشمسِ مكانا
واطلبُوا بالعبقریاتِ المدى
ابعثوها سابقاتٍ نُجُبا
وثبوا للعرزِّ من صهوَّتِها
لا تُثيبوها على ما قلَّدتُ

وضئيلٍ من أساةِ الحىِّ لم
ضامرٍ في سُفْعَةٍ تحسبه
أو طبيبًا أيبًا من «طيبة»
تُنكر الأرض عليه جسمه
نال عرشَ الطبِّ من «أمحوتب»
يا لأمحوتبٍ من مُسْتَأْلِيهِ
خاشعًا لله، لم يُزه، ولم
يلمس القدرة لمسا كلِّما
لو يُرى الله بمصياح لما
في خلالٍ لفتت زهرَ الرُّبى
لو أتاه مُجعا حاسده
خيرٌ من علمٍ في «القصر» ومن
كلُّ تعليمٍ نراه ناقصًا
دركٌ مُستحدثٌ من درج

يُعنَ باللحم وبالشمم اختزاناً
نضو صحراء ارتدى الشمس يهانا
لم تزل تندى يده زعفرانا
واسمه أعظم منها دورانا
وتلقى من يديه الصؤلجانا
لم يلد إلا حوارياً هجانا
يرهب النفس اغتراراً وافتنانا
قلب الموت وجس الحيوانا
كان إلا العلم جلّ الله شاننا
وسجايا أنست الشرب الدنانا
سلّ من جنب الحسود السرطانا
شقّ عن مُستترِ الداء الكنانا
سُلّم رث إذا استعمل خاننا
ومن الرفعة ما حطّ الدخانا

لا عِدْمنا «للسيوطى» يدًا
تصرف المشرط للبرء كما
مدها كالأجل المبسوط في
تجد الفولاذ فيها محسنًا
يدُ «إبراهيم» لو جئت لها
لم تخط للناس يوماً كفنًا
ولقد يؤسى ذوو الجرحى بها
نبغ الجيل على مشرطها
لو أتت قبل نضوج الطبِّ ما

خُلقت للفتق والرتق بنانا
صرف الرّمح إلى النصر السنانا
طلب البرء اجتهادًا وافتنانا
أخذ الرفق عليها واللّيانا
بذبيح الطير عاد الطيرانا
إنما خاطت بقاءً وكيانا
من جراح الدهر، أو يُشفي الحزانى
في كفاح الموت ضربًا وطعانا
وجد التنويم عونًا فاستعانا

يا طرازًا يبعث الله به في نواجى مُلكه أنا فآنا

الشوقيات

من رجالِ خُلِقُوا أَلْوِيَّةُ ونجومانِ وغيوثًا، ورعانا
قادة الناسِ وإن لم يقربوا طَبَعَاتِ الهنديِ والسُّمَرِ اللَّدَانَا
وغذاء الجيلِ فالجيلِ وإن نَسَى الأجيالُ كالطفل اللبانا
وهمو الأبطالُ كانت حربهم منذ شُنوها على الجهلِ عَوَانَا

* * *

يا أخی - والذخرُ في الدنيا أُوخُ - حاضرُ الخيرِ على الخيرِ أعانا
لك عند ابْنِي - أو عندى - يدُ لستُ ألوها ادكارًا وصيانا
حَسَنْتُ منى ومنه موقعًا فجعلنا جزها الشكرَ الحُسَانَا
هل ترى أنت؟ فإنى لم أجد كجميلِ الصُّنْعِ بالشكرِ اقترانَا
وإذا الدنيا خَلَّتْ من خَيْرٍ وخلصتُ من شاکر هانت هَوَانَا
دفع الله «حُسَيْنًا» في يدٍ كيد الألفافِ رِفْقًا واحتضانَا
لو تناولتُ الذي قد لمستُ منه ما زدتُ حِدَارًا وحَنَانَا
جرحُه كان بقلبي، يا أبا لا أنبِيه بجرحي كيف كانَا؟
لطف الله فعوفينا معًا وارزتهنَا لك بالشكرِ لسانَا

تحية الشاعر

وقال وهي القصيدة التي أقيمت في دار الأبرار الملكية في حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذي انعقد فيها

مرحبًا بالربيع في رِيَعَانِهِ وبأنواره وطيِّبِ زَمَانِهِ
رَفَّتْ الأَرْضُ في مواكبِ أذَا رَ، وشبَّ الزمانُ في مِهْرَجَانِهِ
نزل السهلَ ضاحكَ البِشْرِ يمشى فيه مَشَى الأَمِيرِ في بُسْتَانِهِ
عاد حَلِيًّا بِرَاحَتِيهِ وَوَشِيًّا طولُ أنهارِهِ وَعَرُضُ جِنَانِهِ
لف في طَيْلَسَانِهِ طَرَّرَ الأَرَضِ، فطاب الأديمُ من طيلسانه
ساحرٌ فتنهُ العيونِ مُبِينٌ فصلُ الماءِ في الرُّبَا بِجَمَانِهِ
عبقرى الخيالِ، زاد على الطيِّ ف، وأزبى عليه في ألوانه
صبغةُ الله! أين منها رفائِدُ لُ ومنقاشُه وسحرُ بَنَانِهِ

رَنَمَ الرُّوضُ جَدولًا وَنَسِيمًا
وَشَدَّتْ فِي الرُّبَا الرِّياحِينُ هَمَسًا
كُلُّ رِيحَانَةٍ بِلحْنِ كُعْرُوسٍ
نَعْمٌ فِي السَّماءِ وَالأَرْضِ شَتَّى
أَيْنَ نُورُ الرَّبِيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ
سَرَمَدُ الحَسَنِ وَالْبِشاشَةِ مَهْمَا
حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ
مَلِكٌ ظِلُّهُ عَلَى بَبْوَةِ الخُلِّ
أَمَرَ اللُّهُ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحَكِّ
لَمْ تَنْزُرْ أُمَّةٌ إِلَى الحَقِّ إِلَّا
لَيْسَ عَرَفَ النُّحاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ

ظَلَّلْتَنِي عِنايَةً مِنْ «فؤادٍ»
وَرِعاَنِ، رَعَى الإِلَهُ «الفارو»
مَلِكُ النِّيلِ مِنْ مَصْبِيهِ بِالشَّـ
هُوَ فِي المُلْكِ بَدْرُهُ المُنْتَجَلِي
زادَهُ اللُّهُ بِالنِّيابَةِ عِزًّا

مَنْبِرُ الحَقِّ فِي أمانَةِ «سعدٍ»
لَمْ يَرِ الشَّرْقُ دَاعيًّا مِثْلَ «سعدٍ»
نَظَرْتَهُ^{٩٤} عَقِيدَةُ النَّاسِ فِيهِ
نَهَضَةٌ مِنْ فَتَى الشُّيوخِ وَروحُ
حَرَكا الشَّرْقِ مِنْ سَكونِ إِلَى القِيـ
وَإِذا النَّفْسُ أَنْهَضَتْ مِنْ مَرِيطِ

من فلسطينه إلى بغداده
 تُرّ على قُسه ولا سحْبانه
 ين، وروح البيان من فُرْقانه
 حى، وشُدَّ البيان من أركانه
 مثلها للكلام يوم رهانه
 والمذاكى العتاق من لبّانه
 من آلاءها ومن مَرْجانه
 من بداوته ومن عُمرانه
 فاتح الغرب من بني مَرْوانه
 أفرغ الوُدُّ فيه من عقيانه
 في ذرّ الخلق أو وراء ضمانه
 يفرق المستبِدُّ من ثعبانه
 كالحوارى في مدى إيمانه
 أو لئيم اللجاج في عدوانه
 في ثراه، وهزّ من حسّانه
 ق نجوم البيان من أعيانه
 واستبنا الكتاب من عنوانه
 منحونى جزاء ما لم أعانه
 أنا أسمو إلى نباهة شأنه
 لو جرى الحظ في سواءٍ عنانه
 وأذعوا الجميل من إحسانه
 مى، وإن عشت طائفاً بدنانه
 أين فضل الحمام في تحنانه؟
 من يد في صفائه وليانه

يا عكاظاً تألف الشرق فيه
 افتقدنا الحجاز فيه، فلم نعد
 حملت مصر دونه هيكلا الد
 وطدت فيك من دعائمها الفص
 إنما أنت حلبة لم يسخر
 تتبارى أصائل الشام فيها
 قلدتنى الملوك من لؤلؤ البحر
 نخلة لا تزال في الشرق معنى
 حن للشام حقبه وإليها
 وحبتنى بمبأى فيها يراعاً
 ليس تلقى يراعها الهند إلا
 أنتضيه انتضاء موسى عصاه
 يلتقى الوحى من عقيدة حر
 غير باغ إذا تطلب حقا
 موكب الشعر حرّ المتنبي
 شرفت مصر بالشموس من الشر
 قد عرفنا بنجمه كل أفق
 لست أنسى يداً لإخوان صدق
 رب سامى البيان نبة شأنى
 كان بالسبق والميادين أولى
 غنما أظروا يد الله عندى
 ما الرحيق الذي يذوقون من كز
 وهبوني الحمام لذة سجع
 وترّ في اللهاة،^{٩٥} ما للمغنى

ه سؤال الكريم عن جيرانه
 وطنى، أو مُهنئاً بلسانه

رب جار تلفتت مصر تولي
 بعثتنى معزباً بماقى

كان شعري الغناء في فرح الشر
 قد قضى الله أن يؤلفنا الجر
 كلما أن بالعراق جريح
 وعلينا كما عليكم حديد
 نحن في الفقه بالديار سواء
 ق، وكان العزاء في أحزانه
 ح، وأن نلتقي على أشجانه
 لمس الشرق جنبه في عُمانه
 تَنَزَّرَى اللَّيُوثُ فِي قُضْبَانِهِ
 كُلُّنَا مَشْفُقٌ عَلَى أَوْطَانِهِ

هوامش

- (١) المهار: جمع مهر، والعرايب جمع عرييد بالكسر، والعرييد الكثير العريدة.
- (٢) ترفع: اخذا من قولهم: شالت الناقة ذنبها إذا رفعتها.
- (٣) الأيمان جمع يمين: وهي اليد اليمنى.
- (٤) القشيب: الجديد.
- (٥) الإصليت: السيف.
- (٦) ابن البتول هو المسيح عليه السلام.
- (٧) السبحة: بضمّتين: الجلال.
- (٨) السمّت بالفتح: هيئة أهل الخير.
- (٩) عطل النحر من الحلّي: خلا.
- (١٠) المروت: جمع مرت وهي المفازة بلا نبات.
- (١١) فتق المسك. استخرجه بشئ يدخله عليه، والفتيت: المفتوت.
- (١٢) يقوته: يطعمه.
- (١٣) الصفا: الصخر.
- (١٤) الجرس: الصوت.
- (١٥) الوضح: حلّى من الفضة.
- (١٦) تصيته: تجعله يصوت.
- (١٧) موسى نمور بك رئيس مجلس النواب اللبناني.
- (١٨) استذرى: استظل.
- (١٩) صلاح: اسم لمكة.
- (٢٠) الحجول: الخلاخيل.
- (٢١) النضاح: الرامي بالنبل وهو كناية عن الحامي والدافع.

- (٢٢) المنصاح: الخالص.
(٢٣) يقال سجع خلقه: سهل ولان.
(٢٤) الصفح: السيوف.
(٢٥) صباح هنا: أي حرب.
(٢٦) السميت: هيئة أهل الخير.
(٢٧) الصفاح: حجارة عريضة.
(٢٨) طلعت بك حرب مدير بنك مصر.
(٢٩) العد: الماء الجارى له مادة لا تنقطع.
(٣٠) البند: العلم.
(٣١) تدهده: انقض وتدرج.
(٣٢) بنتاءور: شاعر مصرى قديم.
(٣٣) بد الشئ: فرقه، وهنا بمعنى أراقها.
(٣٤) الجعد: الكريم.
(٣٥) الرئد: الترب.
(٣٦) اللد: الأشداء في الخصومة.
(٣٧) الرد: العماد.
(٣٨) الحمراء: قصر عظيم بالأندلس.
(٣٩) وادى الطلح: منتزه بأشبيلة للمعتمد بن عباد.
(٤٠) الحبر: جمع حبرة، وهي ضرب من برود اليمن.
(٤١) الصل: الثعبان.
(٤٢) الفقر: كل كلام مختار نظما كان أو نثرا.
(٤٣) يمشى الخمر: جملة تقال لمن يختال صاحبه.
(٤٤) الكسر: جمع كسرة: وهي القطعة من الشئ.
(٤٥) الفل: الكسر في حد السيوف.
(٤٦) الطم: البحر.
(٤٧) العلز: القلق والهلع من الموت.
(٤٨) البدر: جمع بدرة، وهي عشرة آلاف درهم.
(٤٩) العصا: الفرس المشهورة التي ورد ذكرها في مصرع الزباء، وقد كانت لقصير الذي يقول فيه المثل «لأمر ما جدع قصير أنفه».

النَّسْرُ الْمِصْرِيُّ

- (٥٠) وهي زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر.
- (٥١) السدر: البحر.
- (٥٢) الخادر: كناية عن أسد، يقال أسد خادر: مقيم في خدره.
- (٥٣) الوقاح: ذو الوقاحة، يقال امرأة وقاح الوجه.
- (٥٤) بحر الخزر: هو بحر قزوين، والخزر أيضا: جيل من الناس.
- (٥٥) الحين: هلاك.
- (٥٦) الشكير: صغار الريش بين كباره.
- (٥٧) يتنزى: يتوثب.
- (٥٨) المرعس: من رعس الرجل: إذا مشى مشيا ضعيفا من الإعباء.
- (٥٩) القعس: ضد الحذب، وهو نتوء الصدر.
- (٦٠) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب.
- (٦١) لم ينبجس: لم يتفجر.
- (٦٢) يقال جرح نغاز: أي جياش بالدم.
- (٦٣) رسف مشى مشية المقيد.
- (٦٤) ابني سمير: الليل والنهار.
- (٦٥) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس.
- (٦٦) يعني بالسبط الحسين بن علي صلوات الله عليه.
- (٦٧) يعني بمروان: بني مروان.
- (٦٨) الأظلم هنا: هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني العباس وقد سلب بني أمية ملكهم.
- (٦٩) نارت الفتنة: وقعت وانتشرت.
- (٧٠) غس: دخل ومضى.
- (٧١) الأطلس: الذئب.
- (٧٢) المعطس: الأنف.
- (٧٣) البيهس: الأسد.
- (٧٤) شام: سل.
- (٧٥) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

الشوقيات

- (٧٦) المرس: الشديد المجرب في الحروب، يقال: أنه لمرس حذر.
(٧٧) الخلس: جمع خلصة وهي الفرصة.
(٧٨) الملك الروح: جبريل.
(٧٩) الجام: الكأس.
(٨٠) اللعس: سواد مستحسن في الشفة.
(٨١) السقط: جناح الطائر.
(٨٢) العقاب: اسم راية الداخل.
(٨٣) هضبتيان في زحلة.
(٨٤) الحجال: جمع حجلة، وهي بيت العروس.
(٨٥) الأحجال: الخلاخيل.
(٨٦) أخضل الشيء: ابتل.
(٨٧) استالها: أصله استاله، أي تشبهه بالإله.
(٨٨) يقال ألقى أرواقه بالمكان: نزل به وضرب خيمته.
(٨٩) سطيح: اسم لكاهن من كهان العرب، والسطيح أيضاً: البطيء القيام لضعف أو زمانة.
(٩٠) اللبابة: لغة في اللبوة.
(٩١) أنسال: جمع نسل.
(٩٢) القسطال: غبار الحرب.
(٩٣) الرعان: رءوس الجبال.
(٩٤) الضمير عائد على الشرق.
(٩٥) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

الباب الثالث

سليمان باشا أباطة^١

مَنْ ظَنَّ بَعْدَكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ
فَجَعَلَ الْمَكَارِمَ فَاجِعًا فِي رَبِّهَا
وَنَعَى النِّعَاةَ إِلَى الْمُرُوءَةِ كَنْزَهَا
أَبَا مُحَمَّدٍ، اتَّيَدُّ فِي ذَا النَّوَى
وَاسْتَبَقَ عَزَّهُمْ (بِطَهْرَاءَ) الَّتِي
أَدَجَى بِهَا لَيْلُ الْخَطُوبِ، وَطَالَمَا
وَإِذَا سَلِيمَانَ اسْتَقَلَّ مَحَلَّةً
فَانظُرْ مِنَ الْأَعْوَادِ حَوْلَكَ هَلْ تَرَى
سَارَتِ جَنَازَةٌ كُلُّ فَضْلٍ فِي الْوَرَى
وَتَيَّتَمَ الْأَيْتَامُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلَقَدْ عَهَدْتُكَ لَا تُضَيِّعَ رَاجِيًا
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَنْ يَوَدُّ وَمَنْ يَفِي
وَذَكَرْتُ سَعِيكَ لِي مَرِيضًا فَانِيًا
وَالْمَرَّةَ يُذَكِّرُ بِالْجَمَائِلِ بَعْدَهُ

فَلَيَّرْتُ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ
وَالْمَجْدَ فِي بَانِيهِ، وَالْعَلِيَاءَ
وَإِلَى الْفَضَائِلِ نَجْمَهَا الْوَضَاءَ
وَارْفُقْ بِأَلِّكَ، وَارْحَمِ الْأَبْنَاءَ
كَانُوا النَّجُومَ بِهَا وَكُنْتَ سَمَاءً^١
مُلِئْتُ مَنَازِلُهَا سَنَى وَسَنَاءً^٢
كَانَتْ بِسَاطًا لِلنَّدَى وَرَجَاءً^٣
مَنْ بَعْدَ طَبِّكَ لِلْعُفَاةِ دَوَاءً^٤
لَمَّا رَكِبْتَ الْآلَةَ الْحَدَبَاءَ^٥
وَرَمَى الزَّمَانَ بِصَرْفِهِ الْفُقَرَاءَ^٦
وَالْيَوْمَ ضَاعَ الْكُلُّ فِيكَ رَجَاءً
فَقَفَ الْغَدَاةَ لَوْ اسْتَطَعْتَ وَفَاءً
فَجَعَلْتُ سَعِيَّ بِالرِّثَاءِ جَزَاءً
فَارْفَعْ لِذِكْرِكَ بِالْجَمِيلِ بِنَاءً^٧

^١ سليمان باشا أباطة: أحد سراة مصر الكبار، وكان في حياته كبير الأسرة الأباطية الشهيرة، وقد أُسْنِدَتْ إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢، وتوفي سنة ١٩٠١.

واعلمُ بأنك سوف تُذكَرُ مَرَّةً فيقالُ: أحسنَ، أو يقالُ: أساءَ
 أبْنِيهِ، كونوا لِلْعِدَى مِنْ بَعْدِهِ كِيداً، وكونوا لِلْوَلِيِّ عَزَاءَ
 وتجلّدوا لِلخَطْبِ مثلَ ثَبَاتِهِ أَيامَ كان يُدافع الأُزْراءَ
 والله ما مات الوزيرُ وكنتمُ فوقَ الترابِ أعزَّةً أحياءَ

هوامش

- (١) طهراء: علم على بلد الفقيده، وهي من أعمال إقليم الشرقية بمصر.
- (٢) تدجى الليل وأدجى: كلاهما بمعنى أظلم، والسنى — بالقصر —: الضوء، والسناء — بالمد — الرفعة.
- (٣) المحلة في الأصل هي الناحية التي ينزل بها القوم، ولا تقل عن مائة بيت، والمراد هنا بقوله: «استقلّ محلة» أي أنه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعامل لرفعتها.
- (٤) الأعواد: جمع عود، يطلق على المنبر، وعلى السرير للحي أو الميت. كان رجل من العرب يلقب «ذا الأعواد»؛ لأنه كان يحمل دائماً في سرير، والشعراء العظماء يستعملون الأعواد للموتى، وقلماً يستعملون النعش؛ تعظيماً للموت وتكريماً للميت. قال الشريف الرضي: رأيت مَنْ حملوا على الأعواد.. إلخ. والعفاة: جمع عافٍ، وهو كل طالب فضل أو رزق.
- (٥) الجنازة بكسر الجيم وفتحها، وقيل: بالكسر: هي الميت، وبالفتح هي النعش، وقيل بالعكس، وأرجح تعريف يتناسب مع مألوف عصرنا هو إطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له، والآلة الحدباء: كناية عن النعش، وشكله أحذب كما هو معروف.
- (٦) صرف الزمان: نوائبه وحدثاته.
- (٧) جمائل: جمع جميلة، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة، أو بمأثرته الجميلة، فحذف الموصوف، ثم جمع الصفة واستعملها. أقول: وهذه صنعة قصد بها التجميل الفني في الكلام بذكر الجمائل والجميل في البيت.

مصطفى باشا فهمي^١

هذا أوانٌ جلائلِ الأنبياءِ
واركبُ جناحِ البرقِ في الأرجاءِ^١
فاليومُ يومٌ مدامعِ ودماءِ
ولتُ، وغيرَ بقيةِ الكُبراءِ
فيما ألمَّ بها من الأرزاءِ
برجالها وكرائمِ الأشياءِ
ذهبوا، وتلك صُبابَةُ الندماءِ^٢
في نعمةِ الأملِكِ والأُمراءِ
إلا إليه شمائلُ الرؤساءِ
في الشَّيبِ غيرَ جلالِ ورواءِ^٣
في العزِّ حُسنٌ ليس في الخيلاءِ
نزهِ الخلائقِ طاهرِ الأهواءِ^٤
إن الكرامَ مشاغِلُ السفهاءِ
والحكمُ للتاريخِ في الآراءِ

يا أيها الناعي أبا الوُزراءِ
حُتَّ البريدِ مشارقًا ومغاربًا
واستبكِ هذا الناسَ دمعًا أو دمًا
لم تنعِ للأحياءِ غيرَ ذخيرةِ
رُزءِ البريةِ في الوزيرِ زيادةً
ذهبتْ على أثرِ المشيِّعِ دولةً
ندمانُ (إسماعيل) في آثاره
وُلِدوا على راحِ العُلا، وترعرعوا
أودى الردى بمُهذَّبٍ لا تنتهي
صافي الأديم، أغرَّ، أبلجٌ لم يزدُ
مُتجنَّبِ الخيلاءِ إلا عزةً
عَفُّ السرائرِ والمَلاحِظِ والخطا
مُتدرِّعِ صَبَرِ الكرامِ على الأذى
نقموا عليه رأيه وصنيعه

^١ مصطفى باشا فهمي: كان إلهامًا موفقًا لأمر الشعراء حين كناه بأبي الوزراء؛ فهو والد الزعيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول، وكان ياورًا للخديو إسماعيل، ووزيرًا في عهد توفيق، فرئيسًا للوزراء، ثم استقال، ثم عاد للرئاسة ولم يتركها إلا لمرضه قبيل الحرب، وقد توفي أول سنة ١٩١٤م.

مثل العقيدة فوق كلِّ مرأٍ °
 كشفَ الزمانَ مواقفَ النظراءِ
 أُنْدَى لِقَبْرِكَ من زُلَالِ المَاءِ
 أمْ لم يكنِ إِلا قَلِيلَ بَقَاءِ؟
 مرَّتْ بك السبعونَ مرَّ عِشاءٍ؟^٦
 عادي السنين، وعاثَ عادي الداءِ؟
 حتى يَغْيِبَهُ بغيرِ دَوَاءِ
 من عِفَّةٍ، وتكْرُمٍ، وحياءِ^٧
 وطوى محاسنَ مَسْمَحِ معطاءِ^٨
 نَلَلْتَهُ، ونهضتَ بالأعباءِ
 من نَخْوَةٍ وَحَمِيَّةٍ وإِبَاءِ^٩
 وَيُسَىءُ لِلأَمْوَاتِ والأَحْيَاءِ
 أودتَ بهذي الطعنةِ النَّجلاءِ^{١٠}
 لَبَكَّتْ عليك بِمَدْمَعِ الخنساءِ^{١١}
 إِلا غبارَ كَتِيبَةٍ ولِوَاءِ؟
 بعدَ الفوارسِ من بني حِوَاءِ
 في مُلْكِهِ من صَوْلَةٍ وثرَاءِ
 أو حافِظٍ لِعَهْوِهِ مِيفاءِ^{١٢}
 حَرَمَ المِسيحِ ولا جِمْى العذراءِ^{١٣}
 إِثمَّ عواقبها على العلماءِ
 والحاملاتِ التُّكَلِّ واليَتِمَاءِ^{١٤}
 لهمْ، وهُلْكُ تحتَ كلِّ سماءِ
 كرمٌ يليقُ بهم ومَحْضُ سخاءِ^{١٥}
 لم يَتَّخِذِ عِرْسًا سِوى الهَيْجاءِ^{١٦}
 حُبِّ الدِّيارِ وبِغْضَةِ الأعداءِ
 أنَ الدماءِ مُهورَةُ العُلَياءِ
 ورزقتَ في أَصهارِ الكَرَماءِ

والرأيُ إِنِ أَخْلَصَتْ فيه سريرةٌ
 وإذا الرجالُ على الأمورِ تعاقبوا
 يا أَيُّها الشيخُ الكريمُ، تحيةٌ
 هذا المصيرُ، أَكانَ طولَ سلامةٍ
 ماذا انتِفَاعُك بالليالي بعد ما
 أو بالحياةِ، وقد مشى في صَفْوها
 مَنْ لم يُطَبِّبْهُ الشَّبَابُ فداؤُهُ
 قسَماتُ وجهك في الترابِ نِخائِرُ
 ولكم أَغارَ على مُحَيَّا ماجِدِ
 كم موقِفٍ صعبٍ على مَنْ قامه
 كَبُرُ الغُضنْفِرِ يومَ ذلك زادَه
 مَنْ يَكْذِبُ التاريخَ يَكْذِبُ رَبَّهُ
 السلم لو لم تُودِ أَمْسِ بِجَرِحِها
 لو أَخْرَتِ في العيشِ بعدَكَ ساعةٌ
 انفض غبارك عنك، وانظر، هل ترى
 يا ويحَ وجهِ الأَرْضِ: أَصبحَ مَاتَمًا
 مِنْ نائِدٍ عن حَوْضِهِ، أو زائِدِ
 أو مانعِ جازًا يُناضِلُ دونَه
 يتقاذفون بذاتِ هولٍ، لم تَهَبُ
 من مُحَدَّثاتِ العِلْمِ، إِلا أَنها
 لهفي على رُكْنِ الشيوخِ مُهدِّمًا
 وعلى الشَّبَابِ بكلِّ أَرْضٍ مَصْرَعُ
 خرجوا إلى الأوطانِ من أرواحهم
 من كلِّ بانٍ بالمِنيَّةِ في الصِّبا
 المُرضعاتُ سَكَبْنَ في وِجدانِه
 وقررنَ في أَذُنِيهِ يومَ فِطامِه
 أبا البناتِ، رَزَقْتَهُنَّ كرائِمًا

لا تذهبنَّ على الذكورِ بحسرةٍ
وأرى بُناةَ المجدِ يثلمُ مجدهم
إن البناتِ نخائرُ من رَحمةٍ
والساهراتُ لعلَّةٌ أو كَبْرَةٍ
والباكياتُك حينَ ينقطعُ البكا
والذاكراتُك ما حَيَّينَ تحدُّنا
بالأمسِ عزَّاهنَّ فيكِ عقائلُ
وأبيك ما الدنيا سوى معروفها
أجَزَعَنَ أن يجري عليهنَّ الذي
عذراً لهن إذا ذُهبنَ مع الأسي
ما كلُّ ذي وليٍّ يُسمَّى والداً
هَبُّهنَّ في عقل الرجالِ وحلمهم

الدُّكْرُ نعمَ سُلالةِ العُظماءِ
ما خَلَّفوا من طالِحٍ وُغْثاءِ^{١٧}
وكنوزُ حبِّ صادقٍ ووفاءٍ
والصابراتُ لشِدَّةٍ وِبلاءِ
والزائراتُك في العَرَءِ النَّائي^{١٨}
بسَوالفِ الحُرَماتِ والآلاءِ
واليومِ جامَلهنَّ فيكِ رِثائِي
والبِرِّ، كلُّ صَنيعَةٍ بجزاءِ
من قبلهنَّ جرى على «الزهراءِ»؟^{١٩}
وطلبن عندَ الدمعِ بَعْضَ عَزاءِ
كم من أبٍ كالصخرةِ الصَّماءِ
أقلوبهنَّ سوى قلوبِ نساءِ؟

هوامش

- (١) البريد: كلمة فارسية، معناها القطع، كانوا يقطعون أذنان وأعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم؛ علامة لها حتى لا يعوقها أحد في الطريق، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان في زمن معاوية، وكانوا يُسمُّون الخيل المستعملة في ذلك خيل البريد، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف، والمقصود بقوله: «حث البريد» «واركب جناح البرق»: هو الأمر للناعي بإذاعة النعي في الدنيا بأسرع وسائل الإذاعة، والغرض من ذلك هو إظهار ما للنعي من قيمة وخطر وعلو شأن.
- (٢) الندمان — بفتح النون الأولى — جمع نديم، وهو الظريف الكيس، أو المُجالِس على الشراب. وإسماعيل: هو سمو الخديو إسماعيل.
- (٣) الرواء في المرء: هو مظهر السيادة والعظمة.
- (٤) الملاحظ: جمع ملحظ: اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ. يقول: إنه عفيف القلب، وعفيف الأعين فلا يقع لحظه على الريب.
- (٥) المرءاء: الجدل.
- (٦) يقصد سبعين عاماً، ولكنه في استعمال لفظ السبعين يجري مجرى العرب الفصحاء في استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه، وفي هذا الباب

جاء القرآن الكريم (إن تستغفر لهم سبعين مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار، ولكن يراد الدلالة على كثرتة.

(٧) القسمات: ملامح وتقاسيم الوجه.

(٨) مسمح — بفتح —: واسع الساحة. وفي القاموس المحيط: «يقال إن فيه لسمحًا كمسكن. أي متسعًا»، والمعطاء: كثير العطاء.

(٩) الغضنفر: اسم من أسماء الأسد.

(١٠) يشير إلى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية، كأنه يقول: إن اتفاق موت المرثي مع نشوب الحرب لم يكن إلا لأن المتوفى كان سلمًا لقومه يشبه السلم العام للناس، فهو والسلم توأمان.

(١١) يقول في هذا البيت: إن السلم لو عاشت بعد الفقيده ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء، وهي شاعرة عاشت في صدر الإسلام اشتهرت بمراثيها في أخيها صخر، وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله.

(١٢) ميفاء: كثير الوفاء.

(١٣) بذات هول: أي مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول، وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف.

(١٤) الثكل: فقد الأبناء، واليتماء: من اليتيم، وهو في الناس فقد الأب، ويكون في غير الناس فقد الأم.

(١٥) المحض: الخالص من كل شيء.

(١٦) يقال: بنى على فلانة، إذا اتخذها زوجة، والعرس بكسر العين: الزوجة، يصف هذا الشباب السخي بروحه للأوطان بأنه يألف الحروب، ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة.

(١٧) الغثاء، بضم الغين: الفاسد.

(١٨) العراء النائى: الخلاء البعيد؛ ويعني به هنا القبور.

(١٩) الزهراء: فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، والذي جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق ﷺ.

أبو هيف بك^١

اجْعَلْ رِثَاءَكَ لِلرِّجَالِ جَزَاءَ
إِنِ الدِّيارَ تُرِيقُ ماءً شَتُونِها
تُكَلُّ الرِّجالُ مِنَ البَنينِ، وإِنما
يَجْزَعَنَّ لِلعَلَمِ الكَبيرِ إِذا هَوَى
عَلَمُ الشَّرِيعَةِ أَدرَكَتُهُ شَرِيعَةٌ
عاني قِضاءَ الأَرْضِ عِلْمَ مُحْصِلِ
ومضى وفيه مِنَ الشَّبَابِ بَقِيَّةٌ
إِنَّ الشَّبَابَ يُحِبُّ جَمًّا حافِلاً
بالأَمْسِ كانت لابنِ هَيْفٍ غَضَبَةٌ
مَشَتْ البِلادُ إِلى رِسالَةِ (مَلنَرِ)
فلمَحَتْ أُعْرَجَ في زَوايا الحَقِّ لَم
ارتَدَّتِ العاهاتُ عَن أَخلاقِهِ
عَطَفَتْهُ عَطْفَ القَوسِ يَومَ رِمايَةِ
لَمَّا رَأى (التَقْرِيرَ) يَنفِثُ سَمَّهُ

وابْعَثُهُ لِلوَطَنِ الحَزينِ عِزًّا
كَالأَمْهاتِ وَتَنَدُّبُ الأَبْناءِ^١
تَكَلُّ المَمالِكِ فَقَدُّها العِلماءُ
جَزَعُ الكِتابِ قَدِ فَقَدَنَّ لِواءَ^٢
لِلْموتِ يَنْظُمُ حَكْمُها الأَحْياءُ^٣
والِيوْمِ عالِجُ لِلسَماءِ قِضاءَ
لِلنَّفْعِ أُرْجى ما تَكُونُ بقاءَ
وَتُحَبُّ أَيامُ الشَّبابِ مِلاءً^٤
لِلحَقِّ نَذَرُها يَدًا بَياضاً^٥
وَتَحَفَّرَتْ أَرْضاً لَها وَسِماءُ^٦
أَعْلَمُ عَلِيبِهِ نِمْمَةٌ عِزْجاءُ^٧
لِسُمُوهُنَّ وَحَلَّتِ الأَعْضاءُ
وَتَنَّتَهُ كِالماضِ، فِزادَ مِضاءِ^٨
سَبَقَ الحِواءَ فَأَخْرَجَ الرُّقْطاءَ^٩

^١ هو فقيه العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف، شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية، وقد وقف في معارضة مشروع ملنر موقفاً قانونياً لامعاً؛ فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار في قضية البلاد، وقد توفي سنة ١٩٢٦.

يَتَلَمَّسُونَ لَهَا السُّتُورَ رِيَاءَ
 راحوا إليك فحَسَّنوه مَسَاءَ
 لِلْمُدْلِجِينَ مَنَارَةَ زَهْرَاءَ^{١١}
 إِلَّا ظِمَاءً يَنْزَلُونَ رِوَاءَ^{١١}
 وَتُسَامِرُ الْحِكْمَاءَ وَالشُّعْرَاءَ
 بِالْجَاهِلِينَ تَرُدُّهُمْ عُقَلَاءَ
 مَجْمُوعَةً، وَأَتَمَّهَا أَجْزَاءَ
 مِنْ كُلِّ أَعْلَاقِ الْكُنُوزِ خَلَاءَ^{١٢}
 فَوَجَدْتُ فِيَّ وَفِي الشَّبَابِ وَفَاءَ
 يَكْسُو عِظَامَكَ فِي اللَّيْلِ السَّرَاءَ؟^{١٣}
 مَلْمُومَةً، وَتَرَّ الصَّفُوفَ سَوَاءَ
 دُونَ (الْقَضِيَّةِ) عُرْضَةً وَفِدَاءَ
 وَتَأَلَّفَ الْأَحْزَابَ وَالزُّعَمَاءَ
 خَلَفَ الْوِدَادُ الْحَقْدَ وَالْبَغْضَاءَ
 مَنْ خَالَفَ الْأَعْمَامَ وَالْآبَاءَ
 يَجِدُونَ إِلَّا الصَّفْحَ وَالْإِغْضَاءَ
 حَتَّى تَرَاهُمْ بَيْنَهُمْ رُحَمَاءَ
 خُلْفٌ يُعِيدُ وَيُبِيدُ الشُّحْنَاءَ
 إِنَّ الْعُقُولَ سَتَقْهَرُ الْأَهْوَاءَ
 اللَّهُ هَيَّأَهَا لَنَا مَا شَاءَ^{١٤}
 شَتَّى، وَقَوَّى حَوْلَهُ الضُّعْفَاءَ
 وَاسْتَقْبَلَتْ رِيحَ الْأُمُورِ رُخَاءَ
 نَطَأَ الْعَوَاصِفَ فِيهِ وَالْأَنْوَاءَ
 تُلْقِي الرِّجَاءَ عَلَيْهِ وَالْأَعْبَاءَ
 وَاجْعَلْ مَلَكَ شِرَاعِهَا الْأَكْفَاءَ^{١٥}
 يَزِنُ الرِّجَالَ إِذَا اخْتِيَارَكَ سَاءَ؟
 يُبْقِي عَلَى اسْمِكَ فِي الْعُصُورِ ثَنَاءَ

هَتَكَ الْحَمِيَّةَ وَالرِّجَالَ وَرَاءَهَا
 مَا قَبَّحُوا بِالصَّبْحِ مِنْ أَشْبَاحِهَا
 يَا قِيَمَ الدَّارِ الَّتِي قَدْ أُخْرِجَتْ
 وَتَرَى لَدَيْهَا الْوَارِدِينَ، فَلَا تَرَى
 وَتُجَالِسُ الْعِلْمَاءَ فِي حُجْرَاتِهَا
 تَكْفِيكَ شَيْطَانَ الْفِرَاقِ، وَتَعْتَنِي
 دَارُ الذِّخَائِرِ كُنْتُ أَكْمَلَ كُتُبِهَا
 لَمَّا خَلْتُ مِنْ كَنْزِ عِلْمِكَ أَصْبَحْتُ
 هَزَّ الشَّبَابِ إِلَى رِثَائِكَ خَاطِرِي
 (عَبْدُ الْحَمِيدِ)، أَلَا أُسْرُكُ حَادِتًا
 قُمْ مِنْ صَفُوفِ الْحَقِّ تَلْقُ كُتَيْبَةً
 وَتَرَّ الْكِنَانَةَ شَيْبَهَا وَشَبَابَهَا
 جَمَعَ السَّلَامُ الصُّحُفَ مِنْ غَارَاتِهَا
 فِي كُلِّ وَجْدَانٍ وَكُلِّ سَرِيرَةٍ
 وَغَدَا إِلَى دِينِ الْعَشِيرَةِ يَنْتَهِي
 لَا يَحْجِبُونَ عَلَى تَجْنِيهِمْ، وَلَا
 وَالْأَهْلُ لَا أَهْلًا بِحَبْلِ وَلَا تَهُمُ
 كَذِبِ الْمُرِيبِ يَقُولُ: بَعْدَ غَدٍ لَنَا
 قَلْبِي يُحَدِّثُنِي وَليْسَ بِخَائِنِي
 يَا (سَعْدُ)، قَدْ جَزَتْ الْأُمُورُ لَغَايَةَ
 سُبْحَانَهُ جَمَعَ الْقُلُوبَ مِنَ الْهُوَى
 الْفُلْكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسِّرُ أَمْرَهَا
 وَتَاهَبَّتْ بِكَ تَسْتَعِدُّ لَزَاخِرِ
 رَجَعَتْ بِرَاكِبِهَا إِلَى رَبَّانِهَا
 فَاشْدُدْ بِأَرْبَابِ النَّهْيِ سُكَّانَهَا
 مَنْ نَا الَّذِي يَخْتَارُ أَهْلَ الْفَضْلِ أَوْ
 أَخْرَجَ لِأَبْنَاءِ الْحَضَارَةِ مَجْلِسًا

هوامش

- (١) ماء الشئون: الدموع.
- (٢) الكتاب: جمع كتيبة، وهي الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء؛ أي رئيس تلتف وحدتها حوله.
- (٣) الشريعة: القانون.
- (٤) الملاء: الأغنياء الممولون، الواحد منهم مليء، ومن معاني الملاء أيضًا: الحسنو القضاء. يقول: إن الشباب يحب كثيرًا على أي حال، ولكن أيام الشباب يحبين أكثر وهن في غنى، من المال الكثير، ومن تولي المناصب، كالحال في شباب الفقيد.
- (٥) يريد غضبته على مشروع ملنر، وموقفه في طليعة معارضيه.
- (٦) اللورد ملنر: هو أحد وزراء إنجلترا، ورسالته التي مشت البلاد إليها وتحفّزت لها: هي تقريره المشهور، بُعث من لندن مع أربعة من رجالات مصر الساسة، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع، لولا الفقيد ومعه نفر قليل جدًا قاموا بحملتهم ضدّه، وفي هذه الحملة نشر الفقيد بحثًا قانونية في تنفيذ المشروع، كانت من أهم مراجع رجال السياسة في رفضه بعد.
- (٧) كانت ساق الفقيد مبتورة، وكان يمشي على ساق صناعية.
- (٨) في هذا البيت وصف لهيئة الأعرج، بلغ من جماله أنه قد يحبب المشية العرجاء للناس، فتأمل. والماضي: السيف.
- (٩) قوله: «سبق الحواة فأخرج الرقطاء» لا يمكن أن يكون هناك أبلغ في الإعجاز وأدق في الإيجاز من هذا الكلام، فقوله: «سبق الحواة» صورة كاملة، تريك كيف وثب الفقيد فوقف أمام المشروع، كما يثب الحاوي، فيقف أمام جحر الحية. وقوله: «فأخرج الرقطاء» أعظم ما يمكن في تصوير ذلك المشروع؛ فقد نبّه على السّم الكامن فيه، بالرغم من جماله الظاهري ونعمته الشبيهة بنعومة الحية.
- (١٠) الدار: هي دار الكتب المصرية، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها.
- (١١) الرواء: الماء الكثير.
- (١٢) أعلق الكنوز: نفائسها.
- (١٣) الحادث: هو حادث ائتلاف الأحزاب المصرية في وقت نظم هذه القصة التي تعدّ من مفاخر المراثي في الشعر العربي.
- (١٤) سعد: هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول، وكان رئيس البرلمان في عهد ذلك الائتلاف.

الشوقيات

(١٥) السكان: مؤخر السفينة. وملاك الشيء: قوامه الذي يُمَلِّكُ به.

مولانا محمد علي^١

بَيْتٌ عَلَى أَرْضِ الْهَدْيِ وَسَمَائِهِ
الْفَتْحُ مِنْ أَعْلَامِهِ، وَالطُّهْرُ مِنْ
تَحْنُو مَنَاكِبِهِ عَلَى شَعْبِ الْهَدْيِ
مَنْ ذَا يُنَازِعُنَا مَقَالِدَ بَابِهِ
وَمُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَى جَنَابَاتِهِ
وَالْيَوْمَ ضَمَّ النَّاسُ مَاتَمَّ أَرْضِهِ
يَا (قَدُسُ)، هَبِّيْ مِنْ رِيَاضِكَ رَبْوَةً
هُوَ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
فَتَحَّ النَّبِيُّ لَهُ مُنَاحَ بُرَاقِهِ
بَطَلٌ حَقُوقُ الشَّرْقِ مِنْ أَحْمَالِهِ
لَمْ تُنْسِهِ الْهِنْدُ الْعَزِيْزَةَ رَقَّةً
وَقَبَاؤُهُ نَسْجُ الْهِنُودِ، فَهَلْ تُرَى
(النَّبِيلُ) يَذْكَرُ فِي الْحَوَادِثِ صَوْتَهُ
قَلَّ لِلزَّعِيمِ مُحَمَّدٍ: نَزَلَ الْأَسَى

الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
أَوْصَافِهِ، وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
وَتُطِلُّ سُدَّتُهُ عَلَى سَيْنَائِهِ^١
وَجَلَالٌ سُدَّتُهُ، وَطُهِرَ فِنَائِهِ؟
وَاسْتَقْبَلَ السَّمَحَاتِ فِي أَرْجَائِهِ؟
وَحَوَى الْمَلَائِكَةَ مِهْرَجَانُ سَمَائِهِ
لَنْزِيلِ تُرْبِكَ، وَاحْتَفَلَ بِلِقَائِهِ^٢
أَوْ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ عِنْدَ قَضَائِهِ
وَمَعَارِجِ التَّشْرِيفِ مِنْ إِسْرَائِهِ
وَقَضِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْبَائِهِ
لِلشَّرْقِ، أَوْ سَهْرًا عَلَى أَشْيَائِهِ
دَفَنُوا الزَّعِيمَ مُكَفَّفًا بِقَبَائِهِ؟^٣
وَالتُّرْكُ لَا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلَائِهِ
بِالنَّبِيلِ) وَاسْتَوْلَى عَلَى بَطْحَائِهِ^٤

^١ هو كبير زعماء الهند المسلمين، توفي سنة ١٩٣١، وكان لا يألو جهدًا في خدمة الإسلام في شتى أقطاره، وقد أقيمت له في القاهرة حفلة تأبين كبيرة أُلقيت فيها هذه القصيدة.

فمشى إليك بجفنه وبدمه
اجتزته فحواك في أطرافه
ولقد تعود أن تمر بأرضه
نم في جوار الله ما بك غربة
الفتح — وهو قضية قدسية —
أفتى بدفك عند سيده القرى
بلد بنوه الأكرمون قصورهم
قد عشت تنصره وتمنح أهله
وإلى أخيك بقلبه وعزائه
ولو انتظرت حواك في أحشائه
مر الغمام بظله وبمائه
في ظل بيت أنت من أبنائه
يا طالما ناضلت دون لوائه
مفت أراد الله من إفتائه^٦
وقبورهم وقف على نزلائه^٧
عونا، فكيف تكون من غربائه؟

هوامش

- (١) السدة: باب الدار.
- (٢) يا قدر: لأنه دفن في القدس.
- (٣) القباء بفتح القاف — نوع من الثياب.
- (٤) محمد: هو المرثي.
- (٥) يريد بأخيه: مولانا شوكت علي، وقد آلت إليه زعامة المسلمين في الهند بعد أخيه.
- (٦) سيدة القرى: المقصودة هي القدس الشريف، ولا بد للدفن في هذا الحرم من تصريح ديني يصدره مفتي الإسلام هناك، ولا يُصرح بذلك إلا لمن ثبت نفعه للإسلام وللعرب.
- (٧) يقصد بالبلد: فلسطين وسوريا جميعاً، وكثيراً ما هتف أمير الشعراء بأهل هذه البلاد إعجاباً بأخلاقهم.

سيد درويش^١

فيه مَيْتًا برياحين الثناء^١
يُضِيءُ الأَرْضَ بنور الكَهْرُبَاءِ
شَهَوَاتِ أهْلِهِ والأَصْدِقَاءِ
يَخْلُ من زُورٍ لهم، أو من رِيَاءِ^٢
كَلَّمَا مرَّ به الدهرُ أضَاءَ
ضَجَّةَ المَحْيَا، وفي صَمْتِ الفَنَاءِ
(مَعْبُدُ) الأَلْحَانِ، (إِسْحَاقُ) الغِنَاءِ^٣
في سَمَوَاتِ اللِيَالِي قُدَمَاءِ
لم يَدُمُ غَرْسٌ، ولم يَخْلُدُ بِنَاءِ
عَبْقَرِيٍّ فيهِمَا سِرُّ البَقَاءِ
تَغْرَسُ الإِحْسَانَ، أو تَبْنِي العَلَاءِ
ليس في الأَرْضِ، ولكن في السَّمَاءِ^٤
ذاتِ ظِلٍّ ورياحينَ وماءِ
عَدَقَ النَّبْعَ إلى جيلِ ظِمَاءِ^٥

كَلَّ يَوْمَ مَهْرَجَانُ كَلَّلُوا
لم يَعْلَمُ قَوْمَهُ حَرْقًا، ولم
جُومِلَ الأَحْيَاءُ فيه وَقَضَى
ما أَضَلَّ النَّاسَ؟ حتى الموتُ لم
إِنَّمَا يُبْكَى شُعَاعُ نَابِغٍ
مَلَأَ الأَفْوَاهَ والأَسْمَاعَ في
حَائِطِ الفَنِّ، وبَانِي رُكْنِهِ
من أَناسِ كَالدَّرَارِي جُدِّ
غَرَسَ النَّاسُ قَدِيمًا، وَبَنَوْا
غَيْرَ غَرْسِ نَابِغٍ، أو حَجَرَ
من يَدِ مَوْهُوبَةٍ مُلْهَمَةٍ
بُلْبُلٍ إِسْكَندَرِيٍّ أَيُّكُهُ
هَبَطَ الشَّاطِئِيَّ من رَابِيَةِ
يَحْمِلُ الفَنِّ نَمِيرًا صَافِيًا

^١ الشيخ سيد درويش: كان يُعَدُّ رحمه الله في طليعة المجددين في الموسيقى العربية، وقد أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في حفلة أقيمت لذكراه في سنة ١٩٢١.

حلَّ في وادٍ على فُسْحَتِهِ
يَمَلَأُ الْأَسْحَارَ تَغْرِيدًا إِذَا
رُبَّمَا اسْتَلَمَهُمْ ظَلَمَاءُ الدُّجَى
ورمى أذنيه في ناحية
فتلقى فيهما ما راعه
أيها الدرويش، قُمْ بُتَّ الْجَوَى
اضرب العودَ تَفْهُ أوتاره
حَرَكَ النَّايَ، وَنُحْ فِي غَابِهِ
واسكُب العَبْرَةَ فِي أَمَاقِهِ
وَأَسْمُ بِالْأُرُوحِ، وادفعها إلى
لا تَرِقْ دَمْعًا عَلَى الْفَنِّ فَلَنْ
هو طَيْرُ اللَّهِ فِي رَبْوَتِهِ
رَوْحُ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ
تكتسي منه ومن آذاره
وَإِذَا مَا حُرِمَتْ رِقَّتَهُ
وَإِذَا مَا سَيِّمَتْ أَوْ سَقِمَتْ
وَإِذَا الْفَنُّ عَلَى الْمُلْكِ مَشَى
قد كسا الكرنكُ مصرًا ما كسا
يُرْسِلُ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ عَلَى
كَلَّمَا أَتَى رَسُولٌ وَمَضَى
سَيِّدَ الْفَنِّ، استرح من عالم
رَبَّمَا ضِفَّتَ فَلَمْ تَنْعَمَ بِهِ
لقد استخلفتُ فَنًّا نَابِعًا
إِنْ فِي مُلْكِ فَوَادٍ بُلْبِلًا
ناحلُ كَالْكُرَةِ الصَّغْرَى سَرَى
يستحي أن يهتَفَ الْفَنُّ بِهِ

عَزَّتْ الطَّيْرُ بِهِ إِلَّا الْحِدَاءُ
صِرْفَ الطَّيْرِ إِلَى الْأَيْكِ الْعِشَاءِ
وَأَتَى الْكُوكَبَ فَاسْتَوْحَى الضِّيَاءِ
يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلَسَ الْبَبْغَاءِ
من حَفِيِّ الْهَمْسِ، أَوْ جَهْرِ النَّدَاءِ
وَأَشْرَحَ الْحَبَّ، وَنَاجَ الشَّهْدَاءِ
بِالَّذِي تَهَوَّى، وَتَنْطِقُ مَا تَشَاءُ
وَتَنْفَسُ فِي الثَّقُوبِ الصُّعْدَاءِ^٦
من تَبَارِيحِ، وَشَجْوِ، وَعَزَاءِ
عَالَمِ اللَّطْفِ وَأَقْطَارِ الصُّفَاءِ^٧
يَعِدِمُ الْفَنُّ الرُّعَاةَ الْأَمْنَاءُ
يَبْعَثُ الْمَاءَ إِلَيْهِ وَالْغِذَاءِ
فهي مثلُ الدارِ، وَالْفَنُّ الْفِنَاءِ
نَفْحَةَ الطَّيْبِ وَإِشْرَاقَ الْبَهَاءِ^٨
فَشَتِ الْقَسْوَةَ فِيهَا وَالْجَفَاءِ
طَافَ كَالشَّمْسِ عَلَيْهَا وَالْهَوَاءِ
ظَهَرَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ وَالرُّوَاءِ
من سَنَى أَبْلَى اللَّيَالِي وَسَنَاءِ
فَتَرَاتٍ مِنْ ظُهُورٍ وَخَفَاءِ
جَاءَ مَنْ يُوفِّي الرِّسَالَةَ الْأَدَاءِ
أَخْرَجَ الْعَهْدَ بِنِعْمَةِ الْبَلَاءِ
وَسَرَى الْوَحْيُ فَنَسَاكَ الشَّقَاءِ
دَفَعَ الْفَنُّ إِلَيْهِ بِاللُّوَاءِ
لم يُتَحَ أَمْثَالُهُ لِلْخَلْفَاءِ^٩
صَوْتُهُ فِي كُرَةِ الْأَرْضِ الْفَضَاءِ
وجمالُ الْعَبَقْرِياتِ الْحَيَاءِ

هوامش

(١) المهرجان: الاحتفال، معرَّب.

(٢) الزور: الكذب.

(٣) معبد وإسحاق: رجلان من أشهر رجال الغناء والموسيقى.

(٤) كان رحمه الله من نشء الإسكندرية، والأيك: في الأصل هو الشجر الملتف الكثير.

يقول: إنه إذا كان لكل بلبل من أيك يتخذه عشاءً، فهذا البلبل الإسكندري أيكه ليس محله الأرض، ولكن السماء هي محلُّه اللائق به.

(٥) الغدق — بفتح الغين والذال: الكثير.

(٦) الصعداء — بضم الصاد وفتح العين —: تنفس ممدود.

(٧) عالم اللطف: هو عالم المعاني والأرواح، ولا تسمو إليه الأنفس إلا في أوقات

الصفاء والانشراح.

(٨) آذار: شهر من فصل الربيع، أعجمي.

(٩) يُرَادُ بالبلبل هنا: الموسيقىار النابغة الأستاذ محمد عبد الوهاب، وهو الذي حمل

لواء التجديد في الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش.

عمر المختار^١

رَكَّزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ لِوَاءِ
يَا وَيَحَهُم! نَصَبُوا مَنَارًا مِنْ دِمٍ
مَا ضُرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعِلَاقَةَ فِي غَدٍ
جُرْحٌ يَصِيحُ فِي الْمَدَى، وَضَحِيَّةٌ
يَا أَيُّهَا السَيْفُ الْمَجْرَدُ بِالْفَلَا
تلك الصحارى غمْدٌ كُلُّ مُهَنْدٍ
وَقَبورُ مَوْتَى مِنْ شَبَابِ أُمِّيَّةٍ
لو لَأَذَّ بِالْجِوَزَاءِ مِنْهُمْ مَعْقِلٌ
فَتَحُوا الشَّمَالَ: سُهولُهُ وَجِبَالُهُ
وَبَنَوْا حَضَارَتَهُمْ، فَطَاوَلَ رَكْنُهَا
خَيْرَتٌ فَاخْتَرَتِ الْمَبِيَّتَ عَلَى الطَّوَى
إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظُّمَاءِ
إِفْرِيْقِيَا مَهْدُ الْأَسْوَدِ وَلَحْدُهَا

يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ^١
تُوجِي إِلَى جَيْلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ^٢
بَيْنَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةً وَإِخَاءً؟
تَتَلَمَّسُ الْحَرِيَّةَ الْحَمْرَاءَ^٣
يَكْسُو السِّيُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءً
أَبْلَى فَأَحْسَنَ فِي الْعَدُوِّ بَلَاءً
وَكهولِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا أَحْيَاءَ
دَخَلُوا عَلَى أَبْرَاجِهَا الْجِوَزَاءِ^٤
وَتَوَعَّلُوا، فَاسْتَعْمَرُوا الْخِضْرَاءَ
(دَارَ السَّلَامِ)، وَ(جَلَّقَ) الشَّمَاءَ^٥
لَمْ تَبْنِ جَاهًا، أَوْ تَلَّمَ ثَرَاءَ^٦
لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبَ الْمَاءَ
ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرَاجِلًا وَنِسَاءَ

^١ شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحاني العظيم في كثير من أقطار الإسلام، ظلَّ يقاتل الطليان في سبيل الذود عن وطنه وقومه، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقًا سنة ١٩٣١، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا في إعدامه سبلاً بشعة متوحشة، ولم يرحموا سنَّه التي نَيْفَت على التسعين.

لا يملكون مع المصابِ عزاءً
 يبيكون زِيدَ الخيلِ والفُحاءِ^٧
 جسدٌ (ببرقة) وسِدِ الصحراءِ^٨
 تَبَلَى، ولم يُبِقِ الرِّمَاحُ دِماءَ
 باتا وراءَ السَّافِياتِ هَبَاءً^٩
 «تَنكِ»، ولم يَكُ يركبُ الأَجواءَ^{١٠}
 وأَذارَ من أعرافها الهيجاءَ
 لم تَخَشِ إِلَّا للسَّماءِ قِضاءَ
 سُقراطِ جَرَّ إلى القُضاةِ رِداءَ
 كالطفلٍ من خوفِ العِقابِ بُكاءَ
 فتغَيَّرَت، فتوقَّعِ الضَّرَاءَ
 في السَّجِنِ ضَرْغامًا بكى اسْتِخْذَاءَ
 أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةَ رَقْطاءَ
 ومَشَّتْ بهيكله السَّنونِ فناءَ
 لترجَلتْ هَضْبَاتُه إعياءَ^{١١}
 من رَفَقِ جُنْدٍ قَادَةً نُبلاءَ
 عَرَفَ الجُدودَ. وأدركَ الآباءَ
 يأسُو الجِراحَ، ويُطَلِقُ الأُسراءَ
 ويَصِفُ حَوْلَ جِوانِه الأعداءَ^{١٢}
 لِلَّيْثِ يَلْفِظُ حَوْلَهُ الحِوْباءَ^{١٣}
 مَنْ كان يُعْطِي الطَّعْنََةَ النَّجْلاءَ
 بِالْحَقِّ هَدْمًا تارَةً وِبناءَ
 إِلَّا أباةَ الضَّيِّمِ والضُّعْفاءَ
 فَأَصوَعُ في عَمَرَ الشَّهيدِ رِثاءَ
 أذُنَيْكَ حينَ تُخاطَبُ الإِصْغاءَ؟
 فانقُدِ رِجالَكَ، واخْتَرِ الرُّعْماءَ
 واحْمِلْ على فِتيانِكَ الأعباءَ

والمسلمون على اختلافِ ديارِهِم
 والجاهليَّةُ من وِراءِ قُبورِهِم
 في ذِمَّةِ اللهِ الكَريمِ وحفظه
 لم تُبِقِ مِنْهُ رَحَى الوَقائِعِ أَعْظَمًا
 كَرُفَاتِ نَسْرِ أَوْ بَقِيَّةِ ضَيِّغِ
 بطلُ البِداوَةِ لم يَكُن يَغزو على
 لَكِنْ أَخو حَيْلٍ حَمَى صَهواتِها
 لَبَّى قِضاءَ الأَرْضِ أَمَسِ بِمُهْجَةٍ
 وِافاهُ مَرْفوعِ الجَبينِ كَأَنه
 شَيْخٌ تَمالَكَ سِنَّهُ لم يَنفَجِرُ
 وأخو أُمورِ عاشَ في سَرَائِها
 الأَسَدُ تَزارُ في الحَديدِ ولن تَرى
 وأتَى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقَلِ حَديدِهِ
 عَضَّتْ بِساقِيهِ القَيودُ فلم يَنؤُ
 تَسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَنابِكَ شاهِقِ
 حَفِيَّتْ عَنِ القاضِي، وفاتِ نَصيبِها
 والسَّنُّ تَعِصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهَدَّبِ
 دَفَعوا إلى الجِلاذِ أَغْلَبَ ما جِداً
 ويُشاطِرُ الأَقْرانَ نُحَرَ سِلاحِهِ
 وتَخَيَّرُوا الحَبْلَ المَهينَ مَنِيَّةً
 حَرَموا المِماءَ على الصَّوارِمِ والقِنا
 إِنِى رَأَيْتُ يَدَ الحِضارَةِ أُولَعَتْ
 شَرَعَتْ حُقوقِ النَّاسِ في أوطانِهِم
 يَأْيُها الشَّعبُ القَريبُ، أَسامِعُ
 أَمْ أَلْجَمَتْ فَانِ الخُطوبِ وَحَرَمَتْ
 ذَهَبَ الزَّعيمِ وَأَنْتَ باقِ خالِدُ
 وَأَرِحْ شَيوْخَكَ مِنْ تَكاليفِ الوَعى

هوامش

- (١) ركز اللواء: غرزه في الأرض. وهذا استعمال لغوي مشتق من الركيزة، وهي قطع الفضة والذهب والمعادن، كان العرب في الجاهلية يحفرون لها في الأرض، ويسمونها الدفائن، فقوله: «ركزوا رفاتك» استعمال أُريدَ به الإشارة إلى أن هذا الرفات من النفائس والذخائر، التي يَضُنُّ بها ويحرص عليها.
- (٢) المنار: موضع النور، وجعلها مناراً من دم: هو لون من التشبيه العجيب، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والالتناس محلاً للتفكير والإزعاج.
- (٣) الحرية الحمراء: هي المكتسية بالدم، إشارة إلى قولهم: الحرية شجرة لا تنبت إلا بالدماء..
- (٤) الجوزاء: نجم معروف في السماء.
- (٥) دار السلام: بغداد. وخلق: دمشق.
- (٦) اللُّم: الجمع.
- (٧) الفلحاء: لقب عنزة العبسي، أمَّا زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم.
- (٨) برقة: هي المنطقة الشرقية من ليبيا، فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١م، وسُمِّيت باسم عاصمتها القديمة، وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التي حدثت بين العرب والплиان.
- (٩) السافيات: الرياح.
- (١٠) تنك: هي الدبابة المستعملة في الحروب.
- (١١) الشاهق: الجبل. والتسعون: هي التسعون عاماً التي يحدد بها عمر المرثي حين قبضوا عليه ليعدموه.
- (١٢) الخوان: مائدة الطعام.
- (١٣) الحوباء: النفس.

عبد الحليم العلايلي بك^١

لقد لبى زعيمكم النداء
وإن كان المعزى والمعزى
فجعنا كلنا بعلايلي
أرق شباب دمياط عليها
وخير بيوتها كرمًا وتقوى
فتى كالرمح عاليةً وعودًا
وأعطى المال والهمم العوالي
شباب ضارع الریحان طيبًا
وجندي القضية منذ قامت
وروع شيخها العالي بيوم
سعى لضميره، ولو جه مصر
ونعش كالغمام يرف ظلًا
ولم تقع العيون عليه إلا

عزاء أهل دمياط عزاء
وكل الناس في البلوى سواء
كركن النجم أو أسنى علاء
وأنشطهم لحاجتها قضاء
وأصلًا في السيادة وانتهاء
وكالصمصام إفرندًا وماء^١
ولم يعط الكرامة والإباء
ونازعه البشاشة والبهاء
تعلم تحت رايتها اللقاء
فكان بمنكبيه له وقاء^٢
ولم يتول ينتظر الجزاء
إذا ذهب الزحام به وجاء
أثار الحزن أو بعث البكاء

^١ عبد الحليم العلايلي: كان عالية دمياط، توفي سنة ١٩٣٢، بعد أن ترك له في القضية المصرية مواقف مذكورة. اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة؛ فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات، وانتخب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين؛ فكان في رجالات ذلك الحزب ممن يشار إليهم، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصدیق.

عَجِبْنَا كَيْفَ لَمْ يَخْضِرْ عُوْدًا
 مَشَتْ بِمِيَاطُ فَالْتَفَتْ عَلَيْهِ
 بَنِي بِمِيَاطُ، مَا شَيْءٌ بِبَاقٍ
 تَعَالَى اللَّهُ، لَا يَبْقَى سِوَاهُ
 وَأَنْتُمْ أَهْلُ إِيمَانٍ وَتَقْوَى
 مَلَأْتُمْ مِنْ بِيوتِ اللَّهِ أَرْضًا
 وَلَا تَسْتَقْبَلُونَ الْفَجْرَ إِلَّا
 وَتَرْتَقِبُونَ مَطْلَعَهُ صِغَارًا
 وَكَمْ مِنْ مَوْفٍ مَاضٍ وَقَفْتُمْ
 دَفَعْتُمْ غَارَةَ شِعْوَاءَ عَنْهُ
 أُخِي (عَبْدَ الْحَلِيمِ) وَلَسْتُ أُدْرِي
 وَكَمْ صَحَّ الْوِدَادُ فَكَانَ صِبْهًا
 عَجِيبٌ تَرَكُّكَ الدُّنْيَا سَقِيمًا
 وَكُنَّا حِينَ يُعْضِلُ كُلُّ دَاءٍ
 مَضَتْ بِكَ آلَةُ حَدْبَاءُ كَانَتْ
 وَسَارَتْ خَلْفَكَ الْأَحْزَابُ صَفًّا
 تَوَلَّفُ بَيْنَهُمْ مَيْتًا، وَتَبْنِي
 وَقَدْ حَمَلَ الْمَرْوَةَ وَالرُّفَاءَ
 تَنَازَعُهُ الْخَيْرَةَ وَالرَّجَاءَ
 سِوَى الْفَرْدِ الَّذِي احْتَكَرَ الْبِقَاءَ
 إِذَا وَرَدَتْ بِرَيْتَهُ الْفَنَاءَ
 فَهَلْ تَلْقَوْنَ بِالْعَتَبِ الْقَضَاءَ؟
 وَمَنْ دَاعِيَ الْبُكُورِ لَهَا سَمَاءَ
 عَلَى قَدَمِ الصَّلَاةِ إِذَا أَضَاءَ
 وَتَسْتَبِقُونَ غُرَّتَهُ نِسَاءَ
 فَكُنْتُمْ فِيهِ لِلْوَطَنِ الْفِدَاءَ
 وَذُدْتُمْ عَنْ حَوَاضِرِهِ الْبَلَاءَ
 أَدْعُو الصُّهْرَ أَمْ أَدْعُو الْإِخَاءَ؟
 وَكَانَ كَأَقْرَبِ الْقُرْبَى صَفَاءَ
 وَكُنْتَ النَّحْلَ تَمَلُّوْهَا شِفَاءً^٢
 نَجِيءٌ إِلَيْكَ نَجْعُكَ الدَّوَاءَ
 عَلَى الزَّمَنِ الْمَطِيئَةِ وَالْوِطَاءَ
 وَسَرْتِ، فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ اللَّوَاءَ
 كَعَهْدِكَ فِي الْحَيَاةِ لَهُمْ وَلَا

هوامش

- (١) عالية الرمح: نصفه الأعلى الذي يلي السنان. والضمصام: السيف. وإفرنده وماؤه: كلاهما تمييز لجوهره.
- (٢) يقصد «بشيخها العالي»: المغفور له سعد باشا زغلول.
- (٣) يريد تشبيهه المساعي الكثيرة النبيلة التي كان يقوم بها المرئي بعسل النحل.
- (٤) الآلة الحدباء: النعش.

حافظ إبراهيم^١

يا مُنْصَفَ المَوْتَى من الأحياءِ
قَدْرُ، وكلُّ مَنِيَّةٍ بقضاءِ
بالحقِّ تحفلُ عندَ كلِّ نداءِ
طُولِ الحنينِ لساكنِ الصحراءِ^١
في زُمْرَةِ الأبرارِ والحُنْفَاءِ^٢
ومراشدُ التفسيرِ والإفتاءِ
طِيبِ التّداني بعدَ طُولِ تنائيِ
فالسّمْحَةُ الأخرى ديارُ لِقَاءِ^٣
والكاذِبونَ المُرْجِفونَ فدائيِ
المُوغِرُو المَوْتَى على الأحياءِ
بكرائمِ الأنقاِضِ والأشلاءِ
مَنْ ذا يُحطِّمُ رُفْرَفَ الجوزاءِ؟^٤
في الشرقِ، واسْمُكَ أرفعُ الأسماءِ
غراءُ تُحَفِّظُ كاليدِ البيضاءِ^٥

قد كنتُ أوثرُ أن تقولَ رِثائيِ
لكنَّ سَبَقْتَ، وكلُّ طُولِ سلامَةٍ
الحقُّ نادى فاستجَبْتَ، ولم تزلْ
وأتيَتْ صحراءَ الإمامِ تذوبُ من
فلقيتَ في الدارِ الإمامَ محمداً
أثُرُ النعيمِ على كريمِ جبينه
فشكوتما الشُّوقَ القديمَ، ودُقَّتْما
إن كانتِ الأولى منازلَ فُرْقَةٍ
ووددتُ لو أنني فداك من الردىِ
الناطقونَ عن الضَّغينةِ والهوىِ
من كلِّ هَدَامٍ وَيَبْنِي مجده
ما حَطَّموكَ، وإنما بك حُطِّموا
أنظره، فأنت كأمسِ شأنك باذخُ
بالأمسِ قد حَلَّيتَنِي بقصيدةِ

^١ هو المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك، شاعر سباق معدود في الطليعة، وكان يلقب بشاعر النيل، توفي سنة ١٩٣٢، فرثاه أمير الشعراء شوقي بك بهذه القصيدة، التي ينبى مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له.

وكما علمت مَوَدَّتِي ووفائي
لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ لَوَائِي
وَوَلِيَّتُهُ فِي السَّلْمِ وَالنَّهْجَاءِ
نُبْعُ الْبَيَانِ وَرَاءَ نُبْعِ الْمَاءِ
قَلَمًا كَصَدْرِ الصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ^٦
يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ^٧
وَيُشَيِّعُ الْمُوتَى بِحَسَنِ تَنَاءِ
وَخَمِيلَةَ الْحِكْمَاءِ وَالشَّعْرَاءِ^٨
وَتَرَعْرَعَتْ بِسَمَايِكَ الزَّهْرَاءِ
فَجَمَعَتْهَا كَالرَّبْوَةِ الْغَنَاءِ
لِلوَافِدِينَ وَدُرَّةَ الدَّمَاءِ
وَبَنُوَ قَصُورِكَ فِي سَنَا الْحَمْرَاءِ^٩
كَسَبِيلِ عَيْسَى فِي فَجَاجِ الْمَاءِ^{١٠}
وَتَجَمَّلِي بِشَبَابِكَ النَّجْبَاءِ
حَجَرُ الْبِنَاءِ، وَعُدَّةُ الْإِنْشَاءِ
لِلْمَلِكِ فِي بَغْدَادَ وَالْفَيْحَاءِ
بَيْنَ الْمَمَالِكِ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ^{١١}
وَذَخَرْتِ مِنْ حَزْنٍ لَهُ وَبُكَاءِ؟
إِنَّ الْبَلَاءَ مَصَارِعُ الْعِظْمَاءِ
بِالدَّمْعِ غَيْرَ بِخَيْلَةِ الْخُطْبَاءِ
جَمُّ الْمَائِثِرِ، طَيِّبِ الْأَنْبَاءِ
وَحَدَا بِهِ الْبَادُونَ فِي الْبَيْدَاءِ^{١٢}
حَلْبٍ إِلَى الْفَيْحَا إِلَى صَنْعَاءِ
بَانِي الصَّفُوفِ، مُؤَلِّفِ الْأَجْزَاءِ
وَإِمَامَ مَنْ نَجَلْتِ مِنَ الْبُلْغَاءِ^{١٣}
حَتَّى حَمَيْتِ أَمَانَةَ الْقُدْمَاءِ
وَأَتَيْتِ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ (الطَّائِي)^{١٤}

غَيْظَ الْحَسُودِ لَهَا وَقَمْتُ بِشُكْرَهَا
فِي مَحْفَلٍ بَشَّرْتُ أَمَالِي بِهِ
يَا مَانِحَ السُّودَانِ شَرُخِ شَبَابِهِ
لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى خَمَائِلِهِ ثَوَى
قَلْدَتُهُ السَّيْفُ الْحُسَامِ، وَزِدَّتُهُ
قَلْمُ جَرَى الْحِقَبِ الطَّوَالِ فَمَا جَرَى
يَكْسُو بِمَذْحِجَتِهِ الْكِرَامَ جَلَالَةً
إِسْكَندَرِيَّةً يَا عَرُوسَ الْمَاءِ
نَشَأَتْ بِشَاطِئِكَ الْفَنُونَ جَمِيلَةً
جَاءَتْكَ كَالطَّيْرِ الْكَرِيمِ غَرَائِبًا
قَدْ جَمَلُوكَ، فَصِرْتَ زَيْنَبَةَ الثَّرَى
غَرَسُوا رَبَاكَ عَلَى خَمَائِلِ بَابِلِ
وَاسْتَحْدَثُوا طَرْقًا مُنَوَّرَةَ الْهُدَى
فَخَذِي كَأَمْسٍ مِنَ الثَّقَافَةِ زِينَةً
وَتَقَلِّدِي لُغَةَ الْكِتَابِ؛ فَإِنَّهَا
بَنَتْ الْحَضَارَةَ مَرَّتَيْنِ، وَمَهَّدَتْ
وَسَمَّتْ بِقَرطِيَّةٍ وَمِصْرَ، فَحَلَّتَا
مَاذَا حَشَدَتْ مِنَ الدَّمُوعِ «لِحَافِظٍ»
وَوَجِدْتِ مِنْ وَقَعِ الْبَلَاءِ بِفَقْدِهِ
اللَّهُ يَشْهَدُ قَدْ وَفَيْتِ سَخِيَّةً
وَأَخَذْتِ قِسْطًا مِنْ مَنَاحَةِ مَاجِدِ
هَتَفَ الرُّوَاهُ الْحَاضِرُونَ بِشَعْرِهِ
لِبْنَانُ يَبْكِيهِ، وَتَبْكِي الضَّادُ مِنْ
عَرَبِ الْوَفَاءِ وَفَوْا بِذِمَّةِ شَاعِرِ
يَا حَافِظَ الْفِصْحَى، وَحَارَسَ مَجْدِهَا
مَا زَلْتِ تَهْتَفُ بِالْقَدِيمِ وَفَضْلِهِ
جَدَّدْتَ أُسْلُوبَ (الْوَلِيدِ) وَلَفْظَهُ

وجريت في طلب الجديد إلى المدى
 ماذا وراء الموت من سلوى، ومن
 اشرح حقائق ما رأيت، ولم تزل
 رتبت الشجاعة في الرجال جلائل
 كم ضقت ذرعاً بالحياة وكيدها
 فهل فارق يأس نفسك ساعة
 وأشر إلى الدنيا بوجه ضاحك
 يا طالما ملاً الندي بشاشة
 اليوم هادنت الحوادث؛ فاطرخ
 خلفت في الدنيا بياناً خالداً
 وغداً سيذكر الزمان، ولم يزل

حتى اقتربت بصاحب البؤساء^{١٥}
 دعة، ومن كرم، ومن إغضاء؟
 أهلاً لشرح حقائق الأشياء
 وأجلهن شجاعة الآراء
 وهتفت بالشكوى من الضراء
 واطلعت على الوادي شعاع رجاء
 خلقت أسرته من السراء
 وهدى إليك حوائج الفقراء
 عبء السنين، وألقى عبء الداء
 وتركت أجيالاً من الأبناء
 للدهر إنصاف وحسن جزاء

هوامش

- (١) صحراء الإمام: المقبرة التي دُفن بها، وهذه الصحراء تنسب للإمام الشافعي لوقوع ضريحه — رضي الله عنه — في نطاقها.
 - (٢) الإمام: هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبير، وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه.
 - (٣) الأولى: الحياة الدنيا.
 - (٤) الرفرف: ما يجعل عليه طرائف البيت. والجوزاء: نجم معروف في السماء، فالتعبير برفرف الجوزاء: كناية عن أسنى مواضع الشرف والسمو.
 - (٥) يريد القصيدة التي أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية، وظل سبعة أيام تكريماً لمبايعة أمير الشعراء شوقي بإمارة الشعر في الشرق العربي عامة، وهي التي يقول فيها:
- أمير القوافي، قد أتيت مبايعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي
- (٦) الصعدة: قناة الرمح ينبت عودها مستويًا.
 - (٧) الحقب: جمع حقبة — بكسر الحاء — وهي المدة من الزمن أو السنة.

- (٨) نظم المرحوم شوقي هذه القصيدة وهو في الإسكندرية، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لإقامته فيها وقتئذ.
- (٩) بابل: موضع مدينة بالعراق، ينسب إليها السحر والخمر. والحمراء: قصر مشهور في الأندلس.
- (١٠) الفجاج — بكسر الفاء: جمع فَجَّ — بفتحها — الطريق الواسع بين الجبلين.
- (١١) قرطبة: إحدى عواصم الأندلس الكبرى، وكانت في المغرب مثل بغداد في المشرق، كلتاهما منبع للعلوم والفنون في أزهر عصور الإسلام.
- (١٢) البادون: السائرون في البادية.
- (١٣) نجلت: أي وُلِدَت.
- (١٤) الوليد: هو أبو عبادة البحتري الشاعر العباسي الشهير. والطائي: هو حبيب الطائي الشهير بأبي تمام.
- (١٥) البؤساء: كتاب لفكتور هوجو، عربّه الفقيد.

محمد تيمور^١

ضربوا القبابَ على اليبابِ
هَمَدُوا، وكلُّ مُحَرِّكٍ
نزلوا على ذئبِ البلى
وكأنهم صرعى كرى
فإذا صَحَوْا وتنبَّهوا
من كلِّ مُنْفِضِ الوفو
مَوْرُوثِ كلِّ مَضِنَّةٍ
يا نائحاتِ محمدٍ
في مَاتَمٍ لم تخلُ فيهِ
تبكي الكريمَ على العشِ
حَسْبُ الجِمامِ دُمُوعُكُ
فارِجَعْنَ فيه لحكمةٍ
في العالمِ الفاني مَصِ
مَنْ سارَ لم يَتَنَّ العِنا

وثووا إلى يومِ الحسابِ^١
يومًا سيسكنُ في الترابِ
فتضيِّفوا شرَّ الذئابِ
بالقاعِ أو صرعى شرابِ
فألهُ أعلمُ بالمآبِ
ي هناك مهجورِ الجنابِ
إلا الذَّخيرةُ من ثوابِ^٢
نُحْتُنُّهُ غَضَّ الإهابِ
ه المكرماتُ من انتحابِ
يرة، والحبیبِ إلى الصحابِ
نَّ المُسْتَهْلَةَ من عتابِ^٣
أو جئنَ فيه إلى احتسابِ
يرُ العالمينِ إلى نهابِ
ن، ومَنْ أقامَ إلى اقترابِ

^١ محمد تيمور: أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية، ولكنَّ الموت لم يمهله فاخترم شبابه في سنة ١٩٢١.

يا وارثَ الحَسَبِ الصَّمِيحِ
 وابْنَ الذي عَلِمَ الرِّجاءُ
 وكأنَّه في كُتُبِهِ
 ما ذا نَقَمْتَ مِنَ الشُّبَّانِ
 مُتَحَلِّيًا هِبَةَ النُّبُو
 وَلِمَ التَّرَحُّلُ عَن حَيَا
 لِمَ تَعُدُّ شَاطِئَهَا، وَلِمَ
 رَفَقًا عَلَى مَحزُونَةِ الـ
 فَقَدْتُكَ فِي العَمْرِ الطَّرِيحِ
 تَبْكِي، وَتَنْدُبُ إِلْفَهَا
 وَانظُرْ أَبَاكَ وَتُكَلِّه
 لَوْ كَانَ يَمْلِكُ سِرًّا يُو
 أَعْلَمْتَ غَيْرَكَ مِنْ جَلَا التـ
 وَكَسَا غَرَائِبَ جِدِّهِ
 مُتَمَيِّزًا حِينَ التَّمَيُّـ
 أَفُقَ العُلَا كُنْتَ الشُّهَا
 يَارَبِّ يَوْمِ ضَاقَ دَرُ
 سَعَهُمْ فَأَنْتَ جَمَعْتَهُمْ
 حُذِّ مِنْهُمْ نَقْدَ العَفَا
 دُونَ النُّبُوغِ وَأَوَّجِيهِ
 فَإِذَا بَلَغْتَ الأَوْجَ كُنْـ
 لَا تَبْعِدَنَّ؛ فَهَذِهِ
 أَشْرَفُ بَرُوحِكَ فَوْقَهُمْ
 وَانظُرْ بَعِينِ نَزَّهَتِ
 تَرِ مِنْ لِدَاتِكَ أُمَّةً
 أُسْدٌ تَجُولُ بِغَيْرِ ظُفُفٍ
 جَعَلُوا الثِّبَاتَ سِلَاحَهُمْ

مِمْ وَكَاسَبَ الأَدْبِ اللَّبَّابِ
 لُ حَيَاءَهُ مِنْ كُلِّ عَابِ
 عِثْمَانُ فِي ظِلِّ الكِتَابِ
 بِ، وَأَنْتَ فِي نَعَمِ الشُّبَّانِ؟
 عِ، مُطَوَّقُ المِنَحِ الرَّغَابِ؟
 ٥ أَنتَ مِنْهَا فِي رِكَابِ؟
 تَبْلُغُ إِلَى ثَبِجِ العُبابِ؟
 ٦ أَبْيَاتِ، مُوحِشَةِ الحِجَابِ
 ٧ رِ، وَفِي زَهَا الدُّنْيَا الكَعَابِ
 ٨ بَيْنَ الأَفَانِينِ الرُّطَابِ
 وَرُزُوحَهُ تَحْتَ المِصَابِ
 شَعْرَ رَدِّ شَمْسِكَ مِنْ غِيَابِ
 ٩ مِثِيلَ فِي جُدِّ الثِّيَابِ
 حُلَلًا مِنَ الهِزْلِ العُجَابِ
 زُ لَيْسَ مِنْ أَرَبِ الشُّبَّانِ
 بَ عَلَيْهِ، لَا ذَنْبَ الشُّهَابِ
 عُكَ فِيهِ بِالحُسْدِ الغِضَابِ
 الشُّهْدُ مَائِدَةُ الذُّبَابِ
 فِ، وَدَعْ لَهُمْ نَقْدَ السَّبَابِ
 مَا لَا تَعُدُّ مِنَ الصَّعَابِ
 تِ الشَّمْسِ تَهْزَأُ بِالصُّبَابِ
 ١٠ آمَالُ قَوْمِكَ فِي اقْتِرَابِ
 مَلَكًا يُرْفَرِفُ فِي السَّحَابِ
 عَنِ زُخْرِفِ الدُّنْيَا الكِذَابِ
 كَسَتْ الدِّيَارَ جَلَالَ غَابِ
 ١١ رِ، أَوْ تَصُولُ بِغَيْرِ نَابِ
 نَعَمَ السِّلَاحُ مَعَ الصَّوَابِ
 ١٢

أَمَّا الْأُمُورُ فَإِنَّهَا بَلَّغْتُ إِلَى فُضْلِ الْخِطَابِ
فَإِذَا مَلَكَتْ تَوَجُّهًا لِلَّهِ فِي قُدْسِ الرَّحَابِ
سَلُّ فَاتِحَ الْأَبْوَابِ يَفْ تَحَ لِلْكَنَانَةِ خَيْرَ بَابِ

هوامش

- (١) القباب: جمع قبة، والمقصود بضرب القباب هنا: هو الكناية عن المقبرة.
- (٢) المضنة: هي الشيء النفيس يكون موضعاً للضنّ به.
- (٣) الحمام — بكسر الحاء —: الموت.
- (٤) وابن الذي.. إلخ: هو المرحوم أحمد باشا تيمور، كان عالماً بَحَاثًا اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أثنى الكتب.
- (٥) يشبهه والد الفقيد في إقباله على الكتب في شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذي مات والكتاب العزيز في يده.
- (٦) العباب: البحر. وثبجه: وسطه.
- (٧) موحشة الحجاب: كناية عن شدة مصاب هذه السيدة، يقول: إن خدرها أفقر من الأُنس حتى صار يبعث الوحشة والهلع في قلب صاحبه.
- (٨) العمر الطرير: هو سن الشباب، ويقصد بقوله: «الدنيا الكعاب» أنه كان يعيش في دنيا مزهوّة بنعيمها وثروتها.
- (٩) يوشع — كما في التوراة —: هو يوشع بن نون، اصطفاه الله وأرسله لبني إسرائيل بعد موسى، وأمره بمحاربة الجبّارين، ففي بعض وقائعه ابتهل إلى الله أن تقف الشمس حتى ينتقم من أعدائه، فوقف ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك.
- (١٠) الأوج: العلو.
- (١١) لدات الإنسان: المقاربون له في السن. والغاب: جمع غابة، وهي مأوى الآساد.
- (١٢) يصف شباب الأمة المصرية في ثورة سنة ١٩١٩.

يعقوب صُرُوف^١

وَأَرْضِكَ عُمْرَانُ وَشَيْكَ خِرَابِ^١
قيامُ ضِبَاعٍ، أَوْ قُعودُ ذَنَابِ
عليك بظُفْرٍ لم يَعِفَّ وناب
ومَرُّوا رِكابًا في غُبارِ رِكاب
من اللُّحْظِ عن مَيِّتِ الأَحْيَةِ نَابِي^٢
ومالوا فلم تستوحشي لغياب
يرى الجيشَ خُلُقًا هَيِّنًا كذُباب
وإن أذنتَ أَجنادَه بتباب^٣
بَنوكِ مَذاقِ الضَّرِّ شَهْدَ رُضابِ^٤
وللمُقَعَدِ العاني مَجالَ وثابِ^٥
ولا كَرَّ بَعَدَ الفُرْصَةِ المِتْصابي
بَنى بيديه القَبْرَ أَلْفِ حِساب
أَجَلِ، إِنما أَقضى حَقوقَ صِحابي
جَعَلتُ عيونَ الشَّعْرِ حُسْنَ ثوابي

سماؤُك يا دنيا خِداعِ سَرابِ
وما أَنْتِ إِلاَّ جِيفَةٌ طالَ حَولَها
وكم أَلْجأَ الجُوعُ الأَسودَ فَأَقْبَلتُ
قَعَدتِ من الأَطْعانِ في مَقْطَعِ السَّرى
وَجُدتِ عليهم في الوَداعِ بساخِرِ
أَقاموا، فلم يُؤدِّسْكَ حاضِرُ صحبَةٍ
تَسوِّقِينَ للموتِ البَنينِ كقائِدِ
رأى الحربَ سُلطانًا له وسلامَةٌ
ولولا غرورٌ في لُبانِكِ لم يجد
ولا كَنَتِ للأَعْمى مَشاهِدَ فتنَةٍ
ولا ضلَّ رأيُ الناشئِ العِزَّ في الصِّبا
ولا حَسَبَ الحَفَّارِ للموتِ بَعْدَما
يقولون: يَرِثني كُلُّ خِلٍّ وصاحبِ
جَزَيْتُهُم دَمعي، فلَمَّا جرى المَدى

^١ هو الدكتور يعقوب صُرُوف، أحد صاحبي مجلة المقتطف وجريدة المقطم، كان متبتلاً للعلم، معدوداً في طليعة الكُتَّاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان، توفي سنة ١٩٢٨.

وبالمستقلِّيها لسانَ صوابٍ^٦
 ولولا المنايا ما تركتَ جوابي
 لها أترا شَهِدَ بفيك وصاب؟^٧
 وسُقنا كتابَ الحمدِ تَلَوَ كتابُ^٨
 لسانِ ثوابٍ، أو لسانَ عقابِ
 مَضتُ بينَ تعليمٍ وبينَ طلابِ
 بآمالِ نفسٍ في الكمالِ رِغابِ
 فنزَّهتها عن هَوشَةٍ وكِذابِ^٩
 ولا منتدَى لغوٍ وسوقِ سِبابِ
 فلم نَسِرْ إلا في شُعاعِ شهابِ
 معلِّمِ نَشءٍ، أو إمامِ شبابِ
 حواشي عيونٍ في الطروسِ عذابِ^{١٠}
 غِذاءً، ولا يشقى به ابنُ خِصابِ^{١١}
 على ما لديها من رُبى وهضابِ
 كما قيل في الأمثال: حَجَلُ غرابِ
 إذا وسمَ النقلُ الرجالَ بعابِ
 فما رَدَّهُ لاسمٍ، ولا لِنِصابِ
 فوالله ما ضاقتَ مناكبُ بابِ
 و(روما) فحلُّوا في فسيحِ رحابِ
 حقيقَةُ توحيدٍ وأنتَ صحابي
 وكلُّ جوادٍ في السياسةِ كابي^{١٢}
 بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغابِ
 لتحطيمِ أغلالِ وفكِّ رِقابِ^{١٣}
 تلمُّ بنيتها عندَ كلِّ مُصابِ
 تحدُّرُ من أعطافِ كلِّ سَحابِ
 على طيِّباتٍ في الخلالِ رِطابِ
 وشوقٍ وإن لم نفتكرَ بإيابِ

كفى بذرى الأعوادِ منبرَ واعِظِ
 دعوتُك يا يعقوبُ من منزلِ البلى
 أدُكركَ الدنيا، وكيف ولم يزلْ
 حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً
 وما أنفَكتِ الدنيا وإن قلَّ لُبُّها
 ألا في سبيلِ العلمِ خمسونَ حِجَّةً
 قطعتَ طوالي ليلها ونهارها
 رأى الله تُلقى إليك صحيفةً
 ولم تتخذها آلةَ الحقدِ والهوى
 مَشينا بنورِ علمها وبيانها
 وعشنا بها جيلينَ قمتَ عليهما
 رسائلُ من عَفو الكلامِ كأنها
 هي المحضُ، لا يشقى به ابنُ تَميمَةٍ
 سهولُ من الفصحى وقفتَ بها الهوى
 وما ضعتَ بين الشرقِ والغربِ مشيةً
 فلم أرَ أنقى منك سُمعةً ناقلِ
 وكم أخذَ القولَ السريِّ مُعربُّ
 وفذتَ على الفصحى بخيراتِ غيرها
 وقَدِّمًا دنتَ (يونانُ) منها و(فارسُ)
 تبتَّلَتَ للعلمِ الشريفِ كأنه
 وجسَّمتَ ميدانَ السياسةِ (فارساً)
 وكنا و(نمرُ) في شِغابِ، فلم يزلْ
 رأى الثورةَ الكبرى، فسَلَّ يراعَه
 وما الشرقُ إلا أسرةٌ أو عشيرةٌ
 سلامٌ على شيخِ الشيوخِ ورحمةٌ
 ورفافُ رِيحانِ يروحُ ويغتدي
 وذكرى وإن لم نَنسَ عهدك ساعةً

وويح السّوافي هل عَرْضَنَ على البليّ
 وهل صُنَّ ماءً كان فيه كأنه
 ويا لحياةٍ لم تدعَ غيرَ سائلٍ
 وأين يدُ كانتُ وكان بنانها
 ولَهفي على الأخلاقِ في رُكْنِ هَيْكَلِ
 نعيش ونمضي في عذابٍ كلِّدَة
 ذهبنا من الأحلام في كلِّ مذهب
 وكلُّ أحي عيشٍ وإن طال عيشُهُ
 جَبِينِكَ، أم سَتَرْنَهُ بحِجابِ؟^{١٤}
 حياءُ بَتولٍ في الصلاةِ كَعابِ؟^{١٥}
 أكانت حياءً، أم خليَّةَ دابِ؟^{١٦}
 يِرَاعَةَ وَشِي، أو يِرَاعَةَ غابِ؟
 يبطن الثرى رثُ المعالمِ خابي
 من العيش، أو في لذَّةِ كعذابِ
 فلمّا انتهينا فُسِّرَتْ بذهابِ
 تُرابٍ لَعَمْرُ الموتِ وابنُ تُرابِ

هوامش

- (١) السراب: هو ما يرى في وسط النهار كأنه الماء. وشيك: سريع.
- (٢) النابي: المتجافي المتباعد.
- (٣) يقال: آذنته بكذا، أي أذرتة. والتباب: الهلاك.
- (٤) اللبان — بتشديد اللام مضمومة —: جمع لبانة، وهي الحاجة يطلبها الإنسان من غير احتياج إليها، بل يدافع من علو الهمة والرغبة. الرضاب: هو ريق الإنسان ما دام في فمه.
- (٥) العانى: المقيد، وهنا سمى الأسير بالعانى؛ لأن من شأنه أن يقيد.
- (٦) بالمستقليلها: أي براكبيها.
- (٧) الشهد: عسل النحل. والصاب: المرُّ.
- (٨) إشارة إلى الاحتفال بالفقيد في اليوبيل الفضي لمجلته المقتطف. والغار: ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل الظافرين.
- (٩) هذه الصحيفة هي مجلة المقتطف التي تعدُّ بحق أمجد صحيفة علمية أدبية في الشرق العربي كله، وكان الفقيد مختصاً بتحريرها.
- (١٠) قوله «كأنها حواشي عيون.. إلخ» العيون: هي عيون الماء، ويقصد بحواشيها: النباتات والزهور التي تنبت حواليلها.
- (١١) المحض: هو الخالص من كل شيء، وابن تميمة وابن خضاب: يقصد بالأول اليفع الناشئ، وبالثاني الشائب الذي يخضب شعره.

الشوقيات

(١٢) المقصود بفارس في هذا البيت هو الدكتور فارس نمر، الشريك الثاني للفقيد في مجلتي المقتطف والمقطم، ولكنه الشريك المختص بالسياسة، كما كان الفقيد مختصاً بالعلم، وقوله: وكل جواد في السياسة كابي، إشارة رقيقة إلى المثل القائل: «لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة».

(١٣) يريد أن الدكتور نمر لم يشاغب حباً في المشاغبة، ولكنه كان متأثراً بفكرة عامة.

(١٤) السوافي: الرياح.

(١٥) البتول: المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا إلى الله تعالى.

(١٦) الداب: بمعنى الدأب.

حسين شيرين بك^١

أرأيت زينَ العابدينَ مُجَهَّزًا
من دار توأَمِهِ وصِنُو حَيَاتِهِ
ساروا به من باطلِ الدنيا إلى
ومضُوا به لسبيلِ آدمَ قَبْلِهِ
تحنو السماءُ على زَكِيِّ سَرِيرِهِ
وتَطَيَّبَ هَامُ الحاملينَ وراحمِهِم
وكأنَّ مصرَ بجانبَيْهِ رُبُوءٌ
ويكاد من طربِ لعادته الندى
الطَّيِّبُ ابنُ الطَّيِّبِينَ، وربَّما
والمؤمنُ المعصومُ في أخلاقه
أبدًا يراه اللهُ في غَلَسِ الدُّجَى
ويرى اليتامى لائذين بظُلِّهِ
ويراه قد أدَّى الحقوقَ جميعَها
أدَّى من المعروفِ حصَّةَ أهْلِهِ

نقلوه نقلَ الوَرْدِ من محرابِهِ^١
والأولِ المألوفِ من أترابه^٢
بُحْبُوحَةِ الحَقِّ المبينِ وغابِهِ^٣
ومصايرِ الأَقْوَامِ من أعقابِهِ
ويَمَسُّ جِيدَ الأَرْضِ طِيبُ رِكابهِ
من طيبِ مَحْمِلِهِ، وطيبِ ثيابِهِ
أدارُ أذنِها بوشكِ ذهابِهِ
يَنَسَلُ للفقراءِ من أنوابِهِ^٤
نضح الفتى فأبان عن أحسابِهِ
من كل شائنةٍ، وفي آدابِهِ
من صَحْنِ مَسْجِدِهِ، وحولِ كِتَابِهِ
ويرى الأرامِلَ يَعْتَصِمَنَّ ببابِهِ
لم يَنَسْ منها غيرَ حَقِّ شبابِهِ
وقضى من الأحسابِ حَقَّ صحابهِ^٥

^١ حسين بك شيرين: كان مثلاً عالياً من أمثلة مكارم الأخلاق، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى، وقد توفي في سنة ١٩٣١، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه إسماعيل بك شيرين.

لِمَ لَمْ يَعِدْ؟ أَيَّانَ يَوْمُ إِيَابِهِ؟^٦
 بِكَ، فَاحْسِبِيهِ عَلَى كَرِيمِ رِحَابِهِ
 مِنْ دَمْعِكَ الشَّاكِي، وَمَنْ تَسْكَابِهِ
 شَرِبْتُ بِنَاتُ الْعَالَمِينَ بِصَابِهِ
 وَسَوَّالِهِمْ: مَا حَالُهُ؟ مَاذَا بِهِ؟
 وَخُطِي الْمَنِيَّةُ مِنْ وَرَاءِ طِلَابِهِ؟
 فِي عَطْفِهِ، وَحَنَانِهِ، وَدَعَابِهِ
 الصَّبْرُ لَمْ يُخْلَقْ لِمِثْلِ مُصَابِهِ^٧
 وَحَبَا فِضَاؤُكَ مِنْ شُعَاعِ شَهَابِهِ
 مِنْهُ، وَلَمْ تَتَمَتَّعِي بِقَرَابِهِ
 وَالشَّعْبُ يَهْوَى الصِّدْقَ فِي نُوَابِهِ
 سَبَبًا يُبَلِّغُهُ إِلَى آرَابِهِ؟
 يَرْجُو لَهَا الْوَادِي كِرَامَ شَبَابِهِ
 وَيُنَاوِلُ الْأَسْمَاعَ سَحَرَ خِطَابِهِ
 وَيَفِي بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ كِدَابِهِ^٨
 سَيَبُتُّهَا الدَّهْرُ الْعَضُوضُ بِنَابِهِ^٩
 بَتَّ اللَّيَالِي مُوجَعًا لِعَذَابِهِ
 فِي عَالَمِ الذِّكْرَى وَبَيْنَ شِعَابِهِ^{١٠}
 مَنْ لَا يَدِينُ لَنَا بِطَيِّ غِيَابِهِ
 مُسْتَعَذِبٌ فِي صَدْقِهِ وَكِذَابِهِ
 فَأَخُو الْهَوَى يَبْكِي عَلَى أَحْبَابِهِ

(مهويش). أَيْنَ أَبُوكَ؟ هَلْ زَهَبُوا بِهِ
 قَدْ وَكَّلَ اللَّهُ الْكَرِيمَ وَعَيْنَهُ
 وَدَعِيَ الْبُكَاءَ، يَكْفِيهِ مَا حَمَلَتْهُ
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ بِحَادِثِ يَا طَالَمَا
 كُلُّ أَمْرِي غَادٍ عَلَى عُوَادِهِ
 وَالْمَرْءُ فِي طَلَبِ الْحَيَاةِ طَوِيلَةٌ
 فِي بَرٍّ (عَمَكِ) مَا يَقُومُ مَكَانَهُ
 (إِسْكَندَرِيَّةً)، كَيْفَ صَبْرُكَ عَنْ فَتَى
 عَطَلْتُ سَمَاوُكَ مِنْ بَرِيْقِ سَحَابِهَا
 زَيْنُ الشَّبَابِ قَضَى، وَلَمْ تَتَزَوَّدِي
 قَدْ نَابَ عَنكَ؛ فَكَانَ أَصْدَقُ نَائِبِ
 أَعْلَمْتَهُ اتَّخَذَ الْأَمَانَةَ مَرَّةً
 لَوْ عَاشَ كَانَ مُؤَمَّلًا لِمَوَاقِفِ
 يَجْلُو عَلَى الْأَلْبَابِ هِمَّةً فِكْرِهِ
 وَيَفِي كَدِيدِنِهِ بِحَقِّ بِلَادِهِ
 تَقْوَاكَ (إِسْمَاعِيلُ)؛ كُلُّ عِلَاقَةٍ
 إِنَّ الَّذِي ذُقْتَ الْعَشِيَّةَ فَقَدَهُ
 فَارَقْتَ صِنُوكَ مَرَّتَيْنِ، فَلَاقِهِ
 مِنْ عَادَةِ الذِّكْرَى تَرُدُّ مِنَ النُّوَى
 حُلْمٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى وَسِنَاتِهِ
 اسْكُبْ دُمُوعَكَ لَا أَقُولُ: اسْتَبَقِهَا

هوامش

(١) أراد تشبيهه بعلي زين العابدين ابن سيدنا الحسين رضي الله عنهما، وفي زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق:

ما قال «لا» قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لآؤه «نعم»

وتجهيز الميت: تهيئته للقبر.

(٢) الصنو: الأخ الشقيق. والتوأم: المولود مع غيره في بطن، وهذه حال الفقيد مع

أخيه، والأتراب: لدات المرء وزملاؤه الذين وُلِدُوا في سن متقاربة معه.

(٣) بحبوحة المكان: وسطه.

(٤) الندى: الكرم.

(٥) المعروف هنا بمعنى البرِّ بالناس والقيام بواجب المحتاجين.

(٦) مهويش: اسم تركي، وهو علم على ابنة الفقيد.

(٧) كان الفقيد من الإسكندرية منشأً، وعضو مجلس بلديتها.

(٨) الدين: العادة.

(٩) إسماعيل بك شيرين شقيق المرثي.

(١٠) يشير هذا البيت إلى أن الفقيد كان مغترباً في سويسرا طيلة زمن الحرب

الكبرى.

محمد عبد المطلب^١

وتلقى راحة الدهر التَّعَبُ^١
هتَفَ الناعي بعبد المُطَلِّبِ^٢
كلُّ حَيٍّ مُنتَهاه في التُّرْبِ
كالأبِّ المُشْفِقِ والجَدِّ الحَدِيبِ
والقريبِ الجَدِّ من معنى اللَّعبِ
ظَهَرَ الإِخوانُ بالوُدِّ الكَذِبِ
فَكِهُ في مجلسِ الصَّفْوِ طَرِبِ
وشباباً أهلاً ديناً وحَسَبِ
صَوْلَةَ الدُولَةِ بالجيشِ اللَّجِبِ^٣
وأقاموها مقاماتِ القُضْبِ
كيف يَبِغِي مَنْ إلى العلمِ انتَسَبِ؟
كلُّ معنَى رَقِّ، أو لَفِظِ عَذْبِ
جَرِيانِ المِماءِ في أصلِ العُشْبِ
كُلْفَةَ الأَقلامِ، أو حَشْوِ الكُتُبِ

قام من عِلَّتِهِ الشاكي الوَصِبِ
أَيُّهَا النَفْسُ، اصبري واسترجعي
نزل التُّرْبِ على مَنْ قَبْلَهُ
ذهب اللَّيْنُ في إرْشادِهِ
القريبِ العَتَبِ مِنْ مَعْنَى الرِّضَا
والأَخِ الصادِقِ في الوُدِّ إِذا
خاشعُ في درسه، مُحْتَشِمٌ
قَلَدَ الأوطانِ نَشأُ صالحاً
ربَّما صالتُ بهم في غِدها
جعلوا الأَقلامَ أرماحَهُمْ
لا يميلون إلى البَغْيِ بها
شاعِرَ البَدْوِ، ومنهم جِاءنا
قد جرت ألسنُهُم صافيةً
سَلِمَتْ مِنْ عَدَتِ الطَّبَعِ، ومن

^١ هو الأستاذ محمد عبد المطلب أستاذ الأدب في مدرسة دار العلوم، كان ينظم الشعر مؤثراً في نظمه طريقة البادين؛ ولذلك كان يلقب بشاعر البدو. وقد توفي سنة ١٩٣١، وأقيمت له حفلة تأبين أقيمت فيها هذه القصيدة.

قد نزلت اليوم في بادية
ومشى (المجنون) فيها ساليًا
أعر الناس لسانًا ينظموا
قُمْ صِفِ الخُلْدَ لنا في مُلْكِهِ
وثمار في يواقيتِ الرُّبَى
وانثر الشعَرَ على الأبرار في
واستعر (رضوان) عودئِ قَصَبِ
واسقِ بالمعنى إلهيًّا، كما
كلَّمَا سَبَّحْتَ للعرشِ به
قُمْ تَأْمَلْ؛ هذه الدارُ وفى
وفتِ الدارُ لباني رُحْنِهَا
طلبوا العلمَ على شَيْخِهِمْ
غابَ عن أعينهم، لكنَّه
صورةٌ مُحَسِّنَةٌ ما تختفي
رجلُ الواجبِ في الدنيا مضى
عاش عَيْشَ النَّاسِ في دنياهمُ
أخذ الدرسَ الذي لُقِّنَهُ

عَمَّرَتْ فِيهَا (أمرًا القيس) الحِقَبَ °
نَفَضَ اللُّوعَةَ عنه والوَصْبَ ٦
لك فيه الشعَرَ أو يُنْشُوا الخُطْبَ
من جلال الخُلُقِ، والصُّنْعِ العَجَبِ
وسُلافٍ في أباريقِ الذهبِ ٧
قُدْسُ السَّاحِ وَعُلُوِّيِّ الرِّحْبِ
وَتَرَنَمٌ بالقوافي في القَصَبِ ٨
تَتَساقُونَ الرَّجِيْقَ المنسكِبِ
رَفَعَ الرَّحْمَنُ والرُّسُلُ الحُجْبِ
لكَ من طُلابِهَا الجمْعُ الأربِ ٩
وقضى الحقُّ بنو الدارِ النُّجْبِ ١٠
زمنًا، ثم إذا الشَيْخُ طُلبِ
ماثلٌ في كلِّ قلبٍ، لم يَغِبِ
ومثالٌ طيبٌ ما يحتجِبِ
يُنصِفُ الأخرى ويقضي ما وَجِبِ
وكما قد ذهب النَّاسُ نهبِ
عُجِمَ النَّاسِ قديمًا والعربِ

هوامش

- (١) يريد بالوصب: المتعب من مرض أو من علو الهمة.
- (٢) الاسترجاع: هو قول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾
- (٣) الجيش اللجب: الكثير العدد والعدة.
- (٤) العنت: المشقة.
- (٥) امرؤ القيس: الشاعر الجاهلي المعروف.
- (٦) المجنون: مجنون ليلي، من شعراء البادية كامرئ القيس.
- (٧) يواقيت الربى: الأكمام المتفتحة بالورد والثمار التي تشبه الباقوت. والسلاف:

الخمير.

- (٨) رضوان: هو الملك القائم على الجنة. والقصب: المزمار أو الناي الذي يترنم به.

محمد عبد المطلب

(٩) الجمع الأرب: أي الكثير الحصافة والكياسة والدهاء.

(١٠) النَّجْبُ: جمع نجيب.

يرثي جدته^١

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ
وَمَنْ يُوَلِّدُ يَعِشُ وَيَمُتُ كَأَنْ لَمْ
وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الرُّوَاقِي
وَمَا سَلِمَ الْوَلِيدُ مِنْ اشْتِكَاءِ
هِيَ الدُّنْيَا، قِتَالٌ نَحْنُ فِيهِ
وَكُلُّ النَّاسِ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِ
نُرُوعٌ مَا نُرُوعُ، ثُمَّ نُرْمَى
صَلَاةُ اللَّهِ يَا (تَمَزَارُ) تَجْزِي
وَعَنْ تَسْعِينَ عَامًا كُنْتُ فِيهَا
بَرَزْتُ الْمُؤْمَنَاتِ، فَقَالَ كُلُّ:
وَكُنْتُ فِي الْفَضَائِلِ بَاقِيَاتُ
تَبْنَاكِ الْمَلُوكُ. وَكُنْتُ مِنْهُمْ
يُظَلُّونَ الْمَنَاقِبَ مِنْكَ شَتَّى
وَمَا مَلُوكٍ فِي (سُوقٍ) وَلَكِنْ

ومن هذين كلُّ الحادثاتِ
يَمُرُّ خيَالُهُ بالكائناتِ
كنعش المرءِ بينَ النَّائِحَاتِ^١
فهل يخلو المَعْمَرُ من أذَاة؟^٢
مقاصدُ لِلْحُسَامِ وَلِلْقَنَاةِ
كما دُفِعَ الْجِبَانُ إِلَى الثِّبَاتِ
بِسَهْمٍ مِنْ يَدِ الْمَقْدُورِ آتِي
ثَرَاكٍ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ
مُثَالَ الْمُحْسِنَاتِ الْفُضْلِيَّاتِ
لَعَلَّكَ أَنْتِ أُمَّ الْمُؤْمِنَاتِ
وَأَنْتِ الْيَوْمَ كُلُّ الْبَاقِيَّاتِ
بِمَنْزِلَةِ الْبَنِينِ أَوْ الْبَنَاتِ
وَيُؤَوِّنُ التَّقَى وَالصَّالِحَاتِ
لدى ظِلِّ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ

^١ جدته هي المرحومة السيدة «تمزار» معتوقة جنتمكان إبراهيم باشا والي مصر، وسترى في القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المنزلة العالية.

عَنَنْتِ لَهُمْ (بمُورَةَ) بِنْتَ عَشْرِ
فَكَنتِ لَهُمْ وَلِلرَّحْمَنِ صَيْدًا
تَبِعْتَ مُحَمَّدًا مِنْ بَعْدِ عَيْسَى
فَكَانَ الْوَالِدَانِ هَدَى وَتَقْوَى
وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي فِي الْعُرْبِ إِلَّا
تَجَاوَزْتِ الْوَلَاتِدَ فَاخْرَاتِ
وَأَحْكَمَ مَنْ تَحَكَّمَ فِي يَرَاعِ
وَأَبْرَأَ مَنْ تَبَرَّأَ مِنْ عَدَاءِ
وَأَصْوَنَ صَائِنَ لِأَخِيهِ عِرْضًا
وَأَقْتَلِ قَاتِلَ لِلدَّهْرِ حُبْرًا
كَأَنِّي وَالزَّمَانَ عَلَى قِتَالِ
أَخَافُ إِذَا تَثَاقَلَتِ اللَّيَالِي
وَلَيْسَ بِنَافِعِي حَذْرِي، وَلَكِنْ
أَمَامُونَ مِنَ الْفَلَكَ الْعَوَادِي
تَأَمَّلْ: هَلْ تَرَى إِلَّا شِبَاكًا
وَلَوْ أَنَّ الْجِهَاتِ خَلَقْنَ سَبْعًا
لَعَا لِلنَّعْشِ، لَا حُبًّا، وَلَكِنْ
وَلَا خَانَتَهُ أَيْدِي حَامِلِيهِ
فَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ الْمَرِيخَ مُلْقَى
هَنَاكَ وَقَفْتُ أَسْأَلُكَ إِتْمَادًا
وَأَنْظُرُ فِي تَرَابِكِ، ثُمَّ أُغْضِي
وَأَذْكَرُ مِنْ حَيَاتِكَ مَا تَقْضَى

وسيفُ الموتِ في هامِ الكُماةِ^٢
وواسطةً لعقدِ المُسلماتِ
لخيرِكِ في سنينِكِ الأُولياتِ
وكان الولدُ هذي المعجزاتِ
بأحمدَ كنتِ خيرَ الوالداتِ^٤
إلى فخرِ القبائلِ واللغاتِ
وأبلغَ مَنْ تَبَلَّغَ مِنْ دَوَاةِ
وأنزَهَ مَنْ تَنَزَّهَ مِنْ شَمَاتِ
وأحفظِ حافظِ عهدِ اللداتِ
وأصبرَ صابرِ للغاشياتِ
مُساجلةً بميدانِ الحياةِ^٥
وأشفقُ من خُفوفِ النائباتِ
إِبَاءً أَنْ أَرَاهَا بَاغِتَاتِ
و(برجلُهُ) يَحُطُّ الدائراتِ؟
من الأيامِ حَوْلَكَ مُلقياتِ؟
لكانِ الموتُ سابعةَ الجهاتِ
لأجلكِ يا سماءَ المَكْرُماتِ^٦
وإن ساروا بصبري والأناةِ
ولم أسمعَ بَدْفِنِ النيرياتِ
وَأَمْسِكُ بِالصِّفَاتِ وَبِالصِّفَاةِ^٧
كما يُغْضِي الأبيُّ على القِذَاةِ
فكان من الغداةِ إلى الغداةِ

هوامش

(١) المهدي: الموضع يهياً للطفل. والرواقي: جمع راقية، والراقية عند العرب هي الأم أو نحوها، تضع التمام والتعاويد على الطفل حفظاً له من العين أو من الشياطين، على زعمهم.

(٢) المعمر: هو الذي يمدُّ له في العمر. يقول في هذه الأبيات الثلاثة، إن الدنيا لا ثبات لها، فالإنسان كأنه لم يوجد، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر في لقاء الأقدار سواءً، فلا شيء يردُّ الموت ولا يمنع القدر.

(٣) عننت لهم.. إلخ: مأخوذة من قولهم «عنَّ الصيد للصادئ» إذا ظهر. ومورة: علم على صقع بعينه هو الوطن الأول لجدته. والكمأة: جمع كمي، وهو الفارس المدجج بالسلاح. بعد أن قال إن جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك، فقال: إنها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب. وهي لم تجاوز العاشرة، وكان هذا لخيرها؛ حيث أكرمها الله، فنشأت مسلمة. ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم.

(٤) أحمد: هو الاسم الشريف لأمير الشعراء، يقول لجدته في هذا البيت: إذا لم يكن لك نسب في العرب إلا ولادتك لي لكنت بهذا خير أمهات العرب. لقد وضع هذا البيت نفسه توأماً لبيت المتنبي الذي يخاطب به أمه فيقول:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد لكان أبك الضخم كونك لي أما

(٥) المساجلة في القتال هي من قولهم: «الحرب سجال يوم لك ويوم عليك».

(٦) لَعَا: كلمة دعاء تقال للعائر، تقول «لَعَا له» إذا أردت سلامته و«لا لَعَا له» إذا أردت غير ذلك.

(٧) الصفاة: الحجر الصلد، والمقصود بها هنا القبر.

محمد عبده^١

مُفَسِّرَ آيِ اللّهِ بِالْأَمْسِ بَيْنِنَا
رُحِمَتْ، مَصِيرُ الْعَالَمِينَ كَمَا تَرَى
هُوَ الدَّهْرُ: مِيلَادٌ، فَشَغْلٌ، فَمَاتُمْ
فَمِ الْيَوْمِ فَسَّرَ لِلْوَرَى آيَةَ الْمَوْتِ
وَكُلُّ هِنَاءٍ أَوْ عَزَاءٍ إِلَى فَوْتِ
فَذَكَرُ كَمَا أَبْقَى الصَّدَى زَاهِبَ الصَّوْتِ^١

هوامش

(١) يقول: إن الإنسان يشبه الصوت، وذكره من بعده يشبه الصدى، والصدى هو ما يردُّ على المصوِّت شبيهاً بصوته، ويقال له الرجوع أيضاً.

^١ هو الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية. توفي سنة ١٩٠٥، وقد ظهرت أسمى ملكاته في فهم وتفسير القرآن الشريف.

رياض باشا^١

ونعش في المناكب، أم عِظَاتُ؟
وموكبُك الأدلَّةُ والشِّياتُ؟^١
على أنواعها والنَّازلاتُ؟
وتكبرُ في الكبير النائباتُ
كمَنْ تَبكي عليه النائحاتُ
فتَهوي، ثمَّ تُضمِّرها فِلاةً؟^٢
وتُدْفنُ في الترابِ المُرَهفاتُ؟^٣
وكانت لا تَقْرُ بها الحِصاةُ؟
ولا يَحْمِي لواءَهُم الرُّماةُ؟^٤
ووسَّدتِ الترابَ المُكْرَماتُ
يُشيِّعه الفوارسُ والمُشاةُ
يُطيفُ به النوائحُ والبُكاةُ
وحازتَه القرونُ الخالياتُ
ولا هتَفَتْ بدولته الرُّواةُ

مَماتُ في المواكب، أم حياةُ
ويومُكَ في البريَّة، أم قيامُ
وخطبُكَ يا (رياضُ)، أم الدواهي
يجلُّ الخطبُ في رجلٍ جليلٍ
وليس الميْتُ تبكيه بلادُ
وهل تَلقى مناهايا الرواسي
وتُكسِرُ في مراكزها العوالي
ويُغشى الليثُ في الغاباتِ ظُهْرًا
ويزِي الدهرُ (ناديَ عينِ شمسِ)
أجلُّ؛ حَمَلتُ على النعشِ المعالي
وحَمَلتِ المدافعُ ركنَ سلمِ
وحلَّ المجدُ حُفرتَه، وأمسى
هوى عن أوجِ رُفَعته (رياضُ)
كأن لم يملأ الدنيا فِعْلاً

^١ يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث في مصر منذ الخديو إسماعيل إلى أواخر حكم عباس الثاني تقريباً؛ فتاريخه في الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن.

نعاہ (البرق) مُضْطَرِبًا، فَمَا جَتْ
 كَأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ نَعَيْتْ عِشَاءً
 صَحِيفَةً غَابِرٍ طَوِيَّتْ، وَوَلَّتْ
 يَقُولُ الْآخَرُونَ إِذَا تَلَّوْهَا:
 جَزَى اللَّهُ الرِّضَا أَبُوبِي (رِيَاضُ)
 بَنُو الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ عَقِيمٍ
 أَرَى الْأَمْوَاتَ يَجْمَعُهُمْ نَشُورٌ
 صِلَاحُ الْأَرْضِ أَحْيَاءٌ وَمَوْتَى
 قَرَأَتْهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ عَلَيْهَا
 فَلَوْ طُلِبَتْ لَهُمْ دِيَّةٌ لَقَالَتْ
 أبا الوطنِ الْأَسِيفِ، بَكَتْكَ مِصْرُ
 قَضَيْتْ لَهَا الْحَقُوقَ فَنَّى وَكَهَلَا
 وَيَوْمَ النَّهْيِ لِلْأَمْرَاءِ فِيهَا
 فَكُنْتَ عَلَى حُكُومَتِهَا سِرَاجًا
 يَزِيدُ الشَّيْبُ نَفْسَكَ مِنْ حَيَاةٍ
 وَتَمْلُوكُ السُّنُونَ قُوَى وَعِزْمًا
 كَسَيْفِ الْهِنْدِ أَبْلَى حِينَ فُلَّتْ
 رَفِيعُ الْقَدْرِ بِالْأَمْصَارِ يُرْنِي
 كَأَنَّكَ فِي سَمَاءِ الْمَلِكِ (يَحْيَى)
 تَسُوسُ الْأَمْرَ، لَا يُعْطِي نَفَادًا
 إِذَا الْوُزَرَاءُ لَمْ يُعْطُوا قِيَادًا
 زَمَاعُ فِي انْقِبَاضٍ فِي اخْتِيَالٍ
 صِفَاتٌ بَلَّغَتْكَ ذُرَى الْمَعَالِي
 وَجَدْتَ الْمَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِوَاءٍ
 وَيَبْقَى النَّاسُ مَا دَامُوا رَعَايَا
 (رِيَاضُ)، طَوِيَّتْ قَرْنًا مَا طَوْتَهُ
 تَمَنَّتْ مِنْهُ أَيَّامًا تَحَلَّى

نجومٌ في السماء مُحَلِّقات
 إليها فَهِيَ حَسَرَى كَاسْفَاتٍ
 على آثَارٍ مَنْ دَرَجُوا وَفَاتُوا
 كذلك فَلَيْلِدُنِ الْأُمَّهَاتِ
 هما غَرَسَا وَلِلْوَطَنِ النَّبَاتِ
 وَأَسْفَارُ النَّوَابِغِ مُرْجَعَاتِ
 وَكَمْ بُعِثَ النَّوَابِغُ يَوْمَ مَاتُوا
 وَزِينَتُهَا وَأَنْجُمُهَا الْهُدَاةُ
 هَدَى، وَيَسَارَةً، وَمُحَسِّنَاتِ
 كَنُوزِ الْأَرْضِ: نَحْنُ هِيَ الدِّيَاتِ
 كَمَا بَكَتِ الْأَبَّ الْكَهْلَ الْبَنَاتِ
 وَيَوْمَ كَبُرَتْ وَانْحَنَّتِ الْقَنَاةُ
 وَيَوْمَ الْأَمْرُونَ بِهَا الْعُصَاةُ^٥
 إِذَا بَسَطْتَ نُجَاهَا الْمُشْكِلَاتِ
 إِذَا نَقَصْتَ مَعَ الشَّيْبِ الْحَيَاةُ
 إِذَا قِيلَ: السُّنُونَ مُتَّبِطَاتِ
 وَرَقَّتْ صَفْحَتَاهُ وَالظُّبَاتِ^٦
 كَمَا نَظَرْتُ إِلَى النَّجْمِ السُّرَاةِ^٧
 وَأَلْكَ فِي السَّمَاءِ النَّيِّرَاتِ^٨
 عَلَيْكَ الْأَمْرُونَ وَلَا النَّهْيَاةُ
 نَبَذَتْهُمْ كَأَنَّهُمْ النَّوَاةُ
 كَذَلِكَ كَانَ (بِسْمَرِكُ) الثُّبَاتِ^٩
 كَذَلِكَ تَرَفَعَ الرَّجُلَ الصِّفَاتِ
 تَلَقَّاهُ الْمَقَادِيمُ الْأَبَاةُ
 وَيَبْقَى الْمُقَدِّمُونَ هُمُ الرُّعَاةُ
 مَعَ (الْمَأْمُونِ) (دِجْلَةُ) وَ(الْفِرَاتِ)^{١٠}
 بِهَا الدُّوَلُ الْخَوَالِي الْبَاذَخَاتِ

وَوَدَّ (القيصران) لَوْ أَنَّ (روما)
 حَبَاكَ اللَّهُ (حَاشَيْتَيْهِ) عُمْرًا
 فَقَمْتَ عَلَيْهِ تَجْرِبَةً وَخُبْرًا
 تَمَرُّ عَلَيْكَ كَالآيَاتِ تَنْتَرَى
 فَأَدْرَكَتَ (البخارَ) وَكَانَ طِفْلًا
 تُجَابَ عَلَى جَنَاحِيهِ الْفِيَا فِي
 وَيُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ عَلَى (بروج)
 وَبَيْنَمَا الْكَهْرُبَاءُ تُعَدُّ خَرْقًا
 وَدَانَ الْبَحْرُ حَتَّى خِيضَ عُمُقًا
 وَبُلَّغَتْ الرِّسَائِلُ، لَا جَنَاحَ
 كَأَنَّ الْقَطَرَ حِينَ يُجِيبُ قَطْرًا
 رَهِيْنَ الرَّمْسِ، حَدَّثَنِي مَلِيًّا
 هُوَ الْخَبْرُ الْيَقِينُ، وَمَا سِوَاهُ
 سَأَلْتُكَ: مَا الْمَنِيَّةُ؟ أَيُّ كَأْسٍ؟
 وَمَاذَا يُوجِسُ الْإِنْسَانَ مِنْهَا
 وَأَيُّ الْمَصْرَعَيْنِ أَشَدُّ: مَوْتُ
 وَهَلْ تَقَعُ النُّفُوسُ عَلَى أَمَانٍ
 وَتَخْلُدُ أَمْ كَزَعَمِ الْقَوْلِ تَبْلَى
 تَعَالَى اللَّهُ قَابِضُهَا إِلَيْهِ
 وَجَازِيهَا النِّعِيمَ حِمِيًّا أَمِينًا
 أَمْثَلُكَ ضَائِقٌ بِالْحَقِّ ذَرْعًا
 أَلَيْسَ الْحَقُّ أَنْ الْعَيْشُ فَا ن
 فَنَمَّ مَا سَنَّتْ، لَا تُوجِشَكَ دُنْيَا
 تَصَرَّمَتْ الشَّبِيْبَةُ وَاللِّيَالِي
 خَلَّتْ (حِلْمِيَّةً) مَمَّنْ بِنَاهَا
 أَفِيهِ مِنْ (المحلة) قَوْتُ يَوْمٍ
 وَهَلْ لَكَ مِنْ حَرِيرِهِمَا وَسَادُّ

عليها من حَضارته سِمَات^{١١}
 وَأَعْمَارُ الْكِرَامِ مُبَارَكَاتٍ
 وَمَدْرَسَةُ الرِّجَالِ التَّجْرِبَاتِ
 صَنَائِعُ أَهْلِهِ وَالْمَحَدَّثَاتِ
 فَشَبَّ، فَبَايَعْتَهُ الصَّافِنَاتِ^{١٢}
 وَتَحَكَّمُ فِي الرِّيَاحِ الْمُنْشَأَاتِ
 غَدًا هِيَ فِي الْعَوَالِمِ بَارِجَاتِ^{١٣}
 إِذَا هِيَ كُلَّ يَوْمٍ خَارِقَاتِ
 وَقِيدَتْ بِالْعِنَانِ السَّافِيَاتِ^{١٤}
 يَجُوبُ بِهَا الْبَحَارَ، وَلَا أَدَاةَ
 ضَمَائِرُ بَيْنَهَا مُتَنَاجِيَاتِ
 حَدِيثُ الْمَوْتِ تَبْدُلِي الْعِظَاتِ^{١٥}
 أَحَادِيثُ الْمُنَى وَالتُّرَّهَاتِ^{١٦}
 وَكَيْفَ مَذَاقُهَا؟ وَمَنْ السُّقَاةُ؟
 إِذَا غَصَّتْ بَعْلَقَمَهَا اللَّهَاءُ؟^{١٧}
 عَلَى عِلْمٍ، أَمْ الْمَوْتُ الْفَوَاتِ؟^{١٨}
 كَمَا وَقَعَتْ عَلَى (الحرم) الْقَطَاةُ؟^{١٩}
 كَمَا تَبَلَّى الْعِظَامُ أَوْ الرُّفَاتِ؟
 وَنَاعِشُهَا كَمَا انْتَعَشَ النَّبَاتِ
 وَعَيْشًا لَا تُكَادِرُهُ أَدَاةَ
 وَفِي بُرْدِيكَ كَانَ لَهُ حِمَاةُ؟^{٢٠}
 وَأَنْ الْحَيَّ غَايَتُهُ الْمَمَاتِ؟
 وَلَا يَحْزُنُكَ مِنْ عَيْشِ فَوَاتِ
 وَغَابَ الْأَهْلُ، وَاحْتَجَّتِ اللَّدَاتِ
 فَكَيْفَ الْبَيْتُ حَوْلِكَ وَالْبِنَاتِ؟^{٢١}
 وَمَنْ نَعِمَ مَلَأَنَّ (الطَوْدَ) شَاةُ؟^{٢٢}
 إِذَا خَشَنْتَ لِحَنْبِكَ الصَّفَاةُ؟^{٢٣}

سوى ما كان يَلْتَقِطُ العُفَاةَ
 كِرَامٌ فِي بَرِيَّتِهِ، أُسَاةَ
 حَوَالِيهَا، وَتَقْعُدُ بَائِسَاتِ
 وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ هَنَاتٌ؟^{٢٤}
 وَلُوشِيَتِ العِدَاوَةَ وَالتَّرَاتِ
 عَلَى قَلْبِي الضَّغِينَةَ وَالشَّمَاتِ
 كَرِيمًا، لَا أَقْوَتُ كَمَا أَقَاتِ
 مَنَازِلُ فِي الحِفَاوَةِ لَا تُفَاتِ
 فَوَافَتْهَا بِشَمْسَيْنِ الغِدَاةِ
 تَوَافَى الجَمْعُ وَأَثْمَرَ السَّرَاةَ^{٢٥}
 كَمَا نَظَمْتُ مُقِيمِيهَا الصَّلَاةِ
 وَكَيْفَ تَرَعَرَعْتُ مَصْرُ الفَتَاةِ
 تَبَيَّنَتِ الرِّزَانَةُ وَالحِصَاةَ^{٢٦}
 وَهَمُّ بَكَ فِي الَّذِي تَقْضِي حُفَاةَ^{٢٧}
 أَشَارَ إِلَيْهِ حِلْمُكَ وَالأُنَاةِ
 لَكَ الكَلِمُ الكِبَارُ الخَالِدَاتِ؟
 فَأَذَانُ الشَّبِيبةِ صَادِيَاتِ؟^{٢٨}
 وَضَمٌّ عَلَى الإِخَاءِ لَهُمْ شَتَاتِ؟^{٢٩}
 عَسَى يَأْسُونَ مَا جَرِحَ الغُلَاةَ؟^{٣٠}
 وَفَرَّقَتِ الظَّنُونَ السَّيِّئَاتِ
 تَمَزَّقَتِ الرُّوَابِطُ وَالصَّلَاتِ
 عَلَى الأَيَامِ إِخْوَانُ ثِقَاتِ
 بَدَّتْ لَكَ فِي مَحَبَّتِهِ بَدَاةَ^{٣١}
 تُحِبُّبِهِ إِلَيْكَ التَّجْرِبَاتِ
 فبِعِضِّ المَوْتِ يَجْلِبُهُ السُّبَاتِ^{٣٢}
 وَنَحْنُ إِذَا مَشِينَا (السَّلْحَفَاةِ)
 وَعُدَّتْنَا الأَمَانِي الكَاذِبَاتِ

تَوَلَّى الكُلُّ، لَمْ يَنْفَعَكَ مِنْهُ
 عِبَادُ اللّهِ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ
 كَمَائِدَةِ المَسِيحِ، يَقُومُ بُؤْسُ
 أَخَذْتُكَ فِي الحَيَاةِ عَلَى هَنَاتِ
 فَصَفْحًا فِي التَّرَابِ إِذَا التَّقِينَا
 خُلِقْتُ كَأَنَّنِي (عَيْسَى)، حَرَامٌ
 يُسَاءُ إِلَيَّ أَحْيَانًا، فَأَمْضِي
 وَعِنْدِي لِلرِّجَالِ - وَإِنْ تَجَافَوْا -
 طَلَعْتُ عَلَى (النَّدِيِّ) بَعِينَ شَمْسِ
 عَلَى مَا كَانَ يَنْدُو القَوْمُ فِيهَا
 تَمَلَّكَهُمْ وَقَارُكَ فِي خَشُوعِ
 رَأَيْتَ وُجُوهَ قَوْمِكَ كَيْفَ جَلَّتْ
 أُجْبِلَ الرَّأْيَ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى
 وَأَنْتَ عَلَى أَعْنَئَتِهِمْ قَدِيرٌ
 إِذَا أَبْدَى الشَّبَابُ هَوَى وَرَهْوَا
 فَهَلَّا قَمْتَ فِي النَّادِي خَطِيْبًا
 تُفَجِّرُ حَكْمَةَ (التَّسْعِينَ) فِيهِ
 تَقُولُ: مَتَى أَرَى (الجِيرَانَ) عَادُوا
 وَأَيْنَ أُولُو النُّهَى مِنَّا وَمَنْهُمْ
 مَشَتْ بَيْنَ العَشِيرَةِ رُسُلُ شَرٍّ
 إِذَا الثَّقَةُ اضمحلتْ بَيْنَ قَوْمِ
 فَثِقُ، فَعَسَى الَّذِي ارْتَبَتْ فِيهِمْ
 وَرَبٌّ مُحَبَّبٌ لَا صَبَرَ عَنْهُ
 وَمَكْرُوهُ عَلَى أَخَذَاتِ ظَنٍّ
 بَنِي الأَوْطَانِ، هُبُّوا، ثُمَّ هُبُّوا
 مَشَى لِلْمَجِدِّ خَطْفَ البَرِقِ قَوْمٌ
 يُعِدُّونَ القُوَى بَرًّا وَبَحْرًا

هوامش

- (١) الشيات: جمع شية، وهي العلامة: يشبُّه يوم ممات رياض بيوم القيامة، ويشبُّه جنازته بأشراط وعلامات القيامة.
- (٢) الفلاة: الصحراء.
- (٣) العوالي: الرماح. والمرهفات: السيوف.
- (٤) نادى عين شمس: موضع المؤتمر الذي أقامه أعيان المسلمين ردًّا على المؤتمر الذي أقامه أعيان القبط في فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين، لا أعادها الله.
- (٥) يشير إلى أيام الثورة العراقية في مصر وإلى لون الحكم قبل تلك الثورة.
- (٦) الطبات جمع ظبة — بضم الظاء — حدُّ السيف.
- (٧) السَّرَاة — بضم السين —: جمع ساري، ولا يكون السرى إلا للمشي بالليل.
- (٨) يحيى: هو يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد.
- (٩) بسمرك: وزير ألماني ضُربَ مثلاً في الحنكة والمهارة والسياسة. والزماع: الذي يزعم الأمر في جرأة وإقدام ثم لا ينتهي.
- (١٠) المأمون: هو المأمون العباسي، ودجلة والفرات: نهران بالعراق.
- (١١) سمات: علامات.
- (١٢) الصافنات: الخيل.
- (١٣) يريد بالبروج: الطائرات.
- (١٤) العنان: الزمام، والسافيات: الرياح.
- (١٥) الرمس: القبر.
- (١٦) الترهات: جمع ترهة، بتشديد الراء مفتوحة، وهي الباطل.
- (١٧) اللهاة — بفتح اللام — اللحمة المشرفة على الحلق من أقصى الفم.
- (١٨) الموت الفوات: الموت المفاجئ.
- (١٩) القطاة: الحمام، أو طير يشبه الحمام، ويقصد بالحرم: الحرم المكي حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به.
- (٢٠) حماة: جمع حامٍ، وهو المدافع والمانع من العدوان، والحامي: الأسد لحمايته عرينه.
- (٢١) الحلمية: حيث كانت دار الفقيد. وقوله: «وكيف البيت حولك والبنت»: يسأله عن حاله في القبر وعن زاده هناك.

الشوقيات

- (٢٢) المحلة: محلة روح قرية في إقليم الغربية بمصر، حيث كانت توجد أملاك الفقيد الواسعة.
- (٢٣) الصفاة: الحجر والمقصود به هنا القبر.
- (٢٤) الهنات: جمع هنة، وهي الشيء الصغير، وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة في الجزء الأول من الشوقيات.
- (٢٥) يندو القوم: إذا اجتمعوا ليتشاوروا في ناديمهم. والسراة: جمع سري، وهو السيد الشريف.
- (٢٦) الحصة: العقل والرأي.
- (٢٧) الحفاة: جمع حفي، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء. قال الله تعالى ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾؛ أي سائل عنها باستقصاء.
- (٢٨) التسعين: هي مدة عمر الفقيد. وصاديات، أي ظامئات.
- (٢٩) الجيران: هم القبط والمسلمون في مصر.
- (٣٠) الغلاة: هم البالغون حد الإفراط في عقائدهم وآرائهم.
- (٣١) البداية، من قولهم: بدا لي في هذا الأمر بدءاً، أي ظهر لي فيه شيء.
- (٣٢) السبات: النوم، وأصله الراحة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سباتاً﴾.

عثمان باشا غالب^١

ضَجَّتْ؟ لمصرَع (غالب)
أَمَسْتُ (بتيجان) عليـ
قامت على (ساق) لغيد
في مأتمٍ تَلْقَى الطَّبِيعـ
وترى (نجومَ الأَرْضِ) من
والزَّهْرُ في (أَكمامه)
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ آ
أَمَّا مُصَابُ الطَّبِّ فِيـ
أُودَى الحِمَامُ بشيخهم
مُلْقِي الدُّرُوسِ المُسْفِرَا
قد كان حَزَبَ الظلمِ، حر
والمُسْتَضَاءَ بنوره
عَلِمُ الوَرَى في عِلْمه
قد كان فِيه محلٌّ
وَمَمْتَلُ المِصْرِيِّ فِي

في الأَرْضِ (مملكةُ النباتِ)
ه من الحِدَادِ مُنْكَسَاتِ^١
بته، وَأَقَعَدتِ الجهاتِ
ةً فِيه بينِ النَّائِحَاتِ
جَزَعِ مَوَائِدِ كاسفاتِ
يَبْكِي بدمعِ الغادياتِ
بَتَ بالخُدُودِ مُخَمَّشَاتِ^٢
ه فَسَلَّ به مَلَأَ الأَسَاةِ^٣
وَمآبهم فِي المِعْضَلَاتِ
تِ عن الغُرُوسِ المُثْمِرَاتِ
بَ الجَهْلِ، حَرَبَ التُّرَّهَاتِ
فِي الخَافِيَاتِ المِظْلَمَاتِ
فِي الغَرِبِ مُعْتَرِبِ الرُّفَاتِ
إِجْلالِ الجِهابِذَةِ الثَّقَاتِ
حِظَّ الشُّعُوبِ مِنَ الهِبَاتِ

^١ عثمان باشا غالب: كان طبيباً عظيماً وعالماً بالنبات يشار إليه بالبنان، توفي في باريس سنة ١٩٢٠.

قُلْ لِلْمُرَيْبِ: إِلَيْكَ، لَا
 إِنْ النُّوَابِغَ (أَهْلَ بَدْ
 هُمْ فِي عُلَا الْوَطَنِ الْأَدَا
 وَهُمْ الْأَلْيَ جَمَعُوا الضَّمَا
 لَهُمُ التَّجِلَّةُ فِي الْحَيَا
 (عَثْمَانُ)، قُمْ تَرَ آيَةً
 خَرَجَتْ بَنِينَ مِنْ الثَّرَى
 وَاسْمَعُ بِمِصْرِ الْهَاتِفِ
 وَالطَّالِبِينَ لِحَقِّهَا
 وَالْجَاعِلِيهَا قَبْلَةَ
 لَاقُوا أَبْوَتَهُمْ عَلَى
 حَتَّى الشَّبَابِ تَرَاهُمْ
 وَزَنُوا الرِّجَالَ، فَكَانَ مَا
 قَلَّ لِلْمُغَالِطِ فِي الْحَقَا
 الْفِكْرُ جَاءَ رَسُولُهُ
 عَيْسَى الشُّعُورِ إِذَا مَشَى

تَأْخُذُ عَلَى الْحَرِّ الْهِنَاتِ
 (ر) مَا لَهُمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ
 ةً فَلَا تَحُطُّ مِنَ الْأَدَاةِ
 ثَرَّ وَالْعِزَائِمُ مِنْ شَتَاتِ
 ةٍ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فِي الْمِمَاتِ
 اللَّهُ أَحْيَا (الْمُومِيَاتِ)
 وَتَحَرَّكَتْ مِنْهُ بَنَاتِ
 يَنْ بِمَجْدِهَا وَالْهَاتِفَاتِ
 بَيْنَ السَّكِينَةِ وَالثَّبَاتِ
 عِنْدَ التَّرْنِيمِ وَالصَّلَاةِ
 غُرَّ الْمِنَاقِبِ وَالصِّفَاتِ
 غَلَبُوا الشَّيُوخَ عَلَى الْأُنَاةِ
 أَعْطَوْا عَلَى قَدْرِ الزَّنَاتِ
 ثِقَ حَاضِرٍ مِنْهَا وَأَتِ
 وَأَتَى بِإِحْدَى الْمَعْجِزَاتِ
 رَدَّ الشُّعُوبَ إِلَى الْحَيَاةِ

هوامش

- (١) التيجان للنبات: هي أكاليل الثمار، كالأكمام.
- (٢) شقائق: جمع شقيقة، وهي الموضع ينبت الأعشاب، وشقائق النعمان موضع يعينه كثر فيه النبات المختلف الألوان والشيات، مرَّ عليه النعمان بن المنذر فأعجبه، فقال: هو لي، فلم يعد أحد يمسه، ومن ذلك سُمِّي شقائق النعمان، وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له: شقائق النعمان، والحدود في شقائق النعمان يقصد بها الورد، وتخميها: يعني لطمها أو قطعها..
- (٣) الملاء: الجماعة من الناس. والأساة جمع آسي: وهو الطبيب.
- (٤) أهل بدر: هم أول الغزاة مع محمد ﷺ، شبه النوايغ بهم، ووجه الشبه بينهما، هو سبق كل منهما لإحراز أسمى مراتب الشرف والرفعة. نقول: وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرًا فطن إليه قبل شوقي حيَّاه الله.

- (٥) الترنُّم: أحد ضروب العبادة في المسيحية، كالصلاة عند المسلمين.
- (٦) الزنات: جمع زنة (كعدة) وهي المرة من الوزن.

عبد الحي^١

وَعَدَتْ عَوَاطِلَ بَعْدِكَ الْأَفْرَاحُ^١
فِي مِصْرَ أَنْتَ هَزَارُهُ الصَّدَّاحُ^٢
يُغْدَى إِلَى أَفْيَائِهَا وَيُرَاحُ^٣
أَعْلِيهِ يُبْكِي، أَمْ عَلَيْكَ يُنَاحُ؟
أَوْدَى، فَلَيْسَ مَعَ الْغَبُوقِ فَلَاحُ^٤
قَدَرٌ يُزِيلُ الرَّاسِيَاتِ مُتَاحُ
وَمِنَ الْجَوَاهِرِ زَيْفٌ وَصِحَاحُ^٥
حَتَّى اسْتَبَدَّ بِهَا الرَّدَى الْمُجْتَاحُ
مَشَتْ الرِّيَاضُ إِلَيْهِ وَالْأَدْوَاحُ
قَعَدَتْ، وَهَيْضُ لَهَا الْغَدَاةُ جَنَاحُ
وَقَضَى فَتَاهَا الْأَجُودُ الْمِسْمَاحُ
جُرْحٌ فِي أَحْشَاءِ مِصْرٍ جِرَاحُ
وَبُكَ الشَّعُوبُ إِذَا النُّوَابِغُ طَاحُوا
سَيَّانِ صَوْتِكَ بَيْنَهُمُ وَالرَّاحُ^٦

طُوبَى الْبِيسَاطُ وَجَفَّتِ الْأَقْدَاحُ
وَانْفَضَّ نَادٍ بِالشَّامِ، وَسَامِرُ
وَتَقَوَّضَتْ لِلْفَنِّ أَطُولُ سَرْحَةٍ
وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنْتَ وَحِيدُهُ
(إِسْحَاقُ) مَاتَ، فَلَا صَبُوحَ، وَ(مَعْبُدُ)
مَلِكُ الْغِنَاءِ أَزَالَهُ عَن تَخْتِهِ
فِي التُّرْبِ فَوْقَ (بَنِي سُوَيْفٍ) يَتِيمَةُ
مَا زَالَ تَاجُ الْفَنِّ تِيَاهًا بِهَا
لَوْ تَسْتَطِيعُ كِرَامَةً لِمَكَانِهَا
رُحْمَاكَ (عَبْدُ الْحَيِّ)؛ أُمَّكَ شَيْخَةٌ
كُسِرَتْ عَصَاهَا الْيَوْمَ، فَهِيَ بِلَا عَصَا
اللَّهِ يَعْلَمُ، إِنْ يَكُنْ فِي قَلْبِهَا
وَالنَّاسُ مَبْكِيٌّ وَبَاكِ إِثْرُهُ
كَانَ النَّدَامَى إِنْ شَدَوْتُ وَعَاقَرُوا

^١ هو المرحوم عبد الحي المغني، ذاع صيته في مصر وجاوزها إلى الأقطار العربية حتى عدَّ وحيد عصره وإمام فنه. توفي سنة ١٩١٢م.

فِيما تَقول مُغْنِيًّا ومُحَدِّثًا
 فارقتَ دنيا أرهقتك حَسارةً
 يا مُخْلِفاً للوعد، وَعَدُّكَ مالِه
 عَبَّثتَ بِهِ وبِكَ المَنِيَّةُ، وانقضى
 لَمَّا بلغنا بالأجِبَّةِ والمنى
 زعموا نَعِيكَ في المِجامعِ مازِحًا
 الجِدُّ غايَةٌ كَلَّ لاهِ لاعِبِ
 رَمَتِ المَنايا إِذ رَمَيْتُكَ بُلْبُلًا
 آهاتُه حُرُقُ الغِرامِ، ولفظُه
 وَذَبَحَنَ حَنجَرَةً على أوتارها
 وفَلَلَنَ من ذاك اللسانِ حديدةً
 وأبْحَنَ راحَتَكَ البِلَى، ولطالما
 رُوحُ تناهتْ خِفَّةً فتخَيَّرتْ
 قُمُ غنٍّ وُلدانَ الجِنانِ وَحُورَها

تَتَنافَسُ الأَسْماءُ والأَرواحُ^٧
 وَغَنِمْتَ قُرْبَ اللهِ وَهُوَ رَبِّاحُ
 عِندي وَلا لَكَ في الضميرِ بَرِاحُ
 سَبَبٌ إِليه بِأَنسِنَا نَرِتاحُ
 بابُ السُرورِ تَغَيَّبَ المِفْتاحُ
 هَيِّهاتِ! في رَيِّبِ المَنونِ مِزاحُ
 عِنْدَ المَنِيَّةِ يَجْزَعُ المِفرَاحُ^٨
 أَرِداه في شَرِكِ الحِياةِ جِماحُ
 سَجَعُ الحَمامِ لَو أَنهِنَّ فِصاحُ
 تُؤسَى الجِراحُ، وَتُذَبِحُ الأَترَاحُ
 يَخشى لئِمْ بِأَسْها وَوقاحُ
 أَمسى عليها المالُ وَهُوَ مُباحُ
 نُزُلًا تَقاصِرُ دُونَهُ الأَشباحُ
 وَابعثَ صَداك فَكلُّنا أرواحُ

هوامش

- (١) طوي البساط: تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور.
- (٢) الهزار: طائر حسن الصوت، وهو فارسي، معرب هزاردستان.
- (٣) السرحة: الشجرة العظيمة. والأفياء: جمع فيء، وهو — من الشجر — الظل.
- (٤) إسحاق ومعبد: علمان على مغنيين. والصبوح: الشرب أول الصباح. والغبوق: الشرب بالعشي.
- (٥) دُفْنُ الفَقيدِ في بني سَويف وهي بلدة مشهورة بالقطر المصري. والجواهر الزائفة، هي ضد الجواهر الصادقة الصحيحة.
- (٦) الندامي: جمع نديم. وعاقروا: من المعاقرة، وهي شرب الراح. والراح: الخمر، يشبه صوته بالخمر؛ لأن كليهما مسكر.
- (٧) يقول: إن حديثه كان مثل غنائه. والمأثور عن عبد الحي أنه كان فكه الحديث النكتة.
- (٨) المفرح: كثير الفرح.

محمد ثابت باشا^١

مصرَ في مأتمٍ وحزنٍ شديد
مُنْتَهَى العَيْشِ مُرِّهِ والرَّغِيدِ
نَعَشَ كَهْلٍ تَلَاهُ نَعَشَ الْوَلِيدِ؟
حَيْطُ عَيْشٍ مُعَلَّقٌ بِالْوَرِيدِ^١
وَدَمٌ بَيْنَ جَرِيَّةٍ وَجُمُودِ
فِيهِ تَسْعِينَ حِجَّةً فِي صُعودِ
لِليالي، فَأَصْبَحَتْ مِنْ حَدِيدِ^٢
فَبَلُونَا الْوَزِيرَ عَبْدَ الْحَمِيدِ^٣
وَافَرَ الْقَسَمِ مِنْ لِسَانِ لَيْدِ
كَلٌّ أَوْ لَظْلُكُ الْمَمْدُودِ
إِنَّمَا أَنْتَ دَوْلَةٌ فِي فَقِيدِ
وَفُتُوحِ الْمُمْلَكِينَ الصَّيْدِ^٤
أَنْتَ أَدْرَى بِهِ وَحَالِ جَدِيدِ
وَإِذْكَرُ الْيَمْنَ فِي زَمَانِ سَعِيدِ^٥

سِرُّ أبا صالحٍ إلى الله وَاترك
هذه غايَةَ النّفوسِ، وهذا
هل ترى النَّاسَ فِي طَرِيقِكَ إِلَّا
إِنَّ أَوْهِي الخِيوطِ فيما بدا لي
مُضْغَعَةٌ بَيْنَ خَفَقَةٍ وَسُكُونِ
أَنْزَلُوا فِي الثرى الْوَزِيرَ، وَوَارَوْا
كَنْتِ فِيهَا عَلَى يَدٍ مِنْ حَرِيرِ
قَدْ بَلُونَاكَ فِي الرِّيَاسَةِ حِينًا
أَخَذًا مِنْ لِسَانِ فَارَسٍ قَسَطًا
فِي ظِلَالِ الْمَلُوكِ، تُذْنِي إِلَيْهِمْ
لَسْتَ مَنْ مَرَّ بِالْمَعَالِمِ مَرًّا
فَمُ فَحَدَّثْتَ عَنِ السَّنِينِ الْخَوَالِيِ
وَالَّذِي مَرَّ بَيْنَ حَالِ قَدِيمِ
وَصِفِ الْعَزَّ فِي زَمَانِ (عَلِيٍّ)

^١ هو أحد باشوات مصر الكبار، عاصر أكثر ولاية مصر من الأسرة العلوية، وتوفي سنة ١٩٠١ بعد أن عمّر حوالي تسعين عامًا.

كيف أُسْطولُهم على كل بحرٍ وسراياهُمُ على كلِّ بَيدٍ؟^٧
 قد تَوَلَّوْا وخَلَّفوكَ وِفِيًّا في زمانٍ على الوَفِيِّ شديداً
 فالْحَقَّ اليومَ بالكرامِ كَرِيماً وألْقَهُمَ بَيْنَ جَنَّةٍ وَخُلُودِ
 وتَقَبَّلْ وداعَ بَاكِ على فقـ دك، وافٍ لعهدك المحمود

هوامش

- (١) الوريد: شريان بكسر الشين، وهو عرق رئيسي في جسم الإنسان، يشبه العروق في جسم الإنسان بالخيوط؛ ليتوصل بذلك إلى إثبات ضرورة الضعف في الحياة وعدم بقائها.
- (٢) يد من حرير: كناية عن رفاهية العيش.
- (٣) بلونك في الرياسة: أي اختبارناك. والوزير عبد الحميد: هو عبد الحميد الكاتب المشهور.
- (٤) القسم: هو العطاء أو الحظ. ولبيد: شاعر عربي قديم. والغرض أن المرثي كان ملماً بالفارسية والعربية.
- (٥) الصيد جمع أصيد، وهو العزيز الجانب.
- (٦) يريد زمان محمد علي الكبير، ورفاهة العيش في زمن الخديو سعيد باشا.
- (٧) السرايا: جمع سرية – بالياء المشددة مفتوحة – وهي القطعة من الجيش لا يزيد عددها عن الأربعمئة. والبيد: جمع بيداء، وهي الصحراء.

محمد فريد بك^١

كلُّ حَيٍّ على المنية غادي
نهب الأولون قَرْنَا فقرْنَا
هل ترى منهم وتسمع عنهم
كُرَّةُ الأَرْضِ كم رَمَتْ صَوْلَجَانَا
والغبارُ الذي على صفحاتيها
كلُّ قبرٍ من جانب القفر يبدو
وزمَامُ الرُّكَابِ من كلِّ فَجٍّ
تطلع الشمسُ حيث تطلع نَضْحَا
تلك حمراءُ في السماء، وهذا
ليت شعري تعمَّدَا وأصرَا
كذب (الأزهران)؛ مالأمرُ إلاَّ
يا حَمَامًا ترنَّمتْ مُسْعِدَاتِ
ضاق عن نُكْلِهَا البُكَاءُ، فتغنَّتْ

تتوالى الركابُ والموتُ حادي^١
لم يَدُمُ حاضرٌ، ولم يَبْقُ بادي^٢
غيرَ باقي مآثرٍ وأيادي؟^٣
وطوَتْ من ملاعبٍ وجِيادِ
دَوْرَانُ الرَّحَى على الأجسادِ^٤
عَلِمَ الحقُّ، أو منارَ المعادِ
ومَحَطُّ الرِّحَالِ من كل وادي
وتَنَحَّى كِمِنْجَلِ الحَصَادِ^٥
أعوجُ النَّصْلِ مِنْ مِرَاسِ الجِلَادِ
أم أعانا جناية الميلاذِ
قَدَرٌ رائِخٌ بما شاء غادي^٦
وبها فاقَّةٌ إلى الإسعادِ^٧
رُبَّ نُكْلٍ سَمِعْتَهُ من شادي^٨

^١ محمد بك فريد: الرئيس الثاني للحزب الوطني، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدًا، بذلها إلى آخر درهم في سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان، وظل يجاهد إلى أن مات معدمًا فقيرًا في سنة ١٩٢٠، محكومًا عليه بالنفي والتشريد، حيث لم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلا ميتًا.

سابقُ الإلفِ، أو مُلاقِي انفراد
 إن فهمَ الأمورِ نصفُ السَّدادِ
 من هِناءٍ، وفِرْقَةٌ من وِدادِ
 لِي، ويُمشَى لورِدها في القَتَادِ^٩
 أَجَلٌ لا يَنامُ بِالْمِرْصادِ
 رَ من سَهْمِه على ميعادِ^{١٠}
 مَوْكِبُ الموتِ مَوْضِعُ الاتِّدادِ^{١١}
 باطلٌ غيرَ هذه الأَعوادِ
 تنقلُ العالَمينَ من عهدِ عادِ
 منذ كانت ولا على الأَجِيادِ
 تحْتها من ذخيرَةٍ وَعَتادِ؟
 وَحَواريِّ نِيَّةٍ واعتقادِ^{١٢}
 وحدها بالشهيدِ دارَ الرِشادِ
 حاسراً قد تجلَّلتْ بسوادِ؟
 راعها أن تراه في الأصْفادِ
 في سبيلِ الحقوقِ نضوُ سَهادِ^{١٣}
 كان للحَشْدِ، والنَدَى، والطَّرادِ
 لم يَدِنَ بالقرارِ في الأَعْمادِ
 وانْتَهتْ مِحْنَةٌ، وكَفَّتْ عوادِي^{١٤}
 وشَفَى من أصادِقِ وأَعادي
 غايَةُ القربِ أو قُصارَى البِعادِ
 وافقدِ العمرَ لا تَوَبُّ من رُقادِ
 في قديمٍ من الحديثِ مُعادِ
 سِ، ومعناه في صدور الصَّعادِ^{١٥}
 كتحلِّي القتالِ باسمِ الجهادِ
 وقيامًا على حقوقِ العبادِ؟^{١٦}
 ففى، وحلَّ الملوِكُ بالزُّهادِ

الأَناءَةُ الأَناءَةُ؛ كُلُّ أَلْيِفِ
 هل رَجَعْتُنَّ في الحياة لِفَهْمِ؟
 سَقَمٌ من سلامةٍ، وعزاءُ
 يُجَنِّتَنِي شَهدُها على إِبِرِ النَحـ
 وعلى نائِمِ وَسَهْرانِ فيها
 (لُبْدٌ) صادَه الرَدَى، وأظنُّ النَّسـ
 ساقَةَ النَّعْشِ بالرئيسِ، رُوَيْدًا
 كُلُّ أَعوادِ مَنبِرِ وسريرِ
 تستريحُ المِطِيّ يَوْمًا، وهذي
 لا وراءَ الجِياذِ زِيدتْ جِلالاً
 أسألتم حَقِيبَةَ الموتِ: ماذا
 إنَّ في طَيِّها إِمامَ صُفوفِ
 لو تركتم لها الرِّمامَ لجاأتِ
 انظروا، هل تَرَوْنَ في الجَمعِ مصرًا
 تاجُ أحرارِها غُلامًا وكَهلاً
 وسُدُوهُ الترابَ نضوُ سِفارِ
 واركزوه إلى القِيامَةِ رُمحًا
 وأقروهُ في الصَّفائِحِ عَضْبًا
 نازِحِ الدارِ، أَقصرَ اليومَ بَيْنُ
 وكفى الموتُ ما تخافُ وترجو
 مَنْ دنا أو نأى فَإِنَّ المِنايا
 سِرٌّ مَعَ العِمْرِ حيثُ شَتَّتَ تَنُّوبا
 ذلك الحِقُّ لا الذي زعموه
 وجرى لفظُهُ على ألسِنِ النِّبا
 يَتَحلَّى به القويُّ ولكنْ
 هل تَرى كالترابِ أَحسَنَ عدلاً
 نزلَ الأَقوياءُ فيه على الضُّعفِ

صفحات نَقِيَّةٌ كقلوب الرُّسُـ
 قُمْ إِنْ اسْطَعْتَ مِنْ سَرِيرِكَ، وانظر
 هل تَرَاهِمُ وَأَنْتَ مُوفٍ عَلَيْهِم
 أُمَّةٌ هُيِّئَتْ وَقَوْمٌ لَخَيْرِ الدَّهْرِ
 مصرُ تبكي عليك في كل خِذْرِ
 لو تَأَمَّلْتَهَا لِرَاعِكَ مِنْهَا
 مُنْتَهَى ما به البلادُ تُعَزَّى
 أُمَّهَاتٌ لا تحملُ التُّكْلَ إِلَّا
 (كفريد)، وأين ثاني فريد؟
 الرئيسِ الجوادِ فيما علمنا
 أَكَلْتُ مالَهُ الحَقوقُ، وأبلى
 لك في ذلك الضَّنَى رِقَّةُ الرو
 عِلَّةٌ لم تَصِلْ فِرَاشَكَ حتَّى
 صادفتُ قُرْحَةً يُلائمها الصب
 وعدَ الدهرُ أن يكون ضِمادًا
 وإذا الرُّوحُ لم تُنْفَسْ عن الجسـ

لِ، مَغسولَةٌ مِنَ الأَحقادِ
 سِرٌّ ذاك اللِواءِ في الأَجنادِ
 غيرَ بُنْيَانِ الأُفَّةِ واتِّحاد؟^{١٧}
 رِ أو شرِّه على استعداد
 وتَصوِّغُ الرِثاءِ في كل نادي
 غُرَّةُ البرِّ في سَوادِ الحِدادِ
 رَجُلٌ مات في سبيلِ البلادِ
 للنَّجيبِ الجريءِ في الأَولادِ
 أيُّ ثانٍ لواحدِ الآحادِ؟
 وبلونا وابنِ الرئيسِ الجوادِ؟
 جِسْمُهُ عائدٌ من الهَمِّ عادي
 ح، وخَفَقَ الفِوادِ في العُوادِ
 وِطِئَتْ في القلوبِ والأَكبادِ
 رُ، وتَأبَى عليه غيرَ الفسادِ
 لك فيها، فكان شرًّا ضِمامِ
 م (فبقراط) نافخُ في رَمادِ^{١٨}

هوامش

- (١) الحادي: هو الذي يغني للقافلة فتتنشط في مسيرها.
- (٢) الحاضر: ساكن الحضر، والبادي: ساكن البادية.
- (٣) الأيادي: جمع يد، ويقصد باليد، العطية أو الصنيعة، ولا تجمع اليد على أيادي إلا بهذا المعنى، فإذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل: أيدي.
- (٤) المفهوم من المقام أن الرحي المقصودة هي رحي المنون، فاكتفى بتعريفها بأل. كأنه يقول: الرحي المعهودة.
- (٥) قوله: وتنحى كمجل الحصاد، أي هلالاً شكله كالمنجل في اعوجاجه.
- (٦) الأزهران: الشمس والقمر.
- (٧) الإسعاد: الإعانة، تقول: أسعدني على كذا، أي أعني عليه.
- (٨) الثكل هنا: بمعنى الحزن. والشادي: المغني.

(٩) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبرة..

(١٠) لبد، بضم اللام وفتح الباء: علم على آخر نسور لقمان، زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر، كان آخرها النسر المسمى: لبد، أمّا قوله «وأظن النسر» فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر، وإنما يقصد أحد الكواكب في السماء معروفاً باسم النسر، يقول إن لكل كائن سهم من المنية مقدور.

(١١) ساقاة الجيش أو ساقاة النعش: هم السائرون في المقدمة. والاتئاد: بمعنى الترفُّق والتمهُّل.

(١٢) الحواري: مفرد الحواريين، وهم الصفوة المختارة من الصحاب.

(١٣) النضو: المهزول الجسم.

(١٤) عوادي الدهر: عوائقه.

(١٥) الصعاد: الرماح.

(١٦) يقول: إنه لم يجد الحق خالصاً في هذه الأرض إلا للقوة، ولم يجد العدل كاملاً إلا في التراب، حيث يسوّى الأقوياء بالضعفاء، والطامعين بالقانعين.

(١٧) يشير هذا البيت إلى حقيقة تاريخية، هي أن عودة الفقيه ميثاً كانت في زمن اتحاد الأمة المصرية جميعاً على طلب الاستقلال التام، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ.

(١٨) بقراط: هو أبو الطب، كما يقولون.

البنون والحياة الدنيا^١

الضلوعُ تَتَّقِدُ والدموعُ تَطَّرِدُ
أَيُّهَا الشَّجِي، أَفُقُ من عَنَاءِ ما تجد
قد جَرَّتْ لَهَايَتِهَا عَبْرَةٌ لَهَا أَمَدُ
كُلُّ مُسْرِفٍ جَزَعًا أو بُكِي؛ سَيَقْتَصِدُ
وَالزَّمَانُ سُنَّتُهُ في السَّلُوِّ يَجْتَهِدُ
قل لثَاكِلَيْنِ مَشَى في قَوَاهِمَا الكَمَدُ
لم يُعَافَ قَبْلَكُمَا والدُّ، ولا وَكَدُ
الذِينَ مِيلَ بِهِم في سَفَارِهِم بَعْدُوا
ما علمنا أَشْقُوا بالرحيلِ أَمْ سَعِدُوا؟
إِنْ مِنْزَلًا نَزَلُوا لا يَرُدُّ مَنْ يَرِدُ
كَلْنَا إِلَيْهِ غَدًا ليس بالبعيدِ غَدُ
البنونَ هم دَمْنَا والحياةُ والوُرْدُ
لا تَلَدُّ مِثْلَهُم مُهَجَّةٌ، ولا كَبِدُ
يَسْتَوونَ وَاوَدَّهُم — في الحنانِ — وَالْعَدَدُ

^١ نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزيةً للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل «بك» في فقد وحيده سنة ١٩٣٥.

زينةً، ومصالحةً
 فتننةً إذا صلحوا
 شاغلٌ إذا مرضوا
 جرحهم إذا انتزعوا
 العزاء ليس له
 قـل (لهيكل) كـلماً
 لم يشب مهذبها
 قد عـجبت من قـلم
 أنت ليث معركة
 والسيوف نخوتها
 أنت ناقد أرب
 ما تقول في قدر
 وهو في الحياة على
 يعثر الأنام به
 ينزل الرجال على
 القضاء مفضلة
 كلما نقضت لها
 أتعبت معالجها
 عالم مدبره
 من بلى كوائنه
 لا تقل به إدد
 تلتقي نقائضه
 الفناء فيه يد
 اتلافه رشد
 جد في عمارته
 والغنى لخدمته
 وهو في أعنته
 واستراحةً، ودد^٢
 مـحنةً إذا فسدوا
 فاجعٌ إذا فـقدوا
 لا تـلمه الضمـد
 آسـياً، ولا الجـد
 من ورائها رـشد
 باطلٌ ولا فـند^٣
 ثاكلٍ وينـجرد
 وهو صارم فرـد
 في الوطيس تتقد
 والأريب ينتقد
 بعض سنه الأبد؟
 كل خطوة رـصد
 إن سـعوا، وإن جـدوا
 حـكمه وإن جـدوا
 لم يحلها أحد
 عـقده بدت عـقد
 واستراح مـتقد
 بالبقاء مـنفر
 كائناته الجـد
 إن حـسنه الإدد
 غايةً وتـجد
 للبقاء أو عـد
 واختلافه سـدد
 مـنصف ومضطهد
 كالفقير محتـد
 مـمعن ومطرد

البنون والحياة الدنيا

والحياةُ حَنْظَلَةٌ في حروفها سُهدُ
هَيْكَلُ الشَّقَاءِ لَهُ من مَدَامِحِ عَمَدِ
قامت النعوش على جانبَيْهِ وَالْوُسْدِ
عُرْسُهُ وَمَأْتَمُهُ غايتُهُمَا نَفْدُ

هوامش

- (١) الورد: جمع وريد، كبريد وبرد.
- (٢) الدد — بالفتح — اللهو واللعب.
- (٣) الفند: هو الكذب.
- (٤) الوطيس: الحرب.
- (٥) الإدد — جمع إداة، بالكسر — وهي الداهية.

ثروت باشا^١

يموت في الغابِ أو في غيره الأسدُ
قد غَيَّبَ الغربُ شمسًا لا سَقَامَ بها
حدا بها الأَجَلُ المحتومُ فاغترَبَتْ
كلُّ اغترابٍ مَتَاعُ في الحياةِ سوى
نعى الغمامِ إلى الوادي وساكنه
برقُ الفجیعةِ لَمَّا ثار ثائره
قام الرجالُ حيارى مُنصتين له
علا الصعيدَ نهارًا كُلُّه شَجْنُ
لم يُبَقِّ للضحاكين الموتُ ما وجدوا
وراءَ رَيِّبِ الليالي أو فُجَاءَتِهَا
باتت على الفُلكِ في التابوتِ جَوْهَرَةٌ
يُفَاخِرُ النِيلُ أصدافَ الخليجِ بها

كُلُّ البلادِ وسادٌ حينَ تُتَسَدُّ^١
كانت على جَنَبَاتِ الشرقِ تَتَّقِدُ
إن النفوسَ إلى أَجالِها تَفِدُ
يومُ يُفَارِقُ فيه المُهَجَّةَ الجسدُ
برقٌ تمايلَ منه السهلُ والجلدُ
كادت كَأَمْسٍ له الأحزابُ تَتَّجِدُ
حتى إذا هَدَّ من آمالهم قعدوا
وجلَّ الريفُ ليلٌ كُلُّه سُهْدُ
ولم يَرُدَّ على الباكين ما فقدوا
دَمٌ لكلِّ شَمَاتٍ ضاحِكٍ رَصَدُ^٢
تكادُ بالليلِ في ظلِّ البِلَى تَقْدُ^٣
وما يدبُّ إلى البحرینِ أو يَرِدُ

^١ هو المغفور له عبد الخالق ثروت باشا، كان زعيمًا وطنيًا عظيمًا، وسياسيًا إداريًا خطيرًا، تولى رئاسة الحكم في البلاد أكثر من مرة، وظفر من السياسة الإنجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير، وقد سافر إلى أوروبا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر، فلم يمهل الموت، فقاضى بفرنسا في سنة ١٩٢٨، وجيء به ميتًا، وكان بينه وبين أمير الشعراء صداقة حميمة، ومودة قديمة، ظهر أثرهما في هذه المرثية، التي تقرؤها فتحسُّ رجوعها يعود إليك من أعماق الخلود.

ما يَقْذِفُ المَهْدُ، لا ما يَقْذِفُ الزَّبْدُ
 كأنها في الأَكْفِ الصَّارِمِ الفَرِدِ
 على السرير، ومن رُمِحَ الحِمَى قَصْدٌ
 مُقَدَّمٌ كِلِوَاءِ الحَقِّ مُنْفَرِدِ
 كما تَدَلَّهَتِ التُّكْلَى، وَتَفْتَقِدُ
 كأنهم من هَوَانِ الخُطْبِ ما وُجِدُوا
 هي النجابهُ في الأولاد، لا العَدِ
 عودٌ من الهامِ يَحويه ولا نَضْدٌ
 من الصنائعِ أو أعناقهم سَنَدٌ
 وحلٌّ فيه الهدى والرفقُ والرَّشْدُ
 جندُ السلام، ولا قُوَادِهِ المُجْدِ
 عن البناءِ، ولم يصرفه مُنْتَقِدِ
 في ثورَةٍ تَلِدُ الأَبْطالَ أو تَبْدُ
 يدنو على مثلها، أو يبعد الأمدِ
 من الفياصل، ما في دينه أودِ
 ومَلَّ طُولَ النُّضالِ الذَّنْبِ والنَّقْدِ
 حتى تَفْتَحَتِ الأبوابُ والسُّدَدِ
 إنَّ السِّيَاسَةَ فيها الصَّيْدُ والطَّرْدِ
 يمشي إلى الصيدِ تحتَ العاصفِ الأسدِ
 يداك للقوم ما نُمُوا وما حمدوا
 نُبِنَى مِنَ الصَّخْرِ الآسَاسِ والعُمْدِ
 وفيه سَعْيٌ مِنَ الآبِاءِ مُطَّرِدِ
 على أَسْنَتِها الإِحسانُ والسَّدَدِ
 لولا المنيَّةُ ما مالوا، ولا رقدوا
 حتى تَزْعَزَعَ من أسبابه الوتدِ
 حَمايَةُ اللهِ، فَاسْتَذَرَى بها البَلدِ
 ما شِيدَ للحقِّ فَهُوَ السَّرْمَدُ الأَبَدِ

إنَّ الجواهرَ أَسْناها وأَكرَمُها
 حتى إذا بلغَ الفلكُ المَدَى انْحَدَرَتْ
 تلكَ البقيَّةُ من سيفِ الحِمَى كِسْرٌ
 قد ضَمَّها فزكا نَعشُ يُطافُ به
 مشَتْ على جانبيه مصرٌ تَنشُدُه
 وقد يموتُ كثيرٌ لا تُجسُّهُمُ
 تُكَلُّ البلادُ له عقلٌ، ونكبتُها
 مُكَلَّلُ الهامِ بالتصريحِ، ليس له
 وصاحبُ الفضلِ في الأعناقِ ليس له
 خلا من المِدْفَعِ الجَبَّارِ مَرَكِبُه
 إنَّ المَدافِعَ لم يُخَلِّقْ لُصْحَبَتِها
 يا بانيِ الصرحِ لم يَشغَلْهُ مُمتِدِحُ
 أصمٌ عن غضبٍ مِنْ حَوْلِهِ وَرِضَى
 تصريحُكُ الخَطوَةَ الكَبْرَى ومرحَلَةٌ
 الحَقُّ والقوَّةُ ارتدَّا إلى حَكَمِ
 لولا سِفارتُكَ المَهديَّةُ اختصما
 ما زِلْتِ تَطْرُقُ بابَ الصلحِ بينهما
 وَجَدْتِها فرِصَةً تُلقِي الحِبالَ لها
 طَلَبْتِها عِنْدَ هُوجِ الحادِثاتِ كما
 لَمَّا وَجَدتِ مَعَدَّاتِ البِنائِ بِنْتِ
 بَنيتِ صَرحَكَ من جُهدِ البلادِ، كما
 فيه ضحايا من الأَبْنائِ قَيمَةٌ
 وفي أواسِيهِ أَقلامٌ مُجاهِدَةٌ
 وفيه أَلويَّةٌ عَزَّ الجِهادُ بهم
 رَمِيتِ في وَتِدِ الذلِّ القَدِيمِ به
 طوى حِمائَتَهُ المَحْتَلُّ، وانْبَسَطَتْ
 نَمَ غَيْرِ باكِ على ما شِدَّتْ من كَرَمِ

للناس أنك كنز في الثرى بَدَد^{١٢}
 ولا استخفك لين العيش والرغد
 ترجو فتقديم، أو تخشى فتتبدد
 يدور حيث تدور المجد والحسد
 وما ليومك يا خير اللدات غد
 منية ما لها قلب، ولا كيد
 أزكى من الورد، أو من مائه الورد^{١٣}
 فيه الصديق وفيه الأهل والولد
 منك الدهاء ورأي منقذ نجد
 شجاه ذاك الحنان الساكن الهمد؟
 لم يبك من آدم أحبابه أحد
 مدينة النور، فارتدت بها رمد^{١٤}
 للعلم حولك عين لم تنم ويد
 إليك تحمل تسليمي، ولا برد^{١٥}
 في مجلس الراح والريحان تحشد
 كما تحدر حول السوسن البرد^{١٦}
 ود من الصغر المعسول منقذ
 ولا تغير في أبياتها الشهد
 حادثة تعد الأوطان ما تعد
 يا ليت شعري هل قلت الذي أجد؟^{١٧}

يا (ثروة) الوطن الغالي، كفى عظة
 لم يطعك الحكم في شتى مظاهره
 تغدو على الله والتاريخ في ثقة
 نشأت في جبهة الدنيا، وفي فمها
 لكل يوم غد يمضي بروعته
 رمتك في قنوات القلب فانصدعت
 لما أناخت على تامورك انفجرت
 ما كل قلب غدا أو راح في دمه
 ولم تطاولك خوفًا أن يناضلها
 فهل رثى الموت للبر الذبيح؟ وهل
 هبّات! لو وجدت للموت عاطفة
 مَشَتْ تَدُوّ المنايا عن وديعتها
 لو يذفع الموت ردّت عنك عادية
 «أبا عزيز» سلام الله، لا رسل
 ونفحة من قوافي الشعر كنت لها
 أرسلتها وبعثت الدمع يكنفها
 عطفك فيك إلى الماضي، وراجعي
 صاف على الدهر لم تقفر خليته
 حتى لمحتك مرموق الهلال على
 والشعر دمع، ووجدان، وعاطفة

هوامش

- (١) هذا المطلع يشير إلى موته بفرنسا.
- (٢) رصد: بمعنى مترقب.
- (٣) يشير إلى مجيئه من أوروبا في نعش على الباخرة. وتقد: تضيء.
- (٤) يريد بالخليج: الخليج الفارسي. وبالبحرين: مجموعة جزر عربية بالقرب من الشاطئ الغربي للخليج الفارسي، وعندها يصاد اللؤلؤ.
- (٥) القصد — بكسر القاف —: جمع قصدة — بكسرهما أيضًا هي القطعة مما يكسر، ويقال: رمح قصد، بكسر الصاد: أي منكسر.

(٦) التدلُّه: زهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما، وقوله: «تفتقد» من قولهم: وفي الليلة الظلماء يفقد البدر.

(٧) العود هنا: هو السرير، النضد — محرّكة الضاد — ما نضد من متاع والسرير ينضد عليه، كأنه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسي في تصريح ٢٨ فبراير، كيف لا يحويه ميئاً سرير متخذ من الهام أو منضد بها، حتى يكون الجزاء من جنس العمل، ومن هذا النحو يقول البيت التالي: «صاحب الفضل في الأعناق ... إلخ».

(٨) يريد بالثورة: ثورة مصر سنة ١٩١٩، والوَأد: دفن الأحياء، يريد أنه كان يعمل في بناء صرح الوطن، بدون رغبة في مدح، أو خوف من ذم، في شجاعة لا تخاف الثورة، وهي لا عقل لها.

(٩) النقد: جنس من الغنم قبيح الشكل، من الهزال أو غيره.

(١٠) الطرد: مطاردة الصيد.

(١١) الأواسي: جمع آسية، وهي من البناء: المحكم الدعامة، والسدد: بمعنى السداد،

أي الصواب.

(١٢) البدد: المتفرق.

(١٣) التامور: القلب. والورد، جمع وريد: العرق في الجسم.

(١٤) مدينة النور: تطلق في هذا العصر على باريس.

(١٥) البرد: جمع بريد.

(١٦) السوسن: نوع من الزهر، والبرد: هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج.

(١٧) أي هل قلت الذي يجيش في وجداني؟

عبد العزيز جاويش^١

أصاب المجاهدُ عُقْبَى الشهيد
وأَمسى جَمادًا عدُوَّ الجمودِ
حَداه السُّفَارُ إلى مَنزِلِ
فَقَرَّ إلى موعِدِ صادقِ
وبات الحَواريُّ من صاحِبِيهِ
تَسَرَّبَ في مَنكَبِي (مصطفى)
فيا لَكَ قَبْرًا أَكَنَّ الكَنوزَ
لقد غَيَّبوا فيكَ أَمْضى السِيوفِ
ثَلَاثُ عَقائِدَ في حَفرةِ
قَعَدْنَ فِكُنَّ الأساسَ المَتينَ
فلا تَنسَ أَميسَ وآلاءَهُ
ولولا البَلَى في زوايا القُبورِ
ومَنْ طَلَبَ الخُلُقَ من كَنزِهِ
وَألقى عَصاهُ المِضافُ الشَّريدِ
وباتَ على القيدِ خَصْمُ القيودِ
يلاقِي الخَفيفَ عليه الوئيدِ
مُعزُّ اليَقينِ مُذِلُّ الجُحودِ
شَهِيدَيْنِ أُسْرَى إِلَيْهِم شَهِيدِ
كأَميسَ، وبيْنَ ذِراعِي (فريد)^١
وساخَ الحَقوقَ، وحاطَ العُهودِ
فهل أنتِ يا قَبْرُ أوفى الغُمودِ؟
تَدُكُ الجِبالَ، وتُوهي الحَديدِ
وقامَ عليها البِناؤُ المَشِيدِ
ألا إنَّ أَميسَ أساسُ الوجودِ^٢
لما ظَهَرَتْ جِدَّةٌ لِلْمُهودِ
فإنَّ العَقيدةَ كَنزٌ عَتيدِ

^١ هو الشيخ عبد العزيز جاويش، أحد السابقين في خدمة القضية المصرية، كان زعيمًا سياسيًا دينيًا عظيمًا، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة، ومصر وتركيا خاصة، ثم حُكِمَ عليه بالنفي والتشريد مدة طويلة، ثم عاد إلى مصر ولم يلبث إلا بضع سنين، ومات في سنة ١٩٢٩، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل في الفصاحة والقوة في وقتها.

جَلِيدُ الرَّجَالِ، وَغَيْرُ الْجَلِيدِ
 لَقَدْ أَنْ يَسْتَرِيحَ الطَّرِيدِ
 وَمَا كَالسِّيَاسَةِ دَاهٍ يَكِيدُ^٢
 قُ، وَجَاوَزَتِ الْمَسْتَطَاعَ الْجُهُودِ
 رِ، وَغُرِّبَتِ مِثْلَ الْجُمَانِ الْفَرِيدِ
 نَبِيَّةَ الْمَكَانَةِ، جَمَّ الْعَدِيدِ؟^٤
 رَبِّ الرَّيْفِ، وَافْتَنَّ فِيكَ الصَّعِيدِ
 وَرَاحَ الثَّرَى مِنْ زِحَامِ يَمِيدِ
 وَتُنْسَى رَسَائِلَ عَبْدِ الْحَمِيدِ
 وَيَحْفَظُهَا النَّشْءُ حِفْظَ النَّشِيدِ
 وَطَوَّلَ الْمَدَى، وَانْتَقَلَ الْجُدُودِ؟^٥
 فَهَلْ لِأَحَادِيثِهِ مِنْ مُعِيدِ؟
 وَلِلتَّرْكِ؟ مَا شَأْنُهُ وَالْهَنُودِ؟
 مِنَ الْمَسْلَمِينَ وَهَمَّ الْبَعِيدِ؟
 مِنَ الْمَسْلَمِينَ إِمَامٌ رَشِيدِ؟
 وَلَى الْقَدِيمِ نَصِيرَ الْجَدِيدِ؟
 فَلَمْ يَغْدُ هُدَى الْكِتَابِ الْمَجِيدِ
 وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ أَهْلَ الْجُحُودِ
 دَعَاةً تُغْنِي، وَرُسُلًا تُشِيدِ
 رُءُوفَ الْفُؤَادِ، رَحِيمُ الْوَرِيدِ^٦
 أَوْ الْعِلْمَ تَحْتَ ظِلَالِ (الرُّشِيدِ)^٧
 وَيَدْرِكُهُمْ فِي زَوَايَا اللُّحُودِ
 وَجَامِلَهُمْ فِي الْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
 وَكَفَكَفَ بِالْعَطْفِ دَمْعَ الْوَلِيدِ
 يُعِيرُ التَّرَابَ رَفِيفَ الْوُرُودِ
 وَهَلْ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ بَرِيدِ؟
 وَمَا ضِ يُطِيفُ، وَدَمْعُ يَجُودِ

تَعَلَّمَ بِالصَّبْرِ، أَوْ بِالثَّبَاتِ
 طَرِيدَ السِّيَاسَةِ مِنْذُ الشَّبَابِ
 لَقَبَتِ الدَّوَاهِيَّ مِنْ كَيْدِهَا
 حَمَلَتْ عَلَى النَّفْسِ مَا لَا يَطَا
 وَقَلَّبَتِ فِي النَّارِ مِثْلَ النَّضَا
 أَتَذْكَرُ إِذْ أَنْتَ تَحْتَ (اللَّوَاءِ)
 إِذَا مَا تَطَلَّعْتَ فِي الشَّاطِئِينَ
 وَهَزَّ النَّدِيَّ لَكَ الْمُنْكَبِينَ
 رَسَائِلَ تُذَرِّي بِسَجْعِ الْبَدِيعِ
 يَعْجِبُهَا شَيْوُخُ الْجَمِيِّ كَالْحَدِيثِ
 فَمَا بِأَلْهَا نَكَّرَتْهَا الْأُمُورُ
 لَقَدْ نَسِيَ الْقَوْمُ أَمْسَ الْقَرِيبِ
 يَقُولُونَ: مَا (لَأَبِي نَاصِرٍ)
 وَفِيمَ تَحَمَّلَ هَمَّ الْقَرِيبِ
 فَقُلْتُ: وَمَا ضَرَّكُمْ أَنْ يَقُومَ
 أَتَسْتَكْثِرُونَ لَهُمْ وَاحِدًا
 سَعَى لِيُوَلِّفَ بَيْنَ الْقُلُوبِ
 يَشُدُّ عُرَا الدِّينِ فِي دَارِهِ
 وَلِلْقَوْمِ حَتَّى وَرَاءَ الْقَفَارِ
 جَزَى اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمُحْسِنِينَ
 كَأَنَّ الْبَيَانَ بِأَيَّامِهِ
 يُدَاوِي نَدَاهُ جِرَاحَ الْكِرَامِ
 أَجَارَ عِيَالِكَ مِنْ دَهْرِهِمْ
 تَوَلَّى الْوَالِدَةَ فِي يُتَمِّهَا
 سَلَامٌ (أَبَا نَاصِرٍ) فِي التَّرَابِ
 بَعُدَتْ وَعَزَّ إِلَيْكَ الْبَرِيدُ
 أَجَلٌ؛ بَيْنَنَا رَسُلُ الذِّكْرِيَاتِ

وفكرٌ وإن عقلتُه الحياةُ يَظَلُّ بوادي المنايا يَروُدُ^٨
أَجَلٌ؛ بيننا الخُشْبُ الدائِبَاتُ وإن كان راكِبُها لا يَعودُ
مضى الدهرُ وهَيَ وراءَ الدموعِ قيامٌ بِمُلْكِ الصَّحارى قُعودُ
وكم حملتُ من صَدِيدِ يَسِيلُ وكم وَضَعْتُ من جِناشِ ودُودِ
نَشَدْتُكَ بالموتِ إِلا أَبْنَتَ أَأنتِ شَقِيٌّ بِهِ أُمُّ سَعِيدِ؟
وكيف يُسَمَّى الغَريبَ امرؤُ نَزِيلُ الأَبُوَّةِ، ضَيْفُ الجُدودِ؟^٩
وكيف يُقال لجارِ الأوائِ لِ جَارِ الأواخِرِ: ناءٍ وَحيدِ؟

هوامش

- (١) هو مصطفى كامل الزعيم الوطني الأول، وفريد: هو محمد فريد الزعيم الوطني الثاني، وكانا صاحبي الفقيه في المبدأ والجهاد.
- (٢) الآلاء: النعم.
- (٣) الداهي: هو الذي يأتي بالداهية، وهي الأمر العظيم.
- (٤) كان الفقيه محرر جريدة اللواء في عهدها الأول.
- (٥) الجدود هنا: بمعنى الحظوظ.
- (٦) هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر، حيث تعطف على أبناء الفقيه ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن؛ فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة.
- (٧) هو هارون الرشيد، وقد اعتز العلم والأدب في عهده اعتزازاً كبيراً.
- (٨) يرود: أي يبحث ويكتشف.
- (٩) يقول: إن الميت ينزل في التراب ضيفاً على آبائه وجدوده، إذن فليس يصح أن نعتبره غريباً ولا وحيداً.

تعزية ورثاء^١

كأسٌ مِنَ الدنِيا تُدازُ
الليلُ قِوَامٌ بها
وحبا بها الأعمارُ، لم
شربِ الصبِيِّ بها، ولم
وحسا الكرامُ سُلَافَها
وأصاب منها ذو الهوى
ولقد تميلُ على الجما
كأسُ المنيَّةِ في يدِ
تجرى اليمينُ، فَمَنْ تو
أودى الجريءُ إذا جرى
ليثُ المعامعِ، والوقا
وبقيَّةُ الزُمرِ التي
جندُ الخلافةِ، عَسْكَرُ السـ
ضاحت (كريدُ) جبالها

مَنْ ذاقها خَلع العِذارُ^١
فإذا ونى قام النهار
تدُم الطَّوَالُ، ولا القِصار
يخل المِعْمَرُ مِنْ خُمار
وتناول الهَمَلُ العُقار^٢
ما قد أصاب أخو الوقار
د، وتصرع الفلَكُ المُدار
عَسْرَاءَ، ما منها فرار^٣
لَى يَسْرَةَ جَرَتِ اليَسار
والمستमितُ إذا أغار
ئع، والمواقعِ، والجِصار
كانت تَدُود عن الذِّمار
لطان، حاميةُ الديار
بك يا (خلوصي) والقِفار

^١ وجَّه هذه التعزية إلى صديقه حامد بك خلوصي حين مات والده المرحوم الأميرالاي مصطفى بك خلوصي، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا في قمع الثورة في الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية.

أَيَّامُكُمْ فِيهَا - وَإِنْ طَالَ الْمَدَى - ذَاتُ اشْتِهَارِ
 عَلِمَ الْعَدُوُّ بِأَنْكُمْ أَنْتُمْ لِمَعْصِمِهَا سِوَارِ
 أَحْدَقْتُمْ بِمَقْرَهُ حَتَّى اهْتَدَى مَنْ كَانَ ضَا
 وَأَعْتَزَّ رَكْنٌ لِلْوَلا لَّ، وَثَابَ مَنْ قَدْ كَانَ ثَارِ
 عِشَ لِلْعُلا وَالْمَجْدِ - يَا يَهِ كَانَ مُنْقَضَ الْجِدَارِ
 أَبْكَى لِدَمْعِكَ جَارِيَا خَيْرَ الْبَنِينَ - وَلِلْفَخَارِ
 وَأَوْدُ أَنْكُمْ رَجَا وَلِدْمَعِ إِخْوَتِكَ الصَّغَارِ
 وَأُرِيدُ بَيْتَكُمْ عَمَّا لُ مِثْلُ وَالِدِكُمْ كِبَارِ
 لَا تَخْرُجُ النَّعْمَاءُ مِنْ رَا، لَا يُحَاكِيهِ عَمَارِ
 ه، وَلَا يُزِيلُهُ الْيَسَارِ

هوامش

- (١) العذار: الحياء والوقار.
 (٢) السلاف والعقار: من أسماء الخمر، يقال: حسا فلان الماء إذا شربه شيئاً بعد شيء.
 (٣) يقال للرجل: أعسر، إذا عمل بيده الشمال. والعرب تصف ما ليس محبوباً بالأعسر إذا كان مذكراً، وبالعسراء إذا كان مؤنثاً، فيد المنية عسراء، لأنها كذلك.

ذكري هيجو^١

إِلا وَأَنْتِ أَجَلٌ يَا فِكْتورُ
عُمُرٌ لِمِثْلِكَ فِي النُّجُومِ قَاصِرٌ
لِلْعَالَمِينَ مَدَارُكَ وَشَعُورٌ
كَالنَّجْمِ لَمْ يُرَ مِنْهُ إِلا النُّورُ
وَسَأَلْتُ: أَيُّنَ السَّيِّدِ الْمَقْبُورِ؟^١
هَلْ فِيهِ مِنْ قَلَمِ الْفَقِيدِ سَطُورٌ؟
تَأْجُ فَقَدْتُمْ رَبَّهُ وَسَرِيرَ
مُلْكِ الْبَيَانِ، فَأَنْتُمْ جُمُهورٌ
وَجَلالُهُ بِيَرَاعِهِ مَسَطُورٌ؟
نَزَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ وَالتَّصْوِيرُ
فِي طَيِّبِهَا لِلقَارِئِينَ ضَمِيرٌ
غَرَضٌ، وَلا نَظْمٌ، وَلا مَنثورٌ
وَبَرزُهُ لِلهِ وَهُوَ قَرِيرٌ
يَرْجُو وَيَأْمَلُ عَفْوَهُ المَثُورُ
فَجَلالُ ذاكِ السَّيْفِ عَنْهُ قَاصِرٌ^٢

ما جَلَّ فِيهِمْ عَيْدُكَ المَأثورُ
ذَكَرُوكَ بِالمِئَةِ السَّنِينَ، وَإِنِها
سَتَدُومُ ما دَامَ البَيانُ، وما ارْتَقَتْ
وَلِئِنْ حُجِبَتْ فَأَنْتِ فِي نَظَرِ الوَرى
لِوَلَا التُّقَى لِفَتْحَتْ قَبْرَكَ لِلْمَلا
وَلَقَلْتُ: يا قَوْمُ انظُرُوا إِنجِيلَكُمْ
مَنْ بَعْدَهُ مَلِكُ الْبَيانِ؟ فَعِنْدَكَ
ماتَ القَرِيضُ بِموتِ (هُوجو)، وَانقَضَى
ما ذا يَزِيدُ العَيْدُ فِي إِجْلالِهِ
فَقَدَتْ وَجوهُ الكائِناتِ مُصَوِّراً
كُشِفَ الغِطاءُ لَهُ، فَكُلُّ عِبارَةٍ
لَمْ يُعْيِهِ لَفْظٌ، وَلا مَعْنَى، وَلا
مُسْلِي الحَزِينِ يَفُكُّهُ مِنْ حَزْنِهِ
ثَأَرَ المَلُوكِ، وَظَلَّ عِنْدَ إِباثِهِ
وَأَعارَ (واترلو) جَلالَ يَراعِهِ

^١ نَظِّمَتْ هَذِهِ القَصِيدَةَ فِي ذَكَرِي شاعِرِ فَرَنسا الكَبيرِ (فِيكْتورِ هيجو) لِمُناسِبَةِ مَرورِ مائَةِ عامِ عَلى وَفاتِهِ.

يا أيُّها البحرُ الذي غمرَ الثرى
أنتَ الحقيقةُ إنَّ تحجَّبَ شخصُها
أرفعُ جَدادَ العالمينَ وعُدَّ لهم
وانظرْ إلى البؤساءِ نظرةً راحمِ
الحالِ باقيةً كما صَوَّرَتَّها
البؤسُ والنُّعمى على حالِهما
ومن القويِّ على الضعيفِ مُسَيِّطِرٌ
والنفسُ عاكفةٌ على شهواتِها
والعيشُ آمالٌ تجدُّ وتنقضي

وَمِنَ الثرى حُفِرَ له وقبور
فلها على مرِّ الزمانِ ظهور
كَيْما يُعَيِّدُ بئسُ وفقير
قد كان يُسعدُ جَمَعَهُم وَيُجير^٣
من عهدِ آدمَ ما بها تغيير
والحظُّ يَعِدِلُ تارةً ويجور
ومن الغنيِّ على الفقيرِ أمير
تَأوي إلى أحقادها وتثور
والموتُ أَصدُقُ، والحياةُ غرورٌ

هوامش

(١) الملاء: جماعة الناس.

(٢) واترلو: علم على موضع من المواضع الذي حصلت فيه الموقعة التي هُزِمَ فيها

نابليون هزيمته الكبرى.

(٣) يشير إلى رواية البؤساء، تأليف فكتور هيجو.

(٤) العيش آمال تجد: أي تتجدد.

عبدہ الحامولي^١

وتَوَلَّى فَنَ عَلَى آثَارِهِ^١
لَا تَفِرُّ النَّسُورُ مِنْ أَظْفَارِهِ
(لُبْدًا) فِي الطَّوِيلِ مِنْ أَعْمَارِهِ^٢
دُ كَثِيبًا يَبْكِي عَلَى مِزْمَارِهِ^٣
عَبْدُهُ فِي افْتِنَانِهِ وَابْتِكَارِهِ
قُ (السَّمِيِّينَ) رَبِّ مِصْرٍ وَجَارِهِ^٤
فِي جَمَى جَعْفَرٍ وَضَافِي سِتَارِهِ^٥
وَمِنَ الصَّفْوِ أَنْ يَلُودَ بَدَارِهِ
كُ، وَيُنْسِي الْوَقُورَ ذِكْرَ وَقَارِهِ
وَأَثَارَ الْحِسَانِ مِنْ أَعْمَارِهِ^٦
وَحِجَازِ أَرْقٍ مِنْ أَسْحَارِهِ^٧
كَحَدِيثِ النَّدِيمِ أَوْ كَعُقَارِهِ
عَرَفَ السَّامِعُونَ مَوْضِعَ نَارِهِ
حِينَ يُلْحَى تَكُونَ مِنْ أَعْدَارِهِ

سَاجِعُ الشَّرْقِ طَارَ عَنْ أَوْكَارِهِ
غَالَهُ نَافِذُ الْجَنَاحِينَ مَاضٍ
يَطْرُقُ الْفَرَحَ فِي الْغُصُونِ وَيَغْشَى
كَانَ مِزْمَارَهُ، فَأَصْبَحَ دَاوُ
(عَبْدُهُ) بَيْدَ أَنْ كَلَّ مُغَنَّ
مَعْبُدُ الدَّوَلَتَيْنِ فِي مِصْرَ، وَإِسْحَا
فِي بِسَاطِ الرَّشِيدِ يَوْمًا، وَيَوْمًا
صَفْوُ مُلْكَيْهِمَا بِهِ فِي اذْدِيَادِ
يُخْرِجُ الْمَالِكِينَ مِنْ حِشْمَةِ الْمُلْ
رُبُّ لَيْلِ أَعَارَ فِيهِ الْقَمَارِي
بِصَبَا يُذَكِّرُ الرِّيَاضَ صَبَاهُ
وِغْنََاءِ يُدَارُ لِحْنًا فَلَحْنًا
وَأَنْبِيْنَ لَوْ أَنَّهُ مِنْ مَشْوِقِ
يَتَمَنَّى أَخُو الْهَوَى مِنْهُ آهًا

^١ توفي عبدہ الحامولي في ١٩٠٢، وكان نادرة الزمن في حسن الصوت وفي ابتكار الألحان، هذا إلى أريحية ومروءة يضرب بهما المثل.

رَفَرَاتُ كَأَنَّهَا بَثُّ (قيس) لا يُجارِيه في تَفَنُّنِه العو
يسمع الليلُ منه في الفجر: يا ليد
فُجِعَ النَّاسُ يَوْمَ مات (الحمولي)
بأبي الفنِّ، وابْنِه، وأخِيه
والأبِّي العَفِيفِ في حَالَتِيه
يَحْبِسُ اللَّحْنَ عن غِنْيِي مُدَلِّ
يا مُغِيثًا بصوته في الرزايا
وَمُجِلًّا الفقيرِ بين ذَوِيه
وِعِمَادَ الصديقِ إن مال دهرُ
لستَ بالراحِلِ القليلِ فتنسى
غايةَ الدهرِ إن أتى أو تَوَلَّى
نزل الجد في الثرى، وتساوى
وانقضى الداءُ باليقين من الحا
لَهْفَ قومي على مخايلِ عَزِّ
وعلى ذاهب من العيش، ولَبِّ
وزمان أنت الرُّضَى من بقايا
كان للناس ليْلُه حين تشدو

في معاني الهوى وفي أخباره^٨
دُ، ولا يَشْتَكِي إذا لم يُجارِه
لُ، فيصْغِي مُسْتَمَهلاً في فراره
بدواءِ الهمومِ في عَطَّارِه
القويِّ المكينِ في أسرارِه
والجوادِ الكريمِ في إيثارِه
ويُذيقُ الفقيرَ من مُخْتارِه^٩
وَمُعِينًا بماله في المكارِه
وَمُعِزًّا اليتيمِ بين صغارِه
وشفاءِ المحزونِ من أكدارِه
واحدُ الفنِّ أُمَّةٌ في ديارِه
ما لقيت الغداةَ من إِدبارِه
ما مضى من قيامه وعثارِه
لَيْن، فالموتُ مُنتَهَى إقصارِه
زال عتًا بروضِه وهزارِه^{١٠}
تت فوَلَى الأَخِيرُ من أوطارِه
هُ، وأنت العَزَاءُ من آثارِه
لحقَّ اليومَ ليْلُه بنهارِه

هوامش

- (١) الأوكار: جمع وكر، وهو عش الطائر.
- (٢) ليد: اسم نسر.
- (٣) يشبه صوت المرثي في صفائه بمزمار داود النبي صاحب المزامير.
- (٤) يشبهه بمعبد وإسحاق. ويقصد بقوله «رب مصر وجاره» ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار العربية. يعني أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد وإسحاق كذلك.
- (٥) الرشيد: هو هارون الرشيد. وجعفر: هو جعفر البرمكي وزيره، والغرض أن المرثي كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد، إلى بساط الوزراء المشابهين لجعفر.

(٦) القماري: جمع قمرية، نوع من الحمام حسن التغريد. والأقمار: جمع قمر. يريد أنه كان يطرب الحسان الشبيهات بالأقمار.

(٧) صبا الرياض — بفتح الصاد —: نسيمها. أمّا كلمة «صبا» الواقعة في أول البيت فمقصود بها نغمة معروفة في فن الغناء، وهي مفتوحة الصاد أيضًا، كأنها سميت بذلك تشبيهاً لها بالنسيم المعروف بالصبا، وكذلك «حجاز»: نغمة معروفة في الغناء أيضًا.

(٨) قيس: هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلي.

(٩) المدلّ بالمال: المتباهي به، يشير هذا البيت على بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه، أنه كان يلجأ إليه الفقراء ليحيي أفراح أولادهم، فيحسن إليهم، ويجيب طلبهم، وينفق من ماله في تشييد الاحتفال اللائق بسهرته. وربما أثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الأغنياء الكبار، ويروى له في هذا الباب حكايات كثيرة.

(١٠) الهزار: طائر حسن الصوت، فارسي.

قاسم بك أمين^١

نقضي حقوق الرفقة الأخيار^١
والعهد أن يبكو بدمع جاري^٢
بالقفر بعد منازل وديار
من بعد سكتى السمع والأبصار
والبشر للندماء والسُّمار؟^٣
مرو بها كنسائم الأسحار
فتعهد الموتى من الإيثار^٤
أبكيكم من غيب حصار
سفر سآزمعه من الأسفار
هذا قراركم، وذاك قراري
مصر بفرد في الرجال منار^٥
نجم الهداية لم يدم للساير؟
محمولة لمشيئة الأقدار
رؤ الممالك فيه والأمصار
وأبرهم بصديقه والجار

يا أيها الدمع الوفي، بدار
أنا إن أهنك في تراهم فالهوى
هانوا وكانوا الأكرمين، وغودروا
لهفي عليهم؛ أسكنوا دور الثرى
أين البشاشة في وسيم وجوههم
كنا من الدنيا بهم في روضة
عطفاً عليهم بالبكاء وبالأسى
يا غائبين وفي الجوانح طيقهم
بيني وبينكم وإن طال المدى
إني أكاد أرى محلي بينكم
أو كلما سمح الزمان وبشرت
فجعت به، فكأنه وكأنها
إن المصيبة في (الأمين) عظيمة
في أريحي ماجد مستعظم
أوفى الرجال لعهد ولرأيه

^١ المرحوم قاسم بك أمين هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة في مصر، وقد توفي في سنة ١٩٠٩.

وتأدّباً لمجادلٍ ومماري
 كالجدول المُترقِرِقِ المتواري
 تحت الترابِ أحاسنُ الأَقمار
 زُهرَ النجوم بزُهره السيار
 بمعيبِ نقصٍ أو مَشِينِ سرارٍ^٦
 إنَّ الخلودَ الحقَّ بالآثار
 إلا قضاءَ الواحدِ القَهَّار
 حتَّى رمى فأحطتْ بالأسرار
 عمّا وراءِ الموتِ من (لازار)؟^٧
 فعَسَايَ أعلمُ ما يكونُ عُباري
 حُكْمِ المنيةِ أصدقِ الأخبار
 يوماً مُطلِّقها طلاق (نوار)^٨
 هي في المشارقِ مصدرُ الأنوار^٩
 بعد اختلافِ حوادثٍ وطواري
 والجهلُ غايةُ جَريه لِعِثار
 خرجَ الشحيحُ لها من الدينار
 قوموا اشتروه بفضّةٍ ونُضار
 وبه تُنالِ جلائلُ الأخطار
 ما لا يُشادُ على القنا الخطّار^{١٠}
 قد ساءها أن مالَ خيرٍ جِدار
 مَرْموقه الأعوانِ والأَنْصار
 (بفؤاد): فهي منيعةُ الأسوار^{١١}
 فاليمنُ أَعجلُ، والسُّعودُ جَواري
 فدعوتنا لِتَرفُقِ وَيَسار؟
 ما في الكتابِ وسُنّةِ المختار
 وشُجاعُ رأيٍ في وغي الأَفكار
 كانت نساءً (قُضاعة) و(نزار)؟^{١٢}

وأشدهم صَبْرًا لمعتقداته
 يسقي القرائحَ هادئًا متواضعًا
 قلَّ للسَّماءِ تَغُضُّ من أقمارها
 من كلِّ وضاءِ المآثرِ فائتٍ
 تمضي الليالي لا تنال كماله
 آثاره بعدَ المواتِ حياتُه
 يا مَنْ تَفَرَّدَ بالقضاءِ وعلمه
 ما زلتَ ترجوه، وتخشى سَهْمَه
 هلا بُعثتَ فكنتَ أفصحَ مُخْبِرًا
 انفضَّ عُبارَ الموتِ عنك وناجني
 هذا القضاءَ الجدُّ، فارو، وهات عن
 كَلِّ وإن شَغَفَتْهُ دُنياه هوى
 لله (جامعة) نهضتْ بأمرها
 أُمْنِيَّةُ العُقلاءِ قد ظفروا بها
 والعقلُ غايةُ جَريه لأَعْنَة
 لو يعلمون عظيمَ ما تُرجى له
 تشري الممالكِ بالدمِ استقلالها
 بالعلمِ يُبنى الملكُ حقَّ بنائه
 ولقد يُشاد عليه من شَمِّ العُلا
 إن كان سَرَكَ أن أقمتَ جِدارها
 أضحت من الله الكريمِ بذمّة
 كُليّتْ بأنظار (العزیز)، وحُصِنَتْ
 وإذا العزیزُ أعارَ أمرًا نظرةً
 ماذا رأيتَ من الحجابِ وعُسرِه
 رأييَ بَدَا لك لم تجده مُخالفًا
 والبايسلان: شجاعُ قلبٍ في الوغى
 أوْدَدَتْ لو صارت نساءً النيل ما

يَجْمَعْنَ فِي سَلْمِ الْحَيَاةِ وَحَرْبِهَا
 إِنَّ الْحِجَابَ سَمَاحَةً وَيَسَارَةً
 جَهَلُوا حَقِيقَتَهُ وَحِكْمَةَ حُكْمِهِ
 يَا قُبَّةَ (الغوري) تَحْتِكَ مَأْتَمٌ
 يُحِبُّهُ قَوْمٌ فِي الْقُلُوبِ عَلَى الْمَدَى
 هِيَهَاتَ! تَنْسَى أُمَّةً مَدْفُونَةً
 إِنَّ شِئْتَ يَوْمًا أَوْ أَرَدْتَ فَحَقِيقَةً
 هَاتُوا ابْنَ (ساعدة) يُؤَبِّنُ قَاسِمًا
 مِنْ كُلِّ لَائِقَةٍ لِبَاذِخِ قَدْرِهِ
 بِأَسِّ الرَّجَالِ وَخَشِيَّةِ الْأَبْكَارِ
 لَوْلَا وَحُوشٌ فِي الرِّجَالِ صَوَارِي
 فَتَجَاوَزُوهُ إِلَى أُنَى وَضِرَارِ
 تَبَقَى شَعَائِرُهُ عَلَى الْأَدْهَارِ
 إِنَّ فَاتَهُمْ إِحْيَاؤُهُ فِي دَارِ
 فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الزَّمَانِ قِصَارِ
 كُلُّ يَمْرٍ كَلِيلَةٍ وَنَهَارِ
 وَخَذُوا الْمَرَاثِي فِيهِ مِنْ (بِشَارِ) ١٣
 عَصْمَاءَ بَيْنَ قَلَائِدِ الْأَشْعَارِ

هوامش

- (١) بدار: يعني بادر.
- (٢) يقول: إن الذين أبذل دمعي وأهينه في ترابهم هم هواي وموضع حبي، وليس عجيباً أن يبكي الإنسان أهل حبه وهواه.
- (٣) السمار: جمع سامر، والسمر: حديث الأصدقاء بالليل.
- (٤) الإيثار: هو أن تعطي لغيرك ما أنت محتاج إليه.
- (٥) المنار: هو العلم يهتدي الناس به في الطريق.
- (٦) سرار — يفتح السين وكسرهما — مشتق من قولهم: استسر القمر، إذا خفي ليلة السرار، وهي آخر ليلة أو ليلتين في الشهر.
- (٧) لأزار أو عازار: اسم الرجل الذي أحياه سيدنا عيسى، ويقول لو بعثت لكنت أفصح في إخبارك عن الموت من هذا الرجل.
- (٨) نوار: اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر، فطلقها فندم كثيراً حتى ضُربَ المثل بندامته في كل طلاق نادم.
- (٩) هي الجامعة المصرية، وكان للفقيه فضل مذكور في إنشائها.
- (١٠) الخطار: أي المهتز، واهتزاز القنا: كناية عن استعداده للقتال.
- (١١) العزيز: هو كل ملك لمصر: وكان الخديو عباس وقتنذ، وفؤاد، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول.
- (١٢) ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاة ونزار بالذات، وإنما المقصود المرأة العربية الموصوفة في البيت التالي.

الشوقيات

(١٣) ابن ساعدة، هو قسُّ بن ساعدة الإيادي، أحد خطباء العرب الحكماء، يضرب به المثل فلا بلاغة الخطب، وبشَّار: هو بشَّار بن برد الشاعر المشهور، يقول إن قاسمًا لا يؤئنه إلا أمثال قس من الخطباء وأمثال بشار من الشعراء.

تولستوي^١

عليك، وَيَبْكِ بَائِسٌ وَفَقِيرٌ
وَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِلضَّعِيفِ نَصِيرٌ
وَأَنْتَ سَرَّاحٌ غَيِّبُوهُ مُنِيرٌ
وَلَا يَمْلِكُونَ الْبِثْ وَهُوَ يَسِيرٌ
عَلَيْهِمْ، وَتَغَشَى دُورَهُمْ وَتَزُورُ
وَلِلْخَادِمِينَ النَّاqَمِينَ قُشُورُ
أَنْجِيلٌ مِنْهَا مُنذِرٌ وَبَشِيرٌ؟
غَدَاةٌ مَشَى (بِالْعَامِرِيِّ) سَرِيرٌ
يَرَاعُ لَهُ فِي رَاحَتَيْكَ صَرِيرٌ^١
وَقِيلَ: (بَدِيرِ) الرَّاهِبَاتِ أَسِيرٌ
وَلِلطَّبِّ مِنْ بَطْشِ الْقَضَاءِ عَذِيرٌ
وَجَاوِرُ (رَضْوَى) فِي التَّرَابِ (ثَبِيرِ)^٢
وَعَالِي بِمَقْدَارِ النَّظِيرِ نَظِيرٌ
جَنَاهُنَّ مَسْكٌ فَوْقَهَا وَعَبِيرٌ

(تولستوي)، تُجْرِي آيَةَ الْعِلْمِ دَمْعَهَا
وَشَعْبُ ضَعِيفُ الرِّكْنِ زَالَ نَصِيرُهُ
وَيَنْدُبُ فَلَاحُونَ أَنْتَ مَنَارُهُمْ
يَعَانُونَ فِي الْأَكْوَاخِ ظُلْمًا وَظُلْمَةً
تَطُوفُ كَعَيْسَى بِالْحَنَّانِ وَبِالرَّضَى
وَيَأْسَى عَلَيْكَ الدِّينُ، إِذْ لَكَ لُبُّهُ
أَيَكْفُرُ بِالْإِنْجِيلِ مَنْ تَلَّكَ كُتُبُهُ
وَيَبْكِيكَ الْفُوقَ (لَيْلَى) نَدَامَةً
تَنَاولَ نَاعِيكَ الْبِلَادَ كَأَنَّهُ
وَقِيلَ: تَوَلَّى الشَّيْخُ فِي الْأَرْضِ هَائِمًا
وَقِيلَ: قَضَى لَمْ يُغْنِ عَنْهُ طَبِيبُهُ
إِذَا أَنْتَ جَاوَرْتَ (الْمَعْرِيَّ) فِي الثَّرَى
وَأَقْبَلَ جَمْعُ الْخَالِدِينَ عَلَيْكُمَا
جَمَاجِمٌ تَحْتَ الْأَرْضِ عَطَّرَهَا شَدَى

^١ تولستوي: هو الفيلسوف الروسي الشهير، كان عالمًا عاملاً بما يقول، فتخلى عن ماله الجَمِّ ليساوي نفسه بالفقراء، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة في روسيا وقد توفي سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير.

عليهن بطنُ الأرضِ وهو فخور
فأنتَ عليماً بالأُمورِ خبير
بما لم يُحصَلْ مُنكرٌ ونكيرٌ^٣
ويُنشَرُ بعدَ الطيِّ وهو قديرٌ
طويلُ زمانٍ في البلى وقصير
ولم يُؤوِنِي دَيْرٌ هناك طهور
وكلُّ فِراشٍ قد أراحَ وثيرُهُ
وكنّا كِلانا في الحياة ضَير
ونجوايَ بعدَ اللهِ وهو غفور
ولا مُتعالٍ في السماءِ كبير
وعلمٌ كعلمِ الأنبياءِ غَزيز
بنونَ ومالٍ، والحياةُ غُور
وعُدَّةُ صيفي جَنَّةٌ وغَدير
ونضُرُ أَيامي غنَى وحُبور
ولا حَظٌّ مثلُ الشمسِ حينَ تَسير
وربِّ ضعيفٍ تحَتَمِي فيجبر
وجاورتهُ في العمرِ وهو نَضير
ولذاتُ دنيا، كلُّ ذاكِ نَزور^٦
ومن عَجَبٍ تَخشى الخَطيئةُ حور^٧
وللهِ أنسٌ في القلوبِ ونور
فتاةٌ على نَهجِ المسيحِ تَسير
وهل حَدَثتِ غيرَ الأُمورِ أُمور؟
دواعي الأذى والشرِّ فيه كثير؟
كما يتصافى أَسرةٌ وعَشير؟
خَلِيقٌ بأَدابِ الكِتابِ جَدير؟
وقلِّ فسادٌ بينهم وشرور؟
أَجدى نظيمٌ، أم أفادَ نثير؟

بهنَّ يُباهي بطنُ (حَوَاءَ)، واحتوى
فقلُّ يا حَكيمَ الدهرِ حَدُّثْ عن البلى
أَحطتَ من الموتى قديمًا وحادثًا
طوانا الذي يطوي السماواتِ في غادٍ
تقادمِ عَهدانا على الموتِ، واستوى
كأنَّ لم تَضُقْ بالأَمسِ عَنِّي كنيسةُ
أرى راحةً بينَ الجنادلِ والحصى
نظرنا بنورِ الموتِ كلَّ حَقيقَةٍ
إليكِ اعترافي، لا لِقَسِّ وكاهنِ
فزهْدك لم يُنكِرْه في الأرضِ عارفٌ
بيانُ يشمُّ الوحيَ من نَفحاته
سلكتُ سبيلَ المُتَرَفِينِ، ولدًا لي
أداةُ شتائي الدفءُ في ظلِّ شاهقٍ
ومُتَعَتُّ بالدنيا ثمانينَ جَجَّةً
وذكرُ كضوءِ الشمسِ في كلِّ بِلدَةٍ
فما راعني إلا عَذارِي أَجْرَنِي
أردتُ جِوارَ اللهِ والعمرُ مُنقِضُ
صَبًا، ونعيمٌ بينَ أهْلِ ومَوطِنِ
بهنَّ - وما يدرين: ما الذنبُ؟ - خشيَّةُ
أوانسٍ في داجٍ من الليلِ مُوحِشِ
وأشبههُ طُهرٍ في النساءِ بِمَرِيَمِ
تُسألُنِي: هل غيرَ الناسِ ما بهم؟
وهل أثرُ الإحسانِ والرفقِ عالمٌ
وهل سلكوا سُبُلَ المحبَّةِ بينهم
وهل آنَ مِن أهْلِ الكِتابِ تِسامُحُ
وهل عالَجَ الأحياءُ بؤسًا وشَقوَّةَ
قم انظر وأنتَ المالىُّ الأرضِ حكمةً

وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةً وَعَسِيرٌ
 وَأَحْوَالٌ خَلِقُ غَابِرٍ مُتَجَدِّدٍ
 تَمَرٌّ تِبَاعًا فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهَا
 وَحِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا، وَمَيْلٌ مَعَ الْهَوَى
 وَقَامَ مَقَامَ الْفَرْدِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ
 وَحُورٌ قَوْلُ النَّاسِ: مَوْلَى وَعَبْدُهُ
 وَأَضْحَى نَفُوذُ الْمَالِ لَا أَمْرٌ فِي الْوَرَى
 تَسَاسُ حُكُومَاتٍ بِهِ وَمَمَالِكُ
 وَعَصْرٌ بَنُوهُ فِي السَّلَاحِ، وَجِرْصُهُ
 وَمَنْ عَجِبَ فِي ظِلِّهَا وَهُوَ وَارِفٌ
 وَيَأْخُذُ مِنْ قَوْتِ الْفَقِيرِ وَكَسْبِهِ
 وَلَمَّا اسْتَقَلَّ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ مَذْهَبًا

وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةً وَعَسِيرٌ
 تَشَابَهُ فِيهَا أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ
 مَلَاعِبٌ لَا تُرْخَى لَهْنٌ سُتُورٌ
 وَغَشٌّ، وَإِفْكٌ فِي الْحَيَاةِ، وَزُورٌ
 عَلَى الْحَكْمِ جَمٌّ يَسْتَبَدُّ غَفِيرٌ
 إِلَى قَوْلِهِمْ: مُسْتَأْجِرٌ وَأَجِيرٌ
 وَلَا نَهْيٌ إِلَّا مَا يَرَى وَيُشِيرُ
 وَيُذْعَنُ أَقْيَالٌ لَهُ وَصُدُورٌ
 عَلَى السَّلْمِ يُجْرِي ذِكْرَهُ وَيُدِيرُ
 يُصَادَفُ شَعْبًا آمِنًا، فَيُغَيِّرُ
 وَيُؤْوِي جِيوشًا كَالْحَصَى وَيَمِيرُ
 تَعَلَّقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَطِيرُ

هوامش

- (١) الصرير: التصويت. واليراع: القلم.
- (٢) المعري: هو أبو العلاء المعري، وشعره الفلسفي الاجتماعي مشهور. ورضوى وثبير علمان على جبلين: أولهما بالمدينة وثانيهما بمكة: يريد تشبيهه هو والمعري بهذين الجبلين.
- (٣) يريد أنه كان يعرف أشرار النفوس جد المعرفة.
- (٤) النشر: هو البعث من الموت، وهو أيضًا ضد الطي.
- (٥) الفراش الوثير: اللين الناعم.
- (٦) نزور: أي قليل.
- (٧) الحور: جمع حوراء، وهي الجارية في عينها حور. والحور: اشتداد بياض العين وسوادها.
- (٨) أقيال: جمع قيل، وهو الملك. والصدور: جمع صدر، وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه.

عمر بك لطفي^١

قَفُوا بِالْقُبُورِ نُسَائِلُ عَمْرُ
سَلُوا الْأَرْضَ: هَلْ زِيَّنتَ لِلْعَلِي
وَهَلْ قَامَ (رِضْوَانُ) مِنْ خَلْفِهَا
فَلَوْ عَلِمَ الْجَمْعُ مِمَّنْ مَضَى
إِلَى جَنَّةٍ خُلِقَتْ لِلْكَرِيمِ
بِرَغْمِ الْقُلُوبِ وَحَبَّتِهَا
نَزُولُكَ فِي التُّرْبِ زَيْنَ الشَّبَابِ
مُقِيلَ الصَّدِيقِ إِذَا مَا هَفَا
حَيِيَّتَ فَكُنْتَ فِخَارَ الْحَيَاةِ
عَجِيبُ رَدَاكَ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ
فَمَا قَبْلَهَا سَمِعَ الْعَالَمُونَ
وَقَدْ يَقْتُلُ الْمَرْءُ هُمُ الْحَيَاةِ
دَفَنًا التَّجَارِبَ فِي حُفْرَةٍ
فَكَمْ لَكَ كَالنَّجْمِ مِنْ رِحْلَةٍ

متى كانت الأرض منوى القمر؟
م؟ وهل أُرِّجَت كالجنان الحُفَر؟
يُلاقِي الرِّضَى النَّقِيَّ الْأَبْر؟
تَنَحَّى لَهُ الْجَمْعُ حَتَّى عَبْر
وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ، أَوْ مَنْ قَدَّر
وَرَعْمَ السَّمَاعِ، وَرَعْمَ الْبَصَرِ
سِنَاءَ «النَّدَى» سَنَى «المؤتمر»^١
مُقِيلَ الْكَرِيمِ إِذَا مَا عَثَرَ
وَمُتَّ فَكُنْتَ فِخَارَ السَّيْرِ
حَيَاتِكَ فِي طَوْلِهَا وَالْقِصْرِ
وَلَا عِلْمُوا مُصْحَفًا يُخْتَصِرُ
وَشَغْلُ الْفَوَادِ، وَكُدُّ الْفِكْرِ
إِلَيْهَا انْتَهَى بِكَ طَوْلُ السَّفَرِ
رَأَى الْبَدُوْ أَثَارَهَا وَالْحَضَرَ

^١ توفي عمر بك لطفي في سنة ١٩١١، وكان عالمًا قانونيًا ضليعًا، كما كان في حياته يكاد يتنقذ غيره على قوميته وحبًا لمصلحة بلاده، وهو في طليعة مؤسسي نقابات التعاون في مصر.

«نِقَابَاتُكَ» الْغُرُّ تَبْكِي عَلَيْكَ وَيَبْكِي عَلَيْكَ «النَّدِي» الْأَعْرُ
 شَرِيفَ الْمَرَامِ، شَرِيفَ الْوَطْرِ
 وَأَنْتِ غَرَسْتِ، فَكَانُوا الثَّمَرِ
 وَمَوْتُكَ بِالْأَمْسِ إِحْدَى الْعَبْرِ
 وَمَا دَارَ ذِكْرُ الرَّدَى فِي السَّمْرِ^٢
 وَقَمْتِ إِلَى مِثْلِهَا تُحْتَفَرُ
 وَمَدَّ يَدًا لِلْقَاءِ الْقَدْرِ
 خَبَاتُكَ فِي مُقْلَتِي مِنْ حَذَرٍ
 وَمَا أَوَّلُ النَّارِ إِلَّا شَرَرٌ
 مِنَ الْحُزَنِ، إِلَّا يَسِيرًا خَطَرٌ^٣
 وَمَنْكَ عَلِمْتُ ارْتِجَالَ الدُّرِّ
 وَمِثْلُكَ يُفْدَى بِنِصْفِ الْبَشْرِ
 عَلَيْهِ، وَكُنْ بَاقَةً مِنْ زَهْرٍ
 كَعَادَتِهِنَّ سَقَاكَ الْمَطَرُ

هوامش

(١) الندى: يريد نادي المدارس العليا، وكان الفقيد رئيساً له. ويريد بالمؤتمر المؤتمر الذي أقامه أعيان المسلمين في هليوبوليس، ردًا على المؤتمر الذي أقامه أعيان الأقباط في أسيوط. والسناء — بالمد —: الضوء، — وبالقصر —: الرفعة.

(٢) السمر: حديث الليل.

(٣) يريد: لا مالكا من خاطري إلا بقية قليلة الخير لا تغني في رثائك.

عمر بك لظفي^١

وَأَقْلَدُ الدُّنْيَا رِثَاءَكَ جَوْهَرًا
تَتَقَدَّمُ الْعُلَمَاءَ فِيهِ مَسْطَرًّا
وَالْفَضْلَ مِنْ حُرْمَاتِهِ أَنْ يُذَكَّرَا
كَمْ قَدَّمَ الْعَمَلَ الرَّجَالَ وَأَخْرَا
خُلِطَتْ جِهَامًا فِي السَّحَابِ وَمُمْطِرَا
كَالرَّكْنِ أَرْكَى، وَالْحَطِيمِ مُطَهَّرَا
نَسْتَقْبِلُ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ مَنْوَرَا
جَعَلُوكَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُسَوَّرَا
وَالوُدُّ فِي الدُّنْيَا حَدِيثٌ مُفْتَرَى
فَأَرَانِي الْخُلُقَ الْعَظِيمَ مُصَوَّرَا
أَنَا فِيكَ أَلْقَى لَوْعَةً وَتَحَسَّرَا
الدَّهْرُ أَقْصَرَ فِيهِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى
حَتَّى لَقِيتَ بِهِ الْفِرَاشَ الْأَوْثَرَا^٢
حَشْرَاتُ هَذَا النَّاسِ أَقْبَحُ مَنظَرَا

الْيَوْمَ أَضَعُدُ دُونَ قَبْرِكَ مِنْبَرَا
وَأَقْصُ مِنْ شِعْرِي كِتَابَ مُحَاسِنِ
ذِكْرًا لِفَضْلِكَ عِنْدَ مِصْرَ وَأَهْلِهَا
الْعِلْمُ لَا يُعْلِي الْمِرَاتِبَ وَحَدَهُ
وَالْعِلْمُ أَشْبَهُ بِالسَّمَاءِ رِجَالُهُ
طُفْنَا بِقَبْرِكَ، وَاسْتَلَمْنَا جَنْدَلًا
بَيْنَ التَّشْرِفِ وَالْخُشُوعِ، كَأَنَّمَا
لَوْ أَنْصَفُوكَ جِنَادَلًا وَصَفَائِحًا
يَا مَنْ أَرَانِي الدَّهْرَ صَحَّةً وَدَّهً
وَسَمِعْتُ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ رَوَايَةً
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الرَّقَادِ وَطَوْلِهِ؟
نَمْ مَا بَدَا لَكَ أَمْنًا فِي مَنْزِلِ
مَازَلْتَ فِي حَمْدِ الْفِرَاشِ وَذَمِّهِ
لَا تَشْكُونُ الضَّرَّ مِنَ حَشْرَاتِهِ

^١ نُظِمَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِتُلَقَى فِي حَفْلَةٍ أُقِيمَتْ لِتَابِينِ عَمْرِ بَك لظْفِي بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، أَمَّا الْقَصِيدَةُ السَّابِقَةُ فَقَدْ نُظِمَتْ عَقِبَ الْوَفَاةِ فِي سُرْعَةٍ تَشْبَهُ الْارْتِجَالَ.

خَلَّفْتَهُ تَحْتَ الرَّزِيَّةِ مُوقِرًا^٢
 وَغَدَوْتَ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ مُشْمِرًا
 وَرَمَيْتَ عُذْوَانَ الظَّنُونِ فَأَقْصِرَا
 حَتَّى جَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُ الْكَوْثِرَا
 لَا يَمْلِكُونَ سِوَى مَدَامِعِهِمْ قَرَى^٤
 كَانَ الشَّبَابَ الْوَاجِدَ الْمُسْتَعْبِرًا^٥
 فِيمَا يَسْرُ، وَلَا عَلَى مَا كَدَّرَا
 آثَارَ إِحْسَانٍ وَغَرَسَا مُثْمِرَا
 وَالْعَقْلُ بَيْنَهُمَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
 مَشَى الْحَوَارِيِّينَ يَهْدُونَ الْقُرَى^٦
 وَاللَّهُ يَبْغِضُ عَبْدَهُ الْمَتَكَبِّرَا
 دَخَلَ الْغُرُورُ عَلَى الْكِبَارِ فَصَغَّرَا
 فِيهَا حَيَاةَ أَخِي الزَّرَاعَةِ لَوْ دَرَى
 تَدْرُ الْمُقَلِّ مِنَ الْجَمَاعَةِ مُكْثِرَا^٧
 حَتَّى يَصِيبَ مِنَ الرَّؤُوسِ مُدْبِرَا
 وَأَعَزُّ سُلْطَانًا، وَأَصْدَقُ مَظْهَرَا
 فِي مَلِكِهِمْ كَالْمَرْءِ فِي بَيْتِ الْكِرَا^٨
 لِلجِدِّ، أَوْ جَمَعَ الْقُلُوبَ النُّفْرَا؟
 طَه الْأَمِينِ، وَلَا يَسُوعَ الْخَيْرَا^٩
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ نَثَرْتُ جَفْنِي فِي الثَّرَى
 وَالصَّدْرُ بَحْرًا، وَالْفَوَادُ غَضْنُفْرَا
 عَزَيْتُ فَيْكَ عَنِ الْأَمِيرِ الْمَعْشِرَا^{١٠}
 خَلَعَ الثَّنَاءَ عَلَى الْكِرَامِ مُحَبَّرَا
 وَالْيَوْمَ أَهْتَفُ بِالْثَّنَاءِ مُعْتَبِرَا
 وَهَوَاكَ يَا بَى فِي الْفَوَادِ تَغْيِرَا^{١١}
 وَعَلَيْكَ أَنْ تَرْعَاهُ حَتَّى نُحْشِرَا

يَا سَيِّدَ (النَّادِي) وَحَامِلَ هَمِّهِ
 شَهِدَ الْأَعَادِي كَمْ سَهَرْتَ لِمَجْدِهِ
 وَكَمْ اتَّقَيْتَ الْكَيْدَ وَاسْتَدْفَعْتَهُ
 وَلَبِثْتَ عَنْ حَوْضِ الشَّبِيبَةِ نَائِدًا
 شُبَانُ مِصْرَ حِيَالِ قَبْرِكَ خُشَّعُ
 جَمَعَ الْأَسَى لَكَ جَمْعَهُمْ فِي وَاحِدٍ
 لَوْلَاكَ مَا عَرَفُوا التَّعَاوُنَ بَيْنَهُمْ
 حَيْثُ التَّفَتَّ رَأَيْتَ حَوْلَكَ مِنْهُمْ
 كَمْ مَنْطِقٌ لَكَ فِي الْبِلَادِ وَحِكْمَةٌ
 تَمْشِي إِلَى الْأَكْوَاخِ تُرْشِدُ أَهْلَهَا
 مِتَوَاضِعًا لِلَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ
 لَمْ تَدْرِ نَفْسُكَ: مَا الْغُرُورُ؟ وَطَالَمَا
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَخْطُ نِقَابَةً
 هِيَ كِيمِيَاوُكُ، لَا خُرَافَةٌ (جَابِرِ)
 وَالْمَالُ لَا تَجْنِي ثِمَارَ رُؤُوسِهِ
 وَالْمَلِكُ بِالْأَمْوَالِ أَمْنَعُ جَانِبًا
 إِنَّا لَفِي زَمَنِ سِفَاهُ شَعُوبِهِ
 أَسْوَاكَ مِنْ أَهْلِ الْمِبَادِي مَنْ دَعَا
 الْمَوْتَ قَبْلَكَ فِي الْبَرِيَّةِ لَمْ يَهَبْ
 لَمَّا دُعِيْتُ أَتَيْتُ أَنْثُرُ مَدْمَعِي
 أَبْكِ يَمِينِكَ فِي التَّرَابِ غَمَامَةً
 لَمْ أُعْطَ عَنْكَ تَصَبُّرًا، وَأَنَا الَّذِي
 أَنْزَلَ الرِّجَالَ، وَلِي يِرَاعُ طَالَمَا
 بِالْأَمْسِ أَرْسَلْتُ الرِّثَاءَ مَمْسَكًا
 غَيَّرْتَنِي حَزْنًا، وَغَيَّرَكَ الْبِلَى
 فَعَلِيَّ حَفْظُ الْعَهْدِ حَتَّى نَلْتَقِي

هوامش

- (١) يقول: إننا نطوف بقبرك ونستلم أحجاره، كما يطوف حجّاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين.
- (٢) الفراش الأوثر: هو الفراش الأكثر ليونة ونعومة، ويريد به تراب القبر.
- (٣) النادي: هو نادي المدارس العليا، وكان الفقيد رئيساً له. وموقراً: أي مثقلاً بما يحمله من فقدك.
- (٤) القرى — بكسر القاف: ما يقدّم للضيف من إكرام ونحوه.
- (٥) الواجد المستعبر: هو الحزين الباكي.
- (٦) الحواريون: هم أصحاب عيسى ابن مريم.
- (٧) جابر: هو جابر بن حيّان صاحب الكيمياء القديمة. والمقلّ: هو الفقير أو هو الذي لا يملك إلا شيئاً قليلاً.
- (٨) بيت الكرا: هو بيت الأجرة.
- (٩) يسوع: المسيح.
- (١٠) كان أمير الشعراء هو نائب الخديو عباس في تعزية الفقيد.
- (١١) يشير إلى قصيدته السابقة في الفقيد.

الأميرة^١

حَافَتْ بِالْمُسْتَرِّهِ
ومجلس الزَّهراءِ في الـ
مراقدِ السُّلالةِ الطَّيِّبِ
ما أَنْزَلُوا إِلَى الثَّرَى
سَيَرُوا بِهَا تَقِيَّةً
نُجْلٌ سَتَرَ نَعَشِهَا
وَنَنْشُقُ الْجَنَّةَ مِنْ
في موكِبٍ تَمَثَّلُ الـ
دع الجنودَ والبنو
وكلَّ دمعٍ كَذِبِ
لا يَنْفَعُ الميْتِ سِوَى
قد تُرْفَعُ السُّوقَةُ عِنْدَ
يا جِرْعَ العِلْمِ على
أَمْسى بَرَبْعٍ مُوحِشِ

والرَّوْضَةِ المِعْطَرَةِ^١
حِظائِرِ المَنوَّرَةِ^٢
مِطَهَّرِهِ
بِالْأَمْسِ إِلَّا نَيَّرَهُ^٣
نَقِيَّةً مُبَرَّرَهُ
كَالْكُسْوَةِ المُسَيَّرَةِ^٤
أَعْوَادِهِ المُنْضَرِّهِ
حَقٌّ فَكانَ مَظْهَرَهُ
دَ وَالوَفودَ المُحْضَرِّهِ
وَلَوَعَةٍ مُزَوَّرِهِ
صالِحَةٍ مُدْخَرِهِ
دَ اللهُ فِوقَ القِيَصَرِهِ^٥
(سُكَيْنَةَ) المَوْقَرِهِ^٦
مِنْها وِدارِ مُقْفَرِهِ

^١ هي الأميرة فاطمة إسماعيل، كان لها الفضل الأول في تأسيس وإنشاء الجامعة المصرية، وقد انتقلت إلى دار الجنان في سنة ١٩٢٠.

مَنْ ذَا يُؤَسِّي هذه الـ
 لو عَشْتِ شَدَّتْ مِثْلَهَا
 بِنِيَّتِ رُكْنَيْهَا، كما
 قرَنْتِ كِلَّ حَجْرٍ
 مَفْخَرَةٌ لِبَيْتِكُمْ
 يَا بِنْتَ إِسْمَاعِيلَ، فِي الـ
 أَكَانَ عِنْدَ بَيْتِكُمْ
 هَلَّا وَصَفْتَهَا لَنَا
 وَلَوْنَهَا صَافِيَةً
 كَالْحَلْمِ، أَوْ كَالْوَهْمِ، أَوْ
 (فَاطِمٌ)، مَنْ يُوَلَّدُ يَمُتُ
 وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ
 وَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلُ الـ
 وَإِنَّمَا يُنَبِّئُهُ الـ
 يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً
 وَلَنْ تَزَالَ مِنْ يَدٍ
 أَيْنَ أَبُوكَ؟ مَالُهُ
 وَوَادِي النَّدَى، وَغَيْثُهُ
 أَيْنَ الْأُمُورُ، وَالْقَصُورُ
 أَيْنَ اللَّيَالِي الْبَيْضُ، وَالـ
 وَأَيْنَ فِي رُكْنِ الْبِلَا
 وَأَيْنَ تِلْكَ الْهَمَّةُ الـ
 تَبْغِي لِمِصْرَ الشَّرْقِ أَوْ
 جَرَى الزَّمَانُ دُونَهَا
 فَإِنَّ هَمَمْتَ فَانْكَرِ الـ
 مَنْ لَا يُصِيبُ فَالنَّاسُ لَا

جَامِعَةٌ الْمُسْتَعْبِرُهُ^٧
 لِلْمَرْأَةِ الْمَحْرَرَةِ
 يَبْنِي أَبُوكَ الْمَأْتَرَهُ
 فِي أَسْهَابِ بَجْوَهَرِهِ
 كَمْ قَبْلَهَا مِنْ مَفْخَرَةٍ!
 مِمَّتِ لِحَى تَبْصِرُهُ^٨
 لِهَذِهِ الدُّنْيَا تَرَهُ؟^٩
 مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَهُ؟
 وَطَعَمَهَا مَكْدَرَهُ؟
 كَالظِّلِّ، أَوْ كَالزُّهْرَةِ؟
 الْمَهْدُ جَسْرُ الْمَقْبَرَةِ^{١٠}
 مَيِّتَةٌ فَمُنْشَرَهُ
 خَيْرٌ أَوْ الشَّرُّ يَرَهُ
 غَافِلٌ عِنْدَ الْغَرْغَرَةِ^{١١}
 كَانَتْ بِفِيهِ سُكَّرُهُ^{١٢}
 إِلَى يَدِ هَذَا الْكُرَى
 وَجَاهُهُ، وَالْمَقْدَرَهُ؟
 وَعَيْنُهُ الْمُفَجَّرَهُ^{١٣}
 رُ، وَالْبَدُورُ الْمُخْدَرَهُ؟
 أَسْأَلُ الْمَزْعُفَرَهُ؟^{١٤}
 بِ يَدِهِ الْمُعَمَّرَهُ؟
 مَاضِيَةُ الْمَشْمُرَهُ؟
 أَكْثَرَهُ مُسْتَعْمَرَهُ
 فَرْدَهُ وَأَعْتَرَهُ
 مَقَادِرَ الْمُقَدَّرَهُ
 يَلْتَمَسُونَ الْمَعِزَّةَ

هوامش

(١) المسترة: الكعبة.

(٢) يقصد فاطمة الزهراء، بنت الرسول صلوات الله عليه، ومجلسها في حجرات النبوة.

(٣) نيرة: هي واحدة النجوم النيرة.

(٤) الكسوة: هي كسوة الكعبة المكرمة، وتسير من مصر إلى الحجاز كل عام في موكب عظيم الإجلال.

(٥) القيصرية: علم على كل ملكة للروم. والقيصر: علم على ملكها.

(٦) يشبهها بسكينة بنت الحسين في عطفها على العلم والأدب.

(٧) المستعبرة: أي الباكية لفقدتها عطفك.

(٨) التبصرة: بمعنى الموعظة.

(٩) ترة: هي الثأر.

(١٠) فاطم: أي فاطمة، وحذفت التاء للترخيم، كقول امرئ القيس.

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

(١١) الغرغرة: وقت حشجة الروح في الصدر.

(١٢) يلفظها: أي يلفظ الحياة.

(١٣) الندى: الكرم. والعين: بمعنى النبع.

(١٤) الأصائل: الوقت من بعد العصر إلى المغرب. والمزعفرنة: أي الملونة بلون

الزعفران. والليالي البيض والأصائل المزعفرنة: يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة.

ذكري مصطفى كامل^١

لم يَمُتْ مَنْ لَهُ أَثَرُ
أُدْعُهُ غَائِبًا، وَإِنْ
أَيْبُ الْفَضْلِ كَلَّمَا
رُبَّ نَوْرٍ مُتَمَّمٍ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ مَشَى
مَنْ إِذَا عَاشَ لَمْ يُفِدْ
لَيْسَ فِي الْجَاهِ وَالْغِنَى
قُبْحُ الْعِزِّ فِي الْقَصْوِ
أَعْوَزَ الْحَقُّ رَائِدُ
وَتَمَنَّتْ حِيَاضُهُ
الَّذِي يُنْفِذُ الْمُدَى
أَيُّهَا الْقَوْمُ، عَظَّمُوا
أُنْذِرُوا الْخُطْبَةَ الَّتِي
لَمْ يَرَ النَّاسُ قَبْلَهَا

وحياةٌ مِنَ السَّيْرِ
بُعَدَتْ غَايَةَ السَّفَرِ
أَبَتْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^١
قَدْ أَتَانَا مِنَ الْحَقْرِ^٢
مَيِّتَ الْخَيْرِ وَالْجَبْرِ
وَإِذَا مَاتَ لَمْ يَضُرْ
مِنْهُ ظِلٌّ وَلَا ثَمَرُ
رِ إِذَا ذَلَّتِ الْقَصَرَ
وَإِلَى (مصطفى) أَفْتَقَرَ
هَبَّةَ الصَّارِمِ الذَّكْرِ
وَالَّذِي يَرْكَبُ الْخَطَرَ^٣
وَاضِعَ الْأَسِّ وَالْحَجَرِ
هِيَ مِنْ آيِهِ الْكُبْرَى
مَنْبِرًا تَحْتَ مُحْتَضِرِ

^١ لأمير الشعراء عدة قصائد في مصطفى كامل باشا، هذه إحداها، وقد ألقى في الاحتفال الذي أقيم
تمجيدًا لذكراه في فبراير سنة ١٩٢٦.

لَسْتُ أَنْسَى لِوَاءَهُ وَهُوَ يَمْشِي إِلَى الظَّفَرِ
حَشَرَ النَّاسَ تَحْتَهُ زُمَرًا إِثْرَهَا زُمَرِ
وَتَرَى الْحَقَّ حَوْلَهُ لَا تَرَى الْبَيْضَ وَالسُّمْرَ^٥
كَلَّمَا راحَ أَوْ عَدَا نَفَخَ الرُّوحَ فِي الصُّورِ
يَا أَخَا النَّفْسِ فِي الصُّبَا لَذَّةَ الرُّوحِ فِي الصُّغْرِ
وَخَلِيلًا نَخَرْتُهُ لَمْ يُقْمَوْمَ بِمُدَّخَرِ
حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي فُجَاءَاتِهِ الْقَدْرِ
كَيْفَ أَجْزِي مَوَدَّةً لَمْ يَشْبُ صَفْوَهَا كَدْرُ؟
غَيْرَ دَمْعٍ أَقَوْلُهُ قَلَّ فِي الشَّانِ أَوْ كَثُرُ؟
وَفُؤَادٍ مُعَالِلِ بِالْخِيَالَاتِ وَالذُّكْرِ؟
لَمْ يَنْمِ عِنكَ سَاعَةٌ فِي الْأَحَادِيثِ وَالسَّمْرِ؟
قُمْ تَرَ الْقَوْمَ كَتَلَةً مِثْلَ مَلْمُومَةِ الصَّخْرِ^٦
جَدَّدُوا أُلْفَةَ الْهُوَى وَالْإِخَاءَ الَّذِي شَطِرِ
لَيْسَ لِلْخُلْفِ بَيْنَهُمْ أَوْ لِأَسْبَابِهِ أَثَرِ
أَلْفَتَهُمْ رَوَائِحُ غَادِيَاتٍ مِنَ الْغَيْرِ
وَصَحَاؤًا مِنْ مُنُومٍ وَأَفَاقُوا مِنَ الْخَدْرِ^٧
أَقْبَلُوا نَحْوَ حَقِّهِمْ مَا لَهُمْ غَيْرُهُ وَطَرِ
جَعَلُوهُ خَلِيَّةً شَرَعُوا دُونَهَا الْإِبْرِ^٨
وَتَوَاصَوْا بِخُطَّةٍ وَتَدَاعَوْا لِمَوْتَمِرِ^٩
وَقُصَارَى أَوْلِي النَّهْيِ يَتَلَقَّوْنَ فِي الْفِكْرِ
أَدْنُونَا بِمَوْقِفِ مِنْ جَلَالٍ وَمِنْ خَطَرِ
نَسْمَعُ اللَّيْثَ عِنْدَهُ دُونَ آجَامِهِ زَارِ
قُلْ لَهُمْ فِي نَدِيهِمْ : مَصْرُ بِالْبَابِ تَنْتَظِرِ^{١٠}

هوامش

- (١) ويقول: في كل أوبة شمس، وفي كل عودة قمر، يتوب للفقيد فضل، ويتجدد له ذكر، وإذن فهو لا يحسب ميتاً، وغاية الأمر أنه غائب في سفر بعيد.
- (٢) الحفر: القبور.

- (٣) الذي ينفذ المدى: يراد به صاحب الطعنات النافذة.
- (٤) يريد آخر خطبة للفقيد، وقد ظنَّها الناس يومئذ خطبة الوداع.
- (٥) البيض: السيوف. والسمر: الرماح.
- (٦) ملمومة: بمعنى مجتمعة، ويقال للدرع: ملمومة، وكذا يقال للكتيبة — وهي الفرقة من الجيش — ملمومة أيضًا.
- (٧) الخدر: الكسل، وهو مصدر خدر، كفرح.
- (٨) الخلية: موضع سكن النحل. شرعوا الإبر: رفعوها استعدادًا للنضال بها، كما يقال: شرع سيفه، إذا انتضاه من غمده.
- (٩) تداعوا: تجمَّعوا.
- (١٠) يريد بالندي: البرلمان، وكان وقتئذ يهياً.

المنفلوطي^١

ونعاك في عَصْفِ الرياحِ الناعي^١
جُرْحُ الرئِيسِ منافذَ الأَسْماعِ
قَدَمًا تُشَيِّعُ أو حفاوة ساعي
كيف الوقوفُ إذا أهابِ الداعي؟
ليس الغرورُ لميِّتٍ بمتاع
شَتَّى المواكبِ فيه والأَتباعِ
واظهر بفضلِ كالنهارِ مُذاع
لَبِقِ بوشى الممتعَاتِ صَناعِ
للشيبِ في الفودِ الأَحْمِ رَواعي^٢
فُتْراهُ تحتِ روائِعِ الأَسْجاعِ
أُسْلوبها، أو يُزِرُّ بالأوضاعِ
شَوُطًا، فأَحْرَزَ غايَةَ الإبداعِ
كالشمسِ جدَّةَ رُقْعَةٍ وشُعاعِ
خَسِرَتْ - لَعْمَرَكُ - صَفْقَةُ المبتاعِ

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وداعِ
هتَفَ النُّعَاةُ ضُحَى، فأوَصَدَ دونهمِ
مَنْ ماتَ في فَرَجِ القِيامَةِ لم يَجِدْ
ما ضرَّ لو صَبَرْتَ ركابكُ ساعةً
خَلَّ الجنائزُ عنك، لا تحفلِ بها
سِرٌّ في لواءِ العبقريَّةِ، وانتظِمُ
واصعدِ سماءَ الذكْرِ من أسبابها
فُجِعَ البَيانُ وأهلُهُ بمصوِّرِ
مَرْموقِ أسبابِ الشَبابِ وإنْ بَدَتْ
تتخيلُ المنظومُ في منثورهِ
لم يَجِدِ الفُصْحَى، ولم يَهْجُمِ على
لكنْ جَرى والعصرُ في مِضمارِها
حُرُّ البَيانِ، قديمُهُ وجديدهُ
يونانُ لو بِيَعْتَ (بهوميِرِ) لما

^١ هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفي المنفلوطي، اشتهر بأسلوب إنشائي خاص لفت إليه أنظار القراء في عصره، وقد توفي سنة ١٩٢٤.

فيها على ضَجْرٍ وضيِّقِ ذِرَاعِ^٢
 للعالم الباكي من الأوجاع؛
 إِنَّ الحكيمَ بها رَحِيْبُ الباع
 في لُجَّةِ الأقدارِ نَضُو شِراعٍ^٥
 قَدَرُ كِراعٍ سائِقٍ بِقطاعِ^٦
 مُتَلَفَّتْ عن كِبرياءِ مُطاع
 يمضي مُضِي العاجِزِ المُنصاع
 في الملكِ غيرَ مُعَذِّبِينِ جِيعِ؟
 لمحاتِ دمعٍ أو رسومِ دِماعِ؟^٧
 دمعُ القَريرِ وَعَبْرَةُ المُلتاع
 غيرَ الحِياةِ لهنَّ حُكْمُ مشاعِ^٨
 منها، وفي القصرِ الرفيعِ دِواعي
 حاويِ القضاءِ، وفي الرِياضِ أفاعي
 أَرَبَى على بُؤسٍ بِغيرِ قِناع
 فِقدوا؟ وَأَيُّ مُعَلِّمٍ بِيراعِ؟
 : ماذا وراءَ سرابِها اللِّمَّاعِ؟
 شَبَحًا بِكلِّ قِراةٍ وَيَفَاعِ^٩
 حِقْدِ الخُصومِ، ومِن هوى الأَشِيعِ
 تَصِلُ الجِهودَ فَكُنَّ خَيْرَ دِفاعِ
 والجِهدُ بَعْدَ المَوتِ غيرُ مُضاعِ
 وَأَتَى السِّلِيمُ جِوانِبَ الأَضلاعِ
 نَقْدُ تَنزَرَةٍ عن هوى وَنِزاعِ
 بِثَنِيَّةٍ بَعَدَتِ على الطَّلَاعِ^{١٠}
 قَلَمٌ عليه جِلالَةُ الإِجماعِ
 عَطَّلَنَ من قَلَمِ أَشَمِّ شِجاعِ
 في السِيفِ مُنْقِصَةً وَسوءِ سِماعِ

يا مُرسلَ (النظراتِ) في الدنيا وما
 ومُرْقِرَقَ (العِبارِ) تجرِي رِقَّةً
 مَنْ ضاقَ بالدنيا فليس حَكِيمَها
 هِيَ والزمانُ بأرضِهِ وسَمائِهِ
 مَنْ شَذَّ ناداهِ إِلِيه فَرَدَّهُ
 ما خَلَفَهُ إِلا مَقوودُ طائِعِ
 جِبارُ ذُهْنِ، أو شَدِيدُ شَكِيمَةِ
 من شَوَّهَ الدنيا إِلِيكِ فلم تَجِدْ
 أَبْكلِ عِينِ فِيهِ أو وَجِهَ تَرى
 ما هَكَذا الدنيا، وَلَكِنْ نُقْلَةُ
 لا الفِقرُ بِالعِبارِ حُصِّ ولا الغنى
 ما زالَ في الكِوِخِ الوَضِيعِ بَواعِثُ
 في القِفرِ حَيَّاتٌ يُسَيِّبُها بِهِ
 وَكُرْبٌ بُؤسٍ في الحِياةِ مُقَنَّعِ
 يا (مصطفى) البِلاغِ، أَيُّ يِراعَةٍ
 اليومَ أَبْصرتَ الحِياةَ؛ فقلْ لَنَا
 وَصِفِ المَونِ؛ فَكم قَعَدَتِ تَرى لَها
 سَكَنَ الأَحِبَّةِ وَالعَدَى، وَفَرَعَتِ مِنْ
 كَم غارَةٍ شَنُّوا عَلِيكِ دَفَعَتَها
 والجِهدُ مُوتِ في الحِياةِ ثِمَارِهِ
 فَإِذا مَضَى الجِيلُ المِراضُ صَدورِهِ
 فافزِعْ إِلى الزَمانِ الحَكِيمِ؛ فِعدِهِ
 فَإِذا قَضَى لَكَ أَبَتَ مِنْ شَمِّ العُلا
 وَأَجَلُ ما فِوقَ التِرابِ وَتَحَتَهُ
 تَلِكِ الأَنامِ نَامَ عَنهِنَّ البِلى
 وَالجِبْنَ فِي قَلَمِ البِليغِ نَظيرُهُ

هوامش

- (١) يشير بيوم الهول إلى أن وفاة الفقييد كانت في يوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا.
- (٢) الفود: أحد الفودين، وهما جانبا الرأس من الأمام، والأحم: الأسود. والرواعي: جمع راعية. ويريد «بالرواعي» الشعرات البيض اللواتي ظهرت في جانبي رأسه.
- (٣) النظرات: اسم كتاب للفقييد.
- (٤) العبرات: اسم كتاب له أيضاً.
- (٥) نضو شرع: أي شرع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة، بل لا يكاد يرى في خضمها المحيط.
- (٦) القطاع: طائفة من الغنم.
- (٧) رسوم دماغ: أي آثار تبدو في مجرى الدمع، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقاً في موضع مسيلها.
- (٨) غير الحياة: نوائبها المغيرة على الناس.
- (٩) اليفاع: ما ارتفع من الأرض، كالنجد. والقرار: ما انخفض منها كالوهاد.
- (١٠) الثنية: الطريق في أعالي الجبال ويجمع على الثنايا، وقد تمثلت الحجاج في خطبته الشهيرة بقول بعضهم: أنا ابن جلا وطلأع الثنايا.

عاطف بركات باشا^١

وَجَدَّ جَلالَ مَنْطِقِهِ، فِراعا
وَلِلْعَبْرَاتِ وَالْعَبْرِ اخْتِراعا
وَمَزَّقَ عَن حَنَا الدنِيا القِناعا
تَرى حَولَ الحِياةِ ولا مَتاعا
وَلَمَحَةَ مائِها إِلا خِداعا
إِذا لَم يِقْتلِ الجُثثَ اِطِّلاعا^١
يُصاغُ بَهنَّ، أَو جِگَمًا تُراعى
بَكَتِ كَسُبا، وَلَم تَبِكِ التِّياعا^٢
وَرَكُنُ الأَرْضِ باقِ، ما تَداعى^٣
تَكَادَ لَه تَمِيدُ، ولا وِداعا
وَجَدَنَ الشَّمسِ لَم تَتَكَلَّ شُعاعا
وَمَنهاجًا لَمَن شاءَ اتِّباعا
وَذِكِرَ شِجاعَةً بَعَثَ الشُّجاعا
فَذُقنَ اليَومَ لِلرِكنِ انصِداعا

خَفَضتُ لِعِزَّةِ المَوتِ اليَراعا
كَفَى بِالمَوتِ لِلنُّذُرِ ارْتِجالًا
حَكيمٌ صامِتٌ فَضَحَ اللِيايِ
إِذا حَضَرَ النَفوسَ فَلَا نَعيما
كَشَفتُ بِه الحِياةَ فَلَم أَجِدها
وما الجِراحُ بِالأَسى المَرَجى
فِإِن تَقَلَّ الرِّثاءُ فَقَلَّ دَموعا
ولا تَكُ مِثْلَ نَادِيةِ المُسجى
خَلتُ دَولَ الزَمانِ وَزَلنَ رُكنًا
كَأَنَّ الأَرْضَ لَم تَشْهَدَ لِقَواءَ
ولو أَبَتِ ثِواكلُ كُلِّ قَرَن
ولَكن تَضَرَبَ الأَمثالُ رُشداً
وَرَبَّ حَدِيثِ خَيرِ هاجِ خَيرًا
(مَعارفُ) مَصرَ كانَ لَهَنَ رِكنٌ

^١ عاطف بركات باشا: أحد رجالات مصر المقدّمين، وأحد نوابغ جيله المعلمين، ترقّى إلى منصب وكيل وزارة المعارف، وقد توفي سنة ١٩٣٥.

مضى أعلى الرجال لها يميناً
 وأكثرهم لها وقفات صدق
 أنته فنالها نفلاً وفيئاً
 تنقل يافعاً فيها وكهلاً
 فتى عجمته أحداث الليالي
 سجن مهنداً، ونفين تبراً
 شديد صلّب في الحق حتى
 ومدرسة سمّت بالعلم ركناً
 بناها محسناً بالعلم برّاً
 وحارب دونها صرعى قديم
 إذا لمح الجديد لهم تولوا
 أخوا «سيشيل»، لا تذكر بحاراً
 وربك ما وراء نواك بعد
 نزلت بعالم حرق القضايا
 فخل الأربعين لحافليها
 مرضت فما ألح الداء إلا
 ولم يك غير حادثة أصابت
 ومن يتجرع الآلام حياً
 أرقت، وكيف يعطى الغمض جفن
 ولم يهدأ وسادك في الليالي
 عجبت لشارح سبب المنايا
 ولم تكن الحتوف محل شك
 ولكن صيّد ولها بزة
 أرى التعليم لما زلت عنه
 غريق حاولت يده شراعا
 سرة القوم منصرفون عنه
 لقد نساها يوماً ناصبات

وأزحّبهم بحالتها ذراعا
 إباء في الحوادث أو زماعا
 فلا هبة أتته ولا اصطناعاً
 ومن أسبابها بلغ اليفاعا
 فلا ذلاً رأين، ولا اختضاعا
 وزدن المسك من ضغط فضاعا^٥
 يقول الحق: لينا واتداعا^٦
 وأنهضت القضاء والاشتراعا^٧
 يشيد له المعالم والرباعا^٨
 كأن بهم عن الزمن انقطاعا
 كذي رميد على الضوء امتناعا
 بعدن على المزار ولا بقاعا^٩
 وأنت بظاهر الفسطاط قاعا^{١٠}
 وأصبح فيه نظم الدهر ضاعا
 وقم تجد القرون مررن ساعا^{١١}
 على نفس تعودت الصراعا
 مفلل كل حادثة قراعا^{١٢}
 تسخ عند الممات له آجتراعا
 تسل وراءه القلب الرواعا؟^{١٣}
 لعلمك أن ستفنيها اضطجاعا
 يسمي الداء والعلة الوجاعا
 ولا الأجال تحتمل النزاعا
 ترى (السرطان) منها والصداعا^{١٤}
 ضعيف الركن، مخذولاً، مضاعا
 فلما أوشكت فقد الشراعا
 وصحف القوم تقتضب الدفاعا^{١٥}
 من السنوات قاساها تباعا^{١٦}

قُم ابْنِ الْأُمّهَاتِ عَلَى أُسَاسٍ
فَهُنَّ يَلِدُنَّ لِلْقَصَبِ الْمَذَاكِي
وَجَدْتُ مَعَانِي الْأَخْلَاقِ شَتَّى
عَزَاءَ الصَّابِرِينَ (أَبَا بَهِيٍّ)
صَبَرَتْ عَلَى الْحَوَادِثِ حِينَ جَلَّتْ
وَإِنِ النَّفْسَ تَهْدَأُ بَعْدَ حِينٍ
إِذَا اخْتَلَفَ الزَّمَانُ عَلَى حَزِينٍ
قُصَارَى الْفَرْقَدَيْنِ إِلَى قِضَاءٍ
وَلَمْ تَحْوِ الْكِنَانَةَ آلَ سَعْدٍ
وَلَمْ تَحْمِلْ كَشِيخِكُمْ الْمُفْدَى
غَدَاً فَضْلَ الْخِطَابِ، فَمَنْ بَشِيرِي
سَلُّوا أَهْلَ الْكِنَانَةَ: هَلْ تَدَاعَوْا؟
وَمَا (سَعْدٌ) بِمُتَّجِرٍ إِذَا مَا
وَلَكِنْ تَحْتِمِي الْأَمَالَ فِيهِ
إِذَا نَظَرْتَ قَلُوبَكُمْ إِلَيْهِ

وَلَا تَبْنِ الْحِصُونَ وَلَا الْقِلَاعَا
وَهُنَّ يَلِدُنَّ لِلْغَابِ السَّبَاعَا^{١٧}
جُمِعْنَ فِكْرًا فِي اللَّفْظِ الرَّضَاعَا
وَمِثْلُكَ مَنْ أَنَابَ وَمَنْ أَطَاعَا^{١٨}
وَحِينَ الصَّبْرُ لَمْ يَكُ مُسْتَطَاعَا
إِذَا لَمْ تَلْقَ بِالْجِزَعِ انْتِفَاعَا
مَضَى بِالذَّمْعِ، ثُمَّ مَحَا الذَّمْعَا.
إِذَا عَثَرَ بِهِ انْفِصَمَا اجْتِمَاعَا
أَشَدُّ عَلَى الْعِدَا مِنْكُمْ نِبَاعَا^{١٩}
نُهُوضًا بِالْأَمَانَةِ وَاضْطِلَاعَا
بِأَنَّ الْحَقَّ قَدْ غَلَبَ الطَّمَاعَا؟
فَإِنِ الْخِصَمَ بَعْدَ غَدٍ تَدَاعَى
تَعَرَّضَتْ الْحَقُوقُ شَرَى وَبَاعَا
وَتَدَّرَعُ الْحَقُوقُ بِهِ ائْرَاعَا^{٢٠}
عَلَا لِلْحَادِثَاتِ وَطَالَ بَاعَا^{٢١}

هوامش

- (١) يقال: قتل الأمر اطلاقاً، إذا بحثه طويلاً. والآسي: الطبيب.
- (٢) المسجّي: الميت. والالتياح: شدة الحزن.
- (٣) تداعى الركن: أي سقط متهدماً.
- (٤) النفل: مفرد الأنفال، يعني العطايا المكتسبة من الفياء. والفياء: الغنيمة. والاصطناع: هو ما يعبر عنه في زماننا بالمحسوبية.
- (٥) ضاع المسك والطيب: سطع عطره. لما قال: «فتى عجمته أحداث الليالي» شرح كيف كان ذلك، فأخبر أنه سُجِنَ فكان أشبه بالمهتد، ونفي فكان مثل التبر، وحين اشتدت أحداث الليالي ضغطاً، كان الفقيده أشبه بالمسك الذي يُسْحَقُ فيزيد أرجاً وطيباً.
- (٦) صلب «باللام المشددة»: أي كثير الصلابة. والائتداع: من الوداعة، وهي رقة الخلق.

(٧) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيه كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعي، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين، ولم يستغن عنها إلا بعد إصلاح الأزهر والاكتفاء بأبنائه.

(٨) الرباع: جمع ربع: الدار.

(٩) سيشل، إحدى جزر الهند النائية، نُفِي إليها الفقيه، حين اتهمته السلطات الإنجليزية بالتحريض السياسي في ثورة مصر الكبرى.

(١٠) الفسطاط: مدينة مصر. وظاهر الفسطاط: أي ضاحتها. والقاع في الأصل: هو المنخفض من الأرض، ويريد به هنا موضع القبر حيث دُفِنَ الفقيه.

(١١) الأربعين في هذا البيت، مقصود بها الأيام التي مضت على وفاته، أو السن التي توفي فيها. والساعا: جمع ساعة.

(١٢) القراع: نوع من الحرب والمغالبة.

(١٣) الرواع: من قولهم: ناقة رواع الفؤاد، بضم الراء وفتح الواو، أي شهمة زكية.

(١٤) البزاة: جمع بازي، وهو ضرب من الصقور.

(١٥) سراة القوم: سادتهم. والافتضاب: بمعنى القطع أو الإيجاز والاختصار.

(١٦) ناصبات، من قولهم: عيش ناصب، أي فيه كدٌ وجهد. وتباعاً: أي متتابعة.

(١٧) المذاكي: الخيل التي كملت قوتها. والقصب: هو الخط الذي بتراهن عليه المتسابقون.

(١٨) أبا بهي: ينادي بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيه. وأتاب: رجع إلى الله.

(١٩) النباع: جمع نبع، وهو شجر للقسي والسهام، ينبت في قمة الجبال. آل سعد: آل زغلول باشا أحوال الفقيه.

(٢٠) تدرع الحقوق به: أي تجعل منه درعاً لها. والدرع: ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمي به من السيوف وأشباهاها.

(٢١) طال باعاً: أي طال شأواً وعظم قوة.

المويلحي^١

استخَفَّ العقولَ حيناً يراعُه^١
تنطِقُ الضادَ مَهْدُهُ ورباعُه^٢
أهلُه إن تفرقت أصقاعه^٣
حي، وفي الدمع والجراح اجتماعه
أخذَ الشرقَ حِقْبَةً إبداعه
إن تولت قصوره وضياعه^٤
مئةً بيَّت، كلاهما مصراعه
مثلُ يَنفَعِ الشبَابِ أتباعه
هي إحسانُ فِكْرِهِ وابتداعه
يَخْتَلِفُ لَحْنُهُ ولا إيقاعه
وتأنتت به، ودقَّ اختراعه
ما بديعُ الزمان؟ ما أسجاعه؟^٥
وفي الأَسَدِ خُلُقُهُ وطباعه
ع، وفيها إباؤه وامتناعه
ع، قليلٍ إلى الحياة نزاعه^٦

كاتبٌ مُحَسِّنُ البَيانِ صناعُه
إبنُ مصر، وإنما كلُّ أرضٍ
إنما الشرقُ منزلٌ لم يُفرِّق
وطنٌ واحدٌ على الشمس والفص
علمٌ في البيان، وابنُ لواءٍ
حَسْبُهُ السحرُ من تراثِ أبيه
إنما السحرُ والبلاغةُ والحك
في يدِ النَّشْرِ من بيان (المويلحي)
صُورٌ من حقيقة وخيالٍ
رُبَّ سجعٍ كَمُرْقَصِ الشعرِ لَمَّا
أو كَسَجِّ الحمامِ لو فصلتُه
هو فيه بديعُ كلِّ زمانٍ
عجِبَ الناسُ من طباعِ المويلحي،
فيه كِبَرُ اللُّيُوْثِ حتى على الجو
تعب الموتُ في صَبورٍ على النز

^١ هو الكاتب الكبير محمد المويلحي المتوفي سنة ١٩٣٠، وقد ألفت هذه القصيدة في حفلة تأبينه.

صارع العيش حِقْبَةً، ليت شعري
 قهرَ الموتَ والحياةَ، وقد تحـ
 مُهْجَةً حَرَّةً، وَخَلَقَ أَبِي
 فِي الثَّمَانِينَ - يَا (مُحَمَّدُ) - عِلْمٌ
 لِمَ تَقَاعَدْتَ دُونَهَا وَتَوَانَى
 رَبِّ شَيْبٍ بَنَتْ صُرُوحَ الْمَعَالِي
 فِيهِ مِنْ هِمَّةِ الشَّبَابِ، وَلَكِنْ
 سَيِّدُ الْمُنَشِّئِينَ حَتَّى الْمَطَايَا
 حَطَّهْمَ (بِالْإِمَامِ) لِلْمَوْتِ رَكْبٌ
 قَنَعُوا بِالتَّرَابِ وَجَهًا كَرِيمًا
 كَسْنَا الْفَجْرَ فِي ظِلَالِ الْغَوَادِي
 يَا وَحِيدًا كَأَمْسٍ فِي كِسْرِ بَيْتِ
 كُلِّ بَيْتٍ تَحَلَّهُ يَسْتَوِي عَنْـ
 نَمَ مَلِيًّا؛ فَلَسْتَ أَوْلَ لَيْثِ
 حَوْلِكَ الصَّالِحُونَ، طَابُوا وَطَابَتْ
 قَلْدُوا الشَّرْقَ مِنْ جَمَالٍ وَخَيْرِ
 أُسَّسَتْ نَهْضَةُ الْبِنَاءِ بِقَوْمِ
 كُلِّ حَيٍّ - وَإِنْ تَرَاخَتْ مَنَايَا
 وَالَّذِي تَحْرَصُ النُّفُوسُ عَلَيْهِ

سَاعَةَ الْمَوْتِ كَيْفَ كَانَ صِرَاعَهُ؟
 كَمْ فِي رَائِضِ السَّبَاعِ سِبَاعَهُ
 عَيَّ عَنْهُ الزَّمَانُ وَارْتَدَّ بِاعَهُ
 لِعَلِيمٍ، وَإِنْ تَنَاهَى اِطَّلَاعَهُ^٧
 سَائِقُ الْفُلْكِ، وَاضْمَحَلَّ شِرَاعَهُ؟
 سَنَّتَاهُ، وَشَادَتْ الْمَجْدَ سَاعَهُ
 لَيْسَ فِيهِ جِمَاحُهُ وَانْدِفَاعَهُ
 وَمَضَى فِي غُبَارِهِ أَتْبَاعَهُ
 يَتَلَقَى بِطَاؤُهُ وَسِرَاعَهُ
 كَانَ مِنْ رُقْعَةِ الْحَيَاءِ قِنَاعَهُ
 كَرَمٌ صَفْحَتَاهُ، هَدْيٌ شُعَاعَهُ
 ضَيْقٌ بِالنَّزِيلِ، رَحْبٌ زِرَاعَهُ^٨
 سَدَّكَ فِي الزُّهْدِ ضَيْقُهُ وَأَتْسَاعَهُ
 بِفَلَاةِ (الْإِمَامِ) طَالَ اضْطِجَاعَهُ^٩
 أَكْمَاتُ (الْإِمَامِ) مِنْهُمْ وَقَاعَهُ^{١٠}
 مَا يَتَوَدُّ الْمُفَنِّدِينَ انْتِزَاعَهُ^{١١}
 وَيَقُومُ سَمَا وَطَالَ ارْتِفَاعَهُ
 هُ - قِضَاءٌ عَنِ الْحَيَاةِ انْقِطَاعَهُ
 عَالَمٌ بَاطِلٌ قَلِيلٌ مَتَاعَهُ

هوامش

- (١) يقال: يد صنع، أي ماهرة حاذقة، وبيان صناع أيضًا.
- (٢) رباع: جمع ربيع، وهو الدار.
- (٣) أصقاعه، جمع صقع بضم الصاد: الناحية.
- (٤) تولت القصور: أي ذهبت. والضياع: جمع ضيعة، وهي العقار والأرض المغلّة.
- (٥) بديع الزمان: هو الهمذاني صاحب المقامات المشهورة.
- (٦) النزاع للميت: ساعات احتضاره. يقول إنه مع زهده في الحياة فقد طال زمن احتضاره، ولا يكون هذا إلا من قوة الحيوية التي تستطيع مغالبة الموت.

المويلحي

- (٧) في الثمانين: يقصد ثمانين عامًا.
- (٨) كسر البيت — بكسر الكاف وفتحها: جانبه.
- (٩) فلاة الإمام: صحراء الإمام الشافعي، حيث مدفن الفقيد.
- (١٠) أكمت: جمع أكمة: المرتفع من الأرض. والقاع: المنخفض منها.
- (١١) يئود: بمعنى يثقل ويتعب: والمفندين: الكذابين.

إسماعيل باشا صبري^١

أَخْلَى يَدَيْكَ مِنَ الْخَلِيلِ الْوَافِي
لَبَسَ النَّذِيرَ عَلَى هُدَى وَعَفَافٍ^١
دُونَ الْمَصَابِ بِصَفْوَةِ الْأَلْفِ
هِمَمُ الْعِزَاءِ قَلِيلَةُ الْإِسْعَافِ
فِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ، غَيْرُ خِفَافِ
إِلَّا مَوَدَّاتِ الرَّجَالِ تَلَافٍ^٢
أَمْ لَيْلُ عُرْسٍ، أَمْ بِسَاطِ سُلَافٍ؟
مَسَّتْ حَوَاشِيهِ نَقِيْعَ زُعَافٍ^٣
حَتَّى ظَفِرَتْ بِخُلُقِكَ الْمُتَنَافِي
طُهِرَ الْمُكَفَّنِ، طَيَّبَ الْأَلْفَافُ^٤
أَتَرَاهُ يَحْسِبُهَا مِنَ الْأَضْيَافِ؟^٥
وَتَقَلَّبَتْ فِي أَكْرَمِ الْأَكْنَافِ^٦
بِالكَاطِمِ الْغَيْظِ، الصَّفُوحِ، الْعَافِي

أَجَلٌ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُوَافِي
دَاعٍ إِلَى حَقِّ أَهَابَ بِخَاشِعِ
زَهَبِ الشَّبَابِ، فَلَمْ يَكُنْ رُزْئِي بِهِ
جَلَلٌ مِنَ الْأَرْزَاءِ فِي أَمثَالِهِ
خَفَّتْ لَهُ الْعَبْرَاتُ، وَهِيَ أَيْبَةُ
وَلِكُلِّ مَا أَتَلَفْتَ مِنْ مُسْتَكْرَمِ
مَا أَنْتَ يَا دُنْيَا؟ أَرُؤِيَا نَائِمِ
نَعْمَاؤُكَ الرَّيْحَانُ، إِلَّا أَنَّهُ
مَا زِلْتُ أَصْحَبُ فَيْكَ خُلُقًا ثَابِتًا
زَهَبَ الذَّبِيحُ السَّمْحُ مِثْلَ سَمِيهِ
كَمْ بَاتَ يَذْبَحُ صَدْرَهُ لَشِكَاتِهِ
نَزَلْتُ عَلَى سَحْرِ السَّمَاحِ وَنَحْرِهِ
لَجَّتُ عَلَى الصَّدْرِ الرَّحِيْبِ وَبَرَحْتُ

^١ إسماعيل باشا صبري: أحد الشعراء السابقين الفحول، وكان يلقب بشيخ الشعراء، وكان أحد رجال الدولة في عصره، فقد تسمم أعلى المناصب القضائية، وترقى إلى منصب وكيل وزارة الحفانية، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣.

عَلِقْتُ بِأَرْحَمِ حَيَّةٍ وَشَغَافٍ^٧
 لَمْ يَبْقُ قَاسٍ فِي الْجَوَانِحِ جَافِي
 مَنْ يَبْتَلِي بِقَضَائِهِ وَيُعَافِي
 وَعَلَى الْعُبابِ فَقَرٌّ فِي الرَّجَافِ^٨
 غَيْرَ الرَّمَادِ، وَدَارَسَاتِ أَثَافِي^٩
 يَذَرُ الْعَيُونَ حَوَاسِدَ الْأَكْتَاغِ
 وَلَكَمْ نَعُوشٍ فِي الرِّقَابِ زِيَاغِ
 كَرَمٍ، وَمِمَّا ضَمَّ مِنْ أَعْطَافِ
 وَإِذَا جَلَّالَ الْعَبْقَرِيَّةِ ضَافِي
 هَلْ مُتَّعُوا بِتَمَسُّحِ وَطَوَافِ؟
 نَكَّسَ «اللَّوَاءَ» لِثَابِتِ وَقَافِ^{١٠}
 حَرْبٍ لِأَهْلِ الْحُكْمِ وَالْإِشْرَافِ
 بِقَوَادِمٍ مِنْ أَمْسِهِمْ وَخَوَافِي^{١١}
 ضَرَبُوا عَلَى مَوْتَاهُمْ، وَطِرَافِ^{١٢}
 وَعَلَى سَبِيلِ الْقَصْدِ بِالْإِسْرَافِ^{١٣}
 غُرْفَاتٍ مُثْرٍ، أَوْ سَقِيفَةَ عَافِي^{١٤}
 وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ وَالرُّفَاتُ السَّافِي
 وَتَجَرَّعَتْ تُكَلَّ الْغَدِيرِ الصَّافِي
 وَشَيِّ الرِّيَاضِ وَصَنَعَةَ الْأَفْوَافِ^{١٥}
 جَرِيًّا لِغَايَةِ سُؤْدِدِ وَطِرَافِ^{١٦}
 فَلَقَدْ أَعَادَ بَيَانَ «عَبْدِ مَنَاغِ»
 مَنْ نَا يَقِيْسُ بِهِمْ بَنِي الْأَشْرَافِ؟
 أَعَلِمْتَ لِلْقَمَرِيْنَ مِنْ أَسْلَافِ؟
 حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ فِي الْأَعْرَافِ^{١٧}
 لِلْمَوْتِ، لَيْسَ لَهَا مِنْ اسْتِئْثَافِ
 حُكْمِ الْمَنِيَّةِ، مَا لَهُ مِنْ كَافِي
 أَمْسَى تُنَادِيهِ ذُنَابُ فَيَافِي^{١٨}

مَا كَانَ أَقْسَى قَلْبَهَا مِنْ عَلَّةٍ
 قَلْبٌ لَوْ انْتَضَمَ الْقُلُوبَ حَنَانُهُ
 حَتَّى رَمَاهُ بِالْمَنِيَّةِ فَاَنْجَلَتْ
 أَخْنَتْ عَلَى الْفَلَكَ الْمُدَارِ فَلَمْ يَدُرْ
 وَمَضَتْ بِنَارِ الْعَبْقَرِيَّةِ، لَمْ تَدْعُ
 حَمَلُوا عَلَى الْأَكْتَاغِ نَوْرَ جَلَالَةِ
 وَتَقَلَّدُوا النَعَشَ الْكَرِيمَ يَتِيمَةً
 مُتَمَائِلَ الْأَعْوَادِ مِمَّا مَسَّ مِنْ
 وَإِذَا جَلَّالَ الْمَوْتِ وَافٍ سَابِعُ
 وَيَخُ الشَّبَابِ وَقَدْ تَخَطَّرَ بَيْنَهُمْ
 لَوْ عَاشَ قَدَوْتُهُمْ وَرَبُّ «لَوَائِهِمْ»
 فَلَكَمْ سَقَاهُ الْوَدَّ حِينَ وَدَادُهُ
 لَا يَوْمَ لِلْأَقْوَامِ حَتَّى يَنْهَضُوا
 لَا يُعْجِبُنَا مَا تَرَى مِنْ قَبَّةِ
 هَجَمُوا عَلَى الْحَقِّ الْمَبِينِ بِبَاطِلِ
 يَبْنُونَ دَارَ اللَّهِ كَيْفَ بَدَا لَهُمْ
 وَيُزَوِّرُونَ قَبُورَهُمْ كَقُصُورِهِمْ
 فَجَعَتْ رُبَى الْوَادِي بَواحدِ أَيْكُهَا
 فَقَدْتُ بِنَانًا كَالرَّبِيْعِ، مُجِيْدَةً
 إِنْ فَاتَهُ نَسَبُ «الرَّضِيِّ» فَرُبَّمَا
 أَوْ كَانَ دُونَ أَبِي «الرَّضِيِّ» أَبُوَّةُ
 شَرَفُ الْعَصَامِيِّينَ صُنْعُ نَفُوسِهِمْ
 قَلَّ لِلْمَشِيرِ إِلَى أَبِيهِ وَجَدِهِ
 لَوْ أَنَّ (عَمْرَانًا) نَجَارَكَ لَمْ تَسُدْ
 قَاضِي الْقَضَاةِ جَرَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةُ
 وَمُصْرَفُ الْأَحْكَامِ مَوْكُولُ إِلَى
 وَمُنَادِيهِ الْأَمْلاِكِ تَحْتَ قَبَابِهِمْ

فيه الرَّحَى ومشت على الأرداف^{١٩}
 ما كان يُعبد من وراء سِجاف^{٢٠}
 يبيجته على بلى وجفاف
 بعد العقول تماثل الأصداف
 منهوبة الأجان والأسياف^{٢١}
 فتنت بحلو تبسم وهتاف
 دمهم بدمه قرنها الرعاف^{٢٢}
 يدها، فيا لثلاثة أحلاف!
 بحبائل من خيطها وكفاف^{٢٣}
 أكفان موتى من ثياب زفاف^{٢٤}
 روح وريحان وعذب نطاف
 حسرى على تلك الخلال لهاف
 أزجيه بين يديك للإتحاف؟
 أنى بعثت بأكرم الألفاف؟
 نفات تلك الروضة المئناف^{٢٥}
 بالأمس لجة بحرك القذاف
 نهج المهار على غبار «خفاف»^{٢٦}
 مضمار فضل أو مجال قوافي
 ليس السبيل على الدليل بخافي
 للحق، لا عجلى، ولا ميجاف^{٢٧}
 خلقت بغير حوافر وخفاف
 وتوّم دار الحق والإنصاف
 حيث انتهت بصاحب الأحفاف^{٢٨}
 عما يروك، والعشي غوافي
 أن ليس جنبك عنه بالمتجافي
 فاليوم لست لها من الأهداف
 حتى ظفرت به، فدعه كفاف

في منزل دارت على الصيد العلاء
 وأزيل من حسن الوجود وعزها
 من كل لمّاح النعيم تقلبت
 وترى الجماجم في التراب تماثلت
 وترى العيون القاتلات بنظرة
 وتراغ من ضحك الثغور، وطالما
 عزت القرون الذاهبين غزاة
 يجري القضاء بها، ويجري الدهر عن
 ترمي البرية بالحبول، وتارة
 نسجت ثلاث عمائم، واستحدثت
 «أبا الحسين»، تحية لثراك من
 وسلام أهل ولله وصحابة
 هل في يدي سوى قريض خالد
 ما كان أكرمه عليك! فهل ترى
 هذا هو الريحان، إلا أنه
 والدر، إلا أن مهد يتيمه
 أيام أمرح في غبارك ناشئا
 أتعلم الغيات كيف ترام في
 يا راكب الحدباء، خل زمامها
 دان المطي الناس، غير مطية
 لا في الجياد، ولا النياق، وإنما
 تنتاب بالركبان منزلة الهدى
 قد بلغت رب المدائن، وانتهت
 نم ملء جفنيك، فالغدو غوافل
 في مضجع يكفيك من حسناته
 واضحك من الأقدار غير معجز
 والموت كنت تخافه بك ظافرا

قُلْ لِي بِسَابِقَةِ الْوِدَادِ: أَفَاتِلُ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ أَبْوَيْكَ كَنْزًا رَحْمَةً
 وَبِهَا شَبَابُكَ وَاللَّدَاتُ، بِكَيْتِهِ
 فَانْهَبْ كَمَصْبَاحِ السَّمَاءِ، كَلَاكِمَا
 الشَّمْسُ تُخْلَفُ بِالنَّجُومِ، وَأَنْتَ بِالْـ
 غَلْبِ الْحَيَاةِ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهَا
 هُو حِينَ يَنْزِلُ بِالْفَتَى، أَمْ شَافِي؟
 وَهُوَى، وَذَلِكَ مِنْ جِوَارٍ كَافِي
 وَبِكَيْتِهِم بِالْمَدْمَعِ الذَّرَافِ
 مَالِ النَّهَارِ بِهِ، وَلَيْسَ بِطَافِي
 آثَارِ، وَالْأَخْبَارِ، وَالْأَوْصَافِ
 بِالذِّكْرِ، فَهُوَ لَهَا بَدِيلٌ وَافِي

هوامش

- (١) النذير: الموت.
- (٢) المستكرم: هو كل كريم عليك من مال ونحوه.
- (٣) نقيع زعاف: أي سم ناجع بالغ.
- (٤) يشبّه الفقيده بالذبيح، والذبيح قيل: سيدنا إسحاق، والمراد هنا سيدنا إسماعيل، ومن أجل ذلك صار الفقيه سميًا له، والألفاف: يقصد بها الكفن. يريد أنه ذهب طيب المظهر والمخبر.
- (٥) الشكاة: هي العلة التي يشكوها المريض.
- (٦) السحر: الرئة. والنحر: أعلى الصدر. والأكتاف: جمع كتف، وهو الجانب.
- (٧) يريد بقوله «أرحم حية»: القلب. والشغاف (بالفتح): غلاف القلب.
- (٨) العباب: هو الموج. والرجاف: البحر.
- (٩) الأثافي: جمع أثفية، وهي ما يوضع عليه القدر.
- (١٠) رب لوائهم: يقصد به صاحب جريدة اللواء، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا.
- (١١) القوادم والخوافي: ريش في جناح الطائر. وقد ورد في قول بعضهم:

فإن الخوافي قوة للقوادم

- (١٢) طراف — على وزن كتاب: بيت من آدم، ويقصد بها المقاصير الموضوعه على بعض القبور.
- (١٣) القصد: الاعتدال، وهو في كل شيء ضد الإسراف.
- (١٤) العافي: الفقير.

- (١٥) الأفواف: الثياب الرقيقة.
- (١٦) الطرف: هنا من قولهم: توارثوا المجد طرفاً، أي عن شرف ورفعة. والرضي: هو الشريف الرضي الشاعر المشهور.
- (١٧) عمران: أبو موسى (عليه السلام)، وقد نزلت في القرآن المجيد سورة باسم آل عمران، كما نزلت سورة باسم الأعراف.
- (١٨) الأملاك: الملوك. والفيافي: الصحاري.
- (١٩) الصيد العلا: الملوك. والأرداف: أبناء الملوك، أو الذين يلونهم في المرتبة.
- (٢٠) السجاف: الستر، كالكلل ونحوها.
- (٢١) يريد «بأسياف العيون»: اللحاظ، وكثيراً ما تعمل اللحاظ في الناس عمل السيوف، وعبرَ بالأسياف ليجانس بينها وبين الأجفان.
- (٢٢) غزالة: هي الشمس. والرعاف: أي قرنها الأحمر الذي يشبه الدم.
- (٢٣) الكفاف: حبات الصائد.
- (٢٤) ثلاث عمائم: الشعر الأسود، والأسود فيه شيب، والأبيض، أي أدوار العمر الثلاثة.
- (٢٥) الروضة المئنان والأنف: هي التي تحمى فلا يكاد أحد يمرُّ بها أو يجتني منها.
- (٢٦) المهار: جمع مهر، وخصاف: فرس مشهور في العرب.
- (٢٧) الميجاف: السريعة.
- (٢٨) رب المدائن: كسرى. وصاحب الأحقاف: عاد.

فوزي الغزي^١

جرحٌ على جرح! حنانك (جلُّ)
صبراً لباة الشرق؛ كلُّ مصيبة
أنسيت نار الباطشين، وهزّة
رعناء أرسلها ودس شواظها
فمشت تُحطّم باليمين ذخيرة
جنت، فضعفها، وراض جمّاحها
لقي الحديد حميةً أمويةً
يا واضع الدستور أمس كخلقه
نظم من الشورى، وحكم راشد
لا تخش مما ألحقوا بكتابه
ميت الجلال، من القوافي زفرة
ولقد بعثتهما إليك قصيدة
أبكي ليالينا القصار وصحبة
لا أذكر الدنيا إليك؛ فربّما

حُمّلت ما يوهي الجبال ويُزهق^١
تبلى على الصبر الجميل وتخلق^٢
عرت الزمان، كأن (روما) تحرق^٣
في حجرة التاريخ أرعن أحمق^٤
وتلص أخرى بالشمال وتسرق؟
من نشك الحُمس الجنون المطبق
لا تكتسي صدأً، ولا هي تطرق
ما فيه من عوج، ولا هو ضيق
أدب الحضارة فيهما والمنطق
يبقى الكتاب وليس يبقى المُلحق
تجري، ومنها عبرة تترقرق
أفأنت منتظر كعهدهك شيق؟
أخذت مَخيلتها تجيش وتبرق^٥
كره الحديث عن الأجاج المغرق^٦

^١ فوزي الغزي: هو أحد سراة الزعماء في الشام، وأحد ألوية الثورة العربية في نهضتها العظمى، توفي وأقيمت له حفلة تأبين في دمشق، وألّقت فيها هذه القصيدة العصماء، في سنة ١٩٢٠.

وشرابُها، وهوؤها المتنشَّق
 لا يعلمون بأيِّ سَمِيها سُقُوا^٧
 ما ليس يَسْقِيكَ العَدُوُّ الأَزْرَقُ^٨
 ولكلِّ نَفْسٍ مُدَّةٌ لا تُسْبِقُ
 عِلْقَتُ، وأسبابُ المنيَّةِ تَعْلُقُ
 كَفَرْتُ بما تَنتابُ منه وتَطْرُقُ^٩
 ترمي مكانك بالعيون وتَرْمُقُ^{١٠}
 فعساک تَطْلُعُ، أو لعلَّكَ تُشْرِقُ
 والحوْرُ مَحْلُولُ الضفائرِ مُطْرُقُ^{١١}
 يَجِدُ الهُمومَ خَلِيهِنَ وَيَأْرُقُ^{١٢}
 أَبْذاتِ طَوْقٍ بَعْدَ ذلكِ يُوثِقُ؟^{١٣}
 في العبقريَّةِ ما يُحِبُّ وَيُعْشِقُ^{١٤}
 وكأَنَّ ظِلَّ السَّمِّ فِيها زَنْبِقُ
 بحياته الوطنُ المَرُوعُ المُشْفِقُ
 لولا القضاءُ من السماءِ لما شَقُوا
 فانظر فَوادِكَ، هل يَلِينُ وَيَرْفُقُ؟
 صَفَحُوا، فما منهم مَغِيظٌ مُحْنَقُ
 وَأَنْبَتٌ من أسبابها المُتَعَلِّقُ^{١٥}
 للشمسِ يُصْنَعُ في المماتِ وَيُنْسَقُ
 عَمَّا وِراءَكَ من رُفاتِ أَضْيِقُ^{١٦}
 وافي يُعزِّي الشامَ فيكَ المَشْرِقُ
 يَحْمِي حِمَى الحَقِّ المَبِينِ وَيَخْفِقُ
 وتَلَمَّسَتْهُ فلم تَجِدْهُ الفَيْلِقُ^{١٧}
 فَيَرَى، وتَسألُهُ الخِطابَ فينطِقُ
 عودُ المنابرِ يُسْتَخَفُ فَيُورِقُ^{١٨}
 كانت بها الدنيا تَرْفُ وتَعْبِقُ؟^{١٩}
 وتُحِسُّ رِيأها العَقولُ وتَنشِقُ

طُبِعَتْ من السَّمِّ الحِياةُ، طَعامُها
 والناسُ بينَ بَطِيئِها ودُعافِها
 أمَّا الوَلِيُّ فَقَد سَقاكَ بِسَمِّه
 طَلَبوكِ والأَجَلُ الوَشِيكُ يَحْتُمُّه
 لَمَّا أَعانَ المَوْتُ كَيْدَ جِبالِهم
 طَرَقَتْ مِهادَكَ حَياةٌ بَشَريَّةُ
 يا (فوز)، تلكَ دَمَشقُ خَلَفَ سَوايِها
 نَكَّرَتْ لِيالِي بَدِرها، فَتَلَفَّتَتْ
 (بَرْدَى) وِراءَ ضِفافِها مُسْتَعْبِرُ
 والطيرُ في جَنباتِ (دَمَر) نُوحُ
 وَيَقولُ كُلُّ مُحَدِّثٍ لِسَميرِها
 عَشِقَتْ تَهاوِيلَ الجِمالِ، ولم تَجِدْ
 فَمَشَتْ كأَنَّ بَنانِها يَدُ مُدْمِنِ
 ولو أَنَّ مَقدورًا يُرَدُّ لِرَدِّها
 أَشَقَى القِضاءُ الأَرْضَ، بَعَدَكَ أُسرةُ
 قَسَتْ القُلُوبُ عَلِيهْمُ وَتَحَجَّرتْ
 إنَّ الذِّينَ نَزَلَتْ فِي أَكْنافِهم
 سَخَرُوا من الدُّنيا كِما سَخَرَتْ بِهَمِ
 يا مَأْتَمًا من (عَبْدِ شَمسِ) مِثْلُه
 إنَّ ضاقَ ظَهْرُ الأَرْضِ عَنكَ فَبَطْنُها
 لَمَّا جَمَعَتْ الشامَ من أَطرافِها
 يَبْكي لَواءً من شِبابِ أُمِّيَّةِ
 لَمَسَتْ نَواصِيها الحِصونُ تَرومُه
 رَكُنُ الزِعامَةِ حينَ تَطَلَبُ رَأْيَه
 وَيَكادُ من سِحْرِ البِلاغَةِ تَحْتَه
 (فِحاءُ)، أَيْنَ عَلَي جِنايِكَ وَرِدَّةُ
 عُلويَّةُ تَجِدُ المِسامعَ طَيِّها

وَأَرَاكَ الزَّهْرَ الغصونُ، وعرشُها
 مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي شُبُولَةٌ جَلَّقِ
 بِاللَّهِ جَلَّ جَلَّاهُ، بِمَحْمَدٍ
 قَدْ تُفْسِدُ المَرْعىَ عَلَى أحوالِها
 يَدُ أُمَةٍ وَجَبِينُها وَالْمُفْرَقِ
 قَوْلًا يَبْرُ عَلَى الزَّمانِ وَيُصَدِّقُ؟
 بَيْسُوعَ، بِالغَزِيِّ لا تَتَفَرَّقُوا
 شاةً تَنْدُ مِنَ القَطِيعِ وَتَمْرُقُ

هوامش

- (١) جلق (بشدة اللام مفتوحة أو مكسورة): دمشق.
- (٢) اللبابة: أنثى الأسد.
- (٣) يشير إلى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع. وحادثة حرق روما: هي إحدى الحوادث التاريخية الكبرى، وهي مضرب المثل منذ صار نيرون مثلاً للظلم والجبروت.
- (٤) الشواظ (بضم الشين وكسرهما): لهب لا دخان فيه.
- (٥) السحابة المخيَّلة: التي تُحَسَّبُ ماطرة، أي أن صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيَّلة مرجوة المطر.
- (٦) الأجاج: الملح المرُّ.
- (٧) الذعاف: سُمُّ الساعة.
- (٨) العدوُّ الأزرق: هو الكثير العداوة.
- (٩) المهاد: الفراش، وفي هذا البيت إشارة إلى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته.
- (١٠) سواد دمشق: أي القرى التابعة لها.
- (١١) بردى: نهر بالشام. المستعير: بمعنى الباكي. الحور: شجر. ضفائر الحور: غصونه. التي تشبه جدائل الشعر.
- (١٢) دمر (بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة): عقبة في دمشق. خليهن: الخالي من الهموم، وهو ضد الشجي.
- (١٣) ذات الطوق: الحمامة، وهي في هذا البيت كناية عن المرأة.
- (١٤) التهاويل: الألوان المختلفة.
- (١٥) انبت، أي قَطَعَ.
- (١٦) الرفات: بقايا الميت.
- (١٧) نواصي الحصون: أعاليها.
- (١٨) يستخف، بمعنى يسرُّ ويطرب.

الشوقيات

(١٩) فيحاء: دمشق.

كريمة البارودي^١

أَحَيْثُ تَلُوْحُ الْمُنَى تَأْفَلُ؟
حَكَيْتَ الْحَيَاةَ وَحَالَاتِهَا
أَمِنْ جَنْحِ لَيْلٍ إِلَى فَجْرِهِ
وَذَلِكَ يُوْجِشُ مِنْ رَبِيَّةٍ
أَجَابَ النَّعِيُّ لَدَيْكَ الْبَشِيرَ
وَأَطْرَقَ بَيْنَهُمَا وَالِدٌ
يَفِيءُ إِلَى الْعَقْلِ فِي أَمْرِهِ
تَهَاوَتْ عَنِ الْوَرْدِ أَغْصَانُهُ
وَرَا حَتَّ حَيَاةً، وَجَاءَتْ حَيَاةً
وَمَا غَيْرُ مَنْ قَدْ أَتَى مُدِيرٌ
كَأَنِّي (بِسَامِي) هَلْوَعُ الْفَوَاذِ
يَرَى قَدْرًا يَأْمَلُ اللَّطْفَ فِيهِ
يُضِيءُ لِضَيْفَانِهِ بِشْرُهُ
وَيَقْرِيهِمْ الْأَنْسَ فِي مَنْزِلِ

كفَى عِظَةً أَيُّهَا الْمَنْزَلُ!^١
فَهَلَّا تَخَطَّيْتِ مَا تَنْقَلُ؟
حَمَى يَزْدَهِي، وَحَمَى يَعْطَلُ؟^٢
وَذَلِكَ مِنْ رَبِّةٍ يَا أَهْلُ؟^٣
وَذَاقَ بَكَاسِيَهُمَا الْمَحْفَلِ
أَخُو تَرْحَةٍ، لَيْلُهُ اللَّيْلِ
وَلَكِنَّهُ الْقَلْبُ، لَا يَعْقِلُ
وَطَارَ عَنِ الْبَيْضَةِ الْبُئْبُلُ^٤
وَأَظْهَرَ قَدْرَتَهُ الْمُبْدِلِ
وَلَا غَيْرُ مَنْ قَدْ مَضَى مُقْبِلِ
إِذَا أَسْمَعْتَ هَمْسَةً يَعْجَلُ
وَعَادِي الرَّدَى دُونَ مَا يَأْمَلُ
وَبَيْنَ الضَّلُوعِ الْغَضَى الْمُسْعَلِ^٥
وَيَجْمَعُهُ وَالْأَسَى مَنْزِلِ

^١ وجّه هذه القصيدة يعزي بها المرحوم محمود سامي باشا البارودي في كريمته التي توفيت أثناء زفاف شقيقتها.

فمن غادِةٍ في مَجَالِي الرِّفَافِ
 وذي في نفاستِهَا تَنْطَوِي
 تَقَسَّمُ بَيْنَهُمَا قَلْبُهُ
 فِيا نَكَدَ الحُرِّ، هل تَنْقُضِي؟
 ويا صبر (سامي)، بَلَّغْتَ المَدَى
 لَقَد زِدْتَ من رِقَّةٍ كالصِراطِ
 يَمُرُّ عَلَيْكَ خَلِيطُ الخُطوبِ
 ويا رجلِ الحِلْمِ، خُذْ بِالرِضَى
 أَتَحَسِّبُ شَهِدَا إِنياءِ الرِّمَانِ
 وما كان مِنْ مُرِّهِ يَعتَلِي
 وَأَنْتَ الَّذِي شَرِبَ المِترَعاتِ
 أَفِي ذا الجِلالِ، وفي ذا الوَقارِ
 أَلَمْ تَكُنِ المَلِكُ في عِزِّهِ
 وَقَوْلُكَ مِنْ فِوقِ قَولِ الرِّجالِ
 سَتَعْرِفُ دَنياءَكَ مِنْ سَوايَ
 كَأَنَّكَ (شَمشونُ) هَذي الحِياةِ
 إِلى غادِةٍ داوِئِها مُعْضِلِ
 وذي في نِفاستِها تَرُفِلُ^٧
 وخانَتِها عَيناهُ وَالأزْجُلِ
 ويا فرحِ الحُرِّ، هل تَكْمُلُ؟
 ويا قَلبِ السَهلِ، كَم تَحْمِلُ؟
 ودونِ صِلابَتِكَ الجَندَلِ
 وَيَجْتَازُكَ الخِيفُ والمُثَقَلِ^٨
 فَذَلِكَ مِنْ مُتَّقِ أَجْمَلِ
 وَطِيبَتُهُ الصابُ وَالْحَنَظَلِ؟
 وما كان مِنْ حُلُوهِ يَسْفَلِ
 فَأَيُّ البِواقِي بِهِ تَحْفَلِ؟
 تُخِيفُكَ ضِراءُ أَوْ تُذَهَلِ؟
 وَبِاعُكَ مِنْ بَاعِهِ أَطوَلِ؟
 وَفَعْلُكَ مِنْ فَعْلِهِمُ أَنْبَلِ؟^٩
 وَأَنْ وَقارَكَ لا يُبْذَلِ
 وَكُلُّ حِوادِثِها هَيِّكَلِ^{١٠}

هوامش

- (١) تلوح المنى: بمعنى تشرق، تأفل: بمعنى تغرب.
- (٢) جنح الليل (بضم الجيم وكسرهما): طائفة منه. يعطل: بمعنى يخلو. والأصل في العطل: التجرد من الحلي.
- (٣) الربة هنا: يقصد بها صاحبة البيت. يأهل: يمتلئ أو يعمر.
- (٤) الترحة: الحزن. الأليل: الشديد السواد.
- (٥) تهاوت: أي تساقطت أو تخلت.
- (٦) الغضى: شجر إذا اشتعل بقي جمره طويلاً.
- (٧) النفاسة من قولهم: هذا شيء نفيس، أي ثمين يرغب فيه. والنفائس: الحلي وما أشبهها.
- (٨) الخف: الخفيف. المثقل: الثقيل.

كريمة البارودي

(٩) يشير إلى زمن الثورة العرابية، وموقف البارودي منها.

(١٠) شمشون: أحد أنبياء التوراة، وله قصة هناك تدلُّ على أنه أُعطي بسطة

عظيمة في القوة.

فتحي ونوري^١

وإلى وُجوهِ السَّعْدِ كيفَ تَحولُ
عادي الرَّدَى بِإِشارةٍ فتميلُ
صَرَعىَ عليهن التُّرابُ مَهيلُ
والعهدُ في عُمرِ النُّسورِ يَطولُ
قمرٌ من الغُرِّ السُّماةِ قَتيلُ
هيهات! ليس من القضاءِ مُقيلُ
فالأرضُ وَلهى، والسماءُ تَكولُ
الموتُ لا يخفى عليه سبيلُ
نسرٍ يُرْفرفُ فيه عزرائيلُ
فيها عزيزاً مات وهو ذليلُ
وإلى الأمانى يَسْكُنُ المسلولُ؟
نُعمى الحياةِ وبؤسها تضليلُ
عمرُ الورودِ، وإنه لقليلُ
كالحلم جاءَ بصدّه التأويلُ

أنظر إلى الأَقمارِ كيفَ تزولُ
وإلى الجبالِ الشُّمِّ كيفَ يُميلُها
وإلى الرِّياحِ تَخَرُّ دونَ قَرارِها
وإلى النُّسورِ تقاصرتُ أعمارِها
في كلِّ منزلةٍ وكلِّ سَميَّةِ
يهوي القضاءُ بها، فما من عاصِمِ
(فتحُ السماءِ) و(نورِها) سَكنا الثرى
سِرٌّ في الهواءِ، ولُدْ بناصيةِ السُّها
واركبُ جَناحِ النسرِ لا يَعصِمُك من
ولكلِّ نفسٍ ساعةٌ، مَنْ لم يَمُتْ
ألى الحياةِ سَكنتَ وهي مَصارعُ
لا تَحفلنَ ببؤسها ونعيمِها
ما بين نَضرتِها وبين ذُبولِها
هذا بَشيرُ الأَمسِ أصبحَ ناعياً

^١ فتحي ونوري: هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر في سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما، فسقطت بهما؛ فماتا، فكان لصابهما في مصر أسف شديد، وكانت الخلافة الإسلامية وقتئذ ما تزال تربط المصريين بالعثمانيين.

ما كان من فرح عليه يسيل
 كالرُّقْط في ظلِّ الرياضِ ثقيلٌ^٢
 فتحُ أَعْرُ على السماءِ جميل
 ولمن يُشَيِّد بعده فيُطيل
 لم يَهْدِ فيها السالكين دَليل
 أو علمه، والآخرون فُضول
 والتابعون من الخميس حُجول^٣
 فيم الوقوف ودون مصرٍ ميل؟
 لَمَّا طَلَعْتُمْ فِي السحابِ كَلِيل
 لَكُمْ عَلَى طُغْيَانِهَا لَذَلُول
 أَنَّ الْمَنِيَّةَ ثَالِثٌ وَزَمِيل
 لك في الحياة وفي الممات خليل
 في الجوّ نَسَرَ بِالحياةِ بَخِيل
 عَرَضَ السَّمَاءِ ضَرِيحُهُم وَالطُّول؟^٤
 ويرفرفُ التسبيح والتهلِيل
 وَيَسُوعُ فَوْقَ يَمِينِهِ إِكْلِيل^٥
 طيب، وهَمْسُ حديثهم إنجيل^٦
 في يوم يُفْسِدُ فِي السَّمَاءِ الجِيل^٧
 لا أَدَمُ فِيهَا، ولا قابيل^٨
 ويرى بها برق الرجاءِ عليْل
 شيخٌ، وباللحظِ البريء بتول^٩
 سَيْلٌ، وللدِّمِّ والدموعِ مسيل
 فيها، ومن خيل الهوائِ رَعيل^{١٠}
 والدهرُ للسَّرِّ المصونِ مُذيل^{١١}
 ملهوفَةٌ، لم تدر كيف تقول
 بينَ الجداولِ والعيونِ ذُبُول^{١٢}
 وبكلِّ حَزْنٍ رَنَّةٌ وَعَوِيل

يجري من العبراتِ حولَ حديثه
 ولزَّبَ أَعْرَاسٍ حَبَّانَ مَاتَمَّا
 يا أَيُّهَا الشَّهَدَاءُ، لَنْ يُنْسَى لَكُمْ
 والمجدُ في الدنيا لأوَّلِ مُبْتَنٍ
 لولا نفوسُ زُلْنٍ فِي سُبُلِ العُلا
 والنَّاسُ بِأَذْلِ رُوحِهِ، أو مالِهِ
 والنَّصْرُ غَرَّتْهُ الطلائعُ فِي الوَعَى
 كم ألفِ ميلٍ نحو مصرَ قطعتمُ
 (طوروس) تحتكم ضئيلٌ، طرُفه
 تُرخون للريح العنان، وإنها
 إثنين إثر اثنين، لم يخطر لكم
 ومن العجائب في زمانك أن يفي
 لو كان يُفدى هالكٌ لفداكمُ
 أيُّ الغزاةِ أولي الشهادةِ قبلكم
 يَغْدُو عَلَيْكُمْ بِالتَّحِيَّةِ أَهْلُهَا
 (إدريس) فوق يمينه رِيحَانَةٌ
 في عالم سُكَّانِهِ أَنفَاسُهُمْ
 إنني أخاف على السماءِ من الأذى
 كانت مطهَّرة الأديم، نَقِيَّةٌ
 يَتَوَجَّهَ العاني إلى رحمتِها
 ويشيرُ بالرأسِ المُكَلَّلِ نحوها
 واليومُ للشهواتِ فيها والهوى
 أضحَّتْ ومن سُفنِ الجوائِ طوائِفُ
 وأزيل هيكُلُها المصونُ وسرُّه
 هَلِعتْ (بمشق)، وأقبلتْ في أهلها
 مَشَتْ الشُّجونُ بها، وعمَّ غياطُها
 في كلِّ سهلٍ أَنَّهُ وَمَنَاحَةٌ

وكانما نُعِيَتْ أُمِّيَّةٌ كُلُّهَا
خَضَعَتْ لَكُمْ فِيهِ الصَّفُوفُ، وَأُزْلِفَتْ
مِنْ كُلِّ نَعِشٍ كَالثُّرَيَّا، مَجْدُهُ
فِيهِ شَهِيدٌ بِالْكِتَابِ مُكْفَنٌ
أَعْوَادُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ، وَأَصْلُهُ
يَمْشِي الْجَنُودُ بِهِ، وَلَوْلا أَنَّهُمْ
حَتَّى نَزَلْتُمْ بُقْعَةً فِيهَا الْهُوَى
عَظُمَتْ، وَجَلَّ ضَرِيحُ (يُوسُفَ) فَوْقَهَا
شِعْرِي، إِذَا جُبَّتِ الْبِحَارُ ثَلَاثَةً
وَتَدَاوَلْتِكِ عَصَابَةٌ عَرَبِيَّةٌ
وَبَلَغَتْ مِنْ بَابِ الْخِلَافَةِ سُدَّةً
قُلِّ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ، وَلَا لَهُ
تلك الخُطُوبُ — وقد حملتم شَطْرَهَا —
إِنْ تَفَقِدُوا الْأَسَادَ أَوْ أَشْبَالَهَا
صَبْرًا؛ فَأَجْرُ الْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُكُمْ
يَا مَنْ خِلَافَتُهُ الرِّضِيَّةُ عِصْمَةٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خِلْفَائِهِ
وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَائِطًا
هَذَا مَقَامٌ أَنْتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ
بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجِرْحِ الَّذِي
إِلَّا حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ
أَيَقُولُ وَاشِ، أَوْ يُرَدِّدُ شَامِتٌ
هُوَ مِنْ سَيُوفِكَ أَغْمَدُوهُ لَرِيْبَةٍ
فَاذْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاءَهُ

للمسجد الأموي، فهوَ طُلول^{١٣}
لَكُمْ الصَّلَاةَ، وَقُرَّبَ التَّرْتِيلِ
فِي الْأَرْضِ عَالٍ، وَالسَّمَاءِ أَصِيلِ
بِمَدَامِ الرُّوحِ الْأَمِينِ غَسِيلِ
بَيْنَ (السُّهَى) وَ(المُشْتَرِي) مَحْمُولِ^{١٤}
أَوْلَى بِذَلِكَ مَشَى بِهِ جِبْرِيلُ
مِنْ قَبْلِ ثَاوِي، وَالسَّمَاحُ نَزِيلِ
حَتَّى كَأَنَّ المَيْتَ فِيهِ رَسُولِ^{١٥}
وَحَوَاكِ ظِلُّ فِي (فِرُوقِ) ظَلِيلِ^{١٦}
بَيْنَ المَآذِنِ وَالْقِلَاعِ نَزُولِ
لِسْتُورِهَا التَّمْسِيحُ وَالتَّقْبِيلِ
صَبْرُ العِظَامِ عَلَى العِظِيمِ جَمِيلِ
نَاءِ الفِرَاتِ بِشَطْرِهَا وَالنَّيْلِ
فَالغَابُ مِنْ أَمْثَالِهَا مَأْهُولِ
عِنْدَ الإِلهِ، وَإِنَّهُ لَجَزِيلِ
لِلْحَقِّ، أَنْتَ بَأَنَّ يُحَقِّقُ كَفِيلِ
عَدْلًا يُقِيمُ المَلِكَ حِينَ يَمِيلِ
لَا الجَيْشُ يَرْفَعُهُ وَلَا الأَسْطُولِ
وَالرَّفَقُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مَأْمُولِ^{١٧}
مَا انْفَكَّ فِي جَنْبِ الهَلَالِ يَسِيلِ
إِنَّ الوَثَاقَ عَلَى الأَسْوَدِ ثَقِيلِ^{١٨}
صِنْدِيدُ (بِرْقَةِ) مُوثِقٌ مَكْبُولِ؟^{١٩}
مَا كَانَ يُغْمَدُ سَيْفُكَ المَسْلُولِ
وَاسْتَبَقَهُ، إِنَّ السِّيُوفَ قَلِيلِ

هوامش

(١) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

- (٢) يريد أن الأحزان تختبئ في الأرواح، كما تكمن الحيات الرقطة وقت القيلولة في ظلال الرياض، فوجود الحيات في ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به، كما أن انطواء الأحزان في ثنايا الأفراح مسمم لجوها، مانع من الاستمتاع بكل سرورها.
- (٣) الخميس: الجيش. الحجول: أصلها من اللون الأبيض يكون في قوائم الفرس كأنه العلامات، يقول: إن الذين يقدمون في أوائل الجيوش، يكونون في جسم النصر أشبه بالغرة، وهي لا تكون إلا في الوجه، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول، وهي لا تكون إلا في الأيدي والأرجل، وطبيعي أن الوجه أشرف، وإن كانت الحجول بعض سمات الجمال.
- (٤) في هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين؛ إذ يقول لهم: إن الغزاة — وهم موضع الإجلال والإكبار — تشقُّ قبورهم في الأرض، ولكن أضرحتكم في السماء.
- (٥) يسوع: هو عيسى ابن مريم. إدريس: هو أحد الأنبياء الرسل. وقد خصَّ إدريس بالذكر، لما جاء في قصة الإسراء، من أن النبي صلوات الله عليه رآه قائماً على باب إحدى السماوات السبع، فسأل جبريل: من هذا؟ فقال: أخوك إدريس.
- (٦) قوله: «وهمس حديثهم إنجيل»: يقصد أن أحاديثهم طهرٌ وتقديس.
- (٧) يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذها الطيارون ميداناً للحروب، فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخریب أوطانهم.
- (٨) يريد «بقابيل» الإشارة إلى أول دم أراقه الإنسان ظلماً لأخيه الإنسان.
- (٩) الرأس المكمل: الذي يتوجه الشيب، وهذه كناية عن حالة الضعف.
- (١٠) خيل الهواء: الطيارات. الرعيل: القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين.
- (١١) مذيبل: مهين. أي أن الدهر لم يحسن حفظ هذا السرِّ المصون فكأنه إهانة.
- (١٢) الغياط: جمع غوطة، وهي الموضع الكثير الماء والشجر. ويقصد «بالعيون» عيون الماء.
- (١٣) طول: جمع طلل. وهو ما شخص من آثار البناء.
- (١٤) المشتري: من الكواكب السيّارة.
- (١٥) يقصد «بيوسف» صلاح الدين الأيوبي.
- (١٦) جبت: قطعت. فروق: الآستانة، وكانت عاصمة الخلافة الإسلامية وقتئذ.
- (١٧) كان يخاطب الخليفة محمد رشاد.

(١٨) السجين: هو عزيز بك المصري القائد الحربي العظيم، وكان يجاهد في طرابلس أيام أغار عليها الطليان، وقد وشي به للحكومة التركية، فاعتقلته وزجّت به في السجن، ولم يخرج إلا بتحقيق وشفاعة مصرية، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجمل مظاهرها.

(١٩) برقة: أحد الأقاليم الليبية حدثت به أهم الوقائع الحربية في تلك الإغارة، وفيها لمع مجد عزيز بك.

علي باشا أبو الفتوح^١

ما بينَ دمعِي المُسْبِلِ عهدٌ وبينَ نَرَى (علي)
عهدُ (البقيع) وساكنيـ هـ على الحيا المتهدل^١
والدمعُ مروحةُ الحزيبِ نـ وراحةُ المُتَمَلِّمِ
نمضي، ويلحِقُ مَنْ سلا في الغابرينَ بمنْ سُلِي
كم مِنْ تُرابٍ بالدمو عـ على الزمانِ مُبَلِّ
كالقبرِ ما لم يَبَلْ فيـ هـ من العظامِ، وما بلي
ريانَ من مجدِ يَعـ زُ على القصورِ موثِل
أَمَسَتْ جوانِبُه قَرا رَا لِلنُجُومِ الأَقْلِ
وحديثُهُم مِسْكُ النَّدِ ي، وَعَنْبَرٌ في المحفَلِ
قلْ للنَّعِيِّ: هتكتَ دَمـ عـ الصابرِ المُتَجَمِّلِ^٢
المُلتَقِي الأحداثِ إنْ نزلتْ كأنْ لَم تَنزِلِ
حَمَلَ الأَسَى (بأبي الفتو ح) عليَّ ما لَم أَحْمِلِ^٣
حتى نَهَلْتُ، ومن يَذُق فقدَ الأَحِبَّةِ يَذْهَلِ
فَعَتَبْتُ في رُكنِ (القضا ء) على القضاءِ المُنْزَلِ

^١ علي باشا أبو الفتوح: أحد نوابغ مصر الذين اشتركوا في تمهيد الطريق لنهضتها، كان حقوقياً ضليعاً، وأسندت له وكالة وزارة المعارف، فكان موضع الفخر والأمل، وقد توفي سنة ١٩١٣، فعُدَّ موته خسارة وطنية كبرى.

لَهْفِي عَلَى ذَاكَ الشَّبَابِ
وَعَلَى الْمَعَارِفِ إِذْ خَلْتُ
وَعَلَى شَمَائِلِ كَالرُّبِيِّ
وَحَيَاءِ وَجْهِهِ كَانَ يُؤْ
يَا رَاوِيًا تَحْتَ الصَّفِيِّ
وَمُسْرِبَلًا حُلَلَ الْوِزَا
وَمُوسِدًا حُفَرَ الثَّرَى
إِنِّي التَفْتُ إِلَى الشَّبَابِ
وَوَقَفْتُ مَا بَيْنَ الْمُحَقِّقِ
فَرَأَيْتُ أَيَّامًا عَجِلًا
كَانَتْ مُوَطَّأَةً الْمَهَا
ذَهَبَتْ كَحُلْمٍ، بِيَدِ
إِذْ نَحْنُ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ
جَارَانِ فِي دَارِ النَّوَى
أَيُّكِي وَأَيُّكَ ضَاكِحَا
وَالدَّرْسُ يَجْمَعُنِي بِأَفِّ
أَيَّامٍ تَبْدُلُ فِي سَبِيهِ
غَضَّ الشَّبَابِ، فَكَيْفَ كُنْ
وَإِذَا دَعَاكَ إِلَى الْهُوَى
وَلَوْ اظْلَعْتَ عَلَى الْحَيَا
لَمْ يَدْرِ إِلَّا اللَّهُ مَا
تَجْرِي بِنَا لِمُفْتَحِ
حَتَّى تَبْدُلُنَا، وَذَا
هَاتِيكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ
مَنْ فَاتَهُ ظِلُّ الشَّبَابِ
يَا رَاوِيًا أَخْلَى الدِّيَا
تَتَحَمَّلُ الْأَمَالَ إِثْمًا

بِ وَذَلِكَ الْمَسْتَقْبَلُ
مِنْ رَكْنَيْهَا وَالْمَوْئِلُ
بَيْنَ الصَّبَا وَالْجَدُولِ
ثُرَّ عَنْ «يَسُوعَ» الْمَرْسَلِ
حِجِّ مِنَ الْكِرَى وَالْجَنْدَلِ
رَدِّ بَاتٍ غَيْرِ مُسْرِبَلِ
بَعْدَ الْبِنَاءِ الْأَطْوَلِ
بِ الْغَابِرِ الْمَتَمَثِّلِ
قِي فِيهِ، وَالْمَتَخَيَّلِ
نَ، وَلِيَّتْهَا لَمْ تَعَجَلِ
بِ لَنَا، عِذَابِ الْمَنْهَلِ
أَنَّ الْحُلْمَ لَمْ يَتَأَوَّلِ
بِ الْوَارِفِ الْمَتَهَدِّلِ
مُتَقَابِلَانِ بِمَنْزَلِ
نَ عَلَى خَمَائِلِ مَوْئِلِي
ضَلَّ طَالِبٍ وَمُحَصِّلِ
لِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُبَدَّلِ
تَ عَنْ الشَّبَابِ بِمَعْزَلِ؟
دَاعِي الصَّبَا لَمْ تَحْفَلِ
ةِ فَعَلْتِ مَا لَمْ يُفْعَلِ
حَبَّاتُ لَكَ الدُّنْيَا، وَلِي
بَيْنَ الْغُيُوبِ وَمُقْفَلِ
كَ الْعَهْدُ لَمْ يَتَبَدَّلِ
بِ الْمَحْسَنِ الْمَتَفَضِّلِ
بِيَةِ عَاشٍ غَيْرِ مُظَلَّلِ
رَ وَفَضْلُهُ لَمْ يَرَحَلِ
رَ شَبَابِهِ الْمَتَحَمَّلِ

مشتِ الشبيبةُ جَحْفَلًا تَبْكِي لِوَاءِ الْجَحْفَلِ^٩
فانظر سريرك، هل جرى فوق الدموعِ الهُطْلُ؟
الله في وطنٍ ضعيفٍ فِ الركنِ، واهي المعقلِ
وأبٍ وراءك حُزْنُه لِنواك حزنُ المثكلِ
يَهَبُ الضِّياعُ العامرا تِ لِمَنْ يردُّ له «علي»
ليس الغنيُّ من البريِّ عة غير نبي البالِ الخَلِي
وَنَجِيبَةٍ بين العقبا ثِلْ هَمُّها لا ينسل^{١٠}
نَخَلَتْ منازلها المنو نُ على الجريءِ المُشْبِلِ^{١١}
كسرتَ جناحَ مُنعمٍ ورمتَ فوادَ مُدَلِّلِ
فكأنَّ ألك من شج ومُتَيِّمٍ ومُرمَلِ
أل «الحسين» (بِكربلا في كُربَةٍ لا تنجلي)^{١٢}
خلعَ الشبابُ على القنا وبذلتَه لِلْمُعْضِلِ^{١٣}
والسيفُ أرحمُ قاتلاً من عِلَّةٍ في مَقْتَلِ
فاذهب كما ذهبَ الحسيب نٌ إلى الجوارِ الأفضَلِ
فكلاكما زينُ الشبا بَ بجنةِ اللهِ العلي

هوامش

- (١) البقيع: أحد المزارات المقدّسة في المدينة المنوّرة.
- (٢) المتجمل: الذي يدفن همه في صدره احتساباً ويظهر عكسه للناس.
- (٣) الأسي: الحزن.
- (٤) الموثل: الملجأ الذي يلجأ إليه في الشدة.
- (٥) يريد «بالصفيح والجنديل»: حجارة القبر. يستعبر بالفقيد — وهو المرفّه في الحياة — كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة، وهذا حذق في سياق التفجّع بأسلوب الاستعبار.
- (٦) المتهدّل: من قولهم: تهدّلت أغصان الشجر، إذا تدلّت.
- (٧) يشير في هذا البيت والذي قبله، إلى أن الفقيد كان هو وأمير الشعراء زميلين وصديقين، كانا يطلبان العلم في جامعة «مونبلييه»، وهي إحدى مدن فرنسا الشهيرة.
- (٨) الأيك في الأصل: عشُّ الطائر. الخمائل: النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين.

(٨) الشباب المتحمل، أي الراحل.

(٩) الجحفل: الجيش.

(١٠) لا ينسلي: أي لا يمضي ولا يبارح مكانه من قلبها.

(١١) المشبل: هو الذي يلد الأشبال، وهي أولاد السباع.

(١٢) كربلاء: اسم الموضع الذي قتل فيه سيدنا الحسين (رضى الله عنه).

(١٣) يشبهه الفقيد بالحسين، بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل

أوانه، كأنه يرى أن الموت في سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها، وهذا لا ينافي

الاعتقاد بالأجل المكتوب، فقد تمثل الحسين نفسه عندما رأى أن لا مفر من القتل يقول

بعضهم:

فلو ترك القطا ليلاً لنام

جورجي زيدان^١

وتلك دُولَاتُهُ، أَمْ رَسْمُهَا الْبَالِي؟
والدهرُ بالناسِ من حالٍ إلى حالٍ
حديثُ ذي مِحْنَةٍ عن صَفْوِهِ الْخَالِي
كَأَنَّهَا غَابَةٌ مِنْ غَيْرِ رَيْبَالٍ^٢
لِفَاتِكِ مِنْ عَوَادِي الذَّلِّ قَتَّلَ
من اللَّيَالِي جُمُودَ الْيَأْسِ السَّالِي
حَقِيقَةَ الْعِلْمِ يَنْهَضُ بَعْدَ إِعْضَالِ
ولا مَحَلَّ مُبَاهَاةٍ وَإِدْلَالِ
كُلِّ امْرِيٍّ لِأَبِيهِ تَابَعُ تَالِي
مَنَاهِجُ الرُّشْدِ قَدْ تَخَفَى عَلَى الْغَالِي
ما أَبْعَدَ الْحَقُّ عَنْ بَاغٍ وَمُخْتَالِ
فَرُبَّ مُضْلِحَةٍ ضَاعَتْ بِإِهْمَالِ
وَنَوْمَةٍ هَدَمَتْ بُنْيَانَ أَجْيَالِ

مَمَالِكُ الشَّرْقِ، أَمْ أَدْرَأْسُ أَطْلَالِ
أَصَابَهَا الدَّهْرُ إِلَّا فِي مَآثِرِهَا
وَإِذَا مَا نَتَغَنَّيَ مِنْ مَحَاسِنِهَا
إِذَا حَفَا الْحَقُّ أَرْضًا هَانَ جَانِبِهَا
وَإِنْ تَحَكَّمْ فِيهَا الْجَهْلُ أَسْلَمَهَا
نَوَابِغُ الشَّرْقِ، هُزُّوهُ لَعَلَّ بِهِ
إِنْ تَنْفَخُوا فِيهِ مِنْ رُوحِ الْبَيَانِ، وَمَنْ
لَا تَجْعَلُوا الدِّينَ بَابَ الشَّرِّ بَيْنَكُمْ
مَا الدِّينُ إِلَّا تَرَاثُ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
لَيْسَ الْغَلُو أَمِينًا فِي مَشُورَتِهِ
لَا تَطْلُبُوا حَقَّكُمْ بَغْيًا، وَلَا صَلْفًا
وَلَا يَضِيعَنَّ بِالْإِهْمَالِ جَانِبُهُ
كَمْ هِمَّةٌ دَفَعَتْ جَيْلًا ذُرًّا شَرَفِ

^١ الأستاذ الكبير المرحوم جورج زيدان منشئ دار الهلال الغراء هو أحد مؤسسي النهضة الصحفية في البلاد العربية، وأحد أساطين رجال العلم والأدب، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بأرائهم، وقد توفي سنة ١٩١٤، بعد أن ترك خلفه من التراث العلمي والأدبي ما يكفي لتسجيل اسمه في طليعة سجل المصلحين.

رُكُنُ الممالك، صدرُ الدولةِ الحالي
أَبَى لها اللهُ أَنْ تَمْشِي بأغلال
ما تقدرُ النفسُ من حُبِّ وإجلال
كناقدٍ مُمعِنٍ في كَفِّ لآل
ما ليس يفعلُ فيها طِبُّ دَجَّال
رَأَيْتَ شَبهَ عليمٍ بينَ جُهَّال
إلى كهولٍ، وشُبَّانٍ، وأطفال
رَضَى الصديقِ، مَقِيلُ الحاسدِ القالي
مَفَاخِرِي حِكْمِي فيها وأمثالي
أَشْمُرُ الذَّيْلَ، أو أَعْتُرُ بأذيالي
جَحَدْتُ في جَنبِ فضلِ اللهِ أفضالي
إن الصنائع تزكو عند أمثالي
إن الغيوب صناديق بأقفال
وكالأذانِ على الأسماعِ إقلالي^٢
ورُحْتُ من فُرْقَةِ الأحبابِ يُرثي لي
كالموت للمرءِ في جِلِّ وترحال
أليس في الموتِ أَقْصَى راحةِ البال؟
من الترابِ مع الأيامِ مُنْهال
إلا تركنا رُفَاتًا عندَ غِرْبال
إلا زكاةَ النُّهَى، والجاهِ، والمال
الخيرُ والشرُّ مَثْقَالٌ بمَثْقَال
فلا رأى الدهرُ نَقْصًا بعدَ إكمال
كرامةِ الصُّحُفِ الأُولَى على التالي
ومن وقائعِ أيامٍ وأحوال
هما لباغي المعالي خيرٌ منوال
أَنَّ الحياةَ بآمالٍ وأعمال
صَوَّرْتَه، كلُّ أيامٍ بتمثال

والعلمُ في فضله، أو في مفاخره
إِذَا مَشَتْ أُمَّةٌ في العالمين به
يَقِلُّ للعلمِ عندَ العارفين به
فَقِفْ على أهله، واطلبْ جواهره
فالعلمُ يفعلُ في الأرواحِ فاسدُه
ورُبَّ صاحبِ دُرِّسٍ لو وقفتَ به
وتسبقَ الشمسُ في الأمصارِ حكمتهُ
(زيدانُ)، إني مع الدنيا كعهدي لي
لي دَوْلَةُ الشعرِ دونَ العصرِ وائِلَّةُ
إِنْ تَمْشِ للخيرِ أو للشرِ بي قدم
وإِنْ لَقَيْتُ ابنَ أنثى لي عليه يَدُ
وأشكرُ الصُّنْعَ في سِرِّي وفي علني
وأتركُ الغيبَ لله العليمِ به
(كأرغُنِ) الدَّيْرِ إِكْثَارِي وَمَوْقِعُهُ
رَثَيْتُ قبلكَ أَحبابًا فُجِعْتُ بِهِم
وما عَلِمْتُ رَفِيقًا غيرَ مُؤْتَمِنٍ
أرُحْتُ بِألكَ من دنيا بلا خُلُقٍ
طالت عليكِ عوادي الدهرِ في حَشِينٍ
لم نأْتِهَ بِأخٍ في العيشِ بعدَ أخٍ
لا يَنْفَعُ النفسَ فيه وَهِيَ حائِرَةٌ
ما تصنعُ اليومَ من خيرٍ تَجِدُهُ غداً
قد أكملَ اللهُ ذِيَاكَ (الهلالُ) لنا
ولا يَزَلُ في نفوسِ القارئِين؛ له
فيه الروائعُ من علمٍ، ومن أدبٍ
وفيه همةٌ نفسٍ زانها خُلُقٌ
عَلِمْتُ كلَّ نُوُومٍ في الرجالِ به
ما كان من دُولِ الإسلامِ مُنصرِمًا

نرى به القوم في عزٍّ وفي ضِعَةٍ
وما عَرَضَتْ على الألبابِ فأكهَةٌ
وَضَعَتْ خَيْرَ (رواياتِ) الحياةِ، فَضَعُ
وَصِفْ لَنَا كيفَ تجفُو الروحُ هَيْكَلَهَا
وهل تَجُنُّ إليه بعدَ فُرْقَتِهِ
هَضابُ لُبْنانٍ من مُنْعَاتِكَ اضْطَرَبَتْ
كذلكَ الأَرْضُ تبكي فَقدَ عالِمِها
والمملكَ ما بينَ إِدبارِ وإقبالِ
كالعلمِ تُبْرِزُهُ في أحسنِ القالِ
روايةَ الموتِ في أسلوبِها العالِي
ويستبدِ البِلَى بالهيكلِ الخالي
كما يَجُنُّ إلى أوطانهِ الجالِي
كأنَّ لِبْنانَ مَرْمِيٍّ بزلزالِ
كالأمِّ تبكي نهابَ النافعِ الغالي

هوامش

(١) الأدراس: جمع درس، وهو الطريق الخفي أو الثوب الخلق. الأطلال: جمع طلل، وهو ما شخص من آثار الديار. وهذا المطلع الشعري ملآن بالتفجّع على ما صارت إليه ممالك الشرق في هذه الأيام، فهو يسأل مستنكرًا: أهذه ممالك حقًا؟ أم هي آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت؟

(٢) رثبال: أسد.

(٣) الأرغن: آلة موسيقية معروفة.

(٤) الجالي: النازح أو المهاجر.

شهداء العلم والغربة^١

وللمجد ما أَبَقَى من المَثَلِ العَالِي
حياةً لأَقْوَامٍ، ودُنْيَا لأَجْيَالٍ
كريمِ المُصَفَّى من شَبَابٍ وَأَمَالٍ
إِلَى حَادِثٍ من غُرْبَةِ الدَّهْرِ قَتَّالٍ
بِأَبْيَضٍ من غَسَلِ المَلَائِكِ سَلْسَالٍ^١
فَعَادَتْ رَفِيفًا من عِيُونٍ وَأَطْلَالٍ
وفي العُصْرِ الخَالِي، وفي العَالَمِ التَّالِي
رِيَاحِينَ هَامٍ في التَّرَابِ، وَأَوْصَالٍ^٢
ذُوتِ بَيْنَ جِلٍّ في البِلَادِ وتَرَحَالٍ
هَلُوعٍ، وَأُمٍّ (بِالكَنَانَةِ) مِثْكَالٍ
بِمُضْطَرِّبٍ في البَرِّ وَالبَحْرِ، مِرْقَالٍ^٣
وَيُلْقِي عَلَى القَلْبِ الشَّجِي غَيْرَ قَوْلٍ
مِنَاحَةِ أَقْمَارٍ، وَمَاتُمْ أَشْبَالَ

أَلَا فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَاكَ الدَّمُ الغَالِي
وَبَعْضُ المَنَايَا هِمَّةٌ من وَرَائِهَا
أَعْيَنِي، جُودًا بِالدَّمِوعِ عَلَى دَمٍ
تَنَاهَتْ بِهِ الأَحْدَاثُ من غُرْبَةِ النُّوَى
جَرَى أَرْجَوَانِيًّا، كُمَيْتًا، مُشْعَشَعًا
وَلَاذِ بَقُضْبَانِ الحَدِيدِ شَهِيدُهُ
سَلَامٌ عَلَيْهِ فِي الحَيَاةِ، وَهَامِدًا
خَلِيلِي، قُومًا فِي رُبَى الغَرْبِ، وَاسْقِيَا
مِنَ النَّاعِمَاتِ الرَّاويَاتِ مِنَ الصَّبَا
نَعَاهَا لَنَا النَّاعِي، فَمَالَ عَلَى أَبٍ
طَوَى الغَرْبَ نَحْوَ الشَّرْقِ يَعْدُو سَلِيكُهُ
يُسْرُ إِلَى النَفْسِ الأَسَى غَيْرَ هَامِسٍ
سَمَاءَ الحِمَى بِالشَّاطِئِينَ وَأَرْضَهُ

^١ شهداء العلم والغربة: هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقي العلم في جامعات أوروبا، فاصطدم القطار الذي يقلُّهم من أرض إيطاليا؛ فقتل أحد عشر طالبًا وجيء بهم إلى مصر، فاستقبلت جثثهم استقبالاً رهيباً، فاشتركت في جنازتهم جميع طوائف البلاد، ومما كان يزيد الهول في هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعلة بثورتها في سنة ١٩٢٠.

بساطاً، ولكن من حديدٍ وأثقال؟
 غداةً على الأخطار رُكَّابَ أهوال
 بأخَرَ من دُهمِ المقاديرِ ذِيالٍ^٤
 كَمِيَّانٍ في داجٍ من النقعِ مُنجالٍ^٥
 على ناعمِ غَضٍّ من الزهرِ منهل
 طُلُوعِ المنايا من ثُنَيَّاتِ آجالٍ^٦
 إلى سَفَرٍ يَنُوءُونه غيرَ قُفالٍ
 أقامَ يَتِيمًا في حِرَاسَةِ لآلٍ^٧
 لنُزاعِ أمصارٍ على الحقِّ نُزَالٍ^٨
 وضَجَّةِ أترابٍ عليهم وأمثال؟
 لقد ظَفَرُوا بالبَعثِ من تُرْبِهَا الغالي
 إذا اعتَلَّ رَهْنُ المحبِّسِينَ بأشغالٍ^٩
 تَلَقَّى سناها مُظلمًا كاسِفَ البال
 مَداها، ولم تُوصَلْ ضُحاها بأصال
 مَصحافٍ لم يعلِّ المُصَلِّي على التالي^{١٠}
 كتابوتِ موسى في مَنابكِ إسرالٍ^{١١}
 هِلاليَّةٍ من رايةِ النيلِ تِمثال
 فلم تُلُقْ إلا في خُشوعٍ وإجلال
 إلى مَنزلٍ من جِيرةِ الحقِّ مِحلال
 وهزَّتْ بها (حُلوانُ) أعطافُ مُختالٍ^{١٢}
 وبينَ ابتسامِ التَّغْرِ بالموكِبِ الحالي
 على عهدِ إسماعيلِ ذي الطَّوْلِ والنالٍ^{١٣}
 وتلكِ المنايا لم يَكُنْ على بال
 وإن جَرَ أذِيالَ الحِداثةِ والخال
 ولكن عَجيبٌ عَيْشُهُ عَيْشَةُ السالي
 بمُعترِضٍ من حادثِ الدهرِ مُغتال
 إلى المجدِ ترَكَّبَ مَتَنَ أَقدَرِ جَوَالٍ

تُرَى الریحُ تدرِي: ما الذي قد أعادها
 يُقِلُّ من الفِتيانِ أشبالَ غايَةٍ
 ثَنَّتَهُ العوادي دونَ (أودين)، فانثنى
 قد اعتنقا تحتَ الدَّخانِ كما التقى
 فسبحانَ مَنْ يَرْمِي الحديدَ وبأسه
 ومَنْ يَأخُذُ السارينِ بالفجرِ طالعا
 ومَنْ يَجْعَلُ الأسفارَ للناسِ همَّةً
 فيا ناقلِيهم، لو تركتم رفاتهم
 وبينَ (غريبالدى) و(كافور) مَضْجَعُ
 فهل عَطَفْتُمْ رَنَّةَ الأهلِ والحِمى
 لئن فاتَ مصرًا أن يموتوا بأرضها
 وما شَغَلَتْهُمُ عن هَواها قِيامَةٌ
 حَمَلْتُمْ من الغربِ الشَّموسَ لمشرق
 عواثرَ لم تَبْلُغْ صِباها، ولم تَنَلْ
 يُطافُ بهم نَعْشا فنَعْشا، كأنهم
 تَوابيتُ في الأعناقِ تَتَرَى زَكِيَّةً
 مُلَفَّفَةً في حُلَّةِ شَفَقِيَّةٍ
 أَظَلَّ جلالُ العلمِ والموتِ وَفَدَها
 تُفارقُ داراً من غُرورٍ وباطلٍ
 فيا حَلَبَةَ رَفَّتْ على البحرِ حَلِيَّةً
 جَرَتْ بينَ إيماضِ العواصمِ بالضُّحى
 كثيرةً باغيِ السبقِ لم يَرِ مِثْلُها
 لكِ اللهُ: هذا الخطبُ في الوهمِ لم يَقْعُ
 بَلَى، كلُّ ذي نَفْسٍ أخو الموتِ وابنه
 وليس عَجيبًا أن يموتَ أخو الصِّبا
 وكلُّ شبابٍ أو مَشيبٍ رَهينَةٌ
 وما الشيبُ من خَيْلِ العُلا؛ فازكِبِ الصِّبا

إِذَا الشَّيْبُ سَنَّ الْبَخْلَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ
وَلَا تَذَكَّرُوا الْأَقْدَانَ إِلَّا بِإِجْمَالِ
تَأْفُفُ قَالِ، أَوْ تَلَطُّفُ مُحْتَالِ^{١٤}
وَلَيْسَ إِذَا الْأَعْلَامُ خَانَتْ بِخَذَّالِ^{١٥}
وَصَوْلِ مَسَاعِ، لَا مَلُولِ، وَلَا آلِ^{١٦}
وَلَا يَجْمَعُونَ الْأَمْرَ أَنْصَافِ جُهَّالِ
بِيَانًا جُرَافِ الْكَيْلِ كَالْحَشْفِ الْبَالِي^{١٧}
فَمَنْ لَجَلِيلِ الْأَمْرِ أَوْ مُعْضِلِ الْحَالِ؟
نُفُوسُ الْحَوَارِيِّينَ أَوْ مُهْجِ الْآلِ^{١٨}
تَرَنَّمَ أَبْطَالِ بَأْيَامِ أَبْطَالِ
عَلَى الضَّرْبَاتِ السَّبْعِ فِي الْأَيْدِ الْخَالِي؟^{١٩}
رَجَعْتُمْ لَعْمٌ فِي الْقِبَائِلِ أَوْ خَالِ

يَسُنُّ الشَّبَابُ الْبَأْسَ وَالْجُودَ لِلْفَتَى
وَيَا نَشْءَ النَّيْلِ الْكَرِيمِ، عَزَاءَكُمْ
فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَرُدُّهُ
عَلَيْكُمْ لَوَاءَ الْعِلْمِ؛ فَالْفُوزُ تَحْتَهُ
إِذَا مَالَ صَفٌّ فَاخْلَفُوهُ بِآخِرِ
وَلَا يَصْلُحُ الْفِتْيَانُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ زَادٌ إِذَا مَا تَزَوَّدُوا
إِذَا جَزَعُ الْفِتْيَانِ فِي وَقَعِ حَادِثِ
وَلَوْلَا مَعَانِ فِي الْفِدَى لَمْ تُعَانِهِ
فَعَنُوا بِهَاتِيكَ الْمَصَارِعِ بَيْنَكُمْ
أَلَسْتُمْ بَنِي الْقَوْمِ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا
رُدُّتُمْ إِلَى فِرْعَوْنَ جَدًّا، وَرُبَّمَا

هوامش

- (١) الأرجواني: منسوب إلى الأرجوان، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرة. الكمي: حمرة يخالطها السواد. معنى المشعشع: الممزوج بالماء. الغسل (بكسر الغين): ما يغسل به. يصف دم هؤلاء الشهداء بأنه يجري أحمر مشوباً بسواد ممزوجاً بلون أبيض، كأنه الماء السلسال الذي أصابه من غسل الملائكة.
- (٢) الأوصال: الأعضاء.
- (٣) سليك: رجل من العرب اشتهر بقوة الجري ويضرب به المثل في السرعة؛ أراد تشبيه الناعي به. مرقال: سريع.
- (٤) دُهم: جمع أدهم، وهو الأسود. ذِيَال: طويل الذيل، والذيل من كل شيء: آخره، ومن الفرس: ذنبه.
- (٥) كميان: مثنى كمي، وهو الشجاع المتكمي، أي المتغطي في سلاحه، النقع: الغبار.
- (٦) الثنيات: قمم الجبال.
- (٧) يريد باليقيم: اللؤلؤ. واللال بائع اللالكى وصاندها وصانعها.
- (٨) غريبالدى وكافور: بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية في إيطاليا.
- (٩) رهن المحبسین: أول ما أطلق هذا التعبير كان يطلق على أبي العلاء المعري، والمحبران هما العمى ولزومه البيت.

الشوقيات

- (١٠) المصلي: هو الذي يجيء أول الخيل في السبق، التالي: هو الذي يجيء تاليًا له.
- (١١) تابوت موسى: هو الذي وضع فيه سيدنا موسى وألقي في البحر، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر. إسرائيل: أي إسرائيل.
- (١٢) الحلبة: الخيل التي تجمع للسباق. حلوان: اسم الباخرة التي أقلت رفات الشهداء في عودتهم إلى مصر.
- (١٣) النال: العطاء. وفي هذا البيت إشارة إلى السباق الذي كان يقام في مدينة حلوان في عهد إسماعيل باشا.
- (١٤) قال: مبغض.
- (١٥) عليكم لواء العلم: أي الزموا أو التزموا.
- (١٦) آل: من قولهم: هو لا يألو جهدًا.
- (١٧) الحشف البالي: التمر اليابس.
- (١٨) الحواريون: أصحاب عيسى. والآل: أصحاب محمد صلوات الله عليهما.
- (١٩) الضربات السبع: يشير إلى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين، ويريد بالأبد: الزمن القديم المديد.

سعيد زغلول بك^١

آل (زغلول)، حَسْبُكُمْ مِنْ عَزَاءٍ
فِي خِلَالِ الْخَطُوبِ مَا رَاعِ إِلَّا
حَمَلَ الرُّزْءَ عَنْكُمْ فِي (سعيد)
قَدْ دَهَاهُ مِنْ فَقْدِهِ مَا دَهَاكُمْ
فَكَمَا كَانَ نُحْرِكُمْ وَمُنَاكُمْ
لَيْتَ مَنْ فُكَّ أَسْرَكُمْ لَمْ يَكِلْهُ
حَجَبْتُ مِنْ رَبِيعِهِ مَا رَجَوْتُمْ
أَنْسَتْ صَحَّةً فَمَرَّتْ عَلَيْهَا
إِنَّمَا مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَفَّى الْمَر
لَسْتُ تَدْرِي الْجَمَامُ بِالْغَابِ هَلْ حَا
يَا (سعيد) اتَّئِدْ، وَرِفْقًا بِشَيْخِ
مَا كَفَاهُ نَوَائِبُ الْحَقِّ حَتَّى
فَجَأَ الدَّهْرُ، فَاقْتَضَبْتُ الْقَوَافِي
قُمْ فَشَاهِدْ لَوْ اسْتَطَعْتَ قِيَامًا

سُنَّةُ الْمَوْتِ فِي النَّبِيِّ وَآلِهِ
أَنَّهَا دُونَ صَبْرِكُمْ وَجَمَالِهِ
بَلَدٌ شَيْخُكُمْ أَبُو أَحْمَالِهِ^١
وَبِكَى مَا بَكَيْتُمْ مِنْ خِلَالِهِ
كَانَ مِنْ نُحْرِهِ وَمِنْ آمَالِهِ
لِلْمَنَايَا تَمُدُّهُ فِي اعْتِقَالِهِ
وَطَوَتْ رِحْلَةَ الْعُلَا مِنْ هَلَالِهِ
وَتَخَطَّتْ شَبَابَهُ لَمْ تُبَالِهِ
ءٌ، لَا مِنْ شَبَابِهِ وَاكْتِهَالِهِ
مَ عَلَى اللَّيْثِ، أَمْ عَلَى أَشْبَالِهِ
وَإِلَيْهِ مِنْ لَوَاعِجِ التُّكْلِ وَآلِهِ^٢
زِدْتُ فِي هَمِّهِ وَفِي إِشْغَالِهِ
مِنْ فُجَاءَاتِهِ وَخَطْفِ ارْتِجَالِهِ
حَسْرَةَ الشَّعْرِ، وَالتَّيَاعِ خِيَالِهِ

^١ تَفَتَّحَ شَبَابُ سَعِيدِ بَكِ زَغُلُولٍ عَنِ رَجُولَةٍ مِمْتَازَةٍ، وَبَشَّرَ طَالِعَهُ عَنِ طَالِعِ عَظِيمٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكِدْ يُوْتِي ثَمَرَهُ حَتَّى اقْتَطَفَهُ الْمَوْتَ، فَقَضَى سَنَةَ ١٩٢٢ وَكَانَ خَالَهُ سَعْدُ بَاشَا زَغُلُولٍ مَتَبْنِيًّا لَهُ.

كان لي منك في المجامع راو
 فطنٌ للصَّحاحِ من لؤلؤِ القو
 لم يَكُنْ في غُلُوهِ ضيقُ الصَّد
 لا يُعَادِي، وَيُتَّقَى أَنْ يُعَادِي
 فامُضِ في ذمَّةِ الشَّبابِ نَقِيًّا
 إِنَّ لِلْعَصْرِ وَالْحَيَاةِ لَلْوَمًا
 صانك الله من فسادِ زمانٍ
 سيقولون: ما رثاه على الفضـ
 أيهم مَنْ أَتَى بِرَأْسِ كَلْبِيبٍ
 ليس بيني وبين خالك إلا
 أتمنئ لمصر أن يجري الخيـ
 لست أرجوه كالرجال لصيـ
 كيف أرجو (أبا سعيد) لشيء
 هو أهل لأن يرذ لقومي
 وأنا المرء لم أر الحق إلا
 رب حر صنعت فيه ثناء

عَجَزَ (ابنُ الحسين) عن أمثاله^٣
 ل، وأدرى بهنَّ من لآله^٤
 ر، ولا كان عاجزًا في اعتداله
 ويُخْلِى سبيلَ مَنْ لم يُواله
 طاهرًا ما ثنيت من أذباله
 لست من أهله ولا من مجاله
 دنس اللوم من ثياب رجاله
 ل، ولكن رثاه زلفى لخاله
 أو شفى القطر من عياء اختلاله؟
 أنني ما حيتت في إجلاله
 ر لها من يمينه وشماله
 من حرام انتخابهم أو حلاله
 كان يقضى بكفره وضلاله!
 أمرهم في حقيقة استقلاله
 كنت من حزبه ومن عماله
 عجز الناحتون عن تمثاله^٥

هوامش

- (١) شيخكم أبو أحماله: هو الزعيم سعد باشا. والبلد: مصر.
- (٢) الواله: الذي ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد.
- (٣) ابن الحسين: الشاعر المنطبي: وراوي الشعر وراويته: الذي يروي الشعر ويحفظه.
- (٤) اللآل: صانع اللؤلؤ وبائعه.
- (٥) يقول: إنني كثيرًا ما أصنع للأحرار قصائد ثناء، فتقوم في تصويرهم وتخليد أشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التي تعجز المثالين الناحتين أن يصنعوا مثالها.

أمين بك الرافي

مال أحبأبه خليلاً خليلاً
نصلوا أمس من غبار الليالي
سكنت منهم الركاب، كأن لم
جردوا من منازل الأرض إلا
وتعروا إلى البلى، فكساهم
في يباب من الثرى رده المو
طرحوا عنده الهموم، وقالوا
إنما العالم الذي منه جئنا
بطل الموت في الرواية ركن
كلما راح أو غدا الموت فيها
ذكريات من الأحبة تمحى
كل رسم من منزل أو حبيب
رب تكمل أساك من قرحة التكم

وتولى اللدات إلا قليلا
ومضى وحده يحث الرحيل
تضطرب ساعة ولم تمض ميلا
حجرا دارسا ورملا مهيلا^٢
خشنة اللحد والدجى المسدولا
ت نقياً من الحقود غسيلا^٣
إن عبء الحياة كان ثقيل
ملعب لا ينوع التمثيل
بنيت منه هيكلأ وفصولا
سقط الستر بالدموع بليلا
بيد للزمان تمحو الطلولا
سوف يمشي البلى عليه محيلا
ل، ورزء نساك رزءاً جليلا

^١ أمين بك الرافي، كان كاتباً سياسياً عظيماً، وكان في الصحفيين السياسيين يعدُّ مثلاً عالياً، لطهارة الدمة، ونبل الغاية، ونزاهة الضمير، وله في تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذي يعتقده مواقف تضحية، لا يصبر عليها إلا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة، وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية، وظل مجاهداً في سبيل استقلال مصر حتى مات في سنة ١٩٢٦.

تِ، وَأَرْسَلَنَ لَوْعَةً وَعَوِيلًا
 نَغْمَةً فِي الْأَسَى، وَأَشْجَى هَدِيلاً^٤
 سَوْفَ يَبْكِي بِهِ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَا
 لَوْ نُحِسَ النُّوَاحَ وَالتَّرْتِيلَا
 أَسْطُرًا مِنْ جَوَى، وَأُخْرَى غَلِيلَا
 يَوْمَ لَا يَأْذَنُ الْبَلَى أَنْ نَقُولَا
 خَالِدِي الْغِرَارِ، عَضْبًا، صَقِيلَا^٥
 قُ، فَهَلْ كَانَ فَيْئُهُ جَبْرِيلاً؟^٦
 بَزْرُقُ وَالرَعْدَ حَفَقَةً وَصَلِيلَا
 فِ عَلَى كَفِّ فَارِسٍ مَسْلُولَا
 مَّا، وَصَدْرَ أَصَارِهِ الْحَقُّ غِيلَا^٧
 بَرِّ أَرَاخِ الْبَيَانَ وَالتَّحْلِيلَا
 لَمَحَةً حُرَّةً، وَصَبْرًا جَمِيلَا
 رِ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
 مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جُوعِ هَزِيلَا
 عَتِّ، وَلَا تَأْكُلُ اللَّبَاءَةَ الشُّبُولَا
 قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيَا أَصِيلَا
 وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ عُقُولَا
 فِي الشَّبَابِ الطَّمَاخِ وَالتَّامِيلَا
 أَوْ يَكُونُ اتِّجَاهُهُ التَّضْلِيلَا
 يُشْبِهُ الْبَغْيَ، وَالْحَنَاءَ، وَالْفُضُولَا
 رَافِعِيَيْنَ وَالْعَفَافَ سَبِيلَا
 عَلَّ شَتُونَ النُّفُوسِ قَالًا وَقِيلَا
 أَيْقَظُوا النِّيلَ وَإِيَّا وَنَزِيلَا
 فِي حُزُونًا، وَكَالرُّقِيمِ سُهُولَا^٨
 لَمْ تَخُنْ مِصْرَ فِي الْحَقُوقِ فَتِيلَا
 قُ عَلَى نَيْلِهَا الْمُبَارِكِ نِيلَا

يَا بَنَاتِ الْقَرِيضِ، قُمْنَ مَنَاحَا
 مِنْ بَنَاتِ الْهَدِيلِ أَنْتُنَّ أَحْنَى
 إِنْ دَمَعًا تَذْرِفْنَ إِثْرَ رِفَاقِي
 رَبِّ يَوْمٍ يُنَاحُ فِيهِ عَلَيْنَا
 بِمَرَاثٍ كَتَبْنَ بِالدمعِ عَنَّا
 يَجِدُ الْقَائِلُونَ فِيهَا الْمَعَانِي
 أَخَذَ الْمَوْتُ مِنْ يَدِ الْحَقِّ سَيْفَا
 مِنْ سِيُوفِ الْجِهَادِ فُولَادُهُ الْحِ
 لْمَسْتَهُ يَدُ السَّمَاءِ، فَكَانَ الـ
 وَإِبَاءُ الرِّجَالِ أَمْضَى مِنَ السَّيْدِ
 رَبُّ قَلْبِ أَصَارِهِ الْحُلُقُ ضَرْغَا
 قَيْلٍ: حَلُّهُ. قُلْتُ: عِرْقُ مِنَ التَّ
 لَمْ يَزِدْ فِي الْحَدِيدِ وَالنَّارِ إِلَّا
 لَمْ يَخْفُ فِي حَيَاتِهِ شَيْخِ الْفَقْدِ
 جَاعَ حِينًا، فَكَانَ كَاللَّيْثِ أَبِي
 تَأْكُلُ الْهَرَّةُ الصَّغَارَ إِذَا جَا
 قَيْلٍ: غَالٍ فِي الرَّأْيِ. قُلْتُ: هَبُوهُ
 وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ نَفُوسًا
 وَكَمْ اسْتَنْهَضَ الشُّيُوخَ، وَأَذْكَى
 وَمِنْ الرَّأْيِ مَا يَكُونُ نِفَاقًا
 وَمِنْ النِّقْدِ وَالْجِدَالِ كَلَامٌ
 وَأَرَى الصِّدْقَ دَيْدَنًا لِسَلِيلِ الـ
 عَاشَ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَلَمْ يَجْ
 قَدْ فَقدْنَا بِهِ بَقِيَّةَ رَهْطِ
 حَرَّكُوهُ، وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَالْكَهـ
 يَا أَمِينَ الْحَقُوقِ، أَدَيْتَ حَتَّى
 وَلَوْ اسْطَغَتْ زِدَّتْ مِصْرَ مِنَ الْحِ

لَسْتُ أَنْسَاكَ قَابَعًا بَيْنَ دُرَجَيْبٍ
 قَدْ تَوَارَيْتَ فِي الْخُشُوعِ، فَخَالُو
 سَائِلَ (الشَّعْبِ) عَنكَ، وَ(الْعَلَمِ) الْخ
 كَمِ إِمَامٍ قَرِيبَتْ فِي الصَّفِّ مِنْهُ
 تُنْشِدُ النَّاسَ فِي الْقَضِيَّةِ لَحْنًا
 مَاضِيًا فِي الْجِهَادِ لَمْ تَتَأَخَّرْ
 مَا تَبَالِي مَضِيَّتَ وَحَدَاكَ تَحْمِي
 إِنْ يَفُتَّ فَيْكَ مِنْبَرُ الْأَمْسِ شِعْرِي
 جَلَّ عَنِ مُنْشِدِ سَوَى الدَّهْرِ يُلْقِي
 كَ مُكَبَّبًا عَلَيْهِمَا مَشْغُولَا
 كَ ضَنْبِيلاً، وَمَا خَلَقْتَ ضَنْبِيلاً
 فَبَاقٍ، أَوْ سَائِلَ اللِّوَاءِ الظِّلِيلَا
 وَمُغْنٌ قَعَدَتْ مِنْهُ رَسِيلَا؟
 كَالْحَوَارِيِّ رَتَّلَ الْإِنْجِيلَا
 تَزَنُ الصَّفِّ، أَوْ تُقِيمُ الرَّعِيلَا
 حَوَازَةَ الْحَقِّ، أَمْ مَضِيَّتَ قَبِيلَا
 إِنْ لِي الْمَنْبَرِ الَّذِي لَنْ يَزُولَا
 هِ عَلَى الْغَابِرِينَ جِيلًا فَجِيلَا

هوامش

(١) نصلوا من غبار الليالي، تعبير كنائي عن الموت؛ إذ غبار الليالي عبارة عن أحداثها، وليس في إمكان الحي التنصّل من هذه الأحداث إلا بالموت. يقول إن أحبابه وخلانه سبقوه، وتنصلوا من الدنيا وحوادثها، وها هو ماضٍ على أثرهم مسرعًا، ليلحق بهم، وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا.

(٢) يصف خروج الناس من الدنيا وليس في أيديهم من ممتلكاتها إلا الحجر الموضوع تحت رءوسهم، والتراب المهيل فوق قبورهم، فكأنه يقول: ليت شعري لم يتقاتل الناس، ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع، وهم إذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات إلا حجر واحد وحفنات من تراب تداري جسومهم وتواري رممهم.

(٣) اليباب: الخراب. يقول: إن هذا اليباب الذي نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الأكدار، وغسله من الأحقاد، فهو من أجل ذلك صار أروحاً للأرواح عن المواضع الأهله بالعمران.

(٤) الهديل: الحمام. وصوت الحمام، والهديل أيضًا: فرخ قالوا إنه كان على عهد نوح، فصاده جراح من جوارح الطير، فليس من حمامة إلا وهي تبكي عليه.

(٥) العضب: السيف، الغرار: حدُّ السيف. وقوله: «خالدي» نسبة إلى خالد بن الوليد. الصقيل: المصقول.

(٦) القين هو الحداد الذي يصنع السيوف.

(٧) الضرغام: من أسماء الأسد. الغيل: موضع الأسد.

(٨) الكهف: كالبيت المنقور في الجبل. الرقيم: يقال هو الكتاب، وإذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم؛ معناه أنها كانت وقتئذ مبسطة خالية مهياة لأن يخط فوقها حروف الحياة الأولى. ولو سُئِلَ أحد الحكماء ما هي الحروف الأولى للحياة؟ لأجاب على الفور: هي اليقظة. ولعمري إن ربة الحكمة إذن هي التي ألهمت أمير الشعراء قوله في البيت السابق: «أيقظوا النيل وادياً ونزيراً» ففي تصوُّره الذهني لمعنى اليقظة سبق خياله إلى تشبيه سهول وادي النيل بالرقيم.

(٩) الشعب، والعلم، واللواء: أسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلاً فيها عن مبادئه.

(١٠) الرعيل: طائفة من الخيل. والمراد أنه كان في جيش المجاهدين في القضية المصرية يقوم الصفوف إذا مالت، ويرد الطوائف إذا نفرت.

الشيخ سلامة حجازي^١

يا ثَرَى النِيلِ، في نَواحِيكَ طَيْرٌ
لم يَزَلْ يَنْزِلُ الخِمْائِلَ حَتَّى
أَقْعَدَ الرُّؤُصَ في الحِياةِ مَلِيًّا
يا لِوَاءَ الغِناءِ في دَوْلَةِ الفِ
عَبْقَرِيًّا كَأَنَّهُ زَنْبَقُ الخُلِّ
أَيْنَ مِنْ مَسْمَعِ الزمانِ أَغانِ
أَيْنَ صَوْتُ كَأَنَّهُ رَنَّةُ البَلْبَلِ
فيه من نَعْمَةِ المِزاميرِ مَعْنَى
كَلِّمًا رَنَّ في المِسارِحِ «إِنْ كُنْ
كَعِتابِ الحَبيبِ في أَذُنِ الصَّ
كَيْفِ إِخوانِنا هِناكَ عَلى الكَوِّ
كَيْفِ في الخُلْدِ صَرَبُ أَحْمَدَ بالِعو
فَرَحُ كُلُّهُ النَعِيمُ وَعُرسُ

كان دنيا، وكان فرحة جيل
حلَّ في رَبوَّةِ عَلى سَلَسبيلِ
وأقامَ الرُّبى بِسِحْرِ الهَدِيلِ^١
ن، إِلَيْكَ اتجَهْتُ بِالإِكليلِ
بِ عَلى فَرَعِهِ السَّرِيِّ الأَسيلِ^٢
يَّ عَليهنَّ رَوَعَةُ التَّمثيلِ؟
لِ في الناعِمِ الوَرِيفِ الظليلِ؟
وعَليه قَداسَةُ الترتيلِ
تُ» انثَنى بِالهَتافِ والتَهليلِ^٣
ب، وَهَمِسَ النديمِ حَولَ الشَّمولِ^٤
ثَر بَينَ الصِّبا وَبَينَ القَبولِ؟^٥
د، وَنَفَخَ الأَمينِ في الأَرغولِ؟^٦
كَيْفِ (عثمانُ) فيهِ كَيْفِ (الحَمُولي)؟^٧

^١ بلغ الشيخ سلامة حجازي أعلى قمم المجد في فن الغناء والتمثيل في عصره، وقد رؤي أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافًا عمليًا. فتألفت جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه إلى ضريح يتناسب وهذا التقدير، ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تمجيداً للذكرى الفقيده، وتم لهم ذلك، وأقيمت الحفلة في شهر ديسمبر سنة ١٩٣١، وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء.

فهنئيًا لكم ونعمةً بالِ
 إنما منزلُ رُفَاتِك فيه
 ذُبَلْتُ في ثَرَاه رِيحَانَةُ الفـ
 قام يَجْزِي (سلامةً) في ثراه
 قد يُوفِي البِنَاءَ والغَرْسَ أَجْرًا
 مُحَسَّنٌ بالبِنِينَ في حاضِرِ العَيْدِ
 ويُعِدُّ الضَّرِيحَ من مَرْمَرِ الخُلـ
 يدفنُ الصالحين في وَرَقِ المُصـ
 مصرُ في غَيْبَةِ المُشايِعِ، والحا
 قامت اليومَ حولَ ذِكْرِك تَجْزِي
 من رجالِ بَنَوْا لمصرَ حديثًا
 هم سُقَاةُ القلوبِ بالوُدِّ والصفـ
 ليس منهم إلا فَتَى عبقرِي

استرحتم من ظل كلِّ ثَقِيلِ
 لَبَقايا من كلِّ فنٍّ جميلِ
 نٌ، وَجَفَّت رِيحَانَةُ التمثيلِ
 وطنٌ بالجزءِ غيرُ بَخيلِ
 ويُكَافِي على الصَّنِيعِ الجليلِ
 شِ، وفي سالفِ الزمانِ الطويلِ
 يدِ الكَرِيمِ المَهْدَبِ المصقولِ^٨
 حَفِ، أو في صحائفِ الإنجيلِ
 سِدِ، والحاقدِ اللَّئِيمِ الدَّلِيلِ
 وطنيًّا من الطَّرَازِ القليلِ
 وأذاعوا مَحَاسِنًا للنيلِ
 و، وهم تارةً سُقَاةُ العقولِ
 ليس في المجدِ بالدَّعيِ الدخيلِ

هوامش

(١) الهديل: الصوت الحسن الذي يشبه صوت الحمام.

(٢) السري: الجدول.

(٣) إن كنت، يشير إلى أن الفقيده قد ذاعت من أغانيه قصيدة مطلعها:

إن كنت في الجيش أدعى صاحب العلم فإنني في هواكم صاحب الألم

(٤) الشمول: الخمر.

(٥) الصُّبا: ريح مهبها من جهة المشرق وهي من لطف الرياح.

(٦) أحمد: اسم أحد المعاصرين، اشتهر بضرب العود، وأمين: معاد. آخر اشتهر

بالأرغول.

(٧) عثمان: هو محمد عثمان، وكان من المغنين الكبار. والحمولي: هو عبده الحمولي.

(٨) الضريح: هو البناء الذي أُنْفِقَتْ لجنة إحياء ذكرى الفقيه على صنعه من المرمر

المصقول ليُدفن فيه جثمان الفقيه تكريماً له.

أدهم باشا^١

وأعظمُ منه حَيْرَةُ الشعرِ في فَمِي
وَأَسْكُتُ وَالْأَنْبَاءُ تَتْرَى بِمَوْلَمِ؟
فَمَنْ لِي بَغَالٍ فِي الرِّثَاءِ مُنْظَمِ؟
بَكَى التُّرْكَ وَالْيُونَانَ بِالدَّمِ وَالِدَمِ
وَكَمْ مِنْ جَبَانَ فِي اللَّدَاتِ مُذَمِّمِ
وَقَدْ فَتَكَّتْ نُهُمُ الْمَنَايَا بِأَدَهْمِ؟^١
وَمَا السَّهْمُ إِلَّا لِلْقَضَاءِ الْمُحْتَمِّ
وَكَانَ فَتَى الْفَتْيَانِ فِي مَسْكِ ضَيْغَمِ^٢
وَمَا خُلِقَ الْإِقْبَالُ إِلَّا لِمُقْدِمِ
وَقَائِدُ جَرَّارِ، وَمُزْجِي عَزْمَرَمِ^٣
وَفِي زُرُوتِيهِ مِنْ نُسُورٍ وَأَعْظَمِ
وَزُلْزَلٍ فِي إِيمَانِهِ كُلِّ مُسْلِمِ
وَهَمَّتْ ظُنُونٌ بِالتُّرَاثِ الْمُقْسَمِ؛
مِنَ النَّصْرِ فِي دَاجٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمِ
وَكُنَّا حَدِيثَ الشَّامِثِ الْمَتْرَحِّمِ

مُصَابُ بَنِي الدُّنْيَا عَظِيمٌ (بِأَدَهْمِ)
أَنْطَقُ وَالْأَنْبَاءُ تَتْرَى بِطَيِّبِ
أَتَيْتُ بَغَالٍ فِي التَّنَائِ مُنْضِدِ
عَسَى الشَّعْرُ أَنْ يَجْزِي جَرِيئًا، لَفَقِدِهِ
وَكَمْ مِنْ شَجَاعٍ فِي الْعِدَاةِ مُكْرَمِ
وَهَلْ نَافِعُ جَرِيٍّ الْقَوَافِي لَغَايَةِ
رَمَتْ فَأَصَابَتْ خَيْرَ رَامٍ بِهَا الْعَدَى
فَتَى كَانَ سَيْفَ الْهِنْدِ فِي صُورَةِ امْرِئِ
لِحَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ حُسَّادُ مَجْدِهِ
مُزْعَزِعُ أَجْيَالِ، وَغَاشِي مَعَاقِلِ
سَلَوْا عَنْهُ (مِيلُونَا) وَمَا فِي شِعَابِهِ
لَيْالِي بَاتِ الدِّينِ فِي غَيْرِ قَبْضَةِ
وَقَالَ أَنَسُ: آخِرُ الْعَهْدِ بِالْمَلَا
فَأَطْلَعَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُلْكِ كَوَكْبَا
وَرَحْنَا نُبَاهِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عِرَّةً

^١ أدهم باشا: هو القائد التركي الذي اشتهر في الحروب العثمانية اليونانية.

وَمَنْ يُقْرِضِ التَّارِيخَ يَرْبَحْ وَيَغْنَمْ
سَوَادًا، وَقَدْ غَصَّ الْوُرُودُ بِزَمْرَم؟
إِلَى كُلِّ رَامٍ بِالْجِمَارِ وَمُحْرَم؟
فَكَمْ قَدْ تَلَوْتُمْ مَدْحَهُ بِالْتَرْنَم!
تَنَحَّتْ إِلَى أَنْ يَعْبُرَ الْفَارِسُ الْكَمِي
يُعَمَّرُ وَإِنْ لَأَقَى الْحَرُوبَ وَيَسْلَم
دِهَاهُ بَبَابِ الدَّارِ سَيْفُ ابْنِ مُلْجَم
وَقُومِي إِلَى نَعَشِ الْفَقِيدِ الْمَعْظَم
فَخَفَّتْ لَهُ بَيْنَ الْبُكَاءِ وَالتَّبَسُّم
وَقَبْرًا بِجَنْبِ الْفَاتِحِ الْمَتَقَدِّم
فَتُوبَى إِلَيْهِ فِي الْمَمَاتِ بِمَأْتَم
وَقَدْ كَانَ فِيهِ الْمَلِكُ إِنْ رِيحٍ يَحْتَمِي
أَخْطَطْتُمْ بِتَارِيخِ فَصِيحِ التَّكَلِّم
وَأَثَبْتُ قَلْبًا مِنْ رَوَاسِي الْمَقْطَم
مِثَالُ لِبَاغِي قُدُودَةٍ مُتَعَلِّم
وَيَا أَرْضُ، صُونِيهِ، وَيَا رَبِّي، ارْحَمِ

مَفَاخِرُ لِلتَّارِيخِ تُخْصَى لِأَدْهَم
أَلَا أَيُّهَا السَّاعُونَ، هَلْ لَيْسَ الصَّفَا
وَهَلْ أَقْبَلَ الرُّكْبَانَ يَنْعُونَ (خَالِدًا)
وَهَلْ مَسْجِدٌ تَتَلَوْنَ فِيهِ رِثَاءَهُ؟
وَكَانَ إِذَا خَاضَ الْأَسِنَّةَ وَالظُّبَى
وَمَنْ يُغَطِّطُ فِي هَذِي الدَّنِيَّةِ فُسْحَةً
(عَلِيٌّ) أَبُو الزَّهْرَاءِ دَاهِيَةٌ الْوَعَى
(فِرْقٌ)، اضْحَكِي وَابْكِي فَخَارًا وَلَوْعَةً
كَأَمْ شَهِيدٍ قَدْ أَتَاهَا نَعِيُّهُ
وَحُطِّي لَهُ بَيْنَ السَّلَاطِينِ مَضْجَعًا
بَخَلَّتْ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ بِمُوكِبِ
وَيَا دَاءً، مَا أَنْصَفْتَ إِذْ رُعْتَ صَدْرَهُ
وَيَا أَيُّهَا الْمَاشُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ
وَيَا مِصْرُ، مَنْ شَيَّعَتْ أَعْلَى هَمَامَةً
وَيَا قَوْمُ، هَذَا مَنْ يُقَامُ لِمِثْلِهِ
وَيَا بَحْرُ، تَدْرِي قَدْرَ مَنْ أَنْتَ حَامِلٌ؟

هوامش

- (١) دُهِمُ الْمَنَايَا: أَي سَوْدِ الْمَنَايَا.
- (٢) الْمَسْكُ (بِفَتْحِ الْمِيمِ): الْجِلْدُ. وَالضِّيغَمُ: الْأَسَدُ.
- (٣) الْعَرْمَرَمُ: الْجَيْشُ الْكَبِيرُ.
- (٤) الْمَلَأُ: الْجَمَاعَةُ، وَيُرِيدُ بِهَا الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةَ. وَالتَّرَاثُ الْمَقْسَمُ: الْبِلَادُ التَّابِعَةُ لِلدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

عثمان باشا الغازي^١

هالَةٌ للهِلالِ فيها اعتصامٌ
دخلتها عليكِ (عثمانُ) في السلـ
وإذا الداءُ كان داءَ المنايا
فبرغمِ (المُشيرِ) أن يَتَوَلَّى
ويُدُ الملكِ تستجيرُ يَدِيهِ
وينوه يرجونه وهُمُ الجُنـ
مَنَلْتَهُم صِفَاتَهُ للبرايا
بطلَ الشرقِ، قد بَكَتْكَ المعالي
خَذَلَ الملكَ زندهُ يومَ أُودِيَـ
ودَهَى الدينَ والخِلافَةَ أمرُ
علمُ العصرِ والممالكِ وَلَى
سَلْ (بلغنا): أَكُنْتَ تَدْرِكُ فيها
حَيِّمَ الروسِ حولَ حِصْنِكَ، لكن
وأحاطت بعزمك الجندُ، لكن
كلُّما جَرَدَ (المُحاصِرُ) سَيْفًا

كيف حامت حِيالها الأيَّامُ؟
م، وقد كنتَ في الوَعَى لا تُرام
صَعَبَتْهُ لأهلها الأحلام
والخطوبُ المُرَوِّعاتُ جِسام
والسرايا تدعوه، والأعلام
دُ، وهم قادةُ الجنودِ العِظام
رُبَّ فردٍ سادت به أقوام
ورثاك الوَلِيِّ والأخصام
تَ، وأهوى من راحتِيهِ الحُسام
فادُحُ، رائعُ، جليلُ، جُسام
وقليلُ أمثاله الأعلام
ولو أنَّ المحاصِرِينَ الأنام
أين من هامةِ السِّمَكِ الخيام؟
عزمك الشُّهْبُ، والجنودُ الظلام
قطع السيفَ رأيك الصِّمصام

^١ هو قائد تركي كبير، اشتهر في الحروب العثمانية الروسية.

وإذا كانت العقولُ كبارًا
وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكم
فخرجتم إلى العدا لم تُبالوا
تخرقونَ الجيوشَ جيشًا فجيشًا
والمنايا مُحيطَةً، وحصونَ الرُّ
ولنارِ العدوِّ فيكم قُعودٌ
جُرْحَ الليثِ يومَ ذاك، فخان الـ
ما دفعتَ الحُسامَ عجزًا، ولكن
فأعادوه خيرَ شيءٍ أعادوا
فتقلدته وكنتَ خليقًا
ما لها عوذةٌ، ولا لك رُدٌّ
إنما الملكُ صارمٌ ويراعُ
ونظامُ الأمورِ عقلٌ وعدلٌ
وعجيبٌ خُلقتَ للحربِ لبثًا
فهِيَ في رأيكَ القويمِ حلالٌ
لكَ سيفٌ إلى اليتامى بغيضٌ
مُستبدٌ على قويٍّ، حلِيمٌ

سَلِمْتَ فِي الْمَضَائِقِ الْأَجْسَامِ
وَيُنَالِ الطَّوَى، وَيُعْطَى الْأَوَامُ
مَا لِأُسْدٍ عَلَى سُغُوبِ مَقَامِ
مِثْلَمَا يَخْرُقُ الْخَوَاءَ الْغَمَامِ
وَسِ تَحْمِيِ الطَّرِيقِ وَالْأَلْغَامِ
وَلِسَيْفِ الْعَدُوِّ فِيكُمْ قِيَامِ
جَيْشِ قَلْبٍ، وَزُلْزَلَتْ أَقْدَامِ
عَجَزَتْ ضَيْغَمَ الْحُرُوبِ الْكَلَامِ
وَكَذَا يَعْرِفُ الْكِرَامَ الْكِرَامِ
سَلَبْتَنَا كَلَيْكُمَا الْأَيَّامِ
نِمْتَ عَنْهَا، وَمَنْ تَرَكْتَ نِيَامِ
فَإِذَا فَارَقَاهُ سَادَ الطَّغَامِ
فَإِذَا وَلِيَا تَوَلَّى النِّظَامِ
وَسَجَايَاكَ كُلُّهُنَّ سَلَامِ
وَهِيَ فِي قَلْبِكَ الرَّحِيمِ حَرَامِ
وَحَنَانٌ يَحِبُّهُ الْآيَّتَامِ
عَنْ ضَعِيفٍ، وَهَكَذَا الْإِسْلَامِ

بطرس باشا غالي^١

الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاما
عاماً، وسوف تُغَيَّبُ الأعواما
في ظلِّها صَلَّى المُطِيفُ وصاما
يقضونَ حقاً واجباً وذياما
كالأرضِ تَنشُدُ في السماءِ غماما
والأزحى المفضلَ المقداما
ناديكَ في عزِّ الحياةِ زحاما
لو كان ذلكَ مَحشراً وقياما
وأخذتَ من نَعَمِ الحياةِ جساما؟
وعزاءَ أرملةٍ، وحُزنَ يتامى
يَزنُ الرجالَ، وَيَنطِقُ الأحكاما
ويُدِيمُ حَمداً، أو يُؤيِّدُ ناما
أعلِمتَ حياءَ غيرَ رِفدِكَ داما
جَعَلَ البقاءَ لِوَجْهِهِ إكراما

قَبَرَ الوزيرِ، تحيةً وسلاما
ومحاسنُ الأخلاقِ فيكَ تَغَيَّبَتْ
قد كنتَ صَوْمَعَةً فَصِرْتَ كنيسة
والقومُ حَوْلَكَ يا بنَ (غالي) خَشَعُ
يَسْعَوْنَ بالأبصارِ نحوَ سَريِرِهِ
يَبكونَ مَوئِئِهم، وكَهْفَ رَجائِهِم
مُتسابقينَ إلى ثراكِ، كأنهم
وَدُّوا غداً نُقِلتَ بينَ عُيونِهِم
ماذا لقيتَ من الرِّياساتِ العُلا
اليومِ يُغني عنكَ لوعَةُ بائِسِ
والرأيُ للتاريخِ فيكَ؛ ففي غدِ
يَقضي عليهم في البريةِ، أو لهم
أنتَ الحكيمُ، فلا تَرعَكَ منيةً
إنَّ الذي خلقَ الحياةَ وِضدَها

^١ بطرس باشا غالي، كان رئيس الوزارة المصرية في أيام حكم الخديو عباس الثاني، وقد اغتاله إبراهيم الورداني في سنة ١٩١٠ لأسباب سياسية.

قَدِ عَشْتُ تُحَدِّثُ لِلنَّصَارَى أُلْفَةً
 وَالْيَوْمَ فَوْقَ مَشِيدِ قَبْرِكَ مَيْتًا
 الْحَقُّ أْبْلَجُ كَالصَّبَّاحِ لِنَاطِرِ
 أَعْهَدْتَنَا وَالْقَبْطِ إِلَّا أُمَّةً
 نُعَلِّي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ
 الدَّيْنُ لِلدِّيَّانِ جَلٌّ جَلَّالُهُ
 يَا قَوْمُ، بَانَ الرَّشْدُ فَاقْصُوا مَا جَرَى
 هَذَا رُبُوعُكُمْ، وَتِلْكَ رُبُوعُنَا
 هَذَا قُبُورُكُمْ، وَتِلْكَ قُبُورُنَا
 فَبِحُرْمَةِ الْمَوْتَى، وَوَجِبِ حَقِّهِمْ
 وَتُجِدُّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَئَامَا
 وَجَدَ الْمُؤَفَّقُ لِلْمَقَالِ مَقَامَا
 لَوْ أَنَّ قَوْمًا حَكَّمُوا الْأَحْلَامَا
 لِلأَرْضِ وَاحِدَةً تَرُومَ مَرَامَا؟
 وَيُوقِّرُونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَامَا
 لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَقْوَامَا
 وَخُذُوا الْحَقِيقَةَ، وَانْبِذُوا الْأَوْهَامَا
 مُتَقَابِلِينَ نَعَالِجَ الْأَيَّامَا
 مُتَجَاوِرِينَ جَمَاجِمَا وَعِظَامَا
 عِيشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كِرَامَا

بيكي والدته^١

أَصَابَ سُؤْيِدَاءَ الْفَوَادِ وَمَا أَصَمَى^١
وَمَا دَخَلَتْ لَحْمًا، وَلَا لَامَسْتُ عَظْمًا
كَلَامًا عَلَى سَمْعِي، وَفِي كَبْدِي كَلْمًا^٢
فِيَا وَيْحَ جَنَّبِي! كَمْ يَسِيلُ؟ وَكَمْ يَدْمَى؟
إِلَيَّ، وَلَمْ يَرْكَبْ بِسَاطًا وَلَا يَمَاءً
وَأَذْمَى وَمَا دَاوَى، وَأَوْهَى وَمَا رَمًا
طَوَى الشُّهْبَ، أَوْ جَابَ الْغُدَاقِيَّةَ الدُّهُمَا^٣
وَلَا كَاللِّيَالِي رَامِيًا يُبْعِدُ الْمَرْمَى
وَلَا كَلِقَاءِ الْمَوْتِ مِنْ بَيْنِهَا حَتْمًا
سَبِيلُ يَدَيْنِ الْعَالَمُونَ بِهَا قَدَمًا
وَلَا الْمَوْتُ إِلَّا الرُّوحُ فَارَقَتِ الْجِسْمَا
عَلَى نَزْلَاءِ الدَّهْرِ بَعْدَكَ أَوْ عَلِمَا

إلى الله أشكو من عوايدي النوى سهما
من الهاتكات القلب أول وهلة
توارد والناعي، فأوجست رنة
فما هتفا حتى نزا^٢ الجنب وانزوى
طوى الشرق نحو الغرب، والماء للثرى
أبان ولم ينيس، وأدى ولم يفه
إذا طويت بالشهب والدُّهم شقة
ولم أر كالأحداث سهما إذا جرت
ولم أر حكمًا كالمقادير نافذًا
إلى حيث آباء الفتى يذهب الفتى
وما العيش إلا الجسم في ظل روجه
ولا خلد حتى تملأ الدهر حكمة

^١ نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة، على إثر إعلان الهدنة، وهو في منفاه في الأندلس سنة ١٩١٨؛ إذ كان يعلى النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله، وفي مقدمتهم والدته الحبيبة، ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل المرموق، حتى وافاه البرق بنعيها، فأثر هذا المصاب الحسيم في نفسه تأثيراً بالغاً، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية، وقد قيل إنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة، حتى نُشِرت في الصحف غداة وفاته رحمه الله.

لِي اليَوْمَ مِنْهَا كَانَ بِالْأَمْسِ لِي وَهَمًا^٦
 فَمَا اغْتَرَّتِ الْبُوسَى، وَلَا غَرَّتِ النُّعْمَى^٧
 بِأَنْفَاسِهَا بِالْفَمِّ لَمْ يَسْتَفِقْ غَمًّا
 نَدِيمُكَ (سُقْرَاطُ) الَّذِي ابْتَدَعَ السُّمًّا^٨
 بِكَأْسِكَ نَجْمًا، أَمْ أَدْرَتَ بِهَا رَجْمًا؟!
 شَهِيدَةٌ حَرْبٍ لَمْ تُقَارِفْ لَهَا إِثْمًا
 وَأَنْزَهَ مِنْ دَمْعِ الْحَيَا عِبْرَةٌ سَحْمًا^٩
 فَلَمْ يَقَوْ مَغْنَاهَا عَلَى صَوْبِهِ رَسْمًا^{١٠}
 وَكَمْ نَازِعَ سَهْمًا فَكَانَ هُوَ السُّهْمَا!
 لِمَا قَبَلَتْ مِنْهَا، وَمَا صَمَّتِ الْحُمَى!
 إِذَا هِيَ سَمَّاهَا بِنِذِي الْأَرْضِ مَنْ سَمَّى؟
 فَلَمَّا وَقُوا الْأَسْوَاءَ لَمْ تَرَهَا ذَمًّا
 إِذَا أَقْصَرَ الْبَدْرُ التَّمَامُ مَضَوْا قُدَمًا!
 عَدُوٌّ تَرَاهُمْ فِي مَعَاطِسِهِ رَغْمًا
 وَلَا يُشْبِعُوا الرِّكْنَ اسْتِلاَمًا وَلَا لَثْمًا
 وَأَوْلِيَّتِ جُثْمَانِي مِنَ الْمِنَّةِ الْعُظْمَى
 تَلِيدَ الْخَلَالِ الْكُثْرُ، وَالطَّارِفَ الْجَمًّا^{١١}
 مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالْآيِ، وَالْأَسْمَا
 وَلَا رُمْتُ هَذَا الثَّكَلَ لِلنَّاسِ وَالْيَتَمَا
 فَكَيْفَ رِضَائِي أَنْ يَرَى الْبَشْرُ الظُّلْمَا
 كَأَنَّ ثَمَارَ الْقَلْبِ مِنْ وِلْدِي تَمَّا
 أَرَى النَّاسَ صِنْفَيْنِ: الذَّنَابَ أَوْ الْبَهْمَا^{١٢}
 وَلَا الْعَدْلُ إِلَّا حَائِطٌ يَعْصِمُ الْحُكْمَا
 فَمَا وَجَدَتْ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمَا
 وَإِنْ لَمْ أَرْحُ (مَرْوَانَ) فِيهَا وَلَا (لَخْمَا)^{١٣}
 بِكَيْتِ النَّدَى فِي الْأَرْضِ، وَالْبِاسِ، وَالْحَزْمَا
 أَخَالَ الْقُصُورَ الزُّهْرَ وَالْغُرْفَ الشُّمَّا

زَجَرْتُ تَصَاريفَ الزَّمَانِ، فَمَا يَقَعُ
 وَقَدَّرْتُ (لِلنَّعْمَانِ) يَوْمًا وَضِدَّهُ
 شَرِبْتُ الْأَسَى مَصْرُوفَةً لَوْ تَعَرَّضْتُ
 فَأَتْرَعُ وَنَاوِلُ يَا زَمَانُ؛ فَإِنَّمَا
 قَتَلْتُكَ، حَتَّى مَا أَبَالِي: أَدْرَتْ لِي
 لَكَ اللَّهُ مِنْ مَطْعُونَةٍ بِقَنَا النَّوَى
 مُدْلَهَةٌ أَزْكَى مِنَ النَّارِ زَفْرَةٌ
 سَقَاهَا بِشِيرِي وَهِيَ تَبْكِي صَبَابَةً
 أَسَتْ جُرْحَهَا الْأَنْبَاءَ غَيْرَ رَفِيقَةٍ
 تَغَارُ عَلَى الْحُمَى الْفَضَائِلُ وَالْعُلَا
 أَكَانَتْ تَمَنَّاها وَتَهَوَّى لِلقاءِهَا
 أَلَمَّتْ عَلَيْهَا، وَأَثَقَتْ ثَمَرَاتِهَا
 فِيهَا حَسْرَتَا أَلَّا تَرَاهُمْ أَهْلَةً
 رِياحِينُ فِي أَنْفِ الْوَلِيِّ، وَمَا لَهَا
 وَأَلَّا يَطُوفُوا خُشْعًا حَوْلَ نَعِشِهَا
 حَلَفْتُ بِمَا أَسْلَفْتُ فِي الْمَهْدِ مِنْ يَدٍ
 وَقَبْرِ مَنْوُوطٍ بِالْجَلالِ مُقَلَّدٍ
 وَبِالْغَادِيَاتِ السَّاقِيَاتِ نَزِيلُهُ
 لَمَّا كَانَ لِي فِي الْحَرْبِ رَأْيِي وَلَا هَوَى
 وَلَمْ يَكْ ظَلَمُ الطَّيْرَ بِالرَّقِّ لِي رِضًا
 وَلَمْ أَلْ شُبَّانَ الْبَرِّيَّةِ رِقَّةً
 وَكُنْتُ عَلَى نَهْجِ مِنَ الرَّأْيِ وَاضِحٍ
 وَمَا الْحُكْمُ إِلَّا أَوْلِي الْبِإْسِ دَوْلَةً
 نَزَلْتُ رُبَى الدُّنْيَا، وَجَنَاتِ عَدْنِهَا
 أَرِيحُ أَرِيحُ الْمِسْكَ فِي عَرَصَاتِهَا
 إِذَا ضَجَّكَتْ زَهْوًا إِلَيَّ سَمَاوَهَا
 أَطِيفُ بِرَسْمٍ، أَوْ أَلْمُ بِدَمْنَةٍ

ولا أنتِ في ذي الدار زائِلتِ لي هَمًّا
فَجُنْحًا إِلَى سَعْدَى. وَجُنْحًا إِلَى سَلْمَى^{١٤}
وَأَبْصَرَ فِيهِ ذُو الْبَصِيرَةِ وَالْأَعْمَى
وَأَقْلَعَتِ الْبَلْوَى، وَأَقْشَعَتِ الْغُمَّى
وَرَفَّتْ وَجْوهُ الْأَرْضِ تَسْتَقْبِلُ السَّلْمَى
وَلَوْعًا بِبُنْيَانِ الرَّجَاءِ إِذَا تَمًّا!
أَوِ الْعُرْسِ أَبْلَى فِي مَعَالِمِهِ هَدْمًا
فَدُونِكَ هَذَا الْحَشْدَ وَالْمَوْكَبَ الضُّخْمًا!
لِعَنْصَرِهِ الْأَرْكَى وَجَوْهَرِهِ الْأَسْمَى
فَلَمْ تُلْحَقِي بِنْتًا وَلَمْ تُسْبَقِي أُمًّا
تَوَاضَعْتَ، لَكِنْ بَعْدَ مَا فَتَّهَا نَجْمًا
وَجِئْتِ لِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ بِهِ نَظْمًا
بِهِ الْأَرْضُ كَانَ الْمُزْنَ وَالنَّبْرَ وَالكَرْمًا!^{١٥}

فَمَا بَرَحَتْ مِنْ خَاطِرِي (مَصْرُ) سَاعَةً
إِذَا جَنَنْتِي اللَّيْلُ أَهْتَزَّتْ إِلَيْكُمَا
فَلَمَّا بَدَأَ لِلنَّاسِ صُبْحُ مِنَ الْمُنَى
وَقَرَّتْ سِيوفُ الْهِنْدِ، وَارْتَكَزَ الْقَنَا
وَحَنَّتْ نَوَاقِيسُ، وَرَنَّتْ مَآذُنُ
أَتَى الدَّهْرُ مِنْ دُونِ الْهِنَاءِ، وَلَمْ يَزَلْ
إِذَا جَالَ فِي الْأَعْيَادِ حَلًّا نِظَامَهَا
لِئِنْ فَاتَ مَا أَمَلْتَهُ مِنْ مَوَاقِبِ
رَثِيئْتُ بِهِ ذَاتَ التُّقَى وَنَظْمَتُهُ
نَمَتِكَ مَنَاجِيِبُ الْعُلَا وَنَمِيَّتِهَا
وَكَنْتِ إِذَا هَذَا هَذَا السَّمَاءُ تَخَايَلَتْ
أَتَيْتِ بِهِ لَمْ يَنْظِمِ الشُّعْرَ مِثْلَهُ
وَلَوْ نَهَضَتْ عَنْهُ السَّمَاءُ، وَمَخَّضَتْ

هوامش

(١) الكلم (بفتح الكاف): الجرح.

(٢) نزا الجنب: يريد نزا القلب، ويقال: نزا الطائر، إذا همَّ بالطيران.

(٣) عوادي النوى: عوائقه. وقوله: «أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى»: أي أصاب

صميم القلب ولم يقتل.

(٤) بساطاً ولا يماً: أي لم يركب طائرة تسير في الهواء، كما سار بساط الريح

بسليمان (عليه السلام)، ولم يركب باخرة تسير على اليم، أي البحر.

(٥) الشهب: البيض. الدهم: السود. جاب: قطع. الغدافية: السوداء، ويقصد بالشهب

وبالدهم: الخيل البيضاء والسوداء أو النهار والليل. كأنه يتعجب من سرعة هذا النعي

في وصوله إليه.

(٦) الزجر: العيافة والتكهن، يقول: إنه كان متكهناً بما صنعه الزمن معه وكان

متوقعاً له.

(٧) كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد فيه عليه أحد إلا قتله، ويوم نعمى

لا يُسأل فيه إلا أعطى، ولهذين اليومين حوادث سارت من أجلها أمثال كثيرة للعرب،

ويرجع في هذا إلى الكتب الأدبية المطوّلة مَنْ شاء.

- (٨) سقراط: إمام الفلاسفة المتقشفين، حُكِمَ عليه بالإعدام فشرب السمَّ بيده، ولم يرض أن يفرَّ مع أصحابه الذين عزموا عليه بالفرار.
- (٩) العبرة السحما: أي السوداء، ولا يكون هذا إلا من أثر الحزن العميق.
- (١٠) الرسم: هو هنا مصدر «رسم المطر الديار» إذا عفاها وأبقى أثرها لاحقاً بالأرض.
- (١١) التليد: القديم. الطارف: الجديد.
- (١٢) البهم (بفتح الباء): صغار الغنم.
- (١٣) مروان ولخم: قبيلتان عربيتان، وهما من القبائل التي تولّت السيادة في بلاد الأندلس زمنًا.
- (١٤) الجنح (بضم الجيم وكسرهما): طائفة من الليل.
- (١٥) يريد أنه يشبه المزن في الكرم، والتبر في العرق والنفاسة، والخمر في السكر الذي يسكر الناس به من شعره.

الملك حسين^١

لك في الأرض والسماء مآتم
قعد الأُلُّ للعزاء، وقامت
يا أبا العليّة البهاليل، سلّ آ
المنايا نوازلُ الشّعَرِ الأبـ
ما الليالي إلا قصارُ، ولا الدُنـ
أنجسارُ الشّفاهِ عن سنّ جدلا
سنة أفرحت، وأخرى أساءت
المناحات في ممالك أبنا
تلك (بغداد) في الدموع، وعمّا
والحجازُ النبيلُ ربّعٌ مُصلّ
واشتركنا، فمصرُ عبّرى، ولبنا
قُم تاملُ بنيك في الشّرق زَيْنُ التـ
الزكويون عُنصراً مثل إبراهيم
وعليهم إذا العيون رمتهم

قام فيها أبو الملائك هاشم^١
باكيات على الحسين القواطم^٢
باءك الزُّهر: هل من الموتِ عاصم؟^٣
يض، جارات كل أسود فاحم^٤
يا سوى ما رأيت أحلام نائم
ن وراء الكرى إلى سنّ ناديم
لم يدّم في النعيم والكرّب حالم
ئك بدرية العزاء قوائم^٥
ن وراء السّواد، والشام واجم^٦
من ربوع الهدى، وأخر صائم^٧
ن سكوب العيون باكي الحمام
ساج، ملء السّير، نور العواصم^٨
هيم، والطيبون مثل القاسم^٩
عود من محمد وتمائم^{١٠}

^١ هو ملك الحجاز الحسين بن علي، زعيم الحركة العربية في طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الأتراك، وقد توفي سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف.

ما بنى الله ما له من هادِم
م فسَنُوا الهدى، ورَدَّوا المظالم
عربُ الأرض تحتهم والأعاجم
ين، كعابِ الهدى، فتاة العزائم
خل)، ماضي الجنان يقظان، حازم^{١١}
زل قُضبانُهُ اللُّيُوثُ الصَّرَاغِم^{١٢}
تُحْشِرُ البِيدُ تحته والعمام^{١٣}
كيف غامرتَ في جوار الأراقم؟^{١٤}
وتعلقت بالحواشي النواعم
لا تُرَعُ في التراب، ما أنا لائم!^{١٥}
حمل في وليمَةِ الذئبِ طاعم^{١٦}
ووردنا الوعى، فكننا الغنائم
رب عظم أتى الأمور العظام
ن، وزاد ائتلافهم وهو نائم
متأتتي الجنى، بطئ الكمام^{١٧}
وحوته على المدى يدُ قادم
لم يقفه للعرب قبلك خادم
نقلت في الأكف نقل الدراهم
موطئ الخيل، أو مطار القشاعم^{١٨}
سماء والعلم والطماح المزاحم؟
والسماوات وهي هوج الشكائم؟^{١٩}
والصحاري وما بها من سمائم؟^{٢٠}
ل، كالورد في رياه البواسم^{٢١}
رُقعَةٌ كَفُنُوا بها فرع هاشم
ير عودًا، ومن شريف القوائم
تم؛ فقد جلَّ عن ظهور الرواسم^{٢٢}
يبتهل رُكنه، وتدعو الدعائم^{٢٣}

قد بنى الله بيتهم فهو باق
دبروا الملك في العراق وفي الشا
أمن الناس في ذراهم، وطابت
وبنوا دولة وراء فلسط
ساسها بالأناة أروغ (كالدا
قبرص كانت الحديد، وقد تند
كره الدهر أن يقوم لواء
قم تحدثت (أبا علي) إلينا
لم تبال النيوب في الهام حشنا
هات حدثت عن العوان وصفها
كلنا وارد السراب، وكل
قد رجونا من المغانم حظا
قد بعثت القضية اليوم ميتا
أنت كالحق ألف الناس يقظا
إنما الهمة البعيدة غرس
ربما غاب عن يد غرسه
حبذا موقف غلبت عليه
نائدا عن ممالك وشعوب
كل ماء لهم، وكل سماء
لم لم تدعهم إلى الهمة الش
وركوب اللجاج وهي طواغ
وإلى القطب والجليد عليه
اغسلوه بطيب من وضوء الرأس
وخذوا من وسادهم في المصلى
واستعيروا لنعشه من ذرى المن
واحملوه على البراق إن اسطغ
وأديروا إلى العتيق (حسينا)

وانذكروا للأمير مَكَّةَ، والقص
ظَمِي الحُرُّ للديار، وإن كا
نَقَلُوا النعشَ ساعةً في رُبا الفتد
وقفوا ساعةً به في ثرى الأَف
وادفِنوه في القُدس بين سُليما
إنما القُدسُ منزلُ الوَحْيِ، مَغْنَى
كُنِفَتْ بالغيوب، فالأَرْضُ أُسْرا
وَتَحَلَّتْ من البُرّاقِ بَطُغْرا

رَ، وعهدَ الصفا، وطِيبَ المواسم
ن على مَنهلٍ من الخلد دائم
ح، وطوفوا بِرَبِّهِ في المعالم
مار من قومهن وتُرَبِّ الغمام
نَ وداودَ والمملوكِ، الأكارم
كلُّ حَبْرٍ من الأوائِلِ عالم
رُ مَدَى الدَّهْرِ، والسماءُ طَلامس
ء، ومن حافرِ البُرّاقِ بخاتم^{٢٤}

هوامش

- (١) أبو الملائك: أي أبو الملوك. وهاشم هو أحد جدود النبي صلوات الله عليه.
- (٢) الآل: آل البيت النبوي الشريف، والمقصود هنا رجاله، الفواطم: يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، وزوج الإمام علي كرم الله وجهه.
- (٣) عليه (بكسر العين): جمع عليّ، وهو الشريف العالي القدر من الناس. البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير. الآباء الزهر: هم المشرقو الوجوه، المشابهون للنجوم الزهر في صفاء اللون والتلألؤ والظهور.
- (٤) يقول: إن المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب، فليس هناك من عاصم منه.
- (٥) يشبهه الحزن على الفقيده بالحزن على صرعى بدر، أولى غزوات الرسول ﷺ.
- (٦) بغداد: عاصمة العراق، والمراد بها القطر كله. وعمّان: عاصمة الأردن، كنى بها عن الإقليم جميعه. والشام: يقصد بها سوريا وما إليها من الأقاليم المحصورة بين تركيا وبلاد العرب ونهر الفرات والبحر المتوسط.
- (٧) الحجاز النبيل: يقصد الحجاز الذي بقي محافظاً على عهده للفقيده، الربع: الدار.
- (٨) العواصم: جمع عاصمة، وهي البلدان الكبيرة التي تقيم فيها الحكومات.
- (٩) إبراهيم والقاسم: هما من أولاد النبي صلوات الله عليه.
- (١٠) عُوْدٌ: جمع عوذة، وهي الرقية تحفظ من العين كالتميمة، وجمع التميمة: تَمائم.

- (١١) الأناة: الرفق، ويريد «بالأروع»: الملك فيصل، يشبهه بالداخل، وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بني أمية في الأندلس.
- (١٢) قبرص: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك، يشبهها أمير الشعراء في حالة إقامة الفقيه فيها بالقفص الحديد الذي يحبس فيه الأسد، وصنع الأقفاص الحديدية لحبس الأسود مألوف لمنظمي الحدائق في عصرنا هذا.
- (١٣) العمام: الجماعات المتفرقون.
- (١٤) يشير إلى انضمام الفقيه في صف الحلفاء ضد تركيا في أثناء الحرب الكبرى، وقد كان لهذا الانضمام أثره في نهاية تلك الحرب.
- (١٥) العوان: الحرب.
- (١٦) كلنا في وليمة الذئب طاعم: يريد كلنا مطعوم مأكول لهذا الذئب.
- (١٧) الجنى: الثمار. الكمائم: محل ما تنبت تلك الثمار.
- (١٨) القشاعم: النسور، جمع قشعم. ويريد «بالنسور» الطيارين الذين يشبهون النسور.
- (١٩) يريد «بركوب السماوات»: ركوب الطائرات، ويريد بهوج الشكائم: اللجم، أي اللجم الصعبة القيادة.
- (٢٠) السمائم: جمع سموم، وهي الريح الحارة المحرقة.
- (٢١) الوضوء (بفتح الواو): ما يتوضأ به.
- (٢٢) الرواسم: الإبل، أو الخيل، أو الركائب عامة.
- (٢٣) العتيق: مسجد بيت المقدس حيث دُفِنَ الفقيه.
- (٢٤) الطغراء: ما يكتب في أول الكتاب. والبراق: هو ركوبة النبي صلوات الله عليه ليلة أسري به.

يرثي أباه^١

سألوني: لِمَ لَمْ أَرِثْ أَبِي؟
أَيُّهَا اللُّوَامُ، مَا أَظْلَمَكُمْ!
يا أباي، ما أَنْتَ فِي ذَا أَوَّلٍ
هَلَكْتَ قَبْلَكَ نَاسٌ وَقَرَى
غَايَةَ الْمَرِّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى
وَطَبِيبٌ يَتَوَلَّى عَاجِزًا
إِنَّ لِلْمَوْتِ يَدًا إِنْ ضَرَبَتْ
تَنْفُذَ الْجَوِّ عَلَى عِقْبَانِهِ
وَتَحَطُّ الْفَرَخِ مِنْ أَيُّكْتِهِ
أَنَا مَنْ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ أَنَا
نَحْنُ كُنَّا مَهْجَةً فِي بَدَنِ
ثُمَّ عُدْنَا مَهْجَةً فِي بَدَنِ
ثُمَّ نَحْيَا فِي (عَلِيٍّ) بَعْدَنَا
انظُرِ الْكُونَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ
فَإِذَا مَا قِيلَ: مَا أَصْلُهُمَا؟

ورثاءُ الأبِّ دَيْنٌ أَيُّ دَيْنٍ
أَيْنَ لِي الْعَقْلُ الَّذِي يُسْعِدُ أَيْنَ؟^١
كُلُّ نَفْسٍ لِلْمَنَايَا فَرَضَ عَيْنَ
وَنَعَى النَّاعُونَ خَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^٢
أَخَذُ يَأْخُذُهُ بِالْأَصْغَرَيْنِ^٣
نَافِضًا مِنْ طِبِّهِ خُفِّي حُنَيْنٌ
أَوْشَكْتُ تَصْدُوعَ شَمَلِ الْفَرْقَدَيْنِ
وَتَلَاقِي اللَّيْثِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ
وَتَنَالِ الْبَبْغَا فِي الْمُنْتَيْنِ
لَقِيَ الْمَوْتَ كِلَانَا مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ صِرْنَا مُهْجَةً فِي بَدَنَيْنِ^٤
ثُمَّ نَلْقَى جُثَّةً فِي كَفَنَيْنِ
وَبِهِ نُبْعَثُ أَوْلَى الْبَعْثَتَيْنِ^٥
كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
قُلْ: هُمَا الرَّحْمَةُ فِي مَرَحْمَتَيْنِ

^١ نظم هذه القصيدة حوالي سنة ١٨٩٧ يرثي بها والده الطيب الذكر المرحوم علي بك شوقي رحمه الله.

فقدَا الجنةَ في إيجادنا
 وهما العذرُ إذا ما أغضبا
 ليت شعري أيُّ حيٍّ لم يدن
 وقفَ اللهُ بنا حيثُ هما
 ما أبِي إلاَّ أخُ فارقتُه
 طالما قمنا إلى مائدةٍ
 وشربنا من إناءٍ واحدٍ
 وتمشينا يدي في يده
 نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً
 يا أبِي والموتُ كأسُ مرّةٍ
 كيف كانت ساعةَ قضيتها
 أشربتَ الموتَ فيها جرعةً
 لا تحفَ بعدك حزنًا أو بكًا
 أنتَ قد علمتني تركَ الأسي
 ليت شعري: هل لنا أن نلتقي
 وإذا متَّ وأودعتُ الثرى
 ونعمنا منهما في جنتين
 وهما الصفحُ لنا مُسترضيين
 بالذي دانا به مُبتدئين؟
 وأماتَ الرُّسلَ إلاَّ الوالدين^٧
 ودهُ الصدقُ، وودُّ الناسِ ميين^٨
 كانت الكسرةُ فيها كسرتين
 وغسلنا بعدَ ذا فيه اليدين
 من رآنا قال عنا: أخوين
 سوتَ الشرَّ فكانت نظرتين
 لا تذوقُ النفسُ منها مرّتين
 كلُّ شيءٍ قبلها أو بعدَ هين؟
 أم شربتَ الموتَ فيها جرعتين؟
 جمدتَ مني ومنك اليومَ عين
 كلُّ زينٍ مُنتهاه الموتُ شين
 مرّةً، أم ذا افتراقُ الملوين؟^٩
 أنلقتي حفرةً أم حُفرتين؟

هوامش

- (١) يسعد: يعين.
- (٢) الثقلان: الإنس والجن. وخير الثقلين، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه.
- (٣) الأصغران: القلب واللسان.
- (٤) خفي حنين: مثل عربي يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة.
- (٥) المهجة: الدَّم، وقد يعبرُ بها عن الروح، يقال: خرجت مهجته، أي روحه.
- (٦) علي: هو أحد نجلي أمير الشعراء.
- (٧) يريد في هذا البيت أن يقرر أن الأبوة ضرب من ضروب الرسالة التي لم تنقطع كما انقطعت رسالة الأنبياء، وإنما هي ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الأبناء على غرار الآباء، مصداقاً للأثر القائل: ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

يرثي أباه

(٨) المين: الكذب. وفي هذا البيت على سهولة أدائه أعظم ألوان المدائح لوالده، فإن الوالد الذي لا يشعر ابنه بسلطة الأب، هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الأخلاق، البالغ أعلى درجات الحكمة.
(٩) الملوان: الليل والنهار، الواحد منهما ملا.

مصطفى كامل باشا^١

قاصيهما في مأثم والداني
في الله من خلدٍ ومن رضوان
في الزائرين ورُوع الحَرَمَانِ^١
منكوسة الأعلام والقُضبان^٢
في الله والمختار والسلطان
في المحفلين بصوتك الرنَّان
ما غابَ من قُسٍّ ومن سَحبان^٣
ماذا لقيت من الوجود الفاني؟
هذا عليه كرامةٌ للجاني
بالقلب، أم هل مُتَّ بالسَّرطان؟
والجدُّ والإقدام والعِرفان
في هذه الدنيا؛ فأنت الباني
هل فيه آمالٌ وفيه أمانِي؟
ولربَّ حَيٍّ مَيِّتِ الوجودان
ومُضَلَّلٌ يَجري بغيرِ عنان

المَشْرِقانِ عليك يَنْتَجِبَانِ
يا خادِمَ الإسلامِ، أجزُ مُجاهِدِ
لَمَّا نُعِيتَ إلى الحجازِ مَشَى الأَسَى
السَّكَّةُ الكُبرى حِيالَ رُبَاهُما
لم تَأَلَّها عندَ الشدائدِ خِدْمَةٌ
يا لَيْتَ مَكَّةَ والمدينةَ فازتا
ليرى الأواخِرُ يومَ ذاكِ ويسمعوا
جارَ التُّرابِ وَأَنْتَ أَكْرَمُ راحِلِ
أَبْكَى صِباكِ، ولا أَعَاتِبُ مَنْ جَنَى
يتساءلون: أَب(السُّلالِ) قَضَيْتَ، أم
الله يَشْهَدُ إِنَّ موْتَكَ بِالْحِجَا
إِنْ كانَ للأخلاقِ رِكنٌ قائِمٌ
بالله فَتَشَّ عن فؤادِكَ في الثُّرى
وَجَدانُكَ الحَيُّ المُقِيمُ على المَدَى
الناسُ جارٍ في الحِياةِ لُغايَةٍ

^١ هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني، وقد توفي سنة ١٩٠٨.

عُلِيَا المَرَاتِبِ لَمْ تُتَّخَ لَجِبَانِ
مَاتُوا عَلَى دِينِ مِنَ الأَدْيَانِ
جُعِلَتْ لَهَا الأَخْلَاقُ كَالعُنْوَانِ
قَصْرٌ يُرِيكَ تَقَاصِرَ الأَقْرَانِ
إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي
فَالذِّكْرُ لِلإنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِي
مَا شَاءَ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ حُسْرَانِ
وَهِيَ المَضِيقُ لِمَوْثِرِ السُّلْوَانِ
يَشْقَى لَهُ الرُّحَمَاءُ وَهُوَ الهَانِي
فِي طِيهَا شَجَنٌ مِنَ الأَشْجَانِ
نُعْمَى الحَيَاةِ وَبُؤْسَهَا سَيَّانُ
خَطَرَاتِ، وَالإِسْرَارِ، وَالإِغْلَانِ
غَازٍ بغيرِ مُهْنَدٍ وَسِنَانِ؟
أَنْ العُلُومَ دَعَائِمُ العُمُرَانِ؟
جَزَعُ الهَلَالِ عَلَى فَتَى الفَتِيَانِ
لَكُنَّمَا يَبْكِي بدمعِ قَانِي
فَكَأَنَّمَا فِي نَعَشِكَ القَمْرَانِ
يَخْتَالُ بَيْنَ بُكَاءِ، وَبَيْنَ حَنَانِ
مَا ضَمَّ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
وَجَلَالِكَ المَصْدُوقُ يَلْتَقِيَانِ
وَبِكَيْتِكَ بِالدَّمعِ الهَثُونِ غَوَانِي^٦
إِذْ يُنصِتُونَ لخطبةٍ وَبَيَانِ
بَعْدُ المَنَابِرِ، أَمْ بِأَيِّ لِسَانِ؟
دَفْنُوكَ بَيْنَ جَوَانِحِ الأَوْطَانِ
حَمْلُوكَ فِي الأَسْمَاعِ وَالأَجْفَانِ
كَفَنٌ لَبِستَ أَحَاسِنَ الأَكْفَانِ
لَمْ تَأْتِ بَعْدُ؛ رُثِيَتِ فِي القُرْآنِ

وَالخُلْدُ فِي الدُنْيَا — وَليْسَ بَهِيْنٌ —
فَلَوْ أَنَّ رُسُلَ اللّهِ قَدِ جَبَبْنَا لَمَّا
المَجْدُ وَالشَّرْفُ الرَفِيْعُ صَحِيْفَةٌ
وَأَحَبُّ مِنْ طَوْلِ الحَيَاةِ بِذِلَّةٍ
دَقَّاتُ قَلْبِ المَرءِ قَائِلَةٌ لَهُ:
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا
لِلْمَرءِ فِي الدُنْيَا وَجَمَّ شَثُونَهَا
فَهِيَ الفِضَاءُ لِرَاغِبٍ مُتَطَلِّعٍ
النَّاسُ غَايِدٍ فِي الشَّقَاءِ وَرَائِحٍ
وَمُنْعَمٍ لَمْ يَلِيقَ إِلاَّ لَذَّةً
فَاصْبِرْ عَلَى نُعْمَى الحَيَاةِ وَبُؤْسِهَا
يَا طَاهِرَ الغَدَوَاتِ، وَالرَّوْحَاتِ، وَالـ
هَلْ قَامَ قَبْلَكَ فِي المَدَائِنِ فَاتِحُ
يَدْعُو إِلَى العِلْمِ الشَّرِيفِ، وَعِنْدَهُ
لِفُوكَ فِي عِلْمِ البِلَادِ مُنْكَسًا
مَا أَحْمَرَّ مِنْ حَجَلٍ، وَلَا مِنْ رِيْبَةٍ
يَزْجُونَ نَعَشَكَ فِي السَّنَاءِ وَفِي السَّنَا
وَكَأَنَّهُ نَعَشُ الحُسَيْنِ «بِكَرْبَلَا»
فِي زِمَّةِ اللّهِ الكَرِيمِ وَبِرِّهِ
وَمَشَى جَلالُ المَوْتِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ
شَقَّتْ لِمَنْظَرِكَ الجِيُوبَ عَقَائِلُ
وَالخَلْقُ حَوْلَكَ خَاشِعُونَ كعَهْدِهِمْ
يَتَسَاءَلُونَ: بِأَيِّ قَلْبٍ تُرْتَقِي
لَوْ أَنَّ أَوْطَانًا تَصَوَّرَ هَيْكَلًا
أَوْ كَانَ يُحْمَلُ فِي الجَوَارِحِ مِيْتُ
أَوْ صِيغَ مِنْ غُرِّ الفِضَائِلِ وَالعُلا
أَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الحَكِيمِ بَقِيَّةً

والدَاءُ مِلءُ مَعَالِمِ الْجُثْمَانِ
قَنِطٌ، وَسَاعَاتُ الرَّحِيلِ دَوَانِي
دَمْعٌ تُعَالِجُ كُتْمَهُ وَتُعَانِي
وَيَدَاكَ فِي الْقِرطَاسِ تَرْتَجِفَانِ
وَأَنَا الَّذِي هَدَّ السَّقَامُ كِيَانِي
وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعُ الشُّجْعَانِ^٧
مَا لِلْمَنُونِ بَدَكَّهِنَّ يَدَانِ
مَنْ أَدْمَعِي وَسِرَائِرِي وَجَنَانِي
لنَظَّمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الْأَزْمَانِ
فَتَعُودُ سِيرَتَهَا إِلَى الدَّوَرَانِ
وَتُجَلُّ فَوْقَ النُّيَرَاتِ مَكَانِي
فِيكَ الْقَرِيضُ، وَخَانَنِي إِمْكَانِي؟
إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةَ الْإِنْسَانِ
عَزَّتْ عَلَى (كِسْرَى) أَنْوَشِرْوَانِ؟
فَهَلِ اسْتَرَحْتُ أَمْ اسْتَرَحَ الشَّانِي؟^٨
هَذَا ثَرَى مِصْرَ؛ فَنَمَّ بِأَمَانِ
وَأَلْبَسَ شَبَابَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ
مَجْدًا تَتِيَهُ بِهِ عَلَى الْبُلْدَانِ
بِعِضِّ الْمَضَاءِ تَحْرَكُ الْهَرْمَانِ
كَيْفَ الْحَيَاةُ تَكُونُ فِي الشَّبَانِ
قَبْرٌ أَبْرُّ عَلَى عِظَامِكَ حَانِي
مَلِكٌ يَهَابُ سُؤَالَهِ الْمَلِكَانَ

وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّدَى بِكَ مُخَدِّقٌ
يَبْغِي وَيَطْغَى، وَالطَّبِيبُ مُضَلَّلٌ
وَنَوَاطِرُ الْعُودِ عَنْكَ أَمَالَهَا
تُمْلِي وَتَكْتُبُ وَالْمِشَاغِلُ جَمَّةٌ
فَهَشَّشْتَ لِي، حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ أَسَادُ الشَّرَى
وَوَجَدْتُ فِي ذَاكَ الْخِيَالَ عِزَائِمًا
وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرَّثَاءَ، فَهَاكِهِ
لَوْلَا مُغَالِبَةُ الشُّجُونِ لَخَاطِرِي
وَأَنَا الَّذِي أَرِثِي الشَّمُوسَ إِذَا هَوَتْ
قَدْ كُنْتَ تَهْتَفُ فِي الْوَرَى بِقِصَائِدِي
مَاذَا نَهَانِي يَوْمَ بِنْتُ فَعَقْنِي
هُوًّا عَلَيْكَ؛ فَلَا شِمَاتَ بِمِيَّتِ
مَنْ لِلْحَسُودِ بِمِيَّتِهِ بُلَّغَتْهَا
عُوفِيَّتَ مِنْ حَرَبِ الْحَيَاةِ وَحَرَبِهَا
يَا صَبِّ مِصْرَ، وَيَا شَهِيدَ غِرَامِهَا
إِخْلَعْ عَلَى مِصْرٍ شَبَابَكَ عَالِيًا
فَلْعَلَّ مِصْرًا مِنْ شَبَابِكَ تَرْتِدِي
فَلَوْ أَنَّ بِالْهَرَمَيْنِ مِنْ عِزْمَاتِهِ
عَلَّمْتَ شُبَانَ الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
مِصْرُ الْأَسِيفَةِ رِيْفَهَا وَصَعِيدُهَا
أَقْسَمْتُ إِنَّكَ فِي التَّرَابِ طَهَارَةٌ

هوامش

- (١) الحرمان: حرما مكة والمدينة.
- (٢) السكة الكبرى: يريد سكة حديد الحجاز، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين في سبيل إنشائها.
- (٣) قس وسحبان: خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة.

الشوقيات

(٤) سيَّان: مثلان، الواحد سيُّ.

(٥) قاني: أحمر.

(٦) العقائل: جمع عقيلة وهي ابنة الرجل المخدرة، أو كريمته. الهتون: من هتن

الدمع، إذا قطر. الغواني جمع غانية، وهي الفتاة تغنى بجمالها عن الحلي.

(٧) آساد: جمع أسد. الشرى: طريق في جبل سلمى كثيرة الأسود.

(٨) حربيه (كطلبه): سلبه ماله، الشاني: المبغض.

حسن بك أنور^١

وبالليل: أين سَمِيرِي (حَسَنُ)؟^١
وأين الطَّرُوبُ اللطيفُ الأذُن؟
ومُلْهُمُهَا صَبِيَّةٌ فِي الفَن؟
ليالي السُرُورِ عليه الحَزَن
فما عَرَفْتَ رُوحَهُ ما السَّمَن
بشاشَةٌ دَهْرٍ مَحَاها الزَمَن
وَحُلْمٌ تَطَايَرَ عَنْهُ الوَسَن^٢
(لأنُورَ) إلا جَلِيلَ المِنَن
وما كان من عَوْنِهِ فِي المَحَن
ويَشْفِي النَفُوسَ، ويُدْكِى الفِطَن
ولكنْ مِنَ الفَنِّ كان الرُّكُن^٣
دُفِنْتَ (كإِسْحاقَ) لَمَّا دُفِن
وأدْرَجْتَ فِي الوَرْدِ، لا فِي الكَفَن
يَمِيلُ على العُصْنِ فِيها العُصْنُ

تُساِئِلُنِي (كَرَمَتِي) بِالنهار
وأين النديمُ الشَّهِيّ الحَدِيثُ؟
نَجِيّ البِلايِلِ فِي عَشِّها
فَقَلْتُ لها: ماتَ، واستشَعَرْتَ
لَئِنَّ ناءَ من سَمَنَ جِسمَهُ
وما هو مَيِّتٌ، وَلِكنهُ
وَمَعْنَى خِلا القَوْلِ من لَفْظِهِ
ولا يَذْكَرُ المَعهَدُ الشَّرْقِيّ
وما كان من صَبْرِهِ فِي الصَّعابِ
وَخِدْمَةِ فَنِّ يُداوِي القُلُوبَ
وما كان فِيهِ الدَّعِيّ الدَخِيلَ
ولو أنْصَفَ الصَّحْبُ يَوْمَ الوِداعِ
فَعُيِّبَتْ فِي المِسْكِ، لا فِي الترابِ
وَحُطَّ لَكَ القَبْرُ فِي رَوْضَةٍ

^١ المرحوم حسن بك أنور: أحد الأعضاء المؤسسين لنادي الموسيقى الشرقي، وكان من الأصدقاء المقربين
لأمير الشعراء، وقد توفي سنة ١٩٣٠.

وَيَنْتَجِبُ الطَيْرُ فِي ظِلِّهَا
 وَقَامَتْ عَلَى الْعُودِ أُوتَارُهُ
 وَطَارَحَكَ (النَّايُ) شَجْوُ النَّوَّاحِ
 وَمَالَ فَنَاحَ عَلَيْكَ (الْكَمَّانُ)
 سَلَامٌ عَلَيْكَ سَلَامُ الرَّبِّا
 سَلَامٌ عَلَى جِيرَةٍ بِالْإِمَامِ
 سَلَامٌ عَلَى حُفْرٍ كَالْقُبَابِ
 وَجَمَعَ تَأَلَّفَ بَعْدَ الْخِلَافِ
 سَلَامٌ عَلَى كُلِّ طَوْدٍ هُنَاكَ
 وَيَخْلَعُ فِيهَا النِّسِيمُ الرَّسْنَ
 تُعِيدُ الْحَنِينَ، وَتُبْدِي الشَّجْنَ
 وَكَانَتْ تَبِينُ إِذَا النَّايُ أَنَّ
 وَأَظْهَرَ مِنْ بَثِّهِ مَا كَمَنْ
 إِذَا نَفَحَتْ، وَالغَوَادِي الْهُتْنَ
 وَرَهْطٍ بِصَحْرَائِهِ مُرْتَهَنَ
 وَأُخْرَى، كُمُنْدِرِسَاتِ الدِّمَنِ
 وَصَافِي وَصُوفِي بَعْدَ الضَّغْنِ
 لَهُ حَجَرٌ فِي بِنَاءِ الْوَطَنِ

هوامش

- (١) كان يطلق على دار أمير الشعراء كرمة ابن هانيء.
- (٢) الوسن: النعاس.
- (٣) الركن: الركن، وقد حركت الكاف من أجل الشعر. والركن من كل شيء: جانبه الأشد والأقوى.
- (٤) الرسن: الحبل. ويقال: رسن الفرس: شدّه بالرسن.
- (٥) الدمن: جمع دمنة، وهي آثار الديار.

أم الحسين^١

وَحَوْتَهُ مِنْ يَدِ الرُّوحِ الْأَمِينِ^١
لَقِيَتْ (يَتْرِبُ) أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ
وَوِراءَ النَّحْرِ مِنْ حَبْلِ الْوَتِينِ^٢
رَمَلَةَ الثَّغْرِ، إِلَى الْقَصْرِ الْحَزِينِ
وَمَشَتْ فِي عَبْرَاتِ الْبَائِسِينَ
مِنْ وَرَاءِ الدَّمْعِ أَسْرَابَ السَّفِينِ
فَنَنْ الْوَرْدِ وَفِرْعُ الْيَاسَمِينَ^٣
وَعَلَى سُكَّانِهَا نُورُ الْيَقِينِ^٤
جَوْهَرَ السُّودِ وَالْكَنْزَ الثَّمِينِ^٥
فِي الْأَجَاجِ الْمِلْحِ بِالْعَذْبِ الْمَعِينِ
وَسَنَاءً فِي جِبَاهِ الْمَالِكِينَ^٦
خُرْدٍ مِنْ حَفِرَاتِ الْبَيْتِ عَيْنِ
وَالْأَمِينَاتِ بُنَيَّاتِ الْأَمِينِ
وَنَضَّتْهُ كَالشَّمُوسِ الْآفَلِينَ^٧
كَيْدِ الشَّمْسِ وَإِنْ غَابَ الْجَبِينِ

أَخَذَتْ نَعَشَكَ مِصْرُ بِالْيَمِينِ
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقَايَاكَ كَمَا
فِي سَوَادِيهَا، وَفِي أَحْشَائِهَا
خَرَجْتَ مِنْ قَصْرِكَ الْبَاكِي، إِلَى
أَخَذْتَ بَيْنَ الْيَتَامَى مَذْهَبًا
وَرَمْتَ طَرْفًا إِلَى الْبَحْرِ تَرَى
فَبَدَتْ جَارِيَةً فِي حِضْنِهَا
وَعَلَى جُوجُجِهَا نُورُ الْهَدَى
حَمَلَتْ مِنْ شَاطِئِ (مَرْمَرَةٍ)
وَطَوَتْ بَحْرًا بِبَحْرِ، وَجَرَتْ
وَأَسْتَقَلَّتْ دُرَّةً كَانَتْ سَنَى
نَهَبَتْ عَنْ عِلْيَةِ صَيْدٍ، وَعَنْ
وَالْتَقِيَّاتِ بِنَاتِ الْمُتَّقِي
لَبَسَتْ فِي مَطْلَعِ الْعِزِّ الضُّحَى
يَدُهَا بَانِيَةً غَارِسَةً

^١ أم الحسين: هي والدة سمو الخديو عباس باشا الثاني، وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١.

قد رَكِبْتَ اليَوْمَ عرشَ العالَمين
 وتَوَارَى بِنِسَاءِ المُرسَلين
 لهمُ آدمُ رُسلِ الآخِرين
 عَبقرِيًّا، هو (أُمُّ المحسنين)
 يَمْضُ عن قومٍ لأيدي آخِرين
 واطرحي من حَالِقِ عَبءِ السنين^٨
 ليس بالمخْطِئِ يَوْمَ الشامتين
 لم تَدُمُ في وِلْدٍ أو في قَرين
 لتغْطِي وجهها بالدارعين^٩
 ليس يُحيي موكِبُ الدفنِ الدفين
 مَنَعَ الحَوْضُ، ولا حاطِ العَرين^{١٠}
 يَتحدِّثُونَ به الحقُّ المبين
 ذرَفَتْ أَماقها فيه العيون
 مَلَأُ بُدْلانَ مِنْ عَرِّ بَهُون
 تَلَقَّ إِلا عندكِ الركنَ الركين
 ومن الكاسين فيه الطاعمين^{١١}
 وانقضى ما كان من خَفِضٍ وِلين
 والمساكينُ يَمْدُون الرنين
 دُوولتِ نِعْماهُ بينَ الأقربين
 من بنيه سيِّدُ في (عابدين)
 فَتَرَاتُ الدهرِ من دُنيا ودين
 أُمَّ مصرٍ من بناتِ وبنين؟
 دولة الرِّيحانِ حينًا بعدَ حين
 ويُقال: الحرِّمُ العالِي المصون^{١٢}
 (الكالْبِيعِ) الطُّهرُ ضَمَّ الطاهرين^{١٣}
 إِنَّ فيها غرْفَةً للصابرين

رَبَّةَ العَرشَيْنِ في دولتها
 أَضجَعَتْ قَبْلِكَ فيه (مريم)
 إِنَّه رَحْلُ الأوالي شَدَّةُ
 إِخْلَعِي الألقابَ إِلا لِقَبًا
 ودَعِي المالَ يَسِرُ سُنَّتَه
 وأقْذِفِي بالهَمِّ في وَجِهِ الثَّرَى
 واسخري من شانِي أو شامتِ
 وتَعزِّي عن عَوادي دولةِ
 وازهدِي في موكِبِ لو شِئْتَه
 ما الذي رَدَّ على أَصحابه؟
 رَبِّ مَحْمولٍ على المِدفِعِ ما
 باطلٌ من أُمَّمِ مَخدوعَةٍ
 في (فروقٍ) ورَباهَا ماتَمَّ
 قام فيها، من عَقيلاتِ الحمى
 أَسرُّ مالت بها الدنيا، فلم
 قد خلا (بيبكُ) من حاتمِه
 طارت النعمةُ عن أَيْكْتِه
 اليتامى نُوحٍ ناحِيَةً
 دولةُ مالت، وسُلطانُ خلا
 مُنْهَضُ الشِرقِ (عَلِيٌّ) لم يزل
 يُصَلِّحُ اللهُ به ما أَفسَدَتْ
 أُمَّ عَبَّاسٍ، ومالي لم أَقلُ:
 كنتِ كالوردِ لهم، واستقبلوا
 فيقال: الأُمُّ في موكبها
 (العفيفيُّ) عِفافٌ وهُدَى
 ادخلي الجَنَّةَ من رَوْضَتِه

هوامش

- (١) أخذت نعشك مصر باليمين: تعبير مقصود به القول إن مصر كلها أظهرت اهتماماً وعناية كبيرين في استقبال نعش الفقيدة. أمَّا الشطر الثاني من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوي ذخيرة من الذخائر المقدَّسة، ومن أجل ذلك قام جبريل (عليه السلام) أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدًا بيد.
- (٢) النحر: موضع القلادة من الصدر. الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.
- (٣) جارية: سفينة، وفي القرآن الكريم: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾.
- (٤) جَوْجُو السفينة: مقدمها، وسكانها: مؤخرها.
- (٥) مرمرة: بحر في بلاد الترك، يقول: إن هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك البلاد نعش ميتة، وإنما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين.
- (٦) السنى، بالقصر: الضوء، وبالمد: الرفعة.
- (٧) نضته: خلعتة. الأفلين: جمع أفل. والأقول للشموس: المغيب.
- (٨) حالق الجبل: أعلاه، كأنه يقول: إن الموت ارتفاع عظيم.
- (٩) الدارعين: جمع دارع، أي لابس الدرع.
- (١٠) العرين: مأوى الأسد. يقول كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق، ولم يمنعوا العدوان عن الحمى، فما دام هذا المظهر قد يناله في الدنيا غير مستحقه، فهو إذن ليس بذئ خطر، وليس بالذي يعتزُّ به حقيقة.
- (١١) بيك: قصر الفقيدة في الأستانة، كان مصيفها كل عام. حاتم: اسم رجل يضرب به المثل في الكرم البالغ، فيقال: كرم حاتمي. وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين.
- (١٢) يشير هذا البيت على أن الفقيدة العظيمة كانت أم خديو وزوجة خديو.
- (١٣) العفيفي: علم على الموضع الذي أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها.

الدكتور أحمد فؤاد^١

دارٌ مَرَزَتْ بها على (قَيْسونا)^١
دنيا تَغُرُّ السادرَ المفتونا
وأقلَّ رَفَرَفها الخطوبَ العُونا^٢
من كلِّ ناحيةٍ تثور شُجونا
شَرَكًا لَصِيدِ مَآرِبٍ وَكَمِينَا
عن أن تَضُمَّ ضَلالَةً وَمُجونا^٣
كالفجر تَغْرًا، وَالصَّبَاحِ جَبِينَا
مَرَضَى (بعيسى الروح) يَسْتَشْفونا
للنشءِ يَنْطِقُ في السكوتِ مُبِينَا
وتَخَالَهْنَ من الخُشوعِ سُكونَا
أَدْوَاؤُهُمْ، وَتَغَيَّبَ الشافونا^٤
ولربِّمَا بذلَ الدواءَ مُعِينَا
تَكسو الفقيرَ، وتُطعمُ المِسكينَا
حَمَلَ الصداقةَ وافيًا وأمِينَا

أَوْحَتْ لَطَرْفِكَ فاستهلَّ شُئُونَا
غاضت بشاشَتُها، وَفَضَّتْ شَمَلُها
نَزَلَتْ عَوادِيِ الدهرِ في ساحاتِها
فتكادُ مِنْ أَسْفِ على أَسِيِ الحَمَى
تلك (العيادة) لم تكن عَبْتًا، ولا
دارُ (ابنِ سينا) نَزَّهَتْ حُجْرَاتُها
خَبَّتِ المطالعُ مِنْ أَعْرَ مُمَوَّلٍ
وَمِنَ الوُفُودِ، كَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِهِ
مَثَلُ تَصَوَّرَ من حياةٍ حَرَّةٍ
لم تُحْصَ من عهدِ الصِّبا حَرَكَاتُهُ
جَمَحَتْ جِراحُ المُعَوِّزِينَ، وَأَعْضَلَتْ
ماتَ الجِواءُ بِطِبِّهِ وبأجرِهِ
وَتَجَسَّسَ راحَتَهُ العليلِ، وتارةً
أَدَّى أمانةَ عِلْمِهِ، ولطالَمَا

^١ كان الدكتور أحمد فؤاد مثلاً نادراً من أمثلة حسن الخلق، ونابعة من نوابغ الطب المعدودين، وقد توفي سنة ١٩٣١.

وقضى حقوقَ الأهلِ، يُحسنُ تارةً
خُلُقَ ودينَ في زمانٍ لا ترى
أمداويَ الأرواحِ قبلَ جُسومِها
رُوحٌ بلفظك كلُّ رُوحٍ مُعدَّبٌ
قد كمالَ للقدرِ العتابَ، ورُبِّما
داوَيْتَ كلَّ مُحطَّمٍ فشفيتهُ
كبدٌ على دَمِها اتَّكَّأتْ ولحمِها
ظَلَّتْ وراءَ الحربِ تشقى بالنوى
ناصرتَ في فجرِ القضيةِ (مصطفى)
أقدمتَ في العشرين تحتَ لوائه
لم تبغِ دُنيا طالما أغضى لها
رُحْمَاكَ (يوسفُ) قَفْ رِكابَكَ ساعةً
لم يَدِرْ خَلْفَ النعشِ من حرِّ الجوى
ساروا بمُهْجَتِه، فحُمِّلَ نُكَلَّها
أَتَعَوْدُ في رُكْبِ الربيعِ إذا انثنى
هيهاتَ من سَفَرِ المنيَّةِ أوبه
ويقالُ للأرضِ الفضاءِ: تمخّضِي
اللهِ أبقي! أينَ مِنْ جَسدي يدُ
حتى تَمَثَّلَتِ العِنايةُ صورةً
فجررتُ جُثماني، وهانت كُرْبَةُ
إنَّ الشفاءَ من الحياةِ وعونها
واليومَ أرتجلُ الرثاءَ، وأنزوي
سبحانَ من يَرِثُ الطبيبَ وطبَّه

بأبيه، أو يَصِلُ القِرابَةَ حيناً
خُلُقاً عليه ولا تُصايفُ ديناً
قُمْ داوِ فيك فؤادي المحزوناً
حَيْرانَ طارَ بلبُّه الناعوناً
ظَنَّ المَدْلَهُ بالقضاءِ ظُنونا^٦
ونسيتَ داءً في الضلوعِ دَفيناً
فَحَمَلتَ هَمَّ المسلمين سَيناً
وتذوبُ للوطنِ الكريمِ حنيناً
فَنَصَرَتْ خُلُقاً في الشَّبابِ مَتِيناً^٧
وروائِعُ الإقدامِ في العشريناً
حُمِسَ الدَّعَاةِ وطَاطَئوا العَريناً^٨
واعطِفْ على يعقوبَ فيه حزيناً^٩
أَيُشَقُّ جَيِّباً، أَمْ يَشَقُّ وَتِيناً؟^{١٠}
وَقَضُوا بَعائِلَه، فَمَالَ عَبيناً^{١١}
بَهْجاً يَزِفُ الوردَ والنَّسرِينا؟
حتى يُهَيِّبَ الصُّبحُ بالسارِينا
فتردُّ شَيْخاً أو تَمَجَّ جَيناً
لم أَنَسَ رَفَقَ بِنانِها واللِّيناً؟^{١٢}
تُومي بَراحَ، أو تَجِيلُ عيوناً
لولا اعتِنائُكَ لم تكن لَتهونا
ما كانَ آسَ بالشفاءِ ضَمِينا
في مَأْتَمِ أبكي مع الباكِينا
ويُري المَريضَ مِصارِعَ الآسِينا!!^{١٣}

هوامش

(١) قيسون: علم على مسجد بهذا الاسم في شارع محمد علي بالقاهرة كانت دار الفقيه قريبة منه، الشئون: الدموع. يقول: إن المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعاً؛ حزناً لما أصاب تلك الدار من الخمول بعد النباهة، والسكون بعد الحركة، والوجوم بعد الطلاقة والسرور، وهذا لفقد صاحبها طبعاً.

- (٢) أقل: حمل. الرفوف: شيء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت. العون: جمع عوان. الخطوب العون: أي التي نزلت مرّة قبل هذه. يريد أن هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الأخير الذي حلّ بها.
- (٣) يشبّهه الفقيد في الطب والأمانة للعلم بآبن سينا.
- (٤) خبت المطالع: انطفأ نورها.
- (٥) أدواء: جمع داء.
- (٦) المدله: الذي ذهب فؤاده من همّ وعشق ونحوه.
- (٧) يشير إلى أنه كان من الأنصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا.
- (٨) حمس: جمع حمس، بكسر الميم، أو أحمس، وهو الصلب في القتال والعقيدة، والحمس: لقب لقريش، ومنّ تابعهم في الجاهلية لتحمّسهم والتجائهم للحمساء، أي الكعبة، العرنين: الأنف.
- (٩) يشبّهه الفقيد (عليه السلام)، ليمهد لتشبيهه أبيه بسيدنا يعقوب (عليه السلام) في صبره على فراق ابنه ومحنته.
- (١٠) الوتين: عرق في القلب إذا قطع مات صاحبه.
- (١١) المهجة: تطلق على الدم وعلى الروح، يقال: خرجت مهجته، أي روحه.
- (١٢) يشير: إلى أن الفقيد كان أحد أطبائه الذين تمثّلت عناية الله به في عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفاؤه.
- (١٣) الآسينا: جمع آسي، وهو الطبيب.

نجل إمام اليمن^١

وأودى بزين شبابِ الزمنِ
عليه، وتبكي القنا في عدن^١
ومالَ الحسين، فعزَّ الحسن
وغصت مآتمه في المَدُن
مشى في مآتمه ذو يزن^٢
وسيف الرسول، وسيف الوطن
وما البدر؟ ما قدره؟ وابنُ مَنْ؟
وهونٌ جليل الرزايا يهْن
وظنُّك في الله ظنُّ حسن
ومن أين للموتِ عقلٌ يزن؟
وما العربيَّةُ إلا وطن
عظيمُ الفروضِ وسمحُ السُننِ
نبيُّ الصوابِ، نبيُّ اللِّسنِ
كما اجتمعوا في ظلال الرُّكنِ^٣
وتأخذ حصَّتها في الحزنِ

مضى الدهرُ بابنِ إمامِ اليمنِ
وباتت بصنعاءَ تبكي السيوفُ
وأغولَ نجد، وضجَّ الحجازُ
وغصت مَناحاته في الخيامِ
ولو أنَّ مَيِّتًا مشى للعزاءِ
فتى كاسمه كان سيفَ الإله
ولُقِّبَ بالبدرِ من حُسنه
عزاءً جميلاً إمامَ الحمى
وأنت المَعانُ بإيمانه
ولكن متى رَقَّ قلبُ القضاءِ؟
يجاملك العربُ النازحون
ويجمعُ قومك بالمسلمين
وأنَّ نبيَّهم واحدٌ
ومصرُ التي تجمع المسلمين
تُعزِّي اليمانيين في سيفهم

^١ هو الأمير سيف نجل الإمام يحيى، وقد توفي غرقاً وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٣.

وتبكيه بالعبرات الهُتُن
 من الشعْر في ربّواتِ اليمن
 رفيفَ الجنى في أعالي العُصن
 فتى خالص السّر، صافي العَلن
 عراضِ الأواسي طوالِ القَنن^٤
 ولا في الدُروع، ولا في الجنن^٥
 وكنا عهدناك غمَد السُفن؟
 فكيف أزيل؟ ولم لم يُصن؟
 من الشرف العبقريّ اليُمن
 إليك، وأعطى الترابَ البدن
 ولولا حقوقُ العُلا لم تهن
 وكان القضاء له قد كمن
 وخُنتَ امرأً وافيًا لم يخُن
 ولا مدَّ عمرَ الجبان الجُبُن
 قضى، ويعيش إذا لم يحن^٦
 أبو السُّجَر الرّماح اللُدُن
 أحقُّ به من ترابِ اليمن
 وفي كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن؟
 وأغرقتَ أبناءه بالمنن
 وإذ هو كالخُشفِ (حُلُو) أغن؟^٧
 وطيبُ الرياض، وصفوُ الزمن؟
 ونغمته لذة في الأذن؟
 كما لاعبَ المُهرُ فضل الرّسن؟
 أدلِّ بمخَلبِه وأفتتن؟^٨
 يَشُبُّ الحروبَ، ويُطفي الفِتن؟^٩
 وأمسى عفاءً كأن لم يكن؟
 وفصلتُها بالأسى والشَّجن

وتتعدُّ في مأتَمِ ابنِ الإمامِ
 وتُنشُر رِيحانَتِي رُنْبِقِ
 تَرَقَّانِ فوق رُفاتِ الفقيدِ
 قَضَى واجبًا، فقضى دونه
 تطوَّحَ في لُججِ كالجبالِ
 مَشَى مَشِيَةَ اللَّيْثِ، لا في السلاحِ
 متى صرَّتْ يا بحرُ غمَدَ السيفِ
 وكنتَ صوانَ الجُمانِ الكريمِ
 ظَفِرْتَ بجوهرةٍ فذَّةٍ
 فتى بذلَ الروحَ دونَ الرُّفاقِ
 وهانتَ عليه مَلاهي الشبابِ
 وخاضك يُنقِذُ أترابه
 غدرتَ فتى ليس في الغادرين وما
 في الشجاعةِ حَتْفُ الشجاعِ
 ولكن إذا حانَ حينُ الفتى
 ألا أيُّ هذا الشريفِ الرّضي
 شهيدُ المروءةِ كان البقيعُ
 فهل غسّلوه بدمعِ العُفاةِ
 لقد أغرَقَ ابنكَ صرْفُ الزمانِ
 أتذكر إذ هو يطوي الشهورَ
 وإذ هو حولك حسنَ القصورِ
 بشاشتُه لذة في العيونِ
 يلاعِب طُرَّتَه في يديك
 وإذ هو كالشبلِ يحكي الأسودِ
 فشَبَّ، فقامَ وراءَ العَرينِ
 فما باله صار في الهامدينِ
 نظمتُ الدموعَ رثاءً له

هوامش

- (١) صنعاء: حاضرة اليمن، عدن: إحدى الموانئ هناك، وهي على خليج عدن المشهور.
- (٢) ذو يزن: أحد أقبال اليمن الأقدمين، ولشجاعة هذا الملك في استرداد عرض أبيه وأجداده أضيفت إليه أساطير كثيرة.
- (٣) يريد بالركن: الكعبة.
- (٤) القنن: جمع قنة، وهي رأس الجبل. الأواسي من البناء: الدعائم.
- (٥) الجنن: جمع جنة، بالضم، وهي ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك.
- (٦) الحين: الأجل.
- (٧) الخشف (مثلثة الخاء): الظبي، الأعن: الذي يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب.
- (٨) الشبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد.. أدل بمخلبه: أي تباهى به وتخايل على أقرانه.
- (٩) العرين: بيت الأسد. يشبُّ الحروب: يوقدها.

عبد الله بك الطوير^١

ماذا صنعت بعهد (عبد الله)؟
وحفقت حَفَقَةً مُوجَعٌ أَوَاهِ^١
لهوى بك الركن الضعيف الواهي
وعليك من حُسن التجلُدِ ناه
تهوي المكارم نحوها بشفاه
مَوطوءةً بمفارقٍ وجِباه
فيها؛ لفاضت من جَنَى ومياه^٢
من آل طهر عارِفٍ بالله
في المُقسطينِ الجِلَّةِ الأَنزاه^٣
كذبِ النعيم، وتُرَهاتِ الجاه
بودادٍ لا صَليفٍ، ولا تِيَاهِ^٤
من كلِّ (جائِلَةٍ) على الأفواه
في منزلٍ بَهجِ بنوركِ زاه
بفتاه في مدحِ الرسولِ مُباه^٥
بملائكٍ من آلِهِ أشباه^٦
فالناسُ بين نوازِلِ ودواهِ^٧

يا قلبُ، ويحك والموَدَّةُ زَمَّةُ
جاذبتني جنبي عَشِيَّةَ نَعِيهِ
وَلَوْ أَنْ قَلْبًا ذَابَ إِثْرَ حَبِيبِهِ
فعليك من حُسن المروءَةِ أمرٌ
نزل «الطويرُ» في الترابِ منازلًا
عَرَصَاتُهَا مَمَطُورَةٌ بِمَدَامِعِ
لولا يمينُ الموتِ فوقَ يمينه
يا كابرًا من كابرين، وطاهرًا
وَمُحَكَّمًا عَلِمَ القِضَاءِ مَكَانَهُ
وحكيماً اسْتَعَصَتْ أَعِنَّتُهُ عَلَى
وَأَخًا سَقَى الإِخْوَانَ مِنْ (راووقه)
قد كان شعري شغَلَ نَفْسِكَ، فاقترح
أُنزِلتَ منه حينَ فَاتَكَ جَمْعُهُ
فاقرأ على «حَسَّانَ» منه، لعله
وانزل بنور الخلدِ جَدِّكَ، واتَّصَلْ
ناعيك ناعي حاتمٍ أو جعفرِ

^١ المرحوم عبد الله بك الطوير، كان أحد رجال القانون في مصر، وقد توفي سنة ١٩١٥.

هوامش

- (١) خفق القلب: اضطرب في موضعه. الأواه: كثير التأوه. وفي القرآن الكريم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.
- (٢) اليمين: يراد بها هنا القوة. الجني: الثمار.
- (٣) المقسطين: أي العادلين. الجلة (بكسر الجيم): قوم ساعدة عظماء ذوو أخطار. الأئزاه: جمع نزه: وهو العفيف المتكرم.
- (٤) الراووق: المصفاة، كالباطية ونحوها من الآنية التي يوضع فيها المشروب. الصلف: مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً.
- (٥) حسان: هو ابن ثابت، شاعر الرسول صلوات الله عليه.
- (٦) جدك: منصوب على نزاع الخافض، أي انزل على جدك، وكان الفقيده منسوباً لآل البيت النبوي.
- (٧) حاتم: هو الطائي المشهور بالكرم. جعفر: لعله يقصد به جعفر البرمكي، أو عبد الله ابن جعفر أحد أجواد العرب في العصر الأموي، والمقصود تشبيهه الفقيده في كرمه بهذين الرجلين اللذين ضرب المثل بكرمهما.

سعد باشا زغلول^١

وانحني الشرقُ عليها فبكاها
(يوشعُ)، هَمَّتْ، فنَادَى، فثناها^١
فكَأَنَّ الأَرْضَ لم تخلع دُجَاهَا^٢
من جِرَاحَاتِ الضحَايا وديمَاها
من شهيدٍ يقطرُ الوردَ سَذَاها
وَيُحِهُ!! حتى إِلى الموتى نَعَاها
كَسَتِ الموتَ جِلَالاً، وكسَاها
لحمةَ الأَكْفَانِ حَقٌّ وَسُدَاهَا^٣
يَحْسِرُ الأَبْصَارَ في النعشِ سَنَاها^٤
تؤثِّرُ الحَقُّ سبيلاً واتَّجَاهَا^٥
أَمْ على البعثِ أَفَاقَتْ مِنْ كَرَاهَا؟
طَلَبَتْ مِنْ مِخْلَبِ الموتِ أَبَاهَا^٦
شُعْبُ السيلِ طَغَتْ في مُلتَقَاها
يَلْمَسُونَ الرُّكْنَ فَارتدَّتْ نَزَاهَا
(بسعدٍ) رَفَعُوا أَمْسَ الجِبَاهَا

شَيَّعُوا الشمسَ ومالوا بضحاها
ليتني في الركبِ لَمَّا أَفَلْتُ
جَلَلُ الصبْحِ سَوَادًا يَوْمُها
انظروا تَلَقَّوْا عليها شَفَقًا
وَتَرَوْا بَيْنَ يَدَيْها عِبْرَةً
أذن الحَقُّ ضَحَاياها بها
كفَّنوها حُرَّةً عُلُوِيَّةً
مِصْرُ في أَكْفَانِها إِلا الهدى
خطر النعشُ على الأَرْضِ بها
جاءها الحَقُّ، وَمِنْ عادتها
ما دَرَتْ مِصْرُ: بَدَفْنَ صُبِّحَتْ
صَرَخَتْ تَحْسِبُها بِنْتَ الشَّرَى
وكَأَنَّ النَّاسَ لَمَّا نَسَلُوا
وضعوا الرِّاحَ على النعشِ كما
خَفَضُوا في يومِ (سعدٍ) هامَهُم

^١ زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧.

هل مَشَى الناعي عليها فمحاها؟^٧
 وَجَلَا عن ضِفَّة الوادي دُماها^٨
 وإِلَى (الناقوسِ) قامتُ بِيَعَتَاها
 أَرْضُ (سوريا)، وتَطْوِيه سَماها^٩
 كعوادي الثُّكُلِ في حَرِّ سُرَاها^{١٠}
 تَطَأُ الأَذَانَ هَمْسًا والشِّفاها
 كُلُّ نَفْسٍ في وِرِيدِيها رِداها^{١١}
 شَبَحًا في خَطِّةٍ إِلا أَباها
 حَزَّ في سُوقِ الأَوالِي وبِراها
 أَرَجُلُ الأَحرارِ فيهِ فَعفاها
 كَأَلَّتْ (عَدُنُّ) بها هامَ رُباها^{١٢}
 وحياة أَتَرَعَ الأَرْضَ حَياها^{١٣}
 وبِكَتْ أَنْظَمَةُ الشُّورى صُواها^{١٤}
 رايَةٌ كَنتَ مِنَ الذَّلِّ فِداها
 وتَلَقَّى السَهمَ عَنها فِوقاها
 كِيفَ يَحْمِي الأَعزْلُ الشَّيخَ جِماها؟
 مِنَ أواسِيها وَجَفَّتْ مِنَ نُرَاها
 وَدَها الفُصْحى بِما أَلْجَمَ فاها؟
 وَدَها الأَجبالَ مِنْها ما دَهاها
 لَمَسَتْ جُرثومَةَ المَوتِ يَداها
 مِنَ رَحيقِ الوَطَنِيَّاتِ سَقاها
 سَاحِرِ رَنْ مَلِيًّا فَشِجاها
 وَأَذانُ عَشِيقَتِها أَذْناها
 كالمِزاميرِ وَأَنغامِ لُغاها
 فَلوَاتٍ دَلَّهَتْ وَحَشَ فِلاها
 أَنْفَذَتْ فيهِ المِقاديرُ مُناها
 تَأخُذُ الأَسادَ مِنَ أَصلِ شِراها

سائلوا «رَحَلَةَ» عن أَعراسِها
 عَطَّلَ المُصْطافَ مِنَ سُمَّارِها
 فَتَحَ الأَبوابَ ليلًا (دَيْرُها)
 صَدَعَ البَرِقُ الدُّجى، تَنشُرُه
 يَحْمِلُ الأَنْباءَ تَسْرِي مَوْهِنًا
 عَرَضَ الشُّكُّ لَها فاضطَرَبَتْ
 قَلْتُ: يا قومِ اجْمَعوا أَحلامَكُم
 يا عَدُوَّ القَيدِ لِمَ يَلْمَحُ لَها
 لا يَضِيقُ دَرْعَكَ بِالقَيدِ الَّذي
 وَقَعَ الرُّسُلُ عَليه، وَالتَّوَتْ
 يا رُفائِيا مِثْلَ رَيحانِ الضُّحى
 وبِقايا هيكَلِ مِنَ كَريمِ
 وَدَعَّ العَدىلُ بِها أَعلامَه
 حَضَنْتُ نَعشَكَ، وَالتَّفَقْتُ بِها
 ضَمَّتَ الصَدَرَ الَّذي قَد ضَمَّها
 عَجَبِي مِنْها وَمَنِ قائِدها!!
 مِنْبَرُ الوادي ذَوَتْ أَعوادُه
 مِنَ رَمَى الفارِسِ عَن صَهوَتِها
 قَدَرُ بِالمُذَنِّ الأَوى وَالقُرى
 غالَ (بَسْطُورا) وَأَردى عُصَبَه
 طافَتِ الكَأَسُ بِساقِي أُمَّةٍ
 عَظِلَتْ أَذانُها مِنَ وَتَرِ
 أَرغُنُ هامَ بِها وَجِدانُها
 كَلَّ يَومَ خَطيبةٍ رَوحِيَّةٍ
 دَلَّهَتْ مَصرًا، وَلو أَنَّ بِها
 ذائِدُ الحَقِّ وَحامِي حَوضِها
 أَخَذَتْ (سَعدا) مِنَ (البَيتِ) يَدَّ

سَلَمَتْ مِنْهَا الثُّرَيَّا وَسُهَاهَا
 عِلَّةُ الدَّهْرِ الَّتِي أَعْيَا دَوَاهَا
 لَمْ يَنْلِ أَقْرَانَهُ إِلَّا وَجَاهَا
 وَلِسَانًا، وَرُقَادًا، وَانْتَبَاهَا
 يَهْدُ خُفَاهَا، وَلَمْ يَعْرِ مَطَاهَا
 لَمْ يَفْتِ حَيًّا نَصِيبٌ مِنْ خُطَاهَا^{١٥}
 وَالْحَيَاتَيْنِ: شَقَاءً، وَرَفَاهَا
 عَرَفَ الضَّفَّةَ إِلَّا مَا تَلَاهَا
 فَإِذَا خَفَّ بِهَا يَوْمًا شَفَاهَا
 أُمَّةٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ بَنَاهَا
 وَإِبَاءٌ هُوَ فِي صُمِّ صَفَاهَا
 وَاسْتَقَى الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ فَتَاهَا
 وَعَلَى قَائِدِهَا أَلَقَتْ رَجَاهَا
 وَابْتَلَنَتْهُ بِحَقُوقِ فَقْضَاهَا
 غُرْبَةَ الْأَسْرِ، وَوَعَثَاءَ نَوَاهَا^{١٦}
 مَنْزِلَ أَقْرَبُ مِنْهُ قُطْبَاهَا
 دَفَعَ النَّسْرَ إِلَيْهَا فَأَوَاهَا
 دُرَّةٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرِّ نَفَاهَا
 لِمَ لَمْ يَنْفِ مِنَ الدُّرِّ سَوَاهَا؟
 بِحَيَاتِي مَا جِدُّ حُرِّ نَمَاهَا
 يَلِدُ الزُّهْرَاءَ يَزْهَدُ فِي سَوَاهَا
 بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَا جَتْ بَلْبَاهَا^{١٧}
 وَقَضَى الْخَيْرَ لِمَصْرِ فِي جَنَاهَا
 بِالِدَمِ الْحَرِّ، وَيَرْفَعُ مُنْتَدَاهَا؟^{١٨}
 صَدْرُهَا حَقٌّ وَحَقُّ مُنْتَدَاهَا
 فِي سَيْلِ الْحَقِّ لَمْ تَخْمَدُ جُذَاهَا
 رَا حَتِّيهِ، وَفَتِيًّا فَرَعَاهَا^{١٩}

لَوْ أَصَابَتْ غَيْرَ نِي رُوحٍ لَمَّا
 تَتَحَدَّى الطَّبَّ فِي قَفَازِهَا
 مِنْ وَرَاءِ الْإِذْنِ نَالَتْ صَيِّغَمًا
 لَمْ تَصَارِحْ أَصْرَحَ النَّاسِ يَدًا
 هَذِهِ الْأَعْوَادُ مِنْ آدَمَ لَمْ
 نَقَلْتُ (خُوفُو)، وَمَالَتْ (بِمِنَا)
 تَخْلِطُ الْعُمَرَيْنِ: شَيْبًا، وَصِبًا
 زَوْرُقٌ فِي الدَّمْعِ يَطْفُو أَبَدًا
 تَهْلَعُ النَّكْلَى عَلَى آثَارِهِ
 تَسْكُبُ الدَّمْعَ عَلَى (سَعْدِ) دَمًا
 مِنْ لَيَانٍ هُوَ فِي يَنْبُوعِهَا
 لُقِّنَ الْحَقَّ عَلَيْهِ كَهْلُهَا
 بَدَلَتْ مَالًا، وَأَمْنًا، وَدَمًا
 حَمَلَتْهُ نِزْمَةً أَوْفَى بِهَا
 ابْنُ سَبْعِينَ تَلَقَّى دُونَهَا
 سَفَرٌ مِنْ عَدَنَ الْأَرْضِ، إِلَى
 قَاهِرُ أَلْقَى بِهِ فِي صَخْرَةٍ
 كَرِهَتْ مَنْزَلَهَا فِي تَاجِهِ
 اسأَلُوها، واسأَلُوا شَانِئَهَا
 وَلَدَ النَّوْرَةَ سَعْدُ حُرَّةٌ
 مَا تَمْنَى غَيْرَهَا نَسْلًا، وَمَنْ
 سَأَلَتْ الْغَابَةَ مِنْ أَشْبَالِهَا
 بَارِكِ اللَّهُ لَهَا فِي فِرْعَاهَا
 أَوْ لَمْ يَكْتُبْ لَهَا دُسْتُورَهَا
 قَدْ كَتَبْتَاهَا، فَكَانَتْ صُورَةً
 رَقَدَ الثَّنَائِرُ إِلَّا ثُورَةً
 قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ

وَلِسَانًا كُلَّمَا أَعْيَتْ حَدَاهَا ٢٠
 فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاهَا
 قَذَفَتْ فِي وَجْهِ (فِرْعَوْنَ) عَصَاهَا؟ ٢١
 شَاهَ وَجْهُ الرُّقِّ — يَا قَوْمَ — وَشَاهَا ٢٢
 ظَافِرَ الْأَيَّامِ مَنصُورِ لَوَاهَا
 وَسَيُوفِ الْهِنْدِ لَمْ تَصْحُ ظُبَاهَا
 كُنْتُ بِالْأَمْسِ بَعِينِي أَرَاهَا؟
 وَتَوَاصَى بِشَرْهَا بِي وَنَدَاهَا
 وَادُّكَارُ النَّفْسِ شَيْءٌ مِنْ وَفَاهَا؟
 مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تِمْتَالِ صِبَاهَا
 عَلَتْ الشَّيْبِ، أَمْ الشَّيْبُ عَلَاهَا؟
 فَتَدَاعَى وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاهَا
 مَزَحَتْ لَمْ يُذْهِبِ الْمَزْحُ بِهَاهَا
 وَيُنَالُ الْوُدَّ غَايَاتِ رِضَاهَا
 يُشَبِّهُ السَّفْحَ، وَحَلْمٌ عَنْ عِدَاهَا
 تَأْخُذُ النَّفْسَ وَتَجْرِي فِي هَوَاهَا
 جَدًّا لِلصَّبِّ حَنِينٌ فِرَوَاهَا
 لِلسَّمَاكِ الْأَعْزَلِ اخْتَالَ وَتَاهَا ٢٣
 سَمْتُهُ أَنْ يَرِثِي الشَّمْسَ رَثَاهَا؟
 فِي الْمِرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَاهَا
 أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسُ تُقَاهَا
 بِالْمَقَادِيرِ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَاهَا
 خَالِصًا مِنْ حَيْرَةِ الشُّكِّ هُدَاهَا
 مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَيْهَا
 لَيْتَهُ يَوْمَ «وَصَيْفٍ» مَا دَعَاهَا ٢٤

جَالَ فِيهَا قَلَمًا مُسْتَنْهَضًا
 وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِهَا
 أَعْلِمْتُمْ بَعْدَ (مُوسَى) مِنْ يَدِ
 وَطَلَّتْ نَادِبَةً صَارِخَةً
 ظَفَرَتْ بِالْكِبْرِ مِنْ مُسْتَكْبِرِ
 الْقَنَا الصَّمِّ نَشَاوَى حَوْلَهُ
 أَيْنَ مِنْ عَيْنِي نَفْسُ حُرَّةٍ
 كُلَّمَا أَقْبَلَتْ هَزَّتْ نَفْسَهَا
 وَجَرَى الْمَاضِي، فَمَاذَا ادُّكَّرَتْ
 الْمَحُ الْأَيَّامِ فِيهَا، وَأَرَى
 لَسْتُ أَدْرِي حِينَ تَنْدَى نَضْرَةً
 حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِهَا
 رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ، فَيَنْ
 يَظْفَرُ الْعُدْرُ بِأَقْصَى سُخْطِهَا
 وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِهَا
 لَسْتُ أَنْسَى صَفْحَةً ضَاحِكَةً
 وَحَدِيثًا كَرَوَايَاتِ الْهَوَى
 وَقِنَاءَ صَعْدَةَ لَوْ وَهَبْتُ
 أَيْنَ مِنِّْي قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا
 خَانَنِي فِي يَوْمِ (سَعْدِ)، وَجَرَى
 فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أُوتِيَتْ
 لَا الْحَجَى لَمَّا تَنَاهَى غَرَّهَا
 نَهَبَتْ أَوَّابَةً مُؤْمِنَةً
 أَنْسَتْ خَلْقًا ضَعِيفًا وَرَأَتْ
 مَا دَعَاهَا الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ

هوامش

(١) يوشع: أحد أنبياء بني إسرائيل، دعا الله أن يؤجل الغروب فأجابته وثنى الشمس عن غروبها.

- (٢) جلل الصبح: كساه وغطى ضوءه.
(٣) اللحمية: ما سدى به الثوب، السدى: ضد اللحمية.
(٤) يحسر الأبصار: أي يردُّها كليلة ضعيفة.
(٥) الحق الأول: يقصد به الموت. الحق الثاني: يقصد به العدل.
(٦) بنت الشرى: أنثى الأسد.
(٧) يشير البيت إلى أن أمير الشعراء وقت نعي الفقيه كان يصطاف في زحلة إحدى مصايف لبنان.
(٨) السُّمار: جمع سامر، وهم إخوان الحديث في المساء. الضفة من النهر ومن الوادي: الجانب. الدمى: جمع دمية. وهي الصورة يعملها المثال من الرخام.
(٩) صدع: شق وقطع.
(١٠) الموهن: نصف الليل، أو بعده بنحو ساعة.
(١١) الوريدان: مثني الوريد، أحد شرايين الجسم.
(١٢) عدن: الجنة. هام رباها، أي رءوس ربواتها. الربوات: الأمكنة المرتفعة فيها.
(١٣) أترع: ملأ. الحيا: المطر.
(١٤) الصوى: جمع صوة — بضم الصاد — وهي حجر يوضع في الطريق كعلامة يهتدى بها.

- (١٥) خوفو. ومنا: من ملوك مصر الفراعنة.
(١٦) الوعثاء: الطريق العسر، أو المشقة.
(١٧) اللبا: جمع لباة — كقطاة — وهي أنثى الأسد.
(١٨) المنتدى: البرلمان.
(١٩) يشير إلى عمل سعد باشا في الثورة العربية وهو في مقتبل شبابه.
(٢٠) أعيت: تعبت. حداها، من قولهم: حدا الإبل، أي ساقها وزجرها.
(٢١) إشارة إلى تحدي موسى لفرعون وسحرته بالعصا، فكانت كما ورد في القرآن: «تلقف ما يَأفكون».

- (٢٢) شاه وجه الرق: أي قبح.
(٢٣) القناة: الرمح. الصعدة: هي التي نبتت مستوية، فلا تحتاج لتثقيف. السماك: أحد كوكبين نيرين، يوصف أحدهما بالرامح؛ لأن أمامه كوكبًا صغيرًا يسمى رمح السماك ورايته، ويوصف الآخر بالأعزل، حيث لا يوجد أمامه شيء. يقول إن له قوامًا له منح للسماك الأعزل في السماء لاختال به وتباهى على السماك الرامح.

الشوقيات

(٢٤) وصيف: يقصد مسجد وصيف، وهي القرية التي توجد فيها ممتلكات الزعيم،
والتي قضى بها.

الشاعر الموسيقي فردى^١

فتى العقل والنعمة العالِيه
فلا سُوقَةً لم تكن أنسَهُ
ولم تَحُلْ مِنْ طِيبِهَا بَلَدَةً
يكادُ إذا هو غَنَى الوَرَى
يَتِيَهُ على الماسِ بعضُ النُّحاسِ
وتحكم في النفس أوتارُه
وتبلغ موضعَ أوطارِها
وكم آيةٍ في الأغاني له
إذا ما تَنادَى بها العارِفون
فإن هَمَسُوا بعدَ جَهْرٍ بها
لقد شاب (فردى) وراز المَشِيبِ
تُمثِّلُ مصرَ لهذا الزمانِ
ونذكر تلكَ الليالي بها
ونبكي على عِزِّنا المُنقِضي
فيا آل (فردى)، نُعزِّيكَمُ
فَقَدْنَا بمفقودِكُم شاعِراً

مضى ومَحاسِنُه باقية
ولا مَلِكٌ لم تَزِنِ نارِيه
ولم تَحُلْ مِنْ ذِكْرِها ناحِيه
بقافيةٍ يُنطقُ القافية
إذا ضَمَّ أَلحانَه الغاليه
على العودِ ناطقَةً حاكِيه
وتُفشي سَريرَتَها الخافِيه
هي الشمسُ ليس لها ثانيه!
قل: البرقُ والرعدُ مِنْ غادِيه
فَحَفَقُ الحَلِيّ على الغانيه
(وعَيْداً) شَبِيبَتُها زاهِيه^١
كما هي في الأَعَصِرِ الخاليه
وننشد تلكَ الرُؤى الساريه
وننُدُّبُ أَيَّامنا الماضيه
ونبكي مع الأُسرةِ الباكيه
يَقِلُّ الزمانُ له رايه

^١ الشاعر الموسيقي فردى أحد أعلام إيطاليا العالميين، وقد توفي سنة ١٩٠١.

الشوقيات

هوامش

(١) عيدا: رواية تمثيلية للفقييد.

إسماعيل أباطة باشا^١

سقى الله (بالكفر الأباطي) مَضَجًا
يَطيب ثرى (بُرْدِين) من نَفْحِ طَيْبِهِ
فيا لكَ غمداً من صَفِيحِ وَجَدَلٍ
وكنا استلُّنا في النوائِبِ غَرْبُهُ
إذا اهتزَّ دونَ الحقِّ يَحْمِي حِيَاضَهُ
طَوْتُهُ يَدٌ لِّلْموتِ، لا الجاهُ عاصِماً
تنالُ صبا الأعمارِ عند رَفِيفِهِ
وبعضُ المنايا تنزلُ الشَّهْدَ في الثرى
يقولون: يرثي الراحلين، فَوَيْحَهُمْ!
أَبُوا حَسداً أن أجعل الحيَّ أُسُوَّةً
فلمَّا رثيتُ الميِّتَ أَقْضِي حَقوقَهُ
إذا أنتَ لم تَرعَ العهودَ لهالكِ
فلا يَطْوِينُ الموتُ عهدَكَ من أخٍ
أقام بأرضٍ أنتَ لاقِيه عندها

تَصَّوع كافورًا من الخلد ساريا
كأنَّ ثرى (يُرْدِين) مَسَّ العَواليا^١
حوى السيفَ مَصقولَ الغِرارِ يَمانيا^٢
فلم يُلَفَ هَيابًا، ولم يُلَفَ نابيا^٣
تأخَّرَ عنها باطلُ القومِ ظاميا
إذا بَطَشَتْ يومًا، ولا المالُ فاديا
وعندَ جُفوفِ العودِ في السَّنِّ زاويا
ويَحْطُطُنَ في التُّربِ الجبالِ الرواسيا
أَأَمَلْتُ عندَ الراحلينِ الجَوازيا؟
لهم، ومثلاً قد يُصادِفُ حازيا
وَجَدْتُ حَسودًا للرُّفاتِ وشانيا
فلمستُ لحيَّ حافِظَ العهدِ راعيا
وهبُهُ بوادٍ غيرِ واديكِ نائيا
وإنَّ بِتُّما تستبِعدانِ التلاقيا

^١ إسماعيل أباطة باشا: أحد سراة الزعماء في البلاد المصرية، كان صاحب الصوت المتبوع في الجمعية التشريعية، وقد توفي سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخاً حافلاً بالمواقف الوطنية المحمودة.

رَثَيْتُ حَيَاةً بِالثَنَاءِ خَلِيقَةً
 وَعَزَيْتُ بَيْتًا قَدْ تَبَارَتْ سَمَاوُهُ
 إِلَى اللَّهِ (إِسْمَاعِيلُ) وَانزَلَ بِسَاحَةِ
 تَرَى الرَّحْمَةَ الْكَبْرَى وَرَاءَ سَمَائِهَا
 لَدَى مَلِكٍ لَا يَمْنَعُ الظِّلَّ لِأَيْدًا
 وَأَقْسَمُ كُنْتُ الْمَرْءَ لَمْ يَنْسَ دِينَهُ
 وَكُنْتُ إِذَا الْحَاجَاتُ عَزَّ قَضَاؤُهَا
 وَكُنْتُ تُصَلِّي بِالْمَلُوكِ جَمَاعَةً
 وَمَنْ يُعْطَى مِنْ جَاهِ الْمُلُوكِ وَسَيْلَةً
 وَكُنْتُ الْجَرِيءَ النَّذْبَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ
 بَصُرْتُ بِأَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَلَمْ أَجِدْ
 مِنَ الْعِزْمِ مَا يُحْيِي فُحُولًا كَثِيرَةً
 وَمَا حَطَّ مِنْ رَبِّ الْقِصَائِدِ مَادِحًا
 فَلَيْسَ الْبَيَانُ الْهَجْوُ إِنْ كُنْتُ سَاخِطًا
 وَلَكِنْ هُدَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَوَحْيِهِ
 تُفِيضُ عَلَى الْأَحْيَاءِ نُورًا، وَتَارَةً
 هَيَاكُلُ تَفَنَّى، وَالْبَيَانُ مُخَلَّدٌ
 نَهَبْتُ (أَبَا عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُبَرَّرًا
 قَلِيلَ الْمَسَاوِي فِي زَمَانٍ يَرَى الْعُلَا
 طَوَيْنَاكَ كَالْمَاضِي تَلْقَاهُ غَمْدُهُ
 فَكُنْتُ عَلَى الْأَفْوَاهِ سِيرَةً مُجْمِلٍ
 وَفَيْتُ لِمَنْ أَدْنَاكَ فِي الْمَلِكِ حِقْبَةً
 أَثَارُوا عَلَى آثَارِ مَوْتِكَ ضَجَّةً
 وَمَنْ سَابَقَ التَّارِيخَ لَمْ يَأْمَنْ الْهُوَى
 إِذَا وَضَعَ الْأَحْيَاءُ تَارِيخَ جِيلِهِمْ
 إِذَا سَلِمَ الدُّسْتُورُ هَانَ الَّذِي مَضَى
 أَلَا كُلُّ ذَنْبٍ لِيَالِي لِأَجَلِهِ

وَحَلَّيْتُ عَهْدًا بِالْمَفَاخِرِ حَالِيَا
 مَشَايِخَ أَقْمَارًا، وَمُرَدًّا دَرَارِيَا
 أَظَلَّ النَّدَى أَقْطَارَهَا وَالنَّوَاحِيَا
 تَلَّفُ التَّقَى فِي سَيْبِهَا وَالْمَعَاصِيَا
 وَلَا الصَّفْحَ تَوَابًا، وَلَا الْعَفْوَ رَاجِيَا
 وَلَمْ تُلْهِهِ دُنْيَاؤُهُ وَهِيَ مَا هِيََا
 لِحَاجِ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ قَاضِيَا
 وَكُنْتُ تَقُومُ اللَّيْلَ بِالنَّفْسِ خَالِيَا
 فَلَا يَصْنَعُ الْخَيْرَاتِ؛ لَمْ يُعْطَ غَالِيَا
 تَلَفَّتْ فِيهِ الْحَقُّ لَمْ يُلْقَ حَامِيَا^٦
 — وَإِنْ جَلَّتْ الْأَخْلَاقُ — لِلْعِزْمِ ثَانِيَا
 وَقَدَّمَ كَافُورَ الْخَصِيِّ الطَّوَّاشِيَا
 وَأَنْزَلَهُ عَنِ رَتْبَةِ الشَّعْرِ هَاجِيَا
 وَلَا هُوَ زُورُ الْمَدْحِ إِنْ كُنْتُ رَاضِيَا
 حَمَلْتُ بِهِ الْمَصْبَاحَ فِي النَّاسِ هَادِيَا
 تُضِيُّ عَلَى الْمَوْتَى الرَّجَامَ الدَّوَّاجِيَا^٧
 أَلَا إِنْ عَتَقَ الْخَمْرَ يُنْسِي الْأَوَانِيَا
 مِنَ الدَّامِ، مَحْمُودَ الْجَوَانِبِ، زَاكِيَا^٨
 ذُنُوبًا، وَنَاسٍ يَخْلُقُونَ الْمَسَاوِيَا
 فَلَمْ تَسْتَرْحِ حَتَّى نَشْرْنَاكَ مَاضِيَا^٩
 وَكُنْتُ حَدِيثًا فِي الْمَسَامِعِ عَالِيَا
 فَكَانَ عَجِيبًا أَنْ يَرَى النَّاسُ وَاقِيَا
 وَهَاجُوا لَنَا الذِّكْرَى، وَرَدُّوا اللَّيَالِيَا
 مُلْجَاً، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْحَقْدِ نَازِيَا^{١٠}
 عَرَفَتِ الْمُلَاحِي مِنْهُمْ، وَالْمُحَابِيَا
 وَهَانَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا كَانَ آتِيَا^{١١}
 سَدَلْنَا عَلَيْهِ صَفْحَنَا وَالتَّنَاسِيَا^{١٢}

هوامش

- (١) بردين: قرية الفقيد، وهي من أعمال مديرية الشرقية. الغوالي جمع غالية، وهي المسك.
- (٢) الغرار من السيف: حُدّه.
- (٣) غرب السيف: حُدّه أيضًا. نابي: كليل لا يقطع.
- (٤) يشبه شيوخ الأسرة الأباطية بالأقمار، وشبابها المرد بدراري النجوم، على حين أن هذه الأقمار والنجوم تتبارى في الإشعاع والإضاءة.
- (٥) حاج: جمع حاجة.
- (٦) النذب: الخفيف عند الحاجة إليه.
- (٧) الرجاء: القبور. الدواجي — جمع داجية: المظلمة.
- (٨) زاكيا: أي ناميًا مباركًا.
- (٩) الماضي، في أول البيت: السيف، وفي آخره: من الزمن الماضي.
- (١٠) نازيًا: أي واثبًا. والملح المتماذي في الخصومة.
- (١١) الأحداث: نوازل الأيام.
- (١٢) سدلنا عليه الصفح: أي سحبتنا على كل الذنوب إعراضنا وسترناها بغفراننا.

علي بهجت^١

أَحَقُّ أَنَّهُمْ دَفَنُوا عَلِيًّا
فَمَا تَرَكَوا مِنَ الْأَخْلَاقِ سَمَمًا
مَضَوْا بِالضَّاحِكِ الْمَاضِي وَالْقَوَا
فَمَنْ عَوَّنُ اللَّغَاتِ عَلَى مِلْمٍ
لَقَدْ فَقَدَتْ مُصَرَّفَهَا حَنِينًا
وَمَنْ يَنْظُرُ يَرِ الْفُسْطَاطَ تَبْكِي
أَلَمْ يَمْسِ الثَّرَى قِحَّةً عَلَيْهَا
فَنَقَّبَ عَنْ مَوَاضِعِهَا عَلِيٌّ
وَلَوْلَا جُهْدُهُ احْتَجَبَتْ رُسُومًا
تَلَفَّتْ الْفَنُونُ وَقَدْ تَوَلَّى
سَلَا الْأَثَارَ: مَنْ يَغْدُو يُغَالِي
وَيُنْزِلُهَا الرُّفُوفَ كَجَوْهَرِيٍّ
وَمَا جَهَلَ الْعَتِيقَ الْحُرَّ مِنْهَا

وَحَطُّوا فِي الثَّرَى الْمَرْءَ الزَّكِيًّا؟
عَلَى وَجْهِ التَّرَابِ، وَلَا رِضِيًّا؟
إِلَى الْحُفْرِ الْخَفِيفِ السَّمْهَرِيًّا
أَصَابَ فَصِيحَهَا وَالْأَعْجَمِيًّا؟
وَبَاتَ مَكَانُهُ مِنْهَا خَلِيًّا
بِفَائِضَةٍ مِنَ الْعَبْرَاتِ رِيًّا
وَكَانَ رِكَابُهَا نَحْوَ الثَّرِيًّا؟
فَجَدَّدَ دَارِسًا، وَجَلَا خَفِيًّا
فَلَا دِمْنًا تُرِيكَ وَلَا نُؤْيَا
فَلَمْ تَجِدِ النَّصِيرَ وَلَا الْوَلِيًّا
بِهَا، وَيَرُوحُ مُحْتَفِظًا حَفِيًّا؟
يُصَفِّفُ فِي خَزَائِنِهَا الْخَلِيًّا؟
وَلَا غِيبِي الْمُقَلَّدَ وَالِدَعِيًّا؟

^١ رثى أمير البيان «أحمد شوقي» فقيد العلم والعاديات المغفور له «علي بهجت» بهذه اليتيمة العصماء التي قيلت في حفلة تأبينه، وهي كما يراها القارئ الكريم، أخذة من أخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر (نشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤).

فتى عاف المشارب من دنايا
أبى النفس في زمن إذا ما
تعوّد أن يراه الناس رأساً
وجدت العلم لا يبني نفوساً
ولم أر في السلاح أضلّ حدّاً
هما كالسيف، لا تنصفه يفسد
غدير أترع الأوطان خيراً
وقد تأتي الجداول في خشوع
حياة معلّم طفئت، وكانت
سبقت القابسين إلى سناها
أخذت على أريب المعى
ورب معلّم تلقاه فظاً
إذا انتدب البنون لها سيوفاً
إذا رشد المعلم كان موسى
ورب معلّمين خلوا وفاقوا
أناروا ظلمة الدنيا، وكانوا
أرقت وما نسيت «بنات بوم»
بكت وتأوهت، فوهمت شراً
قلبت لها الحدي، وكان مني
زعمت الغيب خلف لسان طير
أصاب الغيب عند الطير قوم
إذا غناهم وجدوا سطيحاً
رمى الغربان شيخ تنوخ قبلي
نحا من ناجذيه كل لحم
نعست فما وجدت الغمض حتى
فقلت: نذيرة وبلاغ صدق
ولكن الذي بكت البواكي

وصان عن القذى ماء المحيا
عجمت بنيه لم تجد الأبياً
وليس يرؤنه الذنب الدنيا
ولا يغني عن الأخلاق شياً
من الأخلاق إن صحبت غوياً
عليك، وخذه مكملاً سوياً
وإن لم تمتلئ منه دويماً
بما قد يعجز السيل الأتياً
سراجاً يعجب الساري وضياً
ورحت بنورها أحب صبياً
ومن لك بالمعلم المعياً؟
غليظ القلب، أو قدماً غبياً
من الميلاد ردهم عصياً
وإن هو ضلّ كان السامرياً
إلى الحرية انساقوا هدياً
لنار الظالمين بها صلياً
على «المطرية» اندفعت بكياً
وقبلي داخل الوهم الذكياً
ضلالاً أن قلبت ما الحدياً
جهلت لسانه فزعمت غياً
وصار البوم بينهم نبياً
على فمه، وأفعى الجرهمياً
وراش من الطويل لها دويماً
وغوير لحمهن به شقياً
نفضت على المناحة مقلتياً
وحق لم يفاجئ مسمعياً
خليل عز مصرعه علياً

وَمَنْ يُفَجِّعْ بِحُرِّ عِبْقَرِيٍّ
 وَمَنْ تَتْرَاحَ مُدَّتَّهُ فَيُكْثِرُ
 أَخِي، أَقْبِلْ عَلَيَّ مِنَ الْمَنِيَا
 فَلَمْ أَعِدِمِ إِذَا مَا الدُّورُ نَامَتْ
 يُذَكِّرُنِي الدُّجَى لِدَةَ حَمِيمًا
 نَشَدْتُكَ بِالْمَنِيَّةِ وَهِيَ حَقٌّ
 عَرَفْتَ الْمَوْتَ مَعْنَى بَعْدَ لَفْظِ
 أَتَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ الْمَوْتُ فَانظُرْ
 وَلِلْأَشْيَاءِ أَضْدَادٌ إِلَيْهَا
 وَمُنْقَلَبُ النُّجُومِ إِلَى سَكُونِ
 فَخَبَّرَنِي عَنِ الْمَاضِينَ؛ إِنِّي
 وَصِفْ لِي مَنْزِلًا حُمِلُوا إِلَيْهِ
 وَكَيْفَ أَتَى الْغَنِيِّ لَهُ فَقِيرًا
 لَقَدْ لَبِسُوا لَهُ الْأَزْيَاءَ شَتَّى
 سِوَاءٌ فِيهِ مَنْ وَافَى نَهَارًا
 وَمَنْ قَطَعَ الْحَيَاةَ صَدًّا وَجوعًا
 وَمَيِّتٌ ضَجَّتِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ
 يَجِدُ ظِلْمَ الْمَنِيَّةِ عِبْقَرِيًّا
 مِنَ الْأَحْبَابِ لَا يُحْصِي النَّعِيًّا
 وَهَاتِ حَدِيثَكَ الْعَذَبَ الشَّهِيًّا
 سَمِيرًا بِالْمَقَابِرِ أَوْ نَجِيًّا
 هِنَالِكَ بَاتَ، أَوْ خَلًّا وَفِيًّا
 أَلَمْ يَكُ زُخْرُفُ الدُّنْيَا فَرِيًّا
 تَكَلَّمَ، وَاكشِفِ الْمَعْنَى الْخَبِيًّا
 أَكُنْتَ تَمُوتُ لَوْ لَمْ تُلَفَّ حَيًّا؟
 تَصِيرُ إِذَا صَبَرْتَ لَهَا مَلِيًّا
 مِنَ الدُّورَانِ يَطْوِيهِنَّ طِيًّا
 شَدَدَتْ الرَّحْلَ أَنْتَظِرُ الْمُضِيًّا
 وَمَا لِمَحْوِ الطَّرِيقِ وَلَا الْمُطِيًّا
 وَكَيْفَ تَوَى الْفَقِيرُ بِهِ غَنِيًّا؟
 فَلَمْ يَقْبَلْ سِوَى التَّجْرِيدِ زِيًّا
 وَمَنْ قَذَفَ الْيَهُودُ بِهِ عَشِيًّا
 وَمَنْ مَرَّتْ بِهِ شَبَعًا وريًّا
 وَأَخْرُ مَا تُحِسُّ لَهُ نَعِيًّا

الباب الرابع

متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع

الجامعة المصرية

«أنشأها في حفلة افتتاح منشآت الجامعة المصرية سنة ١٩٣١»

رَدَّتْكَ مِصْرُ، وَصَحَّتْ الْأَحْلَامُ
لَكَ - يَا «فَوَادُ» - جِلَالَةٌ وَمَقَامُ
فِي ظِلِّكَ الْأَعْلَامُ، وَالْأَقْلَامُ^١
فِي الْعِلْمِ مَا تَسْمُو لَهُ الْأَعْلَامُ
يَسْعَى لِكَ التَّقْدِيرُ وَالْإِعْظَامُ
الشَّامَخَاتُ كَأَنَّهَا الْأَعْلَامُ؟
كَالصَّبْحِ مُنْصَدِعٌ بِهِ الْإِظْلَامُ
عَرَصَاتِهِ، وَتَمَزَّقُ الْأَوْهَامُ
وَقَوَاعِدُ لِحْضَارَةٍ وَدِعَامُ
سَيْرِنٌ فِيهَا بُلْبُلٌ وَحَمَامُ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ مَنَزَلٌ وَمُقَامُ
فِي ظِلِّهِنَّ، وَتُوَهَّبُ الْأَقْسَامُ^٢
نَفْسٌ تُسَوِّدُهُ، وَذَاكَ عِصَامُ^٣
نَفْسٌ مِنْ الصَّيِّدِ الْمَلُوكِ كُرَامُ
قَصَّرْنَ عَنْ كَرَمِ، وَلَا الْأَعْمَامُ

تَاجَ الْبِلَادِ، تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
الْعِلْمُ وَالْمُلْكُ الرَّفِيعُ؛ كِلَاهِمَا
فَكَأَنَّكَ الْمَأْمُونُ فِي سُلْطَانِهِ:
أَهْدَى إِلَيْكَ الْغَرْبُ مِنْ أَلْقَابِهِ
مِنْ كُلِّ مَمْلَكَةٍ، وَكُلِّ جَمَاعَةٍ
مَا هَذِهِ الْغُرْفُ الزَّوَاهِرُ كَالضُّحَى
مِنْ كُلِّ مَرْفُوعِ الْعَمُودِ مُنَوَّرُ
تَحْتَطِّمُ الْأُمِّيَّةَ الْكَبْرَى عَلَى
هَذَا الْبِنَاءِ الْفَاطِمِيِّ مَنَارَةٌ
مَهْدٌ تَهَيَّأَ لِلْوَلِيدِ، وَأَيْكَةٌ
شُرْفَاتِهِ نَوْرُ السَّبِيلِ، وَرُكْنُهُ
وَمَلَاعِبُ تَجْرِي الْحُظُوظُ مَعَ الصَّبَا
يَمِشِي بِهَا الْفِتْيَانُ، هَذَا مَا لَهُ
أَلْقَى أَوْاسِيَهُ، وَطَالَ بَرْكُنُهُ
مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ، لَا الْعَمَّاتُ قَدْ

بان على وادي الملوك همام
شعبٌ عن الغايات ليس ينام
ثمراته، وبدت له أعلامٌ؟
وأتى العراقُ مُشاطراً والشام؟
شُبَانُ مِصْرَ على المناهل حاموا
هيهات! ما للعاريات دَوام
نَشَأُ إلى داعي الرَّحِيلِ قيام
يسقيه من كِلتا يديك غمام
ثمرًا تنوءُ وراءه الأكمام
وبعيده للغابرين طعام
فيما يُنِيلُ الصبرُ والإقدام
بسراتهم يتشبهُ الأقسام
ياأوي الجمالُ إليه والإلهام
وجلائلُ الأسفار فيه رُكام
حتى كأن لم يلتهمه ضرامٌ
بَرْدٌ على ما لامست، وسلام
جُرْحُ الزمانِ بعُرفها يلتام
بَعَثَتْ تليدَ المجدِ وهو رمام
أرأيت الاستقلالَ كيف يُرام؟
حادٍ لكل جماعةٍ، وزمام
ومثابةُ الأوطانِ حينَ تُضام
للعبقريّةِ والنبوغِ قيام؟
أو دورِ تعليمٍ هي الأجسام
للطالبين، ولا البيانُ كلام
وعليك من آمالِ مصرَ زحام
أعياده في الدهر، وهي عظام
قعد البُناة، وقامت الأهرام

لم يُعْطَ همّتهم، ولا إحسانهم
وبنى فؤادَ حائطيّه، يُعِينُهُ
أنظر أبا الفاروقِ غرسك، هل دنتُ
وهل انثنى الوادي وفي فمه الجنى
في كلِّ عاصمةٍ وكلِّ مدينةٍ
كم نستعيرُ الآخرينَ ونجتدي
اليومَ يرعى في خمائل أرضهم
حبٌ غرست براحتيك، ولم يزل
حتى أناف على قوائم سوقه
فقريبه للحاضرين وليمةٌ
عظةٌ لفاروقٍ وصالح جيله
ونموذجٌ تحذو عليه، ولم يزل
شيدت صرحًا للذخائرِ عاليًا
رفُّ عيونِ الكُتبِ فيه طوائفُ
إسكندريّةٌ، عاد كنزك سالمًا
لمتّه من لهبِ الحريقِ أناملُ
وأست جراحتك القديمة راحةٌ
تهبُّ الطريفَ من الفخارِ، وربّما
أرأيت رُكنَ العلمِ كيف يُقام؟
العلمُ في سبيلِ الحضارةِ والعلا
باني الممالكِ حينَ تنشُدُ بانياً
قامت رُبوعُ العلمِ في الوادي، فهل
فهما الحياةُ، وكلُّ دورِ ثقافةٍ
ما العلمُ ما لم يصنعه حقيقةٌ
يا مهرجانَ العلمِ، حولك فرحةٌ
ما أشبهتكَ مواسمُ الوادي، ولا
إلا نهارًا في بشاشة صُبجه

وأطال «خوفو» من مواكبِ عِزِّهِ
يُومي بتاج في الحضارة مُعرق
تاج تنقل في العصورِ مُعظَّمًا
لما اضطلعت به مَشَى فيه الهدى
سبقت مواكبُك الربيعَ وحُسْنَه
الجيزةُ الفيحاءُ هَزَّتْ منكِبًا
لبست زخارفها، ومَشَّتْ طيِّبها
قد زدتها هَرَمًا يُحجِّجُ فِناؤَه
تقفُ القرونُ غَدًا على درجَاتِه
أعوامُ جهدٍ في الشبابِ، وراءِها
بلغُ البناءُ على يديك تمامَه

فاهتَزَّتْ الرِّبَواتُ، والأكام
تَعْنُو الجِباهُ لِعِزِه، والهَام
وتألَّفتُ دُولُ عليه جِسام
ومراشدُ الدستورِ، والإسلام
فالنيلُ زهُوً، والصفافُ وسام
سبغ النوالُ عليه والإنعام
وتردَّدتْ في أَيْكها الأنغامُ
ويُشدُّ للدنيا إليه جِزام
تُملِي الثناء، وتكتبُ الأيام
من جهد خير كهولةِ أعوام
ولكل ما تبني يدك تمام

بنك مصر

«أنشئت في مجلس الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس «بنك مصر» في مايو ١٩٢٥».

نراوُحُ بالحوادثِ، أو نُغادِي
ونحمدُها وما رعت الضحايا
لحَاها الله؛ باعْتنا خيالاً
مشينا أمس نلقاها جميعاً
أظَلَّتْنا عن الإصلاح، حتى
تُلاقينا، فلا نجدُ الصياصي
ومن لَقِي السَّباعِ بغير ظفرٍ
خَفَضنا من علو الحق حتى
ولمَّا لم نَنلُ للسيفِ رِداً
وأقبلنا على أقوالِ زورٍ
ولو عُدنا إليها بعدَ قرنٍ
وكم سحرٍ سمعنا منذُ حينٍ

وننكرُها، ونُعطيها القيادا
ولا جزتِ المواقفَ والجهادا
من الأحلامِ، واشتريتِ أتحادا
ونحنُ اليومَ نلقاها فُرادى^٦
عَجَزنا أن نناقشها الفسادا
ونلقاها، فلا نجدُ العتادا^٧
ولا نابَ تمرِّقٍ أو تَفادى
توهَّمنا السيادةَ أن نُسادا
تنازعنا الحمائلَ والنجادا
تجئُ الغيِّ تَقْلِبُه رِشادا
رحمنا الطُّرسُ منها والمدادا
تضاءلَ بين أعيننا ونادى

هنيئًا للعدوِّ بكلِّ أرضٍ
وبُعدًا للسيادةِ والمعاليِ
وربَّ حقيقةٍ لابدَّ منها
ولو طلَعوا عليها عالِجوها
تُعدُّ لحادثِ الأيامِ صبرًا
وتخلفُ بالنُّهى البيضُ المواضي
لمحنا الحظَّ ناحيةً، فلمَّا
وليس الحظُّ إلا عبقرِيًّا
ونحن بنو زمانِ حوْلِيٍّ
إذا قعد العِبادُ له بسوقِ
وتُعجبه العواطفُ في كتابِ
يُؤمِّننا على الدستورِ أنا
أبو الفاروقِ نرجوه لفضلِ
ملأنا باسمه الأَفْواهَ فخرا
نُناجيه، فنسترعِي حكيما
ولم يزلِ المحبِّبِ، والمفدِي
تَدفِقُ مَصْرَفُ الوادي، فرَوَى
دعا فتنافستَ فيه نفوسُ
تُقَدِّمُ عونَها ثِقَةً ومالًا
وأقبلَ من شبابِ القومِ جمعُ
كأنَّ جوانبِ الدارِ الخِلايا
فيا دارًا من الهَمِّ العواليِ
تأتى حينَ أسسكِ ابنُ حربِ
ولا تُرجى المتانَةُ في بناءِ
بنى الدارِ التي كُنَّا نراها
ولم يَبُعدُ على نفسِ مَرَامٍ
ولم أرَ بعدَ قدرتهِ تعالى

إذا هو حلٌّ في بلدِ تَعادَى
إذا قَطَعَ القِرابَةَ والودادا
خدعنا النشءَ عنها والسَّوادا
بهمةِ أنفيسِ عَظُمَت مُرادا
وأونَةٌ تُعَدُّ له عِنادا
وبالخلقِ المَثَقَّةِ الصَّعادا
بلغناها أحسَّ بنا، فحادا
يُحِبُّ الأَزِيحِيَّةَ، والسَّدادا
تَنقَلُ تاجِرًا، ومَشَى، ورادا
شَرى في السوقِ، أو باع العبادا
وفي دمعِ المُشخِّصِ ما أجادا
نرى من خلفِ حوزتِه فؤادا
ولا نخشى لِمَا وهبَ ارتدادا
ولقَبناه بالأَمسِ (المكادا)^٩
ونسألُه فنستجدي جَوادا
ومرهمَ كلِّ جُرحِ، والضَّمادا
وصابَ غمامُه، فسقى، وجادا
بمصَرَ لكلِّ صالحَةٍ تُنادَى
وأحيانًا تُقدِّمُه اجتهدادا
كما بنتِ الكهولُ بنى، وشادا
وهم كالنحلِ في الدارِ احتشادا
سُقيتِ التَّبَرِّ، لا أرضى العِهادا^٩
وحينَ بنى دعائمكِ الشَّدادا
إذا البناءُ لم يُعْطَ أنَّنادا
أمانِي المَخِيْلِ، أو رُقادا
إذا ركبَتُ له الهَمِّ البِعادا
كَمَقْدِرَةِ ابنِ آدمَ إنَّ أرادا

جَرى والنَّاسُ في ريبٍ وشكٍّ
وعوِيدي دونها حتى بناها
يَهُونُ الكيدُ مِنْ أَعَدَى عَدُوِّ
فجاءت كالنهارِ إذا تجلَّى
نصونُ كرائمِ الأموالِ فيها
ونُخرَجُها، فتكسِبُ، ثُمَّ تَأوي
ولم أرَ مثلها أرضاً أغلَّتْ
ولا مُستودِعاً مالاَ لِقومٍ
ومن عجبٍ نُثبِتُها أُصولاً
كأنَّ القُطرَ من شوقِ إليها
ولو مَلَكتُ كنوزَ الأرضِ كَفِّي
ولو أن النجومَ عَنَتْ لِحُكْمي

يَرومُ السَّبَقَ، فاخترقَ الجيادا
ومن شأنِ المجدِّدِ أن يُعادى
عليك إذا الوليُّ سعى وكادا
عُلُوًّا في المشارِقِ وانطِبادا^{١٠}
ونُنزلها الخزائنَ والنُّضادا
رُجوعَ النُّحلِ قد حُمِّلنَ زادا
وما سُقِيَتِ، ولا طَعِمَتِ سَمادا
إذا رجِعوا له أدَى وزادا
وتلك فروعُها تَغشى البلادا
سَمَا قبلَ الأساسِ بها عمادا
جَعَلتُ أساسَها ماساً ورادا
فرشتُ النيِّراتِ لها مهادا

دارُ بَنكِ مِصرَ

«نظمها لتُنشَدَ في حفلة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر في يونيو سنة ١٩٢٧»

نَبَذَ الهوى، وصَحَا من الأحلامِ
ثابِتٌ سلامتُه، وأقبلَ صَحوهُ
صاحتُ به الآجامُ: هُنْتَ! فلم يَنَمْ،
أُمٌّ وراءَ الكهفِ جُهدُ حياتِهِم
نفضوا العيونَ من الكرى، واستأنفوا
مَنْ ليس في رُكْبِ الزمانِ مُعَبِّراً
في كلِّ حاضرةٍ وكلِّ قبيلةٍ
مِنْ كلِّ مُمتنعٍ على أرسانه
يا مِصرُ، أنتِ كِنانَةُ اللهِ التي
استَقْبَلِي الأمالَ في غاياتها
وَحِذِي طَريفَ المجدِ بعدَ تليده

شَرِقُ تَنبَهَ بعدَ طولِ مَنامٍ
إِلا بَقايا فَترةٍ وسَقامٍ
أَعلى الهوانِ يُنامُ في الآجامِ؟
حركاتُ عيشٍ في سُكونِ جِمامٍ
سَفَرَ الحياة، ورحلَةَ الأَيامِ
فَاعدُدْهُ بين غوابِرِ الأَقوامِ
هِمَمٌ نَهَبْنَ يَرْمُنَ كلَّ مَرامٍ
أو جامعٍ يَعدو بِنِصْفِ لِجامٍ
لا تُسْتَباحُ، ولِلِكِنانَةِ حامٍ
وتأمَلِي الدُّنيا بطَرفِ سامٍ
من راحَتِي مَلِكِ أَعْرَ هُمَامٍ

وَيَذُودُ دُونَ حِيَاضِهِمْ، وَيُحَامِي
بِالْحَانِثِينَ إِلَيْكَ فِي الإِقْسَامِ
أَعْلِمْتُ حَالاً أَذْنْتُ بِدَوَامٍ؟
نَزَلْتُ فَلَمْ نُغَلِّبْ عَلَى الأَحْلَامِ
وَيُرَقِّدُونَ نَوَازِي الأَلَامِ
وَالْحَقُّ نِعْمَ مُثَبِّتُ الأَقْدَامِ
وعلى عَوَاقِبِ شَحْنَةِ وَخْصَامِ
إِنَّا بَنُو الإِقْدَامِ وَالإِحْجَامِ
فَإِذَا وَتَبَّنَ فَنَحْنُ غَيْرُ نِيَامِ
لِحَوَادِثِ خَلْفِ الغُيُوبِ جِسَامِ
المُنزَلُونَ مَنَازِلَ الأَكْرَامِ^{١١}
وَالخَالِفُونَ أُمِيَّةً فِي الشَّامِ؟
يَبْنُونَ فِيهِ حَضَارَةَ الإِسْلَامِ؟
لَمْ الضِيَاءُ حَوَاشِي الإِظْلَامِ؟
وَهُوَ الدِّيَارِ وَرَاءَ كُلِّ غَرَامِ
وَتَنَوُّوا إِلَى الفُسْطَاطِ فَضْلَ زَمَامِ؟
يَوْمًا أَعْرَّ مُلَمَّحَ الأَعْلَامِ
مَا كَانَ مُمْتَنِعًا عَلَى الأَوْهَامِ ...
بِالْقَيْدِ، لَا مِنْ هِمَّةِ الحِكَامِ
وَتَجَمَّعَتْ لِتَحِيَّةِ وَسَلَامِ^{١٢}
عُرْسِ البَيَانِ، وَمَوْكِبِ الأَقْلَامِ
وَكأَنَّني فِيهِ أَبُو تَمَامِ^{١٣}
يَرُوي، فَيَنْتَظِمُ العَصُورَ كَلَامِي
بِالصَّبْرِ أَوْنَةً، وَبِالإِقْدَامِ
خَدْعُ الثَّنَاءِ وَلَا عَوَادِي الذَّمِّ
يَجِدُونَ نَقْصًا عِنْدَ كُلِّ تَمَامِ
مَنْ أَيْنَ جِئْتُ لَهُ بَدَارِ مُقَامِ!؟

يُعْنَى بِسُؤْدِ قَوْمِهِ، وَحُقُوقِهِمْ
مَا تَأْجُكُ العَالِي، وَلَا نُوَابُهُ
جَرَّبْتُ نُعْمَى الحَادِثَاتِ وَبُؤْسَهَا
عَبَسْتُ إِلَيْنَا الحَادِثَاتُ، وَطَالَمَا
وَلَبَّتْ بِقَوْمٍ يَضْمِدُونَ جِرَاحَهُمْ
الحَقُّ كُلُّ سَلَاحِهِمْ وَكفَاجِهِمْ
يَبْنُونَ حَائِطَ مُلْكِهِمْ فِي هُدْنَةِ
قَلِّ لِلحَوَادِثِ: أَقْدِمِي، أَوْ أَحْجِمِي
نَحْنُ النِّيَامُ إِذَا اللِّيَالِي سَالَمَتْ
فِينَا مِنَ الصَّبْرِ الجَمِيلِ بَقِيَّةً
أَيْنَ الوُفُودُ المُلتَقُونَ عَلَى القِرَى
الوَارِثُونَ القُدْسَ عَنِ أَحْبَارِهِ
الحَامِلُو الفُصْحَى وَنُورَ بَيَانِهَا
وَيُؤَلِّفُونَ الشَّرْقَ فِي بُرْهَانِهَا
تَاقُوا إِلَى أَوْطَانِهِمْ، فَتَحَمَّلُوا
مَا مَضَرَ لَوْ حَبَسُوا الرُّكَّائِبَ سَاعَةً
لِيُضَيِّفَ شَاهِدَهُمْ إِلَى أَيَّامِهِ
وَيَرَى وَيَسْمَعُ كَيْفَ عَادَ حَقِيقَةً
... مِنْ هِمَّةِ المَحْكُومِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ
مِصْرُ التَّقْتِ فِي مَهْرَجَانِ مُحَمَّدٍ
هَزَّتْ مَنَآكِبَهَا لَهُ، فَكَأَنَّهُ
وَكأَنَّهُ فِي الفَتْحِ عَمُورِيَّةً
أَسْمُ العَصُورِ بِحَسَنِهِ، وَأَنَا الَّذِي
شَرَفًا مُحَمَّدٌ، هَكَذَا تُبْنَى العَلَا:
هِمَمُ الرِّجَالِ إِذَا مَضَتْ لَمْ يَثْنِهَا
وَتَمَامُ فَضْلِكَ أَنْ يَعْيبَكَ حُسْدُ
المَالِ فِي الدُّنْيَا مَنَازِلُ نُقْلَةٍ

فرفعت إيوأنا كركن النجم، لم
صيرت طينته الخلود، وجئت من
هذا البناء العبقري أتى به
كانت به الأرقام تُدرِك حِسبةً
يا طالما شغف الظنون، وطالما
ما زلت أنت وصاحبك بركنه
أسستمو بالحاسدين جداره
شركائك الدنيا العريضة لم تُنل
اللَّهُ سخر للكنانة خازناً
وكأن عهدك عهد يوسف: كلّه
وكان مال المودعين وزرعهم
ما زلت تبني ركن كل عزيمة

يُضرب على كسرى، ولا بهرام
وادي الملوك بجندل وزغام
بيت له فضل وحق زمام
واليوم جاوز حِسبة الأرقام
كثر الرجاء عليه في الإمام
حتى استقام على أعز دعام
وبنيتمو بمعاول الهدام
إلا بطول رعاية وقيام
أخذ الأمان لها من الأعوام
ظل، وسنبلة، وقطر غمام
في راحتك ودائع الأيتام
حتى أتيت برابع الأهرام

دار العلوم^١

«أنشئت في الاحتفال الخمسيني لدار العلوم، بمسرح حديقة الأزبكية، في يوليو سنة ١٩٢٧»

أخذت السماء يا دار رُكنا
وجمعت السعادتين، فباتت
نادماً الدهر في ذراك، وفضاً
وإذا الخلق كان عقداً وداً
وأرى العلم كالعبادة في أب
واسع الساح، يرسل الفكر فيها
هل سألنا أبا العلاء وإن قلَّ

وأويت الكواكب الزهر سَكنا
فيك دنيا الصلاح للدين خدنا
من سلاف الوداد دنا فدنا
لم ينل منه مَنْ وشى وتجننى
عد غاياته: إلى الله أدنى
كل من شك ساعة أو تظنى
ب عيناً في عالم الكون وسنى

^١ زيدت هذه في الطبعة الثانية.

يَعْلَمُ الطَّيْرَ: هل بكى أو تغنى؟
 نِ رِوَاقًا، وَكَالْمَجْرَّةِ صَحْنَا
 اءِ ذِيلاً مِنَ الْجَلَالِ وَرُدْنَا
 أَنْتَ لِلْحَقِّ وَالْمَرَاشِدِ مَغْنَى
 كَيْفَ إِنْ تَمَّتِ الْمَلَاوَةُ قَرْنَا؟!
 لَمْ؛ فَمَا تَعْلَمِينَ لِلْعِلْمِ سَنًا
 وَهُوَ بَاقٍ عَلَى الْمَدَى لَيْسَ يَفْنَى
 قَرَشِيَّيْنِ فِي الْمَجَامِعِ، لُسْنَا
 مِنْ ظِلَامٍ عَلَى الْبَصَائِرِ أَخْنَى
 فِيهِ يَوْمًا؛ وَلَا أَعَاجِمَ لُكْنَا
 لَمْ رَجَاءً، وَلَا الْمَعْلَمَ ظَنًّا
 وَأَضَاءُ الصَّعِيدِ سَهْلًا، وَحَزْنَا
 فِي نُهَى النَّشْءِ، أَوْ تَقَسَّمَ زَهْنَا
 نَشْ»، أَوْ شِئْتَ نَادَاهَا: «يَا سَكِينَا»
 قَدْ جَرَتْ كَاسِمِهِ أُمُورُكَ يُمْنَا
 يَجْتَلِي غَرْسَ فَضْلِهِ كَيْفَ أَجْنَى
 يَحْتَجِبُ - وَالِدُ الْعُرُوسِ الْمُهْنَا
 وَقَفَ الدَّمْعُ فِي الشُّثُونِ فَأَثْنَى
 ذَكَرَ الْخَيْرِينَ فَاهْتَجَتْ حُزْنَا
 فَوْقَ أَنْفِ الْعَدُوِّ لِلضَّادِ حِصْنَا؟
 تَ، وَإِنْ شِئْتَ بِالْمَعَاقِلِ يُبْنَى
 عَطَلْتُ مِنْ نِبَاهَةِ الذِّكْرِ مَعْنَى؟
 لِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَا الْجَاهُ أَغْنَى
 ضُ لَهُ إِنْ أَقَامَ أَوْ سَارَ وَزْنَا
 هَمَلًا لَمْ تَهَبْ لِنَاعِيهِ أَذْنَا
 عَبْقَرِيَّيْنِ أَوْرَثُوا الْمُلْكَ حُسْنَا
 إِنَّمَا يُحَسِّدُ الْعَظِيمُ وَيُشْنَا

كَيْفَ يَهْزَا بِخَالِقِ الطَّيْرِ مَنْ لَمْ
 أَنْتِ كَالشَّمْسِ رَفْرَفًا، وَالسَّمَائِكِ
 لَوْ تَسْتَرْتِ كَنْتِ كَالْكَعْبَةِ الْغَرِ
 إِنْ تَكُنِ لِلثَّوَابِ وَالسِّرِّ دَارًا
 قَدْ بَلَغْتَ الْكَمَالَ فِي نِصْفِ قَرْنِ
 لَا تَعُدِّي السَّنِينَ إِنْ ذُكِرَ الْعَدُ
 سَوْفَ تَفْنَى فِي سَاحَتَيْكَ اللَّيَالِي
 يَا عَكَظًا حَوَى الشَّبَابَ فِصَاحًا
 بَنُّهُمْ فِي كِنَانَةِ اللَّهِ نُورًا
 عَلِّمُوا بِالْبَيَانِ، لَا غُرْبَاءَ
 فَتِيَّةً مُحْسِنُونَ، لَمْ يُخْلِفُوا الْعَدُ
 صَدَعُوا ظُلْمَةً عَلَى الرَّيْفِ حَلَّتْ
 مَنْ قَضَى مِنْهُمْ تَفَرَّقَ فِكْرًا
 نَادِ دَارَ الْعُلُومِ إِنْ شِئْتَ: «يَا عَا
 قَلْ لَهَا: يَا ابْنَةَ «الْمُبَارِكِ»^{١٤} إِيَّهِ
 هُوَ فِي الْمَهْرَجَانِ حَيٌّ شَهِيدٌ
 وَهُوَ فِي الْعُرْسِ - إِنْ تَحَجَّبَ، أَوْ لَمْ
 مَا جَرَى ذِكْرُهُ بِنَادِيكَ حَتَّى
 رَبِّ خَيْرٍ مُلِئْتَ مِنْهُ سُرُورًا
 أَدْرَى إِذْ بِنَاكَ أَنْ كَانَ يَبْنَى
 حَائِطُ الْمَلِكِ بِالْمَدَارِسِ إِنْ شِئْتَ
 انظُرِ النَّاسَ، هَلْ تَرَى لِحْيَا
 لَا الْغَنَى فِي الرِّجَالِ نَابَ عَنِ الْفَضْلِ
 رَبِّ عَاثٍ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ
 عَاشٍ لَمْ تَزِمِهِ بَعِينٍ، وَأَوْدَى
 نَظْمَ اللَّهِ مُلْكَهُ بَعْبَادٍ
 شَغَلْتَهُمْ عَنِ الْحَسُودِ الْمَعَالِي

أَوْ بَدِيعِ الْخِيَالِ يَخْلُقُ فَنًّا
 لَمْ يُقَلِّلْ لَهُ الْجَدِيدَانِ شَأْنَا
 رُ، وَيَفْنِي الزَّمَانَ قَرْنًا فَقَرْنَا
 عَادَةُ الْفَطْنِ بِالذِّخَائِرِ يُعْنَى
 وَسَقَوْا شَانئِي عَلَى الْغِلِّ أَجْنَا
 أَنْشَدُوهُ، فَعَادَ أَمْرَدَ لَدُنَا
 وَهُ، وَالْمَرْءُ بِالْقَرِيبِ مُعْنَى
 ل، وَيُلْفَوْنَ فِي الْمَمَاتِ أَضْنَا
 دَمَ شَقِيقًا مِنَ الرَّوَاةِ أَوْ ابْنَا
 رَايَةَ الْعِلْمِ كَالْهَلَالِ وَأَسْنَى
 يُصْبِحُ الْعِلْمُ وَالْمَعْلَمُ مِنَّا
 لَمْ يُنْشِءْ لَكُمْ حِصُونًا وَسُفْنَا
 ض، وَشَقَّ السَّمَاءَ رِيحًا وَمُزْنَا
 لَأَ شَدَدْنَا، وَلَا رِكَابًا زَمَمْنَا
 وَمَلِيًّا لِحَادِثِ الدَّهْرِ دِنًّا!
 مَلُّ مِنْ هَادِمٍ وَلَمْ يَبْنِ مَنَا؟!
 مَعَ أَبْنَاءِنَا يَقُولُونَ: «كُنَّا!»

مَنْ نَزِيٍّ الْفَوَاذِ يَوْرِثُ عِلْمًا
 كَمْ قَدِيمٍ كَرُقْعَةِ الْفَنِّ حَرًّا
 وَجَدِيدٍ عَلَيْهِ يَخْتَلِفُ الدَّهْرُ
 فَاحْتَفِظْ بِالذِّخَائِرَتَيْنِ جَمِيعًا
 يَا شَبَابًا سَقُونِي الْوُدَّ مَحْضًا
 كَلَّمَا صَارَ لِلْكَهُولَةِ شِعْرِي
 أُسْرَةَ الشَّاعِرِ الرَّوَاةِ، وَمَا عَنَّا
 هُمْ يَضُنُّونَ فِي الْحَيَاةِ بِمَا قَا
 وَإِذَا مَا انْقَضَى وَأَهْلُوهُ لَمْ يَعِ
 النَّبُوْعَ النَّبُوْعَ حَتَّى تَنْصُبُوا
 نَحْنُ فِي صُورَةِ الْمَمَالِكِ مَا لَمْ
 لَا تَتَادَاوُ الْحِصُونَ وَالسُّفْنَ، وَادْعُوا الْعَدُوَّ
 إِنَّ رَكْبَ الْحَضَارَةِ اخْتَرَقَ الْأَرْضَ
 وَصَجِبْنَا كَالْغُبَارِ، فَلَا رَجَدَ
 دَانَ أَبَاؤُنَا الزَّمَانَ مَلِيًّا
 كَمْ نَبَاهِي بِلُحْدِ مَيْتٍ؟ وَكَمْ نَحْنُ
 قَدْ أَنَى أَنْ نَقُولَ: «نَحْنُ»، وَلَا نَسْ

إِسْكَندَرِيَّةٌ أَنْ أَنْ تَتَجَدَّدي

«نظمتها لحفلة افتتاح دار جديدة لبنك مصر في الإسكندرية، في يونيو سنة ١٩٢٩»

إِسْكَندَرِيَّةٌ، أَنْ أَنْ تَتَجَدَّدي
 رُدِّي مَكَانَكَ فِي الْبَرِيَّةِ يُرَدِّدِ
 وَعَلَى الْفَنُونِ مِنَ الْجَمَالِ السَّرْمَدِي
 وَسِمِي الصَّبَابَةَ بِالْعَوَاطِفِ تَخْلُدِ
 لِمَمْتَلِينَ مِنَ الْعُصُورِ، وَشُهْدِ
 حَسْرَاتِ مِضْيَاعٍ، وَدَفَعِ مُبَدِّدِ

أَمْسِ انْقَضَى، وَالْيَوْمُ مَرْقَاةُ الْغَدِ
 يَا غَرَّةَ الْوَادِي وَسَدَّةَ بَابِهِ
 فَيُضِي كَأَمْسِ عَلَى الْعُلُومِ مِنَ النَّهْيِ
 وَسِمِي النَّبَالَةَ بِالْمَلَاجِمِ تَتَسَمُّ
 وَضِعِي رَوَايَاتِ الْخَلَاعَةِ وَالْهَوَى
 لَا تَجْعَلِي حُبَّ الْقَدِيمِ وَذَكَرَهُ

تبني المقصّر، أو تحتُ المقتدي
 لم يُبْنَ حائطُها بمالكِ واليَدِ
 لم يبقَ غيرُ الصَّيْدِ والمتصيِّدِ
 وسمائِها، وكأنَّها لم توجَدِ
 وإلى الحِجاءِ، وإلى العُلا والسُّؤدِ
 لشبابِك العرفانَ عذَبَ الموردِ
 رَبيَضتْ كُجُنحِ الغيَهبِ المتلبِّدِ
 وعلى النَّديِّ وكلِّ أبلَجٍ في النَّديِّ
 بالقصِدِ، موجيَّةٌ لمن لم يقصِدِ
 يا طالما افتقرتْ إلى المتقلِّدِ
 ما يبلغُ المحرابُ من مُتعبِدِ
 غيرِ العتيقِ لبِسْتِ مما يَرتدي
 جنَباتِها حَشْدُ يَروحِ ويغْتدي
 فاشهدْ لقائِدها وللمتجنِّدِ
 واقرنْ به شكْرَ الأجيرِ المُجهدِ
 بيضِ الأسرَّةِ، والصحيْفَةِ، واليدِ
 خَدَمًا، وبورك في الحمى من سيِّدِ
 عن حائطي صَرَّحَ أشمُّ مُمرِّدِ؟
 رَفَع الثِّباتُ بِنايَةً كالفرِّقدِ
 قل: تلكِ إحدى مُعجزاتِ (محمد) ١٥

إنَّ القديمَ نخيْرَةٌ من صالحِ
 لا تفتتَنكِ حضارةٌ مَجْلوبةٌ
 لو مالَ عنكِ شِراؤها وبُخارُها
 وُجِدَتْ وكان لغيرِ أهْلِكَ أرضُها
 جاري النزيلِ، وسابقه إلى الغنى
 وابني كما يبني المعاهدَ واشرعي
 إني حَذِرتُ عليك من أُمِّيَّةِ
 أخزانةِ الوادي، عليكِ تحيَّةُ
 ما أنتِ إلا من خزائنِ يوسفِ
 قُلِّدْتِ من مالِ البلادِ أمانةً
 وبلَغْتِ من إيمانِها ورجائِها
 فلو أنَّ أَسْتارَ الجلالِ سَعَتْ إلى
 إنا نُعظِّمُ فيكِ ألويَّةَ علي
 وإذا طِعِمْتَ من الخليَّةِ شهْدها
 لا تمنحِ المحبوبَ شكْرَكَ كلَّه
 إسْكَندَريَّةُ شُرِّفَتْ بعِصابَةِ
 خدموا جمى الوطنِ العزيزِ، فبورِكوا
 ما بالُ ذاكِ الكوخِ صَرَّحَ وانجلى
 من كَسْرِ بيتِ، أو جِدَارِ سَقِيفَةٍ
 فإذا طلعتْ على جلالَةِ رُكنِها

فَتِيَّةُ الْوَادِي عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ

«يُخاطب الشاعر بهذه القصيدة شباب مصر الذين نهضوا بمشروع القرش سنة ١٩٣٢، وهي آخر ما جادت به شاعريته، وكانت تلاوتها يوم وفاته!»

نزعَ الشُّبْلُ من الغابِ الوتدِ
 وتغَطَّى مَنْكِباهُ باللبِّدِ

لا يُقيَمَنَّ على الضَّيِّمِ الأَسَدُ
 كَبَرَ الشُّبْلُ، وشبَّتْ نأبُه

وَدَعُوهُ عَنِ حِمَى الْغَابِ يَذُدُّ
 وَابْعَثُوهُ فِي صَحَارَاهَا يَصِدُّ
 مَرْحَبًا بِالطَّائِرِ الشَّادِي الْغَرِدِ
 يَحْمِلُ الْحَقْدَ، وَلَمْ يُخَفِ الْحَسَدُ
 صَالِحًا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا فَسَدُ
 كَانَ فِيهَا الْبَوْمُ بِالْأَيْكِ انْفَرَدُ
 قَامَ فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَقَعْدُ
 كُلُّ سِرْبٍ قَدْ تَلَاقَى وَاحْتَشَدُ
 ثُمَّ أُعْطِيَ بَدَلُ الزَّهْرِ الشُّهُدُ
 وَمَضَى يَقْضُرُ خَطْوًا وَيُمَدُّ
 وَيُنَادِي النَّاسَ: مَنْ جَاءَ وَجَدُ
 أَوْ رَأَى دَارًا عَلَى الدَّرْبِ قَصْدُ
 رَائِحًا يَسْأَلُ قَرِشًا لِلْبَلَدِ
 أَخْرَجُوا الْمَالَ إِلَى الْبَيْرِ يُعْدُ
 طَالِبُ الْعَوْنِ لِمَصْرٍ لَا يُرَدُّ
 يَغْرَسُ الْقَرْشَ، وَيَبْنِي، وَيَلْدُ
 مِنْ عِثَارٍ لَبِثَتْ فِيهِ الْأَبْدُ
 لِكِفَاحِ السُّلِّ، أَوْ حَرْبِ الرَّمْدِ
 لَمْ يَضِقْ عَنْهُ وَلَمْ يَعْجِزْ أَحَدُ
 نَادَتْ الْبَانِي وَجَاءَتْ بِالْعُدْدُ
 ثَابَتِ الْآسَاسُ مَرْفُوعَ الْعَمَدِ
 حَبَّذَا الرُّكْنَُ وَأَعْظَمُ بِالْسِنْدِ
 وَمَدَاهَا فِي الْمَعَالِي قَدْ بَعُدُ
 كُلُّ عَصْرِ بِأَسَالِيِبَ جُدُدُ
 وَدَعَا الشَّبْلُ مِنَ الْوَادِي الْأَسْدِ
 هِمَّةَ الْوَالِدِ، أَوْ شُغْلَ الْوَلْدِ
 فَحَوَّتْ فِي طَلَبِ الْحَقِّ الْأَمْدُ

اتْرُكُوهُ يَمُشِ فِي آجَامِهِ
 وَاعْرَضُوا الدُّنْيَا عَلَى أَظْفَارِهِ
 فِتْيَةَ الْوَادِي، عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ
 هُوَ صَوْتُ الْحَقِّ، لَمْ يَبْغِ، وَلَمْ
 وَخَلَا مِنْ شَهْوَةٍ مَا خَالَطَتْ
 حَرَكَ الْبَلْبَلُ عِطْفِي رُبُوءِ
 زُنْبُقِ الْمُدْنِ، وَرِيحَانِ الْقُرَى
 بَاكِرًا كَالنَّحْلِ فِي أُسْرَابِهَا
 قَدْ جَنَى مَا قَلَّ مِنْ زَهْرِ الرُّبَا
 بَسَطَ الْكَفَّ لِمَنْ صَادَفَهُ
 يَجْعَلُ الْأَوْطَانَ أُنْغِيَّتَهُ
 كَلَّمَا مَرَّ بِبَابِ دَقِّهِ
 غَادِيًا فِي الْمُدْنِ، أَوْ نَحْوِ الْقُرَى
 أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا، أَصْغُوا لَهُ
 لَا تَرُدُّوهُ يَدَهُمْ فَارِغَةً
 سِيرَى النَّاسُ عَجِيبًا فِي غَدِ
 يُنْهَضُ اللَّهُ الصَّنَاعَاتِ بِهِ
 أَوْ يَزِيدُ الْبِرَّ دَارًا قَعْدَتْ
 وَهُوَ فِي الْأَيْدِي، وَفِي قَدْرَتِهَا
 تَلِكُ مَصْرُ الْغَدِ تَبْنِي مُلْكُهَا
 وَعَلَى الْمَالِ بَنَتْ سُلْطَانَهَا
 وَأَصَارَتْ بِنَاكَ مَصْرٍ كَهْفِهَا
 مَثَلٌ مِنْ هِمَّةٍ قَدْ بَعْدَتْ
 رَدَّهَا الْعَصْرُ إِلَى أَسْلُوبِهِ
 الْبِنُونَ اسْتَنْهَضُوا آبَاءَهُمْ
 أَصْبَحَتْ مَصْرُ، وَأَضْحَى مَجْدُهَا
 هَذِهِ الْهِمَّةُ بِالْأَمْسِ جَرَتْ

أَيُّهَا الْجَيْلُ الَّذِي نَرْجُو لِعَدُّ
 أَنْتِ فِي مَدْرَجَةِ السَّيْلِ، وَقَدْ
 قَدْتِ فِي الْحَقِّ، فَقَدْ فِي مِثْلِهِ
 رَبِّ عَامٍ أَنْتِ فِيهِ وَاجِدُ
 عِلْمِ الْأَبَاءِ، وَاهْتَفِ قَائِلًا:
 اجْمَعِ الْقَرْشَ إِلَى الْقَرْشِ يَكُنْ
 اطْلُبِ الْقَطْنَ، وَزَاوِلْ غَيْرَهُ
 نَحْنُ قَبْلَ الْقَطَنِ كُنَّا أُمَّةً
 قَدْ أَخَذْنَا فِي الصَّنَاعَاتِ الْمَدَى
 وَغَزَلْنَا قَبْلَ إِدْرِيسَ الْكُسَا
 إِنَّ تَكَّ الْيَوْمَ لَوَاءً قَائِدًا
 غَدُكَ الْعِرْزُ، وَدُنْيَاكَ الرَّغْدُ
 ضَلَّ مَنْ فِي مَدْرَجِ السَّيْلِ رَقْدُ
 مِنْ نَوَاحِي الْقَصْدِ أَوْ سُبُلِ الرِّشْدِ
 فَادْخُرْ فِيهِ لِعَامٍ لَا تَجِدُ
 أَيُّهَا الشَّعْبُ، تَعَاوَنُ وَاقْتَصِدْ
 لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ لُبْدُ
 وَاتَّخِذْ سَوْقًا إِذَا سُوِّقَ كَسْدُ
 تَهَيَّبِ الْوَادِي، وَتَرَعَى، وَتَرِدْ
 وَبَنَيْنَا فِي الْأَوَالِي مَا خَلَدُ
 وَنَسَجْنَا قَبْلَ دَاوُدَ الزَّرْدُ
 كَمْ لَوَاءٍ لَكَ بِالْأَمْسِ انْعَقِدْ!

عِيدُ الْجِهَادِ^٢

«نظمها احتفالاً بعيد الجهاد الوطني في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٦»

خَطُّونَا فِي الْجِهَادِ خُطًّا فَسَاحًا
 رَضِينَا فِي هَوَى الْوَطَنِ الْمَفْدَى
 وَلَمَّا سُلَّتِ الْبَيْضُ الْمَوَاضِي
 فَحَطَّمْنَا الشُّكِيمَ سَوَى بَقَايَا
 وَقَمْنَا فِي شِرَاعِ الْحَقِّ نَلْقَى
 نُعَالِجُ شِدَّةً، وَنَرُوضُ أُخْرَى
 وَنَسْتَوْلِي عَلَى الْعُقَبَاتِ إِلَّا
 وَمَنْ يَصْبِرُ يَجِدُ طَوْلَ التَّمَنِّي
 وَأَيَّامٍ كَأَجْوَابِ اللَّيَالِي
 وَهَادِنًا، وَلَمْ نُلْقِ السَّلَاحَا
 دَمَ الشَّهْدَاءِ وَالْمَالَ الْمُطَاحَا
 تَقَلَّدْنَا لَهَا الْحَقَّ الصُّرَاحَا
 إِذَا عَضَّتْ أَرِينَاهَا الْجِمَاحَا
 وَنُدْفَعُ عَنْ جَوَانِبِهِ الرِّيَاحَا
 وَنَسْعَى السَّعْيَ مَشْرُوعًا مَبَاحَا
 كَمِينِ الْغَيْبِ وَالْقَدَرَ الْمُتَاحَا
 عَلَى الْأَيَّامِ قَدْ صَارَ اقْتِرَاحَا
 فَقَدْنَا النُّجْمَ وَالْقَمَرَ اللَّيَاحَا

^٢ زيدت هذه في الطبعة الثانية.

بقاءَ الرِّقِّ، أو نرجو السَّراحا
 من الإِعياءِ كالإبلِ الرِّزاحي
 بما صبروا، ولا موتٌ أراحا
 ومنزوفٍ وإن لم يُسَقِّ راحا
 ولا اعتقلوا الأسنَّةَ والصِّفاحا
 بما عمل الجواسيسُ اجتراحا
 فيا يومَ الرُّسالةِ، عمَّ صباحا
 ولا برهانَ عزَّتِكَ التِّمَاحا
 بها التاريخُ يفتتح افتتاحا
 ونُورُك عن هلالِ الفطر لاحا
 ومثَّلت الضحِيَّةَ والسَّمَاحا
 إلى «فرعون» فابتدأ الكفاحا^{١٦}
 وأطغى من قياصِرها رماحا
 يخالُ وراءَ هيكَلِه «فتاحا»
 فيا لك خيبةٌ عادت نجاجا!
 ولأمت^{١٧} فُرقةٌ وأسَّت جراحا
 عزائمهم فردَّتْها صحاحا
 فرجَّ شِعباً مَكَّةَ والبِطَاحا
 على جنباته استَبَقوا الصِّلاحا
 وكانوا بالحياةِ همَّ الشِّحاحا
 وتسمع في ولائمهم نُواحا
 إذا تُرِكَ البلاغُ لهم، فصاحا
 تحدَّى السيفَ مُنصَلِتا وقاحا
 فلا إثمًا نَعُدُّ ولا جُنَاحا
 وتحسب جِدْهم فيها مُزاحا
 على الخلدِ الثناءَ والامتداحا
 غُدُّوا بالندامةِ، أو رَوَّاحا

قضيناها حِيالَ الحربِ نخشى
 تَرَكْنَا الناسَ بالوادي قعودا
 جنودِ السُّلْمِ لا ظَفَرُ جَزَاهم
 ولا تلقى سوى حيٍّ كَمِيتِ
 ترى أُسْرَى وما شهدوا قتالاً
 وجَزَحَى السَّوْطِ لا جَزَحَى المواضي
 صباحك كان إقبالاً وسعداً
 وما تَألوا نهارَكَ ذكرياتِ
 تكاد جِلاك في صفحاتِ مصرِ
 جلالُك عن سَنَا الأضحى تَجَلَّى
 هما حقٌّ، وأنتِ مُلِئْتِ حقاً
 بَعثنا فيك «هاروناً وموسى»
 وكان أعزُّ من رُوما سيوفنا
 يكاد من الفتوح وما سَقَّتْهُ
 وردُّ المسلمون فقيل: خابوا
 أثارَتِ وادياً من غايَتِيه
 وشَدَّتِ من قُوَى قومِ مِراضِ
 كأن بِلالَ نُودي: قُمْ فَأَدُنْ
 كأن الناسَ في دينٍ جديدِ
 وقد هانت حياتُهُم عليهم
 فتسمع في مآتمهم غِناءَ
 حَواريينَ أوفَدنا ثِقَاتِ
 فكانوا الحقَّ منقبضاً حَيِّياً
 لهم مِنَّا براءةُ أهلِ بدرِ
 ترى الشِّحناءَ بينهمو عتاباً
 جعلنا الخلدَ منزلَهم، وزدنا
 يميناً بالتي يُسَعَى إليها

وتعبق في أنوف الحج رُكنًا
وبالدستور، وهو لنا حياة
أخذناه على المهج الغوالي
بنينا فيه من دمع رواقا
... لما ملأ الشباب كروح سعد
سلوا عن القضية، هل حماها
وهل نظم الكهول الصيد صفا
هو الشيخ الفتي، لو استراحت
وليس بذاق النوم اغتباقا
فيا لك صيغما سهر الليالي
ولا حطمت لك الأيام نابا

وتحت جباههم رَحبا، وساحا
نرى فيه السلامة والفلاحا
ولم نأخذه نيلا مستمحا
ومن دم كل نابته جناحا ...
ولا جعل الحياة لهم طمّاحا
وكان جمى القضية مُستباحا؟
وألّف من تجاربهم رداحا؟
من الدأب الكواكب ما استراحا
إذا دار الرقاد، ولا اصطبّاحا
وناضل دون غايته، ولاحى
ولا غصّت لك الدنيا صياحا

معالي العهد

«نظمها في ميلاد الأمير السابق محمد عبد المنعم»

مَعَالِي الْعَهْدِ قُمْتَ بِهَا فَطِيْمَا
تَنْقَلُ مِنْ يَدِ لَيْدِ كَرِيْمَا
تَنْحَى لِابْنِ مَرِيْمٍ حِيْنَ جَاءَ
ضِيَاءُ لِلْعِيُوْنَ تَلَا ضِيَاءَ
كَذَا أَنْتُمْ بَنِي الْبَيْتِ الْكَرِيْمِ
وَأَيْنَ الشُّهُبُ مِنْ شَرَفِ صَمِيْمِ
أَرَى مُسْتَقْبَلًا يَبْدُو عَجَابَا
وَكَانَ «مَحْمَدًا» أَمَلًا شِهَابَا
وَأَشْرَقَتِ (الْهَيَاكِلُ) وَالْمَبَانِي
وَأَصْبَحَ مَا تَكُنُّ مِنَ الْمَعَانِي
سَأَلْتُ، فَقِيلَ لِي: وَضَعْتَهُ طِفْلَا
فَقُلْتُ: كَذَلِكَ أَنْسْتُ قَبْلَا

وكان إليك مرجعها قديما
كزوح الله إذ خلف «الكليما»^{١٨}
وخلى النجم للقمر الفضاء
يفيض ميامنا، وهدى عميما
وهل متجزئ ضوء النجوم؟
تألق عقده بكمو نظيما؟
وعنوانا يكن لنا كتابا
وكان اليأس شيطانا رجيما
كما كانت وأزين في الزمان
على الأفاق مسطورا رقيما
وهذا عيده في مضر يجلى
وكان لله بالنجوى عليما

(بِمُنْتَزِهِ) الْإِمَارَةَ هَلَّ فَجْرًا
 فَبَاتَتْ مِصْرٌ حَوْلَ الْمَهْدِ (نَعْرًا)
 لِحَبْلِكَ فِي غَدِ جَيْلِ الْمَعَالِي
 ... أَزْفُ نَوَابِغِ الْكَلِمِ الْغَوَالِي
 إِذَا أَقْبَلْتَ يَا زَمَنَ الْبَنِينَا
 فَدُرٌّ مِنْ بَعْدِنَا لَهُمُو يَمِينَا
 وَيَا جَيْلَ الْأَمِيرِ، إِذَا نَشَأْتَا
 فَخُذْ سُبُلًا إِلَى الْعِلْيَاءِ شَتَّى
 وَضِنِّ بِهِ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهِ
 وَلَا تَأْخُذْهُ مِنْ شَفَتَيَّ فَقِيهِ
 وَثِقْ بِالنَّفْسِ فِي كُلِّ الشُّنُونِ
 كَأَنَّكَ مِنْ ضَمِيرِكَ عِنْدَ دِينِ
 وَإِنْ تَرَمَّ الْمَظَاهِرَ فِي الْحَيَاةِ
 وَخَذَهَا بِالْمَسَاعِي بَاهِرَاتِ
 وَإِنْ تَخْرُجَ لِحَرْبٍ أَوْ سَلَامٍ
 وَكُنْ كَاللَيْثِ: يَأْتِي مِنْ أَمَامٍ
 وَكُنْ شَعْبَ الْخِصَائِصِ وَالْمَزَايَا
 وَكُنْ كَالنَّحْلِ وَالِدُنْيَا الْخَلَايَا
 وَلَا تَطْمَحْ إِلَى طَلَبِ الْمُحَالِ
 فَإِنَّ أَبْطَانَ فَاصِبِرْ غَيْرَ سَالٍ
 وَلَا تَقْبَلْ لَغَيْرِ اللَّهِ حُكْمَا
 وَلَا تَرْضَ الْقَلِيلَ الدُّونَ قِسْمَا
 وَلَا تِيَأْسْ، وَلَا تَكُ بِالضُّجُورِ
 فَلَيْسَ مَعَ الْحَوَادِثِ مِنْ قَدِيرِ
 وَفِي الْجُهَالِ لَا تَضَعُ الرَّجَاءَ
 يَضِيعُ شُعَاعُهَا فِيهِ هَبَاءٌ
 وَبَالِغٍ فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّحَرِّيِ

هِلَالًا فِي مَنَازِلِهِ أَغْرًا
 وَبَاتَ النَّعْرُ لِلدُّنْيَا نَدِيمَا
 وَشَعْبِ الْمَجْدِ وَالْهِمَمِ الْعَوَالِي ...
 وَأَهْدِي حِكْمَتِي الشَّعْبَ الْحَكِيمَا
 وَشَبُّوَا فِيكَ وَاجْتَازُوا السَّنِينَا
 وَكُنْ لُورُودِكَ الْمَاءَ الْحَمِيمَا
 وَشَاءَ الْجَدُّ أَنْ تُعْطِي، وَشَتَا
 وَخَلَّ دَلِيلَكَ الدِّينَ الْقَوِيمَا
 وَخُذْهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا يَلِيهِ
 وَلَا تَهْجُرْ مَعَ الدِّينِ الْعُلُومَا
 وَكُنْ مِمَّا اعْتَقَدْتَ عَلَى يَقِينِ
 فَمَنْ شَرَفَ الْمَبَادِي أَنْ تُقِيمَا
 فَرُمَهَا بِاجْتِهَادِكَ وَالثَّبَاتِ
 تُنَافِسُ فِي جَلَالَتِهَا النُّجُومَا
 فَأَقْدِمِ قَبْلَ إِقْدَامِ الْأَنْامِ
 فَيَمْلَأْ كُلَّ نَاطِقَةٍ وَجُومَا
 وَلَا تَكُ ضَائِعًا بَيْنَ الْبَرََايَا
 يَمْرُ بِهَا، وَلَا يَمِضِي عَقِيمَا
 وَلَا تَقْنَعْ إِلَى هَجْرِ الْمَعَالِي
 كَصَبْرِ الْأَنْبِيَاءِ لَهَا قَدِيمَا
 وَلَا تَحْمِلْ لَغَيْرِ الدَّهْرِ ظُلْمَا
 إِذَا لَمْ تَقْدِرِ الْأَمْرَ الْمَرُومَا
 وَلَا تَثِقَنَّ مِنْ مَجْرَى الْأُمُورِ
 وَلَا أَحَدٌ بِمَا تَأْتِي عَلِيمَا
 كَوْضَعِ الشَّمْسِ فِي الْوَحْلِ الضِّيَاءِ
 وَكَانَ الْجَهْلُ مَمْقُوتًا ذَمِيمَا
 وَلَا تَعْجَلْ، وَثِقْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ

وليس ت وَرَدًا حَتَّى تَحُومَا
فَكُنْ صَيْفَ الرَّعَايَةِ وَالْوِدَادِ
فَشَرُّ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ حُصُومَا
وَلَا تَسْمَحْ بِحَلْمِكَ أَنْ يُذَالَا
فَلَنْ تُرْضِيَ الْعَدُوَّ وَلَا الْحَمِيمَا
وَقَبْلَ الصَّوْمِ صُمْ عَنْ كُلِّ فَحْشَا
وَأَنْ مُزَكِّيًّا أَمِنْ الْجَحِيمَا
وَمَعْنَى الْبِرِّ فِي لَفْظِ الزَّكَاةِ
وَلَا هُوَ لِإِمْرِي زَكَى غَرِيمَا
وَإِنْ تَكْ حَاكِمًا فَاعْدِلْ، وَأَحْسِنْ
وَكُنْ لِلْفَرْضِ بَعْدِيذٍ مُقِيمَا
فَخَيْرُ مَظَاهِرِ الْأُمَمِ الْبَيَانُ
غَرِيبًا فِي مَوَاتِنِهِ مَضِيمَا
وَكَانَ الْخَيْرُ إِذْ كَانَتْ بِخَيْرٍ؟
وَيَبْقَى أَهْلُهَا رَحْمًا وَبُومَا؟!
وَدَعْ دَعْوَى تَمَدُّنِهِمْ وَخَلِّ
وَلَا حَرَسَ الْفَتَى فَضْلًا عَظِيمَا
وَلَا تَجْعَلْ لِسَانَ الْأَصْلِ نَسِيًا
وَمَا بَلَغَ الْجَدِيدَ، وَلَا الْقَدِيمَا
فَأَمَّا أَنْتَ يَا نَجْلَ الْمَعَالِي
يُحِيرُ فِي الْكَمَالَاتِ الْفُهُومَا
وَلَا أَبْغِي بِهَا جَدْوَاكَ بَعْدِي
وَكَانَ النَّفْعُ فِي الدُّنْيَا لَزُومَا
فَإِنْ أَبَاكَ يَعْرِفُهُ وَيَدْرِي
فَأَصْرَعُ فِي سَوَابِقِهَا (تَمِيمَا)
وَعَهْدُكَ عِصْمَةٌ لَهُمْ وَظَلُّ
يَعِيشُ بِأَنْ تَعِيشَ وَأَنْ تَدُومَا؟

وَكُنْ كَالْأَسَدِ: عِنْدَ الْمَاءِ تَجْرِي
وَمَا الدُّنْيَا بِمَثْوَى لِلْعِبَادِ
وَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الْأَعَادِي
وَلَا تَجْعَلْ تَوَدُّدَكَ ابْتِدَالًا
وَكَنْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَذَلِكَ حَالَا
وَصَلِّ صَلَاةً مِنْ يَرْجُو وَيَخْشَى
وَلَا تَحْسَبْ بِأَنَّ اللَّهَ يُرْشَى
لِكُلِّ جَنَى زَكَاةً فِي الْحَيَاةِ
وَمَا لِلَّهِ فِينَا مِنْ جُبَاةٍ
فَإِنْ تَكْ عَالِمًا فَاعْمَلْ، وَفَطَّنْ
وَإِنْ تَكْ صَانِعًا شَيْئًا فَاتَّقِنْ
وَصُنْ لُغَةً يَحِقُّ لَهَا الصِّيَانُ
وَكَانَ الشَّعْبُ لَيْسَ لَهُ لِسَانُ
أَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ بِكُلِّ صَيْرِ
أَيَنْطِقُ فِي الْمَشَارِقِ كُلِّ طَيْرِ
فَعَلِمَهَا صَغِيرَكَ قَبْلَ كُلِّ
فَمَا بِالْعِيِّ فِي الدُّنْيَا التَّحَلِّي
وَخَذْ لُغَةَ الْمُعَاصِرِ، فَهِيَ دُنْيَا
كَمَا نَقَلَ الْغَرَابُ فَضْلًا مَشْيَا
لِجِيلِكَ يَوْمَ نَشَأْتَهُ مَقَالِي
فَتَنْظُرُ مِنْ أَبِيكَ إِلَى مِثَالِ
نِصَائِحُ مَا أَرَدْتُ بِهَا لِأَهْدِي
وَلَكِنِّي أَحِبُّ النَّفْعَ جَهْدِي
فَإِنْ أَقْرَيْتُ - يَا مَوْلَايَ - شِعْرِي
وَجَدُّكَ كَانَ شَاوِي حِينَ أَجْرِي
بَنُونَا أَنْتَ صُبْحُهُمْ وَالْأَجَلُ
فَلِمَ لَا نَرْتَجِيكَ لَهُمْ وَكُلُّ

رِسَالَةُ النَّاشِئَةِ

«أهداها إلى الأمير السابق محمد عبد المنعم»

مَصْدَرَ الْحِكْمَةِ طُرًّا وَالضِّيَاءُ
وعلى ما نِلْتُ من فَضْلِ وَجُودٍ
وبقلب من رجاءِ اللهِ حَيٍّ
واخْشَهُ خَشِيَّةً مَنْ فِيهِ هَلِكُ
وتمتّع فيه من خيرِ رَزَقٍ
كلُّ شيءٍ لك عبدٌ أو أُمَّةٌ
لك، والريحُ، وما تحت السَّمَاءِ
لك في الظلمةِ للنورِ حَنِينُ
حار فيه كلُّ «بقراطٍ» عَلِمَ
حينَ مَسَّتْهُ يدُ اللهِ حَفَقُ
كان في الأضلاع لحمًا ودما
في انتفاضٍ كانتفاضِ البُلْبُلِ
صَنَعَةَ اللهِ، ولكن زَغَمًا
إن غيرَ اللهِ عقلاً لا يَجُوزُ
خيرَ ما في طلبِ العلمِ جُمِعَ
هل ترى الجُهَالَ إلا كالنَّعَمِ؟
لظهورِ باطلٍ بينَ المَلا
فإِذَا فَاتَكَ هَذَا فافتراقُ
ليس للأعمى على الضوءِ هُدَى
فامتنع عن كلِّ تحصيلِ عَقِيمِ؛
كم مَعَ الجَهِلِ يَسَارٌ وَغِنَى!
التجاريبُ علومُ الفَهِمِ
كلُّ يومٍ فيه للعبرةِ بابٌ
ما يُفِيدُ العقلُ إن عَيَّ اللسانُ

أحمدُك اللهُ وأطري الأنبياءَ
وله الشكرُ على نُعمَى الوجودِ
أُعْبِدُ اللهَ بعقلٍ يا بُنَيَّ
أرْجُه تُعْطَ مَقَالِيدَ الفَلَكِ
أنظرِ المُلْكَ، وأكْبِرْ ما خَلَقَ
أنت في الكونِ محلُّ التَّكْرِمِ
سُخَّرَ العالَمُ من أَرْضٍ وماءٍ
أذكرِ الآيةَ إذ أنتَ جَنِينُ
كلَّ يومٍ لك شأنٌ في الظُّلْمِ
كان في جَنَبِكَ شيءٌ من عَلَقٍ
صار جِسًّا وحياءً بعدَ ما
دَقَّ كالنَّافُوسِ وَسَطَ الهَيْكَلِ
قل لمن طَبَّبَ، أو مَنْ نَجَّمَ:
آمنا بالله إيمانَ العَجُوزِ
أيُّها الطالبُ للعلمِ استمع
هُوَ إن أُوتِيَتْهُ أَسْنَى النَّعَمِ
أطلبِ العلمَ لِذاتِ العلمِ، لا
عندَ أهلِ العلمِ للعلمِ مَذَاقِ
طلبِ المحرومِ للعلمِ سُدَى
فإِذَا فَاتَكَ توفيقُ العَليمِ
واطلبِ الرزقَ هنا أو هاهنا
كل ما عَلِمَكَ الدهرُ اعْلَمْ
إنما الأيَّامُ والعيشُ كِتَابٌ
إن رُزِقْتَ العلمَ زِنَهُ بالبيانِ

مُظْلَمٌ لَا تَهْتَدِي فِي كُتْبِهِ
جَاءَ بِالْحِكْمَةِ فِيمَا نَظَّمَا
مَنْ تَغِبَ عَنْهُ تَفْتَهُ الْمَعْرِفَةُ
ضَاعَ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الْخَبْرَ
مَنْ يَخُنْ أَوْطَانَهُ يَوْمًا يُخُنْ
يَذَكُرُ الْمِنَّةَ مِنْهُ وَالْيَدَا
كُلُّ حُبِّ شُعْبَةٍ مِنْ حُبِّهِ
يَعْرِفُ الشُّوقَ لَهُ مَنْ يَغْتَرِبُ
فَإِذَا وُورِيَتْ فَالْقَبْرِ الْكَرِيمِ
وَعَهْوِدِ بَعْدَكَ اسْتَرْعَيْتَهُ
تَذْرِفُ الدَّمْعَ لِذِكْرَاهُ دَمَا
إِنَّمَا الصِّحَّةُ وَالرِّزْقُ الْعَمَلُ
مَتَقَّنُ الْأَعْمَالِ سِرُّ اللَّهِ فِيهِ
كُلُّ شَيْءٍ بِجِزَاءٍ وَثَمَنِ
قَدْ حَبَاهَا الْخَلْدَ مَنْ أَتَقَنَّهَا
أَتَقَنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى فِي الْجَعْلِ
طَالَعُ التَّاجِرِ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ
لَا تُفَارِقُ بَابَهُ، أَوْ فَارِقُ
كُلُّهُمْ مِنْهُ رَسُولٌ وَصَلَا
لَفِظَةٌ مِنْ فِيهِ لِلْقَوْمِ يَمِينُ
فَتَشَبَّهُهُ: إِنَّ مَنْ يُقَدِّمُ يَسُدُّ
مِنْهُمْ «إِسْكَندَرُ» وَ«ابْنُ زِيَادِ»
كَشَجَاعِ الْقَلْبِ فِي وَقْتِ الْحُرُوبِ
إِنَّمَا مَنْ يَنْصُرُ الْحَقَّ الْبَاطِلُ
مِنْ غَزَاةٍ أَوْ دُعَاةِ مُصْلِحِينَ
مَا لِرَاعِي غَنَمٍ عِنْدَ الْغَنَمِ
لَكُمْو دِينَ رَضِيْتُمْ وَلَى دِينَ

كَمْ عَلِيمٌ سَقَطَ الْعِيُّ بِهِ
وَأَدِيبٌ فَاتَهُ الْعِلْمُ فَمَا
إِنَّ لِلْعِلْمِ جَمِيعًا فِلْسَفُهُ
اقْرَأِ التَّارِيخَ إِذْ فِيهِ الْعَبْرُ
كُنْ إِلَى الْمَوْتِ عَلَى حُبِّ الْوَطَنِ
وَطُنُ الْمَرْءِ حِمَاهُ الْمَفْتَدَى
قَدْ عَرَفْتَ الدَّارَ وَالْأَهْلَ بِهِ
هُوَ مَحْبُوبُكَ بَادٍ مَحْتَجِبُ
لَكَ مِنْهُ فِي الصَّبَا مَهْدُ رَحِيمِ
كَمْ عَزِيزٌ عِنْدَكَ اسْتَوْدَعْتَهُ
وَدَفِينِ لَكَ فِيهِ كَرْمًا
كُنْ نَشِيطًا عَامِلًا جَمَّ الْأَمَلُ
كُلُّ مَا أَتَقَنَّتَ مَحْبُوبٌ وَجِيهٌ
يُقْبَلُ النَّاسُ عَلَى الشَّيْءِ الْحَسَنِ
أَنْظُرِ الْأَثَارَ، مَا أَزَيَّنَهَا!
تِلْكَ آثَارُ بَنِي مِصْرَ الْأَوَّلِ
أَيُّهَا التَّاجِرُ، بُلِّغْتَ الْأَرْبُ
بَابُ حَانُوتِكَ بَابُ الرَّازِقِ
وَاحْتَرِمِ فِي بَابِهِ مَنْ نَحَلَا
تَاجِرُ الْقَوْمِ صَدُوقٌ وَأَمِينُ
إِنَّ لِلْإِقْدَامِ نَاسًا كَالْأَسْدِ
مِنْهُمْو كُلُّ فِتْنَى سَادَ وَشَادَ
وَشَجَاعُ النَّفْسِ مِنْهُمْ فِي الْكُرُوبِ
وَابِلُ «سُقْرَاطُ» وَالشُّجْعَانُ طَلُّ
هُمُ جَمَالُ الدَّهْرِ حِينًا بَعْدَ حِينِ
لَهُمْ مِنْ هَيْبَةٍ عِنْدَ الْأُمَمِ
قُلْ إِذَا خَاطَبْتَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ:

إِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمْ سَبْحَانَهُ!
 فَدَعِ الْأَقْدَارَ تَجْرِي وَاسْتَعِدَّ
 لَا تُعَارِضْ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ
 وَإِذَا شِئْتَ: قَضَاءٌ وَقَدْرٌ!
 طَيِّبِ الْحَمْدَ، وَإِنْ مِتَّ بَقِيَ
 فَرَحِيمٌ سَوْفَ يُجْزَىٰ مِنْ رَحِيمٍ
 وَتَعَهَّدْ وَتَوَلَّ الْبُؤْسَا
 كُلُّ خُلُقٍ فَاضِلٍ دُونَ السَّخَاءِ
 لَسْتَ تَدْرِي فِي غَدٍ مَا يَقَعُ
 رَبُّ قَيْدٍ مِنْ جَمِيلٍ وَصَنِيْعٍ
 فَكَدِيمًا جَمَلُ الْمَرْءِ الْأَدَبُ
 إِنَّ ضَيْقَ الرَّزْقِ مِنْ ضَيْقِ الْخُلُقِ
 فَهَمَا ضِدَّانِ كَبْرٌ وَكِبْرٌ
 فَاتْرِكِ الْكِبَرَ لَهُ وَالْجَبْرُوتَ
 كَمْ حَسُودٍ قَدْ تَوَفَّاهُ الْكَمَدُ
 شَرَفٍ قَدْ مُسَّ، أَوْ عَرِضَ كَرِيمٍ
 إِنَّهُ كَالنَّارِ وَالرُّشْدُ الْحَطْبُ
 طَالِبُ الْحَقِّ بَعْنَفٍ مُعْتَدٍ
 كَمْ مُطِيعٍ لِهَوَى النَّفْسِ هَوَى
 يَحْقِرُ الْمَوْتَ يَنْدُلُ رِقَّ الزَّمَنِ
 إِنَّمَا الطِّفْلُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
 رَجَمَ اللَّهُ امْرَأًا يَرْحَمُهُ
 تُخْرِجُ الْمَخْزُونَ مِنْ كُرْبَتِهِ
 يَمَلَأُ الْعَيْشَ نَعِيمًا وَسَعَةً
 صُمِّ عَنْ الْغَيْبَةِ يَوْمًا وَالنَّمِيمِ
 كَمْ مُصَلِّ صَجَّ مِنْهُ الْمَسْجِدُ!
 غَبَّ حَجَّ لِبُيُوتِ الْفُقَرَا

خَلَّ لِلدِّيَانِ فِيهِمْ شَانَهُ
 كُلُّ حَالٍ صَائِرٌ يَوْمًا لَضِدِّ
 فَلِكُ بِالسَّعْدِ وَالنُّحْسِ يَدُورُ
 قَلِّ إِذَا شِئْتَ: صُرُوفٌ وَغَيْرُ!
 وَاعْمَلِ الْخَيْرَ، فَإِنْ عِشْتَ لَقِي
 مَنْ يَمُتُ عَنْ مِنَّةٍ عِنْدَ يَتِيمٍ
 كَنْ كَرِيمًا إِنْ رَأَى جُرْحًا أَسَا
 وَاسُخُ فِي الشَّدَةِ وَازْدَدُ فِي الرَّخَاءِ
 فِيهِ كُلُّ بَلَاءٍ يُدْفَعُ
 جَامِلِ النَّاسِ تَحَزُّ رِقَّ الْجَمِيعِ
 عَامِلِ الْكَلِّ بِإِحْسَانٍ تَحَبُّ
 وَتَجَنَّبُ كُلَّ خُلُقٍ لَمْ يَرْقُ
 وَتَوَاضَعُ فِي ارْتِفَاعٍ تُعْتَبَرُ
 كُلُّ حَيٍّ مَا خَلَا اللَّهُ يَمُوتُ
 وَأَرْحُ جَنَبِكَ مِنْ دَاءِ الْحَسَدِ
 وَإِذَا أُغْضِبْتَ فَاغْضَبْ لِعَظِيمٍ
 وَتَجَنَّبُ فِي الصَّغِيرَاتِ الْغَضَبُ
 أَطْلِبِ الْحَقَّ بِرِفْقٍ تُحْمَدِ
 وَاعْصِ فِي أَكْثَرِ مَا تَأْتِي الْهَوَى
 اذْكَرِ الْمَوْتَ وَلَا تَفْرَعْ فَمَنْ
 أَحَبَّ الطِّفْلَ وَإِنْ لَمْ يَكْ لَكَ
 هُوَ لَطْفُ اللَّهِ لَوْ تَعَلَّمَهُ
 عَطْفَةً مِنْهُ عَلَى لُغْبَتِهِ
 وَحَدِيثُ سَاعَةِ الضَّيْقِ مَعَهُ
 يَا مُدِيمَ الصَّوْمِ فِي الشَّهْرِ الْكَرِيمِ
 وَإِذَا صَلَّيْتَ خَفْ مَنْ تَعْبُدُ
 وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى «أُمِّ الْقُرَى»

هكذا «طه» وَمَنْ كَانَ مَعَهُ
وَتَسَمَّحُ وَتَوَسَّعَ فِي الزَّكَاةِ
فَرَضَ الْبِرَّ بِهَا فَرَضَ حَكِيمٍ
لَيْسَ لِي فِي طَبِّ «جَالِينوس» بَأْغُ
أَحْذَرُ التُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهَمُّ
وَأَتَّقِ الْبَرْدَ؛ فَكَمْ خَلَقَ قَتَلَ
أَتَّخَذَ سُكْنَاكَ فِي طَلْقِ الْجَوَاءِ
حَيْمَةً فِي الْبَيْدِ خَيْرٌ مِنْ قَصُورِ
فِي غِدِّ تَأْوِي إِلَى قَفْرِ حَلْكَ
وَاتْرِكِ الْخَمْرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا
لَا تُنَادِمُ غَيْرَ مَأْمُونٍ كَرِيمٍ
وَعَنِ الْمَيْسِرِ مَا اسْطَغَعْتَ ابْتِعِدْ
وَتَعَشَّقْ، وَتَعَفَّفْ، وَأَتَّقِ

مِنْ وَقَارِ اللَّهِ أَلَّا تَخْدَعَهُ
إِنَّهَا مَحْبُوبَةٌ عِنْدَ الْإِلَهِ
فَإِذَا مَا زِدْتَ فَالِلَّهِ كَرِيمٍ
بَيِّدَ أَنَّ الْعَيْشَ دَرَسٌ وَأَطْلَاعُ
إِنْ «عِزْرَائِيلَ» فِي خَلْقِ النَّهْمِ
مَنْ تَوَقَّاهُ أَتَّقَى نِصْفَ الْعِلَلِ
بَيْنَ شَمْسٍ، وَنَبَاتٍ، وَهَوَاءِ
تَبْخُلُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا بِالْمَرُورِ
يَسْتَوِي الصُّعْلُوكُ فِيهِ وَالْمَلِكُ
لَا يَرَى مَنَدُوحَةً عَنْ شُرْبِهَا
إِنْ عَقَلَ الْبَعْضُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ
فَهُوَ سَلُّ الْمَالِ بِلِ سَلُّ الْكَيْدِ
مَا دَرَى اللَّذَّةَ مِنْ لَمْ يَعِشُقْ!

حَجُّ الْأَمِيرِ

«أرسل الأبيات الآتية في برقية إلى شريف مكة سنة حج الخديو عباس»

دامت معاليك فينا يا ابن فاطمة
قل للخديو إذا وافيت سُدَّتْهُ
حَجُّ الْأَمِيرِ لَهُ الدُّنْيَا قَدْ ابْتَهَجَتْ
فَلْتَحَيَّ مَلْتُنَّا! فَلْتَحَيَّ أُمَّنَّا!

ودام منكم لأفُق البيتِ نِبْرَاسُ
تمشي إليه ويمشي خَلْفَكَ النَّاسُ
والْعَوْدُ وَالْعَبْدُ أَفْرَاحُ وَأَعْرَاسُ
فليحي سلطاننا! فليحي عباس!

إِسْمَاعِيلُ

«وقال وقد أشرف في مدينة نابلي على الدار التي كان يقيم فيها الخديو إسماعيل»

أَبِكَيْكَ إِسْمَاعِيلَ مِصْرَ، وَفِي الْبُكَاءِ
وَمِنْ الْقِيَامِ بَبَعْضِ حَقِّكَ أَنْنِي

بَعْدَ التَّذَكُّرِ رَاحَةُ الْمُسْتَعْبِرِ
أَرْقَى لِعِزِّكَ وَالنَّعِيمِ الْمُدْبِرِ

بعد القصورِ المَزْرِيَّاتِ بَقِيصَرَ؟
والدهرُ في إِحْرَاجِهَا لَمْ يُقْصِرْ
حتى دُفِعَتْ إِلَى الْمَكَانِ الْأَقْفَرِ
نَظَرَ (الرَّشِيدِ) إِلَى مَنَازِلِ (جَعْفَرِ) ١٩

هذِي بِيُوتِ الرُّومِ، كَيْفَ سَكَنْتَهَا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ نَفْسَكَ أَقْصَرَتْ
مَا زَالَ يُخْلِي مِنْكَ كُلَّ مَحَلَّةٍ
نَظَرَ الزَّمَانَ إِلَى دِيَارِكَ كُلِّهَا

حَرِيْقُ مَيْتِ عَمْرٍ ٢

يَا (مَيْتَ عَمْرٍ) حُذِي الْقَضَاءَ كَمَا جَرَى
إِلَّا وَهَوْنَهُ الْقِيَاسُ وَصَغَرَا
أَوْ (مَرْتَنِيْقٍ) غَدَاةَ وُورِيَّتِ الثَّرَى
شَرًّا بَجَنْبِ نَصِيْبِهَا مُسْتَضْعَرَا
هَلْ كُنْتَ رُكْنًا مِنْ جَهَنَّمَ مُسْعَرَا؟!
فَوَقَفْتَ مُعْتَبِرًا بِهَا مُسْتَعْبِرَا
وَأَرَى النِّعِيمَ نَعِيمَ عَمْرٍ مُقْصِرَا
لِلنَّفْسِ أَنْ تَرْضَى، وَالْأَلَّ تَضْجِرَا
حَتَّى رَأَيْتُ بِكَ الشَّقَاءَ مُصَوَّرَا
بِبَنِي أُمِّيَّةَ، أَوْ قَرَابَةَ جَعْفَرَا
لَا يُنْظَرُونَ، وَلَا مَسَاكُنُهُمْ تُرَى
وَإِذَا رَأَيْتُ رَأَيْتُ مَيْتًا مُنْكَرَا
تَبْكِي الصَّغِيرَ، وَتَلِكُ تَبْكِي الْأَصْغَرَا!
مِنْ أَجْلِ طِفْلِ فِي الطَّلُولِ اسْتَأْخَرَا
وَالْيَوْمَ تَسْأَلُ أَنْ يَعُودَ فَيَقْبِرَا
فَمَحْتِكِ آسَاسًا، وَغَيَّرِ الدَّرَا
حَمْرَاءَ يَبْدُو الْمَوْتُ مِنْهَا أَحْمَرَا
لَوْ قَابَلْتَهُ، وَلَا تَهَابُ الْأَبْحَرَا

اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى
مَا جَلَّ حَطْبُ ثَمَّ قَيْسٍ بَغِيْرِهِ
فَسَلَى (عَمُورَةَ) أَوْ (سُدُونَ) تَأْسِيًّا
مُدُنَ لَقِيْنَ مِنَ الْقَضَاءِ وَنَارِهِ
هَذِي طُلُوكِ أَنْفُسًا وَحِجَارَةً
قَدْ جِئْتُ أَبْكِيهَا وَأَخَذُ عِبْرَةً
أَجْدُ الْحَيَاةَ حَيَاةَ دَهْرٍ سَاعَةً
وَأَعْدُّ مِنْ حَزْمِ الْأُمُورِ وَعِزْمِهَا
مَا زِلْتُ أَسْمَعُ بِالشَّقَاءِ رَوَايَةً
فَعَلَ الزَّمَانُ بِشَمْلِ أَهْلِكَ فِعْلُهُ
بِالْأَمْسِ قَدْ سَكَنُوا الدِّيَارَ، فَأَصْبَحُوا
فَإِذَا لَقِيْتُ لَقِيْتُ حَيًّا بَائِسًا
وَالْأُمَهَاتُ بَغِيْرُ صَبْرِ: هَذِهِ
مِنْ كُلِّ مُوَدَعَةِ الطَّلُولِ دُمُوعَهَا
كَانَتْ تُؤْمَلُ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ
فَمَلَعَتْ عَلَيْكَ النَّارُ طَلْعَةَ شُومِهَا
مَلَكْتَ جِهَاتِكَ لَيْلَةً وَنَهَارَهَا
لَا تَرَهَّبُ الطُوفَانَ فِي طُغْيَانِهَا

٢ سنة ١٩٠٥، نشرت بمجلة المجلات العربية.

يُدْعَى لِيَنْظُرَهَا لِعَافِ الْمَنْظَرِ
 - أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ - وَلِي مَدْبِرَا
 عَصَمَ الدِّيَارَ مِنَ الْمَدَامِعِ مَا جَرَى
 وَمُطَنَّبًا، وَمُسَيِّجًا، وَمُسَوِّرَا
 مَنْ فَرَّ لَمْ يَجِدِ الطَّرِيقَ مُيَسِّرَا
 وَأَضَلَّهُمْ قَدْرٌ، فَضَلُّوا الْمَصْدِرَا
 سَاحَاتِ حَاتِمٍ غَبَّ نِيرَانَ الْقُرَى
 خَمَدَتْ بِهِ نَارُ الْمَجُوسِ، وَأَقْفَرَا
 وَتَشَمُّ مِنْهَا الثَّائِلَاتُ الْعَنْبِرَا
 يَا طَيْرُ، «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا»
 تَغَشَى عَلَيْكَ الْوَكْرُ فِي سِنَةِ الْكُرَى
 تَأْتِي لِتَمَشِي فِي الطَّلُولِ وَتَحْبُرَا
 وَأَرَى الْفَرَائِسَ بِالتَّسَاوُلِ أَجْدَرَا
 يُطْفِي الْقُلُوبَ الْمُشْعَلَاتِ تَحْسُرَا
 بِالصَّبْرِ، فَهَوَ بِمَالِهِمْ لَا يُشْتَرَى
 أَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْجَائِنِ فَمَنْ تَرَى؟!
 وَارْحَمِ رَمِيمَا فِي التَّرَابِ مُبْعَثَرَا
 آيَاتِكَ السَّبْعَ الْقَدِيمَةَ فِي الْوَرَى
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ يُسِيرُ عَسْكَرَا؟!
 بَرْدًا، وَخُذْ بِاللُّطْفِ فِيمَا قُدْرَا
 يَا أُمَّةً قَدْ آتَى أَنْ تَسْتَغْفِرَا
 مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْو فَاصْبِحْ مُعْسِرَا
 أَلَمْ نَتْمُوا الْأَيَّامَ أَنْ تَتَغَيَّرَا؟
 مَا تَمَلَّكَ الْأَقْدَارُ، مَهْمَا قُدْرَا
 فَلَرُبَّ مَا شِ فِي الْحَرِيرِ تَعَثَّرَا
 لِأَخِيكَ؛ فَاذْكُرْهُ عَشِي أَنْ تُذَكَّرَا

لَوْ أَنَّ (نَيْرُونَ) الْجَمَاءَ فَوَّادَهُ
 أَوْ أَنَّهُ ابْتُلِيَ (الْخَلِيلُ) بِمِثْلِهَا
 أَوْ أَنْ سَيْلًا عَاصِمٌ مِنْ شَرِّهَا
 أَمْسَى بِهَا كُلُّ الْبَيْوتِ مُبَوَّبًا
 أَسْرَتْهُمْو، وَتَمَلَّكَتْ طُرُقَاتِهِمْ
 خَفَّتْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ ذَلِكَ مَوْرِدًا
 حَيْثُ التَّفَتَّ تَرَى الطَّرِيقَ كَأَنَّهَا
 وَتَرَى الدَّعَائِمَ فِي السَّوَادِ كَهَيْكَلِ
 وَتَشَمُّ رَائِحَةَ الرُّفَاتِ كَرِيهَةً
 كَثُرَتْ عَلَيْهَا الطَّيْرُ فِي حَوْمَاتِهَا
 هَلْ تَأْمَنِينَ طَوَارِقَ الْأَحْدَاثِ أَنْ
 وَالنَّاسَ مِنْ دَانِي الْقُرَى وَبَعِيدِهَا
 يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْحَرِيقِ وَهَوْلِهِ
 يَارَبِّ، قَدْ خَمَدَتْ، وَلَيْسَ سِوَاكَ مَنْ
 فَتَحُوا اِكْتِتَابًا لِلْإِعَانَةِ فَاكْتَتَبَ
 إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْبَائِسِينَ فَمَنْ لَهُمْ؟
 فَتَوَلَّى جَمْعًا فِي الْيَبَابِ مُشْتَتًّا
 فَعَلَّتْ بِمَصْرَ النَّارُ مَا لَمْ تَأْتِهِ
 أَوْ مَا تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ كَقَاهِرِ
 فَادْفَعْ قَضَاءَكَ، أَوْ فَصِيْرُ نَارِهِ
 مُدُّوا الْأَكْفَ سَخِيَّةً، وَاسْتَغْفِرِي
 أَوْلَى بِعَطْفِ الْمَوْسِرِينَ وَبِرِّهِمْ
 يَا أَيُّهَا السُّجْنَاءُ فِي أَمْوَالِهِمْ
 لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحْوَالِهِ
 لَا يُبْطِرُنَّكَ مِنْ حَرِيرِ مَوْطِيْ
 وَإِذَا الزَّمَانُ تَنَكَّرَتْ أَحْدَاثُهُ

خُطْبَةُ غَلِيُومِ

«وخطب غليوم عامل ألمانيا خطبة في سنة ١٩٠٦ كان لها وقع عظيم، وأحدثت أزمة أوشكت أن تنتهي إلى حرب أوربية طاحنة، فقال:»

يَارَبِّ، مَا حَكْمُكَ؟ مَاذَا تَرَى
 قَدْ قَامَ غَلِيُومٌ خَطِيْبًا، فَمَا
 شَيْدٌ فِي جَنَبِكَ مُلْغًا لَهُ
 قَدْ وَرَّثَ الْعَالَمَ حَيًّا، فَمَا
 فَالْنِصْفُ لِلْجَرْمَانِ فِي زَعْمِهِ
 يَارَبِّ، قُلْ: سَيُفْكَ أَمْ سَيُفْهَى؟
 إِنَّ صَدَقْتَ — يَارَبِّ — أَحْلَامُهُ
 لَا نَحْنُ جِرْمَانٌ لَنَا حِصَّةٌ
 يَا رَبِّ، لَا تَنْسَ رَعَايَاكَ فِي
 جَنَابَةِ الْجَهْلِ عَلَى أَهْلِهِ
 يَا لَيْتَ لَمْ تَمُدُّ يَدًا يَشْرُؤُ
 جَنَى عَلَيْنَا عَضْبَةَ جَارِفُوا
 فِي ذَلِكَ الْحَلْمِ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ؟
 أَعْطَاكَ مِنْ مُلْكِكَ إِلَّا الْقَلِيلَ!
 مُلْكُكَ إِنْ قَيْسَ إِلَيْهِ الضَّئِيلِ
 غَادَرَ مِنْ فِجٍّ، وَلَا مِنْ سَبِيلِ
 وَالنِّصْفُ لِلرُّومَانِ فِيمَا يَقُولُ
 أَيُّهُمَا — يَا رَبِّ — مَاضٍ ثَقِيلٌ؟!
 فَإِنَّ خُطْبَ الْمُسْلِمِينَ الْجَلِيلِ
 وَلَا بِرُومَانٍ فَتُعْطَى فَتِيلِ
 يَوْمِ رَعَايَاكَ الْفَرِيْقُ الذَّلِيلِ
 قَدِيْمَةٌ، وَالْجَهْلُ بئْسَ الدَّلِيلِ
 وَلَيْتَ ظَلَّ السَّلْمُ بَاقٍ ظَلِيلِ!
 فَحَسْبُنَا اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلِ!

نَادِي الْمَوْسِيقَى الشَّرْقِي

«وقال يخاطب الملك فؤاد الأول في حفلة افتتاح نادي الموسيقى الشرقي سنة ١٩٢٩.»

خَطَّتْ يَدَاكَ الرَّوْضَةَ الْغَنَاءَ
 مَا زَلْتَ تَذْهَبُ فِي السُّمُوِّ بِرُكْنِهِ
 دَارٌ مِنَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ تَقَسَّمَتْ
 كَالرُّوْضِ تَحْتَ الطَّيْرِ أَعْجَبَ أَيُّكُهُ
 وَلَقَدْ نَزَلْتَ بِهَا، فَلَمْ نَرَ قَبْلَهَا
 وَتَوَهَّجَتْ حَتَّى تَقَلَّبَ فِي السَّنَا
 فَتَلَفَّتُوا يَتَهَامِسُونَ: لَعَلُّهُ
 وَفَرَعَتْ مِنْ صَرْحِ الْفَنُونِ بِنَاءَ
 حَتَّى تَجَاوَزَ رُكْنُهُ الْجَوَّاءَ
 لِلْسَاهِرِينَ رَوَايَةً وَرَوَاءَ
 لَحْظِ الْعَيُونِ، وَأَعْجَبَ الْإِصْغَاءَ
 فَلَمَّا جَلَا شَمْسَ النَّهَارِ عِشَاءَ
 (وَادِي الْمَلُوكِ) حَجَارَةً وَفِضَاءَ
 فَجَرُّ الْحَضَارَةِ فِي الْبِلَادِ أَضَاءَ

أَكْثَرْنَ نَحْوَ بِنَائِكَ الْإِيمَاءِ
 وَتَرَنَّمْتَ أَوْتَارُهُنَّ ثَنَاءً
 وَحَدَوْتَ فِي هِنْدَامِهَا (الحمراء) ٢٠
 يَتَبَوَّأُ الْحُجْرَاتِ وَالْأَبْهَاءَ؟
 يَحْبُو بِهَا - سُبْحَانَهُ - مَنْ شَاءَ
 بَعَثَ الْهَزَارَ، وَأَرْسَلَ الْوَرْقَاءَ
 فَاتَ (الرشيدي)، وَأَخْطَأَ النُّدَمَاءَ
 خَلَدُوا عَلَى جَنَابَتِهِ أَسْمَاءَ
 لَمْ نُلَفَّ أَمْجَدَ أُمَّةَ آبَاءَ
 أَرْضًا، وَكُنَّا فِي الْفَخَارِ سَمَاءَ
 ظَلَّ الْوَجُودُ جَهَامَةً وَجَفَاءَ
 تَجِدِ الْحَيَاةَ مِنَ الْجَمَالِ خَلَاءَ
 قَدْ عَالَجْتَ بِالْوَاحَةِ الصَّحْرَاءَ
 فَتُصِيبُ ظِلًّا، أَوْ تُصَارِفُ مَاءَ
 يَجْرِي السَّلَامَةَ أَوْ يَدُقُّ الدَّاءَ
 أَوْ زَافَ كَانَتْ ظَاهِرًا وَظِلَاءَ
 بِالْغُرْسِ إِلَّا نَعَمَةً وَنَمَاءَ؟
 جَاءَ الزَّمَانُ بِجَنَّةٍ فَيُحَاءَ
 رَمَتِ الظُّلَالَ، وَمَدَّتِ الْأَقْيَاءَ
 لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْجُهُودِ جَزَاءَ
 حُبًّا، وَصَدَقَ مَوْدِيَّةً، وَوَفَاءَ
 مَا سَرَّ مِنْ قَدْرِ الْأُمُورِ وَسَاءَ
 تَبْنِي الرِّجَالِ، وَتُبْدِعُ الْأَشْيَاءَ
 وَكَسَا نَدِيَّهُمْو سَنًا وَسَنَاءَ
 لِخَوَالِفِ الْأَجْيَالِ أَوْ بَنَاءَ
 وَتَرُوحُ تَصْطَنِعُ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ
 بِشَرًّا، وَحَلَّ سَعَادَةً وَرِخَاءَ

تلك المعازفُ في طُلُولِ بِنَائِهِمْ
 وَتَمَايَلَتْ عِيدَانُهُنَّ تَحِيَّةً
 يَا بَانِي الْإِيوَانِ، قَدْ نَسَقْتَهُ
 أَيْنَ (الغريض) يَجِلُّهُ أَوْ (مَعْبُدٌ) ٢١
 الْعَبْقَرِيَّةُ مِنْ ضَنَائِنِهِ الَّتِي
 لَمْ بَنَيْتَ الْأَيْكَ وَاسْتَوْهَبْتَهُ
 فَسَمِعْتَ مِنْ مُتَفَرِّدِ الْأَنْغَامِ مَا
 وَالْفَنُّ رِيحَانُ الْمُلُوكِ، وَرُبَّمَا
 لَوْلَا أَيْدِيهِ عَلَى أَبْنَائِنَا
 كَانَتْ أَوَائِلُ كُلِّ قَوْمٍ فِي الْعُلَا
 لَوْلَا ابْتِسَامُ الْفَنِّ فِيمَا حَوْلَهُ
 جَرَّدَ مِنَ الْفَنِّ الْحَيَاةَ وَمَا حَوَتْ
 بِالْفَنِّ عَالَجْتَ الْحَيَاةَ طَبِيعَةً
 تَأْوِي إِلَيْهَا الرُّوحُ مِنْ رَمُضَائِهَا
 نَبْضُ الْحَضَارَةِ فِي الْمَمَالِكِ كُلِّهَا
 إِنْ صَحَّ فَهِيَ عَلَى الزَّمَانِ صَحِيحَةٌ
 انظُرْ - أبا الفاروق - غَرْسَكَ، هَلْ تَرَى
 مِنْ حَبَّةٍ نُخِرَتْ، وَأَيْدٍ ثَابِرَتْ
 وَأَكْنَتِ الْفَنِّ الْجَمِيلِ خَمِيلَةٌ
 بَدَلُ الْجُهُودِ الصَّالِحَاتِ عَصَابَةٌ
 صَحِبُوا رَسُولَ الْفَنِّ لَا يَأْلُونَهُ
 دَفَعُوا الْعَوَائِقَ بِالثَبَاتِ، وَجَاوَزُوا
 إِنْ التَّعَاوُنُ قُوَّةٌ عُلوِيَّةٌ
 فَلْيَهْنِهِمْ؛ حَازَ التَّفَاتِكَ سَعِيهِمْ
 لَمْ تَبْدُ لِلْأَبْصَارِ إِلَّا غَارِسًا
 تَغْدُو عَلَى الْفَتْرَاتِ تَرْتَجِلُ النَّدَى
 فِي مَوْكِبٍ كَالْغَيْثِ سَارَ رِكَابُهُ

أَنْتِ اللُّوَاءُ التَّفِ قَوْمُكَ حَوَّلَهُ
مِنْ كُلِّ مِئْذَنَةٍ سَمِعْتَ مَحَبَّةً
وَيَتَأَلَّفَانِ عَلَى الْهَتَافِ، كَمَا انْبَرَى
وَالتَّاجُ يَجْعَلُهُ الشُّعُوبُ لِوَاءٍ
وَبِكُلِّ نَاقُوسٍ لَقِيْتَ دُعَاءَ
وَتَرَى، يُسَايِرُ فِي الْبَنَانِ غِنَاءَ

فِي دَارِ الْأُوبَرَا

«هذه القصيدة لم يتبين لي — على وجه اليقين — سبب إنشادها، وأحسبه نظمها لمناسبة احتفال في دار الأوبرا أقامته جمعية من جمعيات البر بأبناء السبيل»^{٢٢}

حَبَّبَا السَّاحَةَ وَالظِّلَّ الظَّلِيلُ
لَمْ تَزَلْ تَجْرِي بِهِ تَحْتَ الثَّرَى
صُنِعَ إِسْمَاعِيلَ، جَلَّتْ يَدُهُ
أَتْرَاهَا سُدَّةً مِنْ بَابِهِ
مَلْعَبُ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنَّهُ
شَهِدَ النَّاسُ بِهَا «عَائِدَةً»
وَأَتْتَنَفْنَا فِي ذَرَاهَا دَوْلَةً
أَيْنَعْتُ عَصْرًا طَوِيلًا، وَأَتَى
كَمْ ضَفَرْنَا الْغَارَ فِي مِحْرَابِهَا
كَمْ بَدُورٍ وَدَعْتُ يَوْمَ النَّوَى
رُبَّ عُرْسٍ مَرَّ لِلْبِرِّ بِهَا
ضَحِكَ الْأَيْتَامُ فِي لَيْلَتِهِ
وَالتَّقَى الْبَائِسُ وَالنُّعْمَى بِهِ
وَمَنْ الْأَرْضَ جَدِيدًا وَنَدِي
يَا شَبَابًا حُنْفَاءَ ضَمَّهِمْ
يَصْرِفُ الشَّبَانَ عَنْ وَرْدِ الْقَدَى
أَذْهَبُوا فِيهِ وَجِئُوا إِخْوَةً
لَا يَضُرُّنَا كَمَا قَلَّتْهُ
أَرْجَفْتُ فِي أَمْرِكُمْ طَائِفَةً

وثنَاءً فِي فَمِ الدَّارِ جَمِيلُ
لُجَّةُ الْمَعْرُوفِ وَالنَّيْلُ الْجَزِيلُ
كُلُّ بُنْيَانٍ عَلَى الْبَانِي دَلِيلُ
فَتَحَّتْ لِلْخَيْرِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ؟
لَيْسَ حِظُّ الْجِدِّ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ
وَشَجَى الْأَجْيَالِ مِنْ «فَرْدِي» الْهَدِيلِ
رَكْنُهَا السُّؤْدُ وَالْمَجْدُ الْأَثِيلُ
دُونَ أَنْ تُسْتَأْنَفَ الْعَصْرُ الطَوِيلُ
وَعَقْدِنَاهُ لِسَبَّاقِ أَصِيلِ
وَشَمُوسٍ شُيِّعَتْ يَوْمَ الرَّحِيلِ
مَاجٍ بِالْخَيْرِ وَالسَّمْحِ الْمُنِيلِ
وَمَشَى يَسْتَرْوِحُ الْبُرَّ الْعَلِيلِ
وَسَعَى الْمَأْوَى لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ
وَمَنْ الدُّورِ جَوَادٌ وَبِخِيلِ
مَنْزَلُ لَيْسَ بِمَذْمُومِ النَّزِيلِ
وَيُنْحِيهِمْ عَنِ الْمَرَعَى الْوَبِيلِ
بِعَضِّكُمْ خِدْنُ لِبَعْضِ وَخَلِيلِ
كُلُّ مَوْلُودٍ وَإِنْ جَلَّ ضَنْئِيلِ
تُبَّحُّ الظَّنُّ عَنِ الْإِنْصَافِ مِيلِ

اجعلوا الصبرَ لهم حِيَلْتَكُم
 أيريدون بكم أن تجمعوا
 حَلَّتْ الأَرْضُ من الهدْيِ، ومن
 فترى الأُسْرَةَ فَوْضَى، وترى
 لا تكونوا السَّيْلَ جَهْمًا حَشِنًا
 رَبِّ عَيْنِ سَمْحَةٍ خَاشِعَةٍ
 لا تُماروا النَّاسَ فيما اعتقدوا
 وإذا جئتم إلى ناديكمو
 هذه لِيَلْتَكُم في «الأوبرا»
 مَهْرَجَانُ طَوْفِ الهادي به
 وتجلت أوجهُ زَيْنها
 فكأن الليلَ بالفجر انجلى
 أيها الأجوادُ لا نحزيكمو
 رجلُ الأُمَّة يُرَجَى عنده
 إن دارا حُطَّتْموها بالنَّدَى

قَلَّتِ الحيلةُ في قالَ وقيل
 رِقَّةُ الدينِ إلى الخُلُقِ الهزيلِ؟!
 مُرشدٍ لِلنُّشْءِ كَفيْلِ
 نَشَأُ عن سَنَةِ البرِّ يَميلِ
 كلُّما عَبَّ، وكونوا السلسبيلِ
 رَوَّتِ العُشْبَ، ولم تنسَ النخيلِ
 كلُّ نفسٍ بكتابٍ وسبيلِ
 فاطرحوا خلفكمو العِباءَ الثقيلِ
 ليلةُ القدرِ من الشهرِ النبيلِ
 ومشى بين يديه جِبْرَائيلِ
 عُرِّرُ من لَمَحَةِ الخيرِ تَسيلِ
 وكانَ الدارَ في ظلِّ الأصيلِ
 لَذَّةُ الخيرِ مِنَ الخيرِ بَديلِ
 لجليلِ العَمَلِ العَوْنُ الجليلِ
 أخذتُ عهدَ النَّدَى ألاَّ تَميلِ

مَصْرَعُ بَطْرُسِ غَالِي بِاشَا

«حينما قُتِلَ بطرس غالي باشا في مصر برصاصة من يد إبراهيم الورداني في سنة ١٩١٠ هاجت النفوس، واستاء كثير من الأقباط، لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قبطي، فقال في ذلك:»

بني القَبِيطِ إخوانَ الدُّهورِ، رُوِيَذَكُم
 حملتُم لِحْكمِ اللهُ صَلَبَ (ابن مريم)
 سديدُ المرامي قد رماه مُسَدِّدُ
 ووالله، لو لم يُطْلِقِ النارَ مُطْلِقُ
 قضاءً، ومقدارُ، وأجالُ أَنفُسِ
 نبيدُ كما بادت قبائلُ قبلنا

هَبوه (يسوعًا) في البريةِ ثانيا
 وهذا قضاءُ اللهِ قد غَالَ (غاليا)
 وداهيةُ السَّوَّاسِ لاقى الدَّواهيا
 عليه؛ لأوْدَى فجأةً، أو تداويا
 إذا هي حانت لم تُؤخَّرْ ثوانيا
 ويبقى الأنامُ اثْنَيْنِ: مَيِّتًا، وناعيا!

وَنَبِيذُ أَسْبَابِ الشَّقَاقِ نَوَاجِيَا
وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَغَانِيَا؟
و(موسَى) و(طه) نَعْبُدُ النَيْلَ جَارِيَا؟
وَهَلَّا فَدَيْنَاهُ ضِفَافًا وَوَادِيَا؟
وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَقَدَمًا عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا

تَعَالُوا عَسَى نَطْوِي الْجَفَاءَ وَعَهْدَهُ
أَلَمْ تَكُ (مَصْرٌ) مَهْدَنَا ثُمَّ لَحْدَنَا
أَلَمْ تَكُ مِنْ قَبْلِ (الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمِ)
فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حَبَّةِ الْهَوَى
وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ
فَلَا يَثْنِكُمْ عَنْ ذِمَّةِ قَتْلِ (بَطْرُسِ)

تَحِيَّةُ غُلَيْوْمِ الثَّانِي لِصَلَاحِ الدِّينِ فِي الْقَبْرِ

وَيَنْدُبُهُمْ وَلَوْ كَانُوا عِظَامَا
فَتَى يُحْيِي بِمَدْحَتِهِ الْكِرَامَا
وَمَا يَجْزِيهِمْوَا إِلَّا كَلَامَا؟!
مَقَالًا مُرْضِيًا ذَاكَ الْمَقَامَا؟
تَعَهَّدَ فِي الثَّرَى مَلِكًا هُمَامَا
وَقَفَّتْ بِقَبْرِهِ كُنْتَ الْعَمَامَا
تَرَكْتَ الْجَلِيلَ فِي التَّارِيخِ عَامَا
وَأَيُّ مُمْلِكٍ تُهْدِي السَّلَامَا؟!
تَعَوَّدَ أَنْ يُلَاقِيَهُ قِيَامَا!
حَدَائِدَهَا، وَكَانَ هُوَ الْحُسَامَا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَنْ ضَمَدَ الْكِلَامَا
وَأَسْمَعْتَ الْمَمَالِكَ وَالْأَنَامَا
أُحِبُّكَ كَمَا كَانَ ذَاكَ أَمِ انْتِقَامَا؟
وَأَنْتَ أَبْرٌ أَنْ تُؤْذِيَ عِظَامَا
لِنَالِ بَحْدٍ صَارِمِهِ الدَّوَامَا

عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ يَبْكِي الْعِظَامَا
وَأَكْرَمُ مِنْ غَمَامٍ عِنْدَ مَحَلِّ
وَمَا عُذْرُ الْمُقْصِرِ عَنْ جِزَاءِ
فَهَلْ مِنْ مُبْلِغِ غُلَيْوْمٍ عَنِّي
رِعَاكَ اللَّهُ مِنْ مَلِكِ هُمَامٍ
أَرَى النَّسِيَانَ أَظْمَأَهُ، فَلَمَّا
تُقَرَّبُ عَهْدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى
أَتَدْرِي أَيُّ سُلْطَانٍ تُحْيِي
وَقَفْتَ بِهِ تُذَكِّرُهُ مُلُوكَا
وَكَمْ جَمَعْتُهُمْوَا حَرْبًا، فَكَانُوا
كِلَامًا لِلْبَرِيَّةِ دَامِيَا
فَلَمَّا قَلْتَ مَا قَدْ قَلْتَ عَنْهُ
تَسَاءَلَتِ الْبَرِيَّةُ وَهِيَ كَلْمِي
وَأَنْتَ أَجَلٌ أَنْ تُزْرِيَ بِمَيْتِ
فَلَوْ كَانَ الدَّوَامُ نَصِيبَ مَلِكٍ

سَمَا يُنَاغِي الشُّهُبَا
 كَالدَّيْدِبَانِ أَلْزَمُو
 شَيْعَ مِنْهُ مَرْكَبًا
 بَشَّرَ بِالِدَارِ وَبِأَلْـ
 وَحَطَّ بِالنُّورِ عَلَى
 كَالْبَارِقِ الْمُلِحِّ لَمْ
 يَارُبَّ لَيْلٍ لَمْ تَذُقْ
 بَتْنَا نُرَاعِيهِ كَمَا
 سَعَادَةٌ يَعْرِفُهَا
 مَشَى عَلَى الْمَاءِ، وَجَا
 وَقَامَ فِي مَوْضِعِهِ
 يَرْمِي إِلَى الظَّلَامِ طَرْ
 كَمْبُصِرَ أَدَارَ عَيْـ
 كَبَصِرَ الْأَعْشَى أَصَا
 وَكَالسِرَاجِ فِي يَدِ الْـ
 كَلِمَةِ مِنْ خَاطِرٍ
 مُجْتَنِبِ الْعَالَمِ فِي
 إِلَّا شِرَاعًا ضَلَّ، أَوْ
 هَلْ مَسَّهَا فَالْتَهَبَا؟
 هُ فِي الْبَحَارِ مَرْقَبَا
 وَقَامَ يَلْقَى مَرْكَبَا
 أَهْلِ السَّرَاةِ الْغُيْبَا
 لَوْحِ الظَّلَامِ: مَرْحَبَا
 يُوَلِّ إِلَّا عَقَّبَا
 فِيهِ الرُّقَادَ طَرْبَا
 يَرَعَى السَّرَاةَ الْكُوكِبَا
 فِي النَّاسِ مِنْ كَانَ أَبَا
 بَ كَالْمَسِيحِ الْعَبْيَا
 مُسْتَشْرِفًا مُنْقَبَا
 فَا حَائِرًا مُدْبِذْبَا
 نَا فِي الدُّجَى، وَقَلْبَا
 بَ فِي الظَّلَامِ، وَنَبَا
 رِيحٍ، أَضَاءً، وَخَبَا
 مَا جَاءَ حَتَّى ذَهَبَا
 عَزَلْتَهُ مُجْتَنِبَا
 فُلُكًا يُقَاسَى الْعَطْبَا

حارس الفنار ودلفين

وكان حارسُ الفنارِ
 رِ رَجُلًا مُهَذَّبًا

^٤ زيدت هذه في الطبعة الثانية.

يَهْوَى الحِياةَ، وَيُحِبُّ
أَتَتْ عَلَيْهِ سَنَوًا
لَمْ يَرَ فِيهَا زَوْجَهُ
وكان قد رعى الخطيبَ،
فقال: يا حارسُ، خَدِّ
من يُسَعِفُ النَّاسَ إِذا
ما النَّاسُ إِخْوَتِي وَلَا
... ..
أُنظِرِ إِلَيَّ، كَيْفَ أَقْضِي
قد عشتُ في خِدْمَتِهِمْ
كَم من غَرِيقٍ قَمْتُ عِنْدَ
وكان جَسْمًا هَامِدًا
وَكُنْتُ وَطْأْتُ لَهُ
حَتى أَتَى الشَّطْطُ، فَ
وَطَارِدُونِي، فإنْقَلَبْ
ما نَلْتُ مِنْهُمُ فِضَّةً
وما الجِزاءُ؟ لا تَسَلْ
أَلْقُوا عَلَيَّ شَبْكَا
واِتْخِذِ الصُّنْاعُ مِنْ
ولم يَزَلْ إِسْعافُهُمْ
ولم يَزَلْ سَجِيَّتِي
إِذا سَمِعْتُ صرْخَةً
لا أَجِدُ المُسْعِفَ
والمُسْعِفونَ في غِدِّ
يقول «رِضوانُ» لَهُم:
مُذْنِبُكُمْ قد عَفَرَ

العِيشَ سَهْلاً طَيِّباً
تُ مَبْعَدًا مُغْتَرِباً
ولا ابْنَهُ المَحَبِّباً
وَوَعَى ما خَطَباً
لِلَّ السُّخْطِ والتَّعْتَبِ
نُودِي كُلُّ فَأبَى؟
أَدُمُ كانَ لِي أبا
... ..
سِي لَهُمُ ما وَجَباً؟
ولا تَرانِي تَعِبا
عَدَّ رَأْسَهُ مُطَبِّباً
حَرَكَتُهُ فاضْطرباً
مَناكِبِي، فَركباً
بَشَّ مَنْ بِهِ وَرَحَباً
بُنْتُ خاسِراً مُخَيِّباً
ولا مُنِحْتُ ذَهَباً
كانَ الجِزاءُ عَجَباً!
وقَطَّعُونِي إِرباً
شَحْمِي زَيْتاً طَيِّباً
لِي الحِياةَ مَذْهَباً
وعَمَلِي المَحَبِّباً
طَرْتُ إِلَيْها طَرِباً
إِلا مَلْكَاً مُقَرَّباً
يؤَلِّفونَ مَوْكِباً
هَيَّأْ ادْخُلوها مَرحِباً
اللَّهُ لَهُ ما أَدْنَباً

القَمَرُ عَلَى آفاقِ كَلالِ رُومينَ لَيْلَةَ المَولِدِ النَّبَوِيِّ الأَسْني

فدَيْنَاهُ مِنْ زَائِرٍ مُرْتَقِبٍ فَمَا لِلوُجُودِ بِمَرَأَى عَجَبٍ
تَهْزُ الْجِبَالَ تَبَاشِيرُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفَ الطَّرُوبِ الطَّرِبِ
وَيُحَلِّي الْبَحَارَ بِلَأْلَائِهِ فَمِنَّا الْكُثُوسُ، وَمِنَ الْحَبِيبِ
مِنَارُ الْحَزُونِ إِذَا مَا اعْتَلَى مَنَارُ السَّهُولِ إِذَا مَا انْقَلَبِ
أَتَانَا مِنَ الْبَحْرِ فِي زُورِقٍ لُجَيْنًا مَجَازِيْفُهُ مِنْ نَهَبِ
فَقَلْنَا: سُلَيْمَانُ لَوْ لَمْ يَمُتْ وَفِرْعَوْنُ لَوْ حَمَلَتْهُ الشُّهْبِ
وَكَسَرَى وَمَا خَمَدَتْ نَارُهُ وَيُوسُفُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَشِبْ
وَهِيَهَاتُ! مَا تَوَجَّوْا بِالسَّنَا وَلَا عَرَشُهُمْ كَانَ فَوْقَ السُّحْبِ
أَنَافَ عَلَى الْمَاءِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجِبَالِ وَشُمُّ الْهَضْبِ
فَلَا هُوَ خَافٍ، وَلَا ظَاهِرٌ وَلَا سَافِرٌ، لَا، وَلَا مُنْتَقِبِ
وَلَيْسَ بِنَّاءٍ، وَلَا رَاحِلِ وَلَا بِالْبَعِيدِ، وَلَا الْمَقْتَرِبِ
تَوَارَى بِنِصْفِ خَلَالِ السُّحْبِ وَنِصْفِ عَلَى جَبَلٍ لَمْ يَغِبِ
يَجِدُّهَا آيَةً قَدْ خَلَتْ وَيَذْكُرُ مِيلَادَ خَيْرِ الْعَرَبِ

أثينا^٥

«أوفدته الحكومة المصرية إلى (أثينا) عاصمة اليونان لحضور مؤتمر المستشرقين، فقال يخاطبها:»

إِنْ تَسْأَلِي عَنِ مِصْرَ (حَوَاءِ) الْقَرْيِ وَقَرَارَةَ التَّارِيخِ وَالْآثَارِ
فَالصُّبْحُ فِي (مَنْفٍ) وَ(ثِيبة) وَاضِحٌ مَنْ ذَا يُلَاقِي الصُّبْحَ بِالْإِنْكَارِ؟
بِالْهَيْلِ مِنْ (مَنْفٍ) وَمِنْ أَرْبَاضِهَا مَجْدُوعٌ أَنْفٍ فِي الرِّمَالِ كُفَّارِي^{٢٣}
خَلَّتِ الدُّهُورُ وَمَا التَّقَتْ أَجْفَانُهُ وَأَتَتْ عَلَيْهِ كَلِيلَةٌ وَنَهَارُ
مَا فَلَّ سَاعِدَهُ الزَّمَانُ، وَلَمْ يَنْلُ مِنْهُ اخْتِلَافُ جَوَارِفٍ وَذَوَارِ
كَالدَّهْرِ لَوْ مَلَكَ الْقِيَامَ لِفَتْكَةِ أَوْ كَانَ غَيْرَ مُقْلَمِ الْأَظْفَارِ

^٥ نشرت بمجلة رمسيس سنة ١٩١٢.

شُمَّ على مَرِّ الزَّمانِ، كِبارٌ ٢٤
تكسوه ثوبَ الفَجْرِ وهَي عوارٍ
متطاوِلٍ في الجَوِّ كالإِعصارِ
ببدائعِ البِناءِ والحِفارِ
من حيلةِ المصلوبِ في المسمارِ
أخَفَّتْ مِنَ الأَعلاقِ والأَنْخارِ
يَجِدونَ أرواحَ ضَجَعَةٍ وقرارِ
والدهرُ دونَ سَريرِهِ بهجارِ
المنزِلونَ منازلَ الأَقمارِ
بعدَ الصَّيانِ إِزالةَ الأَسرارِ
إِلا بِأيدٍ في الرِّغامِ قِصارِ
ما بالهُمُ عُرِضُوا على النُّظارِ؟
قاموا لخالِقِهِم بغيرِ غُبارِ!

وثلاثَةٌ شبَّ الزمانُ حِيالها
قامت على النيلِ العَهيدِ عَهيدَةً
من كلِّ مركزٍ كَرُضوى في الثَّرى
الجَنُّ في جَنباتها مَطروقةٌ
والأَرْضُ أَضِيحُ حيلةً في نَزْعِها
تلك القبورُ أَضَنُّ من غَيْبِ بما
نام المُلوكُ بها الدُّهورَ طويلاً
كلُّ كأهلِ الكهفِ فوقَ سَريرِهِ
أَملاكُ مِصرَ القاهرونَ على الوَرى
هَتَكَ الزمانُ حِجابَهُم، وَأزالَهُم
هِيهاتَ! لم يَلْمَسْ جلالَهُمُ البلى
كانوا وظَرْفُ الدهرِ لا يسمُو لَهُم
لو أمهلوا حتى النُّشورِ بَدورِهِم

ذِكْرِي مُحَمَّدَ فَرِيدٍ

«أَلقيت في الاحتفال بالذكري الخامسة للمغفور له مُحَمَّدَ فَرِيدٍ بك سنة ١٩٢٤»

وَنُدني حَيالَ الأَمسِ وَهُوَ بَعِيدُ
عليهِنَّ غاؤِ، أو يَسيرُ رَشيدُ
تَحيرَ فيها الحَيُّ كيف يَسودُ
وإن لم يَفْتُننا في الحَقوقِ جَدِيدِ
وَأنتُمْ أَساسُ في البِناءِ وَطيدِ
مَجالِ الضحايا أَنْتَ فيه فَرِيدِ
ولا فَوْقَ ما قاسَيْتَ فيه مَزِيدِ
وَأنتَ بِأفاقِ البِلادِ شَرِيدِ
وَتَرزَحُ تحتِ الداءِ، وَهُوَ عَتِيدِ
من المِمالِ لم تَبخُلَ بِهِ، وتَلِيدِ

نُجِدُّ ذِكْرِي عَهديكم وَنُعِيدُ
وللناسِ في الماضي بَصاصِ يَهْتَدِي
إِذا الميْتُ لم يَكُرِّمُ بِأَرْضِ ثَنائِهِ
ونحنُ قِضاةُ الحَقِّ، نَرعى قَدِيمَهُ
ونَعلمُ أَنّا في البِناءِ دَعائِمُ
فَرِيدُ ضحايانا كَثيرُ، وإِنما
فما خَلَفَ ما كابدتَ في الحَقِّ غايَةَ
تَعَرَّيتَ عَشراً أَنْتَ فيهِنَّ بائِسُ
تَجوعُ بِبُلدانِ، وتَعَرى بِغيرِها
أَلا في سَبيلِ اللّهِ والحَقِّ طارِفُ

إِذَا جَزَعَ الْمُحْضُورُ وَهُوَ يَجُودُ
عَلَى سِرِّهِ نَبْنِي الْعُلَا، وَنَشِيدِ
وَكَيْفَ يُحَامِي دُونَهُ، وَيَذُودِ

وَجُودُكَ بَعْدَ الْمَالِ بِالنَّفْسِ صَابِرًا
فَلَا زِلْتِ تَمَثَالًا مِنَ الْحَقِّ خَالِصًا
يُعَلِّمُ نَشَاءَ الْحَيِّ كَيْفَ هَوَى الْحَمِيِّ

النَّخِيلُ مَا بَيْنَ الْمُنتَزِهِ وَأَبِي قَيْرٍ

«نظمها بالإسكندرية في صيف سنة ١٩٣١»

وَشَقُّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبٍ
ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَدَبٍ
وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْعُرْبُ
نَمَتْ وَرَبَّتْ فِي ظِلَالِ الْكُتُبِ
لَيْلَةٍ، أَوْ كَالْفَنَارِ وَرَاءَ الْعَيْبِ
إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ ذَهَبِ
وَجَرَ الْأَصِيلُ عَلَيْهَا اللَّهَبِ
مِنَ الصَّوْحِيِّ، أَوْ مِنْ حَوَاشِي السُّحُبِ
مِنَ الْقَصْرِ وَأَقْفَةً تَرْتَقِبُ
مُفَصَّلَةً بِشُذُورِ الذَّهَبِ
عَلَى الصَّدْرِ، وَتَشَحَّتْ بِالْقَصَبِ
تَعَقَّدَ مِنْ رَأْسِهَا لِلذَّنْبِ
أَمِيرُ الْحَقُولِ، عَرُوسُ الْعَزْبِ؟
وَزَادَ الْمَسَافِرِ وَالْمُغْتَرِبِ؟
وَلَا قَصَّرَتْ نَخَلَاتُ التُّرْبِ
وَلَمْ يَحْتَفَلْ شِعْرَاءُ الْعَرَبِ؟!
ئِدْ مِنْ وَصْفِكُنَّ، وَعُطِّلِ الْكُتُبِ؟
كَأَنَّ أَعْمَالِيكُنَّ الْعَيْبِ
جَنَاهَا بِجَانِبِ أُخْرَى حَلَبِ
حَسَانُ الدُّمَى الزَّائِنَاتُ الرَّحَبِ

أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبُ
مَادُنٌ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ
وَلَيْسَ يُوَدُّنُ فِيهَا الرِّجَالُ
وَبِاسْقَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرِّمَالِ
كَسَارِيَةِ الْفُلْكِ، أَوْ كَالْمَسِ
تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الْكَثِيبِ
تُخَالُ إِذَا اتَّقَدَتْ فِي الضُّحَى
.. وَطَافَ عَلَيْهَا شُعَاعُ النَّهَارِ
... وَصَيْفَةٌ فَرَعُونَ فِي سَاحَةِ
قَدْ اعْتَصَبَتْ بِفُصُوصِ الْعَقِيقِ
وَنَاطَتْ قَلَائِدَ مَرْجَانِهَا
وَشَدَّتْ عَلَى سَاقِهَا مِئْزَرًا
أَهَذَا هُوَ النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ
طَعَامُ الْفَقِيرِ، وَحَلْوَى الْغَنِيِّ
فِيَا نَخْلَةَ الرِّمْلِ، لَمْ تَبْخَلِي
وَأَعَجَبُ: كَيْفَ طَوَى ذِكْرُكُنَّ
أَلَيْسَ حَرَامًا خُلُوُّ الْقِصَا
وَأَنْتِنَّ فِي الْهَاجِرَاتِ الظُّلَالِ
وَأَنْتِنَّ فِي الْبَيْدِ شَاةُ الْمُعِيلِ
وَأَنْتِنَّ فِي عَرَصَاتِ الْقِصُورِ

جناكَن كالكُرْمِ شَتَى المذاقِ وكالشَّهْدِ في كل لون يُحَبِّ

الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ

«نظمها بالإسكندرية في صيف سنة ١٩٣١»

بالرَّمالِ النُّواعِمِ البِيضِ مُعْرَى؟!
 هَرُ في سُوْقِهِ يُباعُ وَيُشْرَى
 فكسا مِعْصَمًا، وأخَرُ عَرَى
 قوتَ نَحْرًا، وَقَلَدَ الماسِ نَحْرًا
 وَبِنانًا من الخواتِمِ صِفْرًا
 وسوارًا من زُنْدِ حَسَناءَ فَرًّا
 وَجُمَانًا حَوَالِي المائِ نَثْرًا
 صَدَفِ، حُمْلًا رَفِيْفًا وَدُرًّا
 مُنْزَعُ المِهْرَجانِ لَمَحًا وَعَطْرًا
 من ربيعِ الرُّبى، وَأفْتَنُ زُهْرًا
 طارِحَ البَحْرَ والطَّبِيعَةَ شعرا
 بهما حُلِيَّتِ مِعْصِمُ مِصْرًا
 وعلى لَمَحَةِ الأَصائِلِ تَبْرًا
 في حَواشِيهِما يواقيتُ زُهْرًا
 رِيحَ والطيرِ والشياطينِ حَشْرًا^{٢٥}
 (نَ) تَعُدُّ الخُطى اختيالًا وَكِبْرًا
 راهبُ طاف في الأناجيلِ يَقْرًا
 قد عرفنا له، ولا مُسْتَقْرًا
 ظَلَّ في خاطرِ المَلْحَنِ سِرًّا
 لكِ يا أَرْفَعِ الزواجرِ ذِكْرًا
 ضَيَّ نَبْشًا، وتَقْتُلُ الأَمْسَ فِكْرًا
 وقرأنا الكتابَ سَطْرًا فَسَطْرًا

أَمِنَ البَحْرِ صائِعُ عِبْقَرِي
 طاف تحت الضُّحَى عليهنَّ، والجو
 جِئَنَّهُ في مِعْصِمِ ونُحورِ
 وَأبى أَنْ يُقَلَدَ الدَّرَّ واليا
 وترى خاتِمًا وراءَ بِنانِ
 وسوارًا يَزِينُ زُنْدَ كَعابِ
 وترى الغِيدَ لُولُوا ثَمَّ رَطْبًا
 وكانَ السَّماءَ والماءَ شَقًّا
 وكانَ السَّماءَ والماءَ عُرْسُ
 أو رَبِيعُ من ريشِ الفَنِّ أبهى
 أو تهاويلُ شاعرِ عِبْقَرِي
 يا سوارِي فَيَرُوزِجَ ولَجِينِ
 في شُعاعِ الضُّحَى يعودانِ ماسًا
 وَمَشَتْ فيهِما النُّجومُ فكانتِ
 لكِ في الأرضِ موكبُ ليس يَألو الـ
 سِرَّتْ فيهِ على كنوزِ (سُلَيْمِ)
 وتَرَنَّمَتْ في الرِكابِ، فقلنا
 هو لحنُ مُضَيِّعٍ، لا جوابًا
 لكِ في طيِّهِ حَديثُ غرامِ
 قد بعثنا تحيَّةً وثناءً
 وغشيناك ساعةً تَنْبُشُ الما
 وفتحنا القَدِيمَ فيكَ كتابًا

فَلَمَحْنَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَجْرًا
 (نَ)، وَيُونَانَ تَقْبِسُ الْعِلْمَ مِصْرًا
 عِبْقَرِيًّا، وَتِلْكَ بِالْفَنِّ سِحْرًا
 مِ عَلَى بَرْقِهِ الْمُلْمَحِ يُسْرَى
 وَأَدِيمِ الشَّبَابِ طَيْبًا وَبِشْرًا
 ءِ، وَجَرَّ الْأَصِيلُ وَالصَّبْحُ تَبْرًا
 مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَافْتَرَّ تَغْرًا
 كِلَّةً تَارَةً وَيَرْفَعُ سِتْرًا
 مَاضِيَاتٍ تَلْفُ بِالسَّهْلِ وَعَرَا
 فِي الْمَهَاوِي، وَقَامَ يَطْفُرُ صَخْرًا
 رَكِبَ الْوَكْرُ فِي نَوَاحِيهِ وَكْرًا
 وَتَرَى رَبَوَةً تَزِينُ مِصْرًا
 وَ(عَلِيٍّ) وَرَاءَ مَائِكَ ذِكْرِي! ٢٦
 رَ ٢٧ كَشْمُ الْجِبَالِ جُنْدًا وَوَفْرًا!
 رَ بِمِلْمُومَةٍ، وَيَدْخُلْنَ مِصْرًا
 ءِ كَنْسَرُ يَشْدُ فِي السُّحْبِ نَسْرًا
 وَتَسْدُ الْفِجَاجَ كَرًّا وَفْرًا ...
 زَحَفَتْ غَابَةً لِتَمْزِيقِ أُخْرَى!
 وَرَمَتْ هَهُنَا عَوَاءَ وَظَفْرًا
 رَ، فَلَا حَطَّ يَوْمَهَا لَكَ قَدْرًا

وَنَشْرْنَا مِنْ طِيَّهِنَّ اللَّيَالِي
 وَرَأَيْنَا مِصْرًا تُعَلِّمُ (يُونَا
 تِلْكَ تَأْتِيكَ بِالْبَيَانِ نَبِيًّا
 وَرَأَيْنَا الْمَنَارَ فِي مَطْلَعِ النَّجْ
 شَاطِئُ مِثْلُ رُقْعَةِ الْخُلْدِ حُسْنًا
 جَرَّ فَيُرْوَزَجًا عَلَى فِضَّةِ الْمَا
 كَلَّمَا جِنَّتُهُ تَهَلَّلَ بِشْرًا
 إِنْتَنَى مَوْجَةً، وَأَقْبَلَ يُرْخِي
 شَبَّ وَانْحَطَّ مِثْلَ أُسْرَابِ طَيْرِ
 رُبَمَا جَاءَ وَهْدَةٌ فَتَرْدَى
 وَتَرَى الرَّمْلَ وَالْقَصُورَ كَأَيْكَ
 وَتَرَى جَوْسَقًا يُزِينُ رَوْضًا
 سَيِّدَ الْمَاءِ، كَمْ لَنَا مِنْ (صَلَاحِ)
 كَمْ مَلَأْنَاكَ بِالسَّفِينِ مَوَاقِيـ
 شَاكِيَاتِ السَّلَاحِ يَخْرُجْنَ مِنْ مِصـ
 شَارِعَاتِ الْجَنَاحِ فِي ثَبَجِ الْمَا
 وَكَأَنَّ الْجُجَاجَ حِينَ تَنْزَى
 ... أَجْمٌ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 قَذَفَتْ هَهُنَا زَنْبِيرًا وَنَابَا
 أَنْتَ تَغْلِي إِلَى الْقِيَامَةِ كَالْقَدِّ

قَفَّ حَيِّ شُبَّانَ الْحِمَى

«نظمها في الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم في أوروبا»

قَبَلَ الرَّحِيلِ بِقَافِيَةٍ
 فِي الصَّالِحَاتِ الْبَاقِيَةٍ
 لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ خَافِيَةٍ

قَفَّ حَيِّ شُبَّانَ الْحِمَى
 عَوَّدَتْهُمْ أَمْثَالَهَا
 مِنْ كُلِّ ذَاتِ إِشَارَةٍ

قل: يا شباب، نصيحة
هل راعكم أن المدا
هُجرتُ فكلُّ خَلِيَّةٍ
وتعطلتْ هالاتها
غَدَتِ السياسةُ وَهِيَ آ
فهجرتُمُ الوطنَ العز
أنتم غداً في عالمٍ
واريتُ فيه شَبِيبَتِي
ما كنتُ ذا القلبِ الغليدِ
سَيروا به تتعلَّموا
وتأمَّلوا البُنْيَانَ، وأدِّك
ذوقوا الثمارَ جَنِيَّةً
واقضُوا الشبابَ؛ فإنَّ سا
واللهِ لا حَرَجَ عليـ
أو في اشتِهاءِ السُّحْرِ من
أو في المسارِحِ فَهِيَ بالنَّـ

مما يُزَوِّدُ غاليه
رسَ في الكنانةِ خاويَه؟
من كلِّ شُهْدِ خاليه
منكم، وكانت حالیه
مرة عليها ناهیه
يزِلُ إلى البلادِ القاصیه
هو والحضارةُ ناجیه
وقضيتُ فيه ثمانیه
ظ، ولا الطباعِ الجافیه
سرَّ الحياةِ العالیه
روا الجهودَ البانيه
ورِدُوا المناهِلَ صافیه
عته القصيرةَ فانيه
كم في حديثِ الغانيه
لَحَظِ العيونِ الساجیه
فُسِ اللطيفَةِ راقیه

ثَنَى عِطْفِيَهُمَا الْهَرَمَانَ تِيهَا

«وقال يحيى الملك فؤاد في إبَّانِ زيارته للجيزة في ديسمبر سنة ١٩٣٠»

بأرضِ الجيزة اجتازَ الغَمَامُ
وزار رياضَ إِسْمَاعِيلَ غَيْثُ
ثَنَى عِطْفِيَهُمَا الْهَرَمَانَ تِيهَا
هَلْمِي مَنْفُ؛ هذا تاجُ خوفو
نَمْتُهُ من بني فرعونَ هامُ
تألَّقَ في سماءكِ عبقرياً
ترعرعتِ الحضارةُ في حلاه

وحلَّ سماءها البدرُ التمام
كوالده له المِنَّنُ الجِسام
وقال الثالثُ الأَدْنَى: سلام
كقَرِصِ الشمسِ يَعْرِفُهُ الأَنام
ومن خلفاءِ إِسْمَاعِيلِ هام
عليه جلالَةٌ، وله وسام
وشبَّ على جواهره النظام

ونال الفنُّ في أولى الليالي
 مشى في جيزة الفسطاط ظلَّ
 إذا ما مسَّ تُربًا عاد مسًّا
 وإن هو حلَّ أرضًا قام فيها
 فمدرسةٌ لحرب الجهل تُبنى
 ودارٌ يُستغاثُ بها فيمضي
 أساةُ جراحةٍ حينًا، وحينًا
 وأحواضُ يراضُ النيلُ فيها
 أبا الفاروقِ، أقبَلنا صُفوفًا
 إلى البيتِ الحرامِ بك اتَّجھنا
 طلعتَ على الصعيدِ فهشَّ حتى
 ركابٌ سارتِ الآمالُ فيه
 فماذا في طريقك من كُفور
 كأن الراقدين بكل قاع
 لقد أزمَ الزمانُ الناسَ، فانظُرْ
 وبعْدَ غدٍ يُفارقُ عامٌ بؤسِ
 يدورُ بمصرَ حالًا بعدَ حالٍ
 ومصرُ بناءٌ جدُّك لم يُتمِّم
 فلسنا أمةً قعدتْ بشمس
 ولكن همةً في كلِّ حينٍ
 نرومُ الغايةَ القُصوى، فنمضي
 ونقصرُ خطوةً، ونمدُّ أخرى
 ونصبرُ للشدائدِ في مقامٍ
 فقوِّ حضارةَ الماضي بأخرى
 ترفُّ صحائفُ البرديِّ فيها
 رعتك وواديًا ترعاه عنا
 فإن يك تاجُ مصرَ لها قوامًا
 وأخراهنَّ عزًّا لا يُرام
 كظلِّ النيلِ بلُّ به الأوام
 ونافسَ تحته الذهبَ الرغام
 جدارٌ للحضارةِ أو دِعام
 ومُسْتَشْفَى يُذادُ به السقام
 إلى الإسعافِ أنجادُ كرام
 ميازيبُ إذا انفجر الضَّرام
 وكلُّ نجيبةٍ ولها لجام
 وأنت من الصفوفِ هو الإمام
 ومصرُ - وحققها - البيتُ الحرام
 علا شفتي أبي الهول ابتسام
 وطافَ به التلفتُ والرَّحام
 أجلُّ من البيوتِ بها الرِّجام؟
 همُّ الأيقاظُ، واليقظى النِّيام
 فعندك تُفرِّجُ الإزمُ العظام
 ويخلفه من النعماءِ عام
 زمانٌ ما لحاليه دوام
 أليس على يدك له تمام؟
 ولا بلدًا بضاعته الكلام
 يشدُّ بناءها المليكُ الهمام
 وأنت على الطريق هو الزَّمام
 وتلجئنا المسافةُ والمرام
 ويغلبنا على صبر مقام
 لها زهوٌ بعصركِ وأتسام
 وينطقُ في هياكلها الرُّخام
 من الرحمنِ عينٌ لا تنام
 فمصرُ لتاجها العالی قوام

أثينا

لِتَهْنَأَ مِصْرُ، وَلِيَهْنَأَ بَنُوها فَبِينَ الرَّأْسِ وَالْجِسْمِ التَّئَامِ

الْأَمِيرَةُ فَتْحِيَّةُ

«وقال في برقية يهنئ الأميرة السابقة فتحية»

فَتْحِيَّةٌ دُنِيَا تَدُوْمُ، وَصِحَّةٌ تَبْقَى، وَبِهَجَّةُ أُمَّةٍ، وَحَيَاةُ
مَوْلَايَ إِنَّ الشَّمْسَ فِي عَلِيَّاتِها أُنْنَى، وَكُلُّ الطَّيْبَاتِ بَنَاتُ!

تَهْنِئَةٌ

«وقال يهنئ الدكتور علي باشا إبراهيم بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية سنة ١٩٣٠»

يَدُ الْمَلِكِ الْعَلَوِيِّ الْكَرِيمِ عَلَى الْعِلْمِ هَزَّتْ أَخَاهُ الْأَدِيبُ
لِسَانُ الْكِنَانَةِ فِي شُكْرِها وَمَا هُوَ إِلَّا لِسَانُ الْعَرَبِ
قَضَتْ مِصْرُ حَاجَتِها يَا (عَلِيٌّ) وَنَالَتْ، وَنَالَ بَنُوها الْأَرْبُ
وَهَنَّاتُ بِالرُّتْبِ الْعَبْقَرِيِّ وَهَنَّاتُ بِالْعَبْقَرِيِّ الرَّتْبِ
عَلِيٌّ، لَقَدْ لَقَّبْتِكَ الْبِلَادُ بِأَسِي الْجِرَاحِ، وَنِعْمَ اللَّقَبُ
سِلَاحُكَ مِنْ أَدَوَاتِ الْحَيَاةِ وَكُلُّ سِلَاحٍ أَدَاةُ الْعَطَبِ
وَلِفِظُكَ (بَنْجُ)، وَلَكِنَّهُ لَطِيفُ الصَّبَا فِي جُفُونِ الْعَصَبِ
أَنَامِلُ مِثْلُ بَنَانِ الْمَسِيحِ وَأَوَاسِي الْجِرَاحِ، مَوَاحِي النَّدْبِ
تَعَالِجُ كَفَاكَ بؤْسِ الْحَيَاةِ وَكَفَّ تَهَبُ وَفَوْقَهُمَا لَا يَقْرُ الذَّهَبُ
وَيَسْتَمْسِكُ الدَّمُ فِي رَاحَتَيْكَ فَلَم يَرِ وَجْهَكَ إِلَّا هَرَبَ!

يَا قَاهِرَ الْعَرَبِ الْعَتِيدِ

«وقال في حفل تكريم البطل العالمي في حمل الأثقال السيد نصير، في ديسمبر سنة ١٩٣٠»

شَرَفًا نَصِيرُ، ارْفَعْ جَبِينَكَ عَالِيًا وَتَلَقَّ مِنْ أَوْطَانِكَ الْإِكْلِيلَا

وَمُنِحْتَ مِنْ عَطْفِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَا
 لَمْ يَبْنُغْ مِنْ قَصَبِ الرَّهْمَانِ بَدِيلَا
 عُرْرًا تَسِيلُ إِلَى الْمَدَى وَحُجُولَا
 وَيَرَوُّا عَلَى أَعْرَافِكَ الْمِنْدِيلَا
 يَبْغِي الْمُغَامِرُ عَالِيَا وَجَلِيلَا
 لَيْسَ التَّوَسُّطُ لِلنُّبُوغِ سَبِيلَا
 بِنَاءِ مِصْرَ عَلَى الشَّفَاهِ جَمِيلَا
 فِي الْبَاسِ تَرْفَعُ فِي الْفَضَاءِ الْفِيلَا!
 جَعَلَ الْحَدِيدَ لِسَاعِدَيْكَ ذَلِيلَا
 وَطَرَحْتَهُ أَرْضَا، فَصَلَّ صَلِيلَا
 تَتَلُو عَلَيْهِ وَتَقْرَأُ التَّنْزِيلَا؟
 فَاصْطِدْمِ بِرُكْنِكَ رُكْنَهَا لِيَمِيلَا
 فَتَمَشَّ فِي أَرْكَانِهَا لِتَزُولَا
 أَحْمَلْتَ إِنْسَانًا عَلَيْكَ ثَقِيلَا؟
 أَحْمَلْتَ يَوْمًا فِي الضُّلُوعِ غَلِيلَا؟
 أَوْ كَاشِحٍ بِالْأَمْسِ كَانَ خَلِيلَا؟
 وَاللَّيْلِ، مِنْ مُسَدِّ إِلَيْكَ جَمِيلَا؟
 أَوْ نَالَ مِنْ جَاهِ الْأُمُورِ قَلِيلَا؟
 مِنْ سَامِعِيهِ الْحَمْدَ وَالتَّبْجِيلَا؟
 وَزْنَ الْحَدِيدِ بِهَا فَعَادَ ضَنْبِيلَا!

يَهْزِيكَ مَا أُعْطِيَتْ مِنْ إِكْرَامِهَا
 الْيَوْمَ يَوْمَ السَّابِقِينَ، فَكُنْ فَتَّى
 وَإِذَا جَرَيْتَ مَعَ السَّوَابِقِ فَاقْتَحِمْ
 حَتَّى يَرَاكَ الْجَمْعُ أَوَّلَ طَالِحِ
 هَذَا زَمَانٍ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَهُ
 كُنْ سَابِقًا فِيهِ، أَوْ آتَى بِمَعْزِلِ
 يَا قَاهِرَ الْغَرْبِ الْعَتِيدِ، مَلَأْتَهُ
 قَلْبَتْ فِيهِ يَدًا تَكَادُ لِشِدَّةِ
 إِنْ الَّذِي خَلَقَ الْحَدِيدَ وَبِأَسِهِ
 زَحْزَحْتَهُ، فَتَخَاذَلْتُ أَجْلَادُهُ
 لِمَ لَا يَلِينُ لَكَ الْحَدِيدُ، وَلَمْ تَزَلْ
 الْأَزْمَةَ أَشْتَدَّتْ وَرَانَ بِلَاؤُهَا
 (شَمَشُونَ) أَنْتِ، وَقَدْ رَسَتْ أَرْكَانُهَا
 قَلْ لِي نُصَيِّرُ وَأَنْتِ بَرٌّ صَادِقُ
 أَحْمَلْتَ دَيْنًا فِي حَيَاتِكَ مَرَّةً؟
 أَحْمَلْتَ ظُلْمًا مِنْ قَرِيبٍ غَايِرِ
 أَحْمَلْتَ مَنَا بِالنَّهَارِ مُكْرَرًا
 أَحْمَلْتَ طُغْيَانَ اللَّئِيمِ إِذَا اغْتَنَى
 أَحْمَلْتَ فِي النَّادِي الْغَيْبِيِّ إِذَا التَّقَى
 تَلِكِ الْحَيَاةِ، وَهَذِهِ أَثْقَالُهَا

ابْنُ زَيْدُون

«أنشأها ترحيباً بديوان ابن زيدون، حين ظهر مطبوعاً لأول مرة في مصر، بعناية الأستاذ الأديب كامل كيلاني»

يَا ابْنَ زَيْدُونَ، مَرْحَبَا
 إِنْ دِيوَانِكَ الَّذِي
 قَدْ أَطَلْتَ التَّغْيِبَا
 ظَلَّ سَرًّا مُحَجَّبَا،

يَشْتَكِي الْيُتِمَ دُرَّهُ ... صار في كل بلدة
جاءنا «كامل» به
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبًا
أنت في القول كله
بأبي أنت هيكلًا
شاعرًا أم مصورًا
ترسل اللحن كله
أحسن الناس هاتفا
ونزيل المتوج
كم سقاهم بشعره
ومن المذح ما جرى
وإذا الهجو هاجه
وراه رذيلة
ما رأى الناس شاعرا
دس للناشقين في
جلت في الخلد جولة
صف لنا ما وراءه
ونعيم ونضرة
وصف الحور موجزا
قم ترى الأرض مثلما
وترى العيش لم يزل
وترى ذاك بالذي
إن مروان عصابة
طوفوا الأرض مشرقا
هالة أطلعتك في
أنت للفتح تنتمي

ويُقاسى التَّغْرِبَا ...
للألباء مَطْلِبَا
عربيًا مُهْدَبَا
وترى الشرح أعجبا
أجملُ الناس مَذْهَبَا
من فنون مُرْكَبَا
كنت، أم كنت مُطْرَبَا؟
مُبدِعًا فيه، مُغْرِبَا
بالغواني مُشَبَّبا
سين، النديم المُقْرَبَا
مِدْحَةً أَوْ تَعْتَبَا
وأذاع المناقبا
لمُعاناته أباي
لا تُماشِي التَّأدُّبَا
فاضل الخلق طيبًا
زَنَبَقِ الشَّعْرِ عَقْرَبَا
هل عن الخلد من نبا؟
من عيون، ومن رُبي
وظلال من الصِّبَا
وإذا شئت مُطْنَبَا
كنتمو أمس مَلْعَبَا
لبني الموت مأربا
عند هذا مُعَذِّبَا
يَصْنَعُونَ الْعَجَائِبَا^{٢٨}
بالأيادي ومغربا
زروة المجيد كوكبا
وكفى الفتح منصبا

لستُ أَرْضَى بغيره لكَ جَدًّا ولا أبا

البُّبْلُ الغَرْدُ الَّذِي هَزَّ الرُّبَى

«أُنشِدَتْ في الحفلة التي أقامتها رابطة الأدب الجديد، تكريمًا للشاعر الأستاذ «محمود أبو الوفا»، وكانت هذه القصيدة سببًا إلى عناية الحكومة المصرية وقتئذ بالشاعر — أبي الوفا — وتسفيره إلى أوربا لعمل رجلٍ صناعية بدل ساقه المبتورة!»

وَعِصَابَةٌ بِالْخَيْرِ أُلْفُ شَمْلُهُمْ	والخيرُ أفضلُ عُصْبَةٌ ورفاقا
جَعَلُوا التَّعَاوَنَ وَالْبِنَايَةَ هَمَّهُمْ	واستنهضوا الآدابَ والأخلاقا
وَلَقَدْ يُدَاوُونَ الْجِرَاحَ بِبِرِّهِمْ	ويُقَاتِلُونَ البؤسَ والإملاقا
يَسْمُونَ بِالْأَدَبِ الْجَدِيدِ، وَتَارَةً	يَبْنُونَ لِلْأَدَبِ الْقَدِيمِ رِوَاقا
بَعَثَ اهْتِمَامُهُمْ، وَهَاجَ حَنَانُهُمْ	زَمَنٌ يُثِيرُ العطفَ والإشفاقا
عَرَضَ القَعُودُ فَكَانَ دُونَ نُبوغِهِ	قَيْدًا، وَدُونَ حُطَى الشَّبَابِ وَثَاقا
البُّبْلُ الغَرْدُ الَّذِي هَزَّ الرُّبَى	وَسَجَى الغصونَ، وَحَرَكَ الأورَاقا
حَلَفَ البَهَاءُ عَلَى القَرِيضِ وَكَأْسِهِ	فَسَقَى بَعْدَ نَسِيبِهِ العُشَاقا
فِي القَيْدِ مُمْتَنِعُ الحُطَى، وَخِيَالِهِ	يَطْوِي البِلَادَ وَيَنْشُرُ الآفَاقا
سَبَّاقُ غَايَاتِ البَيَانِ جَرَى بِلَا	سَاقٍ، فَكَيْفَ إِذَا اسْتَرَدَّ السَّاقَا؟! ...
لَوْ يَطْعَمُ الطَّبُّ الصَّنَاعَ بَيَانَهُ	أَوْ لَوْ يُسِيخُ لِمَا يَقُولُ مَذَاقَا ...
... غَالِي بَقِيمَتِهِ، فَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ	إِلَّا الجَنَاحَ مُحَلَّقًا خَفَّاقَا!

خَلِيلُ مَطْرَانَ^٦

«نظمها لتُنشَدُ في حفلة أقيمت بدار الجامعة المصرية في ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ لتكريم الشاعر خليل مطران؛ لمناسبة إنعام الخديو عباس حلمي الثاني عليه بوسام، وكانت الحفلة برياسة الأمير محمد علي توفيق شقيق الخديو.»

^٦ زيدت هذه في الطبعة الثانية.

وَأَبْنَاءُ الْكَرِيمِ كِرَامُ
 طَلَعَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ
 وَبَيَانُهُ لِلْمَشْرِقَيْنِ وَسَامُ
 وَلَهُ الْقَائِدُ سَمَطُهَا الْإِلْهَامُ
 كَرَمٌ، وَخَشْيَةٌ مُؤْمِنٍ، وَذِمَامُ
 حَلَاةٍ فَضْلُ اللَّهِ وَالْإِنْعَامُ
 لِخِلَالِكَ التَّشْرِيفِ وَالْإِكْرَامِ؟!
 لَوْلَاكَ لاضْطَرَبْتَ لَهُ «الْأَهْرَامُ»؟!
 لَكَ فِي الضَّمَائِرِ مَحْفِلٌ وَمَقَامُ
 وَسَعَى إِلَيْكَ يَحْفَهُ الْإِعْظَامُ
 بِكَ فِيهِ، وَاعْتَزَّتْ بِكَ الْأَقْلَامُ
 هَيْهَاتَ يَذْهَبُ لِلْمُلُوكِ كَلَامُ!
 نَسَبٌ تُضِيءُ بِنُورِهِ الْيَأْمُ؟
 يَوْمًا، وَأَثَارُ الْخَلِيلِ قِيَامُ!

لُبْنَانُ، مَجْدُكَ فِي الْمَشَارِقِ أَوَّلُ
 وَنُبُوكِ الْأَطْفُ مِنْ نَسِيمِكَ ظَلُّهُمْ
 أَخْرَجْتَهُمُ لِلْعَالَمِينَ جَحَاجِحًا
 بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ أَفْقِ زَاهِرِ
 هَذَا أَدِيبُكَ يُحْتَفَى بِوَسَامِهِ
 وَيُجَلُّ قَدْرُ قِلَادَةٍ فِي صَدْرِهِ
 صَدْرٌ حَوَالِيهِ الْجَلَالُ، وَمِلْؤُهُ
 حَلَاةٌ إِحْسَانُ الْخَدِيوِ، وَطَالَمَا
 لِعُلَاكَ يَا مُطْرَانُ، أَمْ لِنَهَاكَ، أَمْ
 أَمْ لِلْمَوَاقِفِ لَمْ يَقْفَهَا ضَيْعَمُ
 هَذَا مَقَامُ الْقَوْلِ فِيكَ، وَلَمْ يَزَلْ
 غَالِيً بِقِيَمَتِكَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ
 فِي مَجْمَعِ هَذَا الْبَيَانِ لَوَاءَهُ
 ابْنُ الْمُلُوكِ تَلَا الثَّنَاءَ مَخْلَدًا
 فَمِنْ الْبَشِيرِ لِبُعْلَبِكَ وَبَيْنَهَا
 يَبْلَى الْمَكِينُ الْفَحْمُ مِنْ آثَارِهَا

غَانِدي

«أنشأها تحية لغاندي الزعيم الهندي المشهور، حين مروره بمصر سنة ١٩٣١، في طريقه إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن»

وَحَيُّوا بَطَلَ الْهِنْدِ
 حَقُوقَ الْعِلْمِ الْفَرْدِ
 وَعَرُكَ الْمَوْقِفِ النَّكْدِ
 وَفِي الْمَطْلَبِ، وَالْجُهْدِ
 وَفِي النَّفْيِ مِنَ الْمَهْدِ
 وَفِي مَرَحَلَةِ الْوَفْدِ

بَنِي مِصْرَ، ارْفَعُوا الْغَارِ
 وَأَدُّوا وَاجِبًا، وَاقْضُوا
 أَحُوكُمْ فِي الْمَقَاسَاةِ
 وَفِي التَّضْحِيَةِ الْكَبْرَى
 وَفِي الْجَرْحِ، وَفِي الدَّمْعِ
 وَفِي الرَّحَلَةِ لِلْحَقِّ

قَفُوا حَيُّوهُ مِنْ قَرْبٍ وَعَطُّوا الْبَرَ بِالْأَسِ
 عَلَى إِفْرِيزٍ (رَاجِبُوتَا نَبِيٍّ مِثْلُ) (كُونْفَشِيُو
 قَرِيبُ الْقَوْلِ وَالْفَعْلِ شَبِيهِ الرِّسْلِ فِي الذُّوْدِ
 لَقَدْ عَلَّمَ بِالْحَقِّ وَنَادَى الْمَشْرِقَ الْأَقْصَى
 وَجَاءَ الْأَنْفَسَ الْمَرْضَى دَعَا الْهِنْدُوسَ وَالْإِسْلَامَ
 بِسِحْرِ مَنْ قَوَى الرُّوحَ وَسُلْطَانَ مِنَ النَّفْسِ
 وَتَوَفِيْقٍ مِنَ اللَّهِ وَحِظًّا لَيْسَ يُعْطَاهُ
 وَلَا يُخَذُّ بِالْحَوْلِ وَلَا بِالنَّسْلِ وَالْمَالِ
 وَلَكِنْ هِبَةُ الْمَوْلَى سَلَامٌ النَّيْلُ يَا غَنْدِي
 وَإِجْلَالٌ مِنَ الْأَهْرَاءِ وَمِنْ مَشِيخَةِ الْوَادِي
 سَلَامٌ حَالِبِ الشَّاةِ وَمَنْ صَدَّ عَنِ الْمِلْحِ
 وَمَنْ تَرَكَبُ سَاقِيهِ سَلَامٌ كُلَّمَا صَلَّى
 فِي زَاوِيَةِ السَّجْنِ مِنْ (الْمَائِدَةِ الْخَضْرَاءِ
 وَرَقَّ «السَّيْرِ» عَلَى الْفُلْكِ، وَمَنْ بَعْدَ
 وَعَطُّوا الْبَحْرَ بِالْوَرْدِ (ن) ٢٩ تَمَثَّالٌ مِنَ الْمَجْدِ
 (س)، أَوْ مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ مِنَ الْمُنْتَظَرِ الْمَهْدِيِّ
 عَنِ الْحَقِّ، وَفِي الزَّهْدِ وَبِالصَّبْرِ، وَبِالْقَصْدِ
 فَلَبَّاهُ مِنَ الْلَحْدِ فَدَاوَاهَا مِنَ الْحِقْدِ
 مَ لِّلْأَلْفَةِ وَالْوُدِّ حَوَى السَّيْفَيْنِ فِي غَمْدِ
 يُقَوِّي رَائِضَ الْأَسَدِ وَتَيْسِيرَ مِنَ السَّعْدِ
 سَوَى الْمَخْلُوقِ لِلْخَلْدِ وَلَا الصَّوْلَ، وَلَا الْجُنْدِ
 وَلَا بِالْكَدْحِ وَالْكَدِّ — تَعَالَى اللَّهُ — لِلْعَبْدِ
 وَهَذَا الزَّهْرُ مِنْ عِنْدِي مِ، وَالْكَرْنِكِ، وَالْبَرْدِيِّ
 وَمِنْ أَشْبَالِهِ الْمُرْدِ سَلَامٌ غَازَلَ الْبُرْدِ
 وَلَمْ يُقْبَلْ عَلَى الشَّهْدِ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى السُّنْدِ
 تَ عُرْيَانًا، وَفِي اللَّبْدِ وَفِي سِلْسِلَةِ الْقَيْدِ
 (ع) ٢٠ خُذْ حَذْرَكَ يَا غَنْدِي وَمَا فِي وَرَقِ «الْوَرْدِ»

وَكُنْ أْبْرَعَ مَنْ يَلْعَعُ وَوَقَلِي الْعَبْقَرِيِّنَ
 وَوَقَلِي الْعَبْقَرِيِّنَ وَقُلْ: هَاتُوا أَفَاعِيَكُمْ
 وَقُلْ: هَاتُوا أَفَاعِيَكُمْ وَعُدُّ لِمِ تَحْفِلِ الذَّامَ
 وَعُدُّ لِمِ تَحْفِلِ الذَّامَ فَهَذَا النِّجْمُ لَا تَرْقَى
 فَهَذَا النِّجْمُ لَا تَرْقَى وَرُدَّ الْهِنْدَ لِلْأُمَّ
 وَرُدَّ الْهِنْدَ لِلْأُمَّ بُبُ بِالشُّطْرُنْجِ وَالنَّزْدِ
 بُبُ بِالشُّطْرُنْجِ وَالنَّزْدِ لِقَاءَ النَّدِّ لِلنَّدِّ
 لِقَاءَ النَّدِّ لِلنَّدِّ أَتَى الْحَاوِي مِنَ الْهِنْدِ!
 أَتَى الْحَاوِي مِنَ الْهِنْدِ!
 وَلَمْ تَغْتَرَّ بِالْحَمْدِ إِلَيْهِ هِمَّةُ النَّقْدِ
 إِلَيْهِ هِمَّةُ النَّقْدِ مِنْ حَدِّ إِلَى حَدِّ

تَحِيَّةُ أَبُولُو

«أبولو: مجلة فنية لخدمة الشعر الحي، كان يصدرها مرة كل شهر - في سنة ١٩٣٢ -
 - الدكتور أحمد زكي أبو شادي، فقال يحييها»

أَبُولُو، مَرَحَبًا بِكَ يَا أَبُولُو عُكَازٌ وَأَنْتِ لِلْبُلْغَاءِ سُوقُ
 عُكَازٌ وَأَنْتِ لِلْبُلْغَاءِ سُوقُ وَيَنْبوعُ مِنَ الْإِنْشَادِ صَافٍ
 وَيَنْبوعُ مِنَ الْإِنْشَادِ صَافٍ وَمَضْمَارٌ يَسوقُ إِلَى الْقَوَافِي
 وَمَضْمَارٌ يَسوقُ إِلَى الْقَوَافِي يَقُولُ الشُّعْرَ قَائِلُهُمْ رَصِينًا
 يَقُولُ الشُّعْرَ قَائِلُهُمْ رَصِينًا وَلَوْلَا الْمُحْسِنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ
 وَلَوْلَا الْمُحْسِنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ عَسَى تَأْتِينَنَا بِمُعَلِّقَاتٍ
 عَسَى تَأْتِينَنَا بِمُعَلِّقَاتٍ لَعَلَّ مَوَاهِبًا خَفِيَّتْ وَضَاعَتْ
 لَعَلَّ مَوَاهِبًا خَفِيَّتْ وَضَاعَتْ صَحَائِفُكَ الْمَدْبُجَةُ الْحَوَاشِي
 صَحَائِفُكَ الْمَدْبُجَةُ الْحَوَاشِي رِيَاحِينَ الرِّيَاضِ يُمَلُّ مِنْهَا
 رِيَاحِينَ الرِّيَاضِ يُمَلُّ مِنْهَا يُمَهَّدُ عَبْقَرِيَّ الشُّعْرِ فِيهَا
 يُمَهَّدُ عَبْقَرِيَّ الشُّعْرِ فِيهَا وَلَيْسَ الْحَقُّ بِالْمَنْقُوصِ فِيهَا
 وَلَيْسَ الْحَقُّ بِالْمَنْقُوصِ فِيهَا وَلَيْسَتْ بِالْمَجَالِ لِتَقْدِ بَاغٍ
 وَلَيْسَتْ بِالْمَجَالِ لِتَقْدِ بَاغٍ فإِنَّكَ مِنْ عُكَازِ الشُّعْرِ ظِلُّ
 فإِنَّكَ مِنْ عُكَازِ الشُّعْرِ ظِلُّ عَلَى جَنَابَاتِهَا رَحَلُوا وَحَلُوا
 عَلَى جَنَابَاتِهَا رَحَلُوا وَحَلُوا صَدَى الْمَتَادِّبِينَ بِهِ يُقَلُّ
 صَدَى الْمَتَادِّبِينَ بِهِ يُقَلُّ سَوَابِقُهَا إِذَا الشُّعْرَاءُ قَلُّوا
 سَوَابِقُهَا إِذَا الشُّعْرَاءُ قَلُّوا وَيُحْسِنُ حِينَ يُكْتَرُّ أَوْ يُقَلُّ
 وَيُحْسِنُ حِينَ يُكْتَرُّ أَوْ يُقَلُّ لَمَّا سَادَ الشُّعُوبُ وَلَا اسْتَقَلُّوا
 لَمَّا سَادَ الشُّعُوبُ وَلَا اسْتَقَلُّوا نَرُوحُ عَلَى الْقَدِيمِ بِهَا نُدَلُّ
 نَرُوحُ عَلَى الْقَدِيمِ بِهَا نُدَلُّ تُذَاعُ عَلَى يَدَيْكَ وَتُسْتَغَلُّ
 تُذَاعُ عَلَى يَدَيْكَ وَتُسْتَغَلُّ رَبِّي الْوَرْدُ الْمُفْتَحُ أَوْ أَجَلُّ
 رَبِّي الْوَرْدُ الْمُفْتَحُ أَوْ أَجَلُّ وَرِيحَانُ الْقَرَائِحِ لَا يَمَلُّ
 وَرِيحَانُ الْقَرَائِحِ لَا يَمَلُّ لِكُلِّ نَخِيرَةٍ فِيهَا مَحَلُّ
 لِكُلِّ نَخِيرَةٍ فِيهَا مَحَلُّ وَلَا الْأَعْرَاضُ فِيهَا تُسْتَحَلُّ
 وَلَا الْأَعْرَاضُ فِيهَا تُسْتَحَلُّ وَرَاءَ يَرَاعِهِ حَسَدٌ وَغِلُّ
 وَرَاءَ يَرَاعِهِ حَسَدٌ وَغِلُّ

أُغْنِيَّةُ

«نظمها بلبنان في صيف سنة ١٩١٣ لتغنيها إحدى القيان»

ناديتُ ليلى، فقومي في الدُّجى نادي
أو رَدِّدي من وراءِ الأبيكِ إنشادي
ولا الصبابة؛ فالدمعان من وادٍ
وكيف بلَّ الصدى ذو الغلَّةِ الصادي؟
ما سرَّت من سامرٍ إلا إلى نادي
أضلَّها فَمَشَتْ في فُرْقِكِ الهادي
أبهى من الوردِ في ظلِّ الندى الغادي
على الغديرِ، كعُصفورَيْنِ في الوادي
والماءِ في قَدَمَيْنَا رائحُ غادٍ
من لحنِ شاديةٍ في الدُّوحِ أو شادي
هل طرُتْ شوقاً؟ وهل سابقتُ ميعادي؟
ورحتُ لم أحصِ أفراحي وأعيادي؟

بي مثلُ ما بكِ يا قَمْرِيَّةَ الوادي
وأرسلي الشَّجُوَ أسجاعاً مُفصَّلةً
لا تكتُمي الوَجْدَ؛ فالجرحانِ من شَجِنِ
تَذكري: هل تلاقينَا على ظمأٍ؟
وَأنتِ في مجلسِ الرِّيحانِ لاهيةً
تذكري قبلةً في الشَّعرِ حائرةً
وقبلةً فوقَ خدِّ ناعمٍ عَطِرِ
تذكري منظرَ الوادي، ومجلسنا
والغُصنُ يحنو علينا رِقَّةً وجوى
تذكري نغماتِ هاهنا وهنا
تذكري مَوْعدًا جادَ الزمانِ به
فنلتُ ما نلتُ من سُؤلٍ، ومن أملٍ

يا شِراعًا وِراءَ دِجَلَةَ

«غناها بين يدي ملك العراق المغفور له فيصل الأول الموسيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة
زيارته لتلك البلاد في سنة ١٩٣١»

في دموعي تجنبتك العوادي
واجر في اليمِّ كالشعاع الهادي
أو كِفَرْدَوْسِهِ بشاشةٍ وادي
من عيونِ المهَا وراءِ السَّوادِ
سامرٌ يملأُ الدُّجى أو نادٍ؟
في غُبارِ الآباءِ والأجدادِ
كبناءِ الأبوَّةِ الأُمجادِ
لكِ على فُرْقِ أُرِحي جوادِ
حاءٍ، أعظمُ بِفَيْصَلِ والبلادِ

يا شِراعًا وِراءَ دِجَلَةَ يَجري
سر على الماءِ كالْمِسيحِ رُويدًا
وَأتِ قاعًا كرفرفِ الخلدِ طيبًا
قَفِّ، تمهَّلْ، وخذُ أمانًا لقلبي
والنَّوْاسِيَّ والنَّدَامِيَّ؛ أَمِنْهُمْ
حَطَرْتُ فوقه المِهارةُ تعدو
أُمَّةٌ تُنشئُ الحِياةَ، وتبني
تحتَ تاجِ من القِرابَةِ والمُلْدِ
ملكِ الشَّطِّ، والفراتينِ، والبطِ

«وهي ترجمة أبيات فرنسية عنوانها: L. home heureux لسمو الأمير حيدر فاضل»

عَفِيفُ الْجَهْرِ وَالْهَمِّسِ	قَضَى الْوَاجِبَ بِالْأَمْسِ
وَلَمْ يَعْزِضْ لِذِي حَقٍّ	بِنُقْصَانٍ وَلَا بَخْسٍ
وَعِنْدَ النَّاسِ مَجْهُولٌ	وَفِي أَلْسِنِهِمْ مَنْسِيٌّ
وَفِيهِ رَقَّةُ الْقَلْبِ	لَأَلَامِ بَنِي الْجَنْسِ
فَلَا يَغِيبُ ذَا نُعْمَى	وَيَزِيثِي لِأَخِي الْبُؤْسِ
وَلِلْمَحْرُومِ وَالْعَافِي	حَوَالِي زَايِدِهِ كُرْسِي
وَمَا نَمَّ، وَلَا هَمَّ	بِبَعْضِ الْكَيْدِ وَالذَّسِّ
يِنَامُ اللَّيْلَ مَسْرُورًا	قَلِيلَ الْهَمِّ وَالْهَجْسِ
وَيُصْبِحُ لَا غُبَارَ عَلَى	سَرِيرَتِهِ كَمَا يُمْسِي
فِيَا أَسْعَدَ مَنْ يَمْشِي	عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ
وَمَنْ طَهَّرَهُ اللَّهُ	مِنَ الرَّيْبَةِ وَالرَّجْسِ
أَنْلَ قَدْرِي تَشْرِيْفًا	وَهَبْ لِي قُرْبَكَ الْقُدْسِي
عَسَى نَفْسُكَ أَنْ تُدْمَ	حِجَ فِي أَحْلَامِهَا نَفْسِي
فَأَلْقَى بَعْضَ مَا تَلْقَى	مِنَ الْغِيبَةِ وَالْأُنْسِ!

الْأَثَرُ

وَجَدْتُ الْحَيَاةَ طَرِيقَ الرُّمَزِ	إِلَى بَعْثَةِ وَشُثُونِ أُخْرٍ
وَمَا بِإِطْلَاقِ يَنْزِلِ النَّازِلُونَ	وَلَا عَبَثًا يُزْمَعُونَ السَّفَرُ
فَلَا تَحْتَقِرْ عَالَمًا أَنْتَ فِيهِ	وَلَا تَجْحَدِ الْآخَرَ الْمُنْتَظَرَ
وَحُذِّ لَكَ زَادَيْنِ: مِنْ سِيرَةٍ	وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُدَّخِرُ

^٧ نُشِرَتْ فِي مَجَلَّةِ الْكَشْكُولِ سَنَةِ ١٩٢٥.

الشوقيات

وكن في الطريق عفيفَ الخطا
ولا تخلُ من عملٍ فوقه
شريفَ السَّماعِ، كريمَ النظرِ
تَعشُ غيرَ عَبْدٍ، ولا مُحْتَقَرٍ
يقولون: مَرَّ وهذا الأثرُ
وكن رجلاً إن أتوا بَعْدَه

السَّنار

قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفْسًا أذْنَبْتُ
وَجَعَلْتُ أُسْتَرُّ عَنْ سِوَاكَ ذُنُوبَهَا
وَأَتَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْإِقْرَارِ
حَتَّى عَيِّتُ، فَمَنْ لِي بَسْتَار!

هوامش

- (١) المأمون بن الرشيد العباسي، وعصره من أزهى عصور الدولة الإسلامية.
- (٢) الأقسام: الحظوظ.
- (٣) يشير إلى قول النابغة:

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكر والإقداما

- وعصام حاجب النعمان بن المنذر، وإليه ينسب كل عصامي.
- (٤) الأواسي: الدعائم والأبنية المحكمة.
- (٥) يشير إلى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الإسكندرية.
- (٦) يشير إلى ما كان من حدّة الخلاف بين زعماء مصر في ذلك التاريخ.
- (٧) الصياصي: الحصون. والعتاد: عدّة الحرب.
- (٨) الميكادو: الملك في لغة اليابان.
- (٩) العهد: المطر.
- (١٠) الانطياذ: الارتفاع.
- (١١) يعني وفود البلاد العربية التي اجتمعت لتكريمه ومبايعته بإمارة الشعر في مارس من تلك السنة نفسها.
- (١٢) هو المرحوم محمد طلعت حرب باشا مؤسس البنك.
- (١٣) قصيدة أبي تمام في فتح عمورية نائعة مشهورة.

- (١٤) يعني منشئ دار العلوم المرحوم علي مبارك باشا.
- (١٥) محمد طلعت حرب.
- (١٦) يشير إلى مقابلة سعد زغلول وصاحبيه لممثل بريطانيا في مصر في نوفمبر من سنة ١٩١٨ ليطالبوا باستقلال مصر.
- (١٧) لامت: لأمت.
- (١٨) روح الله: عيسى، والكليم: موسى، عليهما السلام.
- (١٩) جعفر البرمكي، ونكبة البرامكة مشهورة في تاريخ الرشيد.
- (٢٠) من قصور بني الأحمر في غرناطة بالأندلس: (الهمبرا).
- (٢١) الغريض ومعبد: من أمراء الغناء العربي.
- (٢٢) زيدت هذه في الطبعة الثانية.
- (٢٣) الكفاري: العظيم الأذنين، يشير إلى تمثال أبي الهول.
- (٢٤) يشير إلى الأهرام.
- (٢٥) ليس يألو الريح.. إلخ: ليس يقصر عنها.
- (٢٦) يريد صلاح الدين الأيوبي ومحمد علي باشا.
- (٢٧) مواخير: موقرة: مثقلة بما تحمل.
- (٢٨) يشير إلى أصله «الرومي» وإلى أيادي بني مروان على العروبة، بما فتحوا من بلاد الروم، وبما استعرب من أهلها.
- (٢٩) الباخرة التي أقلت غاندي من الهند إلى لندن.
- (٣٠) يطير إلى المؤتمر الذي كان مسافرًا إليه للبحث في دستور الهند.

الخصوصيات

أَبُو عَلِيٍّ

«وقال عندما بُشِّرَ بابنه علي شوقي»

صَارَ شَوْقِي أَبَا عَلِيٍّ
وَجَنَاهَا جَنَائِيَّةً
فِي الزَّمَانِ «التَّرْلِي»
لَيْسَ فِيهَا بَأْوَل!

الزَّمَنُ الْأَخِيرُ

«وقال في ذلك أَيضًا»

عَلِيٌّ، لَوْ اسْتَشَرْتَ أَبَاكَ قَبْلًا
إِذَا لَعَلِمْتَ أَنَّنَا فِي غَنَاءٍ
وَمَا ضِقْنَا بِمُقَدِّمِكَ الْمُقَدِّي
فِي الزَّمَانِ الْأَخِيرِ!
فِي الْخَيْرِ حِطُّ الْمُسْتَشِيرِ
وَإِنْ نَكُّ مِنْ لِقَائِكَ فِي سُرُورِ

صَاحِبُ عَهْدِهِ

«وقال أَيضًا»

رُزِقْتُ صَاحِبَ عَهْدِي
هُمُ يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ
وَتَمَّ لِي النِّسْلُ بَعْدِي
وَيَغِيطُونِي بِسَعْدِي

ولا أراني ونجلي
وسوف يعلم بيتي
فيا علي، لا تلمني
وأنت مني كروحي
فإن أساءك قولي
سألتقي عند مجد
أني أنا النسل وحدي
فما احتقارك قصدي
وأنت من أنت عندي!
كذب أباك بوعد!

يَالَيْلَةَ!

«وكانت ولادة بنته أمينة ووفاة والده في ساعة واحدة، فقال في ذلك»

يا لَيْلَةَ سَمَيْتُهَا لَيْلَتِي
أذْكُرُهَا، والموتُ في ذِكْرُهَا
لِيَعْلَمَ الغَافِلُ ما أَمْسَهُ؟
نَبَّهْنِي المَقْدُورُ في جُنْحِهَا
الموتُ عَجَلَانُ إِلَى والِدِي
هَذَا فَتَى يُبْكِي عَلَى مِثْلِهِ
وتلك في مِصْرَ عَلَى حَالِهَا
والقَلْبُ ما بَيْنَهُمَا حَائِزٌ
حتى بَدَا الصُّبْحُ، فَوَلَّى أَبِي
فَقَلْتُ: أَحْكَامُكَ حِرْزًا لَهَا
لأنها بالناس ما مررت
على سبيل البت والعبرة
ما يومه؟ ما منتهى العيشة؟
وكنت بين النوم واليقظة
والوضع مستعص على زوجتي
وهذه في أول النشأة
وذاك رهن الموت والغربة
من بلدة أسرى إلى بلدة
وأقبلت بعد العناء ابنتي
يا مخرج الحي من الميت!

أَمِينَةَ

«وقال حين اكتملت بنته حولاً يصفها في هذا العمر»

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا
صَالِحَةٌ لِلْحَبِّ مِنْ
كَمْ خَفَقَ القَلْبُ لَهَا
وَكَمْ رَعَتْهَا العَيْنُ فِي الـ
الأول مثل المالك
كل، ولست برك
عند البكا والضحك
سكون والتحرك

فإن مَشَتْ فحَاطِرِي
أَلَحَّظُهَا كَأَنَّهَا
فِيَا جَبِينِ السَّعْدِ لِي
وَيَا بِيَاضِ الْعَيْشِ فِي
إِنَّ اللَّيَالِي وَهِيَ لَا
لَوْ أَنْصَفْتُكَ طِفْلَةً
يَسْبِقُهَا كَالْمُمْسِكِ
مَنْ بَصَرِي فِي شَرِكِ
وَيَا عُيُونَ الْفَلَكِ
الْأَيَّامِ ذَاتِ الْحَلَكِ
تَنْفُكُ حَرَبٌ أَهْلِكَ
لَكُنْتَ بِنْتُ الْمَلِكِ!

طِفْلَةٌ لَاهِيَةٌ

«وقال يهنئها بسنتها الثانية»

أُمِينَةٌ، يَا بِنْتِي الْغَالِيَةَ
وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلَمِي لِي السَّنِينَ
وَأَنْ تُقَسِّمِي لِأَبْرِ الرَّجَالِ
وَلَكِنْ سَأَلْتُكَ بِالْوَالِدَيْنِ
أَتَدْرِينَ مَا مَرَّ مِنْ حَادِثٍ
وَكَمْ بُلِّتَ فِي حُلِّلٍ مِنْ حَرِيرٍ
وَكَمْ سَهَرْتُ فِي رِضَاكِ الْجَفُونِ
وَكَمْ قَدْ خَلْتُ مِنْ أَبِيكَ الْجِيُوبِ
وَكَمْ قَدْ شَكَا الْمُرَّ مِنْ عَيْشِهِ
وَكَمْ قَدْ مَرِضْتِ، فَأَسْقَمْتِهِ
وَيَضْحَكُ إِنْ جِئْتِهِ تَضْحَكِينَ
وَمَنْ عَجَبَ مَرَّتِ الْحَادِثَاتُ
فَلَوْ حَسَدَتْ مُهْجَةً وُلْدَهَا
أُهْنِيكَ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ
وَأَنْ تُرْزَقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ
وَأَنْ تَلْدِي الْأَنْفُسَ الْعَالِيَةَ
وَنَاشِدْتُكَ اللَّعَبَ الْغَالِيَةَ
وَمَا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ؟
وَكَمْ قَدْ كَسَرْتِ مَنْ الْآبِيَةِ؟
وَأَنْتِ عَلَى غَضَبٍ غَافِيَةٍ؟
وَلَيْسَتْ جُيُوبُكَ بِالْخَالِيَةِ؟
وَأَنْتِ وَحَلُوكِ فِي نَاحِيَةِ؟
وَقَمْتِ، فَكُنْتَ لَهُ شَافِيَةٍ؟
وَيَبْكِي إِذَا جِئْتَهُ بَاكِيَةً!
وَأَنْتِ لِأَحْدَاثِهَا نَاسِيَةً!
حَسَدْتُكَ مِنْ طِفْلَةٍ لَاهِيَةٍ!

الْأُنَانِيَّةُ

«ونظم هذه الحكاية فيها وفي كلب لها أسود صغير»

يا حَبِّذا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا
أَمِينَتِي تَحْبُو إِلَى الْحَوْلَيْنِ
لِكِنِّهَا بَيْضَاءُ مِثْلُ الْعَاجِ
يَلْزِمُهَا نَهَارَهَا وَتَلْزِمُهُ
فَعَنْدَهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِشْفَاقِ
فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ صِيَاحُ
وَهَذِهِ حَادِثَةٌ لَهَا مَعَهُ
جَاءَتْ بِهِ إِلَيَّ ذَاتَ مَرَّةٍ
فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالْعَرُوسِ وَابْنِهَا
قَالَتْ: «غَلَامِي» يَا أَبِي جَوْعَانُ
فَمُرَّهُمُوا يَأْتُوا بِخَبِيزٍ وَلَبَنٍ
فَقَمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ
فَعَجَنْتُ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا
ثُمَّ أَرَادْتُ أَنْ تَذُوقَ قَبْلَهُ
هُنَاكَ أَلَقْتُ بِالصَّغِيرِ لِلْوَرَا
تَقُولُ: بَابَا، أَنَا (نَحَا) وَهُوَ (كُخَّ)
فَقُلْ لِمَنْ يَجْهَلُ خَطْبَ الْآنِيَةِ

تُحِبُّهُ جَدًّا كَمَا يُحِبُّهَا
وَكَلْبُهَا يُنَاهِزُ الشَّهْرَيْنِ
وَعَبْدُهَا أَسْوَدُ كَالدِّيَاجِي
وَمِثْلَمَا يُكْرِمُهَا لَا تُكْرِمُهُ
أَنْ تَأْخُذَ الصَّغِيرَ بِالْخِنَاقِ
وَقَلَّمَا يَنْعَمُ، أَوْ يَرْتَاخُ
تُنْبِيكَ كَيْفَ اسْتَأْثَرْتُ بِالْمَنْفَعَةِ
تَحْمِلُهُ وَهِيَ بِهِ كَالْبِرَّةِ
مَاذَا يَكُونُ يَا تَرِي مِنْ شَأْنِهَا؟
وَمَا لَهُ كَمَا لَنَا لِسَانُ
وَيُحْضِرُوا آنِيَةَ ذَاتَ ثَمَنٍ
وَجِئْتُهَا أَنْظُرُ مِنْ قَرِيبِ
كَمَا تَرَانَا نَطْعُمُ الْكَلَابَا
فَاسْتَطَعَمَتْ بِنْتُ الْكِرَامِ أَكَلَهُ
وَإِنْدَفَعَتْ تَبْكِي بُكَاءَ مُفْتَرِي
مَعْنَاهُ: بَابَا، لِي وَخِدِي مَا طَبِخَ
قَدْ فُطِرَ الطُّفْلُ عَلَى الْآنَانِيَةِ

لُعْبَةٌ

«وقال فيما ينفع أمينة من اللعب، وأشار إلى رأس السنة الميلادية الذي يكثر فيه بيعها»

صِغَارٌ بِحُلُوانٍ تَسْتَبْشِرُ
تَهْزُ اللِّوَاءَ بَعِيدِ الْمَسِيحِ
فَهَذَا بِلُعْبَتِهِ يَزْدَهِي
وَهَذَا كَغَضَنِ الرَّبَا يَنْتَنِي
إِذَا اجْتَمَعَ الْكُلُّ فِي بُقْعَةٍ
أَوْ افْتَرَقُوا وَاحِدًا وَاحِدًا
وَرُؤْيَتُهَا الْفَرَحُ الْأَكْبَرُ
وَتُحْيِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ
وَهَذَا بِحُلَّتِهِ يَفْخَرُ
وَهَذَا كَرِيحِ الصَّبَا يَخْطِرُ
حَسِبْتَهُمُوا بَاقَةً تُزْهَرُ
حَسِبْتَهُمُوا لَوْلَا يُنْثَرُ

وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْ الْمَسْلُومُونَ
فَلَا سِفَةَ كُلِّهِمْ فِي اتِّفَاقٍ
دِيَسْمِيرٍ شَعْبَانُ عِنْدَ الْجَمِيعِ
وَلَا لُغَةً غَيْرَ صَوْتِ شَجِيٍّ
وَلَا يَزِدُّرِي بِالْفَقِيرِ الْغَنِيِّ
فِيالِيتِ شِعْرِي أَضَلَّ الصِّغَارُ
سؤال أَقَدَّمَهُ لِلْكَبَارِ
وَلِي طِفْلةٌ جازَتْ السَّنَتَيْنِ
بِعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ
أَتَتَنِي تَسألُنِي لُغَبَةً
فَقَلْتُ لَهَا: أَيُّهَذَا الْمَلَكُ
وَلَكِنْ قَبْلَكَ خابَ الْمَسِيحُ
فَلَا تَرُجُ سَلْمًا مِنَ الْعَالَمِينَ
وَمَنْ يَعدِمُ الظُّفَرَ بَيْنَ الذُّنابِ
فَإِنَّ شَتَّتْ حَياةَ الْكِبَارِ
فَحَذِرُ، هَاكَ (بُنْدُوقَةً) نارُها
لَعَلَّكَ تَأَلَّفَها فِي الصِّبَا
فَفِيها الحِياةُ لِمَنْ حازَها
وَفِيها السَّلَامُ الوَطِيدُ الْبِنايِ
فَلوْبِيلُ مُمَسِكَةٌ مُوزَرًا
أَجابَتْ وما النُّطْقُ فِي وَسْعِها
تَقولُ: عَجيبٌ كَلامُكَ لِي
تَزِينُ لِبَنَتِكَ حَبَّ الحِروِبِ
وَأَنْتِ امرؤُ لا تُحِبُّ الأَدْيِ
فَقَلْتُ: لِأَمْرِ ضَلَّتُ السَّبِيلَ
فَلو جِيءَ بِالرَّسْلِ فِي واحِدِ
وَبِالأولِينِ وما قَدَّموا

أَوِ الْمَسْلُومُونَ هُمُ الأَكْثَرُ
كَمَا اتَّفَقَ الآلُ وَالْمَعَشَرُ
وَشَعْبَانُ لِلْكَلِّ دِيَسْمِيرِ
كَرَوْضِ بَلابِلُهُ تَصْفِرُ
وَلَا يُنكَرُ الأَبْيَضُ الأَسْمَرُ
أَمْ العَقْلُ ما عَنهُمُ يُؤَثِّرُ؟
لَعَلَّ الْكِبارَ بِهِ أَخْبَرَ
كَبِعضِ المَلائِكِ، أَوْ أَطَهَرُ
وَسَنَيْنِ يا حَبْدًا الجَوْهَرُ!
لِتَكسِرَها ضِمْنًا ما تَكسِرُ
تَحِبُّ السَّلَامَ، وَلا تُنكَرُ
وَبِإِباءِ بِمَنْشورِهِ القَيْصَرَ
فَإِنَّ السَّباعَ كَمَا تُفْطِرُ
فَإِنَّ الذُّنابَ بِهِ تَظْفِرُ!
يُؤمِّلُكَ الكَلُّ، أَوْ يَحذِرُ
سَلَامٌ عَلَيْكَ إِذا تُسَعَّرُ
وَتَخْلُفَها كَلِّما، تَكبَرُ
وَفِيها السَّعادَةُ وَالْمَفْخَرُ
لِمَنْ آثَرَ السَّلْمَ أَوْ يُؤَثِّرُ
وَلوْبِيلُ تُمَسِكُها مُوزَرًا
وَلَكِنَّها العَيْنُ قَد تُخْبِرُ
أَبِالشَّرِّ يا وَالِدِي تَأْمُرُ؟
وَحُبُّ السَّلَامِ بِها أَجَدَرُ!
وَلا تَبْتَغِيهِ، وَلا تَأْمُرُ!
وَرُبَّ أَخِي ضَلَّةٌ يُعْذَرُ
وَبِالْكَتَبِ فِي صَفْحَةٍ تُنْشَرُ
وَبِالأَخْرِيْنَ وما أَخْرُوا

لِيَنْهَضَ مَا بَيْنَهُمْ خَاطِبًا
يَقُولُ: «السَّلَامُ» يُجِبُّ السَّلَامَ
عَلَى الْعَرْشِ نَصٌّ لَهُ مِنْبَرٌ
وَيَأْجُرُكُمْ عَنْهُ مَا يَأْجُرُ
وَكُفَّ الْعِبَادُ فَلَمْ يُبْصِرُوا
لَصُمَّ الْعِبَادُ فَلَمْ يَسْمَعُوا

زَيْنُ الْمُهْودِ^١

«وقال وقد قبلها قبله في الصباح»

يَا شِبْهَ سَيِّدَةِ الْبَتْوِ
نَسَى جَمَالَكَ فِي الْإِنَا
زَيْنُ الْمُهْودِ الْيَوْمَ أَنْ
إِنَّ الْأَهْلَةَ إِنْ سَرَتْ
بِأَبِي جَبِينُ كَالصَّبَا
بَقِيَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدُّجَى
وَكِرَائِمٌ مِنْ لَوْلُؤِ
سَبْحَانَ مُؤْتِيهَا يَتَا
تَسْقِي وَتُسْقَى مِنْ لُعا
وَكَأَنَّ نَفْحَ الطَّيِّبِ حو
وَعَرِيبَةٌ فَوْقَ الْخَدو
صَفْرَاءُ عِنْدَ رَوَاجِهَا
قَبَّلْتُهَا، وَشَمَمْتُهَا

لِ، وَصُورَةَ الْمَلِكِ الطَّهْوِ
بِثِ جَمَالَ يَوْسُفَ فِي الذِّكُورِ
تِ، وَفِي غَدِ زَيْنِ الْخُدُورِ
سَارَتْ عَلَى نَهْجِ الْبُدُورِ
حِ إِذَا تَهَيَّأَ لِلسُّفُورِ
تِلْكَ الْخَيْوُطُ مِنَ الشُّعُورِ
زَيْنٌ مَرْجَانُ النَّحُورِ
نِمْ فِي الْمَرَاشِفِ، وَالتُّغُورِ
بِ النَّحْلِ، أَوْ طَلَّ الزُّهُورِ
لِ تَضِيدِهَا أَنْفَاسُ حُورِ
دِ، بَدِيعَةٌ مِنْ وَرْدِ جُورِ
حَمْرَاءُ فِي وَقْتِ الْبُكُورِ
وَسَقَيْتُهَا دَمْعَ السَّرُورِ

أَوَّلُ خَطْوِهِ

«وقال يذكر دخول ولده علي في السنة الثانية من عمره»

هَذِهِ أَوَّلُ خَطْوِهِ هَذِهِ أَوَّلُ كَبْوِهِ

^١ زيدت في هذه الطبعة الثانية.

فِي طَرِيقِي لِعَلِّي
يَأْخُذُ الْعَيْشَةَ فِيهِ
يَا عَلِيَّ إِن أَنْتَ أَوْفِيءُ
دَافِعِ النَّاسِ، وَزَاجِمِ
لَا تَقُلْ: كَانَ أَبِي! إِيَّ
أَنَا لَمْ أَغْنَمْ مِنَ النَّاسِ
أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْمَدِّ
أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْكُتْبِ
صَيَّعَ الْكُلَّ حَيَائِي
عَنْهُ لَوْ يَعْقِلُ غُنُوهُ ٢
مُرَّةً أَنَا، وَحُلُوهُ
تَ عَلَى سِنِّ الْفُتُوهِ
وَخُذِ الْعَيْشَ بِقُوهِ
كَ أَنْ تَحْذُوَ حَذُوهُ!
سِ سَوَى فَنَجَانِ قَهْوِهِ
ح مِنَ الْأَمْلَاقِ فَرُوهِ!
بِ مِنَ الْقُرَاءِ حُظُوهِ!
وَعَفَافِي، وَالْمُرُوهِ!

يَوْمُ فِرَاقِهِ

«وقال وقد بكى طفلاه وتشبثا به ألا يخرج»

بِكْيَا لِأَجَلِ خُرُوجِهِ فِي زَوْرَةٍ
لَوْ كَانَ يَسْمَعُ يَوْمَ ذَاكَ بُكَاهُمَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي: كَيْفَ يَوْمُ فِرَاقِهِ؟!
رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ

مَظْلُومٌ

«وكتب إلى عزيزه وظهره صاحب العطفة المرحوم أحمد مظلوم باشا من باريز، يهنئه
بالنيشان المجيدي الأول»

أَقْسَمْتُ لَوْ أَمَرَ الزَّمَانُ سَمَاءَهُ
لِيُنِيلَ قَدْرَكَ فِي الْمَعَالِي حَقَّهُ
فَسَعَتْ لِمَصْدَرِكَ شَمْسُهَا وَنُجُومُهَا
شَكَتَ الْمَعَالِي أَنَّهُ مَظْلُومُهَا

سَرَرْنَا أَنَّكَ ارْتَقَيْتَ

«وبعث من باريز بهذا التاريخ إلى صاحب السعادة محمود شكري باشا يهنئه برتبة
التمايز» (١٩٠٣)

يا عزيزاً لنا بمصرَ عَلِمْنَا
سَرَّنا أَنْكَ ارتقيتَ وترقى
رَتبَةً ألسُنُ العُلا أَرَحَّتْها
أَنه بالرِّضا الخديويِّ فائِزُ
فكأنا نحوزُ ما أَنْتَ حائِزُ
أنتَ محمودٌ في العُلا المُتَمائِزُ

بَلَّغْتَنِي أَمَلًا

«وقال يشكر صاحب العطوفة المرحوم أحمد مظلوم باشا علي معروف صنعه معه»

ذِي هَمَّةٍ دونها في شأوها الهمُّ
بَلَّغْتَنِي أَمَلًا ما كُنْتُ بالغَهُ
وَدَاذُكَ العِزُّ والنُّعْمَى لحاطِبِهِ
أَكَلَمَا قَعَدْتْ بي عنكَ معذِرَةٌ
تُجِلُّ في قَلَمِ الأوطانِ حامِلُهُ
لم تَتَّخِذْ «لا»، ولم تكذِبْ لها «نعم»
لولا وفاؤُك — يا مظلومٌ — والكرَمُ
وودُّ غيرِكَ ضحكُ السَّنِّ، والكَلَمُ
مَشَتْ إِلَيَّ الأيادي منكَ والنُّعْمُ؟
فكيف يَصْبِرُ عن إجلالِكَ القلمُ؟

أُصِيبَ الْمَجْدُ يَوْمَ أُصِيبَتْ

«وكتب إلى صديقه المفضل سعادة المرحوم إسماعيل باشا صبري يهنئه بالسلامة، على أثر حادثه في القطار»

أَتَنِي الصُّحُفُ عنكَ مُخَبَّرَاتِ
بَحْطَبِكَ في القِطارِ أبا حُسَيْنِ
أُصِيبَ المَجْدُ يَوْمَ أُصِيبَتْ فيه
وساءَ الناسَ أَنْ كَبَّتِ المعالي
ولستُ بناسِ الآدابِ لَمَّا
وكانَ الشُّعْرُ أَجْزَعَهَا فُؤادًا
هَجَرَتْ القَوْلُ أَيامًا قِصارًا
وَأَنْ لِياليًّا أَمْسَكْتَ فيها
فقلْ لي عن رِضْوَتِكَ: كيفَ أَمَسْتُ؟
وَهَبْ لي مِنْكَ خَطًّا أو رِسالًا
بِحادثَةٍ ولا كالحادثاتِ
وليسَ مِنَ الخُطوبِ الهَيِّناتِ
ولم تَحُلْ الفِضيلَةَ مِنْ شِكاةِ
وأزَعَجَهُمْ عِثارُ المَكْرُماتِ
تَرَاءَتْ رِبِّها مُتلهِّفاتِ
وأحرَصَها لَدَيْكَ على حياةِ
فكانتَ فَترةً للمُعْجِزاتِ
لِسُودِ اللَّيْراعِ ولِلدَّوَاةِ
فقلبي في رِضْوَتِ مُؤَلِّماتِ
يُبَلِّغُ عنكَ كلَّ الطَّيِّباتِ

سَأَلْتُكَ بِالْوِدَادِ

«وكتب إلى سعادته يهنئه بتعيينه وكيلاً لنظارة الحقانية»

وبالذَّمِّ السَّوَالِفِ وَالْعُهُودِ وَأَخَرَ فِي فُؤَادِكَ لِي أَكِيدُ سَيِّئِشْرُ بَيْنَ (أَحْمَدَ) وَ(الْوَلِيدِ)؟ سَتَدْنُو لِلتَّائِسِ وَالْوُرُودِ؟ سُعودُ فِي سُعودِ فِي سُعودِ وَكُنْتَ البَدْرَ مَأْمُولَ الوُفُودِ لَقَدْ خُلِقَ الأَهْلَةُ لِلصُّعودِ وَلَا فِيهَا اِحْتِمَالٌ لِلْمَزِيدِ	سَأَلْتُكَ بِالْوِدَادِ أبا حُسَيْنِ وَحَبِّ كَامِنٍ لَكَ فِي فُؤَادِي أَحَقُّ أَنْ مَطْوِيَّ اللَّيَالِي وَأَنْ مَنَاهِلًا كُنَّا لَدَيْهَا قَدُومُكَ فِي رُقِيِّكَ فِي نَصِيبِي وَقَدْتُ عَلَى رُبُوعِكَ غِبَّ نَائِي لِئِنْ رَفَعُوكَ مَنزَلَةً فَأَعْلَى وَأَقْسَمُ مَا لَرَفَعَتِكَ انْتِهَاءُ
--	--

أَهْنَأُ أَخِي

«وكتب إلى صديقه الفاضل صاحب العزة حمزة بك فهمي يهنئه برتبة المتمايز الرفيعة»

قُلْتُ: «النَّمَايِزُ» مِنْ قَدِيمِ لَا مَتَارَ بِالخُلُقِ العَظِيمِ وَجَّهَنَ مِنْكَ إِلى كَرِيمِ وَتَلَقَّ تَهْنِئَةَ الحَمِيمِ حَتَّى تُنَيِّفَ عَلَى النُّجُومِ	قَالُوا: «تَمَايِزَ» حَمزَةً لَوْ لَمْ يَمَيِّزُوهُ بِهَا رُتَبٌ كَرَامٌ فِي العُلَا فَاهِنًا أَخِي بِوُفُودِهَا وَارِقُ المَنَازِلَ كُلَّهَا
---	---

يَا نَصِيبَ

«وقال يعايب صديقه الشاعر خليل بك مطران، وقد جاءه أنه ربح ربحاً»

وَأُنْبِئْتُ بِمَا سَرًّا رِيحَتِ النَّمْرَةَ الكَبْرَى وَيَا مُطْرَانَ، مَا أُخْرَى	لَقَدْ وَافَتَنِي البُشْرَى وَقَالُوا عَنكَ لِي أَمْسِ فِيَا مُطْرَانَ، مَا أَوْلَى
--	---

الشوقيات

لقد أَقْبَلتِ الدنِيا فلا تجزَع على الأخرى
أَخَذتِ الصِّفْرَ باليُمْنى وكان الصِّفْرُ باليُسرى
وكانتِ فَضَّةً بيضًا فصارت ذَهَبًا صُفرا
وقال البعضُ: أَلْفَيْنِ وقالوا: فَوْقَ ذَا قَدْرَا

المُدَامَةُ

(وقال عن بعض شعراء الترك)

كُنْ في التواضِعِ كالمُدا مَهْ حين تُجَلَى في الكُؤُسِ
مَسَّتِ اتِّئادًا في الصُّدورِ فحَكُموها في الرءُوسِ

تاريخ

(وقال يؤرخ ديوانه الأول — الشوقيات — وقد صدر في سنة ١٣١٧هـ)

وَجَناتٍ مِنَ الأشعارِ فيها جَنَى لِلْمَجْتَبِي من كلِّ ذوقِ
تَأَمَّلْ كَمْ تَمَنَّوْها وَأَرَّخْ لِشوقِيَّاتِ أَحْمَدَ أَيَّ شوقِ

أَلْيَقُ دِيوانِ ظَهَرَ

وقال يؤرخ الشوقيات أيضًا»

مَجْمُوعَةٌ لأَحْمَدِ مُعْجِزُهُ فيها بِهِزْ
تُعَدُّ في تاريخِها أَلْيَقُ دِيوانِ ظَهَرَ

هوامش

(١) لوبييل: اسم تدلل به أمينة، وموزر: نوع من البنادق سريع الطلقات كان له شهرة قبل الحرب الحاضرة.

(٢) الغنوة: الغنى، يقول: هو في غنى عن سلوك طريقي.

الحكايات

أَنْتَ وَأَنَا

يَحْكُونَ أَنَّ رَجُلًا كُرْدِيًّا
وكان يُلقِي الرُّعْبَ فِي الْقُلُوبِ
وَيُفْزِعُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى
وكلَّما مرَّ هناك وهُنا
نَمَى حديقته إِلَى صَبِيٍّ
لا يَعْرِفُ النَّاسُ لَهُ الْفُتُوَّةَ
فقال للقوم: سأذريكم به
وسارَ نحوَ الهَمْشَرِيِّ فِي عَجَلٍ
ومدَّ نحوهَ يَمِينًا قاسِيَةً
فلم يُحَرَكَ ساكِنًا، ولا ارتَبَكَ
بل قال للغالب قولاً لينا:

كان عظيمَ الجسمِ هَمْشَرِيًّا
بكَثْرَةِ السِّلَاحِ فِي الْجُيُوبِ
وَيُرْعَبُ الْكِبَارَ، وَالصَّغَارَ
يَصيحُ بالناس: أنا! أنا! أنا!
صغيرِ جسمٍ، بطلٍ، قويٍّ
وليس مِمَّنْ يَدْعُونَ الْقُوَّةَ
فتعلمون صدقه من كذبه
والناسُ مما سيكونُ في وَجَلٍ
بضربةٍ كادتُ تكونُ القاضِيَةَ
ولا انتهى عن زعمه، ولا تَرَكَ
الآنَ صرنا اثنين: أنتَ وأنا

نَدِيمُ الْبَاذِنَجَانِ

كان لسلطانٍ نديمٌ وافٍ
وقد يزيدُ في الثَّنَا عليه
وكان مَولاهُ يَري، وَيَعْلَمُ
يُعيدُ ما قال بلا اختلافٍ
إذا رأى شيئًا حلاً لديه
ويسمعُ التَّمْلِيقَ، لكنْ يَكْتُمُ

فجلساً يوماً على الخوان
فأكل السلطانُ منه ما أكلُ
قال النديمُ: صدق السلطانُ
هذا الذي غنى به «الرئيس»^١
يُذهِبُ أَلْفَ عِلَّةٍ وَعِلَّةُ
قال: ولكنْ عنده مراره
قال: نعم، مُرٌّ، وهذا عَيْبُهُ
هذا الذي مات به «بُقراطُ»
فالتفت السلطان فيمن حوله
قال النديمُ: يا مَلِيكَ النَّاسِ
جُعِلْتُ كَيُّ أَنْادِمِ السُّلْطَانَا

وجيءَ في الأكلِ بِبَاذِنَجَانٍ
وقال: هذا في المذاق كالعسلِ
لا يستوي شهْدُ وبَاذِنَجَانُ
وقال فيه الشُّعْرُ «جالينوسُ»
ويُبْرِدُ الصَّدْرَ، وَيَشْفِي الغُلَّةَ
وما حَمَدْتُ مَرَّةً آثَارَهُ
مُدُّ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ لَا أَحِبُّهُ
وسُمَّ فِي الكَأْسِ بِهِ «سُقْرَاطُ»
وقال: كيف تجدون قولَهُ؟
عُذْرًا؛ فما في فعلتي من باسٍ
ولم أَنَادِمَ قَطُّ بِبَاذِنَجَانَا

ضِيَاةٌ قِطَّةٌ^١

لستُ بناسٍ ليلَةً
تطاوَلْتُ مثلاً ليا
إِذْ انْفَلَتُ مِنْ سُحُو
أَنْظُرُ فِي دِيوَانِ شِعْرِ
فلم يَرْعِنِي غيرُ صَوِّ
فَقَمْتُ أَلْقِي السَّمَّ
حتى ظَفِرْتُ بِالتِّي
فمُدُّ بدت لي، والتقتُ
عاد رَمَادٌ لَحْظِهَا
ورددتُ فجيحَها

من رَمَضَانَ مَرَّتِ
لي القُطْبِ، واكفهرتِ
ري، فَدَخَلْتُ حُجْرَتِي
رِ، أَوْ كِتَابِ سِيرَةِ
تِ كَمُوءِ الهِرَّةِ
عَ فِي السُّتُورِ، والأَسْرَةِ
عليَّ قد تَجَرَّتِ
نَظَرْتُهَا ونظرتي
مثلَ بَصِيصِ الجَمْرَةِ
كَحَنِيشِ بِقُفْرَةِ

^١ نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٢٩.

وليسَتْ لي من ورا
 كرتُ، ولكن كالجبا
 وانتفضتُ شواربًا
 ورفعت كفاً، وشا
 ثم ارتقتُ عن المُوا
 لم أجزها بشيرةٍ
 ولا غبيتُ ضعفها
 ولا رأيتُ غيرَ أمِّ
 رأيتُ ما يعطفُ نفْ
 رأيتُ جدَّ الأمها
 فلم أزلُ حتى اطمأنَّ
 أتيتها بشريةٍ
 وضنتُها من جانبي
 وزدنتُها الدَّفءَ، فقرَّ
 ولو وجدت مَضيدًا
 فاضطجعتُ تحتِ ظلا
 وقرأتُ أورادها
 وسرَّح الصَّغارُ في
 عُرُ نجومٍ سُبَّحُ
 اختلطوا، وعبَّئوا
 تحسَّبهم ضفادعًا
 وقلتُ: لا بأسَ على
 تمخَّضي عن خمسةٍ
 أنتِ وأولادكِ حتَّى

ءِ السترِ جلدَ النمرةِ
 نِ قاعدًا، وفرتُ
 عن مثل بيتِ الإبرةِ
 لتُ ذنبًا كالمذرةِ
 ءِ، فَعَوْتُ، وهَرَّتِ
 عن غضبٍ وشِرةٍ
 ولا نَسيتُ قُدْرَتِي
 بالبنينَ برَّةَ
 سَ شاعرٍ من صورةِ
 تِ في بناءِ الأُسرةِ
 جاشها، وقَرَّتِ
 وجئتُها بكسرةِ
 مَرَقِدِها بسترتي
 بُتُ لها مَجْمَرَتِي
 لجئتُها بفأرةِ
 لِ الأَمَنِ واسبَطَرَّتِ
 وما دَرَّتِ ما قَرَّتِ
 تُدِيها، فدَرَّتِ
 في جَنَبَاتِ السُّرةِ
 كالعُمي حَوْلَ سُفرةِ
 أرسلتُها في جَرَّةِ
 طِفْلِكَ يا جُويزَتِي
 إن شِئتِ، أو عن عَشرةِ
 يكبروا في خُفرتي

الصَيَّادُ وَالْعُصْفُورَةُ^٢

صارت لبعض الزاهدين صوره
 ولا أرادوا أولياء الحق
 كم لأعب في الزاهدين لاه
 والشعر للحكمة مذ كان وطن
 ما نطقته ألسن التجريب
 وكل من فوق الثرى صياد
 لم ينهها النهي، ولا الحزم زجر
 قال: على العصفورة السلام
 قال: حنتها كثرة الصلاة
 قال: برتتها كثرة الصيام
 قال: لباس الزاهد الموصوف
 فابن عبید والفضيل فيه
 قال: لهايك العصا سليله
 ولا أزد الناس عن تبرك
 مما اشتهى الطير، وما أحباً
 وقلت أقري بائسات الطير
 لم يك قرباني القليل ضائعاً
 قال: القطيه. بارك الله لك
 ومصرع العصفور في المنقار
 مقالة العارف بالأسرار:
 كم تحت ثوب الزهد من صياد!

حكاية الصياد والعصفوره
 ما هزءوا فيها بمستحق
 ما كل أهل الزهد أهل الله
 جعلتها شعراً لتلفت القطن
 وخير ما ينظم للأديب
 ألقى غلام شركا يصطاد
 فانحدرت عصفورة من الشجر
 قالت: سلام أيها الغلام
 قالت: صبي منحنى القناة؟!
 قالت: أراك بايدي العظام!
 قالت: فما يكون هذا الصوف؟
 سلى إذا جهلت عارفيه
 قالت: فما هذي العصا الطويلة؟
 أهش في المرعى بها، وأتكي
 قالت: أرى فوق التراب حباً
 قال: تشبهت بأهل الخير
 فإن هدى الله إليه جائعاً
 قالت: فجدلى يا أبا التنسك
 فصليت في الفخ نار القاري
 وهتفت تقول للأغرار
 «إياك أن تغتر بالزهاد»

الْبَلْبَلُ التِي رَبَّاهَا الْبُومُ

^٢ زيدت في هذه الطبعة الثانية.

أَصْبَى الطَّيْرَ، فَنَاجَتْهُ، وَنَاجَاهَا
لِحَرْمَةٍ عِنْدَهُ — لِلْبُومِ يَرَعَاهَا
فَأَقْبَلَتْ وَهِيَ أَعْصَى الطَّيْرِ أَفْوَاهَا
بَأَنَّ تَبَّتْ نَبِيَّ اللَّهِ شَكَاوَاهَا
وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ بِالذَّبْحِ دَاوَاهَا
عِنْدَهَا، يَقُولُ لِمَوْلَاهُ وَمَوْلَاهَا:
حُرْسًا، وَلَكِنَّ بَوْمَ الشُّومِ رَبَّاهَا

أُنْبِتْتُ أَنَّ سُلَيْمَانَ الرَّمَانَ وَمَنْ
أَعْطَى بِلَابِلَهُ يَوْمًا — يُوَدِّبُهَا
وَاشْتَاقَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ رُؤْيَتَهَا
أَصَابَهَا الْعِيَّ، حَتَّى لَا اقْتَدَارَ لَهَا
فَنَالَ سَيِّدَهَا مِنْ دَائِهَا غَضَبُ
فَجَاءَهُ الْهُدُودُ الْمَعْهُودُ مُعْتَدِرًا
بِلَابِلِ اللَّهِ لَمْ تَحْرَسْ، وَلَا وُلِدَتْ

الدِّيكَ الْهِنْدِيُّ وَالذَّجَاجُ الْبَلْدِيُّ

تَخَطَّرُ فِي بَيْتِ لَهَا طَرِيفٍ
فَقَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الضَّيْفِ
وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوهَا
يَوْمًا، وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
عَلَيَّ، إِلَّا الْمَاءَ، وَالْمَنَامُ
وَفَتَحَتْ لِلْعَلَجِ بَابَ الْعُشِّ
يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكَ
مُمتَّعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةَ
تَحْلُمُ بِالذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ
وَاقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَشْبَاحُ
يَقُولُ: دَامَ مَنْزِلِي الْمَلِيحُ!
مَذْعُورَةٌ مِنْ صِيحَةِ الْعَشُومِ
عَدَرْتَنَا وَاللَّهِ غَدْرًا بَيْنَنَا!
وَقَالَ: مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَمَقَى؟!
قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ!

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرَّيْفِ
إِذْ جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ
يَقُولُ: حَيَّا اللَّهُ ذِي الْوُجُوها
أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي
وَكُلُّ مَا عِنْدَكُمْ حَرَامٌ
فَعَاوَدَ الذَّجَاجُ دَاءَ الطَّيِّشِ
فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِيكِ
وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَةَ
وَبَاتِ الذَّجَاجُ فِي أَمَانٍ
حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ
صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحِ
فَانْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْتُومِ
تَقُولُ: مَا تِلْكَ الشُّرُوطُ بَيْنَنَا
فَضَحِكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى
مَتَى مَلِكْتُمْ أَلْسُنَ الْأَرْبَابِ؟

الْعُصْفُورُ وَالْعَدِيرُ الْمَهْجُورُ

قد غاب تحت الغابِ في الألفاف
خشيّة أن يُسمَعَ عنه، أو يُرى
وحَرَكَ الصَّنِيعَ من لِسَانِهِ
وَمُخِجَلِ الكُوْثِرِ يَوْمَ العَرَضِ
لِيَعْرِفَ المَكَانَ والإِمْكَانَا؟
ويشكرَ الفضلَ كما شكرتُ؟
وتُنسِي النَّاسَ حديثَ النِّيلِ؟
وقال يُهدي مُهَجَةَ المَغْرُورِ
أَمَّنَكَ اللهُ يَدَ ابْنِ آدَمِ
يُعْطِي، ولكنْ يَأْخُذُ الخَبِيثَا
وصارَ كُلُّ الذِّكْرِ لِلْمَهْنِدِسِ
وقِيَمَةُ المَحْسِنِ عِنْدَ النَّاسِ
فقلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّي بَعْدَهَا
يا سَعْدَ مَنْ صَافَى، وصُوفِي، واستر!

أَلَمْ عصفورٌ بمجرى صافٍ
يسقي الثرى من حيث لا يدري الثرى
فاغترف العصفورُ من إحسانه
فقال: يا نورَ عُيونِ الأَرْضِ
هل لك في أن أرشدَ الإنسانَا
فينظرَ الخَيْرَ الذي نظرتُ
لعلَّ أن تُشهرَ بالجميلِ
فالتفتَ الغديرُ للعصفورِ
يأبؤها الشاكرُ دونَ العالمِ
النَّيلُ — فاسمع، وافهم الحديثَا —
من طولِ ما أبصره النَّاسُ نسي
وهكذا العهدُ بوْدُ النَّاسِي
وقد عرفتَ حالتِي، وضدَّهَا
إن خفي النافعُ فالنفعُ ظهرَ

الأفعى النيلية والعقربة الهندية

في هوس الأفعى وخبث العقربة
مُعجبةً بقدها الجميلِ
وتدعي العقلَ الكبيرَ الرَّاجِحَا
تحملُ وزنيها من الأوساخِ
ساحرةً من ساحراتِ الهندِ
واندفعتِ تلكَ كسهمِ زالجِ
دارتُ عليه كالسوارِ دورها
أين الفرارُ يا عدوَّ العيشِ؟
أو تخرجي فالهلكُ في الخروجِ
واغترتِ الأفعى بذَا السكوتِ

وهذه واقعةٌ مستغربة
رأيتُ أفعى من بناتِ النِّيلِ
تحتقرُ النصحَ، وتجفو النَّاصِحَا
عنتُ لها ربيبةَ السِّباحِ
فحسبنا — والحسابُ يُجدي —
فانخرطتُ مثلَ الحُسامِ الوالجِ
حتى إذا ما أبلغتها جحرها
تقول: يا أمَّ العمى والطُّيشِ
إن تلجِي فالموتُ في الولوجِ
فسكتتُ طريدةً البيوتِ

وَهَجَعَتْ عَلَى الطَّرِيقِ هَجْعَهُ
وَنَهَضَتْ فِي ذِرْوَةِ الدِّمَاغِ
فَانْتَبَهَتْ كَالْحَالِمِ الْمَذْعُورِ
حَتَّى وَهَتَّ مِنَ الْفِتَاةِ الْقُوَّةُ
تَقُولُ: صَبْرًا لِلْبَلَاءِ، صَبْرًا
فَرَأْسُكَ الدَّاءُ، وَذَا الدَّوَاءِ
مَنْ مَلَكَ الْخَصْمَ وَنَامَ عَنْهُ
لَوْلَا الَّذِي أَبْصَرَ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ

فَخَرَجَتْ ضَرَّتْهَا بِسُرْعَةٍ
وَاسْتَرَسَلَتْ فِي مَوْلِمِ التَّلْدَاغِ
تَصِيحُ بِالْوَيْلِ، وَبِالْتُّبُورِ
فَنَزَلَتْ عَنْ رَأْسِهَا الْعُدُوَّةُ
وَإِنْ وَجَدْتَ قَسْوَةً فَعُذْرًا
وَهَكَذَا فَلْتُرْكَبُ الْأَعْدَاءُ
يُضْبِحُ يَلْقَى مَا لَقِيتَ مِنْهُ
مَنْيَ لَمَّا سَمُوا الْخَبِيثَ عَقْرَبَهُ

السُّلُوقِيُّ وَالْجَوَادُ

قَالَ السُّلُوقِيُّ مَرَّةً لِلْجَوَادِ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا رَفِيقَ الْهِنَا
أَلَسْتَ أَهْلَ الْبَيْدِ، أَهْلَ الْفَلَا
أَلَمْ تَكُنْ رَبَّ الصِّفَاتِ الَّتِي
قَالَ: بَلَى، كُلُّ الَّذِي قَلَّتْهُ
قَالَ: فَمَا بِالْكَ يَا صَاحِبِي
تَشْكُو، فَتُشْكِيكَ عَصَا سَيْدِي
وَتَنْتَنِي فِي عَرَقِ سَائِلِ
وَذَا السُّلُوقِيُّ أَبَدًا صَابِرٌ
فَقَالَ: مَهْلًا يَا كَبِيرَ النَّهْيِ
السُّرُّ فِي الطَّيْرِ وَفِي الْوَحْشِ لَا
مَا الرَّجُلُ إِلَّا حَيْثُ كَانَ الْهُوَى
أَمَا تَرَى الطَّيْرَ عَلَى ضَعْفِهَا

وَهُوَ إِلَى الصَّيْدِ مَسُوقُ الْقِيَادِ
فَأَنْتَ تَدْرِي لِي الْوَفَا فِي الْوِدَادِ
أَهْلَ السُّرَى وَالسَّيْرِ، أَهْلَ الْجِهَادِ؟
هَامَ بِهَا الشَّاعِرُ فِي كُلِّ وَادِ؟
أَنَا بِهِ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْعِبَادِ
إِذَا دَعَا الصَّيِّدُ، وَجَدَّ الطَّرَادِ
إِنَّ الْعَصَا مَا خُلِقَتْ لِلْجَوَادِ
مُنْكَسَ الرَّأْسِ، ضَنْئِيلَ الْفُؤَادِ
يَنْقَادُ لِلْمَالِكِ أَيَّ انْقِيَادِ؟
مَا هَكَذَا أَنْظَارُ أَهْلِ الرَّشَادِ
فِي عَظْمِ سَيْقَانِكَ يَاذَا السَّدَادِ
إِنَّ الْبَطُونَ قَادِرَاتُ شِدَادِ
تَطْوِي إِلَى الْحَبِّ مِثَاتِ الْبِلَادِ؟

فَأَرُ الْعَيْطُ وَقَارُ الْبَيْتِ

تَتِيهٌ بَابِنِيهَا عَلَى الْفِيرَانِ!
 وَعَلَّمْتَهُ الْمَشْيَ فَوْقَ الْخَيْطِ
 وَأَتَقَنَ الدُّخُولَ وَالْخُرُوجَا
 وَعَاشَ كَالْفَلَّاحِ فِي هِنَاءِ
 بِالْكَبِيرِ، فَاحْتَارَتْ بِمَا تُسَمِّي
 لِأَنَّي - يَا أُمَّ - فَأَرُّ الْعَصْرِ
 فَلَئِي طَرِيقٌ، وَلَهُ طَرِيقٌ
 وَثُبًّا مِّنَ الرَّفِّ إِلَى الْكَرَارِ
 وَنَلْتُ - يَا كَلَّ الْمَنَى - مَرَامِي
 مِنْ عَسَلٍ، أَوْ جُبْنَةٍ، أَوْ زَيْتِ
 وَأُقْبَلْتُ مِنْ وَجْدِهَا تَضُمُّهُ
 أَخْشَى عَلَيْكَ ظِلْمَةَ الْبُيُوتِ
 فِي أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ فَلَاحَا
 أَوْ لَا، فَسِرُّ فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ
 وَقَالَ: مَنْ قَالَ بِذَا قَدْ حَرَفَا
 وَعَاهَدَ الْأُمَّ عَلَى أَنْ تَكْتُمَا
 وَجُبْنَةً فِي فَمِهِ، أَوْ شَمْعَهُ
 وَعُغْرَفَ اللَّصِّ، وَشَاعَ الْأَمْرُ
 فَسَأَلْتَهُ: أَيْنَ خَلِّي الذَّنْبَا؟
 فِي الشَّهِدِ قَدْ غَاصَ، وَفِي الشَّهِدِ نَهَبَ
 مِنْهَا يُدَارِي فَقَدْ إِحْدَى الْأَرْجُلِ
 صَيَّرَنِي أَعْرَجَ فِي الْمَعَالِي
 قَدْ أَخْلَفَ الْعَادَةَ فِي الزِّيَارَةِ
 وَسَارَتِ الْأُمُّ لَهُ عَلَى عَجَلٍ
 قَدْ سَحِقَتْ مِنْهُ الْعِظَامُ سَحَقًا
 إِنْ الْمَعَالِي قَتَلَتْ فَتَاهَا!

يُقَالُ: كَانَتْ فَارَّةُ الْغَيْطَانِ
 قَدْ سَمَّتِ الْأَكْبَرَ نُورَ الْغَيْطِ
 فَعَرَفَ الْغِيَاضَ وَالْمُرُوجَا
 وَصَارَ فِي الْحَرْفَةِ كَالْآبَاءِ
 وَأَتَعَبَ الصَّغِيرُ قَلْبُ الْأُمِّ
 فَقَالَ سَمَّيْنِي بِنُورِ الْقَضْرِ
 إِنِّي أَرَى مَا لَمْ يَرِ الشَّقِيقُ
 لِأَدْخَلَنَّ الدَّارَ بَعْدَ الدَّارِ
 لَعَلَّنِي إِنْ ثَبَّتَتْ أَقْدَامِي
 آتِيكَمَا بِمَا أَرَى فِي الْبَيْتِ
 فَعَطَفَتْ عَلَى الصَّغِيرِ أُمَّهُ
 تَقُولُ: إِنِّي - يَا قَتِيلَ الْقَوْتِ -
 كَانَ أَبُوكَ قَدْ رَأَى الْفَلَاحَا
 فَاعْمَلْ بِمَا أَوْصَى تُرْحَ جَنَانِي
 فَاسْتَضَحَّ الْفَارُّ، وَهَزَّ الْكِتْفَا
 ثُمَّ مَضَى لِمَا عَلَيْهِ صَمَّمَا
 فَكَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ جَمْعَهُ
 حَتَّى مَضَى الشَّهْرُ، وَجَاءَ الشَّهْرُ
 فَجَاءَ يَوْمًا أُمَّهُ مُضْطَرِبَا
 فَقَالَ: لَيْسَ بِالْفَقِيدِ مِنْ عَجَبٍ
 وَجَاءَهَا ثَانِيَةً فِي حَجَلِ
 فَقَالَ: رَفُّ لَمْ أَصِبْهُ عَالِي
 وَكَانَ فِي الثَّالِثَةِ ابْنُ الْفَارَةِ
 فَاشْتَغَلَ الْقَلْبُ عَلَيْهِ، وَاشْتَعَلَ
 فَصَادَفْتَهُ فِي الطَّرِيقِ مُلْقَى
 فَنَاحَتْ الْأُمُّ، وَصَاحَتْ: وَاهَا!

مَلِكُ الْغُرَبَانِ وَنُدُورِ الْخَادِمِ

وله في النخلة الكبرى أريك
 لصغارِ الملكِ أصحابِ العُهودِ
 وهو في البابِ الأمينِ الحازمِ
 أنت ما زلتِ تُحِبُّ الناصحينِ
 جازتِ القصرَ، ودبتِ في الجُدورِ
 قبلَ أنْ نَهَلَكَ في أشراكِها
 ثم أدنى خادِمَ الخيرِ، وقال:
 أنا ذو المنقارِ، غلابُ الرياحِ
 أنا لا أبصرُ تحتِي بانُدورِ!
 قام بينَ الرِّيحِ والنخْلِ خِصامُ
 فبدا للرِّيحِ سهلاً قلْعُها
 وهوى الديوانِ، وانقضَّ السَّريرِ
 ودعا خادمَهُ الغالي يقول:
 ما ترى ما فعلتِ فينا الرياحُ؟
 «أنا لا أنظرُ في هذي الأمورِ!»

كانَ للغربانِ في العصرِ مَليكَ
 فيه كرسِيٌّ، وخِدرٌ، ومُهوّدُ
 جاءهُ يوماً ندورُ الخادِمُ
 قال: يا فرعَ الملوكِ الصالحينِ
 سُوسَةٌ كانت على القصرِ تدورُ
 فابعثَ الغربانَ في إهلاكِها
 ضحكَ السلطانُ من هذا المقالِ
 أنا ربُّ الشوكَةِ الضافي الجناحِ
 «أنا لا أنظرُ في هذي الأمورِ»
 ثم لما كانَ عامٌ بعدَ عامٍ
 وإذا النخلةُ أقوى جذعِها
 فَهَوَّتْ لِلأَرْضِ كالتَّلِّ الكبيرِ
 فدها السلطانُ ذا الخَطْبِ المهولِ
 يا ندورَ الخيرِ، أسعِفْ بالصباحِ
 قال: يا مولاي، لا تسألُ ندورَ

الظَّبِّيُّ وَالْعِقْدُ وَالْخُنْزِيرِ

فرفع الرأسِ إلى السماءِ
 زنهُ بِعِقدِ اللؤلؤِ النَّضيدِ
 طلبتِ يا ذا الظَّبِّيِّ ما لن تُمنحَا
 لم يُبقِ في الحسنِ له مزيدا
 لم يخرجِ الدرُّ من البُحورِ
 وزادهُ شوقًا إلى اللآلي
 فعاش دهرًا في الفلا يهيم
 وهجرَ طيبِ النومِ والطعامِ
 يشكو إليه نفعَهُ وضرَّهُ

ظبِّيُّ رأى صورتهُ في الماءِ
 وقال يا خالقَ هذا الجيدِ
 فسمعَ الماءَ يقولُ مُفصصًا
 إنَّ الذي أعطاك هذا الجيدا
 لو أن حُسنَهُ على النُحورِ
 فافتتنَ الظَّبِّيُّ بِذي المقالِ
 ولم يَنلُهُ فمهُ السقيمُ
 حتى تقضىَ العمرُ في الهيامِ
 فسارَ نحوَ الماءِ ذاتِ مرَّةٍ

أَقْبَلَ رَاعِي الدَّيْرِ فِي الظلام
فِي جِيْدِهِ قِلَادَةٌ تُنِيرُ
وَقَالَ مِنْ بَعْدِ انْجِلَاءِ الشُّكِّ
مَا آفَةُ العَمْرِ سِوَى الضلالِ
لِما سَعَى العَقْدُ إِلى الخَنْزِيرِ
وَقَالَ: حَالُ الشَّيْخِ شَرُّ حَالِ
حَفِظْتَ عَمْرًا لو حَفِظْتَ مَوْعِظَةَ

وَبَيْنَمَا الجارانِ فِي الكلامِ
يَتَبَعُهُ حَيْثُ مَشَى خَنْزِيرُ
فانْدَفَعَ الظَّبْيُ لِذاكَ يَبْكِي
مَا آفَةُ السَّعْيِ سِوَى الضلالِ
لِوَلَا قِضَاءِ المَلِكِ القَدِيرِ
فالتَفَتَ المَاءُ إِلى الغِزالِ
لا عَجَبُ؛ إِذِ السَّنِينِ مُوقِظُهُ

وَلِيُّ عَهْدِ الأَسَدِ وَخُطْبَةُ الحَمَارِ

مُبَشِّرًا بِأَوَّلِ الأَنْجَالِ
وانعقد المجلس للهناء
فِي الأَرْضِ للقاصي بها والداني
من كل ذي صوفٍ وذي منقار
نادى منادي اللئث في المعية
يدعو بطول العمر للأمير؟
وقال ما يليق بالمقام
يُنشُدُ، حتى قيل: ذا جرير
ف قيل: أحسنت أبا نواس!
يريد أن يُشرفَ العشيره
وباعثِ العصا إلى الحمير!..
فمات من رعدته في المهد
بجُملة الأنياب والأظفار
فقال في التعريض بالمسكين:
عاش حمارًا ومضى حمارًا!

لَمَّا دَعَا دَاعِي أَبِي الأَشْبالِ
سَعَتْ سِباعُ الأَرْضِ والسَّماءِ
وَصَدَرَ المرسومُ بالأمانِ
فضاق بالذبولِ صحنُ الدارِ
حتى إِذا استكملتِ الجمعيَّةُ
هل من خطيبٍ محسنٍ خبيرِ
فنهضَ الفيلُ المشيرُ السامي
ثم تلاه التُّعَلْبُ السَّفِيرُ
واندفعَ القردُ مديراً الكاسِ
وأوماً الحِمَارُ بالعقيره
فقال: باسمِ خالِقِ الشَّعيرِ
فأزعجَ الصَّوتُ وَلِيَّ العَهْدِ
فحملَ القومُ على الحِمَارِ
وانتدبَ التُّعَلْبُ لِلتَّابِينِ
لا جَعَلَ اللهُ لَهُ قِرازًا

الأَسَدُ وَالتُّعَلْبُ وَالعِجْلُ

كان بالقربِ على غيْطِ أَمِينٍ
وكذا الأَنْفُسُ يُصْبِيها النَّفِيسُ
رَأْسُكَ المَحْبُوبُ، أو ذاك الغزل!
ومضى في الحالِ لِلأَمْرِ الجليلِ
فرأى العَجَلَ فَأَهْدَاهُ السَّلَامُ
أَنْتِ أَهْلُ العَفْوِ والبِرِّ الغَزِيرِ
فوشى بي عندَ مَوْلانا الأَسَدِ
وهوَ فينا لم يَزَلْ نِعَمَ الشَّفِيعِ!
ودنا يسألُ عن شرحِ الحديثِ
أَنَّ مَوْلانا أبا الأَقْبِيالِ مات؟
موطنَ الحِكْمَةِ والجَذقِ الكَثِيرِ
ولأَمْرِ المُلِكِ ركنًا يُذخِرُ
مثلَ آيِسَ وَمَعْبُودِ اليَهُودِ
عن يمينِ المَلِكِ السامِي الخَطِيرِ
في انتظارِ السَّيِّدِ العالِيِ هُناك
وانتَهى الأُنْسُ إِلَيْكُمْ والسَّرُورُ
واطلبوا لي العَفْوَ مِنْهُ والأَمَانُ
أَخْدُمُ المُنْعَمَ جَهْدَ المَسْتَطِيعِ
أَنْتِ مُنْذُ اليَوْمِ جاري، لا تُنْالِ!
أنا لا يَشْقَى لِدِيهِ بي رَفِيقُ
ذا إِلى المَوْتِ، وهذا لِلحَيَاةِ
وحبًا الثعلبِ مِنْهُ باليَسِيرِ
وجرى في حَلْبَةِ الفَخْرِ يَقولُ:
فقداه كلُّ ذي رَأْسٍ كَبِيرِا

نَظَرَ اللَّيْثُ إِلى عَجَلٍ سَمِينٍ
فاشْتَهَتْ مِنْ لحمه نَفْسُ الرَّئِيسِ
قال لِلثعلبِ: يا ذا الاحْتِيالِ
فدعا بالسَّعْدِ وَالعُمَرِ الطَوِيلِ
وَأَتى الغَيْطُ وَقَدْ جَنَّ الظلامِ
قائلاً: يَأَيُّها المَوْلَى الوَزِيرُ
حَمَلَ الذَّنْبَ على قَتلي الحَسَدِ
فترامَيْتُ على الجاهِ الرَفِيعِ
فبكى المَغْرورُ مِنْ حالِ الخَبِيثِ
قال: هل تَجْهَلُ يا حُلُو الصِّفَاتِ
فرأى السُّلْطانُ في الرَأْسِ الكَبِيرِ
ورأى خَيْرَ مَنْ يُسْتَوْدَرُ
ولقد عَدُّوا لَكُمْ بَيْنَ الجُدودِ
فأقاموا لِمعالِيكم سَرِيرِ
واستَعَدَّ الطَيْرُ وَالوَحْشُ لَذاكِ
فإِذا قُمْتُمْ بِأَعْباءِ الأُمُورِ
بِرُّتُونِي عِنْدَ سُلْطانِ الزمانِ
وكفِاكَم أَنَّنِي العَبْدُ المُطِيعِ
فأَحَدُ العِجَلِ قَرْنِيهِ، وَقال:
فأمضِ واكشِفْ لي إِلى اللَّيْثِ الطَرِيقِ
فَمَضى الخِلانُ تَوًّا لِلفِلاهِ
وهُناكَ ابْتَلَعَ اللَّيْثُ الوَزِيرِ
فانثَنى يَضْحَكُ مِنْ طيشِ العُجُولِ
سَلِمَ الثعلبُ بِالرَأْسِ الصَغِيرِ

الْقَرْدُ وَالْفِيلُ

قَرِدٌ رَأَى الْفَيْلَ عَلَى الطَّرِيقِ
 وَكَانَ ذَاكَ الْقَرِدُ نَصْفَ أَعْمَى
 فَقَالَ: أَهْلًا بِأَبِي الْأَهْوَالِ
 تَفْدِي الرَّءُوسُ رَأْسَكَ الْعَظِيمَا
 لِلَّهِ مَا أَظْرَفَ هَذَا الْقَدَا
 وَأَمْلَحَ الْأُذُنَ فِي الْاسْتِرْسَالِ
 وَأَحْسَنَ الْخُرطومَ حِينَ تَاهَا
 وَظَهْرُكَ الْعَالِي هُوَ الْبِسَاطُ
 فَعَدَّهَا الْفَيْلُ مِنَ السُّعُودِ
 فَجَالَ فِي الظُّهْرِ بِلَا تَوَانِ
 أَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُذَكَّرُ
 فَاتَهُمُ الْفَيْلُ الْبَعُوضُ، وَاضْطَرَبَ
 فَوَقَعَ الضَّرْبُ عَلَى السَّلِيمِ
 وَنَزَلَ الْبَصِيرُ^٢ ذَا اكْتِنَابِ
 فَقَالَ: لَا مُوجِبَ لِلنَّدَامِ
 مَنْ كَانَ فِي عَيْنَيْهِ هَذَا الدَّاءُ

مُهْرَوْلًا خَوْفًا مِنَ التَّغْوِيْقِ
 يُرِيدُ يُحْصِي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
 وَمَرْحَبًا بِمُخْجَلِ الْجِبَالِ
 فَقَفَّ أَشَاهِدُ حُسْنِكَ الْوَسِيمَا
 وَاللَّطْفَ الْعَظْمَ وَأَبْهَى الْجِلْدَا!
 كَأَنَّهَا دَائِرَةُ الْغِرْبَالِ!
 كَأَنَّهُ النَّخْلَةُ فِي صِبَاهَا!
 لِلنَّفْسِ فِي رُكُوبِهِ انْبِسَاطُ
 وَأَمَرَ الشَّاعِرَ بِالصُّعُودِ
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ مَكَانِ
 وَأَدْخَلَ الْأَصْبَعُ فِيهِ يَخْبُرُ
 وَضَيَّقَ النَّقَبَ، وَصَالَ بِالذَّنْبِ
 فَلِحَقَّتْ بِأَخْتِهَا الْكَرِيمِ
 يَشْكُو إِلَى الْفَيْلِ مِنَ الْمُصَابِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى السَّلَامِ
 فِي الْعَمَى لِنَفْسِهِ وَقَاءُ

الشَّاةُ وَالْغُرَابُ

مَرَّ الْغُرَابُ بِشَاةٍ
 تَقُولُ وَالدمْعُ جَارِ
 يَا لَيْتَ شَعْرِي يَا ابْنِي
 وَهَلْ تَكُونُ بَجَنْبِي
 فَقَالَ: يَا أُمَّ سَعْدِ
 فَكَّرْتُ فِي الْغَدِ، وَالْفِكَ
 لِكُلِّ يَوْمٍ خُطُوبُ
 وَبَيْنَمَا هُوَ يَهْذِي
 قَدِ غَابَ عَنْهَا الْفَطِيمُ
 وَالقَلْبُ مِنْهَا كَلِيمُ:
 وَوَاحِدِي، هَلْ تَدُومُ؟
 غَدًا عَلَى مَا أُرُومُ؟
 هَذَا عَذَابُ أَلِيمِ
 رُ مَقْعِدُ وَمُقِيمِ
 تَكْفِي، وَشُغْلُ عَظِيمِ
 أَتَى النَّعِيَّ الذَّمِيمِ

يقول: خَلَّفْتُ سَعْدًا
رَأَى مِنَ الذُّبِّ مَا قَدِ
فَقَالَ ذُو الْبَيْنِ لِلْأُ
إِنَّ الْحَكِيمَ نَبِيٌّ
أَلَمْ أَقُلْ لِكَ تَوَا
قَالَتْ: صَدَقْتَ، وَلَكِنْ
فَإِنَّ قَوْمِي قَالُوا:
وَالْعَظْمُ مِنْهُ هَشِيمٌ
رَأَى أَبَوْهُ الْكَرِيمِ
مَ حِينَ وَلَّتْ تَهِيمِ:
لِسَانُهُ مَعْصُومٌ
لِكُلِّ يَوْمٍ هُمُومٌ؟
هَذَا الْكَلَامُ قَدِيمٌ
وَجْهَ الْغُرَابِ مَشُومٌ

أُمَّةُ الْأَرَانِبِ وَالْفِيلِ

يَحْكُونَ أَنَّ أُمَّةَ الْأَرَانِبِ
وَابْتَهَجَتْ بِالْوَطَنِ الْكَرِيمِ
فَاخْتَارَهُ الْفَيْلُ لَهُ طَرِيقًا
وَكَانَ فِيهِمْ أَرْنَبٌ لَبِيبٌ
نَادَى بِهِمْ: يَا مَعْشَرَ الْأَرَانِبِ
اتَّجِدُوا ضِدَّ الْعَدُوِّ الْجَافِي
فَأَقْبَلُوا مُسْتَضَوِّبِينَ رَأْيَهُ
وَانْتَخَبُوا مِنْ بَيْنِهِمْ ثَلَاثَةَ
بَلْ نَظَرُوا إِلَى كَمَالِ الْعَقْلِ
فَنَهَضَ الْأَوَّلُ لِلْخِطَابِ
أَنَّ تَتَرَكَ الْأَرْضَ لِذِي الْخُرطومِ
فَصَاحَتْ الْأَرَانِبُ الْعَوَالِي:
وَوَثَبَ الثَّانِي فَقَالَ: إِنِّي
فَلِنَدْعُهُ يُمِدَّنَا بِحِكْمَتِهِ
فَقِيلَ: لَا يَا صَاحِبَ السُّمُومِ
وَانْتَدَبَ الثَّلَاثُ لِلْكَلامِ
اجْتَمِعُوا؛ فَالاجْتِمَاعُ قُوَّةٌ
قَدْ أَخَذَتْ مِنَ الثَّرَى بِجَانِبِ
وَمَوْئِلِ الْعِيَالِ وَالْحَرِيمِ
مُمَزَّجًا أَصْحَابَنَا تَمْزِيقًا
أَنْزَهَبَ جُلَّ صُوفِهِ التَّجْرِبِ
مَنْ عَالِمٌ، وَشَاعِرٌ، وَكَاتِبٌ
فَالاتِّحَادُ قُوَّةُ الضَّعَافِ
وَعَقِدُوا لِلْاجْتِمَاعِ رَأْيَهُ
لَا هَرَمًا رَاعُوا، وَلَا حَدَاثَهُ
وَاعْتَبَرُوا فِي ذَاكَ سِنَّ الْفَضْلِ
فَقَالَ: إِنَّ الرَّأْيَ ذَا الصَّوَابِ
كِي نَسْتَرِيحَ مِنْ أَدَى الْغَشُومِ
هَذَا أَضْرُّ مِنْ أَبِي الْأَهْوَالِ
أَعْهَدُ فِي الثَّلَعِ شَيْخَ الْفَنِّ
وَيَأْخُذُ اثْنَيْنِ جِزَاءَ خِدْمَتِهِ
لَا يُدْفَعُ الْعَدُوُّ بِالْعَدُوِّ
فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَقْوَامِ
ثُمَّ احْفَرُوا عَلَى الطَّرِيقِ هُوَّةً

يهوي إليها الفيلُ في مروره
ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ
فاستصوبوا مقالهُ، واستحسنوا
وهلكَ الفيلُ الرفيعُ الشانِ
وأقبلتُ لصاحبِ التدبيرِ
فقال: مهلاً يا بني الأوطانِ
فصاحبُ الصوتِ القويِّ الغالبِ
فمنستريحُ الدهرِ من شروره
قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيلِ
وعملوا من فورهم، فأحسنوا
فأمستِ الأُمّةُ في أمانِ
ساعيّةً بالتاجِ والسريِرِ
إنّ محليّ للمحلِّ الثاني
منّ قد دعا: يا معشرَ الأرنبِ

حكايةُ الخُفّاشِ ومليكةُ الفُراشِ

مرّت على الخُفّاشِ
تطيرُ بالجموعِ
فعطفتُ ومالت
أزريتُ بالغرامِ
صِف لي الصديقَ الأسوداً
قال: سألتِ فيه
هو الصديقُ الوافي
جوارهُ أمانُ
وطرفهُ كليلُ
يحنو على العشاقِ
وجُملةُ المقالِ
فقالَت الحمقاءُ
أين أبو المسكِ الخصي
من صاحبِ الأميرِ
إنّ عدُّ فيمن أعرفُ
وإنّ سُئلتُ عنه
أفاخرُ الأترابِ
مليكةُ الفُراشِ
سعيّاً إلى الشموعِ
واستضحكتُ فقالت:
يا عاشقَ الظلامِ
الخاملَ المُجرّداً
أصدّق واصفِيه
الكاملُ الأوصافِ
وسرُّه كتمانُ
إذا هفا الخليلُ
يَسمعُ للمشتاقِ
هو الحبيبُ الغالي
وقولُها استهزاءُ
ذو الثمنِ المُسترخِصِ
الظاهرِ المنيرِ؟
أسمو به وأشرفُ
وعن مكاني منه
وأنثني إعجاباً

فَقَالَ: يَا مَلِيكَهُ
 إِنَّ مِنَ الْغُرُورِ
 فَأَعْطِنِي قَفَاكَ
 فَتَرَكْتُهُ سَاخِرَهُ
 وَبَعْدَ سَاعَةٍ مَضَتْ
 مَرَّتْ عَلَى الْخُفَّاشِ
 نَاقِصَةَ الْأَعْضَاءِ
 فَجَاءَهَا مِنْهُمْ مَكَا
 قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ
 رَبِّ صَدِيقٍ عَبْدٍ
 يَفْدِيكَ كَالرَّئِيسِ
 وَصَاحِبٍ كَالنُّورِ
 مُعْتَكِرِ الْفَوَادِ
 جِبَالِهِ أَشْرَاكَ
 وَرَبَّةَ الْأَرِيكَهُ
 مَلَامَةَ الْمَغْرُورِ
 وَامْضِي إِلَى الْهَلَاكِ
 وَذَهَبْتَ مُفَاخِرَهُ
 مِنَ الزَّمَانِ فَانْقَضَتْ
 مَلِيكَهُ الْفَرَاشِ
 تَشْكُو مِنَ الْفَنَاءِ
 يُضْحِكُهُ مِنْهَا الْبُكَاءُ
 هَلَكْتَ أَوْ لَمْ تَهْلِكِي
 أَبْيَضُ وَجْهِ الْوَدِّ
 بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ
 فِي الْحُسْنِ وَالظُّهُورِ
 مُضَيِّعِ الْوُدَادِ
 وَقُرْبِيهِ هَلَاكُ؟

الْأَسَدُ وَوَزِيرُهُ الْحِمَارُ

اللَّيْثُ مَلِكُ الْقِفَارِ
 سَعَتْ إِلَيْهِ الرِّعَايَا
 قَالَتْ: تَعِيشُ وَتَبْقَى
 مَا تِ الْوَزِيرُ فَمَنْ ذَا
 قَالَ: الْحِمَارُ وَزِيرِي
 فَاسْتَضْحَكَتْ، ثُمَّ قَالَتْ:
 وَخَلَّفْتُهُ، وَطَارَتْ
 حَتَّى إِذَا الشُّهُرُ وَلَّى
 لَمْ يَشْعُرِ اللَّيْثُ إِلَّا
 الْقَرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ
 وَمَا تَضَمُّ الصَّحَارِي
 يَوْمًا بِكُلِّ انْكَسَارِ
 يَا دَامِي الْأَطْفَارِ
 يَسُوسُ أَمْرَ الصُّوَارِي؟
 قَضَى بِهَذَا اخْتِيَارِي
 «مَاذَا رَأَى فِي الْحِمَارِ؟»
 بِمُضْحِكِ الْأَخْبَارِ
 كَلِيلَةٍ أَوْ نَهَارِ
 وَمُلْكُهُ فِي دَمَارِ
 وَالْكَلْبُ عِنْدَ الْيَسَارِ

والقِطُّ بين يديه
فقال: مَنْ في جُدودي
أَيْنَ اقتداري وبَطْشي
فجاءهُ القردُ سرًّا
يا عالي الجاه فينا
رأى الرعيَّة فيكم
يلهو بعِظَمَةِ فار!
مثلي عديمُ الوقار؟!
وهيبتني واعتباري؟!
وقال بعدَ اعتذار:
كن عالي الأنظار
من رأيكم في الحمار!

النَّمْلَةُ وَالْمُقَطَّمُ

كانتِ النملةُ تمشي
فارتخى مَفْصِلُها من
وانثنتُ تنظرُ حتى
قالت: اليومَ هلاكي
ليت شعري: كيف أنجو
فسعتُ تجري، وعينا
سقطتُ في شبرِ ماءٍ
فبكت يأسًا، وصاحت
ثمَّ قالتُ وهي أدري
ليتنني لم أتأخَّر
ليتنني سلَّمتُ، فالعا
صاح لا تخشَ عظيمًا
مرَّةً تحتَ المُقَطَّمِ
هيبةُ الطَّودِ المعظَّمِ
أوجدَ الخوفُ وأعدم
حلَّ يومي وتحتم!
— إن هوى هذا — وأسلم؟
ها ترى الطَّودَ فَتَنَدَم
هو عند النملِ كاليمِّ
قبلَ جَريِ الماءِ في الفمِّ
بالذي قالت وأعلم:
ليتنني لم أتقدَّم
قلُّ مَنْ خاف فسَلَّم!
فالذي في الغيبِ أعظم

الغزالُ والكلبُ

كان فيما مَضَى من الدهرِ بيتٌ
يَطعمُ اللُّوزَ والفطيرَ ويُسقي
فأتى الكلبُ ذاتَ يومٍ يُناجِبُ
من بيوتِ الكرامِ فيه غزالٌ
عسلا لم يشبُه إلا الزُّلال
هـ وفي النفسِ ترحَّةٌ وملال

كيف حالُ الوَرَى؟ وكيف الرجال؟
 أَدِقُّ الكاملِ النُّهَى المِفضالِ
 ليس فيهم حقيقةٌ فتقال
 وأذاةٌ، وغيبةٌ، وانتحال
 كم أداريهم! وكم أحتال!
 ورضا الكلِّ مطلبٌ لا يُنال
 لا يُؤدِّي إليه إلا الكمال
 لآك ذاك القَبولُ والإقبال
 مرض تقطعُ من جسمِ الأوصال
 فهناك العيشُ الهنيئُ الحلال
 لم تطب لي مع ابن آدمَ حال

قال: يا صاحبَ الأمانة، قل لي
 فأجابَ الأمينُ وهو القَتولُ الصَّ
 سائلِي عن حقيقةِ الناسِ، عذراً
 إنما هُم حقدٌ، وغشٌّ، وبُغضٌ
 ليت شعري هل يستريحُ فؤادي؟
 فرضا البعض فيه للبعض سُخْطٌ
 ورضا الله نرتجيه، ولكن
 لا يَغُرَّنكَ يا أخا البيدِ من مَوْ
 أنت في الأسرِ ما سلّمت، فإن تمَّ
 فاطلبِ البيدِ، وارضِ بالعُشبِ قوتاً
 أنا لولا العظامُ وهَيَّ حياتي

التَّغَلُّبُ وَالذِّيكُ

في شعار الواعظينا
 وَيَسُبُّ الماكرينا
 هِ إِلَهِ العالَمينا
 فَهُوَ كَهْفُ التَّائِبينا
 عَيْشُ عَيْشِ الزَّاهِدينا
 لصلاة الصُّبْحِ فينا
 من إمامِ النَّاسِكينا
 وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَلِينا
 يا أَضَلَّ المُهْتَدِينا!
 عن جدودي الصالحينا
 دَخَلَ البَطْنَ اللَعِينا
 قَوْلِ قَوْلِ العارِفينا
 أَنَّ لِلتَّغَلْبِ دِينا»

برز التعلبُ يوماً
 فمشى في الأَرْضِ يَهْذِي
 ويقولُ: الحمدُ للـ
 يا عبادِ الله، تُوبُوا
 وازهدُوا في الطَّيْرِ؛ إِنَّ الـ
 واطلبوا الدِّيكَ يُوذُنُ
 فأتى الدِّيكُ رسولُ
 عَرَضَ الأَمْرَ عَلَيْهِ
 فأجابَ الدِّيكُ: عُدْرًا
 بَلَّغِ التَّغَلْبَ عَنِّي
 عن ذوي التَّيْجانِ مَمَّنْ
 أَنَّهُمْ قالوا وخيرُ الـ
 «مُخْطِئُ مَنْ ظَنَّ يَوْمًا

النَّعْجَةُ وَأَوْلَادُهَا

وافهمته فهم لبيب ناقدٍ وإعي
 بأرض بغداد يرعى جمعها راعي
 لم يدعها في الدياجي للكرى داعي
 وابن أمه، وأخيه منية الراعي
 تحييه ما بين أوجالٍ وأوجاع
 بعد، فصاحت: ألا قوموا إلى الساعي!
 يقول: أين كلابي أين مقلاعي؟
 فانساب فيه انسياب الظبي في القاع
 حراً، وكان وفيّاً طائل الباع
 سهرت من حب أطفاله على الراعي!

اسمع نفائس ما يأتيك من حكمي
 كانت على زعمهم فيما مضى غم
 قد نام عنها، فنامت غير واحدة
 أم القطيم، وسعد، والفتى علف
 فبينما هي تحت الليل ساهرة
 بدا لها الذئب يسعى في الظلام على
 فقام راعي الجمي المرعي مُذعراً
 وضاق بالذئب وجه الأرض من فرق
 فقالت الأم: يا للفخر! كان أبي
 إذا الرعاة على أغنامها سهرت

الكلب والقط والفأر

معدباً في أضييق الحصار
 مستجمعا للوثبة الموعودة
 وقال أكفي القط هذي الغصه
 لي ولأصحابي من الجيران
 ومكن التراب من عينيه
 ونزل القط على بدار
 وفي فريسة لها كريمه
 يذكرها فيذكر السلامة
 وقال: عاش القط في هناء
 ما كان منها سبب الخلاص
 فامنن به لمعشري إحسانا
 غنيمه وقبلها سلامه

فأر رأى القط على الجدار
 والكلب في حالته المعهوده
 فحاول الفأر اغتنام الفرصة
 لعله يكتب بالأمان
 فسار للكلب على يديه
 فاشتغل الراعي عن الجدار
 مبهتاً يفكر في وليمه
 يجعلها لخطبه علامه
 فجاء ذاك الفأر في الأثناء
 رأيت في الشدة من إخلاصي
 وقد أتيت أطلب الأمانا
 فقال: حقاً هذه كرامه

يَكْفِيكَ فخرًا يَا كَرِيمَ الشَّيْمَةِ
وَانْقَضَ فِي الْحَالِ عَلَى الضَّعِيفِ
فَقَلْتَ فِي الْمَقَامِ قَوْلًا شَاعَا
أَنْكَ فَأَرُّ الخَطْبِ وَالوَلِيمَةَ
يَأْكُلُهُ بِالْمَلِحِ وَالرَّغِيفِ
«مَنْ حَفِظَ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا ضَاعَا»

سُلَيْمَانُ وَالْهُدُودُ

وَقَفَ الْهُدُودُ فِي بَا
قَالَ: يَا مَوْلَايَ، كُنْ لِي
مَتًّا مِنْ حَبَّةِ بُرٍّ
لَا مِيَاهُ النَّيْلِ تُرْوِيهِ
وَإِذَا دَامَتْ قَلِيلًا
فَأَشَارَ السَّيِّدُ الْعَا
قَدْ جَنَى الْهُدُودُ ذَنْبًا
تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدِّ
مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا
إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا
بِ سُلَيْمَانَ بِذَلَّةِ
عَيْشَتِي صَارَتْ مُمْلَةً
أَحَدْتُ فِي الصَّدْرِ غَلَّةَ
هَا، وَلَا أَمْوَاهُ دِجْلَهُ
قَتَلْتَنِي شَرًّا قَتَلَهُ
لِي إِلَى مَنْ كَانَ حَوْلَهُ:
وَأَتَى فِي اللَّوْمِ فَعَلَهُ
رِ، وَذِي الشُّكْوَى تَعَلَّهُ
سَرَقْتَ مِنْ بَيْتِ نَمْلَةٍ
يَشْتَكِي مِنْ غَيْرِ عَلَيْهِ!

سُلَيْمَانُ وَالطَّاوُوسُ

سَمِعْتُ بَأْنَ طَاوُوسًا
يُجَرِّرُ دُونَ وَفِدِ الطَّيْرِ
وَيُظْهِرُ رَيْشَهُ طَوْرًا
فَقَالَ: لَدَيَّ مَسْأَلَةٌ
وَهَا قَدْ جِئْتُ أَعْرِضُهَا
أَلَسْتُ الرَّوِّضُ بِالْأَزْهَا
أَلَمْ أَسْتَوْفِ آيَ الظَّرِّ
أَلَمْ أَصْبِحْ بِبَابِكُمْ
أَتَى يَوْمًا سُلَيْمَانَ
بِرِ أَدْيَالًا وَأَرْدَانًا
وَيُخْفِي الرِّيشَ أَحْيَانًا
أَظُنُّ أَوَانَهَا أَنَا
عَلَى أَعْتَابِ مَوْلَانَا:
رِ وَالْأَنْوَارِ مُزْدَانَا؟
فِ أَشْكَالًا وَالْوَانَا؟
لِجَمْعِ الطَّيْرِ سُلْطَانَا؟

فكيف يَلِيْقُ أَنْ أَبْقَى
فحُسْنُ الصَّوْتِ قَدْ أَمْسَى
فَمَا تَيَّمْتُ أَفَيْدَةً
وهذي الطَّيْرُ أَحَقَرُهَا
وتَهْتَرُ الملوِكُ له
فقال له سُلَيْمانُ
تعالَتِ حِكْمَةُ الباري
لقد صَغَّرَتِ يا مغرو
وملك الطَّيْرُ لم تحفل
فلو أَصْبَحَتَ ذا صَوْتِ
وقومِي العُرُّ أوثاناً؟!
نصيبي منه جرمانا
ولا أَسْكَرْتُ آذاناً
يزيدُ الصَّبَّ أَشجانا
إذا ما هَزَّ عِيداناً؟
لقد كان الذي كانا
وجلَّ صنيعُهُ شاناً
رُ نَعَمَى الله كُفْراناً
به، كِبرا وطغياناً
لما كَلَّمَتَ إنساناً!

العُصْنُ وَالْحُنْفَسَاءُ

كان بَرَوْضُ غُصْنٌ ناعِمٌ
فقامتي في ظَرْفِها قامتي
فأَقْبَلت «حُنْفَسَةً» تنثني
تقول: يا زَيْنَ رِياضِ البَها
فانظر لِقَدِّ ابني، ولا تفتخر
يقول: جلُّ الواحدِ المنفردُ
ومثلُ حُسني في الوري ما عُهدُ
ونجلُها يمشي بجنبِ الكِبْدِ
إنَّ الذي تَطَلَّبُهُ قد وُجدُ
ما دام في العالم أمُّ تَلد!

الفَبْرَةُ وَابْنُها

رأيتُ في بعضِ الرِياضِ فُبْرَةَ
وهي تقول: يا جمالَ العُشِّ
وقِفْ على عودِ بجنبِ عودِ
فانتقلتُ من فَننِ إلى فَننِ
كي يَسْتريحَ الفَرخُ في الأثناءِ
لكنَّهُ قد خالفَ الإِشارةَ
نُطِيرُ ابْنِها بأعلى الشَّجَرِ
لا تَعْتَمِدْ على الجَناحِ الهَشِّ
وافعل كما أفعلُ في الصُّعودِ
وجَعَلتُ لِكُلِّ نَقْلَةٍ زَمَنُ
فلا يَمَلُّ ثَقَلِ الهِواءِ
لما أرادَ يُظهِرُ الشَّطارَةَ

وطار في الفضاء حتى ارتفعا
فانكسرت في الحال رُكبتاهُ
ولو تَأْنَى نَالَ مَا تَمَنَّى
لكلِّ شيءٍ في الحياةِ وقتُهُ
فخانه جَنَاحُهُ فوقعا
ولم يَنْلُ مِنَ الْعُلَا مُنَاهُ
وعاشَ طَوْلَ عُمُرِهِ مُهَنَّأً
وغيأهُ المُسْتَعْجَلِينَ فَوْتُهُ!

النَّعْجَتَانِ

كان لِبَعْضِ النَّاسِ نَعْجَتَانِ
إِحْدَاهُمَا سَمِينَةٌ، وَالثَّانِيهِ
فَكَانَتِ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسَّمَنِ
وَتَدَّعِي أَنْ لَهَا مَقْدَارًا
فَتَصِيرُ الْأُخْتُ عَلَى الْإِدْلَالِ
حَتَّى أَتَى الْجَزَارُ ذَاتَ يَوْمٍ
فَقَالَ لِلْمَالِكِ: أَشْتَرِيهَا
فَانطَلَقْتُ مِنْ فُورِهَا لِأُخْتِهَا
تَقُولُ: يَا أُخْتَاهُ خَبِّرِينِي
قَالَتْ: دَعِينِي وَهْزَالِي وَالزَّمَنُ
لكلِّ حَالٍ حُلُوهَا وَمُرُّهَا
وكانتا في الغيظِ ترعيانِ
عِظَامِهَا مِنَ الْهُزَالِ بَادِيهِ
وقولهم بأنها ذاتُ التَّمَنُّ
وأنها تستوقِفُ الأبصارا
حاملةً مَرَارَةَ الْإِذْلَالِ
وقلبِ النعجةِ دونِ القومِ
ونقدِ الكيسِ النفيسِ فيها
وهي تشكُّ في صلاحِ بختها
هل تعرفينِ حاملِ السُّكِينِ؟
وكلمي الجزارَ يا ذَاتِ التَّمَنُّ!
ما أدبُ النعجةِ إلا صبرُها

السَّفِينَةُ وَالْحَيَوَانَاتُ

لَمَّا أَتَمَّ نَوْحَ السَّفِينَةِ
جَرَى بِهَا مَا لَا جَرَى بِبَالِ
... حَتَّى مَشَى اللَّيْثُ مَعَ الْحِمَارِ
وَاسْتَمَعَ الْفَيْلُ إِلَى الْخِنْزِيرِ
وَجَلَسَ الْهَرُّ بِجَنْبِ الْكَلْبِ
وَعَطَفَ الْبَازُ عَلَى الْغَزَالِ
وَحَرَكَتْهَا الْقُدْرَةَ الْمُعِينَةَ
فَمَا تَعَالَى الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ ...
وَأَخَذَ الْقِطُّ بِأَيْدِي الْفَارِ
مُوتِنِسًا بِصَوْتِهِ النَّكِيرِ
وَقَبَّلَ الْخُرُوفُ نَابَ الذُّبِّ
وَاجْتَمَعَ النَّمْلُ عَلَى الْأَكَّالِ

وَفَلَّتْ الْفَرْخَةُ صُوفَ الثَّعْلِبِ
فَذَهَبَتْ سَوَابِقُ الْأَحْقَادِ
حَتَّى إِذَا حَطُّوا بِسَفْحِ الْجُودِي
عَادُوا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الشُّيْمَةُ
فَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ أحوَالَ الْبَشْرِ
بَيْنَا تَرَى الْعَالَمَ فِي جِهَادِ
وَتَيَّمِ ابْنَ عِرْسِ حُبِّ الْأَرْنبِ
وَوَظَّهَرَ الْأَحْبَابُ فِي الْأَعَادِي
وَأَيَقِنُوا بَعُودَةَ الْوُجُودِ
وَرَجَعُوا لِلْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ
إِنْ شَمَلَ الْمَحْذُورُ، أَوْ عَمَّ الْخَطَرُ
إِذْ كَلَّمَهُمْ عَلَى الزَّمَانِ الْعَادِي

الْقِرْدُ فِي السَّفِينَةِ

لَمْ يَتَّفِقْ مِمَّا جَرَى فِي الْمَرْكَبِ
فَإِنَّهُ كَانَ بِأَقْصَى السَّطْحِ
وَصَاحَ: يَا لَلطَّيْرِ وَالْأَسْمَاكِ
فَبَعَثَ النَّبِيُّ لَهُ النَّسُورَا
ثُمَّ أَتَى ثَانِيَةً يَصِيحُ
فَأرْسَلَ النَّبِيُّ كُلَّ مَنْ حَضَرَ
وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ يَوْمًا يَلْعَبُ
فَسَمِعُوهُ فِي الدُّجَى يَنُوحُ
سَقَطْتُ مِنْ حِمَاقَتِي فِي الْمَاءِ
فَلَمْ يَصِدُقْ أَحَدٌ صِيَاحَهُ
قَدْ قَالَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَنْ سَبَقُ
مَنْ كَانَ مَمْنُورًا بِدَاءِ الْكُذِبِ
كَكْذِبِ الْقِرْدِ عَلَى نُوْحِ النَّبِيِّ
فَاشْتَأَقَ مِنْ خِفَتِهِ لِلْمَرْحِ
لِمَوْجَةٍ تَجِدُ فِي هَلَاكِي!
فَوَجَدْتُهُ لَاهِيًا مَسْرُورَا
قَدْ ثَقِبْتَ مَرْكَبُنَا يَا نُوحُ!
فَلَمْ يَرَوْا كَمَا رَأَى الْقِرْدُ خَطَرَ
جَادَتْ بِهِ عَلَى الْمِيَاهِ الْمَرْكَبُ
يَقُولُ: إِنِّي هَالِكٌ يَا نُوحُ
وَصِرْتُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
وَقِيلَ حَقًّا هَذِهِ وَقَاخُهُ
أَكْذَبُ مَا يُلْفَى الْكُذُوبُ إِنْ صَدَقَ
لَا يَتْرُكُ اللَّهَ، وَلَا يُعْفِي نَبِي!

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّمْلَةُ فِي السَّفِينَةِ

قَدْ وَدَّ نُوحٌ أَنْ يُبَاسِطَ قَوْمَهُ
وَأَشَارَ أَنْ يَلِيَّ السَّفِينَةَ قَائِدًا
فَتَقَدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفِيعُ جَلَالُهُ
فَدَعَا إِلَيْهِ مَعَاشِرَ الْحَيَوَانِ
مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ النَّهْيِ بِمَكَانِ
وَتَعَرَّضَ الْفَيْلُ الْفَخِيمُ الشَّانِ

وتلاهما باقي السَّبَاعِ، وكلُّهُمَّ
حتى إذا حيُّوا المؤيِّدَ بالهدى
سَبَقَتْهُمُ لخطابِ نوحِ نَمْلَةٌ
قالت: نبيَّ اللهِ، أَرْضِي فَارِسُ
سَادِيرُ يَفْتَهَا، وَأَحْمِي أَهْلَهَا
ضَحِكَ النَّبِيُّ وَقَالَ: إِنَّ سَفِينَتِي
كل الفضائلِ والعظائمِ عنده
ويودُّ لو ساسَ الزَّمَانَ، ومالهُ

حَرُّوا لهيبتهِ إلى الأذقانِ
ودَعَوْا بطولِ العزِّ والإمكانِ
كانت هناكِ بجَانِبِ الأردانِ
وأنا يَقِينًا فَارِسُ المِيدانِ
وأقودُها في عَصْمَةٍ وأمانِ
لهيَ الحياة، وأنتِ كالإنسانِ
هو أَوَّلُ، والغيرُ فيها الثاني
بأقلِّ أشغالِ الزمانِ يَدانِ

الدُّبُّ فِي السَّفِينَةِ

الدُّبُّ معروفٌ بسوءِ الظنِّ
لَمَّا استطال المُكثُ فِي السَّفِينَةِ
وقال: إن الموتَ فِي انتظاري
ثم رأى مَوْجًا على بُعْدِ عَلا
فقال: لا بُدَّ من النزولِ
قد قال مَنْ أَدَبَهُ اخْتِبَارُهُ:
فأسلمَ النفسَ إلى الأمواجِ
فشربَ التعيسُ منها، فانتفخَ
وبعدَ ساعتينِ غيَضَ الماءُ
وكان فِي صاحبنا بعضُ الرَّمقِ
فلمخَ المركبِ فوقَ الجُوديِ
فقال: يا الجَدِّي التعيسِ
ما كان ضَرَرَنِي لو امتثلتُ

فاسمِعْ حديثَهُ العجيبَ عَنِّي
ملَّ دِوامَ العيشَةِ الظنينةِ
والماءُ لا شكَّ بِهِ قراري
فظنَّ أن فِي الفِضاءِ جِبالا
وصَلَّتْ، أو لم أَحْظُ بالوُصولِ
السعيِّ للموتِ ولا انتِظارُهُ!
وهيَ مع الرياحِ فِي هياجِ
ثم رَسا على القِرارِ، ورَسَخَ
وأقْلَعَتْ بأمرِهِ السَّماءُ
إذ جاءَهُ الموتُ بطيئًا فِي الغرقِ
والرَّكبُ فِي خَيْرٍ وفِي سُعودِ
أسأتَ ظنِّي بالنبيِّ الرَّئيسِ!
ومثلما قد فعلوا فعلتُ؟!

التَّغْلِبُ فِي السَّفِينَةِ

أَبُو الْحُصَيْنِ جَالَ فِي السَّفِينَةِ
 يَقُولُ: إِنَّ حَالَهُ اسْتَحَالًا
 لِكُونِ مَا حَلَّ مِنَ الْمَصَائِبِ
 وَيُغْلِظُ الْأَيْمَانَ لِلدِّيُوكِ
 بِأَنَّهُمْ إِنْ نَزَلُوا فِي الْأَرْضِ
 قِيلَ: فَلَمَا تَرَكُوا السَّفِينَةَ
 حَتَّى إِذَا مَا نَصَفُوا الطَّرِيقَا
 وَقَالَ: إِذْ قَالُوا عَدِيمُ الدِّينِ
 فَإِنَّمَا نَحْنُ بَنَى الدَّهَاءِ
 وَمَنْ تَخَافُ أَنْ يَبِيعَ دِينَهُ
 فَعَرَفَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
 وَإِنَّ مَا كَانَ قَدِيمًا زَالًا
 مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الثَّعَالِبِ
 لِمَا عَسَى يَبْقَى مِنَ الشُّكُوكِ
 يَرُونَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يُرْضِي
 مَشَى مَعَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
 لَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ حَوْلَهُ رَفِيقَا
 لَا عَجَبُ إِنْ حَنَنْتَ يَمِينِي
 نَعْمَلُ فِي الشَّدَةِ لِلرَّخَاءِ
 تَكْفِيكَ مِنْهُ صُحْبَةَ السَّفِينَةَ!

اللَيْثُ وَالذَّنْبُ فِي السَّفِينَةِ

يَقَالُ إِنَّ اللَّيْثَ فِي ذِي الشَّدَةِ
 فَقَالَ: يَا مَنْ صَانَ لِي مَحَلِّي
 إِنْ عُدْتُ لِلأَرْضِ بِإِذْنِ اللَّهِ
 أَعْطَيْكَ عَجَلَيْنِ وَأَلْفَ شَاةٍ
 وَصَاحِبَ اللُّوَاءِ فِي الذَّنَابِ
 حَتَّى إِذَا مَا تَمَّتِ الْكِرَامَةُ
 سَعَى إِلَيْهِ الذَّنْبُ بَعْدَ شَهْرِ
 فَقَالَ: يَا مَنْ لَا تُدَاسُ أَرْضُهُ
 قَدْ نَلْتِ مَا نَلْتِ مِنَ التَّكْرِيمِ
 قَالَ: تَجَرَّأَتْ وَسَاءَ زَعْمُكَ
 أَجَابَهُ: إِنْ كَانَ ظَنِّي صَادِقًا
 رَأَى مِنَ الذَّنْبِ صَفَا الْمَوَدَّةِ
 فِي حَالَتِي وَلا تَيْتِي وَعَزَلِي
 وَعَادَ لِي فِيهَا قَدِيمُ الْجَاهِ
 ثُمَّ تَكُونُ وَالِيَّ الْوَلَاةِ
 وَقَاهِرَ الرِّعَاةِ وَالْكَلاِبِ
 وَوَطِئَ الأَرْضَ عَلَى السَّلَامَةِ
 وَهُوَ مُطَاعُ النَّهْيِ مَاضِي الأَمْرِ
 وَمَنْ لَهُ طُولُ الفَّلَا وَعَرْضُهُ
 وَذَا أَوَانَ المَوْعِدِ الْكَرِيمِ
 فَمَنْ تَكُونُ يَا فَتَى؟ وَمَا اسْمُكَ؟
 فَإِنَّنِي وَالِيَّ الْوَلَاةِ سَابِقًا!

التَّغْلِبُ وَالْأَرْزَبُ فِي السَّفِينَةِ

أتى نبيَّ الله يوماً ثعلبٌ
 قد سوَّدتْ صَحيْفَتِي الذُّنُوبُ
 فاسألُ إلهي عَفْوَهُ الجَلِيلَا
 وإِنني وَإِن أَسأتُ السَّيِّرا
 فقد أَتاني ذاتَ يومٍ أَرنبُ
 ولم يَكُن مَراقِبُ هُنالِكا
 إذ عَفْتُ في افتِراسِهِ الدَّنْءَا
 وكان في المَجلسِ ذاكَ الأَرنبُ
 فقال لَمَّا انقطعَ الحَديثُ:
 وَأنتَ بَينَ المَوتِ والحِياةِ
 فقال: يا مولاي، إِنني مُذنبٌ
 وَإِن وُجِدْتُ شافِعَا أَتُوبُ
 لِتَائبٍ قد جاءَهُ ذَليلا
 عَمِلْتُ شَرًّا، وَعَمِلْتُ خَيرا
 يَرتَعُ تَحْتِ مَنزَلي وَيَلعَبُ
 لَكِنَّني تَرَكَتُهُ مَعَ ذَلكا
 فلم يَصِلُهُ مِن يَدي مَسْءَا
 يَسمَعُ ما يَبيدي هُنَاكَ الثُعَلُ
 قد كان ذاكَ الزُهْدُ ياخَبِثُ
 مِن تُخْمَةِ أَلقَتِكَ في الفِلاةِ!

الأَرنبُ وَبَنَتُ عَرِيسٍ في السَّفِينَةِ

قد حَمَلتُ إِحدى نِسا الأَرانبِ
 فقلِقَ الرُّكابُ مِن بكائِها
 ... جاءَت عَجوزٌ مِن بَناتِ عَريسِ
 أَنا التي أُرَجى لِهَذي الغايَةِ
 فقالتِ الأَرنبُ: لا يا جَازَهُ
 مالي وَثُوقُ بَنناتِ عَرِيسِ
 وحلَّ يومٌ وُضِعَها في المَركَبِ
 وبيَنا الفِتاةُ في عَناها ...
 تقولُ: أَفدي جَارتِي بِنَفسِي
 لِأَنني كَنتُ قَديماً «دَايَةً»
 فَإِن بَعدَ الألفَةِ الزَّيارَهُ
 إِني أريدُ دَايَةً مِن جَنسِي!

الحَمارُ في السَّفِينَةِ

سَقطَ الحَمارُ مِنَ السَّفِينَةِ في الدُّجى
 حَتى إِذا طَلَعَ النِّهارُ أَنتَ بِهِ
 قالتُ: حَذُوهُ كَما أَتاني سَالمًا
 فبَكَى الرِّفاقُ لِفَقَدِهِ، وَتَرَحمُوا
 نَحوَ السَّفِينَةِ مَوجَةً تَتَقَدَّمُ
 لَم أَتَلِعهُ؛ لِأَنَّهُ لا يَهْضَمُ!

سُلَيْمانُ عَلَيهِ السَّلَامُ وَالْحَمَامَةُ

كان ابنُ داوُدِ يُقَمِّ
 خَدَمَتَهُ عُمَرًا مِثْلَمَا
 فَمَضَتْ إِلَى عَمَّالِهِ
 وَالكَتَبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا
 فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ تَعَمُّ
 عَمَدَتَ لَأَوْلِهَا، وَكَأَنَّ
 فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ فِيهِ عَا
 وَيَقُولُ: وَقُوها الرِّعَا
 وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنَّ
 وَأَتَتْ لِثَالِثِهَا، وَلَمْ
 فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُو
 فَبَكَتْ لِذَلِكَ تَنْدُمًا
 وَأَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ وَهِيَ
 قَالَتْ: فَقَدْتُ الْكَتَبَ - يَا
 ... لِتَسْرِعِي لِمَا أَتَا
 فَأَجَابَ: بَلْ جِئْتِ الَّذِي
 لَكِنْ كَفَاكِ عَقُوبَةٌ

رَبُّ فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَهُ
 قَدْ شَاءَ صِدْقًا وَاسْتِقَامَهُ
 يَوْمًا تَبَلَّغَهُمْ سَلَامَهُ
 كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكِرَامَهُ
 رِفُّ مِنْ رَسَائِلِهِ مَرَامَهُ
 نَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَهُ
 مَلَهُ بِتَاجِ الْحَمَامِهِ
 يَّةَ فِي الرَّحِيلِ، وَفِي الْإِقَامَهُ
 تُعْطَى رِيَاضًا فِي تِهَامِهِ
 تَسْتَحْيِي أَنْ فَضَّتْ خِتَامَهُ
 نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزَّعَامَهُ
 هَيْهَاتَ لَا تُجِدِي النَّدَامَهُ!
 - يَا تَقُولُ: يَارَبَّ السَّلَامَهُ!
 مَوْلَايَ - فِي أَرْضِ الْيَمَامَهُ
 نِي الْبَارِزُ يَدْفَعُنِي أَمَامَهُ!
 كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَهُ
 مَنْ خَانَ خَانَتَهُ الْكِرَامَهُ!

الْأَسَدُ وَالضَّفْدَعُ

انْفَعُ بِمَا أُعْطِيتَ مِنْ قَدْرَةٍ
 إِذْ كَيْفَ تَسْمُو لِغُلَا يَا فَتَى
 عِنْدِي لِهَذَا نَبَأٌ صَادِقٌ
 قَالُوا: اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ
 وَقِيلَ لِلسُّلْطَانِ: هَذِي الَّتِي
 تُنْقِنُقُ الدَّهْرَ بِلَا عِلَّةِ
 فَانظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا

وَاشْفَعْ لِذِي الذَّنْبِ لَدَى الْمَجْمَعِ
 إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ وَلَمْ تَشْفَعْ؟
 يُعْجِبُ أَهْلَ الْفَضْلِ فَاسْمَعْ، وَعِ
 فَجِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفْدَعِ
 بِالْأَمْسِ آذَتْ عَالِي الْمِسْمَعِ
 وَتَدَّعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدَّعِي
 وَمُرَّ نَعَلَقُهَا مِنَ الْأَرْبَعِ

فنهضَ الفيلُ وزيرو العُلا
لا خيرَ في الملكِ وفي عِزِّه
فكتبَ الليثُ أماناً لها
وقال: يا ذا الشَّرَفِ الأرفعِ
إن ضاقَ جاهُ الليثِ بالضَّفدِ
وزاد أن جادَ بمُسْتَنقِعِ!

النَّمْلَةُ الرَّاهِدَةُ

سَعِي الفَتَى في عَيْشِهِ عِبَادَهُ
لأنَّ بالسَّعيِ يقومُ الكونُ
فإن تشأَ فهذه حِكايه
كانت بأرضِ نَمْلَةٍ تَنْبَالُهُ
واشْتَهَرَتْ في النملِ بالتَّقشُّفِ
لكن يقومُ الليلَ من يَقْتاتُ
والنملُ لا يَسْعَى إليه الحُبُّ
فخرجتْ إلى التماسِ القوتِ
تقول: هل من نَمْلَةٍ نَقِيَّةٍ
لقد عَيَّيتُ بالطَّوى المُبْرِحِ
فصاحتِ الجاراتُ: يا للعارِ
متى رضينا مثلَ هذِي الحالِ؟
ونحن في عينِ الوُجودِ أُمَّه
نحملُ مالا يصبرُ الجِمالُ
ألم يقلْ من قولهِ الصوابُ:
فامضي؛ فإنَّا يا عجوزَ الشومِ
وقائدُ يَهديه للسعادةِ
واللهُ للساعينِ نِعَمَ العونِ
تعدُّ في هذا المقامِ غايه
لم تَسَلُ يوماً لِدَّةِ البطالهِ
واتَّصفتُ بالزُّهدِ والتَّصوُّفِ
فالبطنُ لا تَمْلؤُهُ الصلاةُ
ونمَلتِي شَقَّ عليها الدأْبُ
وجعلتْ تطوفُ بالبيوتِ
تُنعمُ بالقوتِ لذي الوَلِيَّةِ؟
ومُنذ ليلتينِ لم أَسْبِحِ
لم تتركِ النملةُ للصرصارِ!
متى مددنا الكفَّ للسؤالِ؟!
ذاتُ اشتِهاري بعُلُوِّ الهَمِّه
عن بعضِه لو أنها نِمالُ
ما عندنا لسائلِ جوابُ؟!
نرى كمالَ الزُّهدِ أن تصومي!

الْيَمَامَةُ وَالصِّيَادُ

يَمَامَةٌ كانتِ بأعلى الشَّجره
فأقبلَ الصِّيادُ ذاتِ يومِ
أمنَّةً في عَشِّها مُسْتَتِرِه
وحامَ حولَ الرُّوضِ أيَّ حومِ

فلم يجدْ للطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا
فبَرَزَتْ مِنْ عَشَّهَا الْحَمَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالذِّي سِيحَدْتُ:
فَالْتَفَتَ الصِّيَادُ صَوْبَ الصَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرْشِهَا الْمَكِينِ
تَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ:
وَهُمْ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
وَالْحُمُقُ دَاءٌ مَالَهُ دَوَاءُ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، عَمَّ تَبْحَثُ؟
وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السُّكَّيْنِ
«مَلَكْتُ نَفْسِي لَوْ مَلَكْتُ مَنْطِقِي!»

الْكَلْبُ وَالْحَمَامَةُ

حِكَايَةُ الْكَلْبِ مَعَ الْحَمَامَةِ
يُقَالُ: كَانَ الْكَلْبُ ذَاتَ يَوْمٍ
فَجَاءَ مِنْ وَرَائِهِ الثَّعْبَانُ
وَهُمْ أَنْ يَغْدِرَ بِالْأَمِينِ
وَنَزَلَتْ تَوًّا تُغِيثُ الْكَلْبَا
فَحَمَدَ اللَّهُ عَلَى السَّلَامَةِ
إِذْ مَرَّ مَا مَرَّ مِنَ الزَّمَانِ
فَسَبَقَ الْكَلْبُ لَتَلِكِ الشَّجَرَةَ
وَاتَّخَذَ النَّبْحَ لَهُ عَلَامَةً
وَأَقْلَعَتْ فِي الْحَالِ لِلْخَلَاصِ
هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ يَا أَهْلَ الْفِطَنِ
تَشْهَدُ لِلْجِنْسَيْنِ بِالْكَرَامَةِ
بَيْنَ الرِّيَاضِ غَارِقًا فِي النَّوْمِ
مُنْتَفِحًا كَأَنَّهُ الشَّيْطَانُ
فَرَقَّتِ الْوَرَقَاءُ لِلْمَسْكِينِ
وَنَقَرْتُهُ نَقْرَةً، فَهَبَّا
وَحَفِظَ الْجَمِيلَ لِلْحَمَامَةِ
ثُمَّ أَتَى الْمَالِكُ لِلْبُسْتَانِ
لِيُنْذِرَ الطَّيْرَ كَمَا قَدْ أَنْذَرَهُ
فَفَهَمَتْ حَدِيثَهُ الْحَمَامَةُ
فَسَلِمَتْ مِنْ طَائِرِ الرِّصَاصِ
النَّاسُ بِالنَّاسِ، وَمَنْ يُعِنُ يُعَنُ!

الْكَلْبُ وَالْبَبْغَاءُ

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ بَبْغَاءٌ
رَفِيعَةُ الْقَدْرِ لَدَى مَوْلَاهَا
وَكَانَ فِي الْمَنْزِلِ كَلْبٌ عَالِي
كَذَا الْقَلِيلُ بِالْكَثِيرِ يَنْقُصُ
مَا مَلَّ يَوْمًا نَطَقَهَا الْإِصْغَاءُ
وَكَلُّ مَنْ فِي بَيْتِهِ يَهْوَاهَا
أَرْخَصَهُ وَجُودُ هَذَا الْغَالِي
وَالْفَضْلُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ مُرْخِصُ

فجاءها يوماً على غرارِ
وقال: يا مليكة الطيورِ
بحسنِ نطقِكِ الذي قد أصبى
لأنني قد جرّتُ في التفكّرِ
فأخرجتُ من طيشها لسانها
ثم مضى من فورهِ يصيحُ:
وما لها عندي من ثأرٍ يُعدُّ
وقلبُهُ من بُغضها في نارِ
ويا حياةَ الأُنسِ والسرورِ
إلا أريتنِي اللسانَ العذباً
لمّ سمعتُ أنه من سُكّر!
فعضّه بنابه، فشانها
قطعته لأنه فصيحُ!
غيرَ الذي سمّوه قَدماً بالحسد!

الحمارُ والجملُ

كان لبعضهم حمارٌ وجملٌ
فانتظرا بشائرَ الظلماءِ
يجتليانِ طلعةَ الحرّيةِ
فاتفقا أن يقضيا العُمَرَ بها
وبعدَ ليلةٍ من المسيرِ
وقال: كربُّ يا أخي عظيمُ
فقال: سلّ فداك أمّي وأبي
قال: انطلقْ معي لإدراكِ المنى
لابدّ لي من عودةٍ للبلدِ
فقال سرّ والرّم أخاك الوتدا
نالهما يوماً من الرّق مَلَلٌ
وانطلقا معاً إلى البيداءِ
وينشقانِ ريحها الزكيّةِ
وارتضيا بمائها وعُشبيها
التفت الحمارُ للبعيرِ
فقف؛ فمشيي كلُّه عقيمُ!
عسى تنالُ بي جليلَ المطلبِ
أو انتظرِ صاحبك الحرَّ هنا
لأنني تركتُ فيه مقودي!
فإنما خلقتُ كي تُقيدا!

دودة القزِّ والدودة الوضاعة

لدودة القزِّ عندي
حكايةٌ تشتهيها
لمّا رأت تلكَ هذي
سعتُ إليها، وقالت:
ودودة الأضواءِ
مسامعُ الأذكيا
تنيرُ في الظلماءِ
تعيشُ ذاتُ الضياءِ!

أنا المؤمِّلُ نفعي
 حلا لي النَّفْعُ حتى
 وقد أَتَيْتُ لأَحْظَى
 فهل لنورِ النَّوْرِ في
 قالت: عَرَضتِ علينا
 مَنْ أَنْتِ حتى تُداني
 أنا البديعُ جمالي
 أين الكواكبُ مني؟!
 فامضي؛ فلا وُدَّ عندي
 وعند ذلك مرَّرتُ
 تقول: لله ثوبي
 كم عندنا من أيادٍ
 ثم انثنتُ فأتتُ نبي
 هل عندك الآنَ شَكٌّ
 وقد رأيتُ صنيعي
 إن كان فيك ضياءٌ
 وإنه لضياءٌ

أنا الشهيرُ وفائي
 رضيتُ فيه فنائي
 بوجهك الوضَاءِ
 مَوَدَّتِي وإِخَائِي؟
 وجهًا بغيرِ حياءٍ
 ذَاتَ السَّنا والسَّناءِ؟!
 أنا الرفيعُ عَلائي
 بل أين بدرُ السماءِ؟!
 إذ لستِ من أكفائي!
 حسناءً مع حسناءِ
 في حُسْنِهِ والبَهَاءِ!
 للودودِ الغرَاءِ!
 تقولُ للحمقاءِ:
 في رُتبتِي القَعساءِ؟!
 وقد سمعتِ ثنائِي؟!
 إن الثناءَ ضيائي
 مؤيِّدٌ بالبقاءِ!

الْجَمَلُ وَالنَّعْلَبُ

كان على بعضِ الدُّروبِ جَمَلٌ
 فقال: يا للنَّحِسِ والشَّقَاءِ!
 لم تحمِلِ الجبالَ مثلَ حملي
 فجاهَهُ الثَّعلبُ من أَمَامِهِ
 فقال: مهلاً يا أبا الأحمالِ
 فأنتَ خيرٌ من أخيكِ حالاً
 كأنَّ قُدَّامِي ألفَ ديكِ

حَمَلَهُ المالكُ ما لا يُحمَلُ
 إن طال هذا لم يَطُلْ بقائي
 أَظنُّ مولاي يُريدُ قتلي!
 وكان نالَ القصدَ من كلامِهِ
 ويا طويلَ الباعِ في الجِمالِ
 لأنني أَتَعَبُ منك بالأُ
 تسألني عن دمها المسفوكِ

كَأَنَّ خَلْفِي أَلْفَ أَلْفِ أَرْنَبٍ
وَرَبُّ أُمَّ جِنَّتٍ فِي مُنَاخِهَا
يَبْعَثُنِي مِنْ مَرْقَدِي بُكَاهَا
وَقَدْ عَرَفْتَ خَافِي الْأَحْمَالِ
لَيْسَ بِحَمَلٍ مَا يَمَلُّ الظَّهْرُ
إِذَا نَهَضْتُ جَاذِبْتَنِي ذَنْبِي
فَجَعَتْهَا بِالْفَتَكِ فِي أَفْرَاخِهَا
وَأَفْتَحُ الْعَيْنَ عَلَى شِكْوَاهَا
فَاصْبِرْ، وَقَلْ لِأُمِّ الْجِمَالِ:
مَا الْجَمَلُ إِلَّا مَا يُعَانِي الصَّدْرُ

الْغَزَالَةُ وَالْأَتَانُ

غَزَالَةٌ مَرَّتْ عَلَى أَتَانٍ
وَكَانَ خَلْفَ الظَّبْيَةِ ابْنُهَا الرَّشَاءُ
فَفَعَلْتُ بِسَيِّدِ الصَّغَارِ
فَأَسْرَعُ الْحِمَارُ نَحْوَ أُمِّهِ
يَصِيحُ: يَا أُمَّاهُ، مَاذَا قَدْ دَهَا
تُقَبِّلُ الْفَطِيمَ فِي الْأَسْنَانِ
بِوُدِّهَا لَوْ حَمَلْتَهُ فِي الْحَشَاءِ
فَعَلَ الْأَتَانُ بِابْنِهَا الْحِمَارِ
وَجَاءَهَا وَالضُّحَى مَلءُ فَمِهِ
حَتَّى الْغَزَالَةُ اسْتَخَفَّتْ ابْنَهَا؟!

الثَّعْلَبُ الَّذِي انْحَدَعَ

قَدْ سَمِعَ الثَّعْلَبُ أَهْلَ الْقَرَى
فَقَالَ حَقًّا هَذِهِ غَايَةٌ
مَنْ فِي النَّهْيِ مِثْلِي حَتَّى الْوَرَى
مَا ضَرَّ لَوْ وَاغِيَتْهُمْ زَائِرًا
لَعَلَّهُمْ يُحْيُونَ لِي زِينَةً
وَقَصَدَ الْقَوْمَ وَحِيَاهُمْ
فَأَخَذَ الزَّائِرُ مِنْ أُذُنِهِ
فَلَا تَثِقْ يَوْمًا بِذِي حِيلَةٍ
يَدْعُونَ مُحْتَالًا بِيَا ثَعْلَبُ!
فِي الْفَخْرِ لَا تُؤْتَى وَلَا تُطْلَبُ
أَصْبَحْتَ فِيهِمْ مَثَلًا يُضْرَبُ
أُرِيهِمْ فَوْقَ الَّذِي اسْتَغْرَبُوا
يَحْضُرُهَا الدِّيكُ أَوْ الْأَرْنَبُ
وَقَامَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَخْطُبُ
وَأَعْطَى الْكَلْبَ بِهِ يَلْعَبُ!
إِذْ رُبَّمَا يَنْحَدِعُ الثَّعْلَبُ!

تُعَالَةُ وَالْحِمَارُ

أتى ثعالمة يوماً
وقال إن كنت جاري
قل لي فياني كئيبٌ
في موكبِ الأمسِ لَمَّا
... طرَحْتُ مولاي أرضاً
وهل أتيتُ عظيمًا!
من الصَّواحي جِمارُ
حقًا ونعمَ الجار
مُفكرٌ مُحْتار
سرنا وسارَ الكِبار ...
فهل بذلك عار
فقال: لا يا جِمار!

البُغْلُ وَالْجَوَادُ

بغلٌ أتى الجوادَ ذاتَ مرَّةٍ
فقال: فضلي قد بدا يا خَلِي
إذ كنتَ أمسٍ ماشياً بجانبِي
أختالُ، حتى قالتِ العبادُ:
فَضِحَكَ الحِصَانُ من مقالِهِ
لم أرَ رقصَ البُغْلِ تحتَ الغازِي
وقلبُهُ مُمتلئٌ مَسْرَةً
وَأَنَّ أَنْ تُعْرِفَ لي مَحَلِّي
تَعَجَّبُ من رقصِي تحتَ صاحبي
لَمَنْ مِنَ الملوِكِ ذا الجوادُ؟
وقال بالمعهد من دلالِهِ:
لكن سمعتُ نقرَةَ المِهمازِ!

الفَارَةُ وَالْقِطَّةُ

سَمِعْتُ أَنَّ فَارَةً أَتَاهَا
يَصِيحُ: يا لي من نُحوسِ بَخْتِي
فَوَلَوْلَتْ وَعَضَّتِ التُّرابَا
وقالتِ: اليَوْمَ انْقَضَتْ لِدَاتِي
من لي بهرٌ مثلَ ذاكِ الهَرِّ
وكان بالقربِ الذي تريد
فجاءها يقول: يا بُشْرَاكِ
فَفَزَعَتْ لَمَّا رَأَتْهُ الفَارَةُ
وَأَشْرَفَتْ تَقُولُ لِلسَّفِيهِ:
شقيقتها ينعى لها فتأها
مَنْ سَلَطَ القِطُّ على ابنِ أُختِي؟!
وَجَمَعَتْ لِلْمَأْتَمِ الأترابَا
لا خَيْرَ لي بعدَكَ في الحياةِ
يُرِيحُنِي من ذا العذابِ المرِّ؟!
يَسْمَعُ ما تُبْدي وما تُعيدُ
إِنَّ الذي دَعَوْتُ قد لَبَّأكَ!
واعْتَصَمَتْ منه ببيتِ الجارَةِ
إِنَّ مُتُّ بعدَ ابني فَمَنْ يَبْكِيهِ؟!

الْغَزَالُ وَالْخُرُوفُ وَالْتَيْسُ وَالذُّئْبُ

وقال كلُّ إنه الظَّرِيفُ
أَعْطَاهُ عَقْلًا مِّنْ أَطَالَ ذَقْنَهُ!
عَنْ حَكَمٍ لَهُ اعْتِبَارٌ فِي الْمَلَا
عَسَاهُ يُعْطِي الْحَقَّ مُسْتَحَقَّهُ
مُفْتَخِرًا بِثِقَةِ الْإِخْوَانِ
تَرَفَعُ شَأْنُ التَّيْسِ فِي الْعَشِيرَةِ
بِالصَّدْقِ مَا جَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ
لَا يَسْتَطِيعَانِ لَهُ تَكْذِيبَا
وَلَيْسَ يُلْقِي لِلْخُرُوفِ بِالَا
أَنْتَ، فَسِرْ مَعِي، وَخُذْ بِلِحْيَتِي!
فَقَامَ بَيْنَ الظُّبَيْيِ وَالْخُرُوفِ
فَمَزَّقَ الظُّبَيْيِّينَ بِالْأَطَافِرِ
مَا قَتَلَ الْخَصْمَيْنِ غَيْرُ ذَقْنَا!

تَنَازَعَ الْغَزَالُ وَالْخُرُوفُ
فَرَأَى التَّيْسَ؛ فَظَنَّنَا أَنَّهُ
فَكَلَّفَاهُ أَنْ يُفْتَشَّ الْفَلَا
يَنْظُرُ فِي دَعَوَاهُمَا بِالذَّقَةِ
فَسَارَ لِلْبَحْثِ بِلَا تَوَانِي
يَقُولُ: عِنْدِي نَظْرَةٌ كَبِيرَةٌ
وَذَاكَ أَنْ أَجْدَرَ التَّنَاءِ
وَإِنِّي إِذَا دَعَوْتُ الدَّيْبَا
لِكَوْنِهِ لَا يَعْرِفُ الْغَزَالَا
ثُمَّ أَتَى الدَّيْبَ، فَقَالَ: طَلَبْتِي
وَقَادَهُ لِلْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ
وَقَالَ: لَا أَحْكُمُ حَسَبَ الظَّاهِرِ
وَقَالَ لِلتَّيْسِ: انْطَلِقْ لِشَانِكَ

التُّغْلِبُ وَالْأَرْنَابُ وَالذِّيكُ

لَمَّا رَأَى الذِّيكُ يَسُبُّ التُّغْلِبَا
يَغْلِبُ بِالْمَكَانِ، لَا الْإِمْكَانِ
أَمْسَى مِنَ الضَّعْفِ يُطِيقُ السَّخْرَا
عِدَادًا مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلِ
عَضَفَ أَخِيهِ الدَّيْبِ بِالْخُرُوفِ
تَسْلِيَةً عَنْ خَيْبَتِي فِي الذِّيكِ!
وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحِ
فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطِقُهُ مَكَانُهُ!

مَنْ أَعْجَبَ الْأَخْبَارِ أَنْ الْأَرْنَابَا
وَهُوَ عَلَى الْجِدَارِ فِي أَمَانِ
دَاخِلُهُ الظَّنُّ بَأَنَّ الْمَاكِرَا
فَجَاءَهُ يَلْعَنُ مِثْلَ الْوَأُولِ
فِعْضَفَ التُّغْلِبُ بِالضَّعِيفِ
وَقَالَ: لِي فِي دَمِكَ الْمَسْفُوكِ
فَالْتَفَتَ الذِّيكُ إِلَى الذَّبِيحِ
مَا كَلَّنَا يَنْفَعُهُ لِسَانُهُ

التَّغْلِبُ وَأُمَّ الدُّنْبِ

كان ذئبٌ يَتَغَدَّى
 أَلْزَمَتْهُ الصَّوْمَ حَتَّى
 فَآتَى التَّغْلِبُ يَبْكِي
 قَالَ: يَا أُمَّ صَدِيقِي
 فاصْبِرِي صَبْرًا جَمِيلًا
 فَأَجَابَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي
 مَا بِي الْغَالِي، وَلَكِنْ
 لَيْتَهُ مِثْلَ أُخِيهِ
 فَجَرْتُ فِي الزَّوْرِ عَظْمَهُ
 فَجَعْتُ فِي الرُّوحِ جِسْمَهُ
 وَيُعْزِي فِيهِ أُمَّهُ
 بِي مِمَّا بِكَ غُمَّهُ
 إِنَّ صَبْرَ الْأُمِّ رَحْمَةٌ!
 كُلُّ مَا قَدْ قَلَّتْ حِكْمَتُهُ
 قَوْلُهُمْ: مَاتَ بِعَظْمِهِ!
 مَاتَ مَحْسُودًا بِتُخْمِهِ!

هوامش

- (١) المقصود «ابن سينا» الطبيب العربي.
- (٢) البصير: الأعمى.
- (٣) تعني الليل والخفاش لا يأنس إلا بالظلام.
- (٤) أبو المسك الخصي: كافور الإخشيد وكان عبداً أسود.
- (٥) تعني الضوء.
- (٦) رامة، وتهامة، واليمامة: أمكنة.

ديوان الأطفال

مجموعة من الشعر السهل، نظمها لتكون للأطفال أدبًا وثقافة.

الهرة والنظافة

هَرَّتِي جِدُّ أَلَيْفَهُ
هي ما لم تتحرَّكْ
فإِذَا جَاءَتْ وَرَاحَتْ
شغَلها الفارُّ: تُنْقِي الرَّ
وتقومُ الظهرَ والعصـ
ومن الأثوابِ لم تمـ
كلما استوسَّخَ، أو آ
غسلتُه، وكوثه
وحَدَّتْ ما هو كالحمَّا
صَيَّرَتْ ريقَتها الصَّا
لا تَمُرَّنَّ على العين
وتعوِّدُ أَنْ تُلاقِي
إنما الثوبُ على الإنسـ
وهي للبيتِ حليفه
دُمِيَّةُ البيتِ الظريفه
زِيدَ في البيتِ وصيفه
فَ مِنْهُ والسَّقِيْفَهُ
رَ بأورادٍ شريفه
لِكَ سَوَى فِرْوِ قطيفه
وَي البراغِيثَ الْمُطِيفه
بأساليبَ لطيفه
م والماءِ وظيفه
بونَ، والشارِبَ لِيْفه
ولا بالأنفِ جيفه
حَسَنَ الثوبِ نظيفه
انْ عُنْوَانُ الصحيفة

لي جَدَّةُ تَرَافُ بي
 وكلُّ شيءٍ سرَّني
 إن غضبَ الأهلُ عليَّ
 مشى أبى يوماً إليَّ
 غَضبانَ قد هَدَّدَ بالضربِ،
 فلم أجد لي منه
 فجعلتني خلفها
 وهَيَّ تقولُ لأبي
 ويحُّ له! ويحُّ له—
 ألم تكن تصنعُ ما
 أحنى عليَّ من أبى
 تذهب فيه مذهبي
 كلُّهم لم تغضب
 مشية المؤدبِ
 وإن لم يضربِ
 غير جدتي من مهربِ
 أنجو بها، وأختبي
 بلهجة المونبِ:
 هذا الولدُ المُعدبِ!
 يصنعُ إذا أنت صبي؟

الوطن

عُصفورتان في الججا
 في خاملٍ من الرِّيا
 بينا هُما تَنَتَجِيا
 مرَّ على أيكهما
 حياً وقال: دُرَّتَا
 لقد رأيتُ حَوْلَ صَدِ
 خمائلاً كأنها
 الحَبُّ فيها سَكَّرُ
 لم يرها الطَّيْرُ ولم
 هيَّا اركباني نأثها
 قالت له إحداهما
 يا رِيحُ أنت ابنُ السَّبيدِ
 هَبْ جَنَّةَ الخلدِ اليمنِ
 ز حَلَّتَا على فنن
 ض، لا نَدِ، ولا حَسَنِ
 ن سَحَرًا على الغُصنِ
 رِيحُ سَرَى مِنَ اليَمَنِ
 ن في وعاءٍ مُمَتَّهَن!
 عاء، وفي ظلِّ عَدَنِ
 بَقِيَّةُ من ذي يَزَنِ
 والماءُ شُهدُ ولبنِ
 يَسْمَعُ بها إلا افْتَتَنِ
 في ساعة من الزمنِ
 والطَّيْرُ مِنْهُنَّ الفِطْنِ:
 ل، ما عَرَفْتَ ما السَّكَنِ
 لا شيءَ يَعدِلُ الوطن!

الرَّفْقُ بِالْحَيَوَانِ

الحيوانُ خَلِقُ له عَلَيْكَ حَقُّ
سَخَّرَهُ اللهُ لَكَ ولِلْعِبَادِ قَبْلَكَ
حَمُولُهُ الْأَثْقَالِ وَمَرْضَعُ الْأَطْفَالِ
وَمُطْعَمُ الْجَمَاعَةِ وَخَادِمُ الزَّرَاعَةِ
مَنْ حَقَّهُ أَنْ يُرْفَقَا بِهِ وَأَلَّا يُرْهَقَا
إِنْ كَلَّ دَعُهُ يَسْتَرِحْ وَدَاوَهُ إِذَا جُرِحْ
وَلَا يَجْعُ فِي دَارِكَا أَوْ يَظْمُ فِي جَوَارِكَا
بِهَيْمَةً مِسْكِينُ يَشْكُو فَلَا يُبِينُ
لِسَانُهُ مَقْطُوعُ وَمَا لَهُ دُمُوع!

الأمُّ

لولا التَّقَى لَقَلْتُ: لم يَخْلُقْ سِوَاكَ الْوَلِدَا!
إِنْ شِئْتِ كَانَ الْعَيْرُ، أَوْ إِنْ شِئْتِ كَانَ الْأَسَدَا
وإِنْ تُرِدُ غَيًّا غَوَى أَوْ تَبِغِ رُشْدًا رَشَدَا
وَالْبَيْتُ أَنْتِ الصَّوْتُ فِيهِ، وَهُوَ لِلصَّوْتِ صَدَى
كَالْبَبْغَا فِي قَفْصِ: قِيلَ لَهُ، فَقَلَّدَا
وَكَالقَضِيبِ اللَّذْنِ: قَدْ طَاوَعَ فِي الشَّكْلِ الْيَدَا
يَأْخُذُ مَا عَوَّدْتَهُ وَالْمَرْءُ مَا تَعَوَّدَا!

وَلَدُ الْغُرَابِ

وَمُمَهَّدٌ فِي الْوَكْرِ مِنْ وَلَدِ الْغُرَابِ مُزَقِّقٍ
كَرَوَيْهِبٍ مُتَقَلِّسٍ مُتَأَزَّرٍ، مُتَنَطِّقٍ^٢
لِبَسِ الرَّمَادِ عَلَى سِوَا بِ جَنَاحِهِ وَالْمَفْرِقِ

كَالْفَحْمِ غَادَرَ فِي الرَّمَاهِ
 ثُلَاثَاهُ مِنْقَارٌ وَرَأَى
 ضَخْمُ الدَّمَاعِ عَلَى الْخُلُوِّ
 مِنْ أُمِّهِ لَقِيَ الصَّغْرَ
 جَلَبَتْ عَلَيْهِ مَا تَذُو
 فُتِنَتْ بِهِ، فَتَوَهَّمَتْ
 قَالَتْ: كَبِرْتَ، فَثَبَّ كَمَا
 وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ، لَمْ
 فَهَوَى، فَمَزَّقَ فِي فِنَا
 وَسَمِعَتْ قَاقَاتٍ تُرَدُّ
 وَرَأَيْتُ غَرْبَانًا تَفَرَّ
 وَعَرَفْتُ رَنَّةَ أُمِّهِ
 فَأَشْرْتُ، فَالْتَفَتْتُ، فَقُلْتُ
 أَطْلَقْتَهُ؛ وَلَوْ امْتَحَنَ
 وَكَمَا تَرَفَّقَ وَالِدَا

دِ بَقِيَّةً لَمْ تُحْرَقِ
 سٌ، وَالْأَظْفَارُ مَا بَقِيَ
 مِنْ الْحَجَى وَالْمَنْطِقِ
 يِرُ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا لَقِيَ
 دُ الْأُمّهَاتُ وَتَتَّقِي
 فِيهِ قُوَى لَمْ تَخْلُقِ
 وَثَبَّ الْكِبَارُ، وَحَلَّقِ
 تَحْرِصُ، وَلَمْ تَسْتَوِثِقِ
 عِ الدَّارِ شَرًّا مُمَرَّقِ
 دُ فِي الْفِضَاءِ وَتَرْتَقِي
 قُ فِي السَّمَاءِ وَتَلْتَقِي
 فِي الصَّارِخَاتِ النُّعُقِ
 سَتْ لَهَا مَقَالَةٌ مُشْفَقِ:
 سَتْ جَنَاحَهُ لَمْ تُطْلِقِي
 كِ عَلَيْكَ لَمْ تَتَرَفَّقِي!

النَّيْلُ

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكُوْثُرُ
 رِيَانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ
 الْبَحْرُ الْفِيَاضُ، الْقُدْسُ
 وَهُوَ الْمِنْوَالُ لِمَا لَبَسُوا
 جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعًا
 فَتَرَى زَرْعًا يَتَلَوُ زَرْعًا
 جَارٌ وَيُرَى لَيْسَ بِجَارٍ
 يَنْصَبُ كَتَلٌ مِنْهَارٍ
 حَبَشِيٌّ اللَّوْنُ كَجِيرَتِهِ

وَالجِنَّةُ شَاطِئُهُ الْأَخْضَرُ
 مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْضَرَ!
 السَّاقِي النَّاسَ وَمَا غَرَسُوا
 وَالْمُنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ
 لَمْ يُخَلِّ الْوَادِيَّ مِنْ مَرْعَى
 وَهُنَا يُجْنَى، وَهُنَا يُبْدَرُ
 لِأَنَاءَةٍ فِيهِ وَوَقَارُ
 وَيَضْحُجُّ فَتَحْسَبُهُ يَزَارُ
 مِنْ مَنْبَعِهِ وَبُحَيْرَتِهِ

لَوْنَا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنْبَرِ صَبَغَ الشَّطِّينِ بِسُمْرَتِهِ

الْمَدْرَسَةُ

أنا المدرسةُ اجعلني
ولا تفرِّعْ كماخوذٍ
كأنِّي وجهُ صَيَّادٍ
ولا بُدَّ لك اليومَ
أو استغنِ عن العقلِ
أنا المضْبَاحُ للفِكرِ
أنا البابُ إلى المجدِ
غداً تَرْتَعُ في حَوْشِي
وَأَلْقَاكَ بِإِخْوَانِ
تُنَادِيهِمْ بِيَا فِكْرِي
وَأَبَاءٍ أَحَبُّوكَ

كأُمٌّ، لا تَمِلْ عَنِّي
من البيتِ إلى السَّجْنِ
وأنتِ الطيرُ في الغصنِ
— وإلا فغداً — مِنِّي
إِذْ نَ عَنِّي تَسْتَعْنِي
أنا المِفْتَاحُ لِلذَّهْنِ
تعالِ ادخُلْ على اليُمْنِ
ولا تشبَعُ من صَحْنِي
يُدانونَكَ في السَّنِّ
ويا شوقي، ويا حُسنِي
وما أنتِ لهم بابنِ

نَشِيدُ مِصْرَ

بَنَى مِصْرَ مَكَانِكُمْو تَهَيَّا
خُذُوا شَمْسَ النِّهَارِ لِه حُلِيَّا
عَلَى الْأَخْلَاقِ خُطُّوا الْمُلْكَ وَابْنُوا
أَلَيْسَ لَكُمْ بَوَادِي النِّيلِ عَدُنُ
لَنَا وَطَنٌ بِأَنْفُسِنَا نَقِيهِ
إِذَا مَا سِيلَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِ
لَنَا الْهَرَمُ الَّذِي صَحِبَ الزَّمَانَا
وَنَحْنُ بَنُو السَّنَا الْعَالِي، نَمَانَا
تَطَاوَلَ عَهْدُهُمْ عِزَا وَفَخْرَا

فَهَيَّا مَهْدُوا لِلْمُلْكِ هَيَّا
أَلَمْ تَكُ تَاجُ أَوْلِكُمْ مَلِيَّا؟!
فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعِزِّ رُكْنُ
وَكَوْثَرُهَا الَّذِي يَجْرِي شَهِيَّا؟!
وَبِالذُّنْيَا الْعَرِيضَةِ نَفْتَدِيهِ
بَدَلْنَاهَا كَأَنَّ لَمْ نُعْطِ شَيْئا
وَمِنْ حَدَثَانِهِ أَخَذَ الْأَمَانَا
أَوَائِلُ عَلِّمُوا الْأُمَّمَ الرُّقِيَا
فَلَمَّا آلَ لِلتَّارِيخِ نُخْرَا

جَعَلْنَا الْحَقَّ مَظْهَرَهَا الْعَلِيًّا
وَأَلْفَنَّا الصَّلِيبَ عَلَى الْهَلَالِ
يُشَدُّ السَّمْهَرِيُّ السَّمْهَرِيًّا
يَرْفُ عَلَى جَوَانِبِهِ السَّلَامُ
فَلَنْ تَجَدَّ النَّزِيلَ بِنَا شَقِيًّا
وَنَعْهَدُ بِالْتَّمَامِ إِلَى بَنِينَا
وَيَبْقَى وَجْهَكَ الْمَفِيدِي حَيًّا

نشأنا نشأةً في المجدِ أُخرى
جعلنا مصرَ ملةً ذي الجلالِ
وأقبلنا كصفٍّ من عوالِ
نرومُ لمصرَ عزًّا لا يرأَمُ
وينعمُ فيه جيرانُ كرامُ
نقومُ على البنايةِ مُحسنينا
إليكِ نموتُ - مصرُ - كما حيننا

نَشِيدُ الْكَشَافَةِ

جبريلُ الروحُ لنا حادي
وبموسى خذُ بيدَ الوطنِ
ومناةُ الدارِ، ومُنِيَّتُهَا
وطلائعُ أفراحِ المدنِ
ما يَرْضَى الْخَالِقُ وَالْخُلُقُ
وَنَزِيدُ وَثُوقًا فِي الْمَحَنِ
ونجوبُ الصَّخْرِ شَيَاطِينَا
وَالِهَمَّةُ فِي الْجِسْمِ الْمَرِنِ
ولوجهِ الْخَالِقِ نَجْتَهُدُ
وَنُدَاوِي مِنْ جَرَحِ الزَّمَنِ
وَالْعِفَّةِ عَنْ مَسِّ الْحَرَمِ
وَالذُّودِ عَنِ الْغَيْدِ الْحُصَنِ
وَالنَّارِ السَّاطِعَةِ الْوَهَجِ
وكفى بِالْوَاجِبِ مِنْ ثَمَنِ
وَابْدُلْ لِأُبُوتِنَا الْمَدَدَا
ياربِّ، وَخُذْ بِيَدِ الْوَطَنِ

نحنُ الْكَشَافَةُ فِي الْوَادِي
ياربِّ، بَعِيسِي، وَالْهَادِي
كَشَافَةُ مِصْرَ، وَصَبِيَّتُهَا
وجمالُ الْأَرْضِ، وَحَلِيَّتُهَا
نَبْتِدِرُ الْخَيْرَ، وَنَسْتَبِقُ
بِالنَّفْسِ وَخَالِقِهَا نَثِقُ
فِي السَّهْلِ نَرَفُ رِيَاحِينَا
نَبْنِي الْأَبْدَانَ وَتَبْنِينَا
وَنُخَلِّي الْخَلْقَ وَمَا اعْتَقَدُوا
نَأْسُو الْجَرْحَى أَنِّي وَجُدُوا
فِي الصِّدْقِ نَشَأْنَا وَالْكَرَمِ
ورعايةِ طِفْلِ أَوْ هَرِمِ
وَنُؤَافِي الصَّارِخِ فِي اللَّجَجِ
لَا نَسْأَلُهُ ثَمَنَ الْمُهَجِ
ياربِّ، فَكثُرْنَا عَدَدَا
هَيِّئْ لَهُمْ وَلَنَا رَشَدَا

هوامش

- (١) صنعاء وعدن: من بلاد اليمن.
- (٢) نو يزن: من ألقاب ملوك اليمن في التاريخ القديم.
- (٣) رويهب: راعب صغير، والمتقلس، والمتأزر، والمتنطق: الذي يلبس القلنسوة، والإزار، والنطاق، كالرهبان.
- (٤) القاقات: نعيق الغربان.

من شعر الصبا

قصر الأعرزة، ما أعزَّ حماكا!

«وقال في صباه يهنئ الخديو توفيق بعيد الفطر ويشير إلى صلة أنفذهما إليه وهو في الدراسة بأوربا»

وَأَجَلَ فِي الْعَلِيَاءِ بَدَرَ سَمَاكَا!
أَعِيدَ بَانِي رُكْنَهُ فَبَنَاكَا؟!
سَيَّانِ هَذَا فِي الْجَلَالِ وَذَاكَ
يَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، مَا أَصْفَاكَا!
فِي هَالَةٍ دَارَتْ عَلَى مَغْنَاكَا
حَسَدَتْ عَلَيْهَا النِّيْرَاتُ ثَرَاكَ
مَا لِلْإِمَارَةِ مَنْ يُعَدُّ سِوَاكَ
وَالْعُرْبُ تَذَكُرُ فِي الْكِتَابِ أَبَاكَ!
لَتَرْفَعَتْ أَنْ تَسْكُنَ الْأَفْلَاكَ
فَضْلًا، وَفَاتَ بَنِيهِمْ نَجْلَاكَ
يَجْرِي بِهِ الْمَلِكُ شَرْطُ غْنَاكَ
فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ تَحْتَ لِيوَاكَ
بِاسْمِ النَّبِيِّ، مَوْفَقًا مَسْعَاكَ
مَوْنَ السَّبِيلِ عَلَى رَشِيدِ نُهَاكَ
وَهَيَّ الْجِبَالَ، فَمَا أَشَدَّ قُواكَ!

قَصْرَ الْأَعْرَزَةِ، مَا أَعَزَّ حِمَاكَ!
تَتَسَاءَلُ الْعَرَبُ الْمُقَدَّسُ بِبَيْتِهَا:
وَتَقُولُ إِذْ تَأْتِيكَ تَلْتَمِسُ الْهُدَى:
يَا مُلْتَقَى الْقَمَرَيْنِ، مَا أَبْهَاكَ! بَلْ
إِنَّ الْأَمَانَةَ، وَالْجَلَالَهَ، وَالْعُلَا
مَا الْعِزُّ إِلَّا فِي ثَرَى الْقَدَمِ الَّتِي
يَا سَادِسَ الْأُمَرَاءِ مِنْ أَبَائِهِ
التَّرْكُ تَقْرَأُ بِاسْمِ جَدِّكَ فِي الْوَعَى
نَسَبٌ لَوْ انْتَمَتَ النُّجُومُ لِعَقْدِهِ
شَرْفًا — عَزِيزَ الْعَصْرِ — فَتُ مَلُوكُهُ
لَكَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَكُوْثَرُهَا الَّذِي
وَلِكِ الْمَدَائِنُ وَالْتُّغُورُ مَنِيْعَةٌ
مُلْكُ رَعِيَتِ اللّٰهِ فِيهِ، مَوْيِدًا
فَأَقَمْتَ أَمْرًا — يَا أَبَا الْعَبَّاسِ — مَا
إِنَّ يَعْضُوهُ عَلَى الْجِبَالِ تَهْنُ لَهُ

بسياسة تقفُ العقولُ كليلَةً
وبحكمةٍ في الحكمِ توفيقيةٍ
مَولايَ، عيدُ الفطرِ صُبِحَ سُعودِهِ
فاستقبلِ الآمالَ فيه بِشائراً
وتلقُ أعيادَ الزمانِ مُنيرةً
أَيامَكَ الغرِّ السعيدةَ كُلُّها
فليَبُقْ بيْتُكَ، وليَدُمْ ديوانُهُ
وليَهِنني بكِ كلَّ يومٍ أَنني
يأَيها الملكِ الأريبِ، إِيكها
فطوتُ إِيكَ البحرَ أبيضَ نِسبَةً
قَدِمْتُ على عيدِ لبابك بعدما
أَوْ كُلُّما جادَتْ نَدَاكَ رَوِيَّتِي
أَنْتَ الغنِيُّ عن الثناءِ، فإنْ تُردُ

لا تستطيع لِكُنْهَها إدراكا
لكِ يَقْتَفِي فيها الرجالُ خُطاكَا
في مِصرَ أسْفَرَ عن سنا بُشراكَا
وأشائراً تُجَلِي على عَلِيَاكَا
فهناؤُهُ ما كان فيه هَناكَا
عيدُ، فعيدُ العالمينِ بَقاكَا
وليَحِي جُنْدَكَ، ولتَعِشْ سُوراكَا
في أَلْفِ عيدٍ من سُعودِ رضاكَا
عذراءَ هامتُ في صفاتِ عَلاكَا
لِنظيرِهِ المورودِ من يُمناكَا
قَدِمْتُ عليَّ جديدةً نُعماكَا
سَبَقْتُ ثَنائيَ بالارتجالِ يداكَا؟!
ما يُطربُ الملكَ الأديبَ فهَاكَا!

قَصْرُ المُنْتَزَه

«وقال يصف قصر المنتزه العامر بالإسكندرية بعد رؤية معالمة الشائقة بدعوة من
الجناب العالي سنة ١٨٩٥»

مُنْتَزَهُ العَبَّاسِ للمجتلي
العيشُ فيه ليس في غيرِهِ
قصورٌ عَزَّ باذخاتِ الذرى
من كلِ راسي الأصلِ تحتِ الثرى
دارتُ على البحرِ سلايِمُهُ
مُنْتَظِماتٌ مائِجاتٌ به
من الرخامِ النَدْرِ، لكنها
من عملِ الإِنسِ، سوى أَنها
والريخُ في أَبوابِهِ، والجوا

أَمَنْتُ باللهِ وَجَنَّاتِهِ!
يا طالِبَ العيشِ وَلذاتِهِ
يودُّها كسرى مَشيداتِهِ
مُحيرِ النجمِ بِذِرواتِهِ
فبتنِ أطواقاً لِلبَّاتِهِ
مُنمقاتٌ مثلُ لُجَّاتِهِ
تُنازِعُ الجوهرَ قِيماتِهِ
تُنسي سَليمانَ وَجَنَّاتِهِ
ري مائِلاتٌ دونِ ساحاتِهِ

وغيابه مَنْ سارَ في ظلِّها
 بالطولِ والعرضِ تُباهي، فذا
 والرَّمْلُ حالٍ بالضحى مُذهَّبٌ
 وتُرعةٌ لو لم تكن حُلوةً
 أو لم تكن ثَمَّ حياةَ الثرى
 وفي فمِ البحرِ لمن جاءهُ
 تَنَحَّشِدُ الطَّيْرُ بأكنافه
 مِنْ مِعِزٍ وَحَشِيَّةٍ، إِنْ جَرَتْ
 أو وثَبَتْ فالنَّجْمُ من تحتها
 وأرنبٌ كالنَّمْلِ إِنْ أَحْصَيْتْ
 يعلو بها الصَّيْدُ ويعلو إذا
 ومن ظبَاءٍ في كِنَاسَاتِهَا
 والحَيْلُ في الحيِّ عِراقِيَّةٌ
 عُرُّ كَأَيامِ عَزِيْزِ الْوَرَى

يَأْتِي عَلَى الْبُسْفُورِ غَابَاتِهِ
 وَاِفٍ، وَهَذَا عِنْدَ غَايَاتِهِ
 يُصَدِّئُ الظِّلُّ سَبِيكَاتِهِ
 أَنْسَتْ «لَمَرَّتَيْنِ» بِحَيْرَاتِهِ^٢
 لَمْ تُبْقِ فِي الوَصْفِ لِحَيَاتِهِ
 لِسَانُ أَرْضٍ فَاقَ فُرْضَاتِهِ
 وَيَجْمَعُ الْوَحْشُ جَمَاعَاتِهِ
 أَرَتْ مِنَ الْجَزْيِ نَهَايَاتِهِ
 وَالسُّورُ فِي أَسْرِ أُسَيْرَاتِهِ
 تَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ وَأَبْيَاتِهِ
 مَا قِيَصَرَ أَلْقَى حِبَالَاتِهِ
 تَهِيحُ الْعَاشِقُ لَوَعَاتِهِ
 تَحْمِي وَتَحْمَى فِي بُيُوتَاتِهِ
 مُحَجَّلَاتٌ مِثْلَ أَوْقَاتِهِ

«وقال يهنئ الخديو توفيق بقدوم نجليه من سياحتهما بأوربا»

ما باتَ يُنْني على عليكِ إنسانُ
 وما تَهَلَّلَتْ إِذْ وَا فَاكَ ذُو أَمَلٍ
 لله ساحتك المسعودُ قاصدُها
 ليئنَّ تباهى بك الدينُ الحنيفُ لكمُ
 تُراقبُ اللهَ في مُلكٍ تدبُّرُه
 أنجى لك اللهُ أنجالاً يهَيئُهم
 أعزَّةً أينما حلَّتْ رِكاتُهم
 لم تنبهم عن طلابِ العلمِ في صغرٍ
 تأبى السعادةَ إلا أن تسأيرهم
 نجلانِ قد بلغا في المجدِ ما بلغا
 يكفيهما في سبيلِ الفخرِ أن شهدتُ

إِلا وَأَنْتَ لَعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانُ
 إِلا وَأَدَهَشَهُ حُسْنُ وَإِحْسَانُ
 فَإِنَّمَا ظَلُّهَا أَمْنٌ وَإِيمَانُ
 تَقَوَّمَتْ بِكَ لِلإِسْلَامِ أَرْكَانُ
 فَأَنْتَ فِي الْعَدْلِ وَالتَّقْوَى سُلَيْمَانُ
 لِرِفْعَةِ الْمُلْكِ إِقْبَالَ وَعِزِّفَانُ
 لَهُمْ مَكَانٌ كَمَا شَاءُوا وَإِمْكَانُ
 فِي عَزِّ مُلْكِكَ - أَوْطَارٌ وَأَوْطَانُ
 لِأَنَّهُمْ لِمَلُوكِ الْأَرْضِ ضَيْفَانُ
 مُعْظَمٌ لَهُمَا بَيْنَ الْوَرَى شَانُ
 بِفَضْلِ سَبَقِيهِمَا رُوسٌ وَالْأَمَانُ

هُمَا هُما، تعرِفُ العَلياءُ قدرَهُما
 ما الفَرَقَدانِ إذا يومًا هُما طلعا
 يا كافِي الناسِ بعدَ الله أَمْرُهُمُ
 ويا مُنيلَ المعالي والندى كرمًا
 مولاي، هل لِفَتى بالبابِ مَعذرةٌ
 سعى على قدمِ الإِخلاصِ مُلتَمِسا
 أرى جَنابَكَ رَوْضًا للندى نَضْرًا
 لا زالَ مُلكَكَ بالأنجالِ مُبتَهجا
 كِلاهُما كِلِفٌ بالمجدِ يَقظان
 في مَوَكِبٍ بهما يَزهو ويزدان؟
 النصرُ إلا على أَيْدِكَ جِذْلان
 الربح من غيرِ هذا البابِ خُسران
 فعقلُهُ في جلالِ الملكِ حيران؟!
 رضاك، فَهُوَ على الإقبالِ عُنوان
 لأنَّ عُصنَ رجائي فيه رَبَّان
 ما باتَ يُثني على عَلياكِ إنسان

«وقال مهنئاً للخديو عباس بولادة إحدى الكريمات»

أعطى البريةَ إذ أعطاكِ باريها
 أنتِ البرية، فاهناً، وهي أنتِ، فَمَنْ
 عيدُ السماءِ وعيدُ الأرضِ بينهما
 فبارَكَ اللهُ فيها يومَ مَولِدها
 ويومَ تَشْرِقُ حَوْلَ العرشِ صبيئُها
 إنَّ العنايةَ لَمَّا جامَلتْ وَعَدتْ
 بكلِّ عالٍ من الأنجالِ تحسبُه
 يقومُ بالعهدِ عن أوفى الجدودِ به
 ويأخذُ المجدَ عن مصرٍ وصاحبها
 الناهضين على كرسِيِّ سُوددها
 والساهرين على النيلِ الحفيِّ بها
 مولاي، للنفسِ أن تُبدي بشائِرَها
 الشمسُ قدرًا، بل الجوزاءُ منزلةُ
 أمُّ البنينِ إذا الأوطانُ أَعوزَها
 مِنَ الإناثِ سِوى أنَّ الزمانَ لها
 وأنها سرُّ عباسٍ وبضعتهُ
 أغرُّ يستقبلُ العصرُ السلامَ به
 فهل يُهنِّيكِ شعري أم يُهنِّئُها؟
 دعاكِ يومًا لِتهنأ فهو داعيها
 عيدُ الخلائِقِ قاصيها ودانيها
 ويومَ يرجو بها الآمالَ راجيها
 كهالةِ زانِةِ الدنيا دَراريها
 ألا تَكُفُّ وَأَنْ تَتَرى أَيْديها^٢
 من الفراقِ لو هَشَّتْ لرائيها
 عن والدٍ أبلجِ الذمَّاتِ عاليها
 عن السِراةِ الأعالي من موالِها
 والقابضين على تاجيِّ معاليها
 وكأسها وحُمَيَّها وساقِها
 بما رزقتِ، وأن تهدي تهانِها
 بل التُّرَيَّا بل الدنيا وما فيها
 مُدبِّرُ حازمٍ أو قَلَّ حامِيا
 عبْدٌ، وأنَّ الملا خَدامُ نايها
 فَهِيَ الفضيلةُ، مالي لا أَسْمِيها؟!
 وتشرقُ الأرضُ ما شاءتْ ليلِها

عالي الأريكة بين الجالسين، له
عباسُ، عَشْ لِنَفْسِ أَنْتِ طَلَبْتَهَا
مَنْ المفاخر عليها وغاليتها
وَأَنْتِ كُلُّ مُرَادٍ مِنْ تَنَاجِيهَا
والله أَصْدَقُ وَعْدًا، وَهُوَ كَافِيهَا
تُبْدِي الرِّجَاءَ وَتَدْعُوهُ لِيَصْدُقَهَا

بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ

بيني وبين أبي العلاءِ قَضِيَّةٌ
هُوَ قَدْ رَأَى نُعْمَى أَبِيهِ جِنَايَةً
فِي الْبِرِّ اسْتَرْعَى لَهَا الْحُكَمَاءُ
وَأَرَى الْجِنَايَةَ مِنْ أَبِي نِعْمَاءُ

دَوَاءُ الْمُنِيِّمِ

دَاوِ الْمُنِيِّمَ، دَاوِهِ
إِنَّ النَّوَاصِحَ كَالْهُمِّ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَجِدَ الدَّوَا
قَالُوا بِتَبْدِيلِ «الهُوَا»^٥
لِلصِّدِّ، وَالْهَجْرِ، وَطُولِ النَّوَى
فَلَا تَلْوَمُوهُ إِذَا مَا سَلَا
قَدْ فُتِحَ الْبَابُ وَمَرَّ «الهُوَا»

وَكَتَبَ عَلَى صُورَةٍ مُهْدَاةٍ لِصَدِيقٍ

سَعَتْ لَكَ صُورَتِي، وَأَتَاكَ شَخْصِي
لَأَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكَ وَهِيَ أَصْلُ
وَسَارَ الظِّلُّ نَحْوَكَ وَالْجِهَاتُ
وَحَيْثُ الْأَصْلُ تَسْعَى الْمُلْحَقَاتُ
وَهَبْهَا صُورَةً مِنْ غَيْرِ رُوحٍ
أَلَيْسَ مِنَ الْقَبُولِ لَهَا حَيَاةٌ؟!

هوامش

- (١) هو توفيق بن «إسماعيل».
- (٢) لامرتين: شاعر فرنسا العظيم، وقصيدته عن «البحيرات» ذائعة وقد تُرجمت إلى العربية مرات.
- (٣) تترى: متواترة متتابعة، وقد استعملها الشاعر هنا بمعنى تتواتر.

الشوقيات

(٤) يشير إلى قول أبي العلاء المعرى:

هذا جناه أبي عليّ، وما جنيت على أحد

وأبو العلاء لم يتزوج ولم ينجب.

(٥) يستعمل الشاعر كلمة «الها» على طريقة الإيهام عند البديعيين فيقصد معنى

ويوهم معنى غيره، والها «مقصور الهواء» غير الهوى بمعنى العشق والمحبة.

محجوبيات

«كان بين الشاعر والدكتور محجوب ثابت صلة متينة من الود، وكان بينهما مسامرات ومداعبات أوحت إلى الشاعر ببعض ما ننشره بعد من شعر الفكاهة».

بَيْنَ مَكْسُونِي وَالْأَوْتُومُبِيلِ

«كان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به ما شاء من أحياء القاهرة في أيام الثورة، وكان أصدقاؤه يُسمُّون حصانه «مكسويني» وهو اسم بطل أيرلندي مشهور انتحر جوعاً؛ يكونون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به.»

«وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة، فنظم الشاعر هذه القصيدة يداعب الدكتور ويعزي حصانه. وقد نُشِرت هذه القصيدة في سنة ١٩٢٤.»

لکم فی الخطُّ سیارَه	حديثُ الجارِ والجارَه
(أوفّر لاندُ) يُنبِّیکَ	بها القُنْصُلُ (طَمَّارَه) ١
کسیارَه (شارلوت)	على السَّواقِ جِبَّارَه ٢
إِذا حَرَکَها مالتُ	على الجَنَّبِینِ مُنْهَارَه!
وقد تَحَرُّنُ أحياناً	وتمشِي وحدها تارَه
ولا تُشْبِعُها عَینُ	مِنَ (البِنزِینِ) فَوَّارَه
ولا تُروى من الرِّیَّتِ	وإن عامَّتْ به الفارَه
ترى الشارعَ فی دُعْرِ	إِذا لاحتْ من الحارَه

وَصِيبَانًا يَضْجُونَ
 وَفِي مَقْدَمِهَا بوقُ
 فَقَدْ تَمْشِي مَتَى شَاءَتْ
 قَضَى اللَّهُ عَلَى السَّوَا
 يُقْضَى يَوْمَهُ فِيهَا
 أَدْنِيَا الْخَيْلِ (يَا مَكْسِي)
 لَقَدْ بَدَّلَكَ الدَّهْرُ
 فَصَبْرًا يَا فَتَى الْخَيْلِ
 أَحَقُّ أَنْ (مَحْجُوبًا)
 وَبَاعَ الْأَبْلَقَ الْحُرَّ
 وَلَمْ يَعْرِفْ لَهُ الْفَضْلَ
 قَدْ اخْتَارَ لَكَ الشَّلْحَ
 فَسَلِّهِ: مَا هُوَ الشَّلْحُ؟
 كَأَنْ لَمْ تَحْمِلِ الرَّأ
 وَلَمْ تَرَكِبْ إِلَى الْهُوْلِ
 وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَى جَرْحِي
 فَمَضْرُوبٌ بِرَشَّاشٍ
 وَلَا وَاللَّهِ مَا كَلَّفَ
 فَلَا الْبِرْسِيمُ، تَدْرِيهِ
 وَقَدْ تَرَوِي عَلَى (صُلَّتِ)
 وَقَدْ تَسَكَّرُ مِنْ حَوْدِ
 وَقَدْ تَشْبَعُ يَا ابْنَ اللَّيْلِ
 عَسَى اللَّهُ الَّذِي سَأَقَ
 فَكَانَتْ خَلْفَهُمْ دُنْيَا
 يَهْيِي لَكَ هَوَارًا
 فَإِنَّ الْحِظَّ جَوَالٌ

كَمَا يَلْقَوْنَ طَيَّارَهُ
 وَفِي الْمُوْخِرِ زَمَارَهُ
 وَقَدْ تَرْجِعُ مُخْتَارَهُ
 قَ أَنْ يَجْعَلَهَا دَارَهُ!
 وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَا زَارَهُ!
 كَدُنْيَا النَّاسِ غَدَّارَهُ؟!
 مِنَ الْإِقْبَالِ إِدْبَارَهُ
 فَفَنَفْسُ الْحَرِّ صَبَّارَهُ
 سَلَا عَنْكَ بِفَخَّارَهُ؟
 (بِأَوْفَرِ لَانْدِ) نَعَّارَهُ؟
 وَلَا قَدَّرَ آثَارَهُ
 وَمَا كُنْتَ لِتَخْتَارَهُ
 عَسَى يُنْبِيكَ أَخْبَارَهُ
 يَهْ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالشَّارَهُ^٢
 وَلَمْ تَحْمِلْ عَلَى الْغَارَهُ
 مِنَ الصَّبِيَةِ نَظَّارَهُ
 وَمَقْلُوبٌ بِغَدَّارَهُ
 تَ (مَحْجُوبًا) وَلَا بَارَهُ
 وَلَا تَعْرِفْ نَوَّارَهُ!
 إِذَا نَادَمْتَ سُمَّارَهُ؛
 عَلَى الْإِفْرِيزِ مِعْقَارَهُ
 لِ مِنْ رَنَّةِ قَيْثَارَهُ!
 إِلَى (يُوسُفَ) سَيَّارَهُ
 لَهُ فِي الْأَرْضِ كِبَارَهُ
 كَرِيمًا وَابْنَ هَوَّارَهُ^٥
 وَإِنَّ الْأَرْضَ دَوَّارَهُ!

مَكْسُوِينِي ...

«وهذه مداعبة أخرى قيلت في مكسويني حسان الدكتور محجوب أيام الثورة المصرية حين كان الدكتور يرتاد بار اللواء وجريدة الأهرام»

تفديك — يا مكس — الجياد الصلادم
 كأنك — إن حاربت — فوقك عنتر
 ستجزي التماثيل التي ليس مثلها
 فإنك شمس، والجياد كواكب
 ... مثال بساح البرلمان منصّب
 ولا تظفر (الأهرام) إلا بثالث
 وكم تدعي السودان يا مكس هازلًا
 وما بك مما تبصر العين شهبه
 كأنك خيل الترك شابت متونها
 فيا رب أيام شهدت عصبية
 وتفدي الأساءة النطس من أنت خادم
 وتحت ابن سينا أنت حين تسالم
 إذا جاء يوم فيه تجزي البهائم
 وإنك دينار، وهن الدراهم
 وآخر في (بار اللوا) لك قائم
 «مزامير» داود عليه نواغم
 وما أنت مسود، ولا أنت قاتم
 ولكن مشيب عجلته العظام
 وشابت نواصيها، وشاب القوائم
 وقائعها مشهورة والملام!

ذخيرة

«وهذه مداعبة أخرى — لم تكمل — نظمها في أيام الثورة وهو يشير فيها إلى ألفي جنيه كان الدكتور محجوب قبل اكتنزها وحرص عليها في بنك حسن باشا سعيد ...»

قل لابن سينا: لا طبيب
 هو قبل بقراط وقب
 والناس منذ كانوا عليه
 وبسخره تعلقوا الأسا
 يا هل ترى الألفان وقد
 بنك «السعيد» عليهما
 لا «شيك» يظهر في البنو
 وأعف من لاقيت يلق
 ب اليوم إلا الدرهم
 لك للجراحة مزهم
 ه دائرون وحوم
 فل في العيون وتعظم
 ف لا يمس ومحرم!
 حتى القيامة قيم
 ك ولا «حوالة» تخصم!
 ه فلا يتكرم!

بَرَاغِيْتُ مَحْجُوبٌ

بَرَاغِيْتُ مَحْجُوبٌ لَمْ أَنْسَهَا
تَشَقُّ حَرَاطِيمُهَا جَوْرَبِي
وَكُنْتُ إِذَا الصَّيْفُ رَاحَ احْتَجَمُ
تُرْحَبُ بِالضَّيْفِ فَوْقَ الطِّ
قَدْ انْتَشَرَتْ جَوْقَةٌ جَوْقَةٌ
وَتَرَقَّصُ رَقَّصَ الْمَوَاسِي الْجِدَادِ
بِوَاكِيْرٍ تَطْلُعُ قَبْلَ الشِّتَاءِ
إِذَا مَا «ابْنُ سَيْنَا» رَمَى بِلِغْمًا
وَتُبْصِرُهَا حَوْلَ «بَبِيَا» الرَّئِيسِ^٧
وَبَيْنَ حَفَائِرِ أَسْنَانِهِ
وَلَمْ أَنْسَ مَا طَعِمْتُ مِنْ دَمِي
وَتَنْفُذُ فِي اللَّحْمِ وَالْأَعْظَمِ!
تُفَجَاءُ الْخَرِيفُ فَلَمْ أَحْجَمُ
رَيْقِ، فَبَابِ الْعِيَادَةِ، فَالْسَّلْمِ
كَمَا رُشَّتِ الْأَرْضُ بِالسَّمْسِمِ!
عَلَى الْجِلْدِ، وَالْعَلَقِ الْأَسْحَمِ
وَتَرْفَعُ أَلْوِيَةَ الْمَوْسِمِ
رَأَيْتَ الْبَرَاغِيْتَ فِي الْبَلْغَمِ
وَفِي شَارِبِيهِ وَحَوْلَ الْقَمِ!
مَعَ السُّوسِ فِي طَلَبِ الْمَطْعَمِ!

هوامش

- (١) الشيخ طمارة: كان إمامًا بالمفوضية المصرية في واشنطن.
- (٢) يعني شارلي شابلن الممثل الهزلي المشهور.
- (٣) يشير إلى ملازمته أباه في أبان الثورة المصرية سنة ١٩١٩.
- (٤) مشرب عام في القاهرة كان يرتاده الصفوة من سكان القاهرة ونزلاتها.
- (٥) هواره: قبيلة عربية يشتهر بنوها بالكرم، ومنها بطن تستوطن صعيد مصر.
- (٦) نحسبه يعني المأسوف عليه داود بركات رئيس الأهرام لذلك العهد.
- (٧) ابن سينا، والرئيس: كناية عن الدكتور محجوب نفسه، ومن الأشياء الحبيبة إليه التدخين في «الببببب».